كنيسة المشرق

"التاريخ المصور للمسيحية الاشورية"





كنيسة المشرق

كرستوف بومر

إن ما يسمى بالكنيسة " النسطورية" (المعروفة رسميا بكنيسة المشرق الاشورية الرسولية، بكرسيها في بغداد) كانت واحدة من اهم الجماعات المسيحية التي تطورت في شرق الامبراطورية الرومانية. وكانت للكنيسة في اوجها ثمانية مليون مؤمن وتمتد من البحر المتوسط الى الصين.

وكرستوف بومر واحد من الغربيين القلائل الذين زاروا العديد من اهم المواقع الاشورية ، ووضع التاريخ الشامل الوحيد للكنيسة التي تكافح الآن من اجل البقاء في وطنها الاصلي ، العراق، وتكاد ان تكون منسية في الغرب. وهو يسرد مسارها الملون منذ بداياتها الرسولية حتى اليوم، ويناقش لاهوت الكنيسة ومسيحانيتها وروحيتها النابضة بالحياة على نحو فريد. وهو يحلل علاقة الكنيسة المضطربة مع الكنائس المسيحية الاخرى وحوارها مع الديانات العالمية المجاورة مثل الزرادشتية والمانوية والاسلام والبوذية والهندوسية والطاوية.

إن الكتاب الموضح بالخرائط وباكثر من 150 صورة ملونة ، يتيح قراءة ضرورية للمهتمين بجماعة مسيحية مذهلة ولكن مهملة صاغت بعمق تاريخ الحضارة في كل من الشرق والغرب.



ARMENIEN
GEORGIEN
ASERBAIDSCHAN
Erzerum
St. Taddäus
Caesarea
Melitene
Van-See
HAKKARI
Maipherqat
Amida
Seert
Kotchannes
TUR ABDIN
KURDISTAN
Samosata
Hah
Urmiah
Urmiah See
Mardin
Qartamin
Djazireh
Tarsus
Mopsuestia
Kilikien
Zeugma
Edessa (Urfa)
Dara
Nisibis
Carrhae
Hazakeh
St. Simeon
Mabbug
Mar Mattai
Antiochien
Dehez
Khabur
Baqirha
Aleppo
Mossul
Arbela
MESOPOTAMIEN
Qalliniqos (Raqqa)
ADIABENE
Laodicea
Serjilla
Apamea
Resapha
Zenobia
Hatra
Kirkuk
TAGHLIB
Homs
Laschom
Palmyra
Dura Europos
Takrit
Euphrat
Baalbek
Mittelmeer
Samarra
Deir Mar Musa
Damaskus
Ma'alula
Tigris
Habbaniyah
Tiberias
Bostra
Ain Jalut
Jordan
Jerusalem
Alexandria
Cairo
0 100 200 300 km
Khorassan
Herat
Yazd
Naqsh-e Rostam
Naqsh-e Rajab
Zarang
Karman
Kharg
Schiraz
Seistan
Rew-Ardashir
Bam
Persischer Golf
Siraf
Ormuz
38
34
30
35
25

كنيسة المشرق

"التاريخ المصور للمسيحية الاشورية"

كريستوف باومر

The Church of the East

"An Illustrated History of Assyrian Christianity"

Christoph Baumer

المترجم: عزيز عمانوئيل الزيباري

مراجعة وتدقيق: عوديشو ملكو آشيثا

الناشر: رابطة الكتّاب والادباء الاشوريين

طبع الكتاب: شركة الطبع والنشر اللبنانية

شكر وتقدير

لانجاز مثل هذه الاعمال الكبيرة، لابد من تظافر جهود مخلصة، وقبلها لابد من توفر نيّات صادقة تشد العزم والحزم لانجازها. ازاء ذلك كان معنا رجال ونساء من هذا الصنف، ولولا جهودهم المشكورة لما كان هذا الكتاب القيّم بهذه الحلة القشبية بين ايديكم. واخص بالذكر منهم:

ـ الاب الدكتور خوشابا ملكو كوركيس، لرفده المدقق بالكثير من المعلومات التاريخيه، واللغوية، واللاهوتية لكنيسة المشرق الاشورية.

ـ السيدة سوزان يوسف القصراني لصبرها الطويل في عملية مونتاج هذا الكتاب واخراجه طبق الاصل الانكليزي، وذلك حسب طلب المؤلف. وكذلك لملاحظاتها اللغوية القيمة وباللغتين الانكليزية والعربية.

ـ المهندسة فيفيان عتو والسيدة كارولين يعقوب لما اظهرتاه من صبر وتأنٍ في جميع مراحل التدقيق والتصحيح والمونتاج لهذا الكتاب لكي يصل الى ما هو عليه امامكم.

عوديشو ملكو آشيثا
رئيس رابطة الكتاب والادباء الآشوريين
دهوك / ايلول ٢٠٠٩

من منشورات رابطة الكتاب والادباء الآشوريين
assyrianleague@yahoo.com

محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة
شكر وتقدير	ب
محتويات الكتاب	ج
موافقة المؤلف ودار النشر	ز
مقدمة الناشر	ح
مقدمة المترجم	ي
تمهيد	س
صورة المذبح	ع
الفصل الاول: المقدمة	١
ـ نظرة اولى الى تاريخ كنيسة المشرق الاشورية	١
ـ جوانب روحية	٧
ـ مصطلح نسطوري	٩
الفصل الثاني: بدايات المسيحية السريانية الشرقية	١١
الموقف السياسي والديني على جانبي الفرات	١١
ـ الفرثيون ـ امبراطورية الى الشرق من نهر الفرات	١١
ـ روما ـ امبراطورية الى الغرب من نهر الفرات	١٣
ـ بولس في انطاكيا وتوسيع المسيحية القديمة	١٥
المسيحية تعبر نهر الفرات	١٧
ـ تقاليد مار توما ومار أداي ومار اكاي، ومراسلة أبجر ملك الرها ليسوع المسيح	١٧
ـ مار ماري ورحلة التبشير الاولى الى الامبراطورية الفرثية	٢٣
المسيحيون التوماويون في جنوب الهند	٣٠
الفصل الثالث: من التنوع الى الوحدة:	
آباء الكنيسة والهراطقة	٣٧
مفهوم الثالوث الاقدس ومسألة طبيعة المسيح	٣٧
ـ يسوع انسان اولاً وليس إلهاً	٣٨
ـ يسوع إلهاً اولاً وليس انساناً	٤٠
المسيحية كنيسة رسمية لروما	٤٦
أسس علم اللاهوت السرياني الشرقي	٤٨
ـ آباء الكنيسة ديودورس الطرسوسي و ثيودورس المصيّصي	٤٨

نسطور ومجمع أفسس........................ ٥١
ـ نسطور بطريركا للقسطنطينية........................ ٥١
ـ النزاع اللاهوتي مع البطريرك كيرلس الاسكندري........................ ٥٥
ـ عزل نسطور من البطريركية........................ ٥٧

الفصل الرابع: فقدان مسكونية المسيحية........................ ٦١
مجمع خلقيدونيا........................ ٦١
المناقشات البيزنطية الداخلية حول الإيمان وأثرها على كنيسة المشرق ٦٣
الترجمة السريانية البسيطة (بشيطتا) للكتاب المقدس، الصلة المشتركة
بين الكنائس السريانية........................ ٦٧

الفصل الخامس: بطريركية سلوقيا ـ قطيسفون........................ ٧٠
الوضع السياسي والديني في بداية حكم الساسانيين........................ ٧٠
الزرادشتية في الامبراطورية الساسانية........................ ٧١
إضطهاد دام قرناً منذ ٣٤٠ الى ٤٥٧، والتكوين الاول للسلطة الكنسية ٧٨
تنظيم كنيسة المشرق........................ ٨٧
الاعلان الاخير لاستقلال كنيسة المشرق........................ ٩٤
شهادة الايمان في المسيحانية الدايوفيزية والنزاع مع اليعاقبة
المايافيزيين........................ ٩٦
ازمة وتجديد في كنيسة المشرق بين ٤٥٠ و٦٥٠........................ ١٠٠
ظهور الكنيسة السريانية الارثونكسية والكنيسة اليعقوبية........................ ١١٥

**الفصل السادس: جوانب اللاهوت السرياني الشرقي
وروحانيته**........................ ١٢٢
النزاع مع الزرادشتية والمانوية........................ ١٢٢
ـ الدفاع الزرادشتي........................ ١٢٣
ـ ماني البارقليط المعين ذاتياً........................ ١٢٥
ـ التوحديّة السريانية الشرقية والمختارون المانويون........................ ١٢٩
صلاح الطبيعة البشرية ومسألة الخطيئة الاصلية........................ ١٣٤
يسوع المسيح آدم الثاني، وشجرة الحياة وصليب القيامة........................ ١٣٦
الاسرار المقدسة في كنيسة المشرق........................ ١٣٨
فن العمارة الكنسية ورموز الليترجيا في الفضاء والزمان........................ ١٤٢
الرهبنة والتوحد........................ ١٤٧
التصوف السرياني الشرقي المتمثل بيوحنا دالياثا........................ ١٥٣

الفصل السابع: المسيحيون في ظل الحكم الاسلامي........................ ١٥٧
المسيحيون في منطقة الخليج الفارسي والجزيرة العربية........................ ١٥٧

ـ المسيحية تصير الديانة الرسمية للدولة في جنوب الجزيرة
العربية........................ ١٦٣
ـ فقدان الابرشيات العربية........................ ١٦٥
بين السماح والقمع ـ المسيحيون كمواطنين من الدرجة الثانية........................ ١٦٨
ذروة ايام كنيسة المشرق برئاسة البطريرك طيماثاوس الاول........................ ١٧٦
في خضم السياسة........................ ١٧٨
الحفاظ على الارث القديم........................ ١٨٠
كنيسة المشرق والاسلام........................ ١٨٣
هل أن كنيسة المشرق كنيسة ايقونية؟........................ ١٨٨

الفصل الثامن: الارسالية الى الشرق........................ ١٩٤
النساطرة على طول طريق الحرير في آسيا الوسطى........................ ١٩٤
ـ سوغديا وأرض الانهار السبع........................ ١٩٤
ـ التبت........................ ٢٠٠
ـ تركستان الشرقية........................ ٢٠٢
الاسقف ألوبين يحمل الديانة المشرقة الى الصين........................ ٢٠٥
حوار الارثوذكسية والحركة التوفيقية مع البوذية والطاوية........................ ٢١٤

الفصل التاسع: الفترة المغولية........................ ٢٢٣
الشامانية والتوفيقية الدينية بين التركية ـ المغولية........................ ٢٢٣
الاتراك النساطرة والشعوب المنغولية........................ ٢٢٦
ـ القيراطيون........................ ٢٢٦
ـ الاويرات والمركيت والمنشوريون........................ ٢٢٨
ـ الاونغوت........................ ٢٣٠
ـ النايمان والاويغور والتانغوت........................ ٢٣٦
ـ كوجلوك النسطوري والقبائل التركية في قيرغستان الحالية........................ ٢٣٩
اسطورة برستر جون ومواجهة الرهبان الكاثوليك مع النساطرة
في منغوليا........................ ٢٤٢
امراء مغول نساطرة وشخصيات نسطورية مرموقة........................ ٢٤٧
الصليب ونبات اللوتس: مركب للرمزية المسيحية والبوذية
على الساحل الشرقي من الصين........................ ٢٥٣
ازدهار اخير في ظل حكم الايلخانات الايرانيين........................ ٢٥٦
الفرصة للتحالف بين الايلخانات المغول واوربا........................ ٢٦٠
الربان بر صوما والربان مرقس– الماركوبوليون النساطرة من آسيا. ٢٦٣
تخريب تيمورلنك وتقهقر المسيحيين الى جبال كردستان........................ ٢٦٧

الفصل العاشر: مسيحيو توما في جنوب الهند........................ ٢٦٩

الجماعة السريانية الشرقية على ساحل ملبار ٢٦٩
اعتناق النساطرة المذهب الكاثوليكي قسراً ٢٧١
ثورة مسيحيي توما عند معبر كونان ٢٧٤
اعادة بناء كنيسة المشرق في الهند ٢٧٨

الفصل الحادي عشر: فترة المحن والانقسامات ٢٨٤
اول كنيسة كاثوليكية – اتحاد مع روما ٢٨٤
بطاركة وبطاركة معارضون ٢٨٥
الموقف السياسي في الامبراطورية العثمانية والكنيسة الكلدانية
الكاثوليكية حتى القرن العشرين ٢٩١
الارساليات التبشيرية الكاثوليكية والارثوذكسية الروسية والبروتستانتية ٢٩٢
الابادة الجماعية لسنة ١٩١٥– ١٩١٨ .... ٣٠٢
امال مضللة ٣٠٥
لماذا انهارت كنيسة المشرق؟ ٣٠٩

الفصل الثاني عشر: عصر النهضة لكنيسة المشرق
الاشورية ٣١١
اعاة البناء في المهجر ٣١١
المسيحيون الأشوريون في القرن الحادي والعشرين: نظرة شاملة... ٣١٥
هوية كنيسة المشرق ٣٢٣
الحوار المسكوني ٣٢٤
مغزى كنيسة المشرق ولاهوتها ٣٢٨

الملاحظات ٣٣٠

فهرس المصادر ٣٦٦

الملحقات ٣٨٢
ـ الكنائس الشرقية الاكثر اهمية ٣٨٢
ـ الكنائس الشرقية في الهند ٣٨٣
ـ بطاركة كنيسة المشرق والكنيسة الكلدانية الكاثوليكية ٣٨٤
ـ سلالة حكم الساسانيين (٢٢٤– ٦٥١) ٣٨٥
ـ سلالة حكم العرب والمسلمين ٣٨٥
ـ عائلة طغرل ـ خان في كيرات ٣٨٥
ـ عائلة جنكيز خان ٣٨٦
ـ إيلخانات ايران ٣٨٦

شكر وتقدير، ملكية الصور وقائمة الخرائط ٣٨٧

Dr. Christoph Baumer January 8th, 2008

H. H. K. Mar Dinkha IV
Catholicos Patriarch
The Assyrian Church of the East

Praise to our Lord Jesus Christ!

Book: The Assyrian Church of the East - Arabic Translation

Dear Patriarch,
I'm referring to your kind letter dated December 10th, 2007 concerning a translation of my modest book into Arabic. Please accept my apologies for being late answering, but I just returned three days ago from a seven weeks long expedition into the Desert Taklamakan in north-western China.

It is with greatest pleasure that I personally grant Mr. Aziz Emmanuel Gewargis, The Assyrian Writers League, the permission to translate my book. I would be a great honour to see my book translated into Arabic and finding access to readers in the Middle East, the cradle of Christianity.

But for good order's sake, I will also ask my British publisher, I. B. Tauris in London, to confirm
this permission, since they hold worldwide rights excluding publications in German.

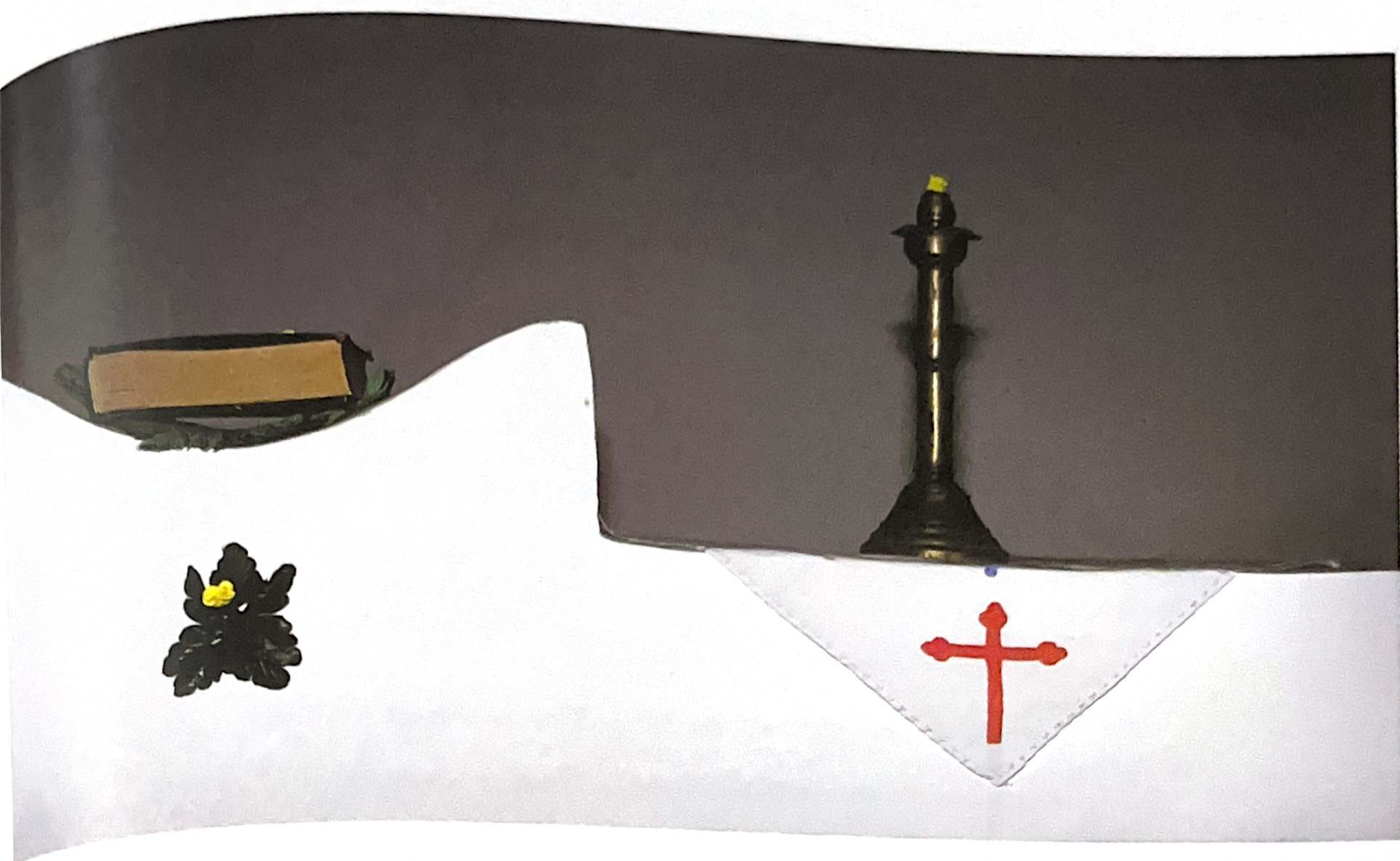
May I kindly ask you, in which format shall this Arabic translation be published? As the English book? Also with pictures? As hard- or soft cover? Who will handle the publishing? With whom can I clarify further details?

Please let me know, since I. B. Tauris will surely ask the same questions.
Please also accept my very best wishes for a Blessed new Year 2008.

In the Faith of our Lord, Jesus Christ, Amen.

Ch Baumer

Christoph Baumer



مذبح كنيسة مار زيا النسطورية
في گوك تبة، اورميا، ايران

تمهيد

الى الدكتور كرستوف بومر

استلمنا مؤلفكم الشامل، و هنا نعبر لكم عن تقديرنا العميق للوقت الذي امضيتموه، في محبة، لكنيسة المشرق المقدسة، للكتابة باسهاب حول هذه الكنيسة المقدسة الرسولية القديمة. ليبارككم ربنا المبجل ومخلصنا يسوع المسيح على الدوام.

وبصفتي جاثاليقاً وبطريركاً، اقدم لكم اعمق الشكر على الاهتمام الذي ابديتموه في تاليف هذا الكتاب الشامل عن محبتكم للكنيسة المقدسة التي كانت في ازمان مبكرة اكثر منتشرة في الجزء الشرقي كله من العالم، من سلوقيا ــ قطيسفون الى جزر اليابان وجافا واندونيسيا الحالية.

ارفع صلواتي وبركتي لكم ولكل الذين يسعون الى ان يستنيروا بتاريخ كنيسة الرب هذه الساميّة القديمة.

لله كل الحمد والمجد والرفعة. آمين

مار دنخا الرابع الجالس سعيدا
بطريرك وجاثاليق المشرق
٩ كانون الاول ٢٠٠٤

مقدمة الناشر

لم تمض على فتح المكتب الرئيسي لرابطة الكتاب والادباء الاشوريين في دهوك، إلا اقل من ثلاث سنوات. هذه المدة قصيرة في عمر الفكر والعمل الادبي واللغوي والبحوث الاثارية والتراث عموماً. إلا ان الرابطة التي لم تكل او تمل يوماً، استغلت وقتها وحسب الفرص وبالامكانات المتاحة، في التأليف والترجمة، وطبع ونشر سواء على شكل كتب شخصية من داخل الرابطة او خارجها، او على شكل مجلة فصلية تصدر بثلاث لغات، الاشورية والعربية والانكليزية واحياناً الكردية، حسب توفر البحوث والدراسات. كل ذلك من خلال مجلة الرابطة الرسمية، باسم معلتا (ܡܥܠܬܐ). بالاضافة الى العديد من الندوات والمحاضرات والمقابلات التلفزيونية والدورات اللغوية...الخ. وتحقيقاً لهذا النجاح الثابت للرابطة، ورغبة منها في خدمة اكبر شريحة من شرائح المجتمع والشباب خاصة، وتلبية لرغبة البطريرك مار دنخا الرابع، بطريرك الكنيسة المشرقية الاشورية. اخذت الرابطة هذه المهمة الصعبة على عاتقها ـ الا وهي ترجمة هذا الكتاب الى العربية ونشره ـ، خدمة منها للامة الاشورية وكنائسها الجليلة، وشعبها الامين المؤمن الوفي. الامين مع نفسه وتاريخه، المؤمن بالله ومسيحه المخلص، الوفي لتربه وطنه، ولكافة جيرانه اي كان قومهم ودينهم ومذهبهم.

فكانت الخطوة الاولى، الحصول على موافقة المؤلف البروفيسور كريستوف باومر، والقبول بكافة شروطه من حيث الترجمة والاخراج وطبع الصور على النسخة الاصلية بالاضافة الى موافقة دار النشر باللغة الالمانية، والحصول على (CD) الخاص بالصور منها ـ الكتاب جاء في الاصل باللغة الالمانيةـ. أما عنوانه باللغة الانكليزية فهو:

The Church of the East "An Illustrated History of Assyrian Christianity"

وجاءت المرحلة الثانية، وهي البحث عن مترجم قدير وذي خلفية مسيحية وكنسية جيدة، لكي يحافظ على روح الكتاب في ذلك المجال تحديداً. وقد قبل الاستاذ عزيز عمانوئيل مشكوراً بهذه المهمة رغم انشغاله وكثرة إلتزاماته.

باشر المترجم، وباشر الكادر الفني مجال التنضيد الالكتروني والمونتاج في مكتب الرابطة. وباشر التدقيق اللغوي والفكري ـ والذي تبناه السيد عوديشو ملكو آشيثا ـ فكان الجميع يعمل كيدٍ واحدة بصبر وتأنٍ وشعور مليء بالمسؤولية. وقد استغرقت العملية وقتاً ليس بالقليل، الا أن

عملاً كهذا، يستحق هذا الوقت والجهد والتكلفة، لانه ليس بعمل اعتيادي قياساً بالاعمال الاخرى التي انجزتها الرابطة.

والان وبعد كل ذلك: ها هو كتاب (كنيسة المشرق) بمثابة تاريخ مصور ومكتوب للمسيحية الاشورية، وكنيستها المشرقية الشريفة منذ نشأتها والى يومنا هذا وباللغة العربية، بين ايديكم يا محبي العلم والمعرفة، ومحبي الاشورية والاشوريين، لتطلعوا على تاريخهم الكنسي وطبيعة ايمانهم بالمسيح المخلص.

وإذ تقدم رابطة الكتاب والادباء الاشوريين هذ العمل بفخر لكل ذي شان، فهي لا تدّعي الكمال لا في الترجمة، ولا في التعليق والتحقيق والاخراج. لكن كل ذلك كان محاولة لاعطاء صورة واضحة تقريباً عن هذه الكنيسة وهذا الشعب (الاشوري) ذي الخصوصية الحضارية والفكرية والقومية، قبل الخصوصية الايمانية، هذا الشعب الذي عانى ما عاناه وقدم ما قدمه من التضحيات والدم والسهر والفكر! من اجل المسيحية وايصال الكلمة الحية الى شتى شعوب المعمورة، الاسيوية منها خصوصاً. هذا الشعب الذي مازال يحافظ على خصوصيته القومية والحضارية، وعلى اسلوب وطريقة ايمانه بالله الخالق العظيم.

وفق الله المؤلف والمترجم وكل من عمل في اخراج هذا الكتاب الى النور بالعربية، ووفق كل قارىء وباحث ينهل منه العلم، ويبحث فيه عن الحقيقة. آمين

عوديشو ملكو آشيثا

مقدمة المترجم

اضع بين يدي القراء الاعزاء هذه الترجمة المتواضعة لكتاب **كنيسة المشرق**، لمؤلفه البروفسور كرستوف بومر الذي يتناول في اثني عشر فصلاً مسيرة كنيسة المشرق منذ نشوئها حتى (ما يشبه زوالها في الوقت الحاضر مع بصيص امل بعيد لنهضتها حسب المؤلف).

فما ان ترسخ اقدامها وتثبت هويتها وتقيم اسس استقلالها في وطنها الام، بين النهرين. حتى تنطلق في رحلة ارغونية في عرض البحار والمحيطات وتجوب السهول والجبال والصحارى، وتطرق طريق الحرير لتمد جذورها في الاصقاع البعيدة من الشرق الادنى والاقصى لنشر رسالتها .

وهي في مسيرتها، تنعم حينا بنور شمس الايمان والدفء والطمانية وتتغذى من منهلها الفكري واللاهوتي فتنمو وتبث جذورها حيثما تحل، وحينا آخر تتلبد سماؤها بغيوم تمطر عليها الويلات والمصاعب أو تعصف بها اعاصير الازمات الداخلية والمحلية والاقليمية، وتشتد عليا رياح الاضطهاد المتصلة لتحصد الالاف المؤلفة من رؤوس ابنائها دون رحمة، فتعود القهقرى الى وطنها الاصلي محطمة وممزقة الاشرعة. لتلم اشلاء نفسها وتجمع البقية الباقية من ابنائها وتستقر في جبال بلاد الرافدين العاصية، تاركة وراءها حضارة وتراثا وفلسفة وعلما ومعرفة ما تزال مرجعا للباحثين والعلماء. وطقسا دينيا عميقا في لاهوته، شجيا في الحانه ومقاماته، ورائعا في شعره ومديحه، وبليغا في لغته السريانية العريقة. لكنها (كنيسة المشرق) مع ذلك بقيت ناسية منسية لا يكاد يذكرها التاريخ الغربي إلا قليلا، لتنتظر من يجلي عنها غبار السنين ويلقي الضوء على كنوزها الفكرية والفنية والعمرانية.

وإذا كان طلاب تاريخ الكنيسة مطلعين على انتشار المسيحية غربا من اورشليم وانتقال البشارة من فلسطين الى العالم اليوناني- الروماني ومن ثم الى اوربا، فإنهم قد لا يعرفون الكثير عن كيفية انتقال رسالة المسيح الى الشرق ايضاً في وقت مبكر جدا، بل كانت هناك كنيسة مزدهرة جداً في آسيا حتى القرون الوسطى، قبل وصول المبشرين الكاثوليك والبروتستانت من الغرب.

يبدأ الكاتب بتعريف الكنيسة النسطورية، ليلقي نظرة الى تاريخها من الجوانب الروحية والفكرية واللاهوتية. ثم يستعرض بدايات المسيحية السريانية الشرقية، متناولاً الموقف السياسي والديني على جانبي الفرات، ملقيا الضوء على الامبراطورية الفرثية الى الشرق منه وامبراطورية روما الى الغرب. ومن ثم عبور المسيحية لنهر الفرات وجهود كل من مار توما ومار ادي في نشر البشارة، اضافة الى المراسلات بين **الملك ابجر اوكاما** ملك الرها مع السيد المسيح.

كما يتناول وضع الكنيسة من التشعب الى الوحدة مسلطا الضوء على اباء الكنيسة الاوائل والحركات الهرطوقية التي سادت آنذاك، وعلى مفهوم الثالوث، ومسألة طبيعة السيد المسيح. ثم يواكب تطور المسيحية سياسيا لاسيما بعد ان اصبحت المسيحية الديانة الرسمية للامبراطورية الرومانية، لينتقل الى اسس لاهوت الكنيسة ورواده **ديودورس الطرسوسي وثيودورس المصيصي** وآرائهم في لاهوت وناسوت السيد المسيح، ومن ثم نسطورس ومجمع افسس والخلافات اللاهوتية.

ويعالج الكتاب المجمع الخلقيدوني (٤٥١) الذي حضره بين ٥٠٠ الى ٦٠٠ اسقف كلهم شرقيون تقريبا للبت في الوضع الناتج عن مجمع افسس الثاني، اضافة الى النقاشات البيزنطية الداخيلة وتاثيراتها على كنيسة المشرق، مشيرا الى بطريركية سلوقيا – قطيسفون. كما يلقي الضوء على **الزرادشتية** في الامبراطورية الساسانية ومناهضتها لكنيسة المشرق وما يعقب ذلك من الاضطهادات القاسية ضدها. اضافة الى جهود الكنيسة نحو تنظيم ذاتها واقامة اول سلطة كنسية، ومن ثم استقلال كنيسة المشرق وشهادة ايمان المسيحانية **الدايوفيزيتية** والنزاع مع اليعاقبة **المايافيزيتيين** والازمات التي مرت بها الكنيسة وكيفية ظهور الكنيسة السريانية الارثوذكسية.

ثم يتطرق الى جوانب اللاهوت السرياني الشرقي وروحيته متناولاً النزاع مع الزرادشتية **والمانوية والتوحدية** السريانية الشرقيةس والاسرار المقدسة في كنيسة المشرق والعمارة الكنيسة، والاسرار الليترجية في الفضاء والزمن. اضافة الى التريويضية والتصوف السرياني الشرقي في شخص يوحنا داليثا.

ويلقي الكتاب الضوء على جهود كنيسة المشرق في تطوير حركة رهبانية جاء بها المتوحدون من مصر حيث بدأ المذهب التوحدي المسيحي. واول دليل على هذه التوحدية السريانية هي (ابناء العهد) **بنيْ قيما بنةْ قيما** و(بنات العهد)، وهي حركة ترويضية بدأت في القرن الثالث لتصبح ذات هيمنة خلال القرن الرابع.

وفي القرن التالي هُجِرت التعليمات الصارمة لابناء وبنات العهد، لكن الجماعات التوحدية استمرت بالانتشار عبر فارس ملتزمة بالتقيد بالبتولية والفقر والعمل اليدوي والصلاة والصوم والصمت ودراسة الكتاب المقدس.

ويشير مؤلف الكتاب الى ان التوحدية والترويضية كانتا جزءا مهما من روحية كنيسة المشرق عبر وجودها الطويل في الوطن وخارجه، هي حقيقة يرى فيها البعض سببا في موتها النهائي. ولا ريب ان التوجه نحو الانزواء والتراجع عن العالم كان امرا مغريا في ظل مناخ سياسي حيث كان الاضطهاد الجسدي شائعا. وفي الوقت ذاته لعب المتوحدون المتجولون دورا كبيرا في العمل الثقافي والتبشيري النسطوري، على العكس من التوحدية المصرية التي كانت تميل الى قيم الانفصال عن العالم. ويبرز الكاتب اهم عامل في التاثير التوحدي على الحملات التبشيرية ألا وهو: القيمة العليا التي اولاها التوحديون للعلم ونظام المدارس التي انشاؤها، مثل المدرسة اللاهوتية في نصيبين في ٣٢٥ عندما كانت المدينة ماتزال جزءاً من الامبراطورية الرومانية .

ويتطرق الكاتب الى نشوء المسيحية في جنوب الجزيرة العربية حيث اصبحت الديانة الرسمية هناك. لينتقل بعدها الى وضع المسيحية في ظل الحكم الاسلامي، واوضاع المسيحيين بين التسامح والقمع كمواطنين من الدرجة الثانية، وصولا الى العصر الذهبي لكنيسة المشرق تحت قيادة البطريرك **طيموثاوس الاول** (٧٨٠-٨٢٣) الذي اولى اهتماما بالغا للعلم والمعرفة وهو الذي قال مرة،" تذكروا بان المدرسة ام ومربية لاولاد الكنيسة". ثم يستعرض بعد ذلك وضع الكنيسة في دوامة السياسة، وجهودها في الحفاظ على إرثها القديم، والعلاقة بينها وبين الاسلام، وموقفها من الايقونات.

كما يلقي الكتاب الضوء على الجهود التبشرية الى الشرق حيث يسلك النساطرة طريق الحرير الى اواسط أسيا ليصلوا الى **سوغيديا** وارض الانهار السبعة والتبت وشرقي تركستان وقيام **الاسقف الوبين** بحمل **الديانة المشرقة** الى الصين والحوار مع **البوذية** و**الطاوية**، وبين الارثونكسية و**السينكراتية** بحيث بات الجاثاليق النسطوري يشرف على منطقة جغرافية كبيرة، وربما اناس ، اكثر مما فعله اي بابا في عصر الاستكشاف، حيث كان يمثل الكنيسة النسطورية ١٨ مطرافوليطا ودزينة من الاساقفة في اغلب آسيا.

ويلقي الكاتب الضوء على الكثير من الاشياء واللقى والشواهد التي تم العثور عليها وقطع نقدية عليها صلبان من المنطقة المحيطة ببخارى (اوزبكستان الحالية) التي كان فيها اسقف او ربما مطرافوليط في زمن ايشوعياب الثاني (٦٢٨-٦٤٣). وقد كتب الجاثاليق طيموثاوس الاول في سنة ٧٨١ عن تكريس اساقفة للترك في التبت:" لقد ترك ملك التورك مع جميع (سكان) بلاده تقريبا ، وثنيته القديمة واصبح مسيحيا، وطلب منا في رسالته لاقامة مطرافوليطية لبلاده، وهذا ما فعلناه." كما تم ترقية بخارى الى مرتبة مدينة الكرسي المطرافوليطي بحلول القرن الثامن. وبحسب تعبير **ستوارت** فإن المبشرين الذين انطلقوا هكذا : بشرو وعمدوا الكثيرين، واجترعوا المعجزات، واظهروا العلامات... وبنوا الكنائس وعينوا الكهنة والشمامسة لرعايتها ." وبنهاية الالف الاول، كانت هناك عشرون مطرافوليطية نسطورية وحوالي ٢٥٠ اسقفا، وربما ١٢ مليون مسيحي نسطوري ، اي حوالي ربع سكان العالم من المسيحيين في ذلك الوقت.

ويتطرق الكتاب ايضا الى الفترة المغولية حيث يتناول **الشامانية** والسينكراتية الدينية بين الشعوب التركية المغولية والشعوب النسطورية من الترك والمغول مثل **الكيراتيين** و**المركتيين** و**المنشوريين** و**الانغوت** و**النايمان** و**الايغور** و**التانغوت** و**الكوجلوك** النساطرة والقبائل التركية لقيرغيزستان الحالية، واسطورة **برستر جون** والصدام بين المتوحدين الكاثوليك والنساطرة في منغوليا. اضافة الى ذلك يلقي المؤلف الضوء على الاميرات المغوليات النسطوريات، والشخصيات النسطورية المرموقة . ثم يستعرض رموز الصليب ونبات اللوتس كرمز بوذي مسيحي على الشاطيء الشرقي للصين ومن ثم ازدهار اخير تحت حكم الالخانات المغولية في ايران وفرصة التحالف بين الالخانات المغول واوربا، والخراب الذي احدثه تيمورلنك والتقهقر الى جبال كوردستان.

ثم يتناول المؤلف موضوع مسيحيي مار توما في جنوب الهند وكيفية فرض الكثلكة على النساطرة هناك وثورة مسيحو توما ضد ذلك واعادة بناء كنيسة المشرق في الهند.

كما يتطرق الكتاب الى فترة الشدائد والانقسامات ملقيا الضوء على ظهور وتسمية اول كنيسة كلدانية واتحادها بروما والموقف السياسي في الامبراطورية العثمانية حتى القرن التاسع عشر. ومن ثم دور المبشرين الارثوذوكس الروس، والبروتستانت. واسباب انهيار كنيسة المشرق، لينتهي بالتطرق الى نهضة كنيسة المشرق الاشورية واعادة بنائها في المهجر، ومن ثم نبذة عن المسيحيين الاشوريين في القرن الحادي والعشرين، وهوية كنيسة المشرق ولاهوتها والحوار المسكوني.

ورغم ان كنيسة المشرق لم يعد لها المنطقة او النفوذ الذي كانت تتمتع به في السابق، إلا نها تستحق حقا مكانة مهمة في تاريخ المسيحية. ويمكن للمسيحين اليوم ان يتعلموا الكثير من خلال دراسة منجزاتها واخفاقاتها. ومثلما يقول **ساموبل زويمر**، المبشر المشهور الى الشرق الاوسط: "إن قوة كنيسة المشرق كانت في محبتها وولائها للمسيح، وتاكيدها على رسالته العظيمة وبطولة مغامراتها في مناطق ابعد من الشرق الادنى. وكان ضعفها في فترة متأخرة من التاريخ بسبب المساومة بوجه الاضطهاد. انها قصة مذهلة ومأساة تحمل درسا للكنائس الوطنية التي تنشأ اليوم في الشرق الاقصى وجنوب اسيا. وبعد ان اضعفها الاضطهاد والمساومات، وامحيت من الوجود اخيراً بسبب الوحشية القاسية، توقفت هذه الكنيسة التي كانت يوما تتاجج فيها نار التبشير عن كونها قوة مغامرة، دون ان تترك وراءها غير ذكرى لا تمحو عن عظمتها السابقة".

والكتاب مثقل بالمصطلحات الفلسفية واللاهوتية، اضافة الى اسماء الاماكن والشخصيات والبلدان... الخ. وقد آثرت الابقاء على اللفظ الاجنبي وما يقابله من مصطلح بالاحرف المظللة قد اتفق عليه العلماء والباحثون، او ترجمته وذلك تجنبا للالتباس وتسهيلا لمهمة الباحث.

وقد زين الكتاب بالعديد من الصور التوضيحية وصور المخطوطات والخرائط الجغرافية. وهو مذيل بملحق يضم ملاحظات وتعليقات المؤلف وما يرد من توضيحات وتعليقات في المراجع التي اعتمدها المؤلف بلغات مختلفة، حيث قمت بترجمة المهم منها الى العربية. ويعد الكتاب مرجعاً مهماً في تاريخ كنيسة المشرق للباحثين والعلماء والمعنيين بشأنها وهو ذو فائدة كبيرة لكل قاريء مهتم بتاريخ هذه الكنيسة شعباً ومؤمنين.

وحسبي انني قد سعيت الى تقديم ترجمة اقرب ما تكون الى ما قصد اليه مؤلف الكتاب، ولكن هيهات لي ان ابلغ بلغته أو اصل الى غايته.

وما اجمل ان يستشهد المرء بقول العماد الاصفهاني : " اني رايت انه لا يكتب احد كتابا في يومه إلا قال في غده: لو غير هذا لكان احسن، ولو زيد هذا لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان افضل، ولو ترك هذا لكان اجمل. وهذا من اعظم العبر وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر".

عزيز عمانوئيل الزيباري
عينكاوا، آب ٢٠٠٩

١ـ المقدمة

" وصار كلمة الله جسداً، لكي به تتحول البشرية الى الالوهية وتتجدد طبيعة البشر"[١]

نسطور، بطريرك القسطنطينية (٣٨٢-٤٥١)

"هذا ما يحدث في تحول الروح: يصير الجسد خفيا على نحو صوفي ويحل محل النفس الذي يحل محل العقل الذي يحل محل الروح الذي يسمو الى الله، لكن الروح بعد ذلك يصبح الله بحق، اما الجسد والنفس والعقل فانها تقوم على خدمته"[٢].

ربان يوسف بوسنايا، متصوف نسطوري (٨٦٩-٩٧٩)

"ما هي كنيسة المشرق "النسطورية" التي لم ينتم اليها مسميّها نسطور ابداً، والتي انتجت تصوفا رائعا ذا قوة شعرية عظيمة والتي انتشرت قبل ما يقرب من الف سنة، في جزء كبير من المعمورة مما لم تفعله الكنيسة الرومانية؟"[٣].

نظرة اولى الى تاريخ كنيسة المشرق الاشورية

اليوم يبلغ تعداد الكنيسة، احدى اقدم الجماعات المسيحية في العالم، حوالي (٤٠٠٠٠٠) مؤمن يكافحون من اجل البقاء في العراق وايران وشمال شرق سوريا وغرب اوروبا والولايات المتحدة الامريكية. وكونها منسية تقريبا في الغرب يمكن ان يعزى ليس فقط الى صغر حجمها بل ايضا الى ان التدوين التاريخي ركز على اوربا. بل حتى ان اول مؤرخ مسيحي، وهو اوسابيوس القيصري (٢٥٦-٣٣٩) لا يكاد يكرس ولو كلمة واحدة للمسيحية الاسيوية في وادي الرافدين التي كانت بدأت بالنمو بسرعة في القرن الثاني.

وتكمن الاسباب وراء قلة الانتباه الى كنيسة المشرق الى الموقع الجغرافي لذلك الوقت. فقد كان نهر الفرات في تلك الايام، بمنبعه في شمال شرق تركيا الحالية ومصبه في البصرة في الخليج الفارسي، يفصل الامبراطورية الرومانية عن الامبراطورية الايرانية. وبالاضافة الى التقدم الروماني نحو الشرق والتقدم الايراني شطر الغرب،



حصن زنوبيا الذي يطلق عليه اليوم حلبية على الضفة العربية لنهر الفرات، التي كانت تشكل الحدود بين روما وايران. وقد قامت بتشييده ملكة تدمر زنوبيا (حكمت بين ٢٦٦-٢٧٢) وجرى تحويله الى حصن حدودي من قبل الامبراطورية الرومانية في سنة ٢٧٣. وقد جرى تعمير القلعة التي قام بتحصينها الامبراطور جوستينيان الاول (حكم بين ٥٢٧-٥٦٥) على يد خسرو الثاني الساساني (٥٩٠-٦٢٨) في سنة ٦١٠. ومع بدء الفتح العربي لبلاد بيث نهرين، التي بدات في ٦٣٧ فقد النهر والحصن كل اهميتهما الستراتيجية.

بقي الفرات حداً وطنياً ثابتاً لم تخرق منعته السياسية الا القوافل التجارية. وكانت هذه تسافر عبر طريق الحرير (Silk Road) القديم، الذي كان يربط الصين بروما والذي كانت السيطرة عليه تجلب ثروة كبيرة لايران. وكان طريق الحرير هذا يخترق الفرات في موضعين مهمين لكنيسة المشرق: الى الغرب من سلوقيا- قطيسفون (Seleucia-Cteisphon)، والعاصمة الايرانية وكرسي البطريرك ـ الجاثاليق، والى الغرب من الرها (Edessa) حيث تراسل ملكها ابجر اوكاما (Abgar Ukama) الخامس، (حكم بين ٩-٤٦)، حسب ما تذهب اليه الاسطورة، مع يسوع. وحيث كانت تقوم اول كنيسة موثقة تاريخياً[٤]. وقد قاومت الحدود عند الفرات لاكثر من ستة قرون، ولم تضعف الا في سنة ٦٣٦ مع انتصارات قائد الجيش العربي خالد بن الوليد على البيزنطيين.

وقد كان لمتانة حدود الفرات نتائج بعيدة المدى على تطور كنيسة المشرق. فعلى صعيد التنظيم، اجبرت كنيسة المشرق في عام ٤٢٤، وبسبب العداوة السياسية بين روما وايران، على اعلان استقلالها القانوني عن الكنيسة الغربية. وفيما يخص اللاهوت، فان اقالة نسطور في **مجمع افسس** (Council of Ephesus) في سنة ٤٣١، والصفة المسيحانية للامبراطور زينو (Zeno) منذ ٤٨٢، المسماة الموحِّد (Henoticon) وادانة مايسمى بالفصول الثلاثة (Three Chapters) في سنة ٥٥٣،

كلها ادت الى العزلة الهرطقية*. وقد قامت من جانبها بصياغة قانون الايمان الخاص بها في سنة ٤٨٦[٥]، مؤكدة على عدم المساس بالوهية يسوع وكذلك بطبيعته البشرية. وقد أكدت على قانون الايمان لسينودس الاساقفة لسنة ٦١٢[٦]. ولم تقم كنيسة الروم الكاثوليك وكنيسة المشرق برفع التحريم (anathema) (اللعنات) الذي كانتا قداعلنتاه احداهما ضد الاخرى إلا في سنة ١٩٩٨.

وبقدر تعلق الامر بالحوار مع الكنائس المايافيزيتية (Miaphysite) فقد انهار ومنذ سنة ١٩٩٨، بسبب شرط مسبق للكنيسة القبطية في مصر، يطالب، كتنازل اولي، بقيام كنيسة المشرق بتحريم نسطور، وهو امر تراه كنيسة المشرق غير مقبول.

إن الصراع في تلك الفترة حول قانون الايمان "الحقيقي" وطبيعة/طبائع المسيح، قد اطلق زمام قوة طرد مركزية بحيث انشطرت الوحدة المسيحية التي تحققت في المجمع المسكوني الاول في **نيقيا** في سنة ٣٢٥، وتعززت في المجمع المسكوني الثاني في القسطنطينية في ٣٨١، الى ثلاثة كنائس تتمتع بحكم ذاتي ولها قوانين الإيمان الخاصة بها وسلطتها الكنسية: الأولى الكنيسة الرومانية الأمبراطورية، والثانية مجموعة الكنائس **المايافيزيتية** التي إنتمى اليها الأقباط المصريون (اتحدت في حينها مع النوبيين) والاثيوبيون والسريان االأرثوذكس (ويسمون أيضاً اليعاقية) والأرمن، والثالثة كنيسة المشرق.

واسم "كنيسة المشرق" الذي وجد في المصادر المبكرة، يميزها عن بقية الكنائس. وكانت تقع الى شرق الامبراطورية الرومانية ببطريكياتها الخمسة، روما والقسطنطينية والاسكندرية وانطاكيا واورشليم.

ولم يكن الهيكل التركيبي لكنيسة روما الامبراطورية الذي وضع في نيقيا، مستقراً في الحقيقة، طالما انه لم تكن هناك مسيحية موحدة ابدا. فقد برزت مسبقاً خلافات حول محتوى الايمان والممارسات الطقسية والمشاركة في المجمع الرسولي (Apostolic Council)، (**مجمع اورشليم**) في سنة ٤٨، ذلك المجمع الذي دعم فيه بولس، حرية **المسيحيين الامميين** (Gentile Christians) في مواجهة المسيحيين اليهود، بعدم التقيد بالأحكام الموسوية حول الختان. بعد ان كان اتباع يعقوب، اخو الرب، قد توقفوا عن مشاركة مائدة مشتركة مع المسيحيين الاممين غير المختونين[٧].

ان تاريخ المسيحية منذ طفولتها، عبارة عن تاريخ من الجدل والانقسام. ولما كان الدين متغلغلاً في كل مناحي الحياة، فان تاريخه انما هو تاريخ السياسة والادب والعلم والفن والعلاقات الاجتماعية.

وقد اصبح الفرات، كنتيجة اضافية لدوره كحد سياسي وكنسي، حداً لغوياً أيضاً. فعقب الانشقاق الكنسي بين الغرب والسريان الشرقيين في القرن الخامس، برزت عن السريانية اللهجتان السريانية الغربية والسريانية الشرقية، عندما نشأت الكتابة المسماة بالسرْطا (Serto) في الغرب والكتابة النسطورية في الشرق، عن الخط الاسطرنكيلي المشترك. وهكذا نشأ عبر الفرات حد رباعي: سياسي وعقائدي وكنسي ولغوي.

ولما حرمت كنيسة المشرق من الوصول الى الغرب، فقد اتجهت صوب الشرق. وفي

* حسب رأي الطرف الخصم [المترجم]

الوقت الذي بادر فيه المطران داود في البصرة بإقامة علاقات مع مسيحيي توما الهنود في كيرالا (Kerala) في حوالي سنة ٢٩٥/٣٠٠[٨]، تقدم المبشرون **التوحديون** النساطرة نحو شبه الجزيرة العربية، وكذلك نحو شعوب ربوع اسيا الوسطى. ولكن بعد ان خسرت الكنيسة ابرشيتها في الجزيرة للاسلام، وانتكاساتها الاولى في الصين، قامت مجددا بجهود نحو الشرق ومنذ القرن الحادي عشر، ووصلت الى الشعوب المغولية والمملكة الوسطى.

وقد امتدت سلطة بطريرك كنيسة المشرق في ذلك الوقت من الفرات الى البحر الاصفر. اضافة الى ذلك، وبسبب الغزو العربي لجنوبي وشرقي منطقة البحر المتوسط في القرن السابع، تمكنت كنيسة المشرق من عبور الفرات غربا الى داخل المنطقة البيزنطية السابقة[٩]. وفي بداية القرن الرابع عشر، اضافة الى المطرافوليطية البطريركية، كان رؤساء الاساقفة الـ (٢٧) التالين، مع كون كل كرسي مطرافوليطي مقسما ثانية الى ما بين ست واثنتي عشر ابرشية، كانوا يخضعون لنطاق سلطة بطريرك ساليق ــ قطيسفون*. والابرشيات بحسب ترتيبها الهرمي هي: ١ - جنديسابور (ايران)، ٢ - نصيبين (جنوب شرقي تركيا)، ٣ - فرات ميشان (قرب البصرة)، ٤ - الموصل، ٥ - اربيلا، ٦ - كركوك في بيث كرماي (العراق كله)، ٧ - حلوان (وبضمنها همدان، ايران)، ٨ - اورشليم، ٩ - الرها (اورفا الحالية في جنوب تركيا)، ١٠ - رو اردشير في فارس (ايران)، ١١ - مرو في خرسان (تركمنستان)، ١٢ - هرات (افغانستان)، ١٣ - قطر، ١٤ - الصين (شيان Xian الحالية في اواسط الصين [؟])، ١٥ - الهند، ١٦ - بردا (Barda) في ارمينيا، ١٧ - دمشق، ١٨ - ري (Ray) قرب طهران، قرب طهران، ١٩ - طابارستان (Tabaristan) شمالي ايران، ٢٠ - ديلم (Dailam) على بحر قزوين، ٢١ - سمرقند، ٢٢ - تركستان (اتراك ترانسوشانيا Transoxania الرحل)، ٢٣ - خاليخ Halih (على بحر قزوين، او سليلو الاتراك المغوليين من الهون البيض White Huns ترانسوشانيا)، ٢٤ - سجستان (سيستان في جنوب غرب افغانستان)، ٢٥ - خان بالك Khan Baliq و الفالق Alfaliq (بيجين Beijing والمالك Almalek الحاليتين في شمال غرب شينجيان Xinjiang بالصين)، ٢٦ - تانغوت Tangut (اقاليم غانسو Gansu ونغسيا Ningxia ومنطقة اوردوس Ordos في الصين)، ٢٧ - كاشغار Kashgar و ناواكات Nawakat (في غربي شينجيان وفي قيرغستان)[١٠]. وكانت هناك اضافة الى ذلك مطرفوليطيات اتروباتين Atropatene (اذربيجان الايرانية)[١١] الرسمية منذ وقت طويل. وربما، وعند نهاية القرن الثامن، كرسي مطرافوليطي في التبت[١٢].

وحتى إن لم تكن كراسي هذه المطرافوليطيات مشغولة دائما، فان القائمة توضح التوسع الجغرافي الكبير لكنيسة المشرق، والذي تجاوز الى حد كبير اتساع الكنيسة الكاثوليكية. وكانت كراسي المطرافوليطيات السبع والعشرين تشرف على مئتي ابرشية احتوت على ما يقرب من سبع الى ثمانية ملايين مؤمن. وهكذا فانه في حوالي القرن العاشر الى القرن الرابع عشر كان من بين حوالي (١٢) بالمائة و(١٦) بالمائة من المسحيين الذين قدر عددهم بخمسين الى ستين مليون مسيحي، من النساطرة[١٣]. وحتى بداية القرن الرابع عشر كانت كنيسة المشرق اكثر الكنائس الارسالية نجاحا في العالم. ولم يتم التفوق عليها عددا الا في القرن السادس عشر عن طريق اعتناق الكثلكة، الذي غالبا ما كان قسريا سببته القوى الاستعمارية الكاثوليكية.

* المدائن [المترجم]



فسيفساء لقافلة جمال في البصرة، بوصترا (Bostra) القديمة، حوالي القرن الخامس/ السادس للميلاد. وكانت هذه المدينة التجارية، والتي كانت مهمة حتى الفتح العربي في ٦٣٤، مرتبطة بطريق الحرير والمسالك المؤدية الى الجزيرة العربية. وكان هناك حيث قيل انه تم الاعتراف بمحمد الشاب كنبي في المستقبل من قبل الراهب النسطوري بحيرا.[١]

ويزداد هذا الانجاز روعة حين نتذكر بأن كنيسة المشرق، على النقيض من كل الديانات الاخرى، لم تكن كنيسة رسمية. وغالباً ما كانت تضطهد من قبل سلطات الدولة، او، في الاقل يمارس التمييز ضدها لصالح الديانة الرسمية، لتمارس معها أحيانا سياسة التسامح الديني عن تكرم دون أن يعزز هذا التسامح إلا نادرا. وقد امكن تحقيق هذا الانجاز فقط بفضل نار داخلية وقوى تبشيرية باطنية، تدعمها إدارة كنسية منظمة تنظيما رائعا وذا كفاءة الى حد ان النزاعات الداخلية لم تقف عائقاً امامها.

وقد استعدت الكنيسة، ولمرتين، كليهما قبيل تغيير سلالي، لان تتخذ الخطوة الحاسمة لتصبح كنيسة رسمية في بلاد ما بين النهرين: المرة الاولى، بعد سنة ٦٢٨، عندما اشتركت اسر نسطورية متنفذة في الثورة ضد شاه **خسرو الثاني** (Shah Chosrou II)[١٤]. وكان نصف سكان بين النهرين في ذلك الوقت مسيحيين في اكبر الظن. ومع ذلك سادت الفوضى بدلاً من تجديد القيادة المسيحية. فقد امر اولا ابن خسرو الثائر وخليفته، **شيرو** (Shiroi)، وهو مسيحي،

سرا[١٥] بصلب القائد النسطوري **شمعتا** Shamta امام باب كنيسة **بيث ناركوس** (Bet Narkos) في سلوقيا- قطيسفون[١٦]. ومن ثم، وبعد ان امر بقتل اشقائه، مات دون ان يخلفه احد بعد حكم دام

تسعة اشهر فقط. فخلفه على العرش، في جو من الفوضى، تسعة ملوك وملكتان في بحر اربع سنوات فقط. وهكذا لم تكن الامة المستضعفة قادرة على القيام بما يكفي من الدفاع ضد العرب الذين بدأوا بالهجوم في سنة ٦٣٣. وهكذا قايض المسيحيون النساطرة السيادة الزرادشتية بالديانة الاسلامية وفقدت المسيحية، مع فقدان فلسطين وسوريا، مكان ولادتها، تماما مثلما كان سيحدث للبوذية في شمال الهند.

وبعد ستة قرون، ظهرت مرة أخرى توقعات في ايران من أن سلالة حاكمة قد تنظم الى كنيسة المشرق. وقد عقدت الامال، في هذه الحالة، على خمسة إيلخانات، كما كان يعرف حكام ايران المغوليون منذ غزوهم في سنة ١٢٥٨. يمكن تبرير تلك التوقعات لكنها، على أية حال، ولاسباب مختلفة، تبددت جميعا. ومع ذلك فقد عملت والدتا اثنين من الإيلخانات على تعميدهما باسم نيقولا على يد البطريرك النسطوري، لكنه عندما جاء كل من احمد (حكم بين ١٢٨٢-١٢٨٤) واولجايتو (Oljaito)، حكم بين (١٣٠٤-١٣١٦) الى الحكم اعتنقا الاسلام لاسباب سياسية وقاما باضطهاد المسيحيين[١٧].

وكان إيلخانان آخران هما **غيخاتو** (Geikhatu)، حكم بين (١٢٩١- ١٢٩٥) **وبايدو** (Baido) حكم في سنة ١٢٩٥- والذي كان، حسب ما ذهب اليه **إبن العبري**[١٨]، مسيحيا في السر- حاكمين ضعيفين اطيح بهما[١٩]. وأخيرا عرض الإيلخان **غازان** (Ghazan) حكم بين (١٢٩٥- ١٣٠٤) الذي تحول من البوذية الى الاسلام، على حكام اوربا الغربية **البابا بونيفس الثامن** (Boniface) والملك ادوارد الاول ملك انكلترا وجيمس الثاني من أراغون اعتناقه للمسيحية إذا وافقا على تشكيل حلف عسكري ضد مصر عدوته اللدودة[٢٠].

لكن عصر الحروب الصليبية كان قد مضى، وكانت عكا، آخر معقل مسيحي في فلسطين، قد سقطت في سنة ١٢٩١. وفي عام ١٢٨٧، كان الملك فيليب الوسيم Philip the Fair * ملك فرنسا والملك ادوارد الاول ملك انكلترا قد تجاهلا **ربان بر صوما** (+١٢٩٤) القاصد الخاص للإيلخان ارغون (Il-Khan Arghun)[٢١]. ورغم أن الأرسالية لم تسفر عن نتائج، إلا أنها تشهد على السمة العالمية لكنيسة المشرق في ذلك الزمان بحيث جاء **الاوغور** (Uigur) **ربان بر صوما**، الذي عاش في صومعة توحدية جنوب بيجينغ الحالية، الى بغداد ثم سافر فيما بعد الى ايطاليا وفرنسا، ليصبح أشبه بماركو بولو الآسيوي على نحو معكوس.

وعلى ضوء قلة الاهتمام الاوربي في تشكيل حلف مناهض للاسلام، ظل غازان مسلما. وهكذا ضاعت والى الابد الفرصة الممكنة أمام إعادة المسيحية الى المنطقة التي تمثل اليوم ايران والعراق. وبدلا من إعادة إحياء المسيحية في بلاد ما بين النهرين وايران، فإن دمار **تيمورلنك** المسلم المتعصب (حكم بين ١٣٧٠-١٤٠٥) وسع بشكل عظيم الدمار الذي سبباه غازان وأولجايتو. وبعد خسارتهم لكنائسهم

* فيليب الرابع [المترجم]

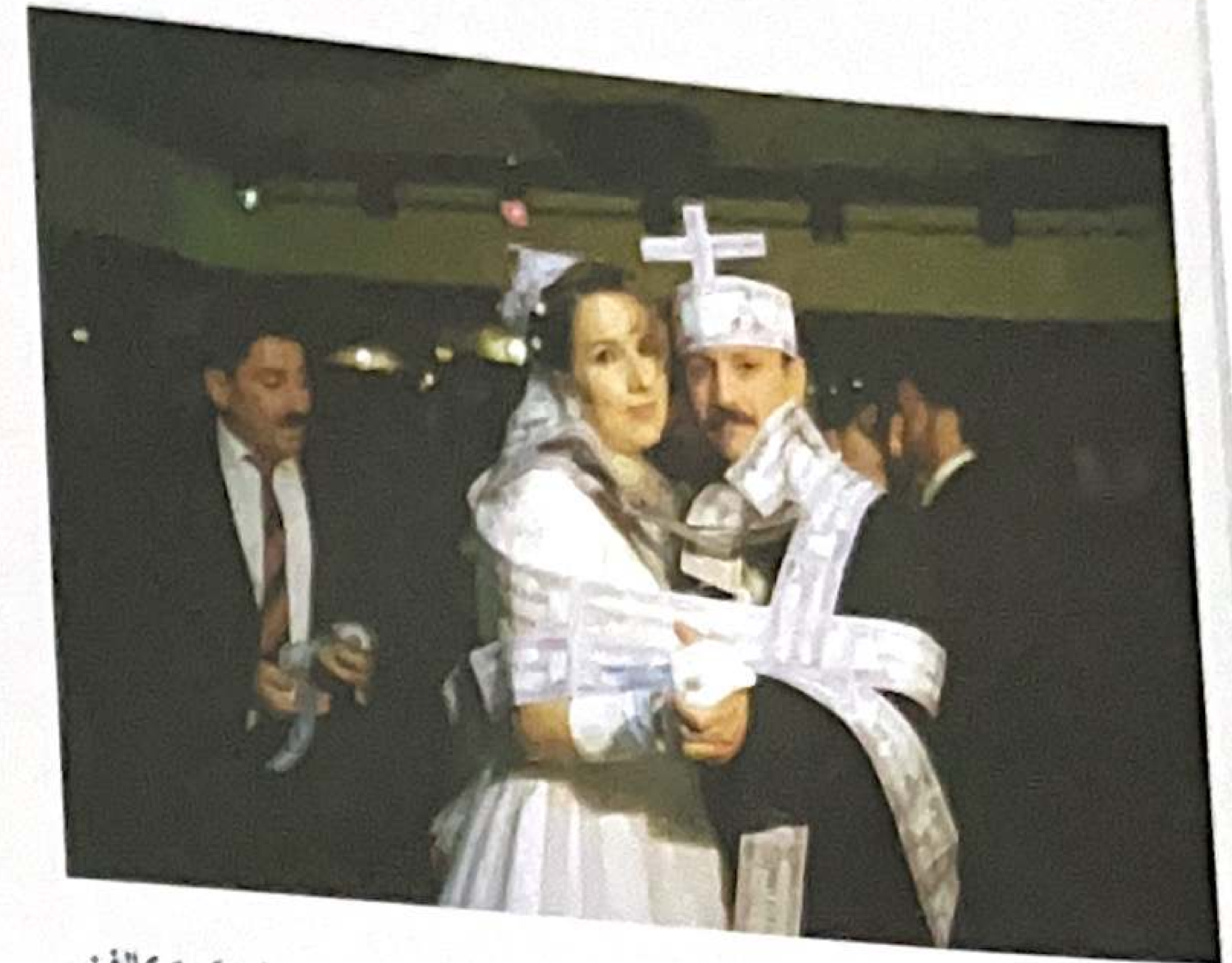
واديرتهم، سعى النساطرة الباقون الى اللجوء الى الجبال النائية في كردستان (في شمال العراق) وهكاري (جنوب شرق تركيا). إذ لا يمكن للروح المضطهدة أن تستمر بالعيش بحرية إلا في ظلال الجبال الوعرة. وهكذا تم تحويل ما كان يوما ما "البحر المسيحي" لبلاد ما بين النهرين وايران، الى جزيرة صغيرة يصعب الوصول إليها، يحيط بها محيط الاسلام.

جوانب روحية

لقد كانت كنيسة المشرق عظيمة ليس خارجيا بل داخليا أيضا، لا سيما في أبعادها الروحية واللاهوتية والفكرية. وفي الوقت الذي انتجت فيه روحية كنيسة المشرق أساتذة لامعين في التصوف المسيحي مثل **أفرام السرياني** (٣٠٦-٣٧٣)، **وإسحاق النينوي** (+ أواخر القرن السابع)، **ويوحنا دالياثا** (+ قبل ٧٨٦)، **ويوسف بوسنايا** (٨٦٩-٩٧٩) الذي اثر في التصوف الاسلامي **لابن الحلاج** (٨٥٨-٩٢٢). فإن المترجمين والعلماء النساطرة شيدوا جسرا يربط بين معرفة العالم القديم الكلاسيكية والعصور الوسطى الاوربية.

وإبان عصر المترجمين (القرن السادس الى القرن التاسع)، قام الاطباء والعلماء النساطرة واليعاقبة بترجمة المعرفة الاغريقية الكلاسيكية في الفلسفة والرياضيات والهندسة والطب والفلك من الاغريقية الى السريانية ثم الى العربية. ويمكن الوقوف على عظمة شهرتهم، في حقيقة، أن الخليفة المامون (حكم بين ٨١٣-٨٣٣) عين الفيلسوف والطبيب النسطوري **يوحنا بن ماسويه** (+٨٥٧) رئيسا لمكتبة الدولة وجامعتها التي كانت شيدت في سنة (٨٣٢) والتي سميت "بيت الحكمة"[٢٢]، ودفع ذهبا لترجمات اشهر عالم نسطوري هو **حنين بن أسحاق** (٨٠٨-٨٧٣)[٢٣].

وبفضل مشاريع الترجمة هذه، استطاعت الثقافة العربية والايرانية أن تحافظ على المعرفة الاغريقية لكي تمنحها من خلال جامعة **طليطلة** (Toledo)، الى اوربا التي كانت قد فقدتها في ظلام اوائل القرون الوسطى. وأخيرا فإن إحياء ارسطو ونقاط البداية لأعمال **توما الاكويني** كانت ستبقى من الامور التي لا يمكن التفكير بها! لولا هذا الجسر النسطوري- العربي. وقد إتبع التأمل اللاهوتي لكنيسة المشرق هو الآخر سبله الخلاقة الخاصة به، والمبنية على أعمال آباء الكنيسة **ديودورس الطرسوسي** (+٣٩٢) **وثيودورس المصيصي** (٣٥٢-٤٢٨). والسمتان البارزتان للانثروبولوجيا النسطورية كانتا النتيجة المنطقية لمسيحانية **الدايوفيزيتية** (**Dyophysite**) التي تؤكد على الطبيعة البشرية للمسيح وإرادته الحرة في تنفيذ الواجبات المفروضة عليه من الاب. ومن السمات الغربية لوجهة النظر هذه: الرفض الناتج للخطيئة الاصلية، والقناعة من أن الفرد البشري يمكن له أن يخالف القانون الالهي ويبتعد عن الله بمحض ارادته فقط. بالنسبة لثيودوروس فإن جذر الخطيئة لا يكمن في طبيعة الشخص البشري بحد ذاتها، بل بالاحرى في السماح للضعف البشري لان يمضي في سبيله[٢٤]. وهذه النظرة مناهضة بشكل مثير لمبدأ الخطيئة الاصلية كما تصورها **اوغسطينس** (٣٥٤-٤٣٠)[٢٥]. وقد بات ذلك مقبولا من قبل كنيسة الروم الكاثوليك حتى **مجمع ترنت** (Trent) (١٥٤٥-١٥٦٣)، واثر أيضا في



زواج مسيحي في بغداد في التسعينيات. يقال بأن تزيين العروسين بالنقود يجلب السعادة والرخاء- وهو تقليد يمكن أن يشاهد كذلك في كنائس أخرى في آسيا، كما هو الحال مثلاً في الصين والهند.

عقيدة القدر للمصلحين، لا سيما عقيدة **كالفن** (Calvin).

وتنبثق السمة المميزة الثانية للانثروبولوجيا النسطورية من الاولى، فلما كانت الطبيعة البشرية صالحة من حيث الجوهر، وليست سيئة من حيث الجوهر كما رأى اوغسطينس[٢٦]. فإن قيامة المسيح فتحت الباب للشخص البشري للشفاء من الطبيعة السقوطية لآدم – بعبارة اخرى، العودة إلى صلاح طبيعته الذاتية. إن الطبيعة البشرية صالحة من حيث الجوهر لكنها يمكن ان تفسد بواسطة ضعفها وتقاد الى الخطأ[٢٧].

وقد استمرت بوجهة النظر العالمية، المؤكدة على الحياة هذه: رؤيا اسحاق النينوي. الذي كان مقتنعاً من أن الله سوف يقود جميع الاشياء الحية، بما في ذلك الخطاة الكبار بل حتى الشياطين، الى الكمال والنعيم[٢٨].

وقد صاغت هذه الانثروبولوجيا المتفائلة لكنيسة المشرق في القرنين الثامن والتاسع علاقة مدهشة مع **الطاوية** (Taoism). وهكذا كان يسبّح المسيح في ترتيلة نسطورية للثالوث الاقدس، المكتوبة بالصينية في اواخر القرن الثامن: "ملك الحياة الابدية، وحمل المحبة والفرح، الذي تألم كثيرا ولم يستسلم للشقاء، الذي يحمل معه جميع خطايا المخلوقات كلها، بحيث تُحفظ طبيعتنا الحقيقية، وحيث لن يفسد السلام"[٢٩].

إن الحوار الديني الذي دخل فيه الرهبان النساطرة مع الرهبان البوذيين والطاويين ينتمي الى اكثر الجوانب المدهشة لتاريخ كنيسة المشرق.

ولم تنج كنيسة المشرق من محن القدر، حتى في ملاجئها الجبلية. ففي سنة ١٥٥٣ دخل قسم من الاكليروس التابع لها في إتحاد مع روما، ليشكل الكنيسة الكلدانية الكاثوليكية، بكرسيها الرسولي في بغداد، والتي لها اليوم (٦٥٠٠٠٠) عضواً. وإبتداء من منتصف القرن التاسع عشر قام الاكراد بتنفيذ العديد من المذابح ضد النساطرة، لتبلغ أوجها في سنة (١٩١٥- ١٩١٨) بقتل حوالي نصف النساطرة مع بطريركهم مار **شمعون التاسع عشر**- وهي إبادة تشبه نسبيا مذبحة الارمن[٣٠]. وقد إزدادت موجة اللجوء الى الغرب أكثر، نتيجة مذابح إضافية في العراق في سنة ١٩٣٣ وحرب الخليج الاولى. بحيث يعيش نصف النساطرة اليوم في المنفى في الغرب. وأخيرا في سنة ١٩٦٨ انشقت ما سميت بكنيسة المشرق القديمة عن الكنيسة الأم، لتخلق شرخا مازال قائماً حتى اليوم.

وقد قام البطريرك الحالي مار دنخا الرابع بجهود ناجحة من اجل الحفاظ على الارث

اللاهوتي والثقافي، منتهجا سياسة منفتحة وحوارا بناء مع روما، والتي أسفرت عن أول إنجاز لها في ١٩٩٤ وهو "**البيان المسيحاني المشترك**" (Common Christological Declaration).

وقد لخص البطريرك روحية الانفتاح اللاهوتي هذه في محادثة مع المؤلف، قائلا: "إن التعاقب الرسولي الشفاهي، الذي بدا بظهور الروح القدس في العنصرة، يتجدد باستمرار. علينا أن نترك مجالا مفتوحا في عقولنا وقلوبنا للالهام"[٣١]. إن هذا الالتزام بالاستمرار بالحوار الديني والثقافي بين الطوائف الذي بدأ في بلاد ما بين النهرين مع الزرادشتية والمسلمين، والذي امتد الى الصين مع البوذية والطاوية، والى الهند مع الهندوسية، والذي يجري الآن مع كنيسة الروم الكاثوليك، والكنيسة السريانية الارثوذكسية، يبرر التفاؤل من أن كنيسة المشرق يمكن لها ان تمنح حافزاً متجدداً للحياة الروحية بالاعتماد على خزينها الثر من الحكمة والتقليد.

مصطلح "نسطوري"

يكاد أن يتلطخ إسم "نسطوري" في كل كنيسة تقريبا بوصمة الهرطقة، بسبب الاعلان عن تحريم نسطور وأتباعه وأعماله في سنة ٤٣١ في **مجمع أفسس**. ولهذا السبب فقد قام المبشرون والقسان الكاثوليك بتدمير كتب "النساطرة" حيثما وجدوها. ففي (مجمع ديامبير) سنة ١٥٩٩، على سبيل المثال، اجبرت محكمة التفتيش الكاثوليكية القيام بحرق مجاميع الارشيفات والوثائق والمخطوطات العائدة للكنيسة النسطورية الكبيرة في كيرالا[٣٢]، وفي حوالي سنة ١٨٣٠ كان بحوزة المبشرين الكاثوليك آلاف علم الوجود [المترجم]. المخطوطات القديمة والكتب من مكتبة الموصل تم رميها في نهر دجلة[٣٣].

وتعبير "نسطوري"، في الحقيقة غير صحيح وفق ثلاثة مستويات. الاول: إن نسطور الذي كان بطريركا للقسطنطينية منذ سنة ٤٢٨ حتى سنة ٤٣١ لم يقم ابدا بتأسيس هذه الكنيسة. والثاني: لم يعلم فيها. والثالث: إن عقيدتها ليست مبنية على كتابات نسطور بل على أعمال ديودورس الطرسوسي، ولا سيما على أعمال ثيودورس المصيصي. وإنه لخليق بها أن تسمى "الثيودورية" بدلاً من "النسطورية". ناهيك عن أنه إذا ما اعتبر المرء بأن مصطلح "نسطوري"، الذي طبق جدليا على السريان الشرقيين لأول مرة في ما سمي بـ"**سينودس اللصوص**" (Robber Synod)، في أفسس في سنة ٤٤٩[٣٤]، يعني ضمنا تهمة قيام النساطرة بالحديث عن إبنين لله وبالتالي عن ألوهية رباعية. فإن المرء يصل الى الاستنتاج بأن نسطور ذاته لم يكن نسطوريا!

لقد أكد دائما على **الاتحاد الاونتولوجي*** لطبيعتي المسيح ودافع عن نفسه بحزم ضد هذه التهمة الخاصة حتى وفاته[٣٥]. وفي الحقيقة فإن معارضه الكبير، **البطريرك كيرلس الاسكندري**، قام عن تعمد بتزييف آرائه في رسالة الى أسقف روما[٣٦].

لقد دافعت كنيسة المشرق عن نفسها دائماً ضد اسم "نسطوري" رغم أنه يشرّف النساطرة كأسم احد آباء كنيستها. وقد ذهب اللاهوتي المهم **مار عبد يشوع** مطرافوليط نصيبين وأرمينيا (+١٣١٨)، الى أنه "بينما كان لهم [السريان الشرقيون ونسطور] نفس

* علم الوجود [المترجم]

الايمان، فإن نسطور هو الذي قد إتبعهم وليس هم الذين إتبعوه"[٣٧]. ومثلما اكتشف المبشرون الانكلوساكسونيون من القرن التاسع عشر، فإن السريان الشرقيين كانوا يسمون انفسهم كلدانا وسريانا ونصرانيين[٣٨].

وتسمي الكنيسة نفسها رسميا "كنيسة المشرق الآشورية الكاثوليكية الرسولية المقدسة". وهي تشير الى نفسها "بالرسولية" لأنها تعود في تأسيسها إلى الرسل توما وأدّي وحجّاي وماري، و"كاثوليكية" لكونها ذات نشاط عالمي، ومؤخرا "أشورية" للأقرار بارتباطها بوطنها الآشوري*.

كما أن تعبير "الكنيسة السريانية الشرقية" هو الآخر مناسب طالما أنه يشير الى اللغة والليتورجيا. أما مصطلح "الكنيسة الفارسية" فهو غير صحيح جغرافياً مثلما ان مصطلح "الكنيسة النسطورية" غير دقيق عقائدياً. ومع ذلك، وللبساطة، فإن "النساطرة" و"النسطوري" تستخدمان إلى جانب "السريانية الشرقية" و"الآشورية". وعليه فإن المؤلف يشعر بأنه مخول من قبل الدكتور مار أبرم، الاسقف المطرافوليطي للهند بالقول: "لقد استخدمت هذا الاسم في الكثير من كتبي. وأرى بانه لا ينبغي للكنيسة أن تشعر بالذنب من استخدام الاسم، لان مصطلح (نسطوري) لا يخلو من التكريم في التاريخ"[٣٩].

* سميت أشورية ليس فقط لارتباطها بوطنها أشور، بل لأنها تأسست وانتشرت على يد الآشوريين ومازالت. (المدقق)

٢ــ بدايات المسيحية السريانية الشرقية

الموقف السياسي والديني على جانبي الفرات

يقع موطن كنيسة المشرق في ما بين النهرين محدداً بنهري الفرات ودجلة[١]. وبما ان جذور هذه الكنيسة كانت في ما بين النهرين والجارة إيران. في حين بدأت المسيحية في مملكة اليهودية التابعة الى روما، وأنتشرت بسرعة في جميع أرجاء الامبراطورية الرومانية. فإننا سنقوم بالقاء نظرة شاملة على الدول التي تقع على جانبي نهر الفرات[٢].

الفرثيون ــ امبراطورية الى الشرق من نهر الفرات

بعد مائة سنة من قيام الاسكندر الكبير بقيادة الاغريق الى حافة العالم المعروف للغرب، تقدمت قوى مناهضة وقوية من الشعوب الايرانية من آسيا. وكانت إحداها هم الفرثيون، اقارب **السكيثيين** (Scythians) الهندو ــ أوربيين، الذين امتد موطنهم من بحر آرال (Aral Sea) الى بحر قزوين. وفي حوالي سنة ٢٤٧ ق.م قاموا بغزو شمال شرقي أيران، وتقدموا تدريجيا نحو الغرب حتى احتلوا مدينة سلوقيا على نهر دجلة في سنة ١٤١ ق.م. وفي حوالي سنة ٥٥ ق.م. قام الملك **أوردوس الثاني** (Orodos II) بتعزيز المعسكر في قطيسفون، على الضفة المقابلة لنهر دجلة من سلوقيا، مكونا مدينة سلوقيا ــ قطيسفون المزدوجة، الكرسي المستقبلي لكنيسة المشرق[٣]. ونظرا لتزامن التوسع الفرثي الى الغرب مع التقدم الروماني نحو الشرق، فإنه لم يكن هناك مفر لتلافي الاصطدام بين القوتين الطموحتين. وفي سنة ٩٢ ق.م. إتفق الطرفان على إتخاذ نهر الفرات حدوداً مشتركة بينهما. وقد ساعد قيام الفرثيين بمبادرة اقامة علاقات دبلوماسية مع روما، إضافة الى الصين، في تعزيز التجارة على طول طريق الحرير الذي كان يمتد لمسافة (١٦٠٠) كلم عبر بلاد الفرثيين.

وقد انتهى أول تقدم روماني عبر نهر الفرات عند قطيسفون في سنة ٥٣ ق.م. بكارثة. وكان عضو الحكومة الثلاثية **كراسوس** (Crassus)، يسعى لتحقيق نفس المجد لنفسه كالذي كان زميلاه في الحكم **يوليوس قيصر وبومبي** قد حققاه. لكن روما، بدلاً من ذلك، تكبدت احدى أكثر هزائمها خزيا عند **كارها** (Carrhae)، حيث فقد فيها كراسوس حياته.

وبعد ثلاثة عقود أنهى الامبراطور **اوغسطوس** والملك **فراتيس الرابع** (Phraates) حربا لم يكن في وسع اي منهما أن يحقق فيها النصر، حيث أعترفا في سنة ٢٠ ق.م. بنهر الفرات حدودا لهما، ليبدأ بذلك **السلام الروماني** (Pax Romana). فاصبح النهر مكان لقاء الشرق بالغرب ــ سواء أكان ذلك في صداقة أم منافسة. وقد أتخذ هذا المكان بالنسبة الى انتشار المسيحية وتاريخ كنيسة المشرق، أهمية حاسمة. رغم أن الجيوش الرومانية كانت تعبر النهر بصورة متكررة في القرنين الثاني



الجامع الذي بناه الخليفة مروان الثاني (حكم بين ٧٤٤-٧٥٠) على أنقاض كنيسة مسيحية في كارها (حران)[2] وإن كارها لم تكن أبرشية نسطورية فحسب، بل جامعة مشهورة حيث كان يجري تعليم الرياضيات وعلم التنجيم الكلداني.[3] وقد تكبدت روما عند كارها اندحارين خطرين على يد أعدائها الايرانيين اللدودين: فقد نحر الفرثيون في سنة ٥٣ ق. م. عضو الحكومة الثلاثية كراسوس، وفي ٢٦٠ ميلادية، ألقى شابور الثاني القبض على الامبراطور فاليريان وجعله أسيراً. وقد جرى نهب وسلب كارها على يد المغول شانها في ذلك شان نصيبين وآمد (ديار بكر) وحلب، في سنة ١٢٦٠.[1]

والثالث ق.م وتقوم بغزو سلوقيا — قطيسفون، إلا انه كان عليها أن تعود القهقري في كل مرة[4]. وظلت بلاد ما بين النهرين من الناحية السياسية والثقافية جزءاً من أسيا.

وقد كانت السياسة الثقافية للفرثيين، وحتى بداية عصر الثقافة المشترك (Common Era)، هيلينية في روحيتها. فالى جانب اللغة الفرثية البهلوية الارشاقية، ظلت الاغريقية والارامية مستخدمة. ومن الناحية الدينية كانت الالهات الاغريقية الرومانية شائعة لدى الاسرة الحاكمة، الى أن أدت حركة المقاومة القومية، المنطلقة من قلب بلاد فارس، الى إحياء المعتقدات الزرادشتية المثرائية*. ثم قام الفرثيون بعد ذلك برعاية وتشييد معابد النار، وشرعوا بجمع التقاليد الزرادشتية التي تم جمعها على شكل قوانين في **الافيستا** (Avesta)[5].

وفي الوقت الذي اقتصر فيه انتشار الزرادشتية في المجال الثقافي الفرثي — الايراني، فإن عبادة الاله الهندو — اوربي ميثرا القديمة، والمنتشرة انتشاراً واسعاً في أيران، تخطت الحدود الثقافية للفرات، وكسبت العديد من الاتباع في الامبراطورية الرومانية، لتغدو في القرنين الثاني

* نسبة الى مثرا Mithra إله النور وحامي الحقيقة وعدو قوى الظلام عند الفرس [المترجم]

والثالث ق.م واحدة من العبادات المنافسة الرئيسة للمسيحية الاولى.

وكان لمثرا الالهة الرئيسة في هيكل الآلهة الزرادشتية الايرانية السابقة، وكان يعبد كإله للشمس والنور والحرب، اضافة الى إله العدالة وراعي للمعاهدات. وكان يدعم **أهورامزدا** (Ahura Mazda) في الزرادشتية في قتاله ضد الشر. وضمن السياق **الهلنستي** (Hellenistic) كان يماثل مع إله الشمس **هيليوس** (Helios)، وفي المعتقد الروماني مع **سول أنفكتوس** (Sol Invictus) الأمر الذي جعله الاله المفضل لدى الجيش. وكان المحفز لانتشار الاسرار الميثرية، والتي انتشرت أنتشاراً واسعاً في الإمبراطورية الرومانية، هو تحرير الروح التي ولدت في السماء من قيود الجسد، والعودة بها عبر الطبقات الكونية السبع الى اصلها[6]. وإجمالاً، فإن روحاً من التسامح الديني سادت بين الفرثيين، ساعدت في انتشار المسيحية.

روما — امبراطورية الى الغرب من نهر الفرات

لم ينج البناء الجمهوري من الحكم الفردي ليوليوس قيصر والصراعات اللاحقة على السلطة. وقد اصبحت روما تحت حكم **أوكتافيان** (Octavian)، (حكم بين ٢٩ ق. م. - ١٤ ميلادية) - والذي تبنى لقب اوغسطوس "الممجّد" - اصحبت روما امبراطورية.

وظلت مدينة روما العاصمة الوحيدة للامبراطورية حتى ٣٢٤ ميلادية، عندما قام الإمبراطور **قسطنطين** الأول (حكم بين ٣١٢- ٣٣٧) م، ولأسباب ستراتيجية، بتحويل مدينة بيزنطة على مضيق البوسفور الى عاصمة ثانية جديدة، محولاً بذلك مركز ثقل الإمبراطورية الى الشرق. وقد اتخذ قسطنطين الاول هذه الخطوة لسببين، الأول: ازدياد الضغط العسكري من جانب **الغوطيين** (Goths) و**السارماتيين** (Sarmatians) على نهر الدانوب، كما أن وجود الساسانيين على نهر الفرات استوجب وجود الامبراطور واركان الدولة قريباً من الحدود الشرقية المهددة. والثاني: إن العاصمة الجديدة سيطرت على طرق التجارة البحرية مع مصر والشرق الأوسط، الى جانب طرق المواصلات القارية التي تربط أوربا بآسيا.

وقد إنهارت الوحدة الامبراطورية عند نهاية القرن الرابع، عندما قام الامبراطور **ثيوديوسيوس** (Theodosius) الاول (حكم بين ٣٧٩- ٣٩٥) م، بتقسيم الامبراطورية بين ولديه، حيث أعطى **اركاديوس** (Arkadios) الشرق، و**أنوريوس** (Honorius) الغرب. ورغم سقوط الامبراطورية الرومانية الغربية في سنة ٤٧٦، فإن الامبراطورية الرومانية الشرقية، المسماة أيضاً الامبراطورية البيزنطية، قاومت حتى ١٤٥٣م.

وقد أدى توسع الحكم الروماني من قلب الاراضي الرومانية الهلنستية الى آسيا وأفريقيا، الى خلق نظرة عالمية وحركة توفيقية دينية لم يسبق لها مثيل. وكانت روما هي المنتصرة عسكرياً واقتصادياً، لكنها في مجال الدين كانت تخضع للدين الغالب.

لقد أسرت آلهات مثل **ايزيس** (Isis) و**اوسيرس** (Osiris) و**سيبيل** (Cybele) و**أطيس** (Attis)، ولا سيما مثرا، قلوب الشعوب بعباداتها السرية. بيد أن حركات **الترويضية** و**الغنوصية** (Gnosticism) و**الجليانية**، التي كانت هي الاخرى شائعة

بين اليهود، منحت ثقلا مقابلاً للفقدان المتزايد للتوجه الروحي. وكانت الديانة الرومانية قد تحجرت منذ أمد طويل لانها لم تتح أية مبادىء اخلاقية ولا اي طريق للخلاص او امكانية ابتداع علاقة شخصية مع الالوهية، ولا مجالاً عاطفيا في مجتمع ايماني. وقد قامت في أحسن الاحوال بتشخيص المثل الأعلى للحياة المدنية والدولة، في حين تدهورت في أسوأ الأحوال إلى عبادة الحاكم وتأليه شخص حي يعبد كوثن من الاوثان، بدأت بالإمبراطور **نيرون** (Nero) حيث غدت مطلوبة في ظل حكم **دومطيان** (Domitian) من كل المواطنين. وفي سنة ٨٥ م تجرأ دومطيان هذا على توقيع الوثائق باسم "الرب والإله"[٧].

وإذ لم يدع أي إله بانه الكائن المطلق، باستثناء حالة اليهود، صارت الآلهة قابلة للتبادل.* كانت العبادات المختلفة في نظر الناس صحيحة على حدّ سواء، وفي نظر الفلاسفة مزيفة، وفي نظر السلطات مفيدة"[٨].

ولابد أن يكون بريق الآلهة الاغريقية الرومانية قد أتاح بما لا يقبل الشك أرضا خصبة لعقائد خلاصية شاملة. وكانت احداها عبادة مثرا، التي نالت استحسانا خاصا بين الجنود شأنها في ذلك شأن سول أنفكتوس، وقيمه عن العدالة والواجب والنظام.

وكانت للعبادة الوحيدة لإله الشمس الذي لا يقهر، وهو يشرق مجددا فجر كل يوم من دياجير الليل، علاقة مع الحاجة للتغلب على الاعتباطية الدينية، والى إله عالمي. وكانت عبادة مثرا خطوة اولية غير ميتافيزقية نحو عبادة احادية". ويمكن رؤية شعبية مثرا في إعلان الامبراطور قسطنطين يوم ٢٥ كانون الأول سنة ٣٣٣م، عيد الميلاد التقليدي لسول إنفكتوس، يوم عيد ميلاد يسوع المسيح[٩]. وكان قسطنطين قبل ذلك قد أعلن يوم الشمس عطلة مسيحية رسمية"[١٠].

وفي المنطقة المحيطة بإمارة أورهاي (اديسا)، التي ادعت لنفسها لقب اول دولة مسيحية في العالم، كانت هناك ايضا ديانة توحيدية كامنة. وهناك كان الاله مثرا يعبد على انه الرب اله الكون. وقد مهدت هذه التوحيدية الاولية الطريق لنجاح اليهودية في الرها. ولما كان هناك في الرها، كما في عموم سوريا وغرب بلاد ما بين النهرين، امثلة عديدة على آلوهيات ثلاثية[١١]، فإن البيئة كانت مرة اخرى مؤاتية للمسيحية على نحو خاص، لانها اغنت هذين المفهومين بشخص وسيط بشري — الهي وجعلتهما اكثر سهولة للادراك.

وكانت كنيسة المشرق مدينة في توسعها السريع الى الجلاء اليهودي ايضا، لان الجهود التبشيرية الاولى نحو شرقي الفرات، التي بدأت في اغلب الظن عند نهاية القرن الاول، لاقت استحسانا خاصا في الاوساط اليهودية. إن الجلاء اليهودي المهم عدديا في ما بين النهرين، والذي كان مليون نسمة تقريبا، كان قد نتج عن غزوات آشورية وبابلية سابقة[١٢]، جاءت الاولى عندما قام الآشوريون في سنة ٧٢٢ ق.م بغزو السامرة وترحيل الاسباط العشرة لاسرائيل الى منطقة النهرين العظيمين. ثم قام البابليون في سنة ٥٨٧ ق.م بالهجوم على اورشليم واعادة استيطان الطبقات اليهودية العليا في بابل.

وفي الوقت ذاته ترك العديد من اليهود الارض التي لحق بها الخراب الى سوريا وآسيا الصغرى. ورغم ان بعض اليهود الذين عاشوا في بابل عادوا تدريجيا الى

* مع الايمان بوجود الهة اخرى [المترجم]

اليهودية بعد انتصار **كورش** (Cyrus) الثاني على بابل في سنة ٥٣٨ ق.م، ثم بقيت عشرة اسباط "مفقودة" وهذا ما حدا بالعديد من المبشرين البروتستانت، الذين "اعادوا اكتشاف" نساطرة كردستان في سنة ١٨٣١، لان يعتبروهم احفاد الاسباط العشرة لاسرائيل"[١٣]. إن اندحار الانتفاضة اليهودية الثانية لسنة (١٣٢- ١٣٥) م. ادى الى موجة اضافية من الهجرة اليهودية الى بلاد بين النهرين الفرثية، وايضا الى الجزيرة العربية والهند.

وبقدر تعلق الامر باليهودية، فقد بدا ولقرن من الزمان تقريبا وكأن الرؤيا المسيحانية كانت تتحقق، والتي كان اله اسرائيل بموجبها — والذي كان يعبد اصلا كرب الجنود[١٤] (Yahweh Zebaoth) - سيخلق من اجل اسرائيل نظاما عالميا جديدا تحت حكم المكابيين. لكن بومبي بدد ذلك الحلم في سنة (٦٣) ق.م بغزو اورشليم. وهكذا كان على اليهود ان يجدوا وسيلة لتجسير الهوة بين الادعاء بانهم شعب الله المختار والواقع السياسي. وقد تراوحت ردود الفعل بين رد فعل **الغيورين** (Zealots)، الذين كانوا يدعون الى الحرب المقدسة ضد روما (كانوا ينتظرون المسيح كقائد عسكري)، و**الفريسيين** (Pharisees)، الذين كانوا يدعون الى الخضوع التام الى شريعة موسى، و**الصدوقيين** المهلنين* الموالين الى روما، ورد فعل العديد من الواعظين الداعين الى التوبة والجماعات التي كانت تستبق **الجليان**.

ورغم ان اليهودية تبشر برسالة واضحة دون غموض، إلا أنها لم تكن قادرة على الاتيان ببديل قابل للتطبيق، بالنسبة الى غالبية الشعوب غير اليهودية، الذين كانوا يسعون الى حياة ذات مغزى وتقوى حية. وقد كان يهوا، على اية حال، إلها فريدا لشعبه المختار، وكان الميلاد (النسب) هو الذي يقرر ما اذا كان فرد ما ينتمي الى المختارين او الضالين. ولهذا السبب منع النبي عزريا، بعد العودة من جلاء بابل، الزيجات المختلطة مع اعضاء من الشعوب غير اليهودية، وامر بطرد النساء الاجنبيات"[١٥]. كما ان ختان الرجال البالغين وهو امر خطر على الحياة في تلك الايام، كان عائقا اضافيا للاهتداء النهائي.

إن التساهل في هذه القوانين فيما بعد، مكن من قيام نشاط تبشيري يهودي، كما هو الحال مثلا في جنوب الجزيرة العربية واليمن. إن رفض الختان للمسيحيين الامميين، كما فرضه بولس، والتأكيد على الله رب كل الشعوب، متجاوزا الارتباطات العرقية والقومية، هو الاخر مهد الطريق لتعاليم يسوع لان تحقق ديانة عالمية. لقد تحول الانغلاق القومي الى انفتاح عالمي، مفتوح لكل المؤمنين قويمي الايمان.

بولس في انطاكيا وتوسيع المسيحية القديمة

تمتعت انطاكيا — ثالث أكبر مدينة في الامبراطورية الرومانية — باعتبارها نقطة بداية ونهاية لطريق الحرير بازدهار غير عادي. وقد قدم المسيحيون الأوائل إلى أنطاكيا إبان الهروب الناجم عن رجم اسطفانوس في (٣٥) م[١٦].

هناك، وفي حوالي سنة ٤٠م. استخدم المصطلح الإغريقي كرستياني، أي الشخص المسيحي، لتمييز المسيحيين المتكلمين

* المتأثرين بالهيلينية [المترجم]

بالإغريقية من أصل أممي* عن المسيحيين اليهود، المدعوين أهل الناصرة"[١٧]. وينكر هذا التمييز بالخلاف العميق الذي هزّ المجتمع المسيحي في أنطاكيا، والذي قاده بطرس وبرنابا، في حوالي سنة ٤٣/٤٥. وقد تركز النزاع حول رفض المسيحيين من غير اليهود من قبل المسيحيين اليهود. حيث ذهب هؤلاء، مدعومين من قبل مبعوثي يوحنا، أخي الرب، وبطرس، الى أن قوانين التطهير الموسوية، والارشادات الخاصة بوجبات الطعام، وفريضة الختان يجب ان تنطبق على المسيحيين الأمميين أيضاً"[١٨].

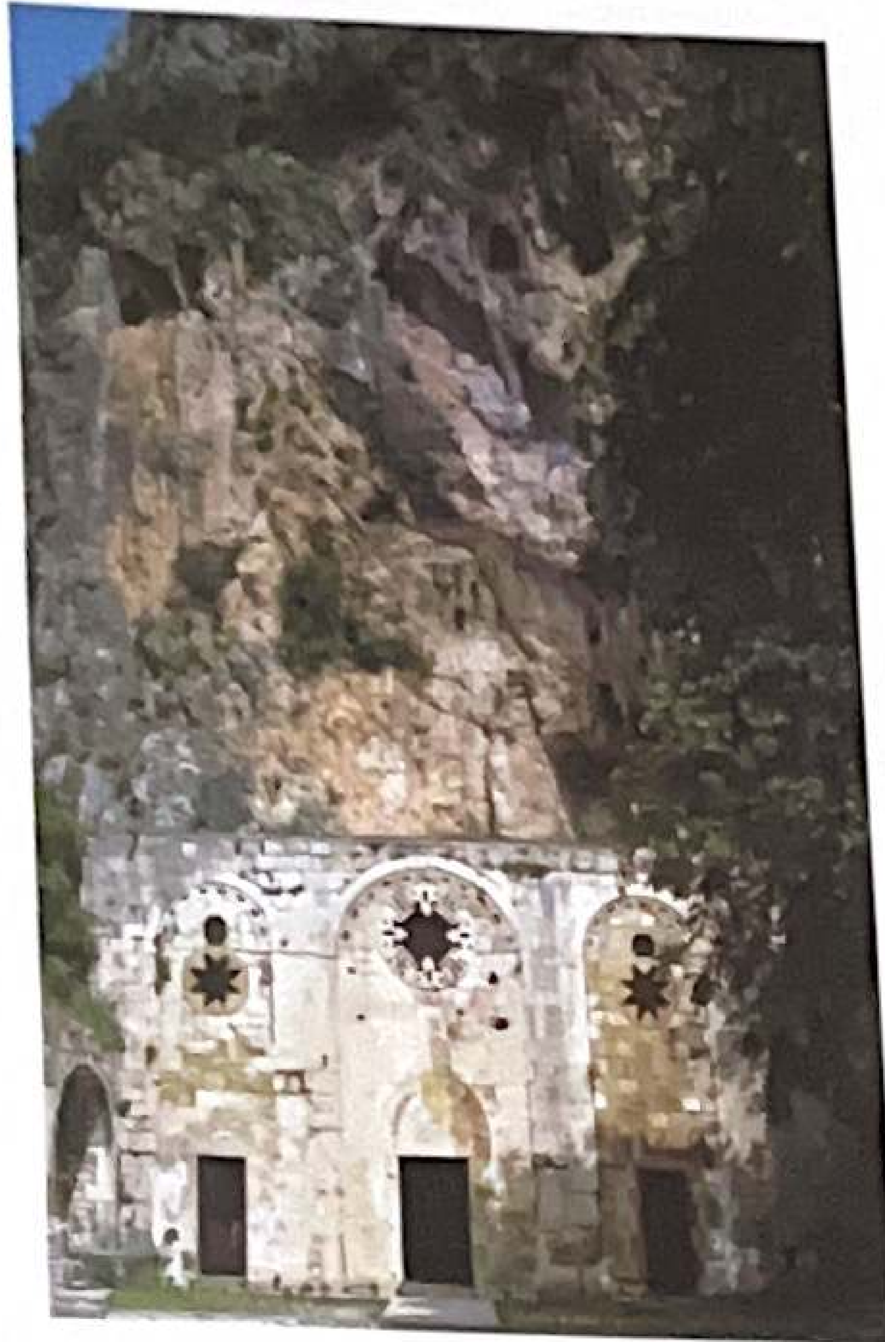
وقد رأى المسيحيون اليهود في رفض الختان خيانة لعهد الله لإسرائيل، وعليه رفضوا المشاركة في مائدة الليتورجيا الجماعية مع المسيحيين الأمميين غير المختونين.

ولكن بولس أدرك خطورة هذا الانشقاق بين الجماعة المسيحية حديثة التكوين، وعارض بشدة رفض الوليمة الجماعية. وقد أعلن، متبعا أسلوب وعظ يسوع، بأن الروح الباطنية للعقل والعلاقات بين الأشخاص أكثر أهمية من طهارة العبادة. وقد محا يسوع عن طريق اهتمامه باليهود والعرب، والعلماء وصيادي السمك وجباة الضرائب والعاهرات، هذا التمييز الذي كان جوهريا في اليهودية بين الاشخاص الطاهرين وغير الطاهرين. هكذا صار الخلاص لا يعتمد على الختان، بل على العماد والإيمان بيسوع وقوته في الفداء"[١٩]. لم يعد هناك يهودي ويوناني ومختون وغير مختون، بربري وسكيثي وعبد وحرّ بل المسيح هو كل شيء وفي كل شيء"[٢٠].

إن الشعب الجديد المختار، جماعة إيمان مفتوحة للجميع، ولم يعد المعيار الموسوي القديم أمراً وارداً. وقد سافر بولس وبرنابا وطيطس إلى أورشليم لمناقشة هذه المسألة مع الرسل يوحنا وبطرس ويوحنا ابن زبدي. هذا السينودس الرسولي لسنة (٤٨) م[٢١] رسّخ مكانة بولس، مضيفاً أربعة تعديلات طفيفة فقط[٢٢]. وقد تم بفضل حكمة بولس تحويل تعليم يسوع من حالة وجود عدد لا يحصى من الطوائف المسيحانية، الى ديانة عالمية تسمو على الخصوصيات العرقية. وبسهل العبارة، فإن المؤمنين يولدون في اليهودية لكنهم يقبلون في المسيحية.

ورغم أن ذلك السينودس الرسولي قام بحل مسألة الختان ضمن الإمبراطورية الرومانية، فإن القضية برزت ثانية بين نساطرة بلاد ما بين النهرين بعد القرن السابع نتيجة للفتح العربي. وقد عاب العلماء المسلمون المسيحيين لاخفاقهم في ختان أنفسهم كما كان نبيهم يسوع مختوناً. فأجابوا بأن المعمودية كانت حلت محل الختان طالما أن المسيح كان قد الغى الأخيرة من خلال عماده هو. فلا العلامة الخارجية ولا التطهير الشعائري امور حاسمة في العهد مع الله، بل الموت والقيامة المتمثلة بالعماد، وطهارة القلب الداخلية. "ما الفائدة لبيت مظلم في وضع السراج على سياج البيت بينما تظل الغرف بداخله غير مضاءة؟"[٢٣] وبخصوص استبدال الختان بالمعمودية، كتب المطرافوليط السرياني الشرقي عبديشوع الصوباوي (١٢٥٠- ١٣١٨) يقول، "كان على اليهود أن يميزوا أنفسهم عن الوثنيين الآخرين جسديا طالما أن الله كان قرر بأن المسيح سيظهر من بين نسلهم. وبنفس الطريقة (الختان) فإن المرء يميز إبله

* غير يهودي [المترجم]



كنيسة الكهف للقديس بطرس في انطاكيا بتركيا، أنطيوخ سابقا. كانت انطاكيا، باعتبارها نقطة بداية ونهاية لطريق الحرير، واحدة من أكبر مدن الامبراطورية الرومانية وأكثرها غنى. وكان التجار من هناك يسافرون الى الصين عبر مدن الرها ونصيبين وسلوقيا وقطيسفون والري (طهران) ومرو، وهي جميعا أبرشيات مبكرة مهمة لكنيسة المشرق. إن غار بطرس كهف طبيعي منحه الإنجيلي لوقا بحسب التقليد الى الجماعة المسيحية الفتية. ويقال بأن بولس وبرنابا وبطرس قد وعظوا هناك. وقد تم إعادة بناء الواجهة التي شيدها الصليبيون بعد ١٠٩٨، في سنة ١٨٦٣. واليوم يعود غار القديس بطرس الى الكنيسة الكاثوليكية، ويقوم على رعايته الكابوشيون (Capuchins)*.

وأغنامه وافراسه من أجل أن يميز ممتلكاته عن تلك التي للغرباء. بيد أن معمودية المؤمنين الحقيقيين تشمل لغز الموت والقيامة. لأن الغطس في لجّ من الماء أشبه بالموت، طالما أن المرء يغدو من غير حواس وكأنه يدفن في التراب. وإن الخروج من الماء رمز للقيامة، ويمثل النهوض من القبر. ولهذا السبب، فرض الرسل بأن يرتدي المرشحون، قبل العماذ، ملابس سوداء تكفيرية، ومن ثم ملابس بيضاء تمثيلاً للانتقال من عالم الظلام الى عالم النور"[٢٤].

لقد ضمن السينودس الرسولي، من ناحية، الوحدة المسيحية. لكنه، من الناحية الأخرى، عمق الشرخ مع اليهودية، لأنه أثار التساؤل العام حول التخلي عن الناموس اليهودي. وقد جعل زجّ بولس في السجن من قبل شرطة الهيكل اليهودي الذي أدى الى موته في حوالي سنة ٥٨ م[٢٥] ومن ثم رجم يوحنا زعيم جماعة اورشليم من قبل الكاهن الاكبر حننيا الثاني (Hannas) بعد أربع سنوات[٢٦]، وكذلك رفض المسيحيين الإشتراك في الثورة اليهودية الأولى، من رأب الصدع أمرا غير ممكنا، كما تبين من تفسير تدمير الهيكل في سنة ٧٠م.

وقد عدّ ذلك المسيحيون واليهود قضاء من الله، ولكن لأسباب مختلفة: فقد كان ذلك بالنسبة للمسيحيين قصاصا عادلا لقيام اليهود بصلب المسيح، بينما عبّر بالنسبة لليهود عن غضب الله لعدم إطاعة شريعة موسى[٢٧]. لكن الدخول الناجح للوثنيين في الجماعات اليهودية أثار بصورة خاصة الإدانة الرسمية للمسيحيين من قبل المعهد اليهودي في جامنيا (Jamnia) في حوالي سنة ٨٠[٢٨]. إن الصراع الناشيء عن الرغبة في المطالبة بارث التقليد اليهودي، وتنصل المرء في نفس الوقت عن اليهودية المعاصرة، أدى الى موقف منتقد لليهود، وقد ظهر مثل هذا الموقف في الكنيسة المشرقية ايضا. وفي القرن الثاني ادى هذا الصراع الى تاسيس كنيسة منافسة من قبل **مرقيون** (Marcion)[٢٩].

المسيحية تعبر نهر الفرات

تقاليد مار توما ومار أداي ومار اگاي، ومراسلة أبجر ملك الرها ليسوع المسيح

إن مسألة متى ظهرت كنيسة المشرق، المحددة ببدء النشاط التبشيري شرقي الفرات، تؤدي مباشرة الى الصراع بين

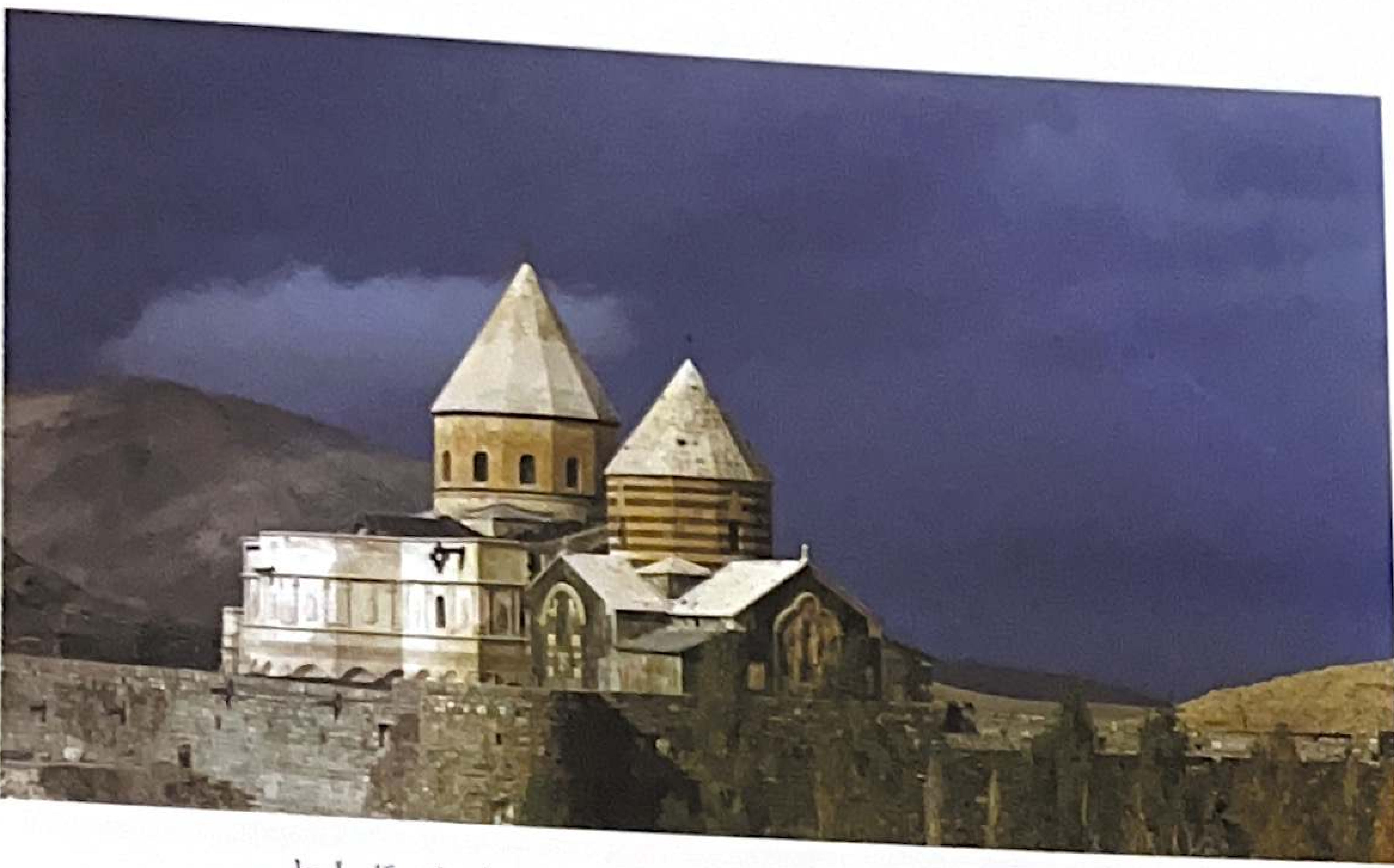
التقليد النسطوري وشهادة النقد النصي. ويظهر ما لا يقل عن عشرة أسماء من بين أولئك الذين يدعون بأنهم الأوائل في حمل البشرى السارة الى الشرق. ان التقليد والعلم ليلتقيان فعلاً، في الأقل، فيما له علاقة بالمكان الذي ثبتت فيه المسيحية موطىء قدمها أولاً، لا سيما في الرها (أورفا) وحدياب (Adiabene)، (شمال العراق). إن التقارير التي تشير الى أن الملوك الثلاثة[30] أو الحجاج الذين كانوا في أورشليم في العنصرة[31] هم المبشرون الأوائل الى الأمبراطورية الفرثية، تندرج في خانة الخرافات. كذلك لا يجدر بنا أن نقلق أنفسنا بالتقاليد حول بطرس وبنيامين وبرتلماوس، الذين يجري ربطهم بالهند، إضافة الى **ليكونيا** (Lycaonia) وأثيوبيا والجزيرة العربية وأرمينيا[32]. ومن جانبه كان **أبها** (Abha) مجرد رفيق مار ماري[33]. بيد أن أسماء القديس توما ومار أداي ومار أجاي ومار ماري ينبغي أن تعامل بجدية. لا سيما لأنهم يحتلون الأماكن الأربعة الأولى من التسلسل التاريخي الرسمي لبطاركة كنيسة المشرق[34].

وثمة تقليدان، فيما يخص الرسول توما، يبدو للوهلة الاولى انه يمكن الاخذ بهما. وبحسب ما يذهب اليه **أوسابيوس القيصري**، ومن بعده المصادر النسطورية، فإن الرسول حمل الأنجيل الى الفرثيين[35]. وبالمقارنة، وحسب أعمال توما المنحولة[36] وعقيدة الرسل[37] (Didascalia Apostolorum) التي تعود لنفس العصر، فقد سافر الى بلاط الملك **غوندوفيرس** (Gondophares) في الهند. وهاتان الوثيقتان السريانيتان المجهولتان، من النصف الأول من القرن الثالث مبنيتان على دعوة يسوع الى رسالة عالمية[38] وجمع التقاليد المختلفة في خطة عالمية قسم بموجبها الرسل، العالم الى أثنتي عشر منطقة، أنيطت بهم على أساس القرعة. وبهذه الطريقة عهد بالهند الى الرسول توما، والرها والجزيرة العربية والمناطق المتاخمة لبلاد ما بين النهرين الى واحد من التلاميذ السبعين يدعى أداي، وبلاد ما بين النهرين حتى حدود الهند الى أجاي، أحد تلاميذ أداي.

وقد تلت المناطق التبشيرية الثلاث أحداها الاخرى دون تشابه، وامتدت من الرها الى جوج وماجوج ـ أي الى الجانب الأخر من العالم المعروف[39]. وقد اجبرت الإرسالية النسطورية الى الصين على القيام بفتح حدود كهذه تحديداً.

ويمكن في الحقيقة التوليف بين تقليدي توما، طالما أن هناك الدليل التاريخي على هيئة عملات تحمل اسمه الى جانب نقش حجري، يبرهن على وجود الملك الهندي-الفرثي غوندوفيرس. وقد حكم هذا الملك المنطقة التي تشمل الآن شرقي إيران وباكستان وأفغانستان، منذ حوالي ١٩ الى ٥٠م. وهكذا يمكن أن يُفهم بان أوسابيوس ربما كان قد وصف امبراطوريته "بالفرثية".[40] وفي والوقت الذي لم يحدد فيه أي شيء بشكل نهائي بخصوص الدقة التاريخية لإرسالية توما، إلا أن أمكانية سفره الى الهند لا يمكن ان تستبعد، خاصة لأن المرور البحري المنتظم كان جاريا بين روما والهند[41].

ومار أداي هو الشخصية المركزية **لانافور** أداي، وهو أثر سرياني كتب في حوالي سنة ٤٠٠، والذي يتبنى سرد أوسابيوس لقرن سبقه والاسهاب فيه[42]. وهو يروي حكاية نقل البشارة الى الرها ومراسلة الملك أبجر الرابع **أوكاما** (حكم بين ٩-٤٦)



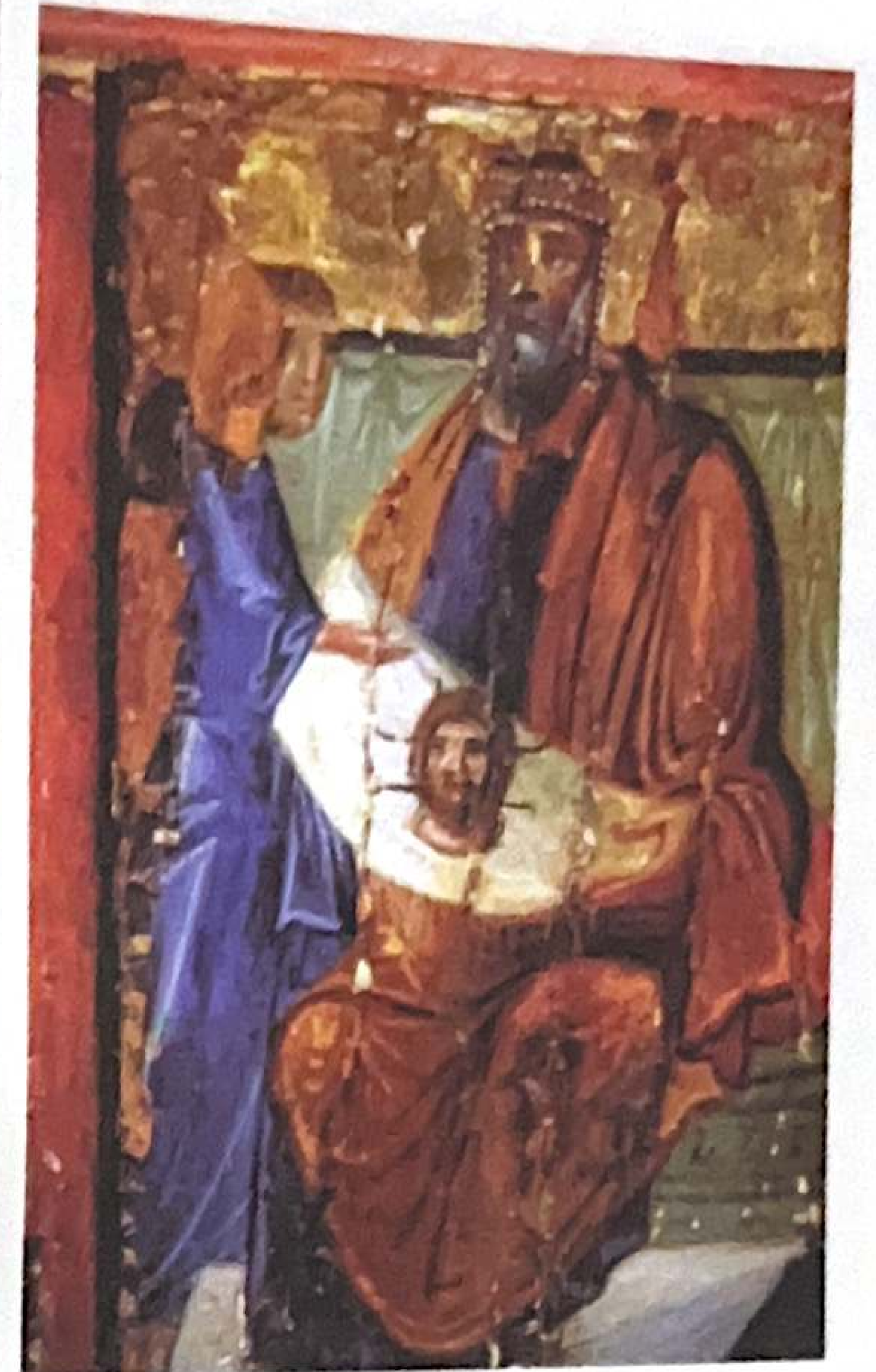
دير القديس تداوس الارمني في شمال غربي إيران الذي يقال بأنه أسس في القرن الخامس من قبل ناسك، في المكان حيث عثر على رفات الرسول تداوس. وقد شيدت الكنيسة التي بنيت من كتل من الحجر الأسود في سنة (١٣١٩-١٣٢٩) وجرى إعادة ترميمها في سنة ١٤٩٠.
أما الكنيسة ذات اللون الخفيف، التي أضيفت الى الغرب، فقد تبرع بها الأمير الفارسي عباس ميرزا في سنة (١٨١٠- ١٨٢٠). وغالبا ما يُساوى خطا بين القديس تداوس ومار أدي متلمذ المشرق، لأن تداوس كان من الرسل الإثني عشر بينما كان أداي واحدا من الرسل السبعين.

(الصفحة التالية): الملك أبجر الرابع الرهاوي وهو يمسك بالمانديلون، التي قدمت له من قبل رسوله حنان. جزء مكبر من إيقونة من الخشب من القرن العاشر، دير القديسة كاترين، سيناء، مصر.

مع يسوع المسيح. وكانت الرها، وهي أورهاي السريانية، عاصمة **مملكة أوسرين** (Osroene) الصغيرة، التي كانت تقع في مكان اشبه بالقفل المزدوج بين بلاد الفرثيين وروما. وكان يعود الفضل في ثرائها، في السيطرة على جزء من طريق الحرير الذي كان يمر غرباً نحو انطاكيا وشرقاً نحو نصيبين. لكنها كانت كذلك تحت رحمة القوتين المتعارضتين العظيمتين. وفي ٢١٤م جعلها **الإمبراطور كركالا** (Caracalla) ولاية رومانية.

وبحسب انافورا أداي في حوالي سنة (٣١)م كتب الملك أبجر الرابع الذي كان يعاني من البرص، رسالة الى يسوع طالبا منه الشفاء وداعيا له الى زيارة الرها[43]. وقد اثنى يسوع على الملك في جوابه له، لإيمانه به دون أن يعرفه، وهو لم يكن قادرا على الذهاب الى أبجر شخصيا، لانه كان عليه اكمال رسالته والعودة الى أبيه. لكنه وعد بان يرسل تلميذاً يشفيه ويبارك الرها. وبينما كان يسوع يملي جوابه لرسول أبجر، المدعو **حنان**، قام الأخير برسم صورته وحملها معه الى الرها حيث أصبحت ذخيرة للمدينة تُكرم غاية التكريم[44]، حتى نقلها الى بيزنطة في سنة ٩٤٤م. وفيما بعد إبان جدل تحطيم الإيقونات، كانت الصورة التي سميت ماندليون (Mandylion)، حجة لدعاة اكرام الايقونات (iconodulist) لصالح الرسوم البيزنطية لايقونات المسيح[45].

وبعد صعود المسيح، أرسل توما أداي الى الملك العليل[46]. فشفاه ثم التفت الى وعظ الناس وهو يشجب عبادة الأجرام السماوية





(الى اليسار) قلعة الرها (Sanliurfa) في تركيا. وهناك على عمود المرمر (الى الشمال في الصورة التوضيحية)، كتابة باللغة السريانية القديمة، تقول بأنها مكرسة للملكة شلمث (Shalmath) وكانت إما زوجة أبجر الثامن، (حكم بين ١٧٧-٢١٢) م أو إبنة الملك معنو الثامن (King Maánu)، (حكم بين ٢١٤-٢٣٩) م . ويعود الحصن الذي يشاهد اليوم الى صليبيي ١٠٩٨. والكنيسة التي غمرتها مياه الفيضان عام ٢٠١م كانت تقوم في اكبر الظن، على القاعدة الشمالية الشرقية من القلعة. ويظهر في القاعدة الشمالية الغربية كهف، يكرمه المسلمون، والذي كان وفق الاساطير المحلية مكان ولادة ابراهيم[٨].

والأوثان: "إنه لسقم مريع وغير قابل للشفاء أن تقوم المخلوقات بعبادة مخلوقات أخرى. ومن التجديف وضع مخلوقات في مستوى الخالق وهي غريبة عن طبيعته". وقد استبقت هذه الكلمات توبيخ (النبي) **محمد** لمن كانوا يعبدون الأوثان. ويستطرد أداي قائلا: "وحتى إذا كنتم لا تعرفون الكتاب المقدس، أفلا تعلمكم الطبيعة بأن أعين أوثانكم لا ترى شيئا؟ وهي ليست مذنبة لانها طرشاء وخرساء لكن العيب فيكم"[٤٧]. وبعد ذلك اهتدى الملك وقام أداي بإرسال مبشرين متنكرين مثل تجار الى ما بين النهرين.

وقبيل وفاته، عين آجاي خليفة له والذي بدوره قام بإرسال مبشرين الى الشرق. وبعد موت أبجر بسنوات قليلة، قام أحد أبنائه بإغتيال آجاي في الكنيسة، فعين الرجل المحتضر **بالوت** (Palut) خليفة له. هذا ما تقوله الأساطير – لكن ترى ما هي الحقائق؟

من المؤكد أنه كان للرها كنيسة في وقت مبكر جدا، ويروي التسلسل التاريخي بأنها دمرت بفعل الفيضان الكبير لسنة ٢٠١م[٤٨]. وعليه فإن كنيسة الرها كانت ستغدو أول بيت عبادة مسيحي مثبت تاريخيا، بل حتى أكثر قدما من معبد مدينة **دورا اوروباس** (Dura Europas)، على نهر الفرات التي شيدت بين سنة ٢٣٢ و ٢٥٦[٤٩]. ومن المستحيل أن يكون الملك أبجر الرابع مسيحيا، رغم أن الملك أبجر الثامن، الذي حكم بعد قرنين من ذلك تقريبا (١٧٧-٢١٢) كان في اكبر الظن مسيحيا. والدليل الوحيد على ذلك هو **برديصان الرهاوي** (١٥٤-٢٢٢) م، الذي ذكر في تأليفه " كتاب القدر": " لقد



تبنى الملك أبجر
برديصان طـ
الارثوذكسية با
من حوله أتباع
الإيمانية التي
مثلما كان **مرقي**
١٦٠)، وكذلك
الذي كانت كنا
كان أبجر الثا
بالوت، والـذ
الأرثوذكسية
الثاني وأوائل
يمثل أقلية
مسيحيين؟ و
الوقـت



تبنى الملك أبجر الإيمان"[٥٠]. ومع ذلك فإن برديصان طرد فيما بعد من الكنيسة الارثوذكسية باعتباره هرطوقياً. وقد جمع من حوله أتباعه وأسس إحدى الجماعات الإيمانية التي نافست الكنيسة الارثوذكسية، مثلما كان **مرقيون** قد فعل (حوالي ٨٥-١٦٠)، وكذلك **ماني** (٢١٦-٢٧٢/٢٧٤)، الذي كانت كنائسه نشطة في الرها. ترى هل كان أبجر الثامن احد اتباع برديصان أم بالوت، والذي وبصفته ممثلاً للكنيسة الأرثوذكسية في الرها في أواخر القرن الثاني وأوائل القرن الثالث، لم يكن يمثل إلا يمثل أقلية من المؤمنين يسمون أنفسهم مسيحيين؟ وقد سادت هناك في الرها في ذلك الوقت حركة توفيقية مسيحية داخلية تضاهي ما كان موجوداً في بابل، والتي كان **المرقيونيون** و**المانويون** يشيرون إلى أنفسهم كمسيحيين بينما يسمي أتباع بالوت انفسهم "البالوتيون"[٥١]. ورغم ذلك، فإنه من الممكن أن الملك أبجر الثامن كان يسمي نفسه مسيحياً. وأول أسقف للرها يمكن اثباته تاريخياً هو **قني** (Qune)، (+٣١٣) م الذي ربما يكون قد شجع اسطورة أبجر. وعند نقل رفات الرسول توما الى الرها في حوالي سنة ٣٧٠، كما نعرف ذلك من أحد أناشيد أفرام[٥٢]، ازدادت الرها شرفا.

وباتت هذه المدينة الآن قادرة على أن تدعي بأنها أول رئاسة مسيحية في تاريخ العالم، وأن تحتفظ برسالة يسوع، ولوحة له وهو على قيد الحياة بالاضافة الى رفات

(الصفحة السابقة) كنيسة القديس يوحنا المعمدان السابقة في الرها التي كان الأسقف المايافيزيتي نونا وخليفة الأسقف النسطوري هيبا (Ibas) قد شيداها في سنة ٤٥٧م. وفي أواخر القرن الخامس حلت الى هناك ذخائر مار أداي. وكانت الكنيسة بمثابة كاتدرائية للصليبيين منذ (١٠٩٨ حتى ١١٤٤)، حيث جرى تحويلها بعد ذلك الى جامع من قبل صلاح الدين الأيوبي. ويلاحظ في البداية ذات ثلاثة صحون والتي يبلغ طولها (٣٥) مترا وعرضها (٢٠) مترا وارتفاعها (٩) أمتار، بأن الجزء الدائري (القبلة: المذبح) يتجه ليس نحو مكة بل نحو الشرق. وكل صف من الأعمدة الست المستديرة بشكل خمسة أقواس تفصل الصحن الرئيس عن الممرات الجانبية. والنوافذ السفلى مزخرفة من كلا الجانبين بأشكال من الحجر تمثل تعابير محدولة التي يجدها المرء كذلك في النسخ الأصلية لها في طور عابدين. وقد تم تجديد الجامع عند نهاية القرن الثامن عشر. وجامع جرجيس بيغمبر* هو الآخر بني على كنيسة القديس سيرجيوس والقديس شمعون، التي شيدت من قبل الأسقف النسطوري هيبا أيضا قبل سنة ٤٥٧.

الرسول توما. وقد افتخرت الرها بنفسها كونها "المدينة الأم للمسيحية السريانية"[٥٣]. وقد أصبح موضوع اسطورة أبجر– التي كانت في اغلب الظن بمثابة النموذج لأوسابيوس عند نهاية القرن الثالث – جزءاً من تمجيد الرها، حيث رفعت من شأن حاكمها الى مرتبة البشير للإمبراطور قسطنطين. فقد شهدت على أرثوذكسية المسيحيين ضد الطوائف المنافسة عن طريق ربط سلطتها الاسقفية تاريخيا بأحد الرسل[٥٤]. وإجمالا، تأسست في الرها العديد من الجماعات المسيحية في القرن الثاني. ومازال هناك اليوم اقرار بإسهامات الرها في مجالات علم اللاهوت وعلم اللغة. لقد كانت موطن مدرسة الرها الشهيرة، والتي سميت أيضا مدرسة الفرس حيث كان يعلم فيها **أفرام السرياني** (٣٠٦-٣٧٣) بعد هربه من نصيبين في ٣٦٣م. وقد تطورت هذه المدرسة الى معقل للاهوت الأنطاكي، الذي وضع أساسا لعقيدة كنيسة المشرق. كذلك لا يمكن الشك في أن حقيقة كلا من اللغة والكتابة السريانيتين قد تطورتا من اللهجة الأرامية الرهاوية.

وكانت هذه اللغة المنتشرة إنتشاراً واسعا في سوريا وبلاد الفرث، واللغة المشتركة لمصر وآسيا الصغرى الى الهند، هي لغة الأم ليسوع وتنتمي الى عائلة اللغة السامية. وبعد أن بدأت في القرن الخامس ق.م، حلت محل العبرية كلغة عامية لليهود. كما إن أبجديتها ذات الأحرف الصامتة تطوير أبعد للغة الفينيقية. وبفضل التناغم في الإنجيل السرياني **لططيانس** (حوالي ١٧٠) م، والأناجيل الرباعية المسماة **بشيطتا** (Pshitta)، (حوالي ٤٠٠)، انتشرت السريانية بسرعة بين المسيحية الأسيوية[٥٥]. وأقدم نسخة لها هي الإسطرنجيلية التي تطورت بعد إنشقاق **اليعاقبة المايافيزتيين** (Jacobites) عن **النساطرة الدايوفيزيتيين** (Dyophysite Nestorians)، الى الكتابة السرطية (Serto) في الغرب في أوائل القرن الثامن، وفيما بعد الى الكتابة النسطورية في الشرق[٥٦]. وهي تعود ايضاً الى عالم الثقافة الكتابية الأرامية – جزئيا بسبب التبشير النسطوري في آسيا – الكتابة من اليمين الى الشمال أو من الأعلى إلى الأسفل **للسغديين** (Sogdians) و**الاوغوريين** (Uigurs) والمغول، والمنشوريين[٥٧]. وأخيرا، ومنذ القرن الرابع عشر، كتبت نصوص مسيحية غالباً بالعربية والكتابة السريانية المرتبطة بها، وهي الكرشوني، والتي لها مرة أخرى نسخة (كتابة) سريانية غربية ونسخة سريانية شرقية[٥٨].

ورغم أن السريانية مازال تستخدم اليوم في كلا الكنيستين السريانيتين كلغة طقسية، فإن استخدامها كلغة عامة أخذ بالزوال بسرعة، وخاصة بسبب الهجرة المسيحية الى البلدان الغربية. وفي الوقت الذي تتحدث فيه القلة الباقية من السريان الغربيين في **طور عابدين** في جنوب شرقي تركيا لهجة تسمى **طورويو**، فإن عائلة اللهجة السريانية الشرقية التي تسمى (سورث)**، مازال مستخدمة من قبل ما يقارب (٢٠٠٠٠٠) من النساطرة والكلدانيين في سهل الموصل، وفي بغداد، وأذربيجان الإيرانية، وفي منطقة الخابور شمال سوريا. لكن السورث، في الجلاء في أمريكا واستراليا، على اية حال آخذة بالزوال

* النبي جرجيس [المترجم]

** وهي اللغة الاشورية المعاصرة. (المدقق)

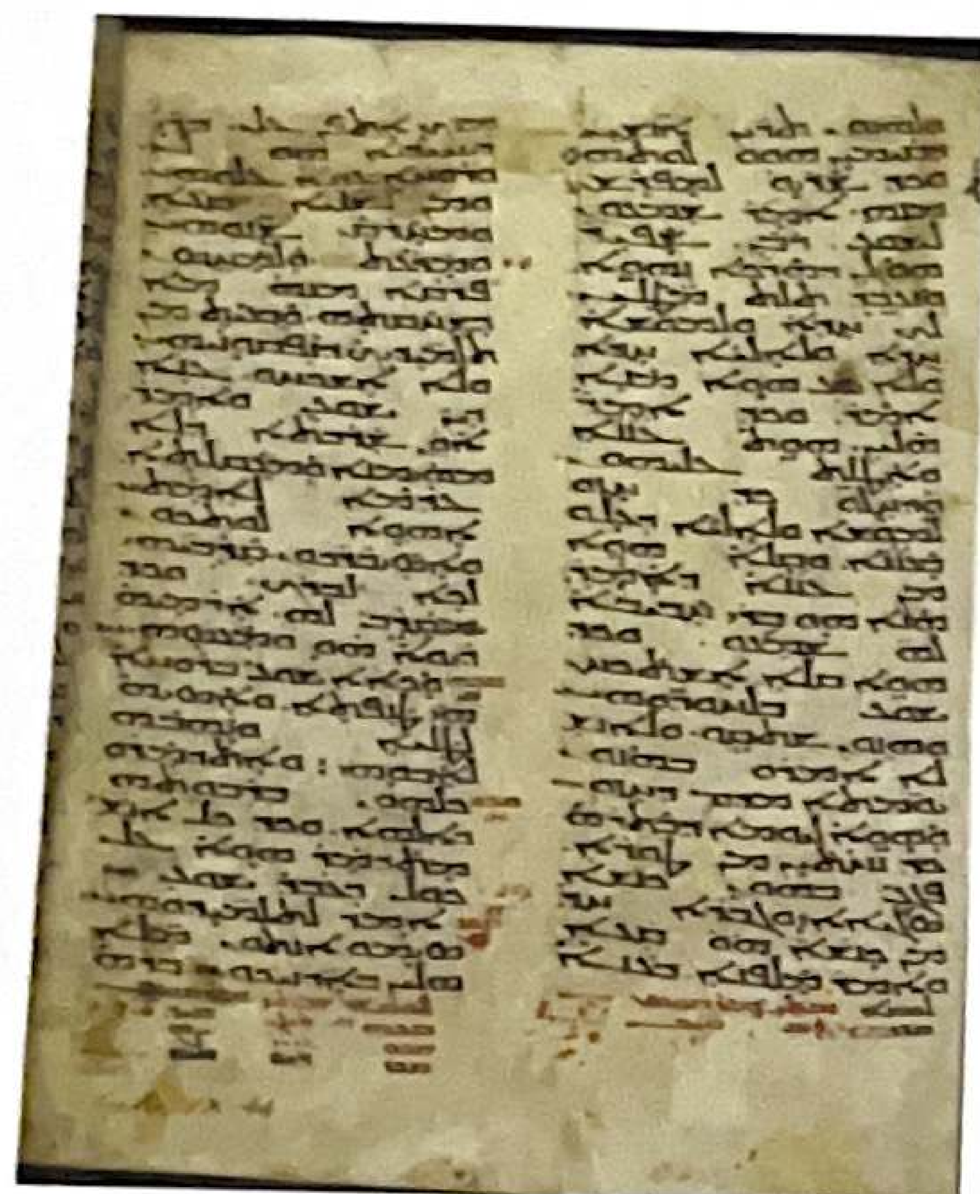
كلغة عامية. ومع ذلك فإن اللهجة السريانية الغربية، التي مازالت مستخدمة اليوم حول معلولة شمال دمشق، قد فقدت صلتها الدينية وتستخدم من قبل المسيحيين من مختلف الطوائف وكذلك من قبل المسلمين[٥٩].

مار ماري ورحلة التبشير الأولى الى الإمبراطورية الفرثية

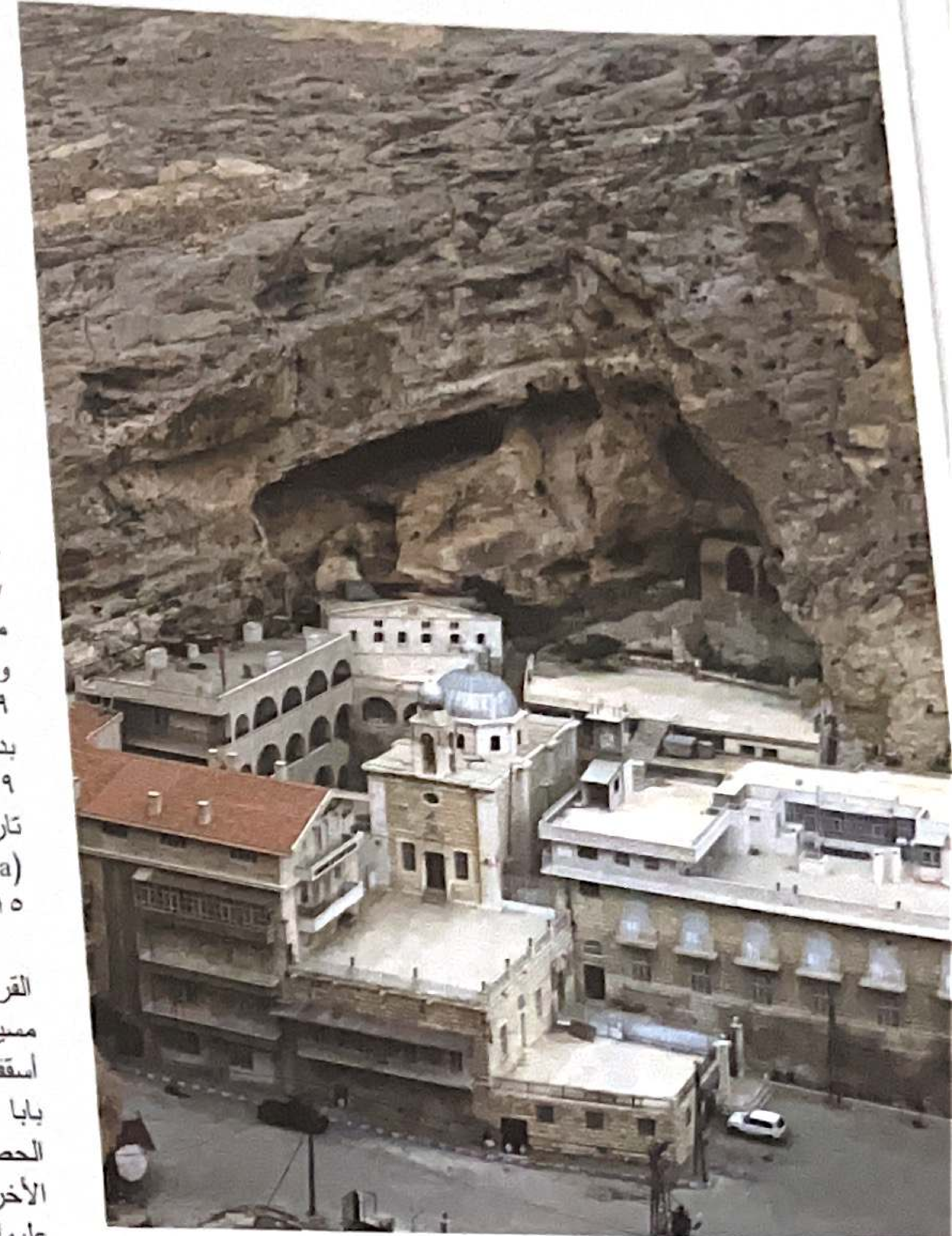
"إن إخوتنا من بلاد الفرث لا يتزوجون من امرأتين، والمسيحيون اليهود ليسوا مختونين، وأن أخوتنا من **كيلان** (Gilan) و**كوشان** (Kushan) لا يرتبطون بالغرباء، وأولئك الذين من فارس لا يتزوجون من بناتهم، والذين من ميديا لا يتخلون عن موتاهم ولا يرمون بهم للكلاب لتأكلهم، ولا يدفنون المحتضرين وهم مازالوا أحياء، وإن المسيحيين من الرها لا يقتلون زوجاتهم أو شقيقاتهم لإقترافهن الزنى، وأولئك الذين من **الحظر** (Hatra) لا يرجمون اللصوص"[٦٠]. إن هذا الإقتباس من "**كتاب شرائع البلدان**" **لبرديصان** من أوائل القرن الثالث ليس مجرد نصّ تعليمي بسبب وصف أخلاق شعوب آسيا المذكورة، بل يقدم كذلك دليلاً ذا قيمة حول الطريقة التي انتشرت بها المسيحية الى الشرق، بنهاية السلالة الفرثية (٢٢٤/٢٢٦)م، وينبغي أن تفهم بلاد الفرث هنا بانها ما بين النهرين، وفارس وميديا على أنهما ايران. وتقع كيلان الى الجنوب من بحر قزوين، وكانت **ترانسوخانيا** (Transoxania) في أقصى الطرف الغربي من **كوشان** العظمى، أما الحظر فتقع جنوب الموصل. وقد وجدت خلايا المسيحية عند بداية القرن الثالث في كل هذه المناطق. ولكن ماذا تقول المصادر الأخرى؟

تقول أعمال مار ماري السريانية من القرن السادس/ السابع، والتي تستأنف اسطورة **الملك أبجر**، **بأن الفضل يعود الى مار ماري** في التبشير الأول والكامل لما بين النهرين. وهو بمثابة رسول ما بين النهرين التي كان يجري نهراها، دجلة والفرات، حسب سفر التكوين خارج الفردوس (تك ٢: ١٤). وبحسب الأعمال، فإن مار أداي هو الذي أرسله من الرها الى الشرق. وعلم أولاً في نصيبين ثم انتقل الى اربيل، عاصمة إقليم حدياب في كردستان العراق الحالية، حيث قام بشفاء الملك من البرص وأخرج شيطانا من ابن أحد الضباط.

وفي طريقه الى الجنوب، قام مثل يسوع بشفاء المبتلين بالأمراض، وأخرج الشياطين



مخطوطة سايروس كيوريتونيانوس (Syrus Curetonianus). مخطوطة باللغة السريانية القديمة على رقعة مكتوبة بالخط الأسطرنجيلي، من أواسط القرن الخامس. (المتحف البريطاني، لندن. ملحق ١٤٤٥١ ص ٤٩ ف.)



من الممسوسين بل حتى أقام الأموات. وقد لاقى مقاومة في سلوقيا قطيسفون، فالمواطنون لم يكونوا يريدون شيئاً من البشرى السارة. ولم تتحقق بعض الإهتداءات إلا بعد عرض ناجح للحكم الإلهي الذي خرج منه الرسول من نار مستعرة دون أذى[٦١]، والتي حطم بعدها ماري معبداً وثنيا، وأقام على أطلاله معبداً- كاتدرائية كوخي المستقبلية. ثم اتبع دجلة نحو الجنوب ووصل البصرة الحالية، وختم رحلته في خوزستان وإقليم فارس. وتنتهي أعماله بمديح ماري الذي، و"مثل عمود من النار"، قاد المؤمنين عبر صحراء الجهل الى ملكوت الإنجيل[٦٢].

وتمثل الأعمال محاولة واضحة لإعطاء صورة، بان عملية جعل مركز المنطقة النسطورية مسيحيا، هي من عمل أحد الرسل. ولكن لا يمكن القبول بها على علاتها، رغم إعتقاد المؤرخ **حنا فيه** (J.M Fiey) بأن كنيسة **كوخي** تم تأسيسها في زمن ماري. وفيما يخص رواية معبد ماري وحقيقية أن نهر دجلة غير مجراه بين سنة ٧٩ و ١١٦، يخلص الى القول بأن ماري لا بد أن يكون قد وضع حجر الأساس قبل ١١٦/٧٩[٦٣]. ومع ذلك فإن أول اسقف مثبت تاريخياً لسلوقيا – قطيسفون هو الاسقف **بابا** (Papa) الذي خدم حوالي بين سنة ٢٩٠ حتى ٣١٥ وتوفي في سنة ٣٢٧.

ويمكن لنا أن نتأكد من أنه بدأت هناك في القرن الثاني في سلوقيا ــ قطيسفون جماعة مسيحية مستقلة اظهرت دلائل على بنية أسقفية في القرن الثالث. وقد حاول الأسقف بابا قبل ذلك مسبقاً في حوالي سنة ٣١٥ الحصول على الأولوية على الأبرشيات الأخرى للكنيسة، وفرض إدارة منظمة عليها. ورغم أن بابا نفسه فشل في تحقيق ذلك فإن الأساقفة الآخرين سرعان ما قبلوا بوجوب قيام اسقف العاصمة بتولي القيادة الادارية للكنيسة[٦٤]. وعلى أية حال، فإن من



(الصفحة السابقة) دير القديسة تقلا (Thecla) في معلولا، حيث ما تزال اللغة الآرامية مستخدمة. إن موقع الحج المهم هذا يذكر بإبنة القائد الروماني تقلا التي اصبحت تلميذة للرسول بولس ضد رغبة أبويها، ولجأت الى كهف في معلولا هربا من مضطهديها.

في الاعلى: القوس الكبير لكسرى العظيم (Chosrau the Great)، (حكم بين ٥٣١- ٥٧٩) في سلوقيا- قطيسفون، والذي زعم بأن شابور الأول (Shapur I) (حكم بين ٢٤٠/٤١ – ٢٧٢) كان بناه بواسطة سجناء الحرب المسيحيين.[٦٠] والإيوان أكبر قبة اسطوانية من الآجر في العالم. وكان الكرسي البطريكي للكنيسة حتى سنة ٧٨٠ في سلوقيا قطيسفون.

المؤكد بان ابرشية سلوقيا ــ قطيسفون، أي كنيسة المشرق الناشئة ــ لم تُخضع أبداً لأنطاكية. وأما التقارير التي تشير الى أن أسقف سلوقيا ــ قطيسفون كان بحاجة الى اعتراف أسقف انطاكية فليست إلا تحريفات متأخرة. وأما التقرير الوارد في مجموعة قوانين نيقيا (corpus of Nicea) سنة ٣٢٥، والذي لا يجوز بموجبه أن يعقد أي مجلس لكنيسة المشرق دون موافقة بطريرك انطاكية، فهو الآخر حاشية منحولة من القرن الخامس[٦٥].

ويتيح التسلسل الزمني لحدياب، الذي يعود الى القرن السادس، معلومات حول المنطقة الواقعة شمال بغداد. وبحسب هذا التاريخ المتنازع عليه[٦٦]، فإن مار أداي قام شخصياً برسامة أول أسقف، مار بقيذا (بقي في المنصب بين ١٠٤ــ ١١٤) م، وهو زعيم يبدو في غاية الجراة[٦٧]. وعلى أية حال، فإن الظروف في حدياب كانت مؤاتية للقيام بالجهود التبشيرية الاولى، طالما، وكما هو الحال في الرها ونصيبين، كانت هناك جماعة يهودية كبيرة وحيث اعتنق الأمير الفرثي التابع **آيزيتس** (Izates) اليهودية حوالي سنة ٦٠م. وكانت هناك أيضاً روابط دبلوماسية وتجارية بين الرها وحدياب، لأن العائليتن الأميريتين كانتا مرتبطتين أحداهما مع الأخرى[٦٨]. ومن المؤكد بأن ططيانس (Tatian)، حوالي (١١٠ــ١٨٠) م، مؤلف العمل التفسيري الذي ينسق الأناجيل الأربعة في رواية واحدة والمسمى **دياطسرون**

(Diatessaron)، عاد الى وطنه في آشور، وفي أكبر الظن الى حدياب، بعد أدانته في روما في حوالي سنة ١٧٢م. وقد وصف نفسه بالفخور لكونه آشوريا وازدرى بالعالم الهلنستي. وهكذا ينتهي "**خطاب الى الإغريقي**" الذي كتبه: "إن الشرق متفوق من كل النواحي ولا سيما في ديانته، الديانة المسيحية التي تأتي أيضاً من آسيا والتي هي أقدم بكثير وأصحّ من كل الفلسفات والخرافات الدينية الفجة للإغريق"[٦٩].

وبعد عودته، نشر إنجيله في آشور، وقام بتعليم صيغة صارمة من الترويضية. إن الترويض المتصلب ذاك ـ الذي أدين في الغرب على أنه ضرب من **الانكراتية** (Encratism)- التي كانت تلزم المسيحيين الحقيقيين بالإنفصال عن العالم ومسراته لانها كانت تشجب المادة كشرّ بحد ذاته، حيث تركت علامة حاسمة في الحياة الرهبانية السريانية الشرقية.

كذلك كانت هناك في نصيبين، التي تقع في منتصف الطريق بين الرها وحدياب، جماعات مسيحية عند نهاية القرن الثاني، كما يتضح من النقوش على ضريح أسقف **هيرابوليس** (Hierapolis) **المدعو أفيرسيوس مارسيللوس** (Avircius Marcellus)[٧٠]. وكانت نصيبين مدينة حدودية يتقاتل عليها الرومان والفرس، والتي حولت الى قلعة محصنة على شكل قلعة ضخمة من قبل الأمبراطور **ديوقليطيان** (Diocletian) في سنة ٢٩٧م. وأول أسقف لنصيبين الذي يتوفر له الدليل التاريخي هو **يعقوب** (+٣٣٨) الذي كان في يوم ما ترويضياً، والذي اعتلى الكرسي في حوالي سنة٣٠١ أو ٣٠٨. ومنذ ٣١٣ حتى ٣٢٠ كان الاسقف يعقوب قد بنى الكاتدرائية العظيمة المسماة العظيمة المسماة باسمه، والتي أضاف إليها الأسقف **فولوغوس** (Vologes) في سنة ٣٥٩ بيت المعمودية الذي مايزال قائما حتى اليوم. وقام المطرافوليط **سوريشوع** الأول بعد ذلك بإعادة بناء الكاتدرائية المدمرة ودمج معها بيت المعمودية كمعبد جنوبي[٧١]. كما أن "اكتشاف" المكان الذي رست فيه سفينة نوح يعود هو الأخر الى الاسقف يعقوب. ولم يكن ذلك المكان حسب التقليد السرياني هو جبل ارارات بل جبل جودي الى الشرق من جزيرة **سيزري** (Cizre) في جنوب شرق تركيا، حيث ما تزال خرائب الدير النسطوري قائمة[٧٢].

وفي طور عابدين "جبل الخدم" كان قد قام ومنذ القرن الرابع فما بعد، واحد من أشهر مراكز الرهبنة السريانية جُمعت رهبناته وأديرته في مكان مرتفع عن سهل نصيبين في جبال **إيزلا**. ومن بين أعضاء اقدم الأديرة السريانية الشرقية، والتي تعود الى أوائل القرن الرابع، هم **مار أوجين ومار يوحنان ومار ملكي**، رغم أن الأخير تحول في وقت مبكر يعود الى القرن السابع الى الكنيسة السريانية الأرثوذكسية، والتي تسمى أيضاً اليعقوبية. وفي القرن السابع اصبح الدير الكبير الذي أسسه في ٥٧١م مصلح الرهبنة النسطورية **ابراهيم الكشكري** (٤٩١ـ ٥٨٦)، مصدر لتجديد الروح السريانية الشرقية[٧٣]. كما اصبحت جبال ايزلا في بداية القرن السابع مكان التقاء كنيستين سريانيتين شقيقتين، هما النسطورية واليعقوبية.

وقد انتهى الكرسي المطرافوليطي النسطوري في نصيبين رسميا في ١٦١٦، وغادر آخر الرهبان النساطرة دير مار اوجين بين سنة١٨٣٨و ١٨٤٢[٧٤]. ومع ذلك لم تكن شهرة نصيبين مبنية على أديرة جبال



كنيسة مار يعقوب والتي انشأت عام ٣١٣ م في نصيبين، جنوب شرق تركيا حالياً، والذي أسسها هو مار يعقوب عضو سينودس نيقيا عام ٣٢٥ م. وفي القرن الثامن جدد هذه الكاتدرائية المطرافوليط النسطوري مار سبريشوع الاول. الجزء المتبقي الاقدم هو بيت العماذ من عام ٣٥٩ م، الظاهر في اسفل الصورة. كانت نصيبين مدينة مطرافوليطية للكنيسة المشرقية لغاية ١٦١٦ م[٦٦]. وفي عام ١٩١٥ قضت المذابح التركية على اخر وجود مسيحي فيها.

ايزلا فحسب، بل أيضاً على مدرسة نصيبين التي كانت تعود كذلك الى زمن الاسقف يعقوب الذي أراد أن يحارب **الأريوسية** التي أدينت في مجمع نيقية في ٣٢٥م. ونحن نعلم، على اية حال، بأنه عين **افرام السرياني** مفسراً كتابياً. وعندما سلمت المدينة الى الملك الساساني **شابور الثاني** في ٣٦٣، توقف التعليم المسيحي، وفر افرام الى الرها الرومانية، حيث علمّ حتى وفاته مسانداً أسقفه في القتال ضد الآريوسية[٧٥].

ولنلتفت الآن الى دلتا دجلة والفرات، حيث تشير الأدلة الى أن المنطقة حول ميناء البصرة في جنوب العراق، التي كانت تعرف آنذاك **بفرات ميشان**، قد رقيت الى مرتبة الكرسي المطرافوليطي بعد سنة ٣١٠ بفترة قصيرة[٧٦]. بعد ما زعم من قيام أسقف سابق هو **داوُد البصري** بأعمال تبشيرية في الهند[٧٧]. والتي يمكن للمرء ان يستنتج بأن الجماعات المسيحية وجدت هنا أيضاً في القرن الثالث. ومما يدعم هذا الزعم كذلك هو اكتشاف قبور مسيحية عليها كتابات سريانية من أواسط القرن الثالث في جزيرة الخرج (Kharg) في أعالي الخليج الفارسي. وقد اظهرت التنقيبات الأثرية بأنه كان يقوم هناك في الجزيرة عقب ذلك بعد القرن الخامس وحتى القرن الحادي عشر دير نسطوري يحتوي ستين صومعة. وقد تضمن الدير كنيسة بثلاثة صحون كانت جدرانها مزينة بزخارف جصية وفق الأسلوب الساساني. وقد كانت الجزيرة في تلك الأيام بمثابة

مركز للسفن من الهند والصين في طريقها الى ما بين النهرين. إن اكتشاف عدد لا يحصى من قطع الزجاج يسمح بالافتراض بان الرهبان أنفسهم كانوا ينتجون الزجاج للتصدير[٧٨].

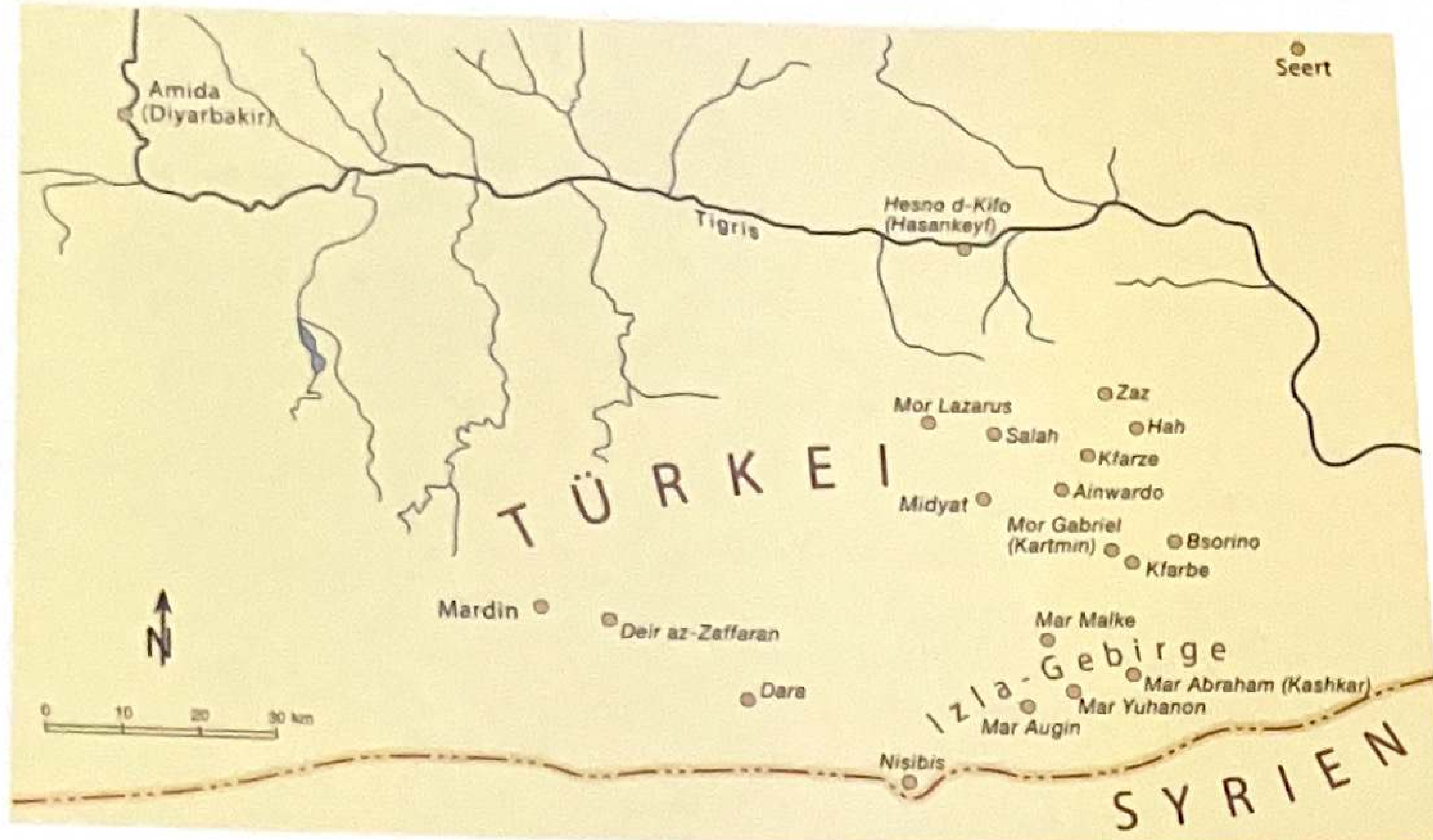
وعند التأمل في السؤال حول الذين لاقت المسيحية القبول عندهم اولاً في ما بين النهرين، نجد بان هناك أربعة مجموعات لها صلة بالموضوع: الأولى، يهود الشتات الذين كانوا يشكلون عدداً مهماً، والثانية، المواطنون الأصليون الآراميون، والآشوريون والكلدانيون في شمال ما بين النهرين الذين انظم اليهم الفرس عند نهاية القرن الثالث. وبدأ بمنتصف القرن الثالث تدفق الى الأمبراطورية الساسانية لاجئون مسيحيون إضافيون هرباً من الإضطهادات الأباطرة الرومان **ديقيوس** (Decius) في سنة ٢٥٠، و**فاليريان** في سنة٢٥٧- ٢٥٨ و**ديوقليطيان** (Diocletian) في سنة ٣٠٣-٣٠٤. أما المجموعة الرابعة المهمة عددياً، فهم سجناء الحرب الرومان ومن بعدهم البيزنطيون والمبعدون الذين قام الملوك الساسانيون بإعادة اسكانهم في امبراطوريتهم مع بداية منتصف القرن الثالث ايضاً. ففي سنة ٢٦٠ مثلا، قام **شابور الأول**، (حكم بين٢٤٠_ ٢٧٢) بتدمير سوريا وقيليقية وقبدوقية وغزا انطاكية التي رحّل منها عشرات الآلاف من المسيحيين بضمنهم الأسقف **ديميتريوس** (Demetrius) وقام بإعادة إسكانهم في ما بين النهرين وإقليم **سوسه** (Susiana) القديم. وهناك شيد مدينة **جنديسابور**، المسماة **بيت لابات** من قبل السريان. ومع ذلك فإن المسيحيين المرحلين من اصل يوناني رفضوا أن يندمجوا في كنيسة المشرق، وقاموا بدلاً من ذلك بتكوين جمعياتهم الأسقفية الخاصة بهم والتي استخدمت الإغريقية لغة لطقسهم. وكان الكاهن الزرادشتي الأكبر **كارتير** (Kartir) الخائف من كل ما هو أجنبي، مدركا ايضا ذلك التمييز ضمن المسيحية، من خلال تمييزه في نقشه المسمى **نقش رجب** (Naqsh-Radjab)، (حوالي ٢٩٠م)، بين "نصرايي" المتحدثين بالارامية و "كرستياني" المتحدثين باللغة اليونانية[٧٩]. ولم يضع حداً لهذه الإزدواجية في التسلسل الهرمي لسلطة الكنيسة، إلا بعد إعادة بناء التركيب الكنسي عقب الإضطهاد السبعيني وكان ذلك في إنعقاد سينودس سنة ٤١٠م.

وكان أسرى الحرب فيما بعد إما ارثوذكسيين موالين لخلقيدونية أو من **المايافيزتيين** الذين كونوا جمعياتهم الخاصة بهم دون أن يندمجوا. وقد خضع احتكار كنيسة المشرق للمسيحية الساسانية لضغط عظيم أكثر عندما لجأ المايافيزيتيون، الذين أضطهدوا في الأمبراطورية البيزنطية بدء من ٥١٩، الى شرقي الفرات، وأقاموا سلطتهم الكنيسة هناك. وقد ساعدت موجات الهجرة العظيمة هذه للاجئين المسيحيين في توضيح حقيقة أنه، رغم أن المسيحيين كانوا يشكلون نصف سكان الإمبراطورية الإيرانية تقريباً في بداية القرن السابع، فإن حوالي ٧٥ بالمئة منهم كانوا نساطرة، و٢٠ بالمئة ملكيين موالين لخلقيدونيا[٨٠].

وعند إعادة النظر في الأحداث، نجد هناك ثلاثة عوامل ساهمت في النجاح السريع للجهود التبشيرية في الشرق، الأول: كانت تعيش جماعات يهودية مهمة في المنفى في ما بين النهرين. والثاني: هو ان اللغة الآرامية كانت بمثابة اللغة المشتركة من انطاكية حتى آسيا الوسطى حيث مكنت



دير ما اوجين، الذي اسسه الرهبان السريان الشرقيون في اوائل القرن الرابع والذي كان حتّى ١٦٢٩ معقلاً للرهبنة النسطورية. وقد توفي آخر راهب سرياني ارثوذكسي في هذا الدير عام ١٩٧٤. وما زالت اطلال الأديرة النسطورية في السابق لمار يوحنا ومار ابراهام الكبير ومار ملكي، شاخصة بالغرب من دير مار اوجين١٢



الاماكن والاديرة المسيحية في طور عبدين

المبشرين من التواصل بسهولة مع كل من التجار اليهود وغير اليهود وأعضاء من الطبقات العليا. والثالث: إن التسيج الضيق لمسالك طريق الحرير سهل انتشار الديانات الجديدة.

ورغم أن الحدود الرومانية الفرثية كان مسيطر عليها سيطرة تامة، تمكن تجار أو مبشرون متنكرون كتجار، من اجتيازها دون أن يمنعوا. وفي الحقيقة فإن تبشير ما بين النهرين، والتي تحركت من الرها الى نصيبين وأربيل وسلوقيا- قطيسفون وميشان، إتبع المسالك البرية لطريق الحرير. ثم مكنت المسالك البحرية من توسيع النشاط التبشيري الى جزيرة الخرج وسوقوطرا (Socotra) وكذلك جنوب الهند في اغلب الظن.

المسيحيون التوماويون في جنوب الهند

"[وقال له المخلص:] لا تخف، يا توما، من الذهاب الى الهند وتبشير العالم هناك، لأن نعمتي معك. لكنه لم يطع وقال: أرسلني أينما شئت، ولكن الى مكان آخر! لأني لن أذهب الى الهنود" أعمال توما"[٨٠].

ومثلما رفض يونان في يوم ما الذهاب الى نينوى بأمر من الله وكيف أن الله زين له الذهاب الى هناك بمساعدة حوت، كذلك يعصي توما أمر يسوع. وكذلك يحتال عليه يسوع – الذي يشار اليه في اعمال توما بالأخ التوأم للرسول. وهكذا عندما يصادف تاجراً من الهند قد أوصاه الملك **غوندوفريز** بأن يجلب له بناءا ونجارا، يقوم يسوع ببيع أخيه توما له. فيسافر التاجر مع توما بحرا الى الهند ويقدمه الى ملكه الذي يكلفه ببناء قصر. لكنه بدلا من ذلك يمضي أشهرا في توزيع المال الذي عهد به اليه، حتى يأمر الملك توما بأن يريه القصر الذي يدعي أنه قد أكمله. فيقول له الرسول، "لا يمكن لك أن تراه الآن، بل ستراه عندما تكون قد فارقت هذه الحياة". إن الرسالة واضحة وتتسم بفكر الأفلاطونية الجديدة: إن العالم الذي نفترض نحن بأنه صحيح ليس واقعيا وغير مهم، وإن العالم الحقيقي يقع في الجانب الآخر، ولا يمكن بلوغه إلا لعين العقل المنوّر.

فيغضب الملك الجاهل ويقرر سلخ جلد توما وحرقه. ثم يموت شقيق الملك المدعو غد (Gad) وتحمل الملائكة روحه الى السماء، حيث يتعين عليه أن يختار بيته الجديد. فيختار من بين كل القصور القصر الذي بناه الرسول والذي تنكره عليه الملائكة. لكنهم يسمحون له بأن يعود الى الأرض لشراء القصر من أخيه. فيطلب الملك من توما "كخادم الله" المغفرة والمشورة. ويشك الملك بأن بناءه هو يسوع المسيح، الذي يظهر له على هيئة أخيه التوأم، وهذا أيضا عنصر غنوصي. فيقوم الرسول وقد أخذ منه الفرح كل مأخذ، بتقديم الأسرار الكنسية المقدسة الثلاثة الى الملك جاعلا منه مسيحيا. وهذه الأسرار المقدسة هي: ختم المعمودية، وختم الميرون، والأفخارستيا"[٨١].

وفي الفصل الأخير من الأعمال يغادر توما الملك، ويسافر الى جنوب الهند، حيث يموت شهيدا في **ميلابور** (Mylapore) قرب مدراس. وبحسب التقليد الهندي، فإن توما لم يسافر مباشرة من مملكة غوندوفريز الى مدراس، بل بلغ بالأحرى اليابسة في جزيرة **مالنكارا** (Malankara) في خليج (خور) **غرانغانور** (Granganore) في المنطقة الساحلية لكيرالا (Kerala).

وهنا قام توما بتأسيس سبعة كنائس على طول ساحل **مليبار** قبل أن يقتل في حوالي سنة ٦٨م في **ميلابور**. ويذكر هذا التقليد أيضا من قبل الأسماء الرسمية لست من بين ثمانية من الكنائس الشرقية في الهند، والتي تتضمن اشارات إما الى مالنقار أو مليبار"[٨٣]. كما تقطع ذخائر القديس هي الأخرى رحلة طويلة. فقد نقلت في حوالي سنة ٣٧٠ الى الرها، حيث بقيت هناك، ثم نقلت قبل سقوط دولة الرها الصليبية في ١١١٤ الى جزيرة **كيوس** (Chios) ثم مرة أخرى في ١٢٥٨ الى **أورتونا** (Ortona) على ساحل بحر الأدرياتيك للحفاظ عليها.

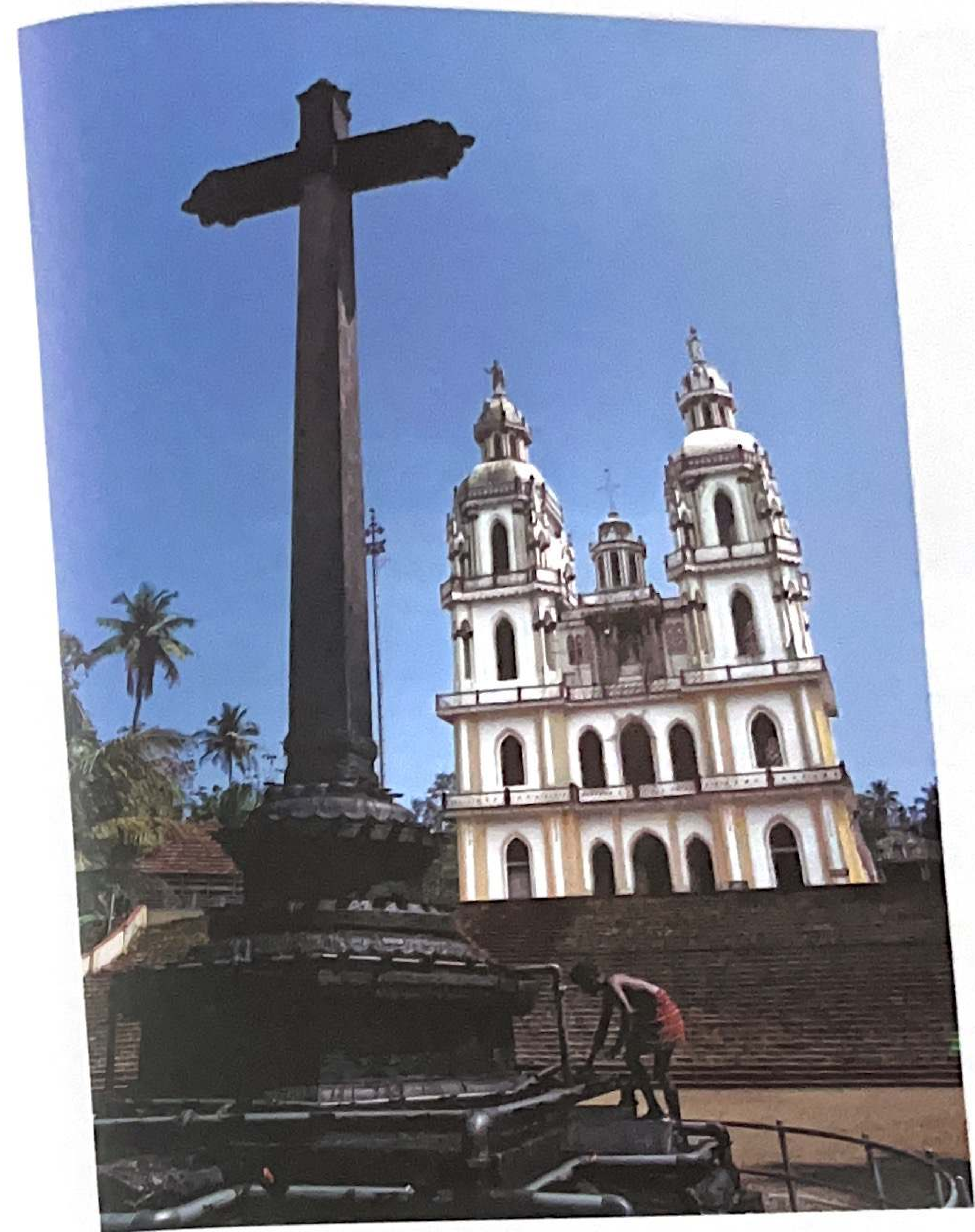
وفي سنة ١٩٥٣ عادت الذخائر الى حيث كانت، عندما منح الفاتيكان الذراع الأيمن للرسول الى ضريح توما الحديث البناء في **غرانغانور**. ولا يوجد هناك دليل على بعثة رسولية الى كيرالا. ومع ذلك، تشير الأدلة الكثيرة الى أن العلاقات الدبلوماسية إضافة الى التجارة المزدهرة، كانت موجودة بين الإمبراطورية الرومانية والساحل الغربي للهند. وبفضل المعرفة برياح المونسون (monsoon)، كان بإمكان السفن عبور المحيط الهندي بين مصر وكرانغانور، الذي كان الرومان يسمونه **موزيريس** (Muziris)، في أقل من شهرين. وقد أشار **بليني** (Pliny) الأكبر الى موزيريس بأنه "ميناء الهند الأول" كما أن **سترابو** (Strabo)، **بين (٦٣ ق.م – ٢١ م) ذكر بأن** (١٢٠) سفينة كانت تربط بين القارتين في كل سنة. إن إكتشاف ٢٣٠٠ من القطع النقدية الرومانية من الفترة بين١٢٣ق.م الى ١١٧م يشهد على أهمية تلك العلاقات التجارية"[٨٤].



الرسول توما، اكثر رسل كنيسة المشرق تكريما، في كتاب الإنجيل المصور من ورق الرق من ماردين. وقد اعطي الى كنيسة أم الله في زيد Ziad في سنة ١٢٧٢ من قبل الأسقف ديوسقورس (١٢٢٢- ١٢٨٢)، الذي قام بتجليده. وكان مالكها الأصلي يسمى ابو شهاق. ولعله قلتوني نسطوري، توفي في ٩١٢م. أما كون الصور التوضيحية أقدم في الحقيقة من النص المكتوب بخط سرطاء، فأمر مشكوك فيه."[٨٧] (مكتبة كنيسة الأربعين شهيد، ماردين، تركيا).

وقد يكون أول دليل تاريخي على وجود جماعة مسيحية مستقلة في كيرالا هو **بانتيونوس** (Pantaenu) الذي أرسل حسب ما يذهب إليه أوسابيوس و**جيروم**، من قبل أسقفه بين سنوات ١٨٠ و ١٩٠ من الأسكندرية الى الهند حيث صادف مسيحيين"[٨٥]. وبعد ذلك بقرن من الزمان سافر الأسقف داود البصري، الذي مرّ ذكره أعلاه، الى الهند في حوالي سنة ٢٩٥/ ٣٠٠ ليقيم أول اتصال رسمي بين مسيحي توما في جنوب الهند وكنيسة المشرق"[٨٦]. وبعد ذلك في حوالي سنة ٣٤٥، قام أسقف اخر هو **يوسف الرهاوي** – الذي كان قد وقع اسمه في مجمع نيقية على أنه "مطران كل كنائس فارس وهند العظيمة" بزيارة كيرالا. ويزعم بأن الإندماج الهرمي لمسيحي توما في كنيسة

صليب من الحجر قبالة كنيسة ما ماري النسطورية سابقاً في كورافالانغاد (Kuravalangad) في كيرالا يحمل نقوشاً بالفارسية، من القرن السابع/ التاسع. كما يوجد هناك نقش على ناقوس الكنيسة العظيم من البرونز من سنة ١٥٨٤. [١٤] وتعود الكنيسة اليوم لكنيسة الروم الكاثوليك.



صليب نسطوري من الحجر، الان في كنيسة السريان الارثوذكس في فاليا بالي في كوتايام، كيرالا Kottayam, kerala منذ القرون السادس/ التاسع. تشير الى العلاقة القريبة بين كنيسة المشرق ومسيحيو توما في كيرالا. تنص الكتابة على: "كل من يؤمن بالمسيح وبالله الاب وبالروح القدس يحيا في نعمة ذلك الذي حمل الصليب" ١٥.



القســـري للمسيحيين السريان الـشرقيين في كيرالا الى كنيسة الروم الكاثوليـك فـي عام ١٥٩٩، بدأ بالأسـقف يوسـف. وقـد جعلت هذه العلاقة مع مسيحي توما رسـمية في حـوالي سـنة ٤١٠ أو ٤٢٠ بتـشكيل الكرسي البطريركي لـــ **روّ أردشير** (Rew Ardashir) التي كانت تحكم كل الأبرشـيات الهندية[٨٧].

وثمة جدال حـول الـدليلين التـاريخيين الأخـرين، ويتعلـق أحـدهما بـالمبعوث البيزنطي والأسقف **ثيوفيلوس** الـذي مـن المؤكد أنه
زار **مملكة حمْيَرْ** في اليمن الحديثة قبل سنة ٣٥٦م، لكنه لم يزر الهند في أكبر الظن[٨٨]. ويرتبط الدليل الاخر المشكوك فيه بالتـاجر، **توما القانـــي** (Thomas of Kana)، الذي، وحسـب ما يذهب اليه المصدر، نـزل في غرانغانور مع ٧٢ أسرة في سنوات ٣٤٥ و ٧٥٤ و ٧٧٤ أو ٧٩٥[٨٩]. وحتـى لو بـدت هذه المعلومات غير قابلة للتصديق، فما يمكن تـصوره هـو أن المـسيحيين فـروا مـن الإمبراطورية الـساسانية الـى الهنـد قبـل الإضطهادات القاسية التـي أقامهـا شـابور الثاني في حوالي سنة ٣٤١م. وممـا يمكـن الوثوق به أكثـر هـو الإشـارة مـن قبـل مطرافوليط مرو (Merv)، **إيشوعداد**، من أن كاهناً من الهند يـدعى داؤد قـام بترجمـة **رسائلة الى أهل رومية** الى الفارسية في سنة ٤٢٥[٩٠].

وبعد ذلك بقرن من الزمـان قـام بحـار مصري، وهو يكتب تحت اسم وهمي بصغية **كوزمـــاس إنديكوبليستس** (Cosmas



أماكن المسـيحيين فـي كيرالا

(Indicopleustes) - نشر العديد عنه بعد القرن الميلادي بعنوان "الطبوغرافية المسيحية" Topographia Christiana التي يصف العالم الى كثرة ذل كقرص، وكان فيه هذا الكتاب الموجه الى البطريرك النسطوري مار أبا في وصف الجماعات المسيحية التي صادفها اثناء رحلته البحرية لسنة ٥٢٥م الى الهند وسري لانكا حيث يقول "حتى في تبروبان (Taprobane)- [سري لانكا]، هناك كنيسة للمسيحيين الى جانب الكهنة والمؤمنين. ولا أعرف فيما بعد تلك الجزيرة كنيسة من المسيحيين الفرس وكاهن معين من قبل فارس".

أما بخصوص الهند فنحن نعلم بأنه كان هناك مسيحيون في منطقة ملي [ملبار].

حيث ينمو الفلفل". كما هناك أيضاً في كاليانا (Calliana) [مدينة قيلون Quilon] اسقف الذي يجري تعيينه من قبل فارس. كذلك في جزيرة ديوسقوريدس [سوقطرة Socotra] في المحيط الهندي، هناك أيضاً اكليروس، اللغة اليونانية وهناك كنيسة يتقبل رسامتهم في فارس ثم يرسلون الى الجزيرة ويوجد هناك مجموعة من المسيحيين".

ويظهر هذا التقرير انتشار الجماعات المسيحية في سوقطرة وسري لانكا وجنوب الهند في كنيسة المشرق، ونتيجة الخلاف بين البطريرك ايشوعيب الثالث (شغل المنصب في ٦٥٠-٦٦٠م) وبطريرك فارس ريوأردشير [illegible] الذي حرض مسيحيي توما على العصيان ضد البطريرك، فقام الاخير بإقالة الأساقفة الهنود من الكرسي

المطرافوليطي الثائر وأقام كرسياً مطرافوليطياً للهند تحت سلطته المباشرة، وتم الإعتراف به فيما بعد من قبل البطريرك **طيماثاوس الأول** (شغل المنصب في سنة ٧٨٠- ٨٢٣)[٩٢].

ورغم أن كيرالا هي اليوم موطن حوالي ٣٠٠ كنيسة، ولكن ليس بينها هياكل من الألف الأول، طالما أنها قد أعيد بناؤها أو شيدت من جديد بعد القرن الخامس عشر. ومن بين الإستثناءات القليلة لذلك، هي بقايا كنيسة في سوكورتا[٩٣]، وصليب "نسطوري" منحوت في عمود في المدينة الملكية القديمة **أنورادبورا** (Anuradpura) في سري لانكا[٩٤]، وحفنة من شواهد القبور في كيرالا، مثل شاهد القبر في **ماناركاد** (Manarcad) من سنة ٩١٠، والصليب المصنوع من الحجر والبالغ إرتفاعه حوالي ثلاثة أمتار، قبالة كنيسة ماري في **كورافالانغاد**، وما لا يقل عن خمسة صلبان من الحجر من نوع النحت البارز، والتي يبلغ ارتفاعها حوالي (٨٠ الى ١٠٠) سم وعرضها (٦٠ الى ٨٠) سم[٩٥]. وقد عثر على صليب آخر من قبل البرتغاليين في سنة ١٥٤٧ في ميلابور.

هذه الصلبان على نوعين، ويمكن العثور على نموذج لها في كنيسة **فاليا بالي** (Valiya Palli) في **كوتايام** (Kottayam) التي شيدت في سنة ١٥٥٠، والتي تعود اليوم الى الكنيسة السريانية الأرثوذكسية. وكانت هذه الصلبان قد أخذت من كنائس اقدم بكثير تعود الى القرنين السادس والتاسع، وتقوم في المذبح في الممر الجانبي الشمالي، وآخر أكبر بعض الشيء، من القرن العاشر، يقف في الممر الجانبي الجنوبي. كما دون نفس النقش باللغة البهلوية (Pahlavi)، (الفارسية الوسطى) على طول الحافة الخارجية لكل صليب. وقد كتب عليها: "إن الذي يؤمن بالمشيخا والله في الأعالي وبالروح القدس يفتدى بنعمة الذي حمل الصليب". ويبين الصليب الثاني نقشاً ثانياً مكتوباً بالإسطرنجيلي ومقتبس من **رسالة الى أهل غلاطية (٦: ١٤): "دعني لا امجد إلا صليب ربنا يسوع المسيح"**[٩٦].

والأهم من ذلك هما الوثيقتان المدونتان على مجموعة ستة الواح من النحاس، والتي بقيت منها خمسة. توجد أثنتان منها في المقر البطريركي لكنيسة مار توما في **تيروفالا**، بينما تحتفظ بثلاثة منها كنيسة مالانكار السريانية الأرثوذكسية في كوتايام. وتقر الوثيقة الأقدم بأنه في سنة ٧٧٤ منح **الملك فيرا راجهافا جاكرافاتي** King Vira Raghava Chakravati الأمتيازات التالية للمسيحي **أيرافي كورتان** (Iravi Kortan) من **كرانغانور**(Cranganore): لقب بقائد نقابة التجار و"سيد المدينة" وكان يحق له "أن يستوفي عمولة سمسار ورسوم كمركية على كل ما يمكن وزنه وقياسة وتعداده". إضافة الى ذلك، كان بإمكانه أن يحمل سيفاً ويستخدم مراسلين شخصيين ويستخدم الشعارات الاميرية مثل شارة السلطة و"المظلة الملكية". وهذه الحقوق "تنتقل الى إبنه وحفيده ما دامت الشمس والقمر". وهذه الوثيقة منقوشة بلغة التاميل القديمة والكتابة التاميلية ــ الغرانثائية (Tamil Grantha) المختلطة، ومكتوبة على كلا الجانبين على طول اللوح[٩٧]. إن تعبير هذه الوثيقة يوضح بأن هذه العائلة المسيحية كانت تعد مساوية لثاني أسمى طبقة هندية هي طبقة النبلاء المحاربين.

وفي الوثيقة الثانية التي تعود الى سنة ٨٤٩ (أو ٨٢٤)، في زمن الملك الهندي



اللوح النحاسي الثاني، يعود الى عام ٨٤٩، تم اكتشافه في القلاية البطريركية لكنيسة مار توما في تيروفالا. الكتابة على اللوح جاءت على وجه واحد، وباللغة التاميلية القديمة وبالخط الفتيلاتو (vatellatu).

الجنوبي **ستانو رافي** (Stano Ravi)، منح الحاكم **أتيكال تيروفاتيكيال** (Atikal Tiruvatkial) كنيسة تيريزا في **كوللام** (Kollam)، **قيلون** (Quilon)، التي كانت شيدت في سنة ٨٢٤ من قبل **مروان سابير أيسو** (Marvan Sapir Iso)، امتياز فرض الضريبة والسلطة القضائية المطلقة على عدد معين من العائلات الرعايا. والأسم مروان سابير أيسو، تحريف للقب السرياني الأسقفي (مار) واسم سبريشوع الذي يعني **يسوع أملي**. وتؤكد الوثيقة على تقليد لاحق من القرنين السادس عشر / السابع عشر، التي تروي وصول الأساقفة **مار سبريشوع ومار بيروز** (Mar Piruz) الى قيلون. كذلك احتفظ المسيحيون في منطقة معينة بامتياز فرض الضرائب الكمركية والسيطرة على تقييس وإدارة الختم الملكي. وتحتوي وثيقة إضافية على المزيد من التفاصيل وتذكر بأن احداً قام بإنشاء حدود هذه المنطقة المتنازل عنها رسمياً في احتفال تم خلاله اقتياد انثى فيل على طول تلك الحدود[٩٨]. وقد تم تأشير اسماء الشهود على جانبي اللوح بالعربية، بإستخدام الخط الكوفي، والبهلوية والعبرية. وتذكر المصادر الأقدم، لوحات إضافية، لكنها قد فقدت.

٣ـ من التنوع الى الوحدة: آباء الكنيسة والهراطقة

"لان معرفتنا ناقصة ونبوّاتنا ناقصة".
رسالة بولس الأولى الى أهل كورنثوس ٩ :٣١

مفهوم الثالوث الأقدس ومسألة طبيعة المسيح

كان صرح المسيحية في مستهل القرن الثاني، بالتعبير المجازي، يقف مثل سقالة (منصة) عظيمة، او لنقل، أكثر من ذلك بقليل. دون أن يكون له اكليرس منظم ولا رموز واضحة ولا قانون لتعاليم يسوع، ولا فهم عام عن الله. وقد بقي اغلب البناء ينتظر اتمامه، وساهم في العمل العديد من المعماريين برؤى ومخططات متباينة. وبعكس **المانوية** (Manichaeism)، التي وضع فيها مؤسس الديانة نفسه اساسيات عقيدته، والإسلام، الذي وضع فيه نص الوحي الإلهي بصيغته الإلهية بعد عشرين سنة من وفاة النبي تقريباً. فإن العملية المماثلة لها في المسيحية، والتي اعتمد فيها "اكتشاف الحقيقة" على عمل آباء الكنيسة والسينودسات والمجالس والتحريمات، قد استمرت لما يقارب الخمسمائة سنة[١]. ونتيجة لهذا التطور البطيء في ارثوذكسية الكنيسة، برزت الى الوجود العديد من العقائد المتشعبة التي اعتبرت هرطقات. ولم يكن بإمكان أية هرطقة ان تبرز دون الأرثوذكسية.

وكانت بذرة الإنشطار ضمن جماعة الإيمان المسيحي في مفهوم الثالوث الأقدس، الذي دل على تقليل اهمية التوحيد العبري الصارم[٢]. وعلى ضوء الأهمية الجوهرية للعمل الخلاصي ليسوع وموقعه المركزي

في العبادة المسيحية الأولى، فإن المسيحيين لم يستطيعوا الإعتماد على السمو العبري لله، بل كان عليهم، نوعاً ما، إعادة النظر في علاقة المسيح بإله الكتاب المقدس. ترى هل هناك إله واحد ــ ام ثلاثة؟ كيف كانت تفهم علاقات الأب والأبن والروح القدس مع بعضهم البعض؟ أهناك تدرج هرمي في الثالوث؟

وقد ادت هذه الأسئلة الثالوثية، بالضرورة الى مسائل مسيحانية، قوة الطرد المركزية، التي مزقت الوحدة المسيحية الى ثلاثة منظمات كنسية معادية عداء متبادلاً. دفعت بكنيسة المشرق، في نظر الغرب، الى مملكة الهرطقة. وبقي السؤال حول طبيعة المسيح في جوهر الموضوع: أكان إلهاً ام انساناً ام كليهما؟ وفي الحالة الأخيرة، كيف كانت الطبيعتان مرتبطتين؟ هل تألمت كلتاهما وماتت على الصليب؟ ومما كان يضاهي ذلك في إثارة الجدل الحاد هو تقييم اسفار العهد القديم من الكتاب المقدس اليهودي الذي استشهدت به المسيحية لكنها رفضت التفسير اليهودي له. هل كانت روحية الكتاب المقدس اليهودي متماشية مع تعاليم يسوع؟

في الجزء التالي، سوف نناقش فقط تلك العقائد المتشعبة ذات العلاقة بفهم قوانين الإيمان السريانية الشرقية. ولما كانت مسائل الثالوث الأقدس وطبيعة المسيح متداخلة مع بعضها البعض تداخلاً وثيقاً، فإننا سوف نناقشها سوية حتى لحظة **مجمع القسطنطينية**. وسوف تتم معالجة عقيدة **ثيودور المصيصي** (Theodore of Mopsuestia)، احد آباء كنيسة المشرق البارزين على حدى[٣].

إن السبيل الى **قانون الإيمان الخلقيدوني** يظهر اكتشاف حل وسط ثابت بين طرفي النقيض المسيحانيين. ويبالغ احد الطرفين في ناسوت المسيح الأمر الذي أدى الى نشوء مدرسة انطاكية الفكرية عند نهاية القرن الرابع. أما الطرف الأخر فيميل الى المبالغة في ألوهية المسيح وإهمال البعد الإنساني، حيث تمخضت عنه **مدرسة اللاهوت الأسكندرية**.

يسوع أنسان أولاً وليس إلهاً

في الصراع القائم حول فهم الثالوث الأقدس، ساور الخوف مجموعة من اللاهوتيين، من أن الإيمان الثالوثي بالآب والإبن والروح القدس سيؤدي بالضرورة الى **التثليث** (Tritheism)، الإعتقاد بثلاثة أشياء، كل واحد منها بوعيه الذاتي وإرادته. ومع بداية القرن الثاني، كان **المونارخيانيون** (Monarchianists)، الذين كانوا قلقين جداً على **المونوتيلية** (Monotheism)، عقيدة السيادة الأوحدية (ملكية) للإله الواحد. قد حددوا المسيح بطريقتين مختلفتين، اعتبرتا هرطوقية لأنهما انكرتا استقلالية الإبن. وقد انبثقت **المونارخيانية الدينامية** من الإفتراض بأن يسوع الإنسان كان مملوءاً اولاً بالقوة الإلهية (دينامية) على هيئة حمامة، عند عماده في نهر الأردن، اللحظة التي تبنى فيها الله يسوع كمسيح. وبالإحتكام الى نداء يسوع وهو على الصليب، "إلهي، إلهي، لماذا تركتني؟ "[٤]، فإن دعاة **التبنية** Adoptionism، مثل **بولس الشميشاطي** (+ ٢٧٢)، كانوا يعلمون الناس بأن يسوع الإنسان تألم ومات على الصليب، لكن ألوهية المسيح لم تمت. ولما كان كل من ثيودور المصيصي ونسطورس قد قالا بأن الجسد البشري ليسوع، وليس الله، مات على الصليب، فقد أدين هذان الإثنان من قبل آباء الكنيسة كمتبنيين هرطوقيين- وهي تهمة

دافع فيها نسطورس عن نفسه دفاعاً قوياً[٥]. وقد تمت الدعوة الى وجهة نظر أشبه بالمونارخيانية من قبل الطائفة المتصوفة اليهودية- المسيحية، المسماة **الأبيونيون** (Ebionites). فقد كان يسوع بالنسبة لهم الإبن البشري لمريم ويوسف وجعل إلهاً عن طريق نزول روح القدس عليه عند عماده في نهر الأردن.

أما **المونارخيانية الشكلية**، على اية حال، فقد أعلنت بأن كلا من المسيح والروح القدس كانا تجليا لله ليمحيا بذلك ناسوت المسيح. وهذا ما سوف يتم توضيحه في الفصل التالي. والأهم من هذه الإتجاهات هي **الأريوسية** (Arianism) التي تمتعت بشعبية كبيرة في القرن الرابع، وكادت ان تدمر وحدة الكنيسة. وكان الكاهن **أريوس** (حوالي سنة ٢٥٠-٣٣٦)، الذي كان نشطاً في الأسكندرية، تلميذاً **للوسيان الأنطاكي** (+٣١٢)، وأحد آباء التفسير الكتابي التاريخي. وكانت نقطة البداية لمعتقد أريوس هي الإعتقاد بالتعال المطلق لله ومبدأ **الأفلاطونية الجديدة** من أنه لا مناص من جود فرق جوهري وهرمي بين الوالد، الله الأب، والمولود، المسيح.

إن المسيح ليس إلهاً في الجوهر، بل يدعى إلهاً فقط على اعتبار طاعته غير المشروطة للأب وهو خاضع له. ويقول أريوس في رسالة له: "كان للابن بداية، لكن لا بداية لله"[٦]. ولما لم يكن من الممكن ان يكون هناك مُبدآن أوليان غير مخلوقان- إذ يتطلب ذلك موافقة إلهين- فإن المسيح كان جزء من خلق وقتي، وأكثر الخلائق كمالا. وهكذا توصل أريوس الى صياغته المشهورة: "كان هناك زمن لم يكن فيه موجوداً"[٧].

وقد استبق هذا القول الذي يقلل من مكانة المسيح الأسقف **ديونيسيوس الإسكندري** (حوالي سنة ٢٠٠-٢٦٥) عندما كتب قائلا، "لم يكن موجوداً قبل أن يكون"[٨]. وقد اراد ديونيسيوس، شأنه في ذلك شأن آريوس، أن يحافظ على كل من تعالى الله واستقلال المسيح. وكان آريوس، مثل ثيودور المصيصي فيما بعد، مقتنعا من إرادة المسيح الحرة التي تضمنت إحتمال الخطيئة من الناحية النظرية[٩]. ولما لم يقم أريوس، على اية حال، لا بتعليم الألوهية الكاملة للمسيح ولا ناسوته الكامل- يبدو المسيح وكأنه نوع من شبه إله ثانوي- وقد عارضه نسطور بشدة.

ورغم أن **المجمع المسكوني النيقاوي** الأول أدان الأريوسية في سنة ٣٢٥، لكنها انتشرت في كل أرجاء الإمبراطورية، لا سيما في بطريركية انطاكية وبين **الغوطيين**. وفي الوقت الذي حدد فيه المجمع، تحت ضغط من الإمبراطور، علاقة المسيح بالله الأب على أنها "من نفس الجوهر" (مساو في الجوهر homousios)، فإن الكثيرين من الأساقفة آثروا المفهوم الأقل تحديداً "شبيه في الجوهر" (homoiusios). وقد تبنى الأسقف الغوطي **ولفيلا** (Wulfila)، بين (٣١١-٣٨٢) هذا الموقف، وقال عن الثالوث: "ليس الروح القدس إلها ولا رباً، بل خادماً مطيعاً للمسيح، غير مساو له بل خاضع ومطيع له في كل شيء، وكذلك الإبن خاضع ومطيع لإلهه، الأب"[١٠].

وقد جرى التأكيد على هذه الصيغة في مجامع ريميني (Rimini) وسلوقيا (Seleucia) سنة ٣٥٩/٦٠. لكنه رُفض ثانية في المجمع المسكوني الثاني في القسطنطينية. وقد استؤنفت ارثوذكسية نيقيا في صياغة آباء الكنيسة **القبدوقيين**. وقد

اسبغوا المساواة في الجوهر على المسيح والله الأب، وعرّفوا الله كجوهر واحد في ثلاثة أقانيم[11].

ورغم هذه الإدانة المجددة للأريوسية، فقد كان لها موالون في الإمبراطورية الرومانية الشرقية حتى القرن الخامس. وكان لواقع الحال هذا نتائج مريرة على نحو خاص بالنسبة لنسطور من دون كل الناس. وفي موعظته في مناسبة رسامته بطريركا للقسطنطينية في العاشر من آذار سنة ٤٢٨، دعا الأريوسية الى المنازلة بمخاطبة الإمبراطور **ثيودوسيوس الثاني** (Theodosius) بهذه العبارات: "أعطني، أيها الإمبراطور، مملكتك مطهرة من الهرطقة [الأريوسية]، وساعطيك بالمقابل ملكوت السماء"[12]. وهكذا أغاظ أنصار الأريوسية، وفضلوا حرق كنيستهم على تسليمها الى البطريرك الجديد. فانتشرت النار في المنازل المجاورة والتهمت النيران حياً كاملاً من القسطنطينية لتؤدي إلى اضطرابات عظيمة. وقد تحولت موعظة نسطور فعلياً الى خطبة مثيرة للشغب. وكان الموقف متفجراً اكثر من ذلك لأن جميع الجنود الغوطيين الموضوعين في القسطنطينية كانوا من الأريوسيين. ورغم أن الجنود ظلوا في ثكناتهم، فقد كان نسطور، وفي اليوم الأول تماماً من جلوسه على الكرسي، قد أثار غضب القيادة العسكرية البيزنطية وشريحة من طبقة النبلاء.

يسوع إلهاً أولاً وليس أنساناً

كانت الموناركية الشكلية، شأنها في ذلك شأن **الموناركية الدينامية** (Dynamic Monarchianism) قلقة بشأن التوحيدية. وفي مستهل القرن الثاني قام **صابيليوس** (Sabellius) بتطوير هذا الموقف، وعلم في الناس قائلاً: أن الإله الواحد يتصرف بطرق (أشكال) مختلفة: فهو كآب خالق وكابن مخلص، وكروح القدس ملهم للبشرية. إن العقيدة الصابيليوسية (Sabellianism) هذه التي حاربها **طرطليانس** (Tertullian) وأدانها البابا **كاليكستوس** (Callixtus) كان اعتلى السدة البابوية بين (٢١٧-٢٢٢)، أدت الى **الأبيّة** (Patripassianism) التي تقول بأن الإله الواحد تألم بالضرورة ومات على الصليب- هرطقة أدانها بشدة لاهوت كنيسة المشرق. وثمة وجهة نظر مشابهة، أقرب الى تلك التي لكنيسة المشرق، تتمثل في طرطليانس (١٦٠-٢٢٥) عندما كتب عن يسوع الإله ويسوع الإنسان: "نرى طبيعة مزدوجة، وليس ممتزجة، لكنها مرتبطة في شخص واحد، الله، والإنسان يسوع" وبحسب هذه الصيغة، فإن التألم على الصليب أثر فقط على الطبيعة البشرية ليسوع، وليس الإلهية، لأن " الله لا يمكن أن يتألم"[13].

وثمة إتجاه واضح نوعاً ما نحو **الظاهرية** (Docetism)، تشترك فيه تلك العقائد التي تبالغ في الطبيعة الإلهية للمسيح لتضر بناسوته. وتفهم الظاهرية بأنها النظرة التي تقول بأن البعد البشري للمسيح وآلامه لم تكن إلا ظواهر، غير حقيقية، وبأنه امتلك مظهر الجسد.

وفي سنة ١٤٤ تم استدعاء **مرقيون** ابن الأسقف، امام جماعة الشيوخ في روما - رابطة الكهنة - من أجل توضيح تفسيره لمثل أجران الخمر العتيقة[14]. وبدلاً من التفسير الأخلاقي المألوف، قدم مرقيون تفسيراً تاريخياً: الخمر الجديد يرمز الى تعاليم يسوع، وأجران الخمر العتيقة تعاليم اليهود والأسفار اليهودية[15]. وفي ختام مجابهته، قامت جماعة الشيوخ بطرده من بين صفوفها، حيث قام إذ ذاك بتأسيس

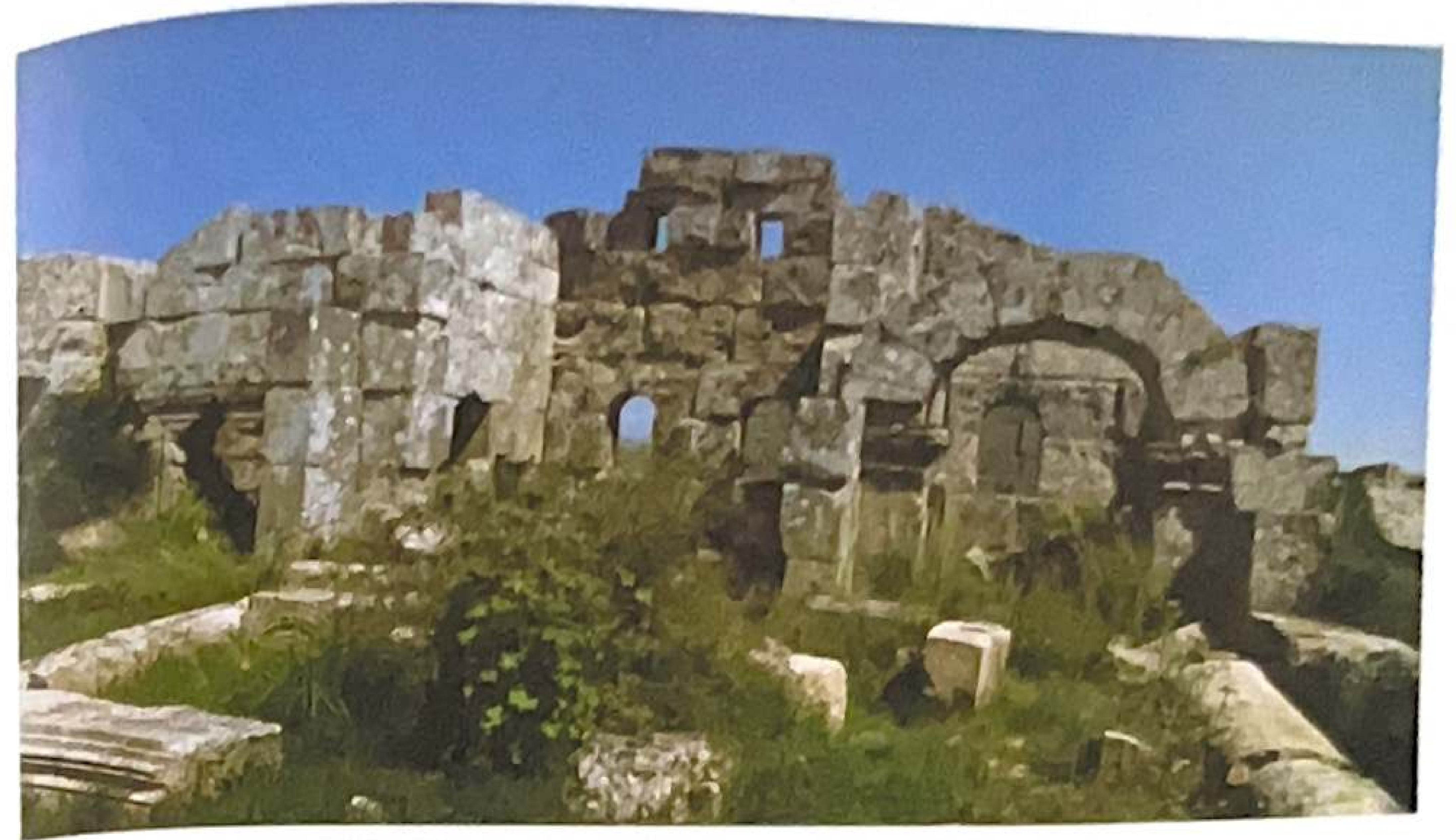
كنيسته الترويضية المنحى، التي انتشرت انتشار النار في الهشيم. وقام بتأسيس اكليروس صارم التنظيم، كانت وظائف الكاهن والأسقف مفتوحة فيه للنساء[16]. وقد بقيت هذه الكنيسة المنافسة نشطة في الغرب حتى نهاية القرن الرابع، وفي غربي الفرات حتى القرنين السابع والثامن، كما يمكن للمرء أن يرى من هجمات اللاهوتيين النساطرة لذلك الزمان.

ووجدت المرقيونية حلا لمعضلة الشر في العالم عن طريق ثنائية إلهية معتبرة بشارة يسوع إعادة تقييم متطرفة لكل القيم اليهودية، إذ لا يمكن أبداً ان يماثل إله المحبة المسيحي مع إله الشريعة الغاضب المعاقب. إن إله اليهود خلق عالم الشر وحكمه بقانونه القاسي. وبالمقابل فإن البشارة تبشر بإله المحبة والرحمة البعيد، الذي كشف نفسه في يسوع المسيح. وقد لبس يسوع جسداً محكماً وظاهراً وسمح لنفسه بأن يصلب من قبل الخالق الشرير للكون المادي، ليفدي البشرية بذلك من قبضة هذا الخالق الشرير.

ولما كان مرقيون قد قرأ الكتاب المقدس اليهودي من وجهة نظر تاريخية صارمة رافضاً التفسيرات المجازية، فقد توصل الى الإستنتاج بأنه غير قابل للفهم إلا ضمن السياق اليهودي، وعليه فهو عديم المعنى بالنسبة للمسيحي. ولما كان يسوع قد انتصر على الشريعة الموسوية، فإن الأسفار المقدسة اليهودية لم تعد ذات مغزى. وهكذا نبذ واستبدله بالعهد الجديد. وقد تضمن ذلك إنجيل لوقا، إضافة الى عشرة رسائل لبولس، التي طهرها مما زعم انه غش يهودي. وقد قام كذلك، منطلقاً من ظاهريته الأصولية، بشطب الإشارات الى يسوع في شبابه، وعماده وقيامته. وقد أجبر مرقيون بفرضيته، الكنيسة الأرثوذكسية على إتخاذ موقف وتحديد نفسها في مجموعة كاملة من القوانين الخاصة بها. إن تدفق الكتابات المضادة للمرقيونية لدليل ليس فقط على الخطر الذي كانت تمثله هذه الكنيسة، بل وأيضا على فحوى حديثه اللاهوتي. وكان من بين تلك القرارات الأرثوذكسية الجوهرية تماثلُ "الله الأب مع الله الخالق"، والإقرار بالإرث اليهودي للمسيحية، وعليه بالأسفار اليهودية، ورفض الثنائية، ومفهوم القانون الواحد في عهدين، والأهم من ذلك تطوير **العهد الجديد** الخاص بها[17]. وكان **ططيانس** هو سبب ذلك.

وقد واجه ططيانس (١١٠-١٨٠ تقريبا) نفس المهمة مثل مرقيون: كان بحاجة الى اختيار اعمال ارثوذكسية من أناجيل مختلفة ورسائل الرسل التي كانت متداولة آنذاك. وقد اختار اسلوب الاختزال. وفي سنة ١٧٠ تقريباً جمع من الأعمال المتماثلة للإنجيليين الأربعة تناغماً انجيليا على شكل سرد مستمر لحياة يسوع سمي **دياطسرون**. وهذه الكلمة اليونانية تعني "من أربعة"، لتشير الى أنه أستند في جمعه حصراً على الأناجيل القانونية الأربعة. وقد فقدت النسخة الأصلية بالسريانية أو باليونانية. وقد جاءت أقدم كِسرة باقية، باليونانية، من **دورا أوروبس** (Dura Europos)، وعليه فلا بد من أن يعود تاريخها الى ما قبل سنة ٢٥٦[18]. وكان كتاب دياطسرون مشهورا جداً بين المسيحيين السريان، وكذلك الأمر في كنيسة المشرق التي اسهم فيها اسهاماً جوهرياً في انتشار المسيحية. ولم تحل محلها أخيراً في بداية القرن الخامس إلا الأناجيل الاربعة لـ **بشيطتا** (Peshitta)*[19].

* الترجمة السريانية المبسطة [المترجم]



كنيسة ديهز (Dehez) في سوريا التي قد تكون واحدة من الكنائس المرقيونية النادرة جدا الباقية. وعند قاعدة نقش تم العثور عليه في اسكفة بيت المعمودية، يرى عالم فقه اللغة والدبلوماسي هنري بوغنون (Henry Pognon)، بأن الصحن وبيت المعمودية يعودان الى كنيسة مرقيونية، تم تحويلها الى كنيسة مسيحية في القرن الخامس

ولا يخلو الأمر من السخرية أن يدان بالهرطقة من قام بجمع كتاب دياطسرون، بعد نحو سنتين من إتمامه لعمله. وكان سبب ذلك هو الظاهرية الصارمة التي سميت بـ **الإنقراطية** (Encratism)، التي شجعها. فبحسب وجهة نظر ططيانس، على سبيل المثال، كان الزواج يتضارب مع الحصول على الحياة الأبدية، والمسيحيون الحقيقيون هم المسيحيون الطاهرون[٢٠]. بمعزل عن مسألة كون الإنقراطيين هراطقة أم مسيحيين ارثودكس، فقد كانوا بمثابة نموذج للحياة الرهبانية السريانية. وهناك الكثير من الأدلة التي تدعم الزعم بأن الترويضية المسيحية لم تبرز في مصر — لم يتزهد القديس أنطونيوس إلا في حوالي سنة ٢٨٥ — بل في بلاد ما بين النهرين قبل ذلك بقرن بأكمله[٢١].

ومثل معاصره **ططيانس**، فقد حارب **برديصان** (١٥٤-٢٢٢)، الذي كان نشطا في الرها (إحدى معاقل المرقيونية)، حارب هرطقة مرقيون، وأنتهى مثله هرطوقيا. وقد شدد على وحدانية الإله المسيحي مع الله الخالق وبأن الخليقة صالحة دون أن تتلطخ المادة بشرٍ متأصل فيها. وعلى النقيض من ططيانس، فقد عارض **الترويضية** المتطرفة، وأقر بالإرادة الحرة للانسان[٢٢] وبالنسبة لبرديصان، فإن البشرية المخلوقة على صورة الله تملك ارادة حرة، تميزها عن الشمس والقمر والنجوم، طالما ان هذه الاخيرة مدينة بالضرورة لقوانين الطبيعة، ويستطيع البشر كذلك التغلب على تأثير النجوم والقدر — كان برديصان مهتما جدا بأمور التنجيم. "وإذا كان [الإنسان] مخلوقا بحيث لا يمكن له أن يصنع شرا، وعليه لا

يمكن له أن يتلقى اللوم، فإن الخير الذي عمله لن يكون هو الأخر ملكا له (خاصا به). لانه إن لم يستطع عمل الخير أو الشر بمحض إرادته، فإن البراءة أو اللوم تعود الى القدر الذي يسيطر عليه"[٢٣]. وقد أنكر برديصان الموقف من أن البشر خطأة بالطبيعة ولذلك فقد استبق مفهوما مركزيا للأنثروبولوجيا السريانية الشرقية. "وعليه فإننا نحن البشر محكومون بالطبيعة بنفس الطريقة، ومحكومون بالقدر بطرق شتى، لكننا، وبمحض أرادتنا الحرة، يعمل كل واحد منا ما يختاره"[٢٤].

وقد أهتم برديصان، الذي كانت له نسخته الخاصة به من نص الإنجيل، التي لا يمكن اليوم إعادة بنائها[٢٥]، بالتنجيم الكلداني والنشأة الثنائية للكون. ومثل **ماني**، فيما بعد، فإن كان برديصان ينظر الى الطبيعة على أنها حصيلة لمزج بين الخير والشر. إن الطريق الى تحرير النفس من سجن الجسد — أي، تنقية الخير من الشوائب — يمر بإطاعة ناموس الله"[٢٦]. وكعلامة على دعم مبدأ الخير فإن أتباع برديصان كانوا يرتدون الملابس البيضاء[٢٧]. وقد استبعدت خطة برديصان في الخلاص قيامة الجسد، كما أن ثنائيته جعلت منه **ظاهرياً**، طالما أنه كان يقول بأنه لم يكن ليسوع جسدا حقيقيا، طالما أن جسدا كهذا كان سيغدو غير نقي. ورغم تبنى برديصان عناصر جوهرية للزرادشتية، فقد احتفظ، بعكس مرقيون، بالإيمان بإله واحد، وكذلك بالثالوث الأقدس الذي كان يفهمه على أنه الله الأب والمسيح المخلص والروح القدس[٢٨].

ولم تكن الصورة المؤنثة للروح القدس غير مألوفة في الجماعات المسيحية الأولى، إذ نجد ذلك على سبيل المثال في أوائل القرن الثالث وفي أعمال **أفراهاط** (Aphrahat).

وأما ما يتعلق بمسألة ما إذا كان الإنسان قادرا على خدمة سيدين، لا سيما الله والزوجة، فقد خلص الى القول، "طالما لم يتخذ الرجل لنفسه أمراة، فإنه يحب ويكرم الله أباه والروح القدس أمه ولا ارتباط آخر له"[٢٩].

والى جانب المرقيونيين، كان **أبوليناريوس اللاذقي** (Apolinarius of Laodicea) و**الغنوصية المسيحية** من المناصرين المهمين للاهوت **الظاهري**. ولم تكن الغنوصية عقيدة موحدة، بل أشبه بنظرة عالمية **إصطفائية** ظهرت في مظهر ديانات مختلفة. ويكمن جوهرها الفلسفي في **فايدون** (Phaidon) و **بوليتيا** (Politeia)، لافلاطون، حيث يمثل بموجبها عالمنا الأرضي كمجرد إنعكاس ظلي لعالم الأفكار الحقيقي[٣٠]. وقد غالى المفكرون الغنوصيون، كنتيجة لخلافهم مع الزرادشتية و**الرؤيوية** (apocalypticism) اليهودية، في فكرة الثنائية المفهومة ضمنا في معالجة أفلاطون ليصلوا بها الى العزلة القصوى للبشر من العالم ومن انفسهم. ولم يعد العالم أو جسد الإنسان يمثلان "فقط" إنعكاسا زائفا للواقع الحقيقي، بل كانا كلاهما عملا قذرا لخالق الكون المادي الشرير الوضيع. وليس الا للروح، شرارة النفس، الرغبة وكذلك الإمكانية في مغادرة عالم الظلام والسمو الى الله السامي.

وتفيد معرفة المرء بطبيعته، **العرفان** (Gnosis) كوسيلة للخلاص، ففي الغنوصية المسيحية يتولى المسيح مهمة دعوة المختارين وقيادتهم الى المعرفة المخلِّصة (بتشديد اللام وكسرها). ولم يميز الغنوصيون المسيحيون للقرن الثاني، مثل **ساتوريل** (Satoril) و**كربوقراطس** (Carpocrates) و**قيردون** (Cerdon)، ولاسيما **قيرنثس** (Cerinthus)، بين الله

الخالق الأدنى والله البعيد فائق السمو فحسب، بل أيضاً بين يسوع المائت والمسيح غير القابل للألم [٣١]. وكما مرّ ذكره، تتوصل المسيحانية السريانية الشرقية الى نتيجة مشابهة، رغم أنها تبدأ بإفتراضات مختلفة تماماً وتستخدم مفاهيم مختلفة. فبينما تركز على الوحدة **الإنتولوجية** (Ontological Unity)* للمسيح، فإنها تصرح، مثل الأرثوذكيسة اليونانية، بأنه تألم ومات مثل إنسان، وليس كالله.

وقد جادل اللاهوتيون المسيحيون مثل **طرطليانس** (Tertullian)، (١٦٠-٢٢٥ تقريباً)، و**إيريناوس** (Irenaeus)، (١٤٠-٢٠٢ تقريباً)، و**هيبوليطس** (Hippolytus)، (١٧٠-٢٣٦ تقريباً)، ضد الغنوصيين هكذا.

لا إله إلا الله، الذي خلق العالم، الذي هو صالح من حيث الجوهر، وعليه فإن القبول بخالق للكون المادي ثانوي وأدنى مرتبة أمر غير معقول. ومع ذلك فإن ما يفوق ذلك غرابة هو تفكير الغنوصيين وقناعتهم من أن طريق الخلاص لا يمر بالعمل الخلاصي للمسيح من خلال صلبه بل بمعرفة سرية غير متاحة إلاّ لنخبة صغيرة. ولا يقتصر خلاص المسيح على نخبة، بل بالأحرى مفتوح لكل الناس الذين يؤمنون به وبرسالته. ولا بد من الإشارة إلى أنه، رغم تغلب المسيحية الأولى على الغنوصية، إلا أنها كانت متأثرة بإستخفافها واحتقارها لما هو مادي وجسدي. ومثل الكثيرين من مناصري **مرقيون وبرديصان**، فإن الغنوصيين وجدوا ملاذاً جديداً في **المانوية** منذ اواسط القرن الثالث فصاعداً.

وكان لعقيدة **ابوليناريوس اللاذقي** (٣١٠-٣٩٠ تقريباً)، والتي كانت موجهة ضد **الأريانية** (Arianism)، نتائج مهمة لتاريخ المسيحية الأولى ولبطريركية انطاكية. وكان الأسقف أبوليناريوس، الى جانب معارضه اللاهوتي، **ديودوروس الطرسوسي** (+٣٩٢) (Diodore of Tarsus)، وهو من أباء الكنيسة، واحداً من الأوائل الذين حولوا تركيز النقاش اللاهوتي في الثالوث الأقدس الى فهم طبيعة (طبائع) المسيح. وكان مهتماً بالمعالجة الديودورية لعقيدة الطبيعتين للمسيح، سميت الثنائية، طالما أن هذه كانت تهدد الإتحاد المفاهيمي للمسيح، وعليه فقد إقترح طريقة جديدة. ومثل أغلب لاهوتيي زمانه، فإن أبوليناريوس لم يقبل بوجهة النظر الأفلاطونية من أن الإنسان يتكون من الجسد والنفس والروح (الإرادة). وبتطبيق هذه الصيغة على يسوع، عارض أبوليناريوس قبل كل شيء رأي **آريوس**، من أن إرادة يسوع قابل للخطيئة. ومن أجل حماية عصمة يسوع الجوهرية، اعلن بأن يسوع الكلمة الإلهية حلّ محل إرادة بشرية. وهكذا أنكر أن يكون ليسوع تجربة التطور الأخلاقي، وأن الكلمة التي تحولت الى جسد كانت كاملة وغير قابلة للتبدل [٣٢].

ومثلما سيتم شرحه أدناه [٣٣]، فإن اليونانيين الأسيويين ديودوروس الطرسوسي وثيودورس المصيصي، اللذين يعترف بهما السريان الشرقيون كآباء للكنيسة، عارضا هذه المعالجة، طالما أن الطبيعة البشرية للمسيح تكاد أن تفنى فيها. وإذا ما أتبع المرء العقيدة الأبوليناريوسية، فإن المسيح كان يمتلك جسداً بشرياً واحداً فقط ونفساً بشرية، ولكن ليس روحاً بشرية. وفي هذه الحالة لم يكن ليسوع أية طبيعة بشرية أصيلة، الأمر الذي أدخل الشك في عمله الخلاصي، طالما أن خلاص البشرية يفترض قبول يسوع

* وحدة الوجود الازلي (المدقق)

الكامل بالطبيعة البشرية. ورغم أن **المجمع المسكوني الثاني في القسطنطينة** ادان تعليم ابوليناريوس في سنة ٣٨١، فإن صيغة **المايافيزيتية** (الطبيعة الواحدة) للأسقف اللاذقي ظلت متداولة ممهدة الطريق في منتصف القرن التالي امام المونوفيزيتية المتطرفة لـ **أوطيخا** (Eutyches)، (٣٧٨-٤٥٤).

ولما كانت المسيحية بحلول سنوات ٣٨١/٣٩٢ على أقل تقدير، الدين الرسمي للإمبراطورية الرومانية، فإن القرارات المجمعية كانت بمثابة قوانين مدنية، فور مصادقة الإمبراطور عليها. وكان الأساقفة المحليون أول من ادرك ذلك لأنهم كانوا ملزمين بدعم الأراء التي أعلن بأنها مستقيمة (ارثونكسية) من قبل المجامع. وقد أدت معارضة القرارات الرسمية الى عقوبات مدنية، حيث ارسل الأساقفة المعارضين الى المنفى واستبدلوا بأخرين أرثونكسيين. ومع ذلك، ولانه كان في متناول الأساقفة في الغالب ولاء قوي، فإنه لم يكن من الممكن تنفيذ الطرد بالقوة فوراً، لأن تهديد الثورة كان قوياً جداً. وقد أزداد ذلك حقيقة الى حدّ كبير عندما برز رد فعل لروح قومية مناهضة للبيزنطية في المراتع التقليدية للإضطراب في بطركيات الأسكندرية وانطاكيا.

وأثناء فتنة ذلك الزمان حدثت هناك عدة إصابات بل حتى القتل أثناء قضية البطريرك **الملكي** (Melkite) للأسكندرية، **بروتيريوس** (Proterios): فقد قامت مجموعة من الغوغاء بقتل البطريرك المنكود في سنة ٤٥٧ في بيت العماد في كاتدرائيته [٣٤]. وكان من بين الضحايا البارزين الأخرين هم **فلافيان** (Flavian)، بطريرك القسطنطينية المقال، الذي أصيب بجروح بليغة على يد المتوحدين والجنود بحيث توفي متأثراً بجراحه بعد ثلاثة أيام، والأسقف **ساوريانس السكيثوبوليسي** (Serverian of Scythopolis)، الذي أغتيل في سنة ٤٥١ عند عودته من خلقيدونية [٣٥]. ولهذه الأسباب، بقيت الجماعات في المدن الكبيرة في الغالب منقسمة، كل بإكليروسها وكنائسها الخاصة بها. ورغم أن القانون الكنسي يعين اسقفاً واحداً فقط لكل مدينة، كان لأنطاكيا في وقت ما اربعة أساقفة يتنافسون على السلطة! وكان في هذه البطريركية أن اندلعت اشد المعارك بين **المايافيزتية** و**الثنائية** وبين **الملكيين** الموالين الى الأمبراطور.

ومع ذلك فإن حدة هذه النزاعات اللاهوتيه ــ التي لا نستطيع أن نتصورها في القرن الحادي والعشرين ــ لا يمكن توضيحها على أساس الظروف السياسية فقط. ومثلما قد صرح و. كلين (W.Klein) على نحو ملائم قائلاً، "لم تكن العقيدة قد اصبحت بعد في ذلك الوقت العلم المختص لقلة من اللاهوتيين، بل مادة الحديث اليومي واشبه بالنزاعات حول السياسات الحزبية في الوقت الحاضر" [٣٦]. وأخيرا برزت مسألة إمكانية الموائمة بين العقيدة المسيحية مع علم ذلك الوقت- أي، الفلسفة **الهلنستية** (Hellenistic). وكان من بين الأمور المهمة مشروع وصف وتوضيح العقيدة المسيحية، لا سيما تجسد المسيح، بمساعدة المفاهيم الفلسفية. وقد ظلت الحلول التي تم التوصل إليها في تلك الفترة التكوينية سارية المفعول في سماتها المهمة حتى أوائل عصر النهضة، حين آثارت عملية إعادة تعريف معايير العلم الشك بشكل متطرف في التلائم المزعوم بين العلم والمسيحية. كما أن التأمل في الأحداث الماضية لألفيتين من المسيحانية يذكرنا هو الأخر بأنها تبقى دائما "حديث-عن يسوع"،

الحديث البشري عن يسوع المسيح، الكامن في السياق الإجتماعي والثقافي والسياسي لزمانه.

المسيحية كنيسة رسمية لروما

ثمة تواريخ متباينة تؤشر بداية المسيحية ككنيسة رسمية لروما. ففي سنة ٣١٢، اشهر الإمبراطور **قسطنطين الأول** (حكم بين ٣١٢-٣٣٧) عن مسيحيته، بعد انتصاره في معركة **ملفيان بردج** (Milvian Bridge)، وفي السنة التالية أعلن **مرسوم ميلان** (Edict of Milan)، الذي ضمن الحرية الدينية[٣٧].

ولما كان الأمبراطور قد أعلن الإله المسيحي إلاها له، فقد رقي هذا الإله، الى مرتبة إله **الموجود المطلق** (eo ipso) الإمبراطورية. ومع مجيء الإمبراطور **ثيودوسيوس الأول** (Theodosius I)، الذي حكم بين (٣٧٩-٣٩٥)، ادت عملية تنصير الدولة الرومانية، التي بدأت بـ **الأمبراطور قسطنطين**، الى تأميم الكنيسة عندما منع في سنة ٣٨١، التحول من المسيحية الى دين اخر. ومن ثم، بعد عشر سنوات، وضع نهاية لعبادة الأوثان كلها ضمن الإمبراطورية، وأمر بتكمير المعابد الوثنية او تحويلها الى كنائس. بيد أن خلفاء قسطنطين كانوا قد منعوا القرابين الوثنية مسبقا في سنة ٣٤١، واصدروا مرسوم في سنة ٣٤٦ يقضي بغلق المعابد الوثنية، رغم أن الأمبراطور **يوليانوس الجاحد** (Julian the Apostate)، (حكم بين ٣٦١-٣٦٣)، قام بمحاولة أخيرة، وفاشلة، لخلق تركيب مسيحي- وثني، حيث امر بإعادة فتح المعابد التي اغلقت[٣٨].

ولا يكاد يكون من المدهش أن تقوم الكنيسة المسيحية بالتعبير عن الشكر للإقرار المفاجيء بها كدين للدولة مع نوع من الخضوع. وقبلت بفرح "سلاسل ذهبية" على شكل دعم مالي من الدولة. وبسبب رغبة قسطنطين في الدفاع عن الوحدة المهددة للإمبراطورية بديانة مشتركة، فقد أولى اهمية عظيمة لوحدة العقيدة ضمن الكنيسة ليضع بذلك مثلاً لخلفائه. لهذا السبب، دعا الى إجتماع **سينودس روما** (Synod of Rome) في سنة ٣١٣ من اجل حل مشكلة **الدوناطيين** في شمال افريقيا ومجمع نيقيا في سنة ٣٢٥ لوضع حدٍ للأريانية.

إن المدى الذي بلغته القيادة الكنسية في القيام بتنازلات للإمبراطور واضح من القرار التالي لـ **مجمع آرل** (Council of Arles) لسنة ٣١٤: "أولئك الذين يلقون سلاحهم في زمن السلم لن يتناولوا القربان المقدس"[٣٩]. كانت المسيحية الرسمية قد انحرفت بشكل خطيرعن اللاعنفية المتطرفة ليسوع بحيث أستبعدت من الإفخارستيا أولئك الذين رفضوا الخدمة العسكرية!

وقد رسخ **مجمع نيقيا** أيضا انقسام الكنيسة الى كراسي مطرافوليطية تقوم بتعين أساقفة الأقاليم التابعة لها. وكانت روما الكرسي المطرافوليطي للغرب، والإسكندرية لمصر وليبيا وأنطاكيا لتلك الأجزاء من آسيا التابعة الى الأمراطورية الرومانية. وقد منح مجمع نيقيا لسنة ٣٨١ الكرسي المطرافوليطي للقسطنطينية مكان الصدارة على تلك التي في أنطاكيا والأسكندرية لكون القسطنطينية "روما الجديدة"[٤٠]. وعلى أية حال، فقد بقي المنصب الكبير لاسقف روما، الذي أسس في ولاية البابا **داماسس** (Damasus)، (أعتلى السدة البابوية في ٣٦٦-٣٨٤)، دون تغيير[٤١]. وأخيرا، وفي سنة ٤٥١، قامت كنيسة **خلقيدونيا** بترقية أورشليم الى مرتبة الكرسي البطريركي أيضا، لتخلق بذلك ما يسمى بالسلطة

الخماسية. وكانت تتألف من خمسة كراسي بطريركية مدرجة في ادناه بحسب مرتبتها: روما والقسطنطينية والاسكندرية وانطاكيا واورشليم[٤٢]. لكن السلطة الخماسية طبقت فقط على العالم المسيحي ضمن الأمبراطورية دون ان تكون لها علاقة بالكنائس المستقلة أستقلالا ذاتيا وراء الحدود الأمبراطورية، مثل الكنيسة الأرمنية أو كنيسة المشرق، ولا الكنائس الآرية للشعوب الجرمانية، مثل **الغوطيين** و**الفنداليين** (Vandals). ومع الفتح العربي لمصر والشرق الأوسط في القرن السابع، فقدت بطريركيات الأسكندرية وانطاكيا وأورشليم أغلب اهميتها.

وقد وضعت مراسيم **ثيودوسيوس** نهاية للحرية الدينية في الأمبراطورية الرومانية، كما أن **مجمع القسطنطينة** الذي دعا الى عقده، جعل من مرسوم نيقيا صحيحا عالميا. وأصبح الحديث اللاهوتي يخضع الآن الى رقابة الدولة. وقد أدى غلق مدرسة الفلاسفة في أثينا في عام ٥٢٩ الى المزيد من التقليل لحرية الرأي، ونتيجة لذلك، فقد الغرب تدريجيا إرثه **الهلنستي**. وقد أصبح المسيحيون **الهرطقيون** (Heterodox)*. والوثنيون منذ ذلك الحين فصاعدا مجرمين ممقوتين أستوجب التعامل معهم عن طريق العدالة المدنية. وقد بدأ الإضطهاد ضد المسيحيين الهرطقيين على صعيد واسع في سنة ٤٣١ بقمع أتباع **نسطور** في بطريركية انطاكيا، وبلغ ذروة ماساوية بـ **محكمة التفتيش** (Inquisition)، وكان النساطرة مرة أخرى، عند نهاية محكمة التفتيش، هم الذين صاروا ضحية لها، وفي سنة ١٥٩٩ أجبر مسيحيو توما النساطرة في كيرالا على إعتناق الكاثوليكية من قبل محكمة التفتيش حيث تم حرق إرثهم المكتوب برمته.

ويبين خطاب يوبيلي للمؤرخ الكنسي **اوسابيوس القيصري** (Eusabius of Caesarea) رؤية الأمبراطور للعلاقات الوثيقة بين الكنيسة وهيكل السلطة المدنية. ويثني فيها أوسابيوس على الأمبراطور كشبيه دنيوي للحاكم السماوي، الذي يحكم نيابة عنه"[٤٣]. وعليه فقد استبق المذهب الذرائعي للبوذية الذي كان يمارس من قبل العديد من السلالات في الصين القديمة، حيث كان الإمبراطور بموجبها شبيها بـ **بوذا فايروكانا** (Buddha Vairocana) أو **مايتريا** (Maitreya)، وممثله على الأرض[٤٤]. وتوضح رؤيا الأمبراطور قسطنطين كذلك إهتمامه الشخصي بدحر **الأريانية** لانها كانت تهدد مركزه كامبراطور مبارك من السماء. ولو كان يسوع، في النهاية، مجرد بشر قد تبناه الله، فباي ادعاء خاص كان سيدعي به الأمبراطور؟

ولم تسمح الكنيسة، رغم قربها من السلطة الدنيوية، لنفسها لأن تُنزل الى مرتبة الوصيفة للدولة. إن إنشاء البابوية حال دون حصول إتحاد بين ملاك السلطة الكنسية والسلطة المدنية، وأدت الى نشوء توازن غير مستقر بين السلطتين، كان يجري اعادة تحديده بإستمرار. وبفضل هذا الإستقلال النسبي وحقيقة أن الأمبراطور لم يعد يقيم في روما، لم تتأثر الكنيسة بسقوط الإمبراطورية الرومانية الغربية إلا قليلا. إن تحول العاصمة الإمبراطورية الى القسطنطينية في سنة ٣٣٠، حررت أسقف روما من خوف سيطرة الدولة. وسرعان ما أثارت ترقية المسيحية الى دين الدولة الرومانية في المقدمة التساؤل المثير حول وضع أولئك المسيحيين الذين كانوا يعيشون خارج الحدود

* قارن هرطوقيون Heretic [المترجم]

الإمبراطورية، لا سيما إذا ما كانوا موالين لدول معادية لروما. وسرعان ما علم المسيحيون شرقي نهر الفرات الجواب المؤلم[٤٥].

أسس علم اللاهوت السرياني الشرقي

آباء الكنيسة ديودورس الطرسوسي و ثيودورس المصّيصي

إن محاولة تحديد طبيعة يسوع المسيح عمل جبار بحقّ، لأنه يتطلب إيجاد قاسم مشترك بين المفاهيم المتعارضة للإله الكامل والإنسان الكامل. ولأختيار نقطة البدء، في معالجة هذا السؤال، تأثير حاسم على نهج التفكير. وفي ذلك الوقت، كما لاحظ نسطور، كان لاهوتيو البطريركيات الشرقية، المتنازعون حول قانون الإيمان المسيحاني، ملتزمين إما بمدرسة انطاكيا أو مدرسة الأسكندرية. وقد أنطلق مؤيدو الأولى من الشخصية التاريخية ليسوع، مثلما هو مصور في **الأناجيل الإزائية** (Synoptic Gospels)، ثم حاولوا فهم كيف أمكن لهذا الرجل يسوع أن يكون إلهاً في آن واحد.

وعلى النقيض من ذلك فإن المجموعة الأخيرة بدأت بـ **كلمة الله** من مقدمة إنجيل يوحنا محاولة فهم المقصود بتعبير "وصارت الكلمة جسداً"[٤٦]. وقد أولت المجموعة الأولى أهمية كمال البعد البشري ليسوع، بينما ركزت الأخيرة على ألوهيته. ولأن الانطاكيين تحدثوا عن طبيعتين كاملتين ليسوع، فقد اطلق عليهم **دايوفيزتيين** (Dyophysites)، (من "دايو dyo و فيزيس physis " الإغريقية، أي طبيعتين إثنتين)، اما الأسكندريون، من الناحية الأخرى، فقد اطلق عليهم **المونوفيزيون** (Monophysites) "طبيعة واحدة" أو **مايافيزيون** (Miaphysites)، لانهم كانوا يعلمون إتحادا بين طبيعتين[٤٧]. ولأن الكنائس غير الخلقيدونية مثل الكنيسة السريانية الأرثونكسية والقبطية، ترفض الوصف "مونوفيزيت"* كونها تلائم بشكل ادق عقيدة الطبيعة الواحدة لـ **أوطيخا** فإننا سوف نستخدم مصطلح "مايافيزيت" الذي تبنوه من صيغة مايا فيزيس التي استخدمها البطريرك **كيرلس الإسكندري**[٤٨]. وأخيراً أشار بطريرك روما الغربي الى **طرطليانس**، الذي كان يتحدث عن طبيعتين في شخص واحد للمسيح وهكذا كان قريباً من الموقف الأنطاكي.

إن مصطلح "مدرسة أنطاكيا" لا ينبغي ان يفهم على أنه يرسم موقفاً عقائديا ثابتاً، بل بالأحرى طريقة كتابية معينة في التفسير، تتسم بشكل قوي بالتأملات في طبيعة يسوع. لقد انطلقت مدرسة أنطاكية الفكرية وفق خطوط من النقد النصي والتاريخي، مولية إهتماما وثيقا بالكلمات الحرفية للإنجيل، بعكس مدرسة الأسكندرية، التي فسرت الكتاب المقدس تفسيراً رمزيا تمثيليا. لقد كانت تفاسير أنطاكيا متأثرة بالأساقفة الإغريق **ديودورس الطرسوسي** (+٣٩٢) **وثيودورس المصّيصي** (٣٥٢-٤٢٨) اللذان كانا ينتميان الى بطريركية أنطاكية، وكتبوا في الكفاح ضد الموقف المايافيزيتي لـ **أبوليناريوس**. وكان أول مبدأ من مبادىء ديودورس هو: "نحن نؤثر بقوة ما هو تاريخي على ما هو رمزي"[٤٩]. وبالمقارنة، فإن التفسير الرمزي الذي طوّره **كليمنت** (Clement)، (١٥٠-٢١٥ تقريبا) **وأوريجينس** (Origen)، (١٨٥-٢٥٤)، فقد بحث التفسير المجازي في ما وراء النص

* اي طبيعة واحدة [المترجم]

الكتابي عن مفهوم ثان، آخر، لم تكن له صلة جوهرية بالمضمون الحرفي، كما هو الحال مع الرموز. وبصورة عامة فإن تفسير انطاكيا عقلاني وإزائي وارسطي، أما تفسير الإسكندرية فتصوفي ورمزي وتمثيلي وأفلاطوني ويوحنائي.

وبقدر تعلق الأمر بالمسيحانية، فإنه من الواضح بأن التفسير التاريخي يؤكد على البعد الإنساني للمسيح، وهكذا يفضّل تمييزاً حاداً بين الطبيعتين الإلهية والبشرية. وكان من الضروري تجنب الموقف المايافيزتي الأخير، والذي يعتقد بأن "الطبيعة البشرية كانت ممتصة من قبل الطبيعة الإلهية، مثل قطرة من العسل مذابة في البحر"[٥٠]، في المسيح.

ويبرز **إفسطاثيوس الأنطاكي** (Eusthathius of Antioch)، (+ ٣٣٧)، كمؤسس للمعالجة المسيحانية التاريخة، وقد وصف المسيح مثل "إنسان يحمل الله"، قرر بمحض إرادته إطاعة رغبة الله الآب وتحمل الموت على الصليب[٥١]. وهكذا، وكبشر، يتصرف بمحض إرادته، إما أن يطيع شريعة الله أو يبتعد عنه ويقترف الخطيئة. فقد أخذ يسوع على عاتقه عمل الخلاص.

وكون خلاص البشرية مستحيلا دون إمتلاك يسوع الكامل للطبيعة البشرية والإحتفاظ في الوقت ذاته بألوهيته الكاملة. كان ما يقتنع به أسقف القسطنطينية البليغ، **يوحنا الذهبي الفم** (John Chrysostom)، (٣٤٧- ٤٠٧). "سيلفظ الجهنم أولئك الذين يؤكدون بأن ربنا يسوع المسيح [بعد إتحاد الطبيعتين] له طبيعة واحدة فقط. ولننظر الأن، أية طبيعة سيقومون بتدميرها؟ إن كانت الإلهية إذن ليس هناك من خلاص. وإن كانت البشرية، فإن البشرية تفقد كل أمل بالحياة الأبدية"[٥٢]. إن أهمية الكمال المطلق لكلتا الطبيعتين في المسيح جلية عندما ينظر اليها على خلفية الإيمان بالخلاص الجسدي، الذي يلعب دورا مركزيا في الكنائس السريانية بصورة عامة، وفي كنيسة المشرق على نحو خاص. ويكمن جوهرها في البشر الذين يتقدمون نحو الإله ويقتربون منه، وهو مفهوم يرفع على نحو لا لبس فيه من قيمة البشرية. وقد عبر **القديس أثناسيوس** (St. Athanasius)، (٢٩٢-٣٧٣) بشكل قريب عن الفكرة التي تقول بأن صيرورة الله الى جسد يتضمن تأليه بني البشر: "صار [كلمة الله] إنساناً، لكيما نصير نحن الله"[٥٣].

إن كمال الطبيعتين كان يمثل، عند معلمي مدرسة أنطاكيا، الإفتراض الجوهري لعمل الخلاص. ومثلما كان قد صرح يوحنا الذهبي الفم، بأن الألوهية الكاملة غير الممزوجة، هي وحدها التي لها القدرة على أن تخلص، وأن البشرية الكاملة فقط تمكن من تأليه بني البشر. ورغم أن ناسوت المسيح خضع لوقت، لحدود البشر ذاتهم وضعفهم، فقد إقتداهم بالقيامة ومنحهم صفات الألوهية. وهكذا فقد فتح الطريق أمامهم لكي يحذوا حذوه.

ورغم تأكيد ديودورس على كمال الناسوت في يسوع وروحه، فقد ذهب كذلك الى أنه [المسيح] احتفظ بألوهيته الكاملة، وتوجد الطبيعتان، بالنسبة له جنباً الى جنب، دون أن تمتزجا. ونتيجة للفصل المفترض، أستطاع ديودورس أن يضفي تطورا أخلاقيا لنفس يسوع البشرية، التي حصلت على الكمال من خلال عمل الروح القدس في العماد في نهر الأردن، ولم يكن في وسعه، في الوقت ذاته، ان يتجنب تنسيب الألم والموت الى الألوهية. وهكذا عارض من أطلق عليهم **التألميون** (Theopaschites)، الذين عزوا الموت الى ابن الله. "لن نسمح

لأنفسنا لأن نُخدع بالاعتقاد بـأن **كلمـة الله** (God-Logos) تألم، أن من تألم إنما هو ابـن مريم، الذي منحت له البنوة، هيكـل كلمـة-الله، الذي قتل من قبل اليهود، والـذي مـع ذلك، قام منه من كان يقيم فيه"[٥٤].

وجلي من هـذا الكـلام بالنسبة الـى ديودورس بأن أحدهما عانى الموت والأخـر نهض ـ وهي فكرة مهيمنـة تتكـرر عبـر المسيحانية النسطورية. وقد استطاع بهـذا الخصوص الإعتماد على أثناسيوس، وهـو احد رواد آباء الكنيسة في مجمع نيقية. لمّا كان "من المستحيل **للكلمـة** أن يعـاني ألـم الموت، كونه خالداً، فإن إبن الله يتخذ لنفسه جسداً قابلاً للمـوت"[٥٥]. إن صـورة إقامـة الطبيعة الإلهية في الشخص المرئي ليسـوع كانت شائعة جداً بين النساطرة. ومثلما ذهب إليه **كتـاب المجـدل** (Book of the Tower)، للقـرن الثالـث عـشر، "كانـت الألوهيـة والإنسانية متحـدتين فـي الهيكـل المرئـي [يسوع]". وفي فقرة أخرى، نستطيع أن نقرأ المجاز الشعري التالي: "أرسل الله كلمته فـي لفافة من ورق، هي الإنسان [يسوع]، لكـي يُري الإنسانية طريق الإيمـان"[٥٦]. وتكمـن النقطة الأساسية لهذه المعالجة فـي تعريـف كيف أن الطبيعتين، إبن الله ويسوع الإنسان، يرتبطان مع بعضهما، طلمـا أنهمـا يبقيـان واحداً غير ممتزج، إذ هنا يكمن الخطر فـي فقدان الوحدة الأنتولوجية للمسيح.

وقد قام تلميذ ديـودوروس، ثيـودورس المصّيصي، الذي يعّد ابـا لعقيـدة الكنيـسة المشرقية، بتطـوير المـسيحانية الأنطاكيـة أكثر. وقد حاول ثيـودورس، متبعـا نهـج معلمه، فهم وحدة المسيح كمسكن لكلمـة الله. "أراد الله أن يلبس الإنـسانية، التـي كانـت سقطت، ويرفعها ثانية- هو، المتكـون مـن الجسد ونفس خالدة عاقلة. فاتخذ شكل إبنـه من أجل خلاصنا وهكـذا حقـق الخـلاص لحياتنا"[٥٧] وقد ميّز ثيودورس، مثلمـا فعـل ديودورس، بيّن الشخص الثاني من الثـالوث المقدس، المسيح، المولود الوحيـد مـن الله الآب، وابن مريم، يسوع مـن نـسل داود. ونتيجة لهذا التمييز، أحتـدم النقـاش حـول تعريف مريم، ليسهم ذلك بشكل فعـال فـي نهاية نسطور المؤسفة.

ومع مجيء ثيودورس، وضعت الاسـس الاولى للاهوت الـسرياني الـشرقي الأول، القناعة من أن المسيح هو آدم ثـان، الـذي، بإتخاذه طبيعة بشرية كاملـة، تغلـب علـى الموت من أجل جميع البشر. ومثل بـولس، اشتق ثيودورس ونسطور من هذه الفرضـية الالتزام من جانب المسيحيين بتقليـد الحيـاة الكاملة ليسوع التاريخي. وقـد أدت وجهـة النظر هذه الى مسألة ماهية المعـايير التـي يجب على المسيحيين تحقيقها مـن اجـل ان يتلقوا الأسرار المقدسة. فعلى سبيل المثـال، هل أن البتولية مطلوبـة، طالمـا أن يـسوع عاش بطهارة؟[٥٨] ثانياً، إن هذه الخـصائص البشرية مثل الألـم والمـوت، لا يمكـن أن تعزى الى الطبيعة الإلهية للمسيح. وثالثاً، تم التأكيـد علـى الناسـوت الكامـل ليـسوع المسيح[٥٩].

ومثل نسطور فيمـا بعـد والمـسيحانية النسطورية عامة، بدا ثيـودورس مُعرضـا للإتهام بعقيدة الابنين. "لكـنهم [معارضـوه] يبتدعون تهماً من أننا لو تحدثنا عن أقنـومين كاملين، فإن علينا أيضاً أن نتحدث عن إبنين. لكننا لا نتحدث عن إبنين، بـل إبـن واحـد معترف به كما يجب، طالما أن الفصل بـين الطبيعتين يجب أن يبقى ضرورياً مثلما يجب الحفاظ على إتحاد الإنسان [الـشخص] دون خلـط"[٦٠]. ورغـم أن تعـاليم ديـودورس وثيودورس وقعت، بُعيد **مجمع أفـسس** فـي ٤٣١، تحت شك إحتوائهمـا علـى أفكـار هرطوقية، فإن كـلا مـن ابـوي الكنيـسة "النـسطورية" أعتبـرا ارثوذكيـسيين فـي زمانهما. وبعد أكثر من قرن فيما بعد، فـي سـنة ٥٥٣، أعلـن **المجمـع المـسكوني الخامس**، بدافع من أسباب سياسية، وبضغط من الأمبرطـور **يوسـطنيانس** (Justinian)، بأن ثيودورس شخصياً هرطوقي وأن كتاباته هرطوقية، الأمر الذي كان يـضاهي الحكـم عليه بالهلاك الإبدي فـي كنيـسة المـشرق قاطبة.

نسطور ومجمع افسس

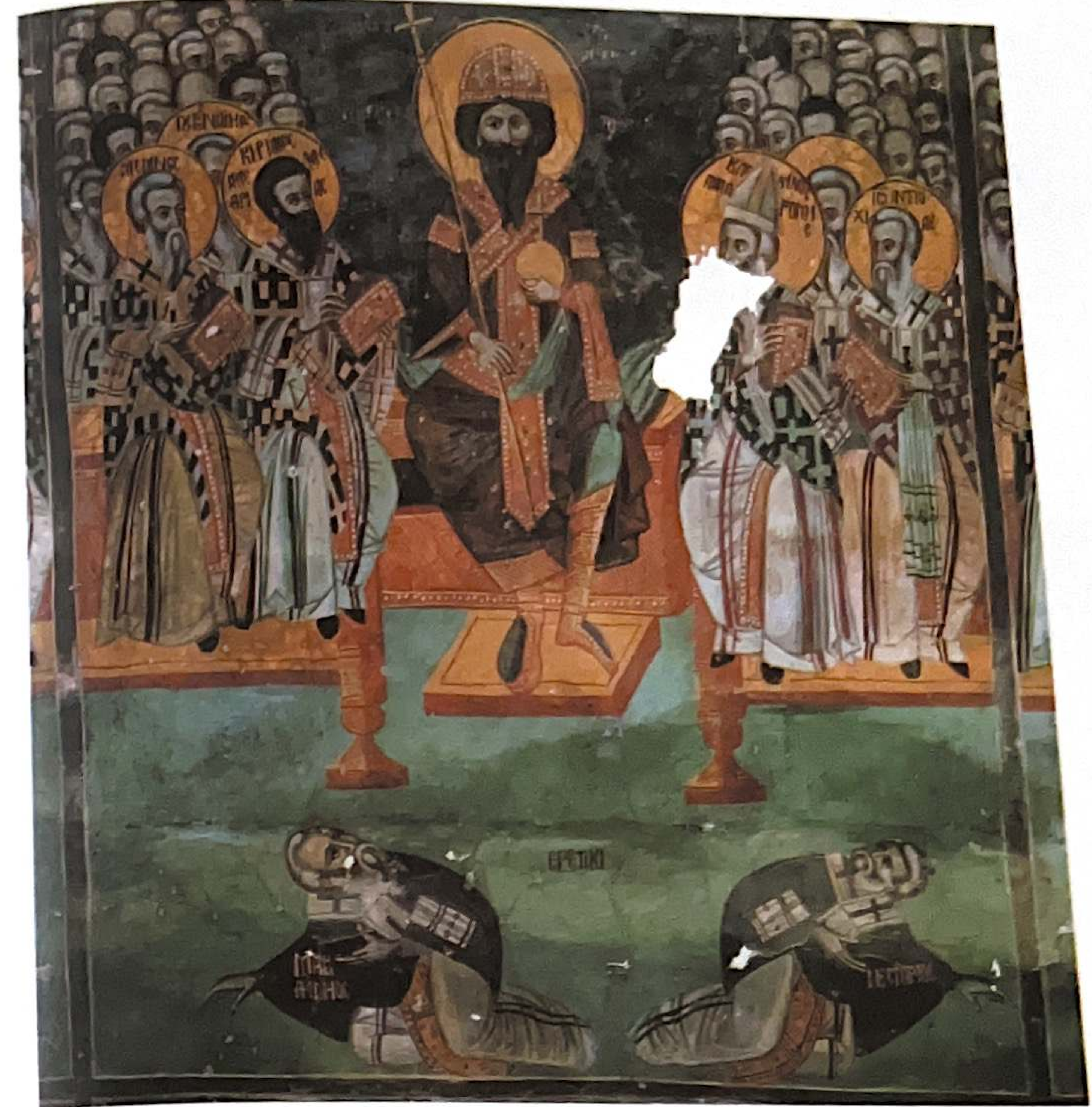
نسطور بطريركا للقسطنطينية

برز المتوحد نـسطور علـى المـسرح العالمي في سـنة ٤٢٨، بتعيينـه بطريركـا للقسطنطينية. ونتيجة لتفسيراته الثاقبة وهيئته الترويضية، فقد كان يتصرف فـي الـساحة السياسية البيزنطية مثل ثور في دكان لبيـع الخزف الصيني، كما يقول المثل المـشهور. وبعد ثلاثة سنوات أقيل من منصبه وارسـل الى المنفى. كيـف حـدثت هـذه المأسـاة الشخصية، ولماذا أطلق اسمه علـى كنيـسة المشرق التي لم يكن عضواً فيهـا أبـداً. إن الأسباب الرئيـسة وراء فـشل بطريركيتـه تكمن، من ناحية، في سمات شخصية معينـة لنسطور- في حماسه المتصلب للأرثوذكسية مثلما كان يفهمها ـ والصيغ اللاهوتية التـي أعطت معارضـيه المجـال لـسوء الفهـم، وفرصا للهجوم، من الناحية الأخرى.

كان نسطور، الذي ولد فـي سـنة ٣٨٢ تقريباً، من أصـول مـا بـين النهـرين*[٦١]. ودرس علـى يـد أب الكنيـسة الـشرقية **ثيـودورس المصّيـصي** ثـم دخـل ديـر **يوبريبوس** (Euprepius) القريب للمتوحدين، حيث تلقى رسامته الكهنوتية. وسـرعان مـا طارت شهرته في الافاق لبلاغتـه الكبيـرة وبلائـه الحـسن فـي اللاهـوت، وحياتـه الترويـضية التـي ألهمـت الأمبراطـور **ثيودوسيوس الثاني** (حكم فـي ٤٠٨-٤٥٠) لدعوته الى القسطنطينية كخليفة للبطريـرك المرحوم **سيسنيوس** Sisinnius. ورغـم أن ثيودورس حذر نسطور مـن حماسـه عنـد مغادرته الى القسطنطينية، ناصحاً إياه بـأن وجهات النظر اللاهوتية للقسطنطينية كانـت تختلف في جوانب مهمة عـن تلـك التـي لأنطاكيـا. إلا أن نـسطور حـاول، وفـور إعتلائه الكرسي، حلّ كـل المـشاكل التـي وجدها في آن واحـد. وكانـت بطريركيـة القسطنطينية بحاجة فعـلا الـى الإصـلاح. فالاكليروس الأعلى يعاني من نفور داخلـي، والعاصـمة تعـج بالهراطقـة الحقيقيـين والمزيفين. وكان المتوحدون، الذين كانت لهم سلطة سياسية تنذر بالسوء، يقودون النفـوس الفاسقة في القسطنطينية. ومما زاد في الطين بلة، أن اقوى شخصية وراء العـرش هـي شقيقة الإمبراطور، **بولكيريـا** (Pulcheria)، التي كانت تسيطر على شقيقها الأصغر. ومع ذلك، فقد كانت بولكيريا، من بين كل الناس، راعية للمتوحدين وكـذلك لـ **بوركلـوس** (Proclus)، المرشح الذي كان نـسطور قـد هزمه. وقد يزعم بأن ثيودوسيوس كان يامل مـن تعيينـه لنـسطور الـدخيل اخـضاع المتوحدين ويخلصه من سلطة أخته.

وسرعان ما شرع نسطور بالعمـل مـن دون حذر، في غياب أية قاعدة للسلطة تحت تصرفه، وكما مرّ ذكره، حمل فـي خطبـة رسامته بشـدة على أنصار **آريـوس** ليؤدي

* أصول اشورية (المدقق)



الأمبراطور ثيودوسيوس الثاني (حكم في ٤٠٨- ٤٥٠) يدين البطريرك نسطور (٣٨٢-٤٥١)، وهو يظهر في أسفل الصورة الى اليمين، كهرطوقي. ويجلس الى يمين الإمبراطور، البطريرك كيرلس الإسكندري، والى يمينه الأسقف ممنون الأفسسي (الى أقصى اليسار من الصورة من جهة لمشاهد)؛ وإلى شمال الإمبراطور بابا وما سلستين الأول (Celestine I)، الى شماله البطريرك يوحنا الأنطاكي (John of Antiocl)، (الى أقصى مين من جهة المشاهد). جدارية ما الفترة البيزنطية في كنيسة القديس زومين في غالاطا بقبرص، من ١٥١٣.

ذلك إلى الفوضى في العاصمة، وكاد أن يثير تدخل الجنود الغوطيين. وهكذا خلق لنفسه عدواً من قيادة الجيش. ورغم هذه النكسة، فقد أجبر الأمبراطور على إيطال حرية العبادة العبادة للمنشقين هؤلاء، من أمثال **الآريوسيين** و**الأبوليناريوسيين** و**النوفاطيسيين*** و**المونطانيين** (Montanists)، الخ. وقام

* نسبة الى النوفاطية Novatism [المترجم]

بطرد **المانويين** من المدن، مما وسّع من دائرة أعدائه.

وبعد ذلك أثار البطريرك الجديد غضب المواطن المحلي عن طريق منع المسارح في المدينة، التي كانت متعددة مثلما كانت شائعة- والتي كانت، في بعض الحالات، بمثابة نوادي الستربتيز والمواخير. ثم قام نسطور بمعالجة إصلاح المتوحدين المتأخر. وكان ذلك موجهاً نحو تحديد نشاطات المتوحدين بأديرتهم، لكسر تأثيرهم على الدولة والكنيسة، وإجبارهم على تبني اسلوب حياة ترويضية. لإن المتوحدين كانوا يجوبون الشوارع ليلاً، ويرتادون الحانات ويرتبطون بالمومسات. وهكذا لم يخلق لنفسه عداء المتوحدين فحسب بل أيضاً الشك لدى **أوغسطا بولكيريا** راعية المتوحدين. وقد زاد من استهجانها تحديد الإمتيازات الليترجية للنساء الراقيات في المجتمع، والتي كانت نموذجاً لبيزنطة. ومن بينها حق هؤلاء النساء في الإشتراك في **البيرمونات** (vigils) التي تقام في الكنائس، وفي الولائم العامة مع القساوسة والمتوحدين. وأخيراً أهان شخصياً شقيقة الإمبراطور في أكثر من مناسبة. ومن بين الإهانات الأخرى، رفضه لمنحها القربان المقدس في المخصص لجوقة المرتلين، لأنه لم يكن يسمح فيها إلا للإمبراطور والإكليروس. فأقسمت على الإنتقام بعد أن جُرح كبرياؤها.

وأما **علبة الباندورا** الأخرى التي قام نسطور بفتحها، فهي مسألة وضع مريم العذراء، وكانت هذه من مهام تعريف طبيعة المسيح. فإن تم التأكيد على الطبيعة الإلهية، فإن مصطلح **والدة الله** (Theotokos)، سيكون ملائماً، ولكن، إن تم التأكيد على البعد البشري، فإن وصف **والدة الإنسان** (Human bearer) سيغدو مناسباً أكثر. وفي كتابه "الدفاع"، المكتوب أثناء نفيه في مصر، وصف كيف أنه وجد هذا الجدال عند وصوله الى القسطنطينية: "جاء ممثلو الطرفين الى القصر الأسقفي. وسعوا الى إيجاد حلّ لنقاشهم يتفق عليه الطرفان. وقد أقر احد الطرفين بمصطلح والدة الله والأخر والدة الإنسان". وبعد أن أقر نسطور بأن كلا الطرفين أعترفا بالطبيعتين الإلهية والبشرية للمسيح- بعبارة أخرى، ان مشكلتهم كانت **سيمانطيقية*** قال: "لنتشبث بالإنجيل الذي يثبت بأن المسيح ولد، ونستخدم والدة الله"[٦٢]. ويتضح من تعليقات نسطور أنه كان يعد كلا المصطلحين أم الله وأم الإنسان، شرعيين، طالما كانا يفهمان بشكل صحيح.

وفي نفس الوقت، ومع ذلك، قام خادم الإقداس لدى البطريرك ومؤتمن أسراره **أنسطاسيوس** (Anastasius)، بصب الزيت على النار بتهجمه علنا على مصطلح "والدة الله" في خطبة في ٢٢ تشرين الثاني سنة ٤٢٨. وبسبب إخفاق نسطور في توضيح تصريح انسطاسيوس في خطبه أثناء الدورة الطقسية لـ **زمن المجيء** (advent)، فإن الإكليرس والمتوحدين شعروا بأن نسطور أراد أن يفرض الأفكار الأنطاكية على القسطنطينية. وقد حظيت مريم العذراء بعبادة شعبية واسعة، نشأت أول الأمر في مصر، وقد تطورت هناك من عبادة الإلهة **آيزيس** (Isis) وابنها الإلهي **حورس** (Horus)، والتي كانت شائعة جداً في الفترة الرومانية.

إن التشابه في الكثير من الصور لمريم العذراء، مع صورة أيزيس، والطفل حورس في حضنها وهو يرضع، لمدهش حقاً. وإن التكريم العاطفي العالي لأم الله يمثل صيغ

* علم دلالات الألفاظ وتطورها [المترجم]

(تتصير) عبادة ايزيس بالصيغة المسيحية. وقد كانت هذه الصيغة الخاصة للتقوى الشعبية موجودة ايضا في بطريركية القسطنطينية، ليس فقط في العاصمة بل ايضا في **افسس**، حيث كانت خليفة للعبادة القديمة **لأرطميس** (Artemis). واستوعبت في المسيحية صور الإلهات الأم القديمة في المسيحية[٦٣]. وهكذا، عندما ظهر بان انسطاسيوس يهاجم عبادة مريم أم الله وينكر لاهوت المسيح، ثار السخط وعمّ الأضطراب العاصمة. وحاول نسطور، مناشدا، تهدئة الأمور بموعظة ألقاها في بداية سنة ٤٣٠: "لقد بينت عدة مرات مسبقاً بأنه عندما يفضل احدكم أو البعض منكم من ذوي [الطبيعة] البسيطة مصطلح ثيوتوكوس*، فأنا لن أقول شيئا ضد ذلك. ولكن لا تجعلوا من العذراء إلهة"[٦٤]. ولم يعارض نسطور تكريم مريم بل بالأحرى عبادتها.

ولكن لتحذير نسطور من مغبة تحويل عبادة مريم العذراء الى عبادة وثن، مبرر يتجلى في أمثلة من قبيلة مسيحية رحالة، من الصحراء السورية، التي كانت تعبد مريم كإلهة"[٦٥]. وفي الأناجيل المنحولة العبرانية، حيث يتم العثور على القول التالي ليسوع: "قال المخلص: وسرعان ما مسكت بي أمي، الروح القدس "[٦٦]. ولم يكن بين العبادة المستقلة لمريم ومساواتها بالروح القدس إلا خطوة قصيرة الى التثليث، الإيمان بثلاثة الهة. وقد أشار الأسقف **ماروثا** (Maruta)، (+٤١٨) الى مجموعة من **المونطائيين** مثالا على ذلك. "يدعو هؤلاء مريم المباركة إلهة، ويقولون بأن مخلوقا سماويا عاشرها حيث ولد منها ابن الله"[٦٧]. إن انحطاط مفهوم الثالوث الأقدس، غير اليسير على الفهم عقليا، الى الفكرة المتجانسة مع التقوى الشعبية، حول ثلاثي مألوف من الآلهة- الله الأب، ومريم الأم، ويسوع كإبنهم المشترك – كونت خطرا حقيقيا في منطقة البحر المتوسط، أدى الى ظهور عدة ثالوثات الهية وثنية.

وفيما يخص اللاهوت، كان نسطور اقل رغبة في التوصل الى حل. "ولدت مريم مخلوقا بشريا، وسيط الله، ولكن ليس الله"[٦٨]. وفي النهاية لم يكن نسطور قادرا على القبول بمصطلح "والدة الله"، كونه يحدد المسيحانية المتألمة التي كان الله بموجبها خاضعا للظروف الطبيعية للولادة والألم والموت. وإبتداء بـ **ثيودورس المصّيصي**، فإن رفض تسمية "والدة الله" بقيت ثابتة في اللاهوت السرياني الشرقي. وقد جادل آخر لاهوتي كنيسة المشرق الكبار **مار عبد يشوع**، مطرافوليط نصيبين (١٢٥٠-١٣١٨م تقريبا)، بشكل عنيف نوعا ما ضد هذا المفهوم. اولا، إن كانت مريم أم الله، وإذا كان هذا المصطلح يشير الى الثالوث، فإن مريم هي أم الثالوث. ثانيا، إن كانت مريم والدة الله، والمسيح ابن الله، فإن مريم هي أم الله الآب، والمسيح حفيدها[٦٩].

لقد جاءت محاولات نسطور في التهدئة متأخرة كثيرا، لأنه وضع في عزلة ولاقى معارضة من التحالف المعادي المتكون من بولكيريا، والحاشية، والقيادة العسكرية، والمتوحدين، والغوغاء في المدينة. وقد سعت هذه الزمرة الى البحث عن العلة التي يتمكنون بها إزاحة الأسقف المكروه من الكرسي البطريركي. فوجدوا ذلك في **كيرلس**، بطريرك الأسكندرية، الذي كان يسعى من جانبه الى إيجاد ذريعة للإطاحة بالنساطرة. وقد قرر مصير البطريرك

---

* أي ام الله [المترجم]

نسطور قبل عام من **مجمع افسس** في صيف عام ٤٣١.

النزاع اللاهوتي مع البطريرك كيرلس* الإسكندري.

خلف كيرلس (٣٧٥-٤٤٤ تقريبا) عمه البطريرك **ثيوفيلس** (*Theophilus*) بطريركا على الأسكندرية. وكانت شخصيته تتعارض بشكل مباشر مع شخصية نسطور. كان كيرلس طموحاً وجائعا الى السلطة، وذكيا وفنانا في تدبير المكائد. ولم يتردد في سوء الإقتباس من خصمه نسطور، الى البابا. وقد كانت دوافع كيرلس في إستخدام الحلف المعادي لنسطور كأداة لتحقيق سقوطه، ثلاث، الأول، تنزيل بطريركية الإسكندرية في سنة ٣٨١ من مركزها كثاني أهم بطريركية بعد روما، الى المرتبة الثالثة، لصالح القسطنطينية، الأمر الذي أثار الإستياء في الإسكندرية. والثاني، لقد سعى كيرلس إما ليصبح بطريركا للقسطنطينية أو لإعادة بناء مكانة الإسكندرية السابقة في الهيكل التنظيمي الهرمي. والثالث، ان رفض نسطور لمصطلح "ام الله" كان يمثل إستفزازا لإهل الإسكندرية والمصريين.

لقد إختار كيرلس حجة تقول بأن رفض نسطور تسمية ام الله يظهر- مثل **بولس الشميشاطي**، الذي كان أدين بالهرطقة في سنة ٢٦٨- تأكيده على أن يسوع لم يكن إلا إنسانا، تبناه الله فيما بعد بسبب تطوره الأخلاقي. وبمناسبة موعظة عيد الفصح في سنة ٤٢٩، أتُهم نسطور علناً بإنكار ألوهية المسيح. وفي الوقت ذاته، بدأت مراسلات تهجمية متزايدة بين البطريركين، بلغت ذروتها بـ **الحرومات** (anathemas) الإثنتي عشر اللاذعة من قبل كيرلس ضد نسطور.

وقبل ان نقدم صورة موجزة عن الجدالات ذات العلاقة، لا بد من توضيح ثلاثة مصطلحات فلسفية، وهي "الطبيعة" و"الأقنوم" و"الشخص" **، والذي سوف يبين بأن الخصمين كانا أحياناً يفسران نفس المصطلحات بشكل مختلف.

والأساس الجوهري هو تعريف الثالوث منذ ٣٨١، والذي يتحدث عن "**أوسيّا**" (usia) واحد- الذي يفهم على أنه الجوهر— في ثلاثة أقانيم — التي تفهم على أنها أشخاص. وبإمكاننا ترجمة الكلمات اليونانية **أوسيا** وفيسيس (physis) لتدل على "الطبيعة" كفئة كونية، والنوع العام الثابت في حس الانواع. وهكذا هناك أوسيا الله او الصنف العام للجنس البشري. وتماثل الكلمة السريانية **كيانا** الكلمة اليونانية أوسيا. وبدأت الصعوبة مع مصطلح "أقنوم". وقد فسر كيرلس وأغلب اللاهوتيين غير الأنطاكيين الكلمة اليونانية وفق المفهوم الأفلاطوني الجديد كإدراك ملموس لـ **الأوسيا**، التي تماثل الشخص الملموس. لكن نسطوراستخدم عند الإشارة الى الشخص الملموس، مصطلح **بروسوبون** (prosopon)، **برسوبا** بالسريانية، وادخل مصطلح "أقنوم"، **قنوما** بالسريانية، بين "أوسيا" و"شخص". وقد فهم نسطور وكنيسة المشرق تسمية "أقنوم" أو "قنوما" وفق المفهوم الأرسطي، كواقع مادي مرتبط بنوعه. وقنوما عبارة عن فرد، وإدراك تمثيلي لطبيعته، لكنه ليس موجوداً بالضرورة من أجل ذاته. وأن قنوما — اي — الأقنوم، ليس بعدُ شخصاً، أي اقنوما. ويعرّف الـ

---

* ويكتب: قورلس (الخوذرا)، وكيرلوس (ادي شير). (المدقق)

** ܟܝܢܐ: ܩܢܘܡܐ: ܦܪܨܘܦܐ



البطريرك كيرلس الإسكندري (٣٧٥–٤٤٤) جدارية في دير مار موسى للسريان الأرثوذكس في سوريا، القرن الثاني عشر.

(بروسبون) بانه كمّ الخصائص العرضية التي تجعل مظاهر أقنومين يختلفان.

إن خصائص كهذه هي، على سبيل المثال، الجنس ولون الشعر والخصال الشخصية ودرجة الذكاء، والملكات، الخ. وتميز هذه الخصائص بين بطرس وبولس أو يوحنا ويعقوب. وبتطبيقها على مثال المخلوق البشري، فإن اوسيا/كيانا تشير الى النوع العام للبشر، والأقنوم/ قنوما الى الإدراك الحقيقي الموجود، والبروسبون/ برسوبا الى التجلي الحقيقي للشخص[٧٠]. وباختصار، فإن "الشخص" يشير الى التجلي الخارجي، والأقنوم الى الواقع الداخلي.

وقد تحدث كل من كيرلس ونسطور عن طبيعة إلهية وبشرية في المسيح، لكنهما اختلفا أحدهما مع الأخر في تحديد شكلانية الإتحاد. وقد كتب كيرلس، في رسالته الثانية الى نسطور قائلاً: "أجتمعت طبيعتان مع بعضهما [في المسيح] في إتحاد أقنومي، من أجل تكوين إتحاد"[٧١]. ولكن، ولأن نسطور عرف مصطلح "اقنوم" بأنه واقع يسبق الشخص، فإن مفهوم الإتحاد الاقنومي لم يكن مقبولا لديه، طالما أنه كان يرى في ذلك مزجا للطبيعتين. إن مزجا كهذا كان يعرض أستقلالية الطبيعة البشرية للخطر، ويؤدي الى فكرة أن الألوهية في المسيح كانت تخضع لظاهرة دنيوية مثل الميلاد والألم والموت[٧٢]. ولم يكن مما يمكن التفكير به بالنسبة لنسطور إمكانية وجود الـ اوسيا (طبيعة) في بروسبون دون أقنوم متماثل. وقد جابه الإتحاد الإقنومي لدى كيرلس هذه الصيغة التي تبنتها كنيسة المشرق بالإتحاد في البروسبون: "تتحد في المسيح طبيعتان وأقنومان في البروسبون". وقد وسع هذه الصيغة التي تبنتها كنيسة المشرق، هكذا: "أقر بمسيح واحد بطبيعتين دون مزج الموجود في لاهوته من الأب، وفي ناسوته من العذراء المقدسة"[٧٣].

وفي صياغة **باباي الكبير** (٥٥١–٦٢٨)، والتي ماتزال يُقر بها اليوم، فإن قانون الإيمان لدى كنيسة المشرق يقرأ هكذا: "واحد هو المسيح، إبن الله، الممجد من الكل في طبيعتين، المولود من الآب في الازل قبل كل الدهور، المولود من مريم في ناسوته، والمتحد في ملء الزمان في جسد واحد. وان لاهوته ليس من طبيعة الأم ولا ناسوته من طبيعة الآب، والطبيعتان محفوظتان في أقانيمها في شخص واحد من بنوة واحدة"[٧٤].

وقد عارض كيرلس صيغة نسطور: "من يعارض الإتحاد الاقنومي يقترف خطأ إبنين"[٧٥]. ولما ساوى كيرلس مصطلح "اقنوم" مع مصطلح "شخص" فإن عبارة "في أقنومين" في صياغة نسطور لا بد وأن كانت تعني حسب عقله، "في شخصين"، وهو معنى هرطقي. ورغم أن الأنشوطة أخذت تشتد تدريجياً حول رقبة نسطور، إلا انه لم يبال بنصيحة مرشده، البطريرك **يوحنا الأنطاكي** ويقبل بمصطلح "والدة الله"[٧٦]. إذ كان سيتمكن بذلك من سحب البساط من تحت اقدام كيرلس في تفكيره. وبدلاً من ذلك، راح يؤكد ثانية، في رسالته على "ان العذراء المقدسة تسمى بشكل مناسب اكثر **والدة المسيح** (Christotokos) بدلاً من "والدة الله"[٧٧].

ونظراً لعدم استسلام نسطور، لجا كيرلس الى خدعة والتفت الى البابا **قلستينس الأول** (Celestine) (+٤٣٢). ولم يتردد في كتاباته عن تشويه استشهادات من مواعظ نسطور وكتاباته، وجعلها تبدو هرطقية الى اكبر حدّ ممكن[٧٨]. وقد حظي هذا التشهير استماعا حسنا لدى البابا، بعد أن غضب من قيام نسطور بالترحيب بأنصار **بيلاجيوس** (Pelagius) المدانين في القسطنطينية[٧٩]. وفي أب من سنة (٤٣٠) دعا قلستينس الى عقد سينودس في روما، الذي أدان نسطور بتهمة كونه نصير **بولس الشمشاطي** وأوصى بشكل نهائي استخدام مصطلح "والدة الله". وكان على نسطور إصلاح أخطائه أو مواجهة العزل.

وقد منح السنودس كيرلس صلاحية حلّ القضية. فاغتنم الفرصة وواجه نسطور بإثنتي عشر **تحريمة**، والتي كان أمامه عشرة أيام للتوقيع عليها وإلا فإنه سوف يدان. وكانت هذه اللعنات ذات صيغة لاذعة الى حدّ لم يستطع نسطور الخضوع لها دون ان يفقد مصداقيته. وهذا واضح من اللعنتين الأولتين والأخيرة التهديدية:

١. من لا يؤمن بعمانوئيل إلها حقيقيا ومن ثم بالعذراء المقدسة والدة لله، لانها حملت في الجسد كلمة الله المولود من الجسد، فهو محرم.

٢. من لا يؤمن بان كلمة الله، المولود من الله الأب، متحد اقنوميا مع الأب فهو محرم.

١٢. من لا يعترف بان كلمة الله تألم في الجسد وصلب في الجسد وذاق الموت في الجسد فهو محرم[٨٠].

رفض نسطور اللعنات كنتاج بشع لعقيدة **أبوليناريوس** المحرمة، وطلب بأن يدعو الإمبراطور الى عقد مجمع عام، حيث فعل داعيا كل الأساقفة في ٧ تموز سنة ٤٣١ الى افسس. وكان إختيار افسس مكانا للمجمع، والذي زُعم أنه كان بإقتراح **بولكيريا**، نذير سوء لنسطور. إذ كانت المدينة تعيش من تكريم ام الله، الذي خلف العبادة الوثنية **لأرطميس**. لهذا السبب، فقد كان الأسقف المحلي **ممنون** مناصرا متحمسا لمصطلح "والدة الله" وخصما لدودا لبطريركه.

عزل نسطور من البطريركية

كان المجمع المسكوني الثالث في أفسس حدثاً غير مشرّف. كان المتوحدون المصريون والبحارة يجوبون الشوارع مسعورين، يهددون أنصار البطريرك. وثمة سوء طالع إضافي، وحاسم حقا، لنسطور هو تأخر وصول أساقفة بطريركية أنطاكية، إضافة الى الوفد الإمبراطوري والبابوي. وبمعارضة ٦٨ أسقفاً، إفتتح كيرلس المجمع في ٢٢ تموز مع "أساقفته" ـ المرتشين على نحو واضح في بعض الحالات ـ ولكونه رئيسا للمجمع، فقد قام بوظيفة المدعي العام

والقاضي في آن واحد. وعلى ضوء هذه الظروف، رفض نسطور، الذي كان موجودا في أفسس، الإشتراك في هذا المجمع المتحيز. وقد تمت قراءة المراسلة بين الخصمين بصوت عال. وخلال أيام، ودونما نقاش، حُرّم نسطور غيابيا كهرطوقي وأعفي من وظيفته[٨١]. وقد أعلن القرار لنسطور كتابة. "إن المجمع المقدس، الذي اجتمع في أفسس بنعمة الله وبأمر من امبراطورنا التقي المحب للمسيح، يُعلم نسطور، يهوذا الجديد بهذا: الا فاعلم بانك، وبسبب عقائدك غير التقية وعصيانك للقوانين، قد حُرمت من قبل السينودس المقدس بعد نتائج القرارات الكنسية وذلك في الثاني والعشرين من حزيران، الشهر الجاري، وبأنك قد فقدت كل الألقاب الكنسية"[٨٢].

وعندما وصل اساقفة أنطاكيا، بقيادة بطريركهم، يوحنا، الى أفسس في ٢٦ حزيران، عقدوا مجمعا معارضا، وكخطوة مضادة، أقالوا كيرلس وممنون. فأدى هذا الى حدوث مأزق لم يكن في وسع أحد حله غير الأمبراطور. فقام اولاً بوضع جميع الخصوم الثلاثة تحت الإقامة الجبرية. لكنه بعد أن تذكر الفوضى الشعبية التي سبقت ذلك، والتي وُجهت ضد البطريرك، والضغط المتكرر من جانب المتوحدين، سمح بسقوط نسطور وأرساله الى ديره. وعن طريق الرشوة، نجح كيرلس وممنون في استعادة وظائفهم.

وبينما كان نسطور، على المستوى الشخصي، هو الخاسر في هذا النزاع، كان على كيرلس، فيما يخص العقيدة، أن يذعن بعد سنتين ويوقع على صيغة صلح كانت الى أفكار نسطور اقرب منه الى أفكاره. وقد برزت الكنيسة ذاتها كخاسر حقيقي، حيث تصدعت وحدتها إبان العشرين سنة التالية الى ثلاثة كنائس معادية لبعضها البعض. وعلى المدى القصير، فإن إزاحة نسطور من منصبه دل على نصر لبطاركة روما والأسكندرية على بطاركة القسطنطينية وأنطاكيا.

ولم يضع مجمع أفسس نسطور في طوق الهرطقة فحسب، بل أيضاً المدرسة الفكرية الأنطاكية، حيث تمت إقالة أكثر من دزينة من الأساقفة الأنطاكيين، كما أضطهد أنصار المدرسة نيابة عن الدولة، لتؤدي الى حدوث موجة من الهجرة الى الجارة فارس، انتهت بإغلاق مدرسة الفرس في الرها. هذا هو التطور الذي حدا بكنيسة المشرق الى تعيين **ثيودورس المصّيصي** معلماً رئيساً لها، الى جانب مساعي كنيسة المشرق على النأي بنفسها عن بيزنطة ما استطاعت الى ذلك سبيلاً لأسباب سياسية.

لقد أمضى نسطور في ديره اربعة سنوات حتى ارساله الى المنفى بمصر بتحريض من مرشده في يوم ما **يوحنا الأنطاكي**. وفي نفس الوقت أمر الأمبراطور **ثيودوسيسوس** بحرق المجموعة الكاملة لأعمال بطريركه السابق- ليكون ذلك نذيرا لظهور محكمة التفتيش. ومن أجل محو أية ذكرى لنسطور فقد جرى إعادة تعميد الأطفال الذين يحملون اسمه بأسماء جديدة[٨٣]. وفي المنفى بقي نسطور مراقباً متحمساً للتطورات في الكنيسة ووضع كتابات عديدة، رغم أنه لم يخف إيماءات حول رد إعتبار ممكن. "لقد فقدت الإهتمام بالأمور البشرية. وتركت العالم لأعيش من أجل الذي منحني الحياة"[٨٤]. ورغم أن أصحابه مارسوا الضغط عليه بالعودة الى البابا وتوضيح وجهات نظره اللاهوتية كتابة، فقد رفض ذلك، لأنه كان يعلم "الأحكام المسبقة ضد شخصه"[٨٥].



مدينة الموتى المسيحية في البكوات (Bagawat) في واحة خاركة (Kharga) المصرية، حيث عاش البطريرك نسطور في المنفي منذ سنة ٤٣٥ حتى وفاته في سنة ٤٥١.

وسبب حرق كتابات نسطور، فقد عُرف خارج الكنيسة من خلال إتهامات ومكيدة كيرلس، وعليه فقد ساد الإعتقاد بأن تحريمه كان صائبا.

وفي **قوجانس** (Kotchannes) مقر الكرسي البطريركي في كردستان[٨٦]، تم حفظ مخطوطة سريانية تعود الى عام ١١٠٠ تقريباً. وعندما سمع المبشرون الأمريكيون في الثمانينيات من القرن التاسع عشر (1880) من أن هذه المخطوطة كانت أصلاً ترجمة لأعمال نسطور الرئيسة، المكتوبة باليونانية، نجح كاهن آشوري في عمل نسخة منه سراً في سنة ١٨٨٩. لقد كان الإكتشاف مثيراً، لان المخطوطة كانت **سوق هيراقليدس** (Baazar of Heracleides)، العمل الرئيس لنسطور. وقد رفض فيها نقطة بنقطة، كل الإتهامات التي قيلت ضده. وعندما انتهى من ذلك في سنة ٤٥١، بضعة أسابيع قبل وفاته، أحسّ بأن نهايته وشيكة فأختتم بالكلمات الهادئة التالية:

"ها أن لحظة موتي تقترب، وفي كل يوم أطلب من الله لأن يطلقني، أنا الذي رأت عيناي نعمة الله. تهللي أيتها الصحراء، صديقتي ومعيلتي ومأواي، وأنت أيها المنفى، أمي، الذي سوف يحتفظ بجسدي بعد موتي حتى يوم القيامة، بإذن الله. آمين"[٨٧].

أحقا أن نسطور كان يعلم الهرطقة التي تحمل اسمه؟ وإذا فهمنا بان "**النسطورية**" هي تلك الهرطقة التي ترى في المسيح شخصين لا يرتبطان أحدهما بالآخر إلا برباط أخلاقي رخو (أي الذي يقول بابنين وينكر التجسد الكامل)، فإن **سوق هيراقليدس** يصحح ذلك

الفهم الخاطىء. لم يكن نسطور نسطوريا بمفهوم القانون الكنسي، فهو لم يعلم الهرطقة التي تنسب إليه. وفي كتاباته دفاعا عن نفسه، أنكر بشدة التهمة بأنه كان من **التبنيين** – أي انه قال بأن الله الأب تبنى يسوع الأنسان بكل معنى الكلمة بسبب أخلاقيته الكاملة. وقد اكد مرارا وتكرارا على الإتحاد الأنتولوجي للمسيح والتجسد الجوهري لكلمته والذي لم يحدث عند عماده فقط بل انيا في **بشارة مريم**. وقد عارض التهمة من أن مفهومه عن الإتحاد في الإقنوم كان يتضمن إبنين[٨٨].

ولفهم موقف نسطور، فانه لأمر منوّر التمعن في إتفاقه مع صيغة البابا **لاون الأول** الذي وضع اساسا لقانون الإيمان الخلقيدوني في سنة ٤٥١[٨٩]. وفي **سوق هيراقليدس** اعلن مرارا بأن "قانون الإيمان [الأسقف روما] كان ارثوذكسيا غير قابل للإعتراض"[٩٠].

وبحسب الكتّاب اليعاقبة – أي المعارضون اللاهوتيون لنسطور – فإن البطريرك المعزول توفي بيوم واحد قبل وصول رسالة دعي فيها الى الإشتراك في **مجمع خلقيدونية**[٩١]. وحتى إن كان نسطورقد حضر هذا المجمع وقبل بالقانون، فانه من المستبعد ان يكون المجمع قد رد له الإعتبار، كونه كان مكروها من قبل عدد كبير من الأساقفة. إن إعادة إعتبار من هذا النوع كان من شأنه أن يضع مجمع أفسس موضع الشك[٩٢].

ورغم أن كيرلس كان قد عمل من اجل وضع صيغه المتطرفة موضع التنفيذ في مجمع افسس، فإن المعارضة المستمرة من قبل أساقفة انطاكية أجبرت الإمبراطور على البحث عن حلّ وسط. وفي سنة ٤٣٣ وقع يوحنا الأنطاكي وكيرلس الأسكندري على صيغة الإتحاد التي وضعها **ثيودوريطس القورشي** (Theodoret of Kyros) (+٤٦٦ تقريبا) وهو من أنصار مدرسة أنطاكية المعتدلين. وفيما يخص اللاهوت كان على كيرلس ان يذعن، لأن صيغته حول "الإتحاد الطبيعي" لبعدي المسيح[٩٣] استبدلت بصيغة الطبيعة الثنائية. "نؤمن بأن ربنا يسوع المسيح... إله كامل وإنسان كامل. [وهو] واحد من حيث الجوهر مع الأب في لاهوته وواحد في الجوهر معنا في ناسوته. لقد كان إتحادا ثنائي الطبيعة"[٩٤]. وقد طالب كيرلس، ونال كثار، تصديق تحريم نسطور.

لقد كان من المفجع لنسطور أن يُضحى به على مذبح صيغة الإتحاد، لا سيما وانه كان بأمكانه الموافقة على محتواها. وقد فرّ الكثير من أساقفة أنطاكية، الذين لم يرغبوا في الإشتراك في إدانة سلفهم المفكر، الى أيران حيث انضموا الى كنيسة المشرق.

٤– فقدان مسكونية المسيحية

مجمع خلقيدونيا

لم تستمر هدنة عام ٤٣٣ ضمن الكنيسة طويلا. فقد استمر بطاركة أنطاكية والأسكندرية في القتال من أجل النفوذ، مع قيام كل من زعيمي الجانب الإسكندري باستعراض متهور واضح. وكان أحدهما هو **ديوسقورس** (Dioskoros) (+٤٥٧) خليفة كيرلس، بطريرك الأسكندرية منذ ٤٤٤، والأخر هو **الأرشمندريت**[*] **أوطيخا** (٣٧٨–٤٥٤) في القسطنطينية. كان أوطيخا معارضا متشددا لنسطور ويمثل **المونوفيزيتية** المتطرفة التي يتألف فيها المسيح من طبيعة واحدة. وقد انكر أيضا بأن "جسد ربنا وألهنا كان من نفس جوهر جسدنا"[١]. وفي مجمع أفسس الثاني، في سنة ٤٤٩، قام كل من ديوسقورس وأوطيخا بإبتزاز المشاركين سيئي الطبع أو اقصائهم بطرق عنيفة. وهكذا سلم ديوسقورس أسقف القسطنطينية، **فلافيانوس** (Flavianus) المقال حديثا الى الغوغاء، الذين أساؤا اليه الى حد أنه مات متأثرا من جراحه. كما منعا الموفدين الباباويين من تقديم الموقف المسيحاني الذي أعده **البابا لاون** والذي دفع بلاون الى تحريم المجمع الذي وصفه بانه "مجمع اللصوص". وقد أظهرت أعمال المجمع أيضا مدى إثارة العواطف في معارضة نسطور، الذي كان أقيل قبل ذلك بـ ١٨عشرة سنة. وعندما قرأت رسالة الأسقف الأنطاكي **هيبا** (+٤٥٧) صرخ الحضور قائلين "يجب أن يحترق نسطور وهيبا معا! يجب أن يحترق نسطور وهيبا في وسط أنطاكيا! لم يكن النفي مجديا. يجب حرق نسطور وهيبا فورا!! أحرقوا الشيطان وابنه حالا"[٢]. ولم يكن الأساقفة ورؤساء الأديرة محصنين من الحقد.

وقرر الإمبراطور الجديد **مارقيان** (Marcian) إرساء النظام في الكنيسة المغتربة بشكل مريع، ودعا الى مجمع جديد عقد في خلقيدونيا في ٨ تشرين الأول ٤٥١، بحضور ما يقارب (٥٠٠) مشارك. ولأسباب سياسية لم تُمثل كنيسة المشرق. وقد الغى المجمع قرارات **مجمع اللصوص** مبرءا ساحة الأساقفة الأنطاكيين الذين حرموا هناك، وقام بتحريم ديوسقورس وأوطيخا. ثم قام المجمع بعد ذلك بصياغة **قانون الإيمان الخلقيدوني** الذي اقامه على أساس **مجلد البابا لاون**، "يعترف بالمسيح بطبيعتين لا تخضعان إلى اي مزج، ولا تغيير، ولا تقسيم ولا فصل، ولم يسبق في اي وقت أن تم فيه إقصاء الفرق بين الطبيعتين من خلال الإتحاد، بل أن خاصية كلا الطبيعتين محتفظ بها وتجتمع في شخص واحد وكيان موجود، وهو ليس مجزأ أو مقسم الى شخصين"[٣]. ورغم أن العبارة الأخيرة كانت موجهة الى نسطور، فإن قانون الإيمان الخلقيدوني كان قريبا من ذاك الذي لنسطور. والفرق الوحيد هو أن القانون الخلقيدوني تحدث عن إتحاد

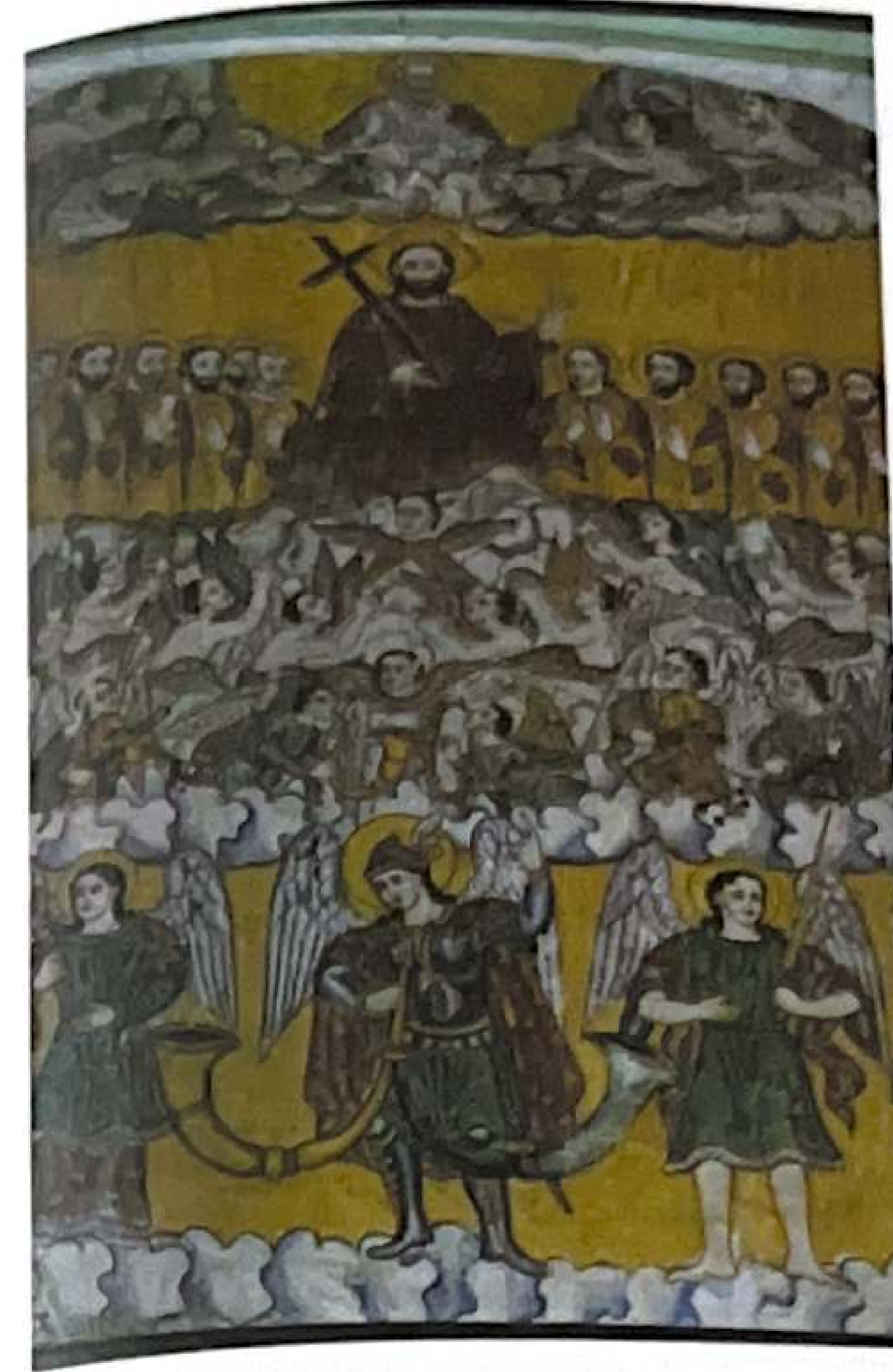
[*] رئيس دير الرهبان [المترجم]

في الأقنوم – أي عن أقنوم واحد – بينما قبل نسطور بأقنومين ووضع الإتحاد في الشخص[4]. ومع ذلك فإن المجمع قام أيضاً بتأكيد رسائل كيرلس وتحريم نسطور. وببسيط العبارة، تبرز هنا مفارقة: فقد قام مجمع خلقيدون بتثبيت تعاليم نسطور تقريباً لكنه حرم شخصه، وفي الوقت الذي تجنب فيه تعاليم كيرلس أثنى عليه كقديس. لقد أتاحت الصيغة الخلقيدونية حتى يومنا هذا أساساً لمسيحانية الكنائس البيزنطية – السلافية إضافة الى كنيسة الروم الكاثوليكية[5].

وغالبا ما يستخدم السريان، الذين يطيب لهم التعبير عن أنفسهم وفق القياسات التشبيهية، الإطناب في هذه التعاريف المعقدة. ويقارن المايافيزيتون طبيعة المسيح بمزج العسل والخمر في البلسم الشافي **أوكسيميل**[6]، إستعارة بلاغية رفضها النساطرة بشدة بسبب الربط بين الطبيعتين. وقد أختار أنصار خلقيدون صورة النفس والجسد، التي تكون الإنسان[7]. وكانت هذه المقارنة غير مقبولة أيضاً بالنسبة للنساطرة، طالما أنه عندما يعاني الجسد فإن النفس هي الأخرى تعاني، لكن الطبيعة الإلهية ليسوع لم تتأثر بألم جسد يسوع.

وقد أثر السريان الشرقيون، مثل **البطريرك إيليا الثاني (١١١١-١١٣٤)** صورة شعاع من الضوء الذي يسقط على اللؤلؤ: "إن الضوء يكشف نفسه في اللؤلؤ حيث لا تفرق عين الناظر بينهما، وعندما يتصدع اللؤلؤ فإن الضوء يبقى كلا دون أن يزيح ذاته من الشظايا"[8].

إن المقطع الأخير يعني أن الطبيعة الإلهية لم تغادر الجسد الميت ليسوع في القبر. ويوضح بطريرك كنيسة المشرق الاشورية الحالي **مار دنخا الرابع** ذلك على



يتم، في كنيسة المشرق، التأكيد على قيامة المسيح بدلاً من صلبه. جدارية في كنيسة مار ماري للسريان الأرثوذكس في أنكامالي (Angamali) في كيرالا، القرن السابع عشر. وكما يذهب إليه التقليد، فإن الكنيسة أسست في القرن الخامس أو التاسع وكانت وثيقة الصلة بكنيسة المشرق. وقد وصل الأسقف أبراهام، الذي رسمه البطريرك النسطوري شمعون الثامن (بقي في كرسي الرئاسة في ١٥٥١-١٥٥٨) للهند. وصل الى أنكامالي بعد سلسلة أسفار دامت عشر سنوات. وبعد وفاته في ١٥٩٧، قاد الأرخيدياقون كيوركيس الصليب (Archdeacon George of the Cross)،الذي كان قد رسمه، الكرسي المطرابوليطي للهند. وثمة نقش في كنيسة مار ماري يخلد ذكرى الأرخيدياقون الذي توفي في سنة ١٦٤٠.

هذا النحو: "إن الله، حسب مسيحانيتنا، لم يمت على الصليب، بل بالأحرى الجسد البشري هو الذي مات. إن يسوع الإنسان مات طوعاً لخلاص البشرية. وبناءً على ذلك يتطلب هذا المفهوم، أن نحترم الجوانب البشرية للمسيح.

إن الله لم يتألم على الصليب، بل بقي متحداً معه، حتى في القبر. وعندما صرخ يسوع، (أبت لماذا تركتني؟) فإن ذلك لم يكن يعنى إن الله قد ترك الرجل الميت، إن الصرخة عبرت عن يأس يسوع. وفي اليوم الثالث قام يسوع من بين الأموات كجسد روحي، ولم يعد جسداً بشرياً، لأن الأخير كان قد مات على الصليب. وكانت القيامة تحول الجسد البشري الى جسد روحي. بعبارة أخرى، إن الأقنوم البشري لم يعد يختار جسداً أرضياً بل جسداً روحياً"[9].

ورغم أن المجمع الخلقيدوني وضع نهاية للمرحلة الخلاقة من النقاش المسيحاني، فإن سرّ طبيعة المسيح ظل باقياً. وقد أقر اللاهوتي النسطوري **مار عبديشوع** بهذه الحقيقة في سنة ١٢٩٨: "إن قلنا عن الله أنه غير مرئي وغير مركب وغير قابل للحركة وغير قابل للتبدل، فأننا لا نصف ما هو بل ما هو ليس"[10]. ولم يكن لحقيقة كون قانون الإيمان الخلقيدوني قد خضع لإعادة الصياغة بصورة متكررة في الغرب، صلة بالحوارات اللاهوتية، كما لم يكن لها صلة كبيرة بموقف النفوذ السياسي في الإمبراطورية البيزنطية.

المناقشات البيزنطية الداخلية حول الإيمان وأثرها على كنيسة المشرق

لقد سعى **مجمع خلقيدونيا** الى المحافظة على المسكونية المسيحية، لكن نتائج قراراته أدت الى حدوث التأثير العكسي تماماً، ألا وهو أنحلال المسكونية الى ثلاثة كنائس مستقلة بهياكلها التنظيمية الخاصة بها. وقد كان قانون الإيمان الخلقيدوني بالنسبة للطرف **المايافيزيتي** غير مقبول لأنهم رأوا فيه – ليس بدون مبرر تماماً – نصراً للاهوت الإسكندري، وكذلك الحال بالنسبة **لنسطور**. إن الطبيعة الواحدة بالنسبة للمايافيزيتيين، الذين كانوا يرفضون التوحيدية المتطرفة لـ **أوطيخا**، نتجت في المسيح من إتحاد الله مع طبيعة البشر في التجسد. لقد أستأنفوا القضية لدى مجمع نيقيا، الذي كان أعلن بأن الأب والإبن من نفس الجوهر.

وقد أتسم الجو في بطريركية الإسكندرية بالإستياء القومي ضد العاصمة بيزنطة المستبدة وبالإستياء المتزايد ضد السلطة الإمبراطورية. ولما كان الإمبراطور قد دعم الموقف الخلقيدوني بسلطاته، فإن الغضب الشعبي كان موجها ضده هو الآخر. وقد بدأ أنصار المايافيزيتيون يسخرون الآن من أنصار المجمع، واصفين أياهم بـ **الملكيين** – أي أتباع الملكية[11]. وقد حدث رد الفعل المعاكس ضد بيزنطة في فلسطين وسوريا، وقد عبر رفض المجمع هناك عن المعارضة السريانية- الشرقية للسلطة المركزية المكروهة. وقد جُعل الرفض الأساسي للسيادة البيزنطية جليا أكثر بعد (٢٠٠) سنة فيما بعد، عندما رحبت مصر وسوريا بالفاتحين العرب كمحررين.

وقد تم الوصول الى ذروة النقطة المأساوية الاولى في سنة ٤٥٧ في الإسكندرية، عندما قامت مجموعة من الغوغاء المتمردين بإغتيال البطريرك الموالي للخلقيدونية **بروتيريوس** (Proterios) في كنيسته[12]، كما وقع اضطراب شديد في مصر وسوريا. وقد أدرك الإمبراطور الخطر من أن استقرار الإمبراطورية الشرقية لروما كان معرضاً لتهديد جدي. ولما كانت سوريا ومصر أكثر أهمية للوحدة الأمبراطورية من الأنطاكيين المبعثرين ومن البابا أو إمبراطور الأمبراطورية الرومانية الغربية- تم إقالة الإخير من قبل **أودوسر** (Odoacer) البربري في سنة ٤٧٦–.

فقد قرر الإمبراطور تسوية الخلاف مع المايافيزيتيين، حتى وإن كان ذلك على حساب إنشقاق عن روما. بهذه الروحية اصدر الأمبراطور **زينو** (Zeno) حكم بين (٤٧٤-٤٩١)م، صيغة مسيحانية جديدة للوحدة المسيحانية، وهو ما يسمى بـ **الموحّدية** (Henoticom)، التي أدانت مرة أخرى نسطور وأقرت لعنات كيرلس بدلاً من **بيان البابا لاون** (Tome of Pope Leo). ولم



الواجهة الغربية لباسيليكا بقرها (Baqirha) في سوريا، التي شيدت في سنة ٥٤٦. وقد حاولت بيزنطة، من خلال تشييد العديد من الباسيليكات الكبيرة في بطريركية انطاكيا، تعزيز نفوذها، الذي كان مهدداً من قبل المايافيزيتيين.

يتأخر رد الفعل من **البابا فيلكس الثالث** (Pope Felix)، ففي سنة ٤٨٤، قام بتحريم زينو وبطريرك القسطنطينية، **أكاسيوس** (Acacius)، الذي قام بدوره بتحريمه. وأستمر الإنشقاق حتى سنة ٥١٩.

والذين عانوا من جراء الموحدية هم من بقي من الأنطاكيين الذين تعرضوا الآن الى الإضطهاد من قبل الدولة، والذين إما سعوا الى اللجوء الى الإمبراطورية الساسانية المجاورة، أو أنظموا الى الملكيين. إن إغلاق **مدرسة الفرس** في الرها في سنة ٤٨٩ أبعد اللاهوت الأنطاكي عن الإمبراطورية مرة واحدة وإلى الأبد. وأغلق الباب أمام الإتصال اللاهوتي بين الشرق والغرب. كما أن سياسة الصلح مع المايافيزيتيين أدت هي الأخرى الى أحتلال العديد من الأبرشيات السريانية وآسيا الصغرى من قبل أساقفة مايافيزيتيين. وكان يقيم في المدن الأكبر أسقفان – أحدهما ملكي والأخر ميافيزيتي– بحيث وجدت بطريركيتان متوازيتان لأنطاكيا والأسكندرية.

لكن الرياح السياسية تغيرت مرة أخرى مع إعتلاء الأمبراطور **يسطنس** (Justin) العرش (حكم ٥١٨–٥٢٧) والذي كان إعادة وحدة الإمبراطوريتين الغربية والشرقية هدفاً له. ولتحقيق هذه الغاية، كان بحاجة الى دعم البابا، وهكذا نقض الموحدية، وأعترف بالمجمع الخلقيدوني. لقد ضحى بالمايافيزيتيين من أجل هدف أمبراطورية رومانية منبعثة. وفي عيد الفصح سنة ٥١٩ كان قادراً على الأحتفال بهذه المسكونية الجديدة مع روما ووضع نهاية للإنشقاق الذي دام ٣٥ عاماً. وقد دفع المايافيزيتيون ثمن الوحدة بإقالة بطريركهم في أنطاكيا، **ساويرس** (Severus)، إضافة الى خمسة وخمسين اسقفاً آخرين. وقد استمر أبن أخ يوسطين، **يوسطنيانس** (Justinian) (حكم ٥٢٧–٥٦٥) بسياسات عمه وفي سنة ٥٣٣ حول قانوناً خلقيدونياً جديداً الى قانون، صادق عليه سنودس عام ٥٣٦ تباعاً. وفي نفس الوقت، إزداد إضطهاد المايافيزيتيين كذلك في سنوات ٥٢١–٥٢٦، ٥٣٦–٥٤٣ و٥٥٥–٥٦٧،[١٣] مثيرة موجة واسعة من الهجرة الى بين النهرين الساسانية لتقحم الكنيسة الشرقية هناك في أزمة جادة[١٤].

وقد جاءت القرارات المجمعية لسنة ٥٣٦، لتكون علامة على إنقطاع عميق في تاريخ المسيحية، لأن المايافيزيتيين كانوا قد جردوا من جميع أساقفتهم، وكان عليهم أن يبنوا تنظيماً جديداً مستقلاً عن بيزنطة. وهكذا برزت في مصر الكنيسة القبطية وفي سوريا كنيسة السريان الأرثوذكس التي تم تنظيمها سراً من قبل **يعقوب البرداعي** (Jacob Baradaeus) أبتداء بسنة ٥٤٢[١٥].



الباحة الثمانية المركزية لباسيليكا القديس شمعون الرباعية الكبيرة، على هيئة الصليب في سوريا. لقد عارض الإمبراطور البيزنطي زينو (حكم سنة ٤٧٤_٤٩١) كلا من الدايوفيزيين والمايافيزيتيين وبقيامه بإغلاق جامعة الرها اللاهوتية، فقد نفي كنيسة المشق الى الإمبراطورية الساسانية. وقد شيد الكنيسة، التي تحاكي في مفهومها المعماري أيا صوفيا (Hagia Sophia) التي شيدها يوسطنيانس من أجل تعيين سمعان العمودي (Simeon the Stylite) للكنيسة الإمبراطورية الذي كان يبجل تبجيلا عاليا من قبل السكان المايافيزيتيين. وقد أمضى المتقشف، الذي مات في سنة ٤٥٩، السنوات الثلاثين الأخيرة من حياته فوق عمود يبلغ إرتفاعه ١٦ عشر متراً. وسرعان ما أصبح الدير أشهر موقع للحج في سوريا، ولعب دوراً مهما في تحويل القبائل العربية الى الدين المسيحي، بيد أن الحجاج قاموا بنحت العمود شيئا فشيئا ولم يبق منه اليوم سوى جذله.

وقد ابتيع الإتحاد الجديد مع روما بثمن الإنفصال عن الكنائس المايافيزيتية.

ثم ازدادت الامور سوءاً، ففي سنة ٥٤٤ تولى الأمبراطور **يسطنيانس** محاولة مريبة في إستمالة المايافيزيتيين عن طريق مرسوم ما يسمى بـ "**الفصول الثلاثة**". وقد شملت الفصول الثلاثة شخص وعقيدة وكتابات ثيودورس المصيصي وكتابات الأسقف الأنطاكي **ثيودوريطس** ورسالة **هيبا** آخر اسقف انطاكي في الرها، الى **ماري** (Mari) في فارس. وقد وافق البابا **فيجيليوس** (Vigilius) على الإعلان المجمعي المماثل لسنة ٥٥٣، ولكن بعد ضغط كبير من يوسطنيانس. ومع تحريم ثيودوريطس، أهم آباء كنيسة المشرق، فقد أدينت كنيسة المشرق بأسرها بطبيعة الحال بالهرطقة.

وقد أزداد هذا التحريم مأساة، لأن البطريرك النسطوري في ذلك الوقت، **مار أبا الكبير** (٥٤٠–٥٥٢) كان يعمل بإتجاه مصالحة مع بيزنطة وروما[١٦]. وقد قام مجلس يوسطنيانس بتسوية الخلاف مع المايافيزيتيين فيما يتعلق بتحديد الإتحاد الأقنومي للمسيح، وبذكر منح الطبيعة الإلهية أولوية على البشرية. وأما الطبيعة غير الأقنومية، الطبيعة البشرية، والتي لم تعد تُفهم كأقنوم مستقل بل مجرد طبيعة غير أقنومية غير موجودة بحد ذاتها، فقد أدمجت في الطبيعة الإلهية[١٧].

وقد تجلى رد فعل كنيسة المشرق بوضوح في مناسبة سينودس سنة ٥٨٥ للبطريرك **أيشوعياب الأول** (Ishoyahb I) (بقي في منصب الرئاسة بين ٥٨٥–٥٩٦)



شيدت باسيليكا المشبك ذات الصحون الثلاثة في نفس الوقت الذي شيد فيه دير القديس شمعون وكان كذلك بمثابة موقع يؤمه الحجاج. وكما هو الحال مع كنائس أخرى قديمة شاهدها المؤلف في سنة ٢٠٠٢، فإن المخربين هنا حاولوا هدم الجدران بكاملها عن طريق تحطيم أحجار الزوايا.

"لقد تجرأ هراطقة [مجمع سنة ٥٥٣] في حماقة منهم على إضفاء خصائص وآلام البشرية للمسيح على طبيعة وأقنوم لاهوته"[١٨]. إن تحريم أبي الكنيسة ثيودورس المصيصي بعد وفاته، والذي كان يعد ارثوذكسياً في حياته، هو الأخر مبدأ مُشكل من حيث المبدأ. وللمرء أن يسأل وفق التعبير الجدلي: "ألم يكن لوقا ومرقس ارثوذكسيين، طالما أنهما لم يكونا قد ألفا الثالوثي؟" لقد كانت النتيجة الوحيدة لمجمع سنة ٥٥٣ هي حصول إنقسام ثان، بينما استمر الإنقسام الأول، طالما أن المايافيزتيين لم يكونوا متأثرين بـ "الفصول الثلاثة" وهكذا انقسمت الوحدة المسيحية الى ثلاثة كنائس مستقلة:

الأولى كنيسة روما الرسمية، والقسطنطينية وأورشليم، الى جانب ذلك النصف من السريان الذين أيدوا قانون الإيمان الخلقيدوني.

والثانية الكنائس المضادة للخلقيدونية للاقباط والسريان الأرثوذكس.

والثالثة كنيسة المشرق الواقعة الى شرقي الفرات.

وبحسب ما يراه أغلب المفسرين، فإن إنهيار الوحدة المسيحية يمكن أن يفسر بعاملين. الأول: انها بترقيتها الى كنيسة رسمية، فقدت بعض إستقلالها. وقد بات الآن من الممكن القبول بقانون ما، ليس على أسس لاهوتية، بل لكونها امتثلت لأفكار السلطة المدنية. وكنتيجة لهذا الدمج بين الكنيسة والدولة، فقد بات أمراً محتوماً أن تكون المعارضة السياسية الموجهة ضد الدولة، بطبيعة الحال موجهة ضد الكنيسة في الوقت ذاته، وتدعم الفصائل الدينية المنشقة.

والسبب الأخر: هو بروز إتجاه في السماح بتفسير واحد فقط لسرّ ما، مثل طبيعة المسيح، وتحريم ممثلي المواقف الأخرى كهراطقة- خلاصة الروح التوحيدية. فلو كان هناك الله واحد يؤمن المرء بأنه يمكن تحديده بدقة فلا بد عندئذ ان تكون هناك حقيقة واحدة فقط عنه، وإلا فإنه يتحتم على المرء أن يتحدث عن عدة ألهة أو عدة حقائق بخصوص نفس الحقائق. ويبين التاريخ بأن اكليرس الديانات التوحيدية كانوا يميلون الى السماح بتعريف واحد كوني لـ "إلههم" ورسالته.

أما ما إذا كانت الإمكانات الأخرى ممكنة، فيظهر على سبيل المثال، من **الخان المغولي الكبير مونكي** (حكم بين ١٢٥١-١٢٥٩). فعندما أراد منه **روبروك** الفرنسسكاني (Franciscan Rubrek) عام ١٢٥٤، أن يعتنق المسيحية، أجاب، "نحن المغول نؤمن بوجود إله واحد فقط نؤمن به ونموت به ونوجه كل قلوبنا نحوه. ومع ذلك، فإنه مثلما قد منح الله اليد عدة اصابع، كذلك منح البشر عدة طرق في الحصول على الخلاص"[١٩]. وكانت حكمة هذا الأمير المغولي تكمن في اقراره بأن للماسة عدة اوجه وبأن العين البشرية ترى وجهاً واحداً منها فقط في كل مرة، وأنه رغم الإنطباعات المتباينة لها، فإن الماسة تبقى واحدة ونفس الماسة.

الترجمة السريانية البسيطة (بشيطتا) للكتاب المقدس، الصلة المشتركة بين الكنائس السريانية

لقد اصبحت الجماعة السريانية المسيحية السابقة، منقسمة الأن الى ثلاثة كنائس معادية لبعضها البعض. لكن اللغة المشتركة، الأرامية، أتاحت أساسا لملكية مشتركة مهمة، ألا وهي الكتاب المقدس المعروف بـ **بشيطتا**[٢٠]. وبعد إصدار الـ **دياطسرون** لـ **ططيانس** في حوالي سنة ١٧٠، استمر البحث عن قانون موحِّد (بكسر الحاء) وملزم لكتابات العهد الجديد في الغرب والشرق كليهما[٢١]. وقد وضع الأسقف **أيريناوس** (Bishop Irenaeus) (١٤٢-٢٠٠ تقريبا) موجزاً بجوهر مضمون الترجمة اللاتينية الشائعة الكتاب المقدس (Latin Vulgate Bible)، التي اقرّ بها في الغرب في مجمع **ترنت** (Trent) في سنة ١٥٤٦، والتي كانت تتألف من الأناجيل الأربعة ورسائل بولس. وما لبث أن تلى ذلك، في حوالي سنة ٢٠٠، ما يسمى **قانون موراتوري** (Canon Muratori)[٢٢]. ثم قام اثناسيوس (Athanasius)، وهو احد أباء الكنيسة، في رسالته الفصحية لسنة ٣٦٧، بتعداد الكتب السبعة والعشرين، تلك التي تحدد جزء العهد الجديد من الترجمة اللاتينية الشائعة. وفي سنة ٣٨٤ قام القديس **هيرونيمس** (Jerome)، (٣٤٢-٤٢٠) تقريبا، بإخراج الترجمة اللاتينية للنصوص اليونانية[٢٣]. وتضمنت هذه النصوص، الأناجيل الأربعة، وأعمال الرسل، وأربع عشرة رسالة تنسب الى بولس، والرسائل السبعة المسماة الرسائل "الكاثوليكية"، ورؤيا يوحنا التي هي مثار لجدل طويل.

وثمة نقاش حول اي كتابة للإنجيل كانت في التداول شرقي الفرات قبل الدياطسرون. ويستشهد كل من **فوبس** (Voobus) **وكاويراو** (Kawerau) بالإنجيل الأرامي للعبرانيين، الذي يبين أوجه شبه معينة بإنجيل متى[٢٤]، في حين يعزوه **هنكي**



كتاب الاناجيل السرياني الشرقي المبني على البشيطتا Peshitta، مكتوب بالخط الأسطرنجيلي، من خوزستان في ايران، القرن التاسع الى القرن الثالث عشر.
والصفحات التي تظهر في الصورة هي من إنجيل يوحنا، الفصل الثالث. ويحتوي كتاب الأناجيل على ما يقرب من ٢٢٥ صحيفة، قياسها ٢٣×١٦,٥سم، أو ٤٥٠ صفحة من النصوص. وهو عبارة عن مخطوطة رقية، بإستثناء المجاميع الأربعة الأولى والأخيرة، ما مجموعه ٤٠ صفحة، مصنوعة من الورق وتمثل ترميما متأخرا. أما الكلمات في نهاية المخطوطة، التي تشير الى أسم الناسخ، وزمان النسخ ومكانه مفقودة.
(المكتبةالوطنية في تبريز، ايران)١٨.

(Henneke) الى الحلقة اليهودية المسيحية في مصر[٢٥]. وقد عقب الدايطسرون **فيتوس سيريا** (Vetus Syria) المكتوب باللغة السريانية والخط الأسطرنجيلي. والذي يتضمن الأناجيل الأربعة منفصلة عن بعضها البعض. ولما كان استخدامها جليا في مواعظ **أفراهاط**، وهو أحد آباء الكنيسة الفارسية منذ ٣٣٧- ٣٤٥، إضافة الى ورود ذكرها في رسالة من أسقف الرها **إيثالاها** (بقي في كرسي الأسقفية بين ٣٢٤-٣٤٦)، فلابد من أنها كانت قد ظهرت في حوالي الربع الأول من القرن الرابع. ورغم الإنتشار السريع للترجمة البسيطة، فقد بقيت فيتوس سيريا في التداول في كنيسة المشرق، لا سيما بين المتوحدين، لبضعة قرون[٢٦].

وكان الكتاب المقدس، السرياني بشيطتا، نظيرا للكتاب المقدس اللاتيني الـ (Volgate)، ويعنى اسمه "البسيط". وهو واحد من النسخ العديدة لـ فيتوس سيريا، ولا بد من أن يكون قد ظهر قبل مجمع أفسس في سنة ٤٣١، طالما أنه كان سيغدو من غير المعقول انه كان بمثابة الكتاب المشترك لكل من المايافيزيتيين والنساطرة. واليوم هناك كسر من مخطوطات الكتاب المقدس بشيطتا من القرن الخامس موجودة فعلاً الى جانب ثلاثين أخرى من القرن السادس. وتعود أقدم نسخة من بشيطتا الى ٤٥٩/٤٦٠ للعهد القديم، و٥١٠ للعهد الجديد. إن أقدم مخطوطة سريانية موجودة فعلاً وتعود الى ٤١١، ليست كتابية[٢٧]. بالمقارنة مع الترجمة اللاتينية البسيطة، فإن العهد الجديد للبشيطتا لا يحتوي على الرسالة الثانية لبطرس، والرسالة الثانية والثالثة ليوحنا، ورسالة يهوذا والرؤيا.





كنيسة الدير المايافيزيتي للقديس دانيال من دير بريج (St Daniel of Deir Breij) في شمال. سوريا، أواخر القرن السادس. ورغم ان المايافيزيتيين كانوا يُعدون هراطقة من قبل الكنيسة الملكية البيزنطية، فقد كانوا قادرين أيضا على رئاسة أديرتهم الخاصة بهم في سوريا في النصف الثاني من القرن السادس.

صليب على اسكفة باب كنيسة القديس دانيال من دير بريج، شمالي سوريا.

هكذا فإن عدد نسخ العهد الجديد للكنائس السريانية يبلغ ٢٢ كتاباً بدلاً من ٢٧ كتابا من الترجمة اليونانية البسيطة. وفي مستهل القرن السادس، تولى المايافيزيتيون القيام بمحاولة تكييف البشيطتا خدمة لمتطلباتهم. وقد أمر الأسقف **فيلوكسين المنبجي** (Feloxenos of Mabbug) (حوالي ٤٤٠-٥٢٣) بإيجاد كتاب مقدس أكثر جدلية في صياغته، والذي لم يقبل، على أية حال، من قبل المايافيزيتيين ليختفي أثناء إرتخاء الجدل المسيحاني في القرنين السابع/الثامن. وقد تم التخلي سريعا عن الإعمال، والرسائل، في كتاب مقدس آخر للأسقف المايافيزيتي **هيراكليوس** (Heraclius of Mabbug) الذي ظهر في حوالي سنة ٦١٦/٦١٧، لكن الأناجيل بقيت شائعة[٢٨]. وقد ظل بشيطتا حتى يومنا هذا الصلة التي تربط السريان الغربيين بالسريان الشرقيين.

٥ ـ بطريركية سلوقيا ـ قطيسفون

الوضع السياسي والديني في بداية حكم الساسانيين

لقد ادرك المبشرون المسيحيون كيفية استغلال المناخ المتسامح في ظل حكم الفرثيين الموالين للهيلينية، ليس فقط في نشر البشرى السارة بين الجلاء اليهودي والجماعات الآرامية المحلية. بل في حملها أيضاً الى الجانب الآخر من فارس، الى وسط آسيا. ومثلما سبقت الأشارة، ذكر **برديصان** وجود جماعات مسيحية في **ترانسوشانيا** (Transoxania)، بين سنة ١٩٦ و ٢٢٢[١]. وفي مستهل القرن الثالث وصلت المسيحية من الفرات الى اقدام جبال **هندو كوش**.

ثم تغير هذا الموقف المساعد على نشر المسيحية مع الأطاحة بالفرثيين الذين اخذوا يزدادون ضعفاً، على يد الساسانيين حوالي سنة ٢٢٤/٢٢٦. وكان مؤسس السلالة الساسانية هو **أردشير** (حكم ٢٢٤/٢٢٦-٢٤٠/٢٤١) حفيد الكاهن الزرادشتي الاكبر في **بيرسيبولس**. لقد كانت الثورة القومية للساسانيين ثورة دينية ايضاً، حيث كانت أهداف الإثنين يكمّل احدهما الآخر بصورة كاملة.

وعلى الصعيد السياسي كان من الضروري درء الخطر الروماني على الحدود الغربية. واعادة تأسيس القوة العسكرية السابقة ومجد الامبراطورية الايرانية **للأخمينيين** (Achaemenians).

وعلى الصعيد الديني كان لا بد من احياء الديانة الزرادشتية الفارسية القديمة، ووضع حد للديانات الغازية، كالمسيحية، واليهودية، والبوذية. وقد مهدت الظروف الأساس للإرتقاء بالديانة الزرادشتية الى دين الدولة الرسمي للساسانيين.

وفي سنة ٢٢٧ وعقب غزو سلوقيا-قطيسفون، توجه اردشير شرقاً وفتح **سستان** (Sestan) الواقعة جنوب شرق ايران، **ومرو وباكتريا** (Bactria) (غربي افغانستان). ودحر امبراطورية **كوشان** (Kushan) التي كانت تمتد من حوض نهر **اندس** Indus الى تركستان في الشمال. أما مهمة وضع روما عند حدها فقد وقعت على عاتق ابنه **شابور الأول** (حكم ٢٤٠/٢٤١-٢٧٢) الذي أهان الأمبراطورية الرومانية ثلاث مرات في تعاقب سريع. فقد دحر اولاً الأمبراطور **جوردينوس** (Gordinaus) الثالث (حكم ٢٢٨-٢٤٤) وبعدها عندما القى القبض على الأمبراطورين **فيليب العربي** (Philip the Arab) (حكم ٢٤٤-٢٤٩) و **فاليريان** (Valerian) (حكم ٢٥٣-٢٦٠) في المعركة.

وقد امتدت امبراطورية شابور من الرها على الفرات في الغرب الى دلتا نهر اندس في الشرق، ومن عمان في الجنوب الى **سوغديا** (Sogdia) (اوزبكستان) في الشمال. وفي سنوات ٢٤٤، ٢٥٦ و ٢٥٩/٢٦٠ دخل شابور سوريا وقلقيلية وقبدوقية، مرحلاً مئات الآلاف من السجناء الى ايران واسكنهم في مدن جديدة. وأشهر هذه المدن كانت



نحت بارز على الصخر، في نقش روستم، في ايران، اواسط القرن الثالث للميلاد. حيث يبدو الأمبراطور الروماني المهزوم فيليب العربي جاثياً امام الشاه المنتصر شابور الأول، ويقف خلفه الأمبراطور فاليريان الذي اسر في سنة ٢٦٠. بيد أن غورديانوس الثالث، الذي دحر هو الآخر، مفقود من الصورة.

جنديسابور، وهي موقع لمدرسة نسطورية، تم تحويلها سنة ٥٢٩ الى جامعة وطنية علمانية للساسانيين. ومن المفارقة ان يكون شابور الأول، الذي استغل سلطته لتعزيز احياء الزرادشتية، هو الذي زرع المسيحية في قلب ايران في فارس، وعيلام، وخوزستان، عن طريق عمليات الترحيل تلك، التي قام بها.

لكن الرومان لم يذعنوا للإنحدار، وسرعان ما تقدم الأمبراطور كاروس (Carus) (حكم ٢٨٢-٢٨٣) بجيشه حتى بلغ **قطيسفون**، حيث ضربته الصاعقة فمات. وبعد عشر سنوات وجد الساساني **نرسس** (Narses) (حكم ٢٩٣- ٣٠٢) نفسه مضطراً لعقد سلام والتنازل عن ارمينيا وبين النهرين الشمالية الغربية الى روما. وقبل هذا الوقت لم يتأثر مسيحيو ايران بالحرب الرومانية الساسانية، لان روما كانت ماتزال وثنية.

وثمة عاملان غيرا موقف المسيحيين الساسانيين الى ما هو أسوأ. الأول: قيام **شابور** وخلفاؤه تدريجياً بترقية الزرادشتية الى دين الدولة، والثاني: قيام الأمبراطور الروماني **قسطنطين** بمجاهرته بالمسيحية جاعلاً منها ديناً مدعوماً من قبل الدولة. هكذا صارت ديانة الاقلية المسيحية، من المنظور الساساني، منذ ذلك الوقت فصاعداً هي دين الدولة الرسمي لعدوتها اللدودة روما — وهو تطور كارثي لمسيحيي ايران، لأنهم اصبحوا تحت وطأة الشك، من انهم يشكلون الطابور الخامس لروما. ان التاريخ السياسي للساسانيين منذ القرن الرابع حتى الغزو العربي، والذي سوف يُدرس في الجزء ما بعد القادم، يظهر بأن كل حرب رومانية ساسانية، كانت تجلب معها اضطهاد المسيحيين، والذي كان ينتهي بالهدوء بعد أن تعقد معاهدات السلام.

الزرادشتية في الأمبراطورية الساسانية

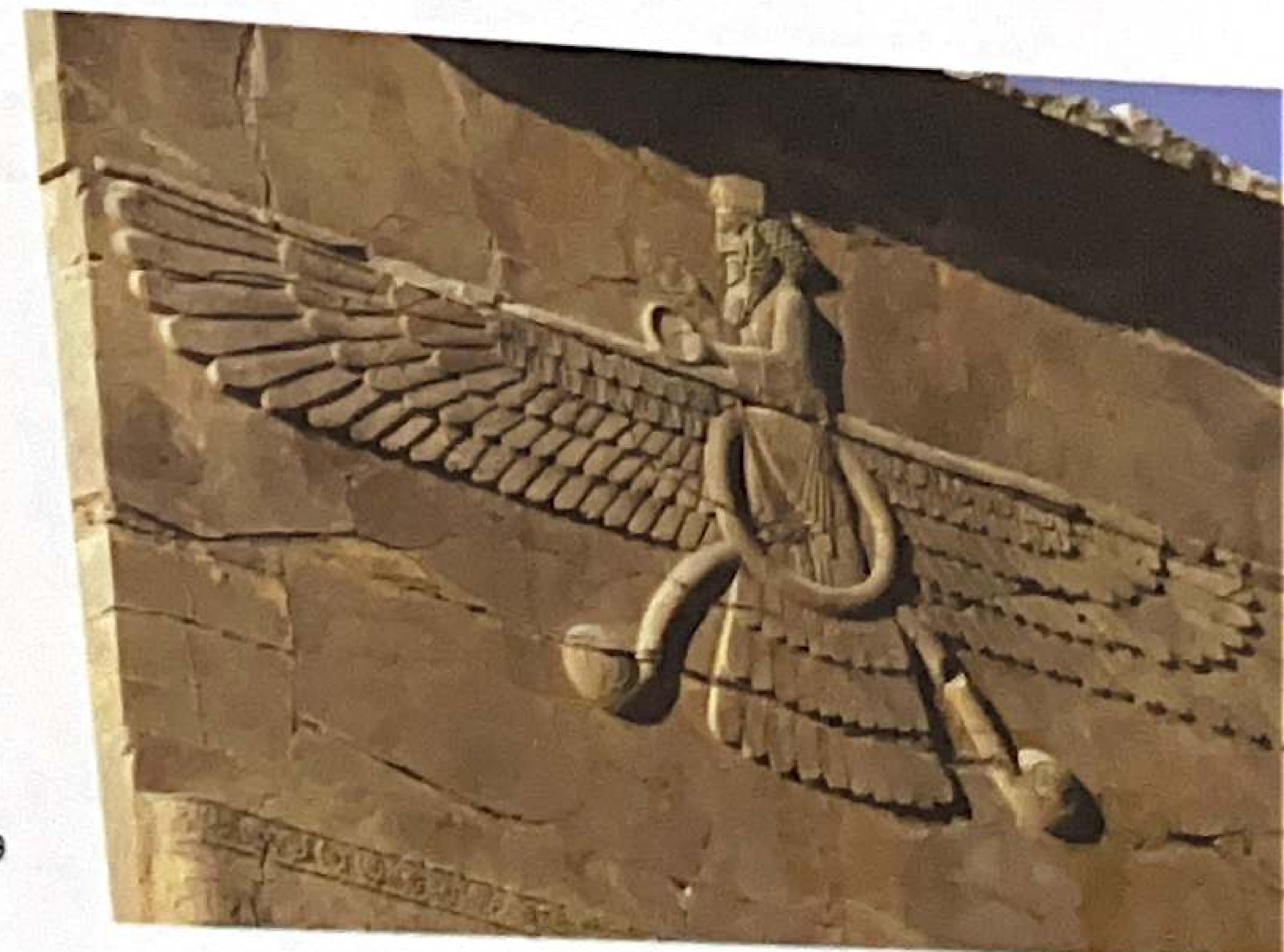
كان الايرانيون ما قبل الزرادشتية، مثل انسبائهم **الآريين** (Aryans) في الهند، ممن يعبدون آلهة متعددة، بعضها نفس الآلهة. وكانت الآلهة الرئيسة في ذلك الوقت هي: **آهور مزدا** (Ahura Mazda) "الإله الحكيم"، **ومثرا** (Mithra) إله الشمس والحقيقة، ومن ثم إلهة الحب والحرب **آناهيتا** (Anahita). وقد كان النبي الزرادشتي **زاراشسترا** (Zarathustra)، المدعو زوراستر (Zoroaster) باليونانية، نشطاً في وقت مبكر من الألف الأول ق.م[٢]. وكان نبياً اخلاقياً ذا رؤيا توحيدية راسخة في الثنائية النسبية.

وكانت هذه الثنائية مفهومة ليس كمعارضة مطلقة وأبدية للقوى المتخاصمة، بل بالأحرى مثل حرب الـ 12,000 سنة من الصراع بين إله الخير والنور، آهورا مزدا، وإله الشر والظلام، **أهريمان** (Ahriman)،

الذي يمكن للمرء ان يعتبره نوعاً ما سلفاً للشيطان في المسيحية. وإن القدرة الكلية، ضمن اطار **الكوزمولوجيا** (Cosmology) الزرادشتية لأهورا مزدا محدودة بشكل مؤقت فقط، وانه بحاجة الى العون البشري لإستعادتها. ومن أجل دحر اهريمان، فإن أهورا مزدا يقوم اولاً بخلق الكون كساحة معركة لحرب جبارة بين الألهة.

وعلى البشر، كنتيجة للإرادة الحرة المعطاة لهم، وضمن سياق المعركة الجبارة، ان يقرروا ويتخذوا موقفا لصالح الخير او الشر". والبشر، كصورة كونية مصغرة للكون الكبير، عبارة عن ساحة كفاح ومساهمون مع أهورا مزدا في ذلك الصراع ضد أهريمان. ويتطلب السبيل الى الخير الموقف المناسب، والكلام الصادق، والاعمال الصالحة العادلة. وكان زرادشتْ يكره الكذب بشكل خاص. ولهذا السبب، امر بعبادة النار الخالدة، رمزاً للحقيقة النقية. وعلى النقيض من المسيحية الأوغسطينية، و**المانوية**، فإن المعارضة بين الخير والشر ليست متماثلة مع تلك التي بين الروح والمادة. إن الأنثروبولوجيا الزرادشتية، كما هو الحال مع الكوزمولوجيا فيها، متفائلة من حيث الجوهر، وتدعو الى كمال الخليقة والبشر. البشر الذي هو غير خاطىء في ذاته، اضافة الى انتصار الخير على الشر في نهاية العملية **الأخيرية** (Eschatological). ولما كان من الممكن للمادة ان تكون كاملة تماما مثل النفس– بل، حتى يمكن لها أن تُفسر كتحقيق خلاصي لها، فإن الإنسان يدعم الخير بروحه ونفسه وجسده. وليس، كما هو الحال في **التوحدية والمانوية**، وليس ضد جسده. ولما كان الكفاح من اجل الخير يتطلب تقوية الخليقة، الإيجابية في طبيعتها، والتي هي معرضة باستمرار لهجوم وأذى من قبل أهريمان، فإن الإنسان ملزم ليس فقط بأن يكون له الموقف الصحيح والكلام الصحيح والأعمال الصالحة، بل أيضا أن يدعم الحياة عن طريق الزراعة وتربية الماشية، وقبل كل شيىء أنجاب النسل.

إن هذا الإلتزام الأخلاقي بالعمل، والزواج من أجل انجاب الأطفال، مناهض تماما للمثل التوحدي القائم على الأمتناع عن القيام بالعمل الجسدي لصالح الصلاة، والعيش على النباتات، والصوم الصارم والعزوبية. وكما سنرى ادناه، فإن واحداً من اكثر الإتهامات تكراراً من قبل الأكليروس الزرادشتي ضد المتوحدين المسيحيين، والراهبات، كان يتعلق بنذورهم العزوبية. وفي أيام الإضطهاد كان الكهنة الزرادشتيون يعرضون على الأكليروس والمتوحدين والراهبات المسيحيات الذين يُلقى القبض عليهم، الإختيار بين عبادة النار الخالدة، والشمس، والزواج، أو مواجهة موت زؤام[٣].



...واهر (احد الرموز
...رادشتية الرئيسة التي يعتقد
...ا تمثل الروح الحارس
...زحم]) الملك في قاعة المئة
...د، بيرسيبولس، ايران. ويمثل
... روح الإنسان الخالدة.
... الأجزاء الثلاثة للأجنحة
...ض الأخلاقية للأفكار النقية،
...ت النقية، والأعمال النقية،
... في الوسط خلود الروح،
...طتان الساقطتان منها،
...لى تراصف الرأس،
...عن الشر والعودة الى
...تشير اليد اليمنى
... الى أهورا مزدا غير
... تمسك الشمال بحلقة



برجا الصمت الزرادشتيان في يزد (Yazd) بإيران. كان الزرادشتيون يتركون امواتهم في ابراج كهذه لكي تأكلها النسور لكي يضعوا العظام بعد ذلك في معظمة (مستودع توضع فيه عظام الموتى [المترجم]) او في ثلمات صخرية. وقد تم تحريم هذا النوع من التقليد في ايران منذ ١٩٧٠، لأسباب صحية.

وإضافة الى عدم احترام النار المقدسة، فإن الإتهام الثاني: الذي كان يوجه ضد المسيحيين كان بسبب الدفن. لأن زرادشتْ لم يؤكد فقط على التمتع بالملذات الدنيوية بل منع ايضا حرق الارض، وأن العناصر الاساسية الأربع النار والماء والتراب والهواء كانت تعد مقدسة، وعليه فلم يكن من الجائز تلويثها، تحت أية ذريعة، عن طريق دفن الأجساد النجسة. ولم يكن يسمح بتقديم قرابين الأجساد إلا للطيور الجارحة في أماكن معينة. وعليه، فإن الشكوى الرسمية ضد المسيحيين في سنة ٣٧٦، تقرأ هكذا: "إن المسيحيين يدمرون تعاليمنا، ولا يعلمون الناس عبادة الشمس واكرام النار، ويلوثون الماء بالوضوء المقرف. وعدم الزواج، وعدم انجاب البنين والبنات، وعدم الدخول في الحرب [ضد بيزنطة المسيحية] الى جانب الملك، وعدم ذبح الحيوانات وأكلها دون وخز الضمير، [و] دفن الموتى في التراب"[٤]. وكاد الحل الوسط ألا يكون ممكنا بين ديانات مبنية على انثروبولوجيات متعارضة جوهرياً.

ويمكن رؤية الأهمية الجوهرية للزواج بالنسبة للزرادشتية في الحديث بين الملك **بهرام الثالث** Vahram (حكم سنة ٢٩٣) والأسقف **بابا** (Papa) من سلوقيا– قطيسفون. ولما كان كل من الأكليروس المانوي والأساقفة السريان الشرقيين يعيشون حياة العزوبية، فقد كانوا في نظر الملك مساوين للهراطقة، معادين للدولة، ويستحقون الموت. "ولما رأى الملك بأن الأساقفة يمتنعون عن الزواج، حسب مدرسة **المانويين**، فقد امر

بذبح المانويين والمسيحيين". وفي هذه الأزمة، دنا الأسقف من الملك موضحا، "إن المانويين يؤمنون بإلهين، بأن للارض حياة، بأن الأرواح يمكن ان تحل من جسد لآخر وبأن الزاوج بغيض. بينما يقر المسيحيون بإله واحد، ويتغاضون عن الزواج، الذي هو ممنوع على قادتهم، من اجل ان يثابروا على الصلاة"[5]. وقد ساعد توضيح باباي الى وقف قصير الأمد ومحدود للاضطهاد. ومن اجل تفنيد هذه التهمة، قرر مجمع سنة ٤٨٦ مطالبة كل الأكليروس بالزواج.

وبحسب الأفكار الزرادشتية، فإن على الموتى عبور جسر الدينونة. فإن رجحت كفة الخير على كفة الشر في الحياة التي تتعرض للحساب، يجد الميت، في النهاية الاخرى من الجسر جنة مؤقتة، وإن رجحت كفة الشر، سقط المتوفي من الجسر الى الجحيم، وكذلك لفترة محددة. وفي فوضة المعركة الكونية الأخيرة، يظهر المخلص الأخير ليقيم كل الأموات ويقرر دينونة ثانية نهائية، حيث يتم اختيار الأخيار مرة اخرى الى الجنة، والأشرار الى الجحيم[6]. وبعد الأنتصار النهائي للخير على الشر وبعد ان يؤدي سكان الجحيم فترة حكمهم، يصلون ايضاً، وقد تطهروا، الى ملكوت الله، حيث يستعيد أهورا مزدا الآن وجوده الكلي وتتمتع البشرية بالحياة الأبدية. وتوصد ابواب الجحيم الى الأبد.

وثمة بعض الشك من أن تكون افكار الزرادشتية قد وجدت طريقها الى العقيدتين اليهودية والمسيحية. وتتضمن هذه الأفكار وضع الضدين، الخير والشر، والنور والظلام، أحدهما بجانب الآخر[7]، والخلاص الأخير، وقيامة الموتى، وحكمهم يوم الدينونة، اضافة الى الاعتقاد، الشائع بين النساطرة، من أن فترة البقاء في الجحيم من اجل التكفير عن الخطايا هي لزمن محدد"[8]*.

وقد تمكنت الزرادشتية ان تتطور الى حد معين تحت حكم الأخمينيين (٥٥٩-٣٣٠) ق.م ولكن كان عليها ان تسمح بعبادات **مثرا وأناهيتا**. وتحت حكم الفرثيين اخذ الناس ينسونها أول الامر شيئاً فشيئا، ولكن، ونتيجة لرد الفعل ضد **الهلنستية**، بدأ جمع النصوص الزرادشتية في كتاب مقدس يسمى **آفستا** (Avesta) تحت حكم الملك **فولوكاسس** (Vologases)، (حكم ٥١-٧٨ م)[9]. وقد استمر الملكان الساسانيان **اردشير وشابور** الأول، بعملية الجمع المدون للعقيدة الزرادشتية. وفي الوقت الذي استخدمت فيه الكتابة البهلوية الشمالية الغربية لهذا الغرض في زمن الفرثيين والارشاقيين، فإن العلماء الساسانيين طوروا كتابتهم الخاصة بهم عن الساسانية، البهلوية الجنوبية الغربية لتدوين الأفستا، كما يدل على ذلك الأستخدام الحاصل لحروف العلة في النص. وفي الوقت الذي كانت تتألف فيه الكتابة الارشاقية، المشتقة من الارامية، من (٢٠) حرفاً، والساسانية من (١٩) حرفاً، فإن الابجدية المسماة **بازاند** (Pazand) تتألف من (٥٤) رمز، أربعة عشر منها حروف علة. وتتجه كل الكتابات البهلوية من اليمن الى اليسار[10]. وقد مثلت الأفستا الساسانية خليطاً من تعاليم زرادشت، وافكار من الديانة الشعبية، حيث ظهرت في الافستا الهة الفرس القديمة ثانية، مثل مثرا وآناهيتا واله النصر

---

* لا وجود لمثل هذه العقيدة في المفاهيم الايمانية النسطورية. وبالتالي فإن كنيسة المشرق الاشورية قديماً وحديثاً لاتؤمن بوجود مايسمى (المطهر) أي التكفير عن الخطايا بهذه الطريقة!! (المدقق)

فيريثراغنا (Verethraghna) الذي كان قد اهمل من قبل زرادشت.

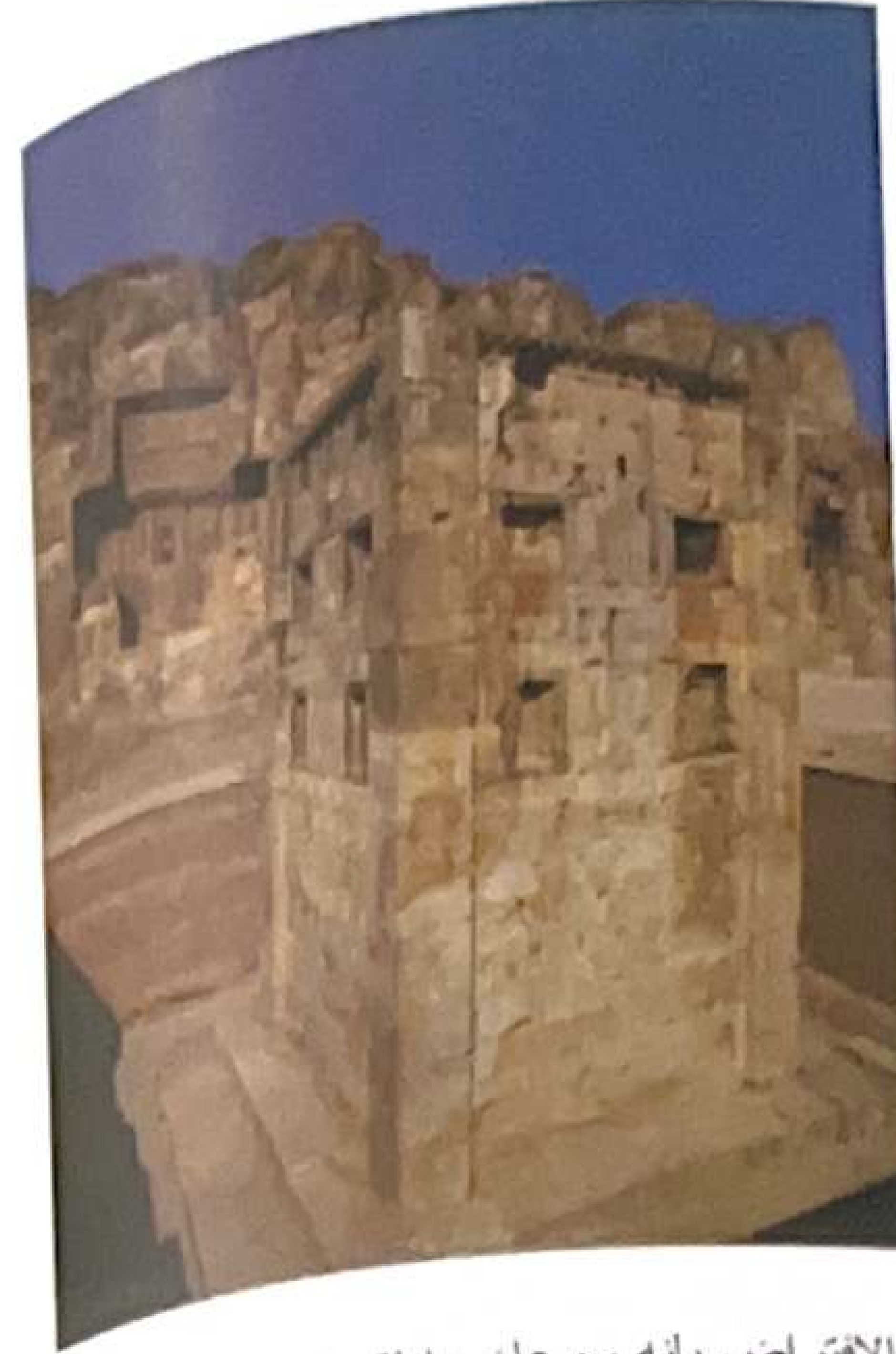
ويبدو ان الثنائية بين الخير والشر تُجعل متطرفة في الأفستا الساسانية. "هناك روحان اصليان، توأمان، يعرفان بتعارض احدهما للأخر. وهما في الفكر والكلمة والعمل اثنان، الصالح والرديء"[11]. ويذهب البيت الشعري التالي من **ياسنا** (Yasna)، وهو جزء من الافستا، "عندما التقى الروحان أهورا مزدا و أهريمان، خلق احدهما الوجود والأخر العدم. وهذا الموقف سوف يدوم الى الأبد"[12]. وفي تفسير الثنائية هذه، يرى اهورا مزدا ذاته بانه يواجه "الى الأبد" من قبل إله مساو له هو إله العدم، إله مزيف. ومن اجل التغلب على هذه الثنائية الصارمة واقامة الرؤيا التوحدية لزرادشت، نشأت الهرطقة **الزرفانية** (Zurvanizm)، حيث يصبح الزمن، زرفان، في هذا المذهب ابا للروحين التوامين المتنافرين. ورغم ان الزرفانية قلصت اكثر من مكانة اهورا مزدا، وان الطبيعة المطلقة للزمن ضمنت قضاء وقدر كل الأحداث، ملغية الأرادة الزرادشتية الحرة، فانه يبدو بانها كانت شائعة لدى الملوك الساسانيين. ومع ذلك فقد ظلت الزرافانية مجرد اتجاه عقلي ضمن الزرادشتية الرسمية، وهي لم تقم بقيادة اكليروسها الخاص بها، ولا ديانة خاصة مقتصرة عليها. وقد تفسر السمة التوحيدية للزرفانية التقارب بين حين وآخر وانجذاب ملوك فرديين الى المسيحية[13]. ومع ذلك فإن آمال المسيحيين، في اعتناق ملك ساساني للمسيحية، لم تتحقق ابداً، لأن الضغط السياسي، وفوق كل شيء تأثير الأكليرس الزرادشتي كان قوياً جداً.

بل ان هذا الأكليرس كون في الحقيقة طبقة، لان وظائفه كانت وراثية، تتألف عند قاعدتها من الـ **هرباد** (Herpad)، الذين يسمون السحرة، الذين كانوا يقومون على خدمة النار المقدسة في المعابد المحلية. وتخدم في مرتبة اعلى منهم الـ **ماكوبات** (Magupat) الذين يسمون ايضاً **موبيد** (Mubed)، وهم الكهنة الحقيقيون. وعلى قمة التنظيم الهرمي كان يقف الـ **ماكوباتان ماكوبات** (Magupatan Magupat)، (موبيدان موبيد). وكانت هذه الأخيرة تعمل ليس فقط كسلطة على كل السحرة والكهنة، بل تتمتع بسلطات قضائية وتلعب دوراً حاسما في تقرير من يكون خليفة العرش الملكي.

وكان مهندس الأكليرس الزرادشتي هو الكاهن الأعلى الزرادشتي **كارتير** (Kartir)، الذي رفع الزرادشتية الى مرتبة دين الدول الساسانية وحارب ضد كل الديانات "الأجنبية".

وتتيح اربعة نقوش من الحجارة الكبيرة في أقليم فارس، معلومات حول حياة وعمل الكارتير[14]. ومجرد حقيقة كون كارتير قادراً على نصب نقوشه للتمجيد الذاتي الخاص به في هكذا اماكن مقدسة مثل **نقشي رجب** (Naqsh-e Rajab) **ونقشي روستم في وادي الملوك الساساني**، حيث وجد اربعة من اهم ملوك الأخمينيين مثواهم الأخير- يشير الى انه كان يحتل مكانة في الأمة تضاهي مكانة الملوك. وقد كونت الكنيسة والدولة في ايران الساسانية ثنائيا لا يمكن التفريق بينه[15].

وكانت سيرة **كارير لهرباد كارتير** باعتباره **ماكوباتان ماكوبات** و"حاكم الأمبراطورية كلها" غير اعتيادية، فيما يخص كل من مدى بقائها وسلطاتها. وعبر فترة تزيد على نصف قرن، من حوالي ٢٤٠ الى ٢٩٣م، عمل كارتير تحت حكم ستة ملوك، فقد عمل اولاً ككاهن تحت حكم اردشير (+٢٤٠/٢٤١)، حيث عمل بعدها



كان الكاهن الزرادشتي الأعلى كارتير (ظل في الوظيفة في حوالي ٢٤٠_٢٩٣م) قد نحت على هذا الضريح الأخميني الشبيه البرج في نقش روستم، في ايران، نقشه الخاص به، والذي تباهى فيه بإنجازاته. وقد ادرج من بين تلك الإنجازات دعم الزرادشتية وإضطهاد جميع الديانات الأخرى التي وجدت في ايران. والى شمال الضريح المسمى كعبة زرادشت، يمكن مشاهدة قبر داريوس الثاني حكم في (٤٢٣_٤٠٤ ق.م) والى اليمين قبر داريوش الأول حكم في (٥٢٢_٤٨٦ق.م).

تحت حكم شابور الأول لنشر العقيدة الزرادشتية وتدوينها. وقد حدث ارتقاؤه الحقيقي الى الحلقة الداخلية للسلطة بتسميته الماكوبات الأعلى لأهورا مزدا من قبل **هرمزد الأول** (Hormizd I) (حكم في ٢٧٢-٢٧٣). وبمقتضى وظيفته قام بتنظيم هيكلية الأكليرس الزرادشتي، واشرف على استقامة العقيدة، وأعلن اسس الديانة الجديدة للدولة على اكثر من ٧٠٠ نقش حجري[١٦].

وقد ثبته **بهرام الأول** (حكم ٢٧٣-٢٧٦ م، في هذا الدور القيادي، مفسحا له المجال لتدمير خصمه اللدود **ماني** (٢١٦-٢٧٢ أو ٢٧٦)، الذي كان قد نال حظوة لدى شابور الأول.

كان بهرام قد أدرك بأن **الترويضية** المتفائلة لماني، الذي حرم كل ما هو دنيوي ومادي على انه من الشر، كان بإمكانها ان تهدد الترتيب الاجتماعي والدولة. وهكذا امر كارتير بالإضطهاد المنظم للمانيين، شمل به المسيحيين في حوالي ٢٨٧ للأسباب اعلاه[١٧]. وقد بلغ كارتير اوج قوته تحت حكم **بهرام الثاني** (حكم ٢٧٦-٢٩٣)، الذي رقاه الى مرتبة النبلاء ومنحه اسمى سلطة في الأمبرطورية. وكقائد للإكليرس، وحامي العقيدة المستقيمة، و "قاضي جميع القضاة"، فقد تبوأ الوظيفة الأخيرة موبيدان موبيد، وارتقى ليصبح نوعا من حاكم التفتيش الأكبر. وخلال زمن حكم بهرام الثاني قام كارتير بنحت نقوشه الأربعة، واستمر بالخدمة تحت حكم **بهرام الثالث** (حكم في سنة ٢٩٣) وفي بداية حكم **نارسس** (Narses) (حكم ٢٩٣-٣٠٢)، عندما ظهر اسمه للمرة الأخيرة في النقش الذي ينادي بإعتلاء الملك الجديد الى العرش[١٨]. ولعدم ورود وفاته في اي نقش، فإنه يمكن الإفتراض بانه سرعان ما فقد نفوذه تحت حكم نارسس.

ولم تكن الزرادشتية التي تحولت الى دين الدولة على يد كارتير متسامحة ولا مسالمة. ولما كان نبيها قد الزم جميع الناس تشجيع الخير ومحاربة الشر، فان إلتزام للكنيسة والدولة هذا جُعل مساويا لتشجيع الديانة الزرادشتية واخلاقيتها وتدمير كل الديانات الاخرى "المزيفة". وكنتيجة للعلاقة الوثيقة بين الكنيسة والدولة، فان رفض الزرادشتية لصالح أية ديانة اخرى كان يعني الخيانة التي تستوجب عقوبة الموت. ولكن نظرا لوجود الزرادشتيين فقط من أهل المنطقة في بلاد الرافدين وجنوب غرب ايران، فقد كان بإمكان المسيحية ان تنتشر هناك حتى تحت حكم الساسانيين، لكنها لم تجذب الا اقلية في



صورة بنصف الطول لكاهن أكبر كارتير في نافشي رجب ايران، في فترة فاهرام الثاني (الذي حكم ٢٧٦-٢٩٣م). في مخطوطة بهلوي يعد كارتير بالفردوس للخير وبالجحيم للشر. الاصبعان المعقوفان هي دلالة على الاحترام.

قلب الأراضي الزرادشتية في اقليم فارس. ولا بد من ملاحظة ان نمط المواقف المتباينة للديانة المدعومة من الدولة والحكومة التي جعلتها شرعية تجاه المسيحية، والتي تأرجحت بين اعمدة التسامح الكريم والقمع الوحشي، ظل مثلما هو في بلاد الرافدين وايران حتى اليوم. وتساعدنا دراسة تاريخ المسيحية تحت حكم الساسانيين في فهم موقف المسيحيين هناك في الوقت الحاضر. وفي النقش الكبير على البرج الزرادشتي **لنقش روستم**، تباهي **كارتير** بما انجزه في حياته عن طريق تدوينه لقائمة بمهامه والقابه: "وفي اقليم بعد آخر، ومكان بعد آخر تسود عبادة اورمزد [اهورا مازدا] والآلهة.

وتتمتع الديانة المزدية [الزرادشتية] والسحرة بأعظم احترام في الأمبراطورية، وقد الغيت **اهريمان** والعفارتة وأمحيت، تم القضاء على كل اليهود و**الشامان** [البوذيين] والبراهمة [الهنود] والنصارى [السريان الشرقيين الناطقين بالأرامية والفارسية الوسطى]، والمسيحيين [كرستيان، اللاجئين الناطقين باليونانية من الإمبراطورية الرومانية وسجناء الحرب المسيحيين] والمكتكيين (Maktaks)، [الطوائف المعمدانية للمندائيين، والزنادقة المانويين] في الامبرطورية. وقد حطمت اوثانهم ودمرت بيوت العفارتة [المعابد الأجنبية]"[١٩].

وفي الجزء الاخير من النقش عدد كارتير أعمالا اضافية في تعزيز الديانة: "وبمساعدة الآلهة والملك وجهودي، تم تشييد ما لا يمكن ان يحصى من معابد النار في الامبراطورية، وجرت عدة زيجات بين

القربى واصبح الكثير من الكفار مؤمنين"[٢٠]. وكان زواج القربى الذي كانت ترغبه الزرادشتية ــ غالبا ما كان الملوك يتزوجون من شقيقاتهم وبناتهم - موضوعا آخر للخلاف بين المسيحية والزرادشتيين. وهكذا، على سبيل المثال، ادى التحريم الذي اصدره البطريرك **مار ابا**، بمنع المسيحيين من تقليد الزيجات الفارسية بين القربى، الى اضطهادات عام ٥٤٤[٢١].

وفي الأسطر التسعة عشر الاخيرة لخصّ كارتير جوهر الانثولوجيا الزرادشتية، التي صيغت بإطناب في **نقش رجب القريب**: "يجب على من يرى ويقرأ هذا النقش ان يكون كريما للآلهة والملوك ولنفسه، مثلما كنت أنا. من يعمل الخير سينال الفردوس، ومن يعمل الشر سيلقى في جهنم. ومن يعمل الخير ويحسن التصرف، سوف يمنح له المجد، والازدهار لجسده، وتحتفظ روحه الجسدية بالاخلاق المستقيمة، مثلما وهبت لي، انا كارتير"[٢٢].

وعلى النقيض من تعاليم ماني، والتي يمثل فيها جسد الانسان عمل المبدأ الشرير وانه لا يمكن ان تفتدى الا ذرات من الضوء في النفس، فإن عقيدة كارتير اكدت على ان جسد الانسان، الى جانب روحه ونفسه، قد خلقت ثلاثتها جميعا من قبل الإله الصالح أهورا مزدا وعليه فهي ذات طبيعة الهية. لذلك فإن الشخص كله ــ الجسد والروح والنفس ــ تبلغ الفردوس.

ولما كان المانويون يحرمون انجاب الاولاد كضرر ودنس اضافي للنور الالهي، ولكون المتوحدين والمتوحدات المسيحيين و"إخوة واخوات العهد"[٢٣] المتصوفين، يعيشون حياة العزوبية، فقد اعلنوا بانهم اعداء للإله الخالق الصالح اهورا مزدا، وهكذا اضطهدوا. ولم يستثن اضطهاد المسيحيين العائلة الملكية، كما هو الحال مع **كانديدا** (Candida) المسيحية ذات الأصل الروماني التي كانت واحدة من زوجات **بهرام الثاني** حيث رفضت الانصياع لرغبات الملك والتحول الى الزرادشتية، ولهذا السبب جرى تعذيبها بوحشية ومن ثم اعدمت[٢٤]. ومع ذلك فقد كان الإضطهاد الأول للمسيحيين، والذي خمد في ظل حكم نارسس، مجرد تمهيد عند مقارنته باضطهادات القرنين التاليين.

إضطهاد دام قرناً منذ ٣٤٠ الى٤٥٧، والتكوين الأول للسلطة الكنيسة

"من اراد ان يتبعني فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني. لأن الذي يريد ان يخلص حياته يخسرها، ولكن الذي يخسر حياته في سبيلي وسبيل البشارة يخلصها"[٢٥].

وفي مستهل القرن الرابع وقعت حادثتان حاسمتان لكنيسة المشرق، احداها هي تطور تنظيم السلطة الكنيسة، والاخرى ترقية المسيحية الى مرتبة دين الدولة في الامبراطورية الرومانية. وكنتيجة للاخيرة، بدأ الإضطهاد المنظم للمسيحيين في الامبرطورية الساسانية في الوقت الذي توقفت فيه تلك الاضطهادات في روما. وفي الوقت الذي قبل فيه الامبراطور الروماني المسيحية، وقد كان حتى ذلك الحين معاديا للمسيحيين، اصبحت الامبراطورية الساسانية، التي كانت قبل ذلك محايدة نوعا ما، تشكك في سكانها المسيحيين وتعاديهم.

وكما هو الحال مع مسألة النشاط التبشيري الاول في بلاد بين النهرين، فإننا نسير، فيما يتعلق بتكوين السلطة الكنيسة، في نطاق مائع وغامض بين الاسطورة والحقيقة التاريخية. ومن المؤكد ان الجمعيات

الرهبانية السريانية الشرقية، في القرن الثالث، كانت حسنة الاطلاع على السلطة الكنسية الخماسية المتالفة من الاسقف والارخيدياقون والخوراسقف والشيخ والشماس. ويحتل الاسقف قمة الوظائف ضمن اقليم معين للكنيسة الذي يحمل اسم مدينته العاصمة، وهو الذي يحتفل برسامة الاكليرس الجديد، وهو المسؤول عن الخضوع للعقيدة الارثوذكسية. وبعكس الحال في بيزنطة وروما، فإن الارخيدياقون يحتل ثاني اعلى مرتبة بعد الاسقف، وهو مسؤول عن ادارة الابرشية ويقود الكهنة والشمامسة الذين هم تحت سلطته ويتمتع بسلطة كاملة في توجيههم ومعاقبتهم، ويشرف على المحافظة على عقيدة الكنيسة. ويمكن ان يوصف الارخيدياقون بممثل الاسقف، طالما انه يستطيع ان يتولى وظائفه بصورة مؤقتة في حالة حصول فراغ اسقفي. ويلي الارخيدياقون الخوراسقف، ومهمته هي زيارة الكنائس والاديرة. وفيما بعد حل الـ **پرياذوطي** (periodeutai)، (الزائرون)، وهم يأتون بعد الخوراسقف مرتبة، ويتولون مهامه. ويقود الشيخ الجمعيات الرهبانية في الصلاة يدعمه في عمله الشمامسة ومعاونيهم (الشدياقيون) النشطون ايضا في مجال التعليم[٢٦]. وكانت وظيفة شماس الكنسية هي الوحيدة المفتوحة امام النساء اللواتي كن يشتركن في تعميذ الكبار وتعليم النساء. وكان بامكان الشماسة التي هي في الوقت نفسه رئيسة دير الراهبات، ان تناول القربان المقدس كممثلة للاسقف او الكاهن المعين[٢٧].

وكانت الابرشيات السريانية الشرقية، وحتى بدء القرن الرابع، تتمتع بحكم ذاتي الى حد كبير. إن جعل السلطة الكنيسة التي بدأت في سنة ٢٠٤، مركزية، والتي اكد عليها **فيه** (Fiey)، اضافة الى الرسامة المزعومة لاسقف سلوقيا ــ قطيسفون من قبل اسقف انطاكية[٢٨] من نسج خيال الاسطورة اللاحقة. وتروي **اخبار اربيلا** (Chronicle of Arbela) على وجه الخصوص بان الجماعة المسيحية الصغيرة للعاصمة لم تكن تملك كاهنا حتى زيارة **الاسقف شخلوپا** (Bishop Shalupa) من اربيل (حوالي ٢٥٨- ٢٧٣)، الذي اهتم بها. "وقد ذهب شخلوپا الى قطيسفون، لأجل زيارة جماعة المؤمنين حديثة التكوين هناك، وضع يده على رجل ورسمه كاهنا"[٢٩]. وكان هذا الاسقف في اكبر الظن هو **بابا بر آجاي** Papa bar Aggai (+ حوالي ٣٢٧)، والذي رسمه خليفة شخلوپا **احادبابوي** (Ahadbabui)، (حوالي ٢٧٣- ٢٩١)، بطلب من المسيحيين المحليين، كاسقف بين سنوات ٢٨٥ و٢٩١[٣٠].

وفي حوالي سنة ٣١٥، تولى بابا القيام باول محاولة لوضع كل أساقفة الامبراطورية الساسانية تحت سلطة أسقف العاصمة، وانهاء ازدواجية الوظائف الكنسية في الاقاليم الرهبانية. وكنتيجة لاستيطان المسيحيين المرحلين من سوريا، اقام في عدة اقاليم اسقفان، كما هو الحال مثلا في **بيت لاباط** (جنديسابور)- احدهما ارامي سرياني شرقي، والاخر يوناني سرياني غربي. وكانت رؤيا بابا تقوم على تكوين كنيسة وطنية ايرانية صارمة التنظيم تحت رئاسة اسقف سلوقيا ــ قطيسفون. لكن خطة بابا ومطالبته بالقيادة، لاقت معارضة شديدة من قبل اقرانه الاساقفة، الذين قاموا بإقالته في سينودس عاصف - حيث أصيب اثناء ذلك بسكتة دماغية- فعينوا مكانه **الارخيدياقون شمعون بر صباعي** الذي كان لوالديه علاقات متميزة مع الملك. فلجأ الاسقف



نقش حجري لشابور الثاني (حكم بين ٣٠٩-٣٧٩)، وهو يتكىء على سيفه. بيشابور، ايران. لقد حاول الشاه عبثاً عن طريق الإضطهادات القاسية إيقاف انتشار المسيحية.

المقال بعد ذلك الى اسقف الرها ــ وليس الى اسقف انطاكيا ــ والى اساقفة غربيين آخرين، الذين قدموا له الدعم في خطته.

ووجدت كنيسة المشرق الفتية نفسها في امتحان حاسم، لكن المصالحة انقذت الكنيسة من تهديد الإنقسام. وقد تم الإقرار بمطالبة سلوقيا ــ قطيسفون بالسلطة لاعتبارات سياسية، واعيد بابا الى وظيفته وفق الصيغة المناسبة، في حين قطعت الوعود لشمعون الذي انزل من وظيفته، بانه سيكون خليفة بابا[٣١]. ويمكن ان يعد الإقرار برئاسة سلوقيا ــ قطيسفون لحظة ميلاد كنيسة المشرق. وبعد قرن، أعاد سينودس **داديشوع** سنة ٤٢٤ الإعتبار الى بابا وحرم الاساقفة المتمردين[٣٢].

ورغم ان الكنيسة استطاعت التغلب على ازمتها الداخلية الاولى، فانها سرعان ما واجهت خطراً خارجياً هدد وجودها بالذات: اربعون سنة من الاضطهاد المستمر تحت حكم **شابور الثاني** (حكم ٣٠٩-٣٧٩). والسبب الاول لذلك يأتي من الرسالة الطائشة التي ارسلها الامبراطور قسطنطين، الذي اعتنق المسيحية مؤخراً، في سنة ٣١٥ تقريباً، الى الشاه الشاب: "أنا سعيد جداً لسماعي بان اكثر الاقاليم جمالاً في فارس قد تزينت بالمسيحية. ولكونك ذا بأس وتقياً، فاني اعهد بهم الى رعايتك واضعهم تحت حمايتك"[٣٣]. وبمخاطبة شابور في نبرة تنم عن تعال، حقق قسطنطين، راعي كل المسيحيين، عكس ما قصده. وبدلاً من مساعدة المسيحيين، فقد ادخل في الشاه شكاً يمكن تبريره من ان المسيحيين في امبراطوريته يمكن، في حالة الحرب مع روما، ان يشكلوا طابوراً خامساً خطيراً. وقد

عزز دعم قسطنطين للمسيحيين في ارمينيا هذا الانطباع.

وقد تجلى تبدل موقف الشاه المتسامح في وقت ما في سنة ٣٣٩/٣٤٠ تقريباً، بعد الفشل الذريع لهجومه العسكري لاحتلال الاقاليم الشمالية الغربية حول نصيبين، والتي كان تم التنازل عنها لروما في ٢٩٧، مثلما حدث لمحاولته الفاشلة لحصار نصيبين.

ان رفض المسيحيين في الاشتراك الفعال في الحرب زاد من غضب شابور. ومن اجل تمويل المجهود الحربي، قرر فرض ضريبة خاصة على المسيحيين وتحميل اسقف سلوقيا ــ قطيسفون مهمة جبايتها. وكتب في مرسومه الى ولاة اقليم **بيث أرماي** المزدهر (المنطقة الخصبة حول والى الجنوب من قطيسفون)، "القوا القبض على شمعون، زعيم النصارى، ولا تطلقوا سراحه حتى يوقع على وثيقة يتعهد فيها بفرض ودفع جزية الرأس المضاعفة وضرائب مضاعفة من كل السكان النصارى، المقيمين في ارض آلهتنا ويعيشون في امبراطوريتنا. لأننا، نحن الآلهة، في حالة حرب، وهم في حال السرور والفرح. انهم يعيشون في ارضنا لكنهم منحازون الى الامبراطور، عدونا"[٣٤].

لكن الاسقف شمعون الاول رفض: "لن نوافق على جمع الضرائب، لان سلطتنا ليست سلطة دنيوية، بحيث نقتل اخوتنا"[٣٥]. ولكن حجة شمعون هذه كانت باطلة، طالما ان المسيحيين السريان الشرقيين في وادي الرافدين، مثل اليهود هناك، كانوا منظمين في جماعات شبه مستقلة ــ تسمى "الملة" في العهد العثماني ــ والذين كان لرئيس كنيستهم دوراً سياسياً ايضاً ويعمل كحلقة وصل بين مؤمنيه والادارة المدنية.

كان المسيحيون يشكلون نوعاً من دولة ضمن دولة تحت قيادة رئيسهم الديني. وحتى عندما هدد الملك شمعون بالموت، بقي صامداً، وهو يقول، "خير لي ان يسلخ جلدي من ان اخذ ثياب الفقراء"[٣٦]. فامر الشاه الغاضب بتدمير كل الاديرة والكنائس والقاء القبض على مائة اسقف وكاهن وشماس.

ومع ذلك فقد تراجع شابور عن فرض الضريبة المضاعفة واستدعى الاسقف شمعون ليعبد الشمس والنار. وبحسب اعمال الشهداء الفرس، نشأ جدال ملهم بين الشاه والاساقفة ليعطي نموذجاً للمزيد من الاستجوابات التحقيقية لأن **الموبيد الزرادشتيين** كانوا يحكمون اولاً عن طريق المجادلة من اجل ان يحملوا المسيحيين الموقوفين على خيانة ديانتهم.

شمعون: "حاشى للسماء ان اعبد الشمس والقمر اللذين مسيرهما مؤقت، او النار التي تموت يومياً وتنطفىء".

شابور الثاني: "ان لم تعبد النار لكونها فانية، فعليك ان لا تعبد الهك لانه مات ايضاً عندما صلبه اليهود. ان موت النار يعني موت الهك بنفس القدر".

وفيما يخص هذه المطالبة بعبادة النار، قدم موبيد زرادشتي، بعد حدوث جدال سنة ٦١٢، جواباً اكثر تعقيداً مما فعل الشاه. قال، " نحن لا نعتبر النار إلهاً، بل نعبد الله من خلال النار، تماماً مثلما تعبدون انتم الهكم عن طريق الصليب"[٣٧].

شمعون: "حاشى للسماء، يا سيدي، ان يتألم الله ويموت. لقد مات [المسيح] حقاً، وعاد الى الحياة وقام، ولكن ليس الله. وهذه الشمس التي تأمرني الآن ان اعبدها، اظلمت حين صلب".

شابور الثاني: "ان لم تعبد النار لكونها مائتة، إذن فاعبد الشمس التي لا تموت".

شمعون: "كيف أعبد شيئاً، رغم كونه خالداً، لا معرفة له ولا منطق؟ كلا، بل لن



ابان اضطهاد المسيحيين في القرن الرابع، فضل الآلاف من الكهنة وعامة الناس في ايران الموت صلباً على انكار ايمانهم.

أعبدك ايها الملك رغم كونك ارفع من الشمس، لكونك تمتلك الذكاء والعقل. لكن الشمس، على اية حال، لا تعقل ولا نعلم ما إذا كانت تفضلك عليّ انا الذي العنها".

ولم يقنعه تهديد الملك من انه سوف يأمر باعدام آلاف المسيحيين، إن هو استمر في رفض عبادة الشمس والنار ولو لمرة واحدة. فامر بقطع رأس الاكليرس المائة المسجونين امام أعين شمعون، وبأن يعدم شمعون في الآخر، ووقع ذلك في ١٧ نيسان او ١٤ تشرين الأول سنة ٣٤١. وفي طريقهم الى الإعدام، شجع الاسقف رفاقه المتعذبين بسبب طلب شابور الاخير لعبادة الشمس والنار بهذه الكلمات:

"لماذا علينا عبادة شيء لا يرى عبادتنا؟ ولماذا نصلي لمن لا يسمع صلاتنا؟ ولماذا نرفع المديح لشيء لا يعرف شيئاً عن ضوئه؟ حاشا للمسيحيين ان يعبدوا مخلوقات مثل عبادتهم للخالق، ويخلطوا بين الخالق وخليقته"[٣٨].

وبعد هذه الشهادة بدأت مطاردة لا تهدأ للمسيحيين، والتي لم يقم بتأجيجها، وفق ما تذهب اليه مصادر مختلفة، الكهنة الزرادشتيون فقط، بل اليهود ايضا حيث اشترك هؤلاء بنشاط في ادانة المسيحيين. وقيل ان اليهود اقنعوا الملكة المريضة، التي كانت قد تحولت مؤخراً الى الدين اليهودي، بان شقيقتي شمعون التروبضيتين كانتا قد سحرتاها انتقاماً لموت شقيقهما. فالقي القبض عليهما وقطعتا نصفين[٣٩]. وسرعان ما ازداد

الاضطهاد الذي فرضته الدولة سوءا ليتحول الى مذابح وحشية لا يمكن السيطرة عليها، والتي راح ضحيتها سهوا الزرادشتيون ايضاً. ففي كركوك الحالية، مثلا، كان على المجرمين ان يهبوا لمساعدة الجلادين المرهقين. "لقد اقتيد العديد من القتلة من سجون **كرخا** (Karka) لقتل [المسيحيين]. واخيرا لم يكن هناك ما يكفي من القتلة او السيوف للقتل"[٤٠]. ولم يدخل الجلادون فقط في جنون الموت بل تعداهم الى الشهداء، حيث راح العديد من المسيحيين يدينون انفسهم ويتقدمون طواعية الى اماكن الإعدام لكي ينالوا اكليل الشهادة. "لقد انظم العديد من المسيحيين، الذين جاؤوا من اماكن مختلفة، لينضموا الى المعترفين قائلين، [نحن من اتباع هؤلاء المسيحيين]، وهكذا قتلوا. وازدادت الفوضى ولم يعد احد يعرف من يقتل"[٤١].

وعلى ضوء هذه المذابح المنظمة غيرالمسيطر عليها وفرار الفلاحين والتجار المسيحيين الى الجبال، خاف شابور على الاستقرار والازدهار الداخلي في الامبراطورية. ولهذا السبب أمر بان يقتصر الاضطهاد على الاكليرس والمرتدين الزرادشتيين الى المسيحية الامر الذي ادى الى تدمير الاكليرس القادة، والمنظمة التي اقامها بابا. وقد ادين كلا خليفتي شمعون اللذين تم انتخابهما سرّا بعد اشهر فقط من توليهما منصبيهما واعدما الى جانب المئات من الاكليرس- **الاسقف شاهدوست** في ٣٤١، **والاسقف بربعشمين** في حوالي سنة ٣٤٥/ ٣٤٦[٤٢]. ولما كان تعيين اسقف سلوقيا- قطيسفون يعني الحكم بالموت، فقد بقي هذا الكرسي شاغرا لاكثر من نصف قرن حتى انتخاب **إسحق الاول** (جلس على كرسي الرئاسة في ٣٩٩-٤١٠)[٤٣].

لقد اتسمت الاضطهادات الساسانية بالرغبة غير المحدودة تقريبا من جانب المسيحيين للتضحية، وبالتنفيذ القاسي بل السادي حقا للاعدامات. ولم يقطع رأس المعترفين بالايمان او يرجموا او يصلبوا فحسب، بل قتلوا بطرق ذكية كانت تسبب اكبر قدر من الالم. فعلى سبيل المثال، كان الجلاد يعمد الى شق رقبة الضحية طوليا بحيث يتسنى له نزع لسانه من خلال فتحة الجرح. وقام آخرون بسلخ جلد الوجه الى الاسفل حتى الرقبة ليخضعونهم لعذاب "الامشاط الحديدية": حيث تلقى "[الضحية] على الارض واطرافها ممدودة، ويتم دق مسامير في يديها وقدميها، ويجري تمشيط جسدها بامشاط حتى ينزع اللحم من العظام"[٤٤]. وفي حالات اخرى، كان يجري ربط ايدي الضحايا بارجلهم ويلقوا في حفرة مليئة بعدد لا يحصى من الجرذان الجائعة والهوام الاخرى، حيث يؤكلون احياء من قبل هذه المخلوقات. وفي حالات خاصة عانى الشهداء من "الموت المضاعف تسع مرات" حيث يقوم الجلاد على مدى ستة ايام متتالية بقطع الاطراف ببطء: اولا الاصابع، ثم اصابع القدمين والرسغ والركبة والساعد والسيقان السفلى والاذرع والمرفقين والفخذين والاذنين والانف واخيرا الرأس. ومن اجل منع الموت المبكر بسبب النزيف كان يعمد الى كي الجروح الجديدة[٤٥]. وفي الريف كان الموبيد غالبا ما يجبرون مجمل العلمانيين المؤمنين على رجم قساتهم وشمامستهم مما حدا بالكثير من الاسر الفلاحية الى الهرب من قراهم الى جبال كردستان[٤٦]. واخيرا، تم تنفيذ الاعدامات الجماعية عن طريق حشد المسيحيين سوية في فراغ ضيق والاستعانة بما يصل عدده

الى مائة فيل لكي تطأهم تحت اقدامها حتى الموت[٤٧].

ورغم وجود العديد من حالات الردة، فإن العدد الكبير من المسيحيين المعترفين الذين قبلوا الشهادة بفرح من اجل ايمانهم، يبعث الى الدهشة. لقد استمد المعترفون القوة الباطنية اللازمة من المثل الاعلى في حمل صليب المسيح مثلما كان الشهيد الاول، المسيح، قد قبل الموت طواعية، والان يتبعه الشهداء (المسيح الثاني). لقد كان موتهم، ان صحّ التعبير، اداء ثان لألام المسيح. وتوضح هذه الصوة بروز رغبة صادقة في الشهادة اثناء الاضطهاد الساساني[٤٨].

وعلى الساحة السياسية – العسكرية، استأنف شابور الثاني الحرب ضد الامبراطورية الرومانية الشرقية، بعد ان دحر **الهون البيض** (White Huns) الذين كانوا تقدموا نحو شرقي ايران، في حملة دامت خمسة سنوات. وقد غزا اولاً مدينة اميدا، ديار بكر الحالية، ودمر بعدها **الامبراطور يوليانس** (حكم ٣٦١-٣٦٣) أثناء هجومه عند سلوقيا- قطيسفون. وقد اجبر شابور خليفته **جوفيان** على قبول اتفاق سلام مهين، طالباً منه ان يعيد الى ايران الاقاليم التي تم غزوها في سنة ٢٩٧، بما في ذلك نصيبين. ولأن شابور منح مسيحيي نصيبين ممراً آمناً، فقد فرّ اغلبهم، وضمنهم المفسر الكتابي والشاعر **افرام الكبير**، الى الرها. وفي الوقت ذاته، قام شابور بضم المناطق الشرقية من ارمينيا وجيورجيا التي ظلت حتى ذلك الوقت محميات بيزنطية.

وفي القرون اللاحقة، منح هذا التوسع الاقليمي لايران الى شمال الشرق، كنيسة المشرق الفرصة للدخول في نشاط تبشيري في ارمينيا وجيورجيا. وكان **غريغوريوس المنوّر** (Gregory the Illuminator)، في ارمينيا، هو الذي هدى الملك **تريدات الثالث** (Tridate III) في حوالي سنة ٣٠١، حيث أعلن الملك المسيحية ديناً للدولة. وقد حدث تطور مشابه في جيورجيا في سنة ٣٣٧ تقريباً. وفي الوقت الذي اعترفت فيه جيورجيا بمجمع خلقيدونيا، في سنة ٦٠٠/٦٠٨ تقريباً، فإن الكنيسة الارمنية كانت قد رفضته في حوالي سنة ٥٠٦، وفي سنة ٥٥٥ عبرت بوضوح عن تقيدها بقانون الايمان **المايافيزيتي**[٤٩].

وكان لكنيسة المشرق، نتيجة لعملها التبشيري الناجح، ابرشية في ارمينيا، اعتباراً من وقت لم يتعد سنة ٤٢٤، والتي قام **طيماثاوس الاول** (اشغل المنصب في ٧٨٠-٨٢٣) بتحويلها الى كرسي مطرافوليطي[٥٠]. واعتباراً من سنة ٣٦٣، كانت جيورجيا، وعلى مدى قرن، هدفاً آخر لمبشري كنيسة المشرق[٥١].

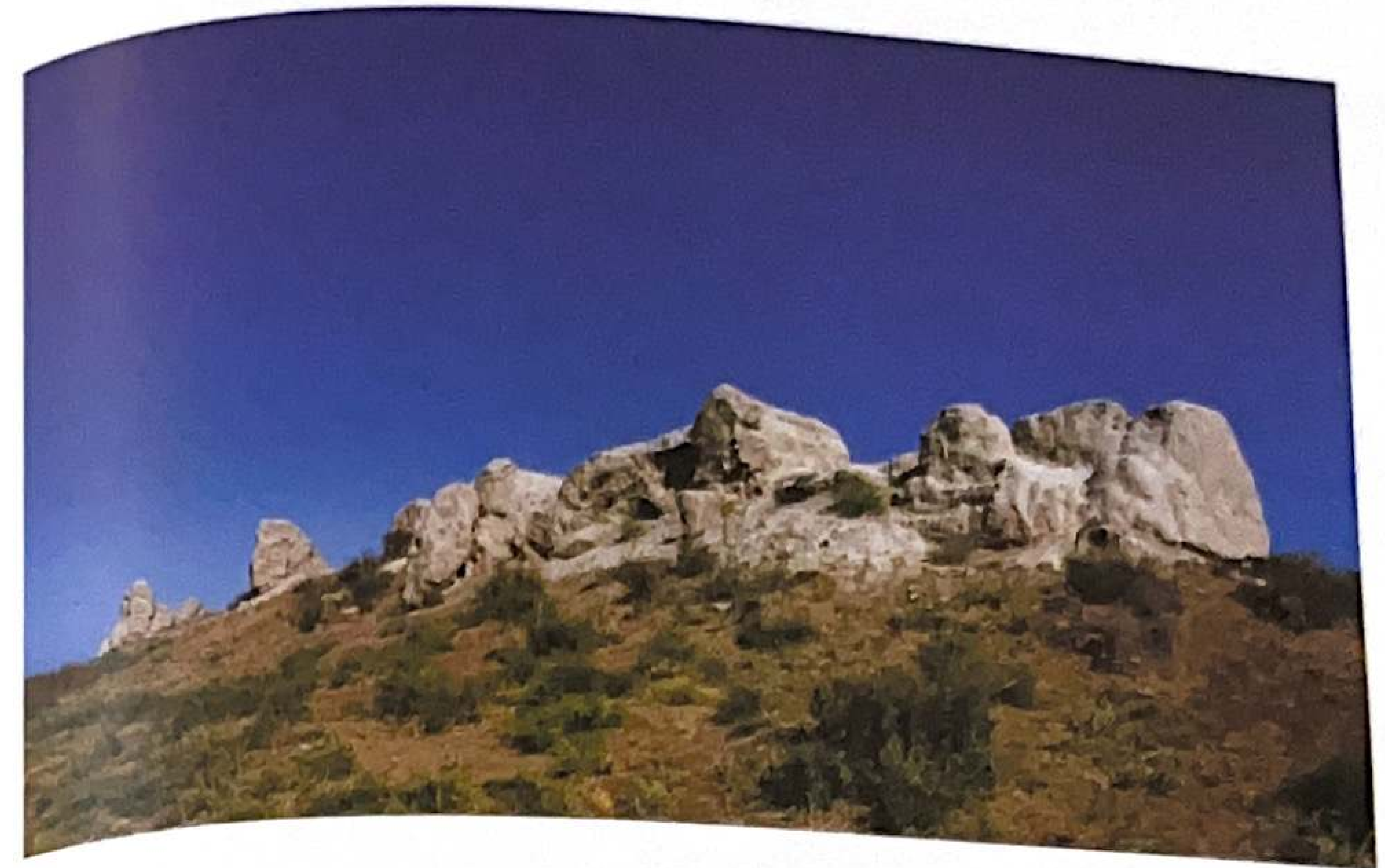
ورغم ان الاضطهادات المسيحية، التي تركزت في بلاد بين النهرين، خمدت نوعاً ما بعقد السلام مع بيزنطة، الا انها لم تتوقف نهائياً الا بموت **اردشير الثاني** (٣٧٩-٣٨٣) خليفة شابور الثاني، في سنة ٣٨٣. ومع ذلك، استمرت برامج الاضطهاد المحلية بالثوران، يذكيها الموبيد المتعصبون او المسؤولون الطامعون في امتلاك ممتلكات الشهداء التي تتم مصادرتها. وليس معروفاً عدد الضحايا التي طالتها الاضطهادات. وتتحدث بعض المصادر عن (-١٦٠٠٠،) شهيد قد دونت اسماؤهم، بينما يذكر آخرون ما يصل الى (-١٩٠٠٠،) من الذين ماتوا[٥٢]. وبالاعتماد على القتل غير المسيطر عليه في البداية، فإن العديد من الضحايا لم يكن اسمهم معروفاً في اكبر الظن. وعليه فان الحقيقة قد تكون قريبة من التقدير الاعلى.



البناية البيضوية المؤلفة من ٤٣ حجرة، في الزاوية الشمالية الشرقية من كياور كالا (Gyaur Kala) في مرو، تركمنستان التي فسرت بانها دير مسيحي من قبل الأثارية الروسية جي أي درسوانسكايا. وقد عثرت على صليب ملاط في الجدار وعلى آخر على بلاطة، واللذين تقول انهما يعودان الى القرنين الخامس/ السادس. ويمكن مشاهدة قلعة ايرك كالا (Erk Kala) الاقدم خلف الصورة، والتي ذكرت للمرة الاولى عن طريق الكتابة في القرن السادس الميلادي من قبل الأخمينيين. وقد اكتشفت درسوانسكايا الى الشمال الشرقي من الدير المزعوم، مدينة الموتى حيث عثرت على معظمة (مستودع العظام) عليها علامات الصليب بل حتى نقوش يهودية مشابهة لتلك التي من مزداخان (Mizdakhan). ولكن، ومع الأسف، سرعان ما تم فيما بعد تشييد شقق سكنية على موقع مدينة الموتى. (!)[١٩].

وكان **بر شبا** من الاساقفة القلائل الذين نجوا من المذابح. ويروي **تاريخ سعرت** (The Chronicle of Seert) بانه حوالي سنة ٣٦٣ قام بر شبا بشفاء اخت شابور وزوجته شيرين من مرض عقلي حيث عُمّدت. ورغم ان التحول من الزرادشتية الى المسيحية كان يجلب عقوبة الموت، فإن الشاه ابقى على شقيقته وابعدها عن مصير خليلته المسيحية **استاسا** (Estassa) التي لاقت موت شهيدة. ثم قام بتزويج شقيقته شيرين من حاكم مدينة ايران الشرقية **مرو**، وارسلها هناك من اجل حمايتها. فأخذت معها بر شبا الذي سمي اسقفاً الى مرو حيث تولت القيام ببناء العديد من الكنائس. ولما كان اسمه يظهر في قائمة المشاركين في السينودس الاسقفي لسنة ٤٢٤، فقد كان شخصية تاريخية. ثم انتشر المبشرون على شكل مروحة من مرو من خلال اقليم خوزستان الى ابعد من ذلك الى الشرق الى **الهون البيض**. ويبدو ان اقليم خوزستان، البعيد عن العاصمة، نجا الى حد كبير من الاضطهادات. وقد اكتشف عالما الأثار الروسيين **جي. أي. بوكاجنكوفا** (Pugachenkova) **وجي. أي درسوانسكايا** (Drenswanskaya) في مرو على بقايا كنيسة، وما زعم انه دير مسيحي، وبقايا قبور مسيحية[٥٣].

إن ارتقاء شابور الثالث (حكم ٣٨٣-٣٨٨) الى العرش، دشن تغييراً ايجابياً بالنسبة للمسيحيين، حيث جدد الإتصال الدبلوماسي مع بيزنطة. وعندما هدد الهون البيض الحدود الشمالية لكلا الامبراطوريتين في حوالي سنة ٣٩٥، اقترب العدوان في زمن ما الى بعضهما البعض. وقد استمر خليفته **بهرام الثالث** (حكم ٣٨٨-٣٩٩)، واستمر **يزدجرد الأول** (حكم ٣٩٩-٤٢٠) بسياسة الانفراج ايضاً التي انتهجها سلفاه. وقد نما موقفه الموالي الى المسيحية



خرائب كنيسة في مدينة مرو، تركمنستان، والتي كانت ابرشية لكنيسة المشرق منذ نهاية القرن الرابع. في سنة ١٩٥١ قامت عالمة الآثار الروسية بوغاجنكوفا بالتحري في البناء جيد الحفظ وشخصته على انه كنيسة مبكرة من عهد الساسانيين". وتبلغ ابعاد الغرفة المستطيلة (٤١ x ١١.٤) م، وهي مقسمة الى اربعة حجرات اكبر وحجرتين اصغر. وكان تركيب القبة التي كانت ماتزال قائمة جزئيا في ذلك الوقت، على شكل قوس مدبب قليلا. وكانت سلسلة الغرف تنتهي بجزء ناتيء نصف دائري ذي ثلاثة اجزاء جعل باتجاه الشرق مع ميل يكاد يبلغ ٥ درجات الى الشرق. ومع الاسف لم تدمر فقط الاقواس التي كانت ماتزال قائمة في سنة ١٩٦٦، بل، لم يبق إلا ٢٠ بالمئة من البناء الذي كان قائما لغاية ١٩٦٦م. وتستخدم المنطقة المجاورة في الزراعة، كما ان المطر قد دمر بعضاً من بناء الحجر. ان اكتشاف الخزف الساساني والنقود من عهد قباذ الأول (Kavad I)، (حكم ٤٨٨- ٥٣١) وهرمزد الرابع (حكم ٥٧٩- ٥٩٠) تقيم الدليل على تاريخ بوغاجنكوفا. وفي وقت متأخر جدا، اثناء سيطرة السلاجقة على السلطة في القرن الحادي عشر، حولت الكنيسة الى وحدات سكنية مدنية، كما يدل على ذلك وجود الخزف السلجوقي[٢١].

لاعتبارات سياسية، طالما ان المسيحيين في زمن السلام مع بيزنطة، كانوا يمثلون حلفاء ذوي قيمة، والذين مكنوا الشاه من تخليص نفسه نوعاً ما من براثن النبلاء والموبيد. وفي سنة ٤١٠ أصدر يزدجرد مرسوما منح فيه المسيحيين حرية العبادة [٥٤]، كالسابق، لكن الزرادشتيين المرتدين كانوا يواجهون عقوبة الموت. ومع ذلك بات المبشرون المسيحيون الآن احراراً في هداية الوثنيين الذين كانوا يعيشون بصورة رئيسة في شمال ايران ويعبدون الأجرام السماوية والجبال والأشجار والسمك والأوثان الخشبية. كما سمح بالنشاط التبشيري بين المانويين والمرقيونيين، ولاجل خلق توازن مماثل للاكليرس الزرادشتي، قام الشاه بتشجيع الاساقفة المسيحيين لعقد سينودس بقيادة المبعوث البيزنطي **الاسقف ماروثا**، في العاصمة لغرض تأسيس سلطة كنسية جديدة.

للسحرة الزرادشتيين والموبيد. وفي الوقت ذاته حاولوا دون جدوى هداية الارمن المسيحيين الى عقيدة **زرادشت** عن طريق العنف الخشن، ليؤدي ذلك الى توتر خطير مع بيزنطة. وهكذا اصبح يزدجرد تحت ضغط من الاكليرس المسيحي الحاسد، وطبقة النبلاء المتعطشة الى السلطة والجيش المُحبط. وكان هناك تهديد بالثورة ضد الملك. وقد اتاح السلوك العدائي والمتهور لبعض الاكليرس، مثل الكاهن **هاشو** والترويضي **نرساي** الذين قاما كلاهما بتدنيس وتحطيم معبد للنار، الذريعة لبرامج اضطهاد جديدة. إن رفض الاطراف الوثنية للتكفير عن جرائمهم عن طريق اعادة بناء المعبد ادى الى اضطهاد ذي عنف لا يعقل [٥٥]. "كانت ساحات المدينة تعج بالناس كانوا يعذبون في السجون بعنف ومكر. وقد حطمت الكنائس المزخرفة وتم بعثرة [illegible]

هنا وهناك، وقد صنعت الجسور من سقوفها التي كانت في يوم ما تسر الناظر اليها ببهائها. ولم تبق كنيسة قائمة"[٥٦] وقد وسع خليفة يزدجرد، **بهرام الخامس** (حكم ٤٢١- ٤٣٨)، نطاق الاضطهادات الواسعة اكثر، وامر بتدنيس المقابر المسيحية"[٥٧]. فهرب المسيحيون باعداد جماعية الى الامبراطورية البيزنطية. ولكن، عندما طالب الشاه من الامبراطور **ثيوديوسيوس الثاني** بتسليم اللاجئين، دخل الاخير بلاد بين النهرين في سنة ٤٢٢ وفرض على الشاه اتفاق هدنة تضمنت بشكل واضح الحرية الدينية للمسيحيين في الامبراطورية الساسانية والزرادشتيين في بيزنطة.

ولم يمنح المسيحيون الا مهلة قصيرة، لانه مع اعتلاء **يزدجرد الثاني** (حكم ٤٣٨- ٤٥٧) العرش، يكون قد جلس على العرش ملك كان اساساً معاديا للمسيحية، والذي كان يريد تطهير امبراطوريته من كل الديانات غير الزرادشتية. وقد اندلعت الاضطهادات في بلاد ما بين النهرين وارمينيا من سنة ٤٤٥ حتى سنة ٤٥٧ حيث عُد البطريرك من بين الضحايا. وقد حدثت اسوأ مذبحة في سنة ٤٤٦/٤٤٧ في الكرسي المطرافوليطي في **كرخا بت سلوخ**، كركوك الحالية حيث جرى ذبح عشرة اساقفة الى جانب العدد الضخم المؤلف من (ـــ,١٥٣٠٠٠) مؤمنا فعلا. وفي نهاية المذبحة، نذر **طهميزجرد** (Tahmyezdgard) نفسه للمسيحية، وعلى اثر ذلك امر الملك بصلبه مقلوبا[٥٨]. وقد وضع موت يزدجرد في سنة ٤٥٧ نهاية للاضطهادات، حيث كان كل من **هرمزد الثالث** (حكم ٤٥٧- ٤٥٩) و **بيروز الاول** (حكم ٤٥٩-٤٨٤) يميلان الى المسيحية. ومع ذلك ففي السنة الاخيرة من حكمه، منع بيروز المسيحية لينتج عن ذلك موجة اخرى من الاضطهاد. وسرعان ما انقذ المسيحيين موت بيروز في معركة ضد الهون البيض. وقد انتهت الاضطهادات العامة بانتهاء بيروز. حيث كان الشهداء فيما بعد افرادا، كانوا في اغلب الحالات من مرتدين عن دين الدولة.

وانه لمن المدهش حقا ان المسيحيين قبلوا شهادتهم عمليا دون مقاومة ومن دون ان تقع ثورة. ان جذوة الايمان الداخلي والمثل الاعلى في الاقتداء بالمسيح احتوت في اكبر الظن كل الطاقات الحيوية للضحايا، بحيث لم تغد المقاومة المسلحة خياراً. بيد ان في حوالي سنة ٥٤٢ لم يجرؤ **شاه خسرو الاول** (Shah Chosrau)، (حكم ٥٣١-٥٧٩) على تنفيذ حكم الموت ضد البطريرك **مار ابا**، خوفاً من ثورة مسيحية، حيث ارسله بدلاً من ذلك الى المنفى في اذربيجان[٥٩]. وكان المسيحيون في ذلك الوقت يشكلون في اكبر الظن الاغلبية في اقاليم منفردة من بلاد ما بين النهرين.

تنظيم كنيسة المشرق

لقد استغل اكليرس كنيسة **المشرق** الذي تعرض للهلاك الفظيع، بسبب اضطهادات شابور الثاني، فرصة المناخ المتسامح تحت حكم **يزدجرد الاول** لاعادة بناء تنظيمه والتخلص من الفائض في السلطة الكنسية بين السريان الشرقيين والسريان الغربيين الذين جرى ترحيلهم من الاراضي الرومانية. وقد حدث ذلك بموافقة الشاه الواضحة في سينودس سنة ٤١٠، الذي قاده المبعوث البيزنطي **ماروثا**. وقد كان الاسقف ماروثا هذا، الذي كانت ابرشيته **ميفرقاط** (Maipherkat) تقع الى الشمال الشرقي من الرها على الحدود الساسانية البيزنطية، منقذ كنيسة المشرق. فقد قام اولا بالتفاوض

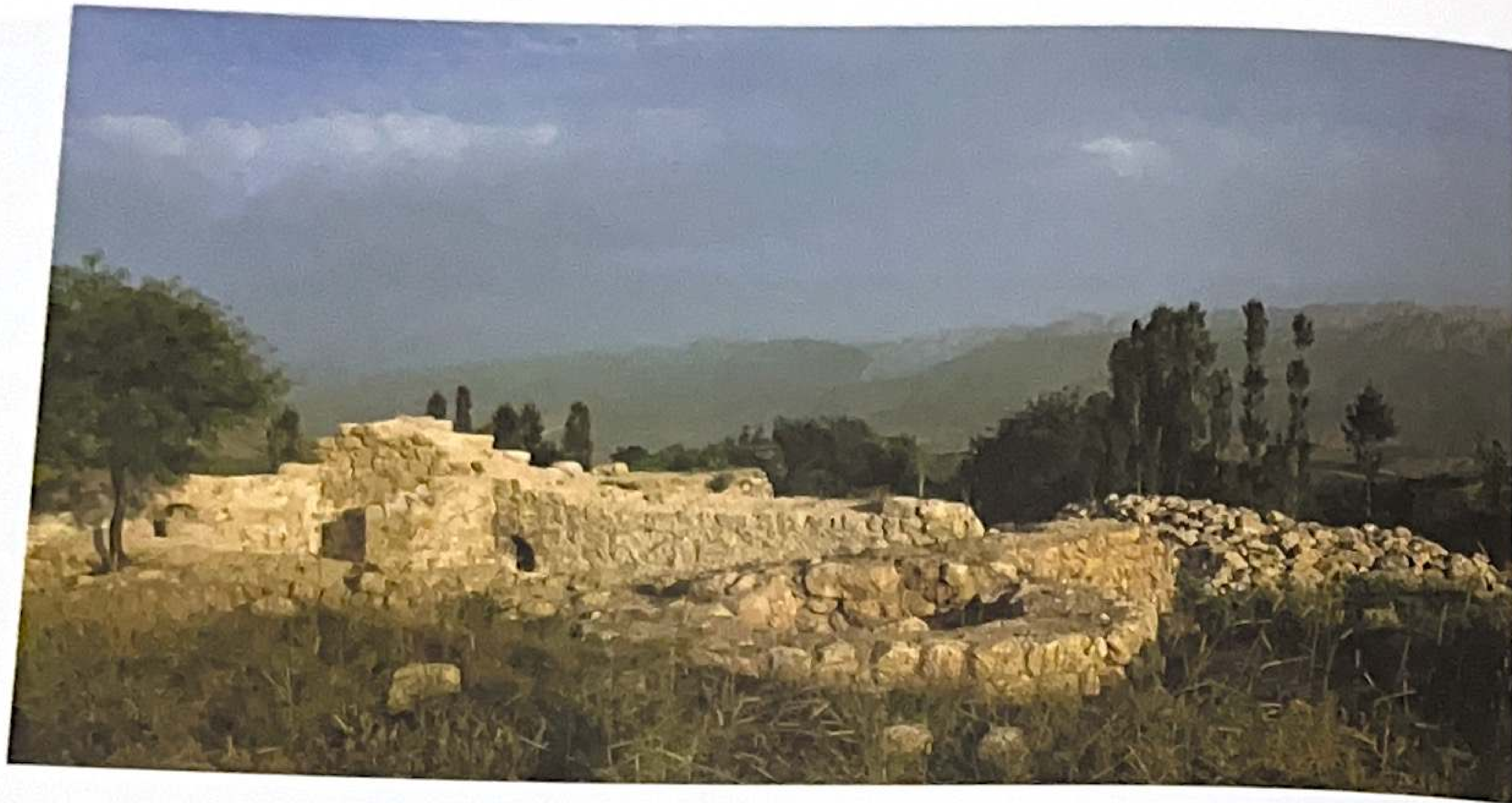


شكل ذكري من الجص بالحجم الطبيعي مع آثار رسومات من احدى الكنائس في سلوقيا — قطيسفون من اواخر القرن السادس. وهناك في اسفل الكنيسة بقايا كنيسة اقدم. ورغم انه لا يمكن ان يحدد الى اية كنيسة نسطورية يعود، فإن الاكتشاف مع ذلك يبرهن على أن كنيسة المشرق كانت تستخدم صورا مجازية.[٢٢]

والتوصل الى سلام دائم بين بيزنطة وروما. وثانيا، حصل في حوالي سنة ٤٠٦ من الملك على إذن بالافراج عن رئيس اساقفة سلوقيا- قطيسفون، اسحق (شغل المنصب في ٣٩٩- ٤١٠)، الذي افترى عليه اساقفته. ثالثا، انتزع موافقة يزدجرد على عقد سينودس اسقفي وقاد سينودسه الى نهاية ناجحة.

ويخبرنا كتاب **السينودس الشرقي** (Synodicon Orientale)، المكتوب في القرن التاسع عن سير هذا السينودس وقوانينه الاحدى والعشرين التي وقّع عليها ٣٦ اسقفاً سريانيا شرقيا[٦٠]. وبعد ان صادق الاساقفة على قرارات مجمع نيقيا، تم استدعاؤهم امام الوزير الاكبر والقائد العسكري للعاصمة[٦١]. وقد اثبتت الشخصيتان الساسانيتان البارزتان إسحاق اسقفا لعاصمة الامبراطورية ومنحاه السلطة على الابرشيات الاخرى للامبراطورية. "لما كان الجاثاليق اسحق يتردد في حضرة الشاه، ، فقد جعله رئيسا على كل مسيحيي المشرق، وبحسب سعادته، ومع ذلك فإن كان هناك معارضا له ويرفض ارادته، فيجب اعلامنا، [لكي يدان]"[٦٢]. ولم يجرؤ احد من الاساقفة على معارضة الامر الملكي، بل، قاموا بتثبيت ذلك في القانون (١٢): "تقبل جميعا، باننا، نحن اساقفة كل انحاء المشرق، وحلفاؤنا أن نخضع الى كل ما يؤمر به شرعا الاسقف الجاثاليق، سيد الاساقفة، مطرافوليط سلوقيا — قطيسفون، حتى مجيء المسيح". وقد كان للاعلان اعلاه وقرار السينودس نتائج عظيمة، لانهم اقروا بحق الشاه في تعيين الجاثاليق — اي رئيس كنيسة المشرق. ولم يكن السريان الشرقيون وحدهم تحت سلطته بل اصبح جميع مسيحيي الامبراطورية فيما بعد تحت سلطته، وكان بامكانه فرض ارادته بمساعدة القضاء المدني. ولما كانت أعمال السينودس لا تذكر اي بطاركة غربيين كمرجعية، فإنه من الواضح ان كنيسة المشرق رأت نفسها بأنها مشاركة ذات حكم ذاتي حرة ومستقلة.

ولغرض التغلب على مشكلة الازدواجية في السلطة الكنسية بين المسيحيين الفرس- الاراميين، والمسيحيين اليونان الذين رحلوا من الامبراطورية الرومانية. فقد حدد السينودس طرق انتخاب الاكليروس وواجبات كل مستوى من مستوياته. ولم يجز إلا لاسقف واحد ان يقيم في مدينة او منطقة، وكان عليه ان يرسم من قبل ما لا يقل عن ثلاثة اساقفة بعد الاستماع الى المؤمنين. وكان على الاسقف المرسوم ان يسـ[illegible] الى مطرافوليط العاصمة، الذي "يكملـ[illegible] — اي يثبت رسامته. وكان يعقد كل سنتين [illegible] فيما

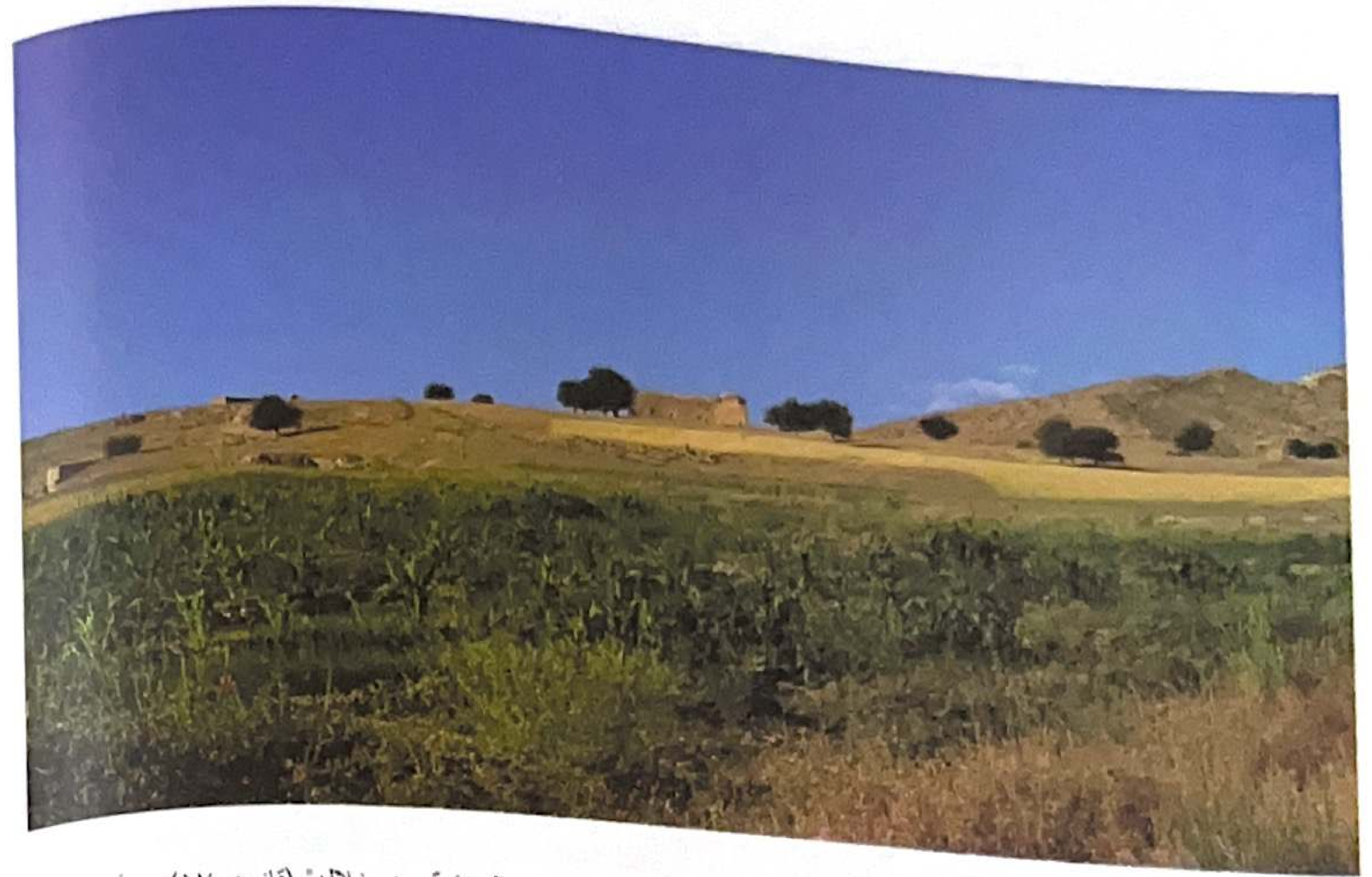


خرائب كنيسة مارت شموني النسطورية في بيث بادي بشمال العراق، والتي دمرت بالمتفجرات في سنة ١٩٨٨.

بعد كل اربع سنوات- سينودس من قبل الجاثاليق الذي كان على الاساقفة حضوره.

وتأتي في مرتبة اعلى من الاساقفة العاديين الاسقف المطرافوليط، الذي كانت مسؤولياته تشمل اقليما كاملا. وفي سنة ٤١٠، تم تأسيس ستة من هذه الاسقفيات المطرافوليطية، وهي مثبتة هنا وفق الترتيب الهرمي: الكرسي البطريركي الكبير للعاصمة، والكرسي المطرافوليطي لـ **بيث لاباط** (Beit Labat) (جنديسابور)، ونصيبين، وفرات ميشان (البصرة) واربيلا، وكرخا بيث سلوخ (كركوك).

بيد ان المطرافوليط الذي كان يشرف على ستة الى اثنتي عشر ابرشية، لم يكن مخولا باصدار التعليمات: "انه مساعد ومشجع لهم [الاساقفة] في كل ما هو ملائم. فإن حدث خلاف بينهم، يقوم بارساء السلام بمشورة المحبة، وليس بقوة السلطة. فإن لم يتم حل قضية ما بصورة ودية يقوم بالكتابة عنها ورفعها الى المطرافوليط الكبير [الجاثاليق]، المخول باصدار الاوامر والقرارات (القانون ١٨). ويقوم المطرافوليط بتنظيم سينودس سنوي اقليمي مع اساقفته. وعند موت احد االمطرافوليطيين، يختار الاسقف ومؤمنو الاقليم خليفته الذي يثبته الجاثاليق في وظيفته عن طريق الرسامة. ويمنح الاسقف، ضمن ابرشيته، سلطة واسعة: فله ان يرسم الكهنة والشمامسة، ويعلم ويبنى كنائس، كما ان الاديرة هي الاخرى تحت سلطته. ويجب ان لا يقل



كنيسة مار اوراهام التي كانت في يوم ما نسطورية ومن ثم كلدانية، في دير ابون، التي تعني دير ايونا، في شمال العراق. وكان الدير الأصلي يتمتع بالاستثناء من الضرائب في زمن البطريرك مارابا الاول (٥٤٠– ٥٥٢) وقد ربطه الكتاب العرب بقبر نوح في القرن الثالث عشر. ويرى فيه (Fiey)، مع ذلك، بان هذه هي بقايا دير مار ابا، الذي لا يعرف عنه شيء اخر.

الكهنة عن ثلاثين سنة وان يكونوا قادرين على ترتيل المزامير بالسريانية، "لئلا يشبه خدم المسيح عامة الناس كمعتوهين في الكتابة والعقيدة" (قانون ١٦). ولا يسمح بدخول المخصيين ممن بتروا خصياتهم ذاتياً — وهي ممارسة وجدت بين الترويضيين — الى سلك الكهنوت (قانون ٢). ويمكن للاساقفة والكهنة الاحتفال بالاوخارستيا في الكنيسة فقط في ايام الاحاد، وتمنع الجماعات الخاصة في البيوت. ويسمح لكل اسقف ان يكون له خوراسقف واحد فقط كاعلى حد ليكون زائراً الى جانب رئيس شمامسة واحد. وعلى الاخير ان يكون "مساعداً للاسقف ولسان حاله وأن يكرمه، الذي تتجلى رغبته المخفية من خلاله" (قانون ١٧). ويأتي بعد الكاهن الشماس، والشماس المبتديء (hypodeacon)، اللذان يقدمان له الدعم ويعاملان كذلك كمفسرين، ويطردان الارواح الشريرة من الممسوسين. واما وظيفة الوكيل فمفتوحة فقط للعامة، وهو يشرف على دخل الكنيسة ومصروفات الابرشية، الى جانب ممتلكاتها. وهكذا كانت كنيسة المشرق مدعومة من قبل تسعة درجات وظيفية: البطريرك، المطرافوليط، الاسقف، ورئيس الشمامسة، والخوراسقف، والكاهن والشماس والشماس المبتديء والقاريء. وكعلماني، لم يكن الوكيل من ضمن الاكليرس.

ثم أمر السينودس بوجوب الإحتفال بعيد الدنح (epiphany)، والصوم الاربعيني، والقيامة جماعياً، وفي كل مكان في نفس اليوم (قانون ١٢). واخيراً، تم تحديد القصاص بعدم الطاعة: "وكل من يجرؤ على عصيان هذه الاوامر ستحل عليه نار الله، ويلازمه غضب الله كما سيلعن من قبل كنيسة المسيح كلها في الارجاء الاربعة من المعمورة. كما ستلازمه لعنة الشاه وقصاصه" (قانون ١٧). وكان التحريم، وهو الطرد من جماعة المؤمنين، اقسى عقوبة [illegible] عنها إثارة عقوبة إبطال وظيفة [illegible] الامر الذي يعني العودة الى مرتبة عامة الناس، والاخف منها اكثر التجميد المؤقت، والتي كان بامكان المذنب العودة منها الى وظيفته بعد تكفير كاف.

بهذه التنظيمات أسست كنيسة المشرق ذاتها كبناء هرمي متدرج يقف على قمته الجاثاليق الذي يتمتع بسلطة تنفيذية تكاد تكون مطلقة. والذي كانت قراراته تلزم من قبل القضاء المدني قدر كون ذلك ضرورياً. ومع ذلك فان اداة سلطة الجاثاليق كانت تتلم إن رفض القاضي المدني التأكيد على قراراته، وعليه فغالبا ما كانت تنشأ انشقاقات. ولم يكن يضع حداً لسلطته المطلقة إلا السينودسات التي كانت تعقد كل سنتين او اربع سنوات، والتي كانت مشابهة للبرلمان. وكان التماسك الداخلي للكنيسة، قائماً على التبني غير المشروط للعقيدة الانطاكية، وعقيدة الطبيعتين المماثلة لها التي كانت تعلم في هكذا مؤسسات تعليمية عظيمة مثل التي في نصيبين، وسلوقيا- قطيسفون. وقد جاء اغلب الاساقفة ورؤساء الاديرة لكنيسة المشرق من مزج ملاكات كهذه. ويعود الفضل فقط الى هذا التنظيم الكنسي الصارم والذي بواسطته استطاعت كنيسة المشرق الإحتفاظ بكيانها في بيئة معادية في الغالب، على الرغم من عدم تمتعها بأي دعم من الدولة.

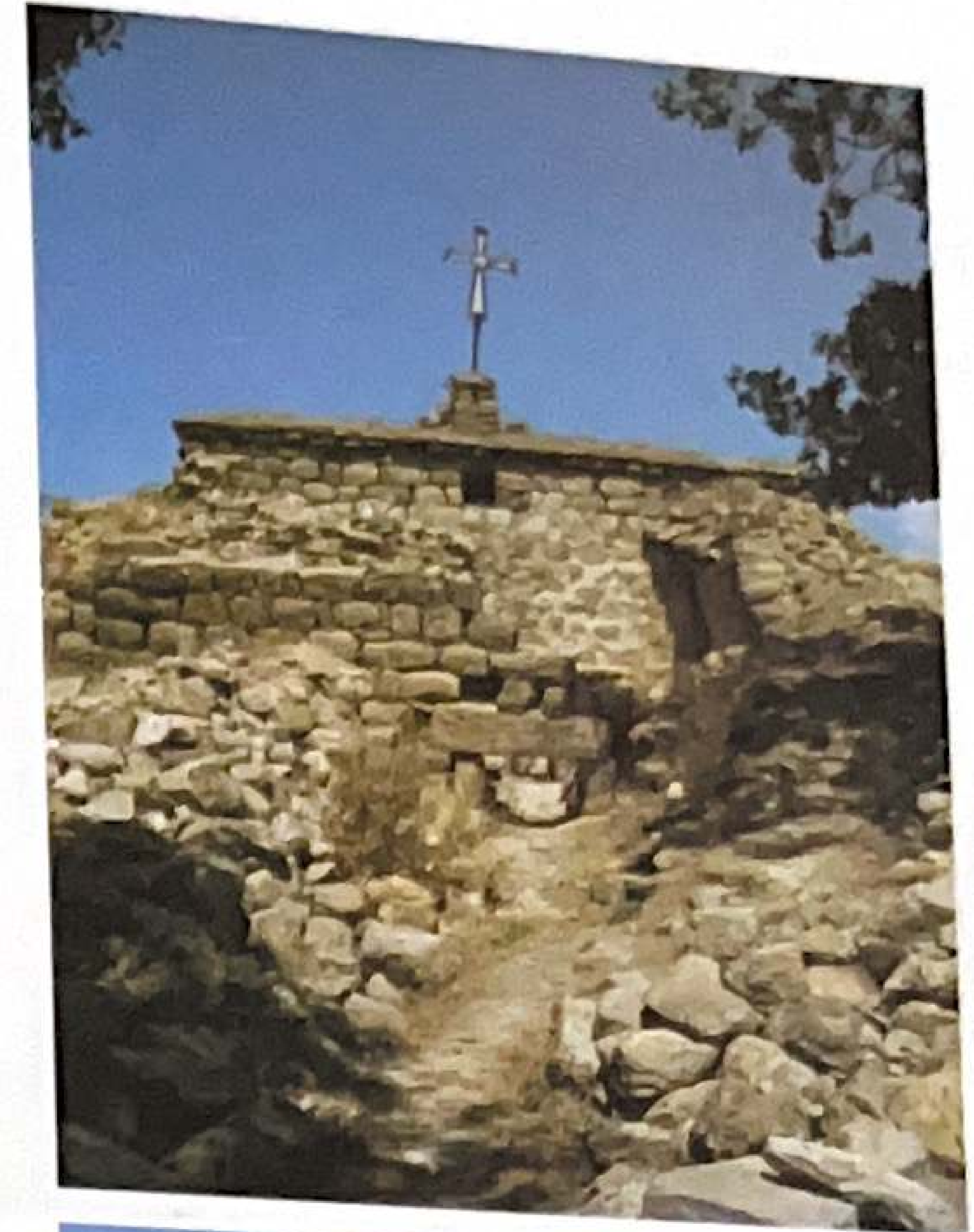
ومن المدهش ان السينودس امتنع عن تحديد وسائل اختيار الجاثاليق. وقد تمت تسوية ذلك من قبل الجاثاليق **مار ابا** في سنة ٥٤٤ هكذا: يقوم اسقف **كشكر** باعلام مطرافوليط بيث لاباط، وفرات ميشان، واربل، وبيث سلوخ، الذين يأتون الى المدينة مصحوبين كل واحد منهم بثلاثة اساقفة. ويقومون بترشيح البطريرك الذي يجب تثبيته من قبل وجهاء قطيسفون. وفيما بعد قام البطريرك يوسف بتوسيع دائرة رؤساء الاساقفة الذين باستطاعتهم الاشتراك في عملية الانتخاب لغرض شمول كل الكراسي المطرافوليطية في الداخل. وفي سنة ٥٨٥ اضاف البطريرك **ايشوعياب الاول** انه في وقت الازمات، مثل الاضطهادات، يكفي عدد لا يقل عن ثلاثة مطرافوليطيين[٦٣]. وقد اظهرت الممارسة، مع ذلك، بان المرشح نادراً ما كان ينجح دون موافقة الشاه.

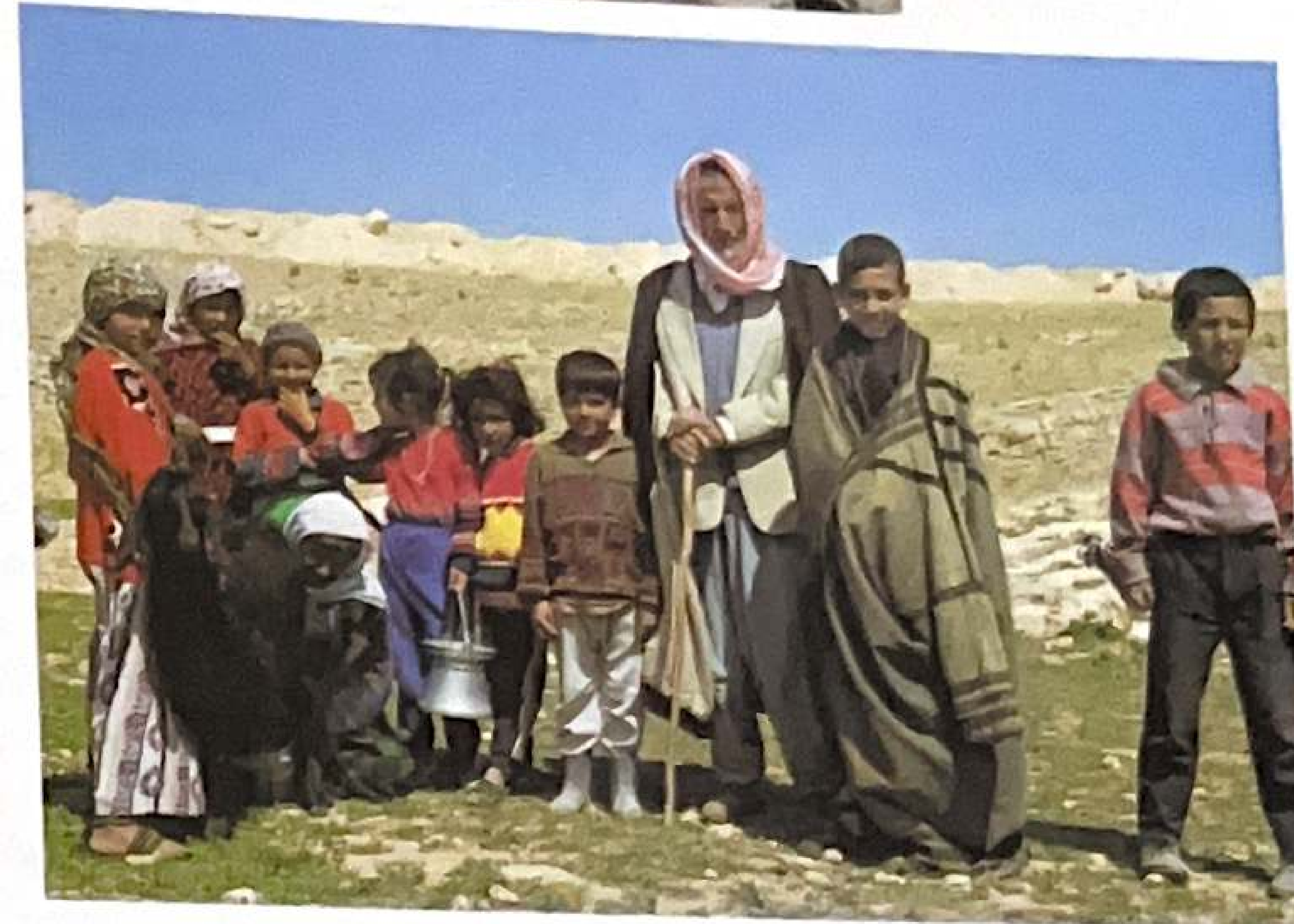
ومن الامور البارزة في معايير الانتخاب حقيقة ان مؤمني كل ابرشية كان لهم الحق في المشاركة في انتخاب الاسقف، وباستطاعتهم ان يقاطعوا بنجاح، الاساقفة الذين كانوا يفرضون عليهم من الخارج.

وعلى ضوء قلة اهتمام العديد من المسيحيين الاوربيين الغربيين اليوم بكنائسهم، فإن السؤال المطروح هو ما إذا كانت ديمقراطية مباشرة كهذه في انتخاب الاكليرس قد لا تساعد في تقليل المسافة الواضحة بين الاكليرس والمؤمنين.

لقد كانت عزوبية الاكليرس السرياني الشرقي شوكة في جنب الزرادشتية، ومنحت لهم هدفاً دائماً. ومن اجل تغيير مجرى الريح ضد أشرعة الموبيد في هذا الخصوص،

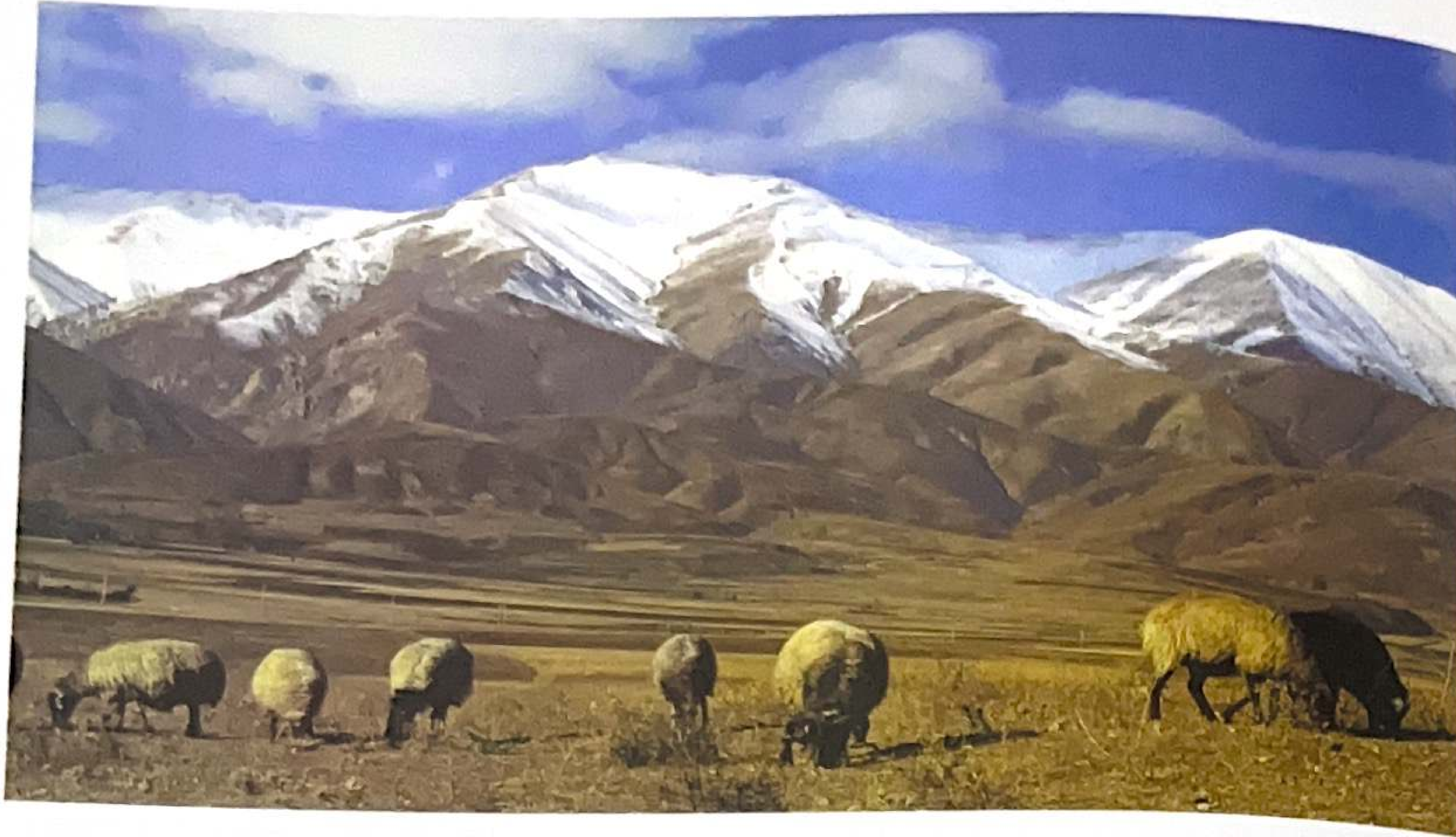
اعلن سينودس البطريرك **آقاق** (شغل المنصب بين ٤٨٥-٤٩٦) في سنة ٤٨٦ انه "من الان فصاعداً، لا يحق لأسقف ان يرسم احداً الى المرتبة الشماسية [التي كانت مدخلاً الى سلك الكهنوت] ما لم يكن متحداً في زواج شرعي وينجب اطفالاً"[٦٤]. وقد فرض هذا القانون، الزواج على المرشحين لوظيفة اكليريكية. وكان الدافع وراء هذا القرار هو مطرافوليط نيصيبين المثير للجدل **بر صوما** (+٤٩٦)، الذي كان متنفذاً، بسبب صداقته مع شاه بيروز، والذي كانت له علاقة بمحضية، راهبة[٦٥]. ولم يكن يسمح بالعزوبية الا للمتوحدين. ولما كان العديد من الاساقفة يعينون من قبل الجماعة التوحدية، فإن الاساقفة كانوا يعيشون حياة عزوبية، رغم اعلان السينودس. وقد اكد سينودس الجاثاليق **باباي** (٤٩٧- ٥٠٢) ليس فقط قرارات سينودس سنة ٤٨٦ بل امر ايضا ان يدخل كل اكليرس كنيسة المشرق "من البطريرك الى ادنى مرتبة، في رابطة زواج علني مع امرأة وينجب اطفالاً"[٦٦]. وتبدو مقولة الجاثاليق آقاق، عند النظر الى الفضائح التي اشتملت على سوء معاملة الاطفال، والاطفال غير الشرعيين للكهنة والاساقفة، والتي قد ادهشت الكنيسة الكاثوليكية الحديثة[٦٧]، من انه "من الخير اكثر اتخاذ زوجة بدلا من الاشتعال بالشهوة"[٦٨] معقولة. وكان بامكان آقاق الأحتكام الى الرسالة الاولى الى اهل قورنثوس: "فالزواج افضل من التحرق بالشهوة" (الرسالة الاولى الى قورنثوس ٧: ٩). وفي سنة ٥٤٤، على اية حال، الغى **مار ابا الاول** شرط الزواج للبطاركة واعلن وجوب ان يبقوا عزاباً[٦٩]. واما الزواج بالنسبة للأساقفة، فقد كان مسموحاً به حتى القرن الثاني عشر.





(اعلى) كنيسة مار كيوركيس النسطورية القديمة في بديال، شمال العراق. واسم بديال مشتق من بيث ايل السريانية التي تعني بيت الله. وقد دمرت الكنيسة التي تعود الى القرن السادس على يد قوات صدام حسين، اثناء ما يسمى بحملة الانفال في سنة ١٩٨٨ حيث اعيد بناؤها بعد ذلك بوقت قصير.

(اسفل) مسيحيون عراقيون في خابور، شمال شرق سوريا.



سلسلة جبال داري روش (Dare Rosh) التي يبلغ ارتفاعها ٣٦٢٠م في اذربيجان في ايران، والتي تفصل جبال اورميا عن جبال المنطقة الجبلية الكردية. واليوم تعد اورميا، الى جانب طهران، اهم معقل لكنيسة المشرق في ايران.

وكنتيجة للتوسع السريع لكنيسة المشرق، فقد بات من الضروري تكييف واجبات وحقوق الكراسي المطرافوليطية النائية مع ظروفها الجغرافية، وايجاد صنفين من رؤساء الاساقفة، الاول: هم المخولون في انتخاب الجاثاليق، والكراسي المطرافوليطية في الداخل، الذين كانوا يغطون مركز كنيسة المشرق. وكان هؤلاء بحسب الترتيب الهرمي، الكرسي المطرافوليطي للبطريرك، اضافة الى اقاليم: ١ـ **بيث لاباط**، ٢ـ **نصيبين**، ٣ـ **فرات ميشان** (البصرة)، ٤ـ **موصل**، ٥ـ اربيلا، ٦ـ **بيث سلوخ** (كركوك)، و ٧ـ أحيانا **حلوان** في غرب أيران. والصنف الثاني: الكراسي المطرافوليطية للمناطق الخارجية، التي كانت بعيدة عن العاصمة، وعليه فهي غير مؤهلة لانتخاب الجاثاليق. وقد تضمنت هذه في بداية القرن الرابع عشر، ابرشيات رئيس الاساقفة: ٨- **اورشليم**، ٩- **الرها**، ١٠- **رو اردشير** في فارس (جنوب ايران)، ١١- **مرو** في خرسان (تركمنستان)، ١٢- **هرات** (افغانستان)، ١٣- **قطر**، ١٤- **الصين** (شيان؟Xian)، ١٥- **الهند**، ١٦- **بردا** (Barda) في ارمينيا، ١٧- **دمشق**، ١٨- ري قرب طهران، ١٩- **طبرستان** (شمال ايران)، ٢٠- **ديلم** على بحر قزوين، ٢١- **سمرقند**، ٢٢- **تركستان** (الاتراك الرحل في ترانسوشانيا)، ٢٣- **خاليغ** (Halih) (على

بحر قزوين او احفاد الترك- المغوليين من الهون البيض في ترانسوشانيا)، ٢٤- **سجستان** (سستان في جنوب غرب افغانستان)، ٢٥- **خان باليق والفالق** (بيجين الحالية والمالك في شمال غرب شينشيانغ، الصين)، ٢٦- **تانغوت** (Tangut) اقاليم غانسو (Gansu) وننغسيا (Ningxia)، اضافة الى منطقة اوردس (Ordos) من الصين، ٢٧- **كاشغار** (Kashgar) **وناواكات** (Nawakat) (في غرب شنيشانغ وقيرغستان)[٧٠].

اضافة الى ذلك فقد كان هناك الكرسي المطرافوليطي لـ **اتروباتين** (Atropatene) في اذربيجان. وفي حوالي القرن العاشر، كانت القاهرة والاسكندرية كراسي مطرافوليطية ايضاً. وعند نهاية القرن الثامن كان هناك في اكبر الظن كرسي مطرافوليطي في التبت، ايضاً[٧١]. وقد امتدت كنيسة المشرق في ذلك الوقت من الغرب الى الشرق على اكثر من ثمانين درجة من خطوط الطول، من الفرات الى منشوريا والبحر الاصفر، وتضاهي المسافة ٧٠٠٠ كلم.

وعلى النقيض من رؤساء الاساقفة في الداخل الذين كانوا ينتخبون من قبل الاكليرس وعامة الناس التابعين لهم، فإن البطريرك نفسه كان يرشح المطرافوليطيين للمناطق الخارجية، باستثناء كرسي روارد شير في فارس، اضافة الى الري احياناً قرب طهران. وكان المرشحون دائماً من المبشرين الاكليريكيين في الغالب، من قلب ارض بين النهرين. وكان رؤساء المناطق الخارجية يتمتعون باستقلال ذاتي اكبر مما كان يفعله اقرانهم في الداخل، طالما انهم لم يكونوا يشتركون في سينودسات البطريرك. وكان يكفي بالنسبة لهم ارسال تقرير مكتوب الى البطريرك يتضمن قرارا ووصفاً بالوضع الراهن، مرة كل ستة سنوات. علاوة على ذلك، فقد كان بامكان المطرافوليطيين انفسهم ان يرسموا اساقفتهم، دون ان يكون على هؤلاء الذهاب الى البطريرك للتثبيت. وكان لاغلب ابرشيات آسيا كرسي رسولي في المدينة، لكنه كان هناك ايضاً اساقفة معينين للاقوام الرحل الذين كانوا يكيفون محل اقامتهم مع انماط الهجرة لرعيتهم. وبسبب الاتساع الكبير لبعض الابرشيات الاسقفية في المناطق الخارجية، فقد كان تحت تصرف المطرافوليطيين والاساقفة عدة رؤساء شمامسة والخوراساقفة[٧٢].

ولتعزيز وحدة الكنيسة، استعملت السريانية لغة طقسية في كل الاقاليم والابرشيات. ومع ذلك، كانت تنشد اثناء الصلاة الاناشيد ويقرأ الانجيل باللغة العامية لتلك الاقاليم، وينطبق نفس الشيء على المواعظ. وعلى النقيض من الاسلام، الذي يمنع ترجمة القرآن، الذي انزل على النبي من قبل الله بالعربية. قام النساطرة بترجمة كتب القداديس والاناشيد والمزامير، الى جانب مقتطفات من العهد الجديد، الى اللغات المحلية. وهكذا فقد اكتشفت في عموم آسيا الوسطى وثائق باللغة الفارسية الوسطى (الفهلوية)، والعربية، والتركية القديمة، والسغدية (Sogdian) والأوغورية (Uigur) والمنغولية والصينية.

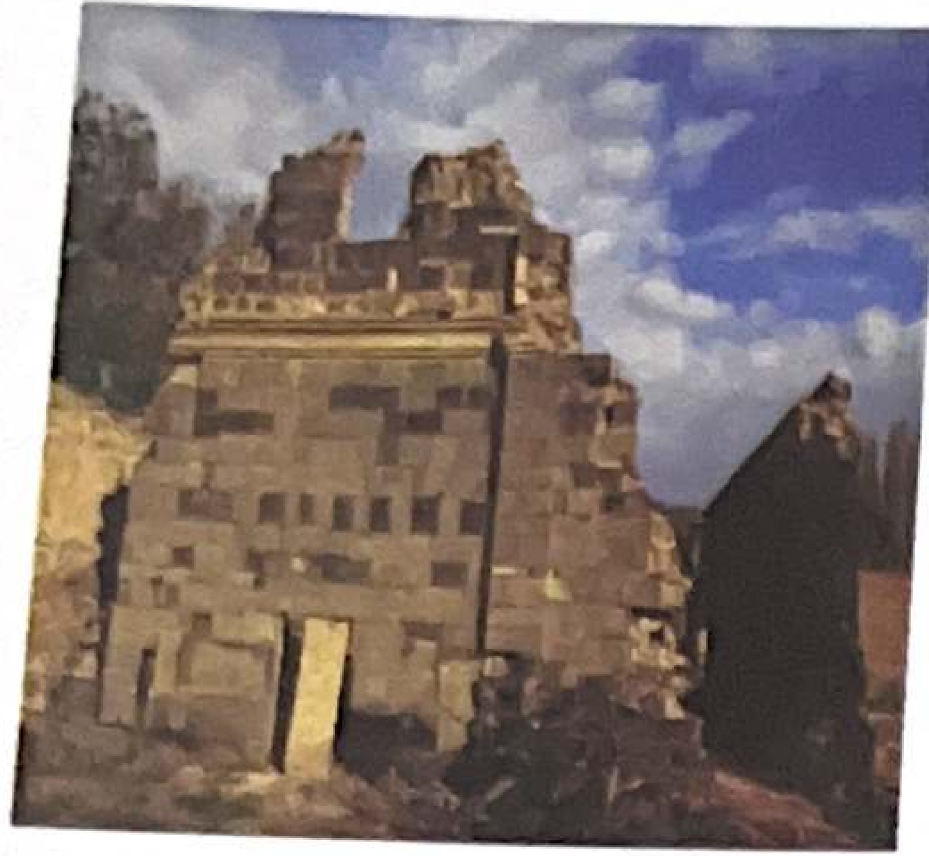
الاعلان الاخير لاستقلال كنيسة المشرق

"لايجوز للاساقفة الشرقيين بعد الان، العودة الى البطاركة الغربيين ضد بطريركهم. بل ان كل قضاء لا يجد [illegible]

امامه سوف يحتفظ به لحكم المسيح. ويحكم [البطريرك] جميع رعاياه، اما الحكم عليه، على اية حال، فيترك للمسيح، الذي اختاره ورفعه ووضعه على رأس كنيسته" (بيان سينودسي لسنة ٤٢٤)[٧٣].

وكان سينودس عام ٤٢٤، بعد سينودس سنة ٤١٠، اهم مؤتمر اسقفي لكنيسة المشرق. وعلى خلفية هذا السينودس كانت تبرز الخلافات الكنسية الداخلية والفوضى اثناء اضطهادات سنوات ٤٢٠-٤٢٢. فقد قام يزدجرد اول الامر بإقالة **البطريرك معنى** (Ma'na)، (شغل المنصب سنة ٤٢٠) - الذي كان مدعوماً من قبل القائد العسكري- لانه ابى ان ينفذ إعادة بناء معابد النار التي دمرت. وقد خلفه **البطريرك داديشوع** (شغل المنصب سنة ٤٢١-٤٥٦)، الذي انتخب شرعيا، لكن الاساقفة الذين كانوا يغارون منه وشوا به لدى **الشاه بهرام الخامس** على انه جاسوس روماني، حيث زج به في السجن. ولم يخجل الاساقفة الثائرون من الحصول على المساعدة من الزرادشتيين، ومن قائد آخر للجيش في تعيين بطريرك غير اصيل، هو **فرابوخت** (Faraboht)، (شغل الكرسي سنة ٤٢١)، الذي رفضته أغلبية الاساقفة[٧٤]. وبعد اقامة السلام البيزنطي- الساساني في سنة ٤٢٢، اطلق سراح داديشوع، حيث عاد الى ديره في سفينة نوح على جبل جودي وفي نفسه مرارة. ولم يوافق على العودة الى وظيفته إلا بعد ان التمس منه متضرعين كل المطرافوليطيين الستة في السينودس، اضافة الى ثلاثين اسقفاً[٧٥].

وقد اقر سينودس سنة ٤٢٤ باستقلالية كنيسة المشرق والسلطة المطلقة لبطريركها الجاثاليق. إن المسيح ذاته هو الذي يعين البطريرك، كما عين في يوم ما بطرس،



كنيسة مار كيوركيس في خسرو اباد قرب ديليمون (سلامس)، في اذربيجان بإيران التي اشترك اسقفها، حسب ما يذهب اليه التقليد، في مجمع نيقيا سنة ٣٢٥. ان النقش في الحجر فوق المدخل يفيد بان اول بناء شيد كان في سنة ٥٢٠. وقد دمر هذه الكنيسة التي يعود تاريخها الى القرن الحادي عشر والتي رممت على يد المبشرين الكاثوليك في سنة ١٨٤٥، بركان في سنة ١٩٣٠.

حبراً له على الارض. وهو الوحيد الذي يستطيع ان يدينه، وليس الاساقفة التابعين له. ولم يتضمن إعلان الاستقلال هذا خلافاً، طالما ان القانون النيقاوي يتيح مؤسسة مشتركة مع البطاركة الغربيين. وعلى أية حال، فإن بطريرك كنيسة المشرق، هو على قدم المساواة مع البطاركة الغربيين، وعليه فهو مستقل استقلالاً تاماً في قراراته. وفي هذه الرؤيا، لا تتألف الكنيسة الجامعة من سلطة كنيسة عالمية واحدة فقط بل من تشارك مسكوني من كنائس مستقلة.

وبعد غلق مدرسة نصيبين في سنة ٣٦٣، استأنفت تعليمها في حوالي سنة٤٥٧، بفضل مبادرة الاسقف برصوما (+٤٩٦). وكان على برصوما ان يفر من الرها وهو بعد طالب عندما قام المشاغبون المونوفيزيون باقالة اسقف الرها الدايوفيزي، **هيبا** (شغل الكرسي في ٤٣٥-٤٥٧) لفترة قصيرة. وبموت هيبا في سنة ٤٥٧، بدأت موجة جديدة من انصار اللاهوت الانطاكي- الدايوفيزي، وقد كان اعيد الى وظيفته، وبعد ذلك، في سنة ٤٧١، عندما غادر اللاهوتي

الرها والشاعر المشهور **نرساي** (+٥٠٣) بسرعة كبيرة بسبب اضطرابات متجددة، اقنعه الاسقف برصوما بتولي قيادة مدرسة نصيبين. وبقيام **الامبراطور زينو** باغلاق مدرسة الفرس في الرها في سنة ٤٨٠، تم اخيرا ابعاد اللاهوت الانطاكي – الدايوفيزي خارج الامبراطورية البيزنطية.

ومع تأسيس مدرسة نصيبين ضمن الامبراطورية الساسانية، فقد وضعت نهاية للمفارقة التاريخية من ان الكرسي البطريركي السرياني الشرقي كان في العاصمة الساسانية، لكن المركز الثقافي للاكليرس الرفيع كان في الامبراطورية الرومانية الشرقية المعادية. واصبحت نصيبين الان مدرسة النخبة اللاهوتية لكنيسة المشرق وبفضل نرساي، الملقب بـ "قيثارة الروح القدس"، اصبح لاهوت **ثيودورس المصيصي**، الذي ساعد في ترجمة اعماله من اليونانية الى السريانية، مقياسا لأرثوذكسية الكنيسة الشرقية[٧٦].

إن دراسة اعمال **ارسطو** وتلاميذه عزز تكريس التفسير الكتابي. وهكذا التقت في نصيبين الافكار اليونانية والثقافة السريانية مع بعضهما، لتصبح تلك المدرسة البوابة التي نفذت منها الثقافة الاغريقية الى عقل بين النهرين.

وكان لمدرسة نصيبين في اوج نشاطها (١٠٠٠) طالب، تحكم حياتهم مبادىء اكليريكية. وكان عليهم، في اثناء فترة دراستهم في الاقل، الامتناع عن ملذات الدنيا، وابراز نذور العفة، وان يضعوا كذلك في اكبر الظن مقتنياتهم تحت تصرف الجماعة. وكان المنهج الدراسي مقسما الى دورتين، يتعلم التلاميذ في الدورة الاولى: القراءة والكتابة الصحيحة وترتيل المزامير غيبا. وتتضمن الدورة الثانية: الفلسفة



صحن كنيسة القديس سيرجيوس في بوس فاج (Bos Vatch) وهناك تحت الكنيسة حجرة حصلة المرضى، ماتزال تستخدم اليوم من قبل المسيحيين والمسلمين، والتي يشفى فيها المصابون بالامراض العقلية بين ليلة وضحاها بواسطة العظام الموضوعة داخل صناديق في الجدران.

والبلاغة وقبل كل شيء، التفسير الذي كان يتم فيه تفسير الانجيل تفسيرا حرفيا بحسب الفهم التاريخي الانطاكي للكتاب المقدس. وتأتي في المرتبة التالية الجغرافيا، وعلم الفلك، والتاريخ المدني، والطب ايضا كدورة دراسة منفصلة.

شهادة الايمان في المسيحانية الدايوفيزية والنزاع مع اليعاقبة المايافيزيين.

لم تبدأ العزلة بين الغرب والشرق بكنيسة المشرق، بل بكنيسة الدولة الرومانية البيزنطية. إن مجمع خلقيدونيا الذي، ولاسباب سياسية، لم يشترك فيه اي ممثلين

من سلوقيا- قطيسفون- كان قد قبل مسيحانية انطاكية معتدلة لكنه اخفق في رد الاعتبار الى اكثر انصاره البارزين، **نسطـــور**، ليؤدي ذلك الى اول انشقاق مسكوني. وقد عمق **الموحد** (Henoticon) لسنة ٤٨٢، الذي كان قريبا من الموقف المايافيزي، ذلك الشرخ بسبب تحريم الاسفار الثلاثة في سنة ٥٥٣، ليصبح صدعا لا يمكن ان يرأب. وقد بقيت جميع القوانين السنهادوسية لكنيسة المشرق ارثوذكسية من وجهة نظر اللاهوت الانطاكي. وقد دافعت كنيسة المشرق عن نفسها دائما دفاعا شديدا ضد التهمة الغربية في تقسيم المسيح الى "ابنين" جاعلين الثالوث بذلك رباعيا.

وفي سنة ٤٨٦ ردّ سينودس **البطريرك اقاق** (شغل كرسي الرئاسة في ٤٨٥-٤٩٦) على **الموحّد** في قانونه الاول: "ينص ايماننا، فيما يتعلق بالمسيح، بالاعتراف بالطبيعتين الإلهية والبشرية ولا يجوز احدنا على ادخال مزج او دمج او خلط بين هاتين الطبيعتين. ولكن ملعون هو كل من يعتقد او يعلم بان الالم والتغير يلازمان الوهية ربنا"[٧٧]. ويحافظ هذا الإقرار بكل من الوحدة الاونتولوجية للمسيح وكمال كل طبيعة، ويعارض هكذا **التألمية** (Theopaschism)، عقيدة تألم الله.

وقد نظم قانونه الثاني وضع الاديرة وحياة المتوحدين. "لا يسمح لهم [المتوحدون] بالدخول الى المدن والقرى للاقامة فيها. اضافة الى ذلك، عليهم ان يمتنعوا عن عقد اية تجمعات هناك، سواء أكان ذلك من اجل الاحتفال بالاوخارستيا او للقيام بالعماد، بل عليهم ان يدخلوا الاديرة والاماكن التي قد تخلت عن الحضارة، ويكونون هناك متطوعين للاساقفة والكهنة، والكهنة الزائرين (periodeutai)، الذين لهم عليهم سلطة وهم كبار اديرتهم وصومعاتهم"[٧٨].

ان التوسع السريع للكنيسة المايافيزية اليعاقبة نحو شرقي نهر الفرات اجبر كنيسة المشرق على تحديد موقعها"[٧٩]. بهذه الروحية وجه سينودس **الجاثليق باباي** (شغل الكرسي في ٤٩٧-٥٠٢) سنة ٤٩٧، الى مطرافوليط **بيت لاباط**، ثاني أعلى شخصية في الكنيسة، الذي كان يميل الى المايافيزية، الانذار التالي: إما "أن تقبل بايمان الكنيسة مع التوقيع والختم" او ان تحرم"[٨٠]. ووجدت كنيسة المشرق نفسها مرة اخرى في موقف دفاعي عندما بدأ الشاه بضرب النساطرة واليعاقبة احدهما بالاخر عن طريق اجبارهم على عقد نزاعات عامة. ولما كانت الكنيستان تعتمدان كلاهما على حظوة الشاه، كان عليهما ان يستسلما لسخرية مواجهة احداهما للاخرى امام حاكم زرادشتي. وكان الشاه الوثني اثناء النقاش بمثابة ديان الحقيقة لكل من العقيدة المايافيزية التي تقول بالطبيعة الواحدة للمسيح او عقيدة كنيسة المشرق التي تقول بطبيعتين. وقد قام المحاور المايافيزيي الخائف **شمعون من بيث ارشام**، مثلا، باهانة البطريرك باباي امام **الملك قباذ الاول**. وقد اتهم النساطرة في جدل عنيف بانكار الوهية المسيح، مثلما كان يفعل اليهود (نقلا)، وتوسيع الثالوث الى الرباعي. لانهم كانوا يعبدون الله الاب، والله الابن، يسوع الانسان، والروح القدس"[٨١]. وبعد انتصاره البلاغي، عين شمعون اسقفا عاما على بين النهرين"[٨٢]. وقد نجح في الحصول على دعم بطريرك ارمينيا الذي كان هو الأخر مايافيزيا. وفي حوالي سنة ٥٢١، سافر الى الحيرة، الدولة العربية التابعة في جنوب شرق بين النهرين، لهداية السريان الشرقيين هناك، لكن تدخل الاساقفة النساطرة

اجبر قباذ على زجه في السجن لسبع سنوات[٨٣]. لقد كان العاهل مايزال يميل الى النساطرة.

وقد تلقى النساطرة ضربة ثانية، عندما اثر الاسقف المايافيزيي **احوديما**، قبل سنة ٥٥٩، على **الشاه خسرو الاول** (حكم في ٥٣١-٥٧٩) الى حد ان سمح له ببناء الكنائس والاديرة. وبفضل نجاحه تمتع المايافيزيون بحرية اكبر معنوياً في الامبراطورية الزرادشتية مما كانوا عليه في المملكة المسيحية – البيزنطية. لكنه عندما تجرأ احوديما على تعميد احد ابناء خسرو باسم جيورج، القي القبض عليه ومات في السجن في سنة ٥٧٥. وبعد بضعة سنوات هدد كنيسة المشرق انشقاق داخلي، حيث قام **حنانا** (+٦١٠ تقريبا)، رئيس **مدرسة نصيبين**، وبدءاً بسنة ٥٧٢ تقريبا، بنشر عقيدة الطبيعة الواحدة للمسيح وقابلية لاهوته على التألم، كما قال كذلك بوجود الخطيئة الاصلية[٨٤]. ثم عارضته الارثونكسية السريانية الشرقية كخائن لعقيدة ابي الكنيسة **ثيودورس المصيصي**. وقد حرمه **سينودس ايشوعياب الاول** (شغل الكرسي في ٥٨٢-٥٩٦) بوضوح دون الاشارة اليه بالاسم: "ان الهراطقة [اي حنانا واتباعه] يتجرأون، في حماقتهم على اضفاء صفات وآلام البشر على طبيعة وشخص الوهيته [المسيح]" (القانون ١). ويدافع القانون الثاني بجلاء عن الارثونكسية المعيارية لتعليم ثيودورس: "لا يجوز لأي واحد من اي من الدرجات الكنسية ان يهين معلم الكنيسة هذا، سواء اكان ذلك سرا ام علنا، ولا ان يرفض كتاباته المقدسة. واذا ما تجرأ احد [مع ذلك]، فليكن محرما"[٨٥]. وقد تلاشى مركز القوة لحنانا، فور قيام المئات من التلاميذ بعد ذلك بترك نصيبين ليدخلوا في مؤسسات تعليمية اخرى. وكان من بينها **الدير الكبير** في جبل **ايزلا**، و **مدرسة بيث سهدي**، **التي** قام بتأسيسها **البطريرك مار ابا الاول** (شغل الكرسي في ٥٤٠-٥٥٢) في سلوقيا-قطيسفون، **ومدرسة بيث لاباط** (جنديسابور). وقد اضيفت اليها المدارس الاسقفية في **بلد**، **واربيل**، **وكشكر**، **ومرو**، **والحيرة**، اضافة الى **مدرسة دير قنى**، جنوب شرق سلوقيا.

وقد تم تأسيس مدينة جنديسابور من قبل **شابور الاول** في حوالي سنة ٢٦٠ وتم بناؤها بواسطة سجناء الحرب المسيحيين الرومان. وقد تميزت المدرسة التي كان يرأسها السريان الشرقيون بقيامها بتعليم مواضيع اكاديمية موسوعية مختلفة. وفي سنة ٥٢٩ اضيفت الفلسفة اليونانية الى الفروع الدراسية السابقة في التفسير الكتابي واللاهوت والطب اليوناني، بعد قيام الامبراطور البيزنطي بغلق مدرسة الافلاطونية الجديدة في اثينا وقيام **شاه خسرو الاول** بدعوة المعلمين المبعدين بالقدوم الى امبراطوريته. وهكذا وضع الشاه ذو النظرة البعيدة، الذي استخدم سلطته في تعزيز المساعي الثقافية، حجر الاساس للعمل المستقبلي لترجمة الفلسفة اليونانية والطب والفلك الى السريانية ومن ثم الى العربية[٨٦]. وقد ادى غلق مدرسة الفرس في الرها قبل ذلك في ٨٤٩، ادى الى تدفق اللاهوتيين السريان الشرقيين.

ويعود السبب الى تراخي الموقف نسبيا بين الدولة الساسانية واقليتها المسيحية ان قام خسرو بتحويل المدرسة النسطورية في جنديسابور الى جامعة "علمانية" رسمية. وقد اضيفت مواضيع الطب والفلسفة الهندية والتنجيم والفلك والرياضيات الهندية واليونانية وعلم المنطق والزراعة كمواضيع جديدة. اضافة الى ذلك، فقد علمت الاخلاق



شيرين النسطورية تنظر الى صورة خسرو الثاني. مخطوطة السلطان حسين بن سلطان علي، ١٤٨٥. واما بخصوص مصيرها بعد موت خسرو في ربيع عام ٦٢٨، فليس هناك الا القليل من الوضوح. وتروي شاهنامة الفردوسي لسنة ١٠٠٩ بانها انتحرت عندما اراد قباذ الثاني ان يتخذها له زوجة.[٢٤] بيد ان التاريخ السعردي يتهم شيرين بتسميم الملك شيروي – الذي اتخذ اسم قباذ الثاني ويزعم انه كان نسطوريا سرا – انتقاما لقيامه باغتيال ابنها المايافيزيي ميردنشاه عند اعتلاءه العرش.[٢٥] (مكتبة برلين الوطنية، من مقتنيات الثقافة البروسية. الابعاد او الحجم ربع، ورقة ٤٠ ف).

واللاهوت الزرادشتي، الى جانب القانون والمال والادارة المدنية. كما امر خسرو ايضاً باقتناء وجمع المخطوطات اليونانية، وارسل الطبيب المشهور **برزو** (Burzo) الى الهند لجلب الكتب العلمية الى جنديساربور. ويزعم ايضاً ان برزو ادخل الشطرنج الى ايران.

ومن اجل التوحيد بين النظرية والتطبيق، كان للمدرسة ايضاً مستشفى ومرصد. وباستثناء المواضيع الزرادشتية، كانت لغة التعليم هي السريانية حتى اثناء القرنين الاولين للحكم العربي. وتتجلى اهمية هيئة الطب في جنديسابور في حقيقة ان جميع اطباء الخلفاء العباسيين كانوا فعلا من السريان الذين كانوا تلقوا تدريبهم هناك. ولم يحل محل جديسابور الا المكتبة والجامعة الرسمية التي اسسها الخليفة المامون (حكم ٨١٣-٨٣٣) "بيت الحكمة" كجامعة رسمية للعباسيين[٨٧].

ولكن سرعان ما هدد كنيسة المشرق خطر اكبر من خلال مكايد الطبيب المسيحي **جبراليل السنجاري** (Gabriel of Sinjar) الذي كان له نفوذ كبير على **شاه خسرو الثاني** (حكم في ٥٩٠-٦٢٨). وكانت سلطة جبرائيل تكمن في حقيقة ان زوجة خسرو المفضلة، شيرين النسطورية (التي لم يكن لها ولد حتى ذلك الحين) انجبت ولداً صحيحاً، وهو **الامير ميردنشاه**، مباشرة بعد نزيف قام به جبرائيل. وكان جبرائيل في ذلك الوقت قد تحول عن المذهب اليعقوبي- صار نسطوريا- وكان يقوم بعرض القضايا المهمة للكنيسة امام الشاه. ولكن عندما تخلى جبرائيل عن زوجته المسيحية وتزوج من امرأتين زرادشتيتين، قام **البطريرك سبريشو الاول** (شغل المنصب في ٥٩٦-٦٠٤) بتحريمه، حيث تحول ذو الحظوة الذي استشاط غضبا، الى الكنيسة اليعقوبية مرة اخرى، وحث شيرين على ان تحذو حذوه ايضاً. وقد جعل البطريرك بصرامته من إثنين من اكثر الناس نفوذاً في الامبراطورية عدوين لدودين له بعد الشاه[٨٨].

وبعد موت **الجاثاليق غيرغوريوس الاول** (شغل المنصب في ٦٠٥-٦٠٨)، عرف جبرائيل كيف يحول دون انتخاب خليفة له، بل حاول اضافة الى ذلك، تنصيب **حنانا** او واحداً من تلاميذه على العرش[٨٩]. وقد قام كل من شيرين وجبرائيل بتحقيق "سياستهما الكنسية" ليس وفق المعايير اللاهوتية بل بدافع مصالحهما الشخصية.

ولعل خسرو كان يفكر في اكبر الظن في جمع كل المسيحيين في كنيسة امبراطورية ساسانية.

وتتيح سيرة حياة الشهيد كيوركيس (جورج)، الذي قام بتأليفها اللاهوتي السرياني الشرقي **مار باباي** (٥٥١-٦٢٨)، معلومات حول هذه الفترة المثيرة لكلا الكنيستين. وفي سنة ٦١٢، قام جبرائيل، الواثق من فوز فريق حنانا، بالاعداد لجدال عام آخر بين النساطرة واليعاقبة امام الشاه. وكان قائد الفريق النسطوري هو المتوحد كيوركيس، ابن احد الضباط الزرادشتيين في المنطقة الحدودية الستراتيجية لنصيبين. وقبل ان يتنصر، كان قد تلقى التربية كساحر زرادشتي. وكان القانون المسيحاني الذي قدمه كيوركيس في المجادلة يحمل بصمات باباي، لكونه كان قد درس معه. "ان الآباء المقدسين، لا سيما نسطور وانصاره، قد اعلنوا: (طبيعتين واقنومين، سماتهما محفوظة في شخص المسيح الواحد). وكذلك اعلن بوضوح ثيودور المبارك بان هناك طبيعتين واقنومين في شخص المسيح". وبعد هجمات على حنانا، اكد كيوركيس السلطة المعيارية لأباء الكنيسة الثلاثة: "يحرم من تناول القربان في هذه الكنيسة كل من ينتقد او ينال من سمعة هؤلاء المعلمين الثلاثة المباركين القديسين المسكونيين، اعمدة الكنيسة وعقيدتهم الرسولية التي قد الهمت الكنيسة كلها، لا سيما، المبارك ديودورس والمبارك تيودورس والمبارك نسطور"[٩٠].

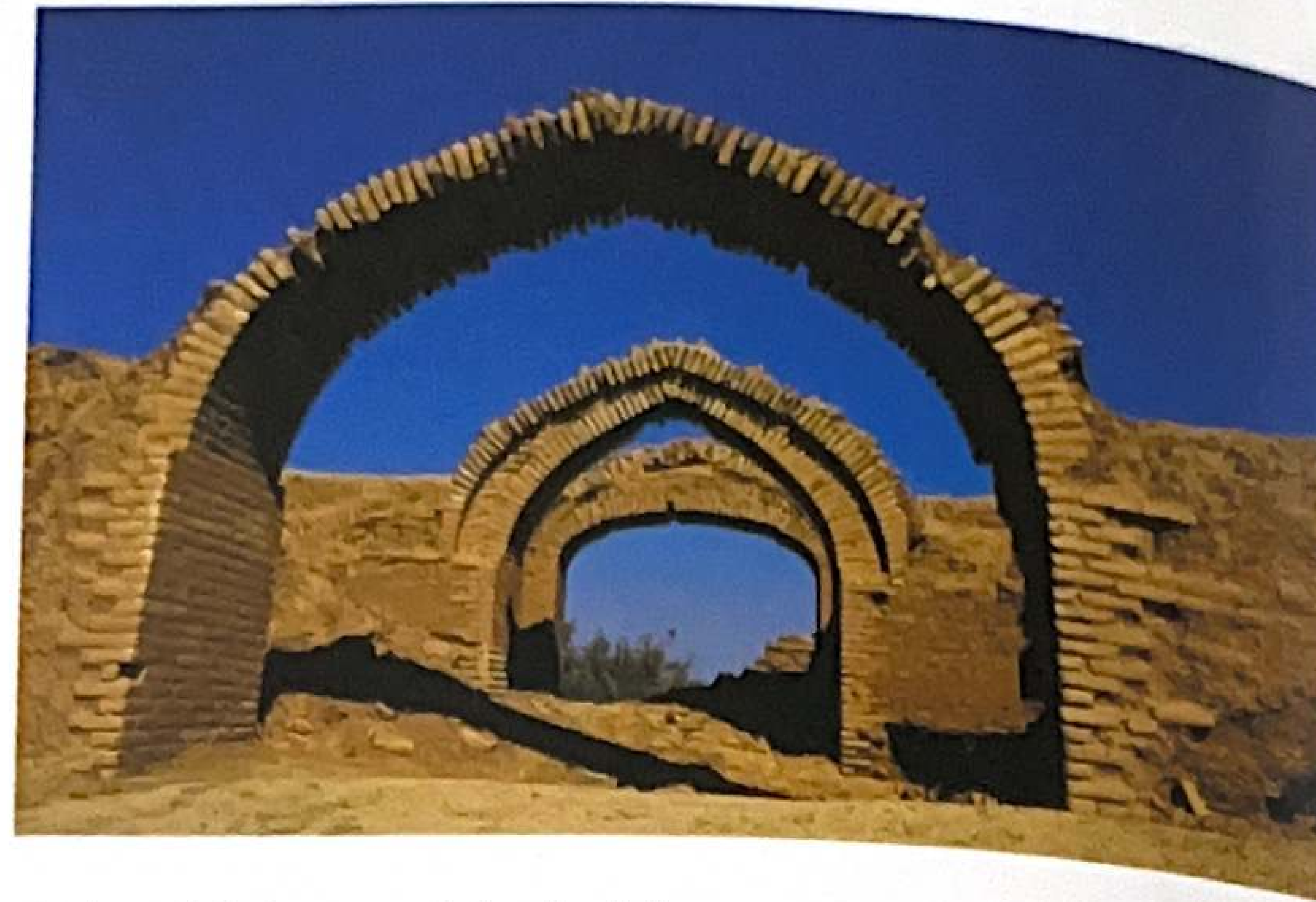
كما اتبع قانون الاساقفة النساطرة الذي وضع في نفس الوقت، ايضاً افكار باباي: "تعترف بربنا يسوع المسيح كشخص، ابن الله، المولود بطبيعة لاهوته من الاب قبل كل الدهور، الازلي، المولود في نهاية الزمان بطبيعة ناسوته من مريم المباركة"[٩١]. وقد حملت هذه الاعترافات التكميلية للايمان نهاية للتطور التقليدي للعقيدة السريانية الشرقية.

ورغم ان المجادلة كان يمكن لها ان تكون بمثابة اساس للشاه لكي يختار جاثاليقاً جديداً، الا ان خسرو لم يقم باي اختيار، وظل الكرسي البطريركي شاغراً حتى وفاته في سنة ٦٢٨. وقد قام باباي الكبير، الى جانب رئيس الشمامسة، بملء الشاغر، حيث كانا يقومان بمهام البطريرك غير المعين، ان صح التعبير. وكانت المجادلة نجاحاً للنساطرة قدر تجنبهم تعيين بطريرك مايافيزي.

لكنه بالنسبة الى اليعاقبة، من الناحية الاخرى، انتهى بالفشل، لانهم اضاعوا فرصة تولي قيادة كنيسة المشرق. وقد سعى جبرائيل السنجاري المهزوم الى الانتقام عن طريق ادانة مار كيوركيس البليغ امام الملك كمرتد عن دين الدولة. وقد امر الملك بالقبض عليه وصلبه[٩٢]. وتشير هذه الادانة لمسيحي من قبل مسيحي آخر مدى كون العلاقة بين الكنيستين علاقة مسمومة. ولم تحدث مصالحة رسمية، بين البطريرك النسطوري **عبديشوع الثالث** (١١٣٨-١١٤٨) والبطريرك اليعقوبي **دايونيسوس**، الا في سنة ١١٤٢، عندما اعترفت كل كنيسة بشرعية الاخرى[٩٣].

ازمة وتجديد في كنيسة المشرق بين ٤٥٠ و ٦٥٠

لم يكن **البطريرك بابويه** (شغل المنصب في ٤٥٧-٤٨٤) هو الشخصية البارزة في كنيسة المشرق النصف الثاني من القرن الخامس، بل مطرافوليط نصيبين المتعطش الى السلطة **برصوما** (٤١٥-٤٩٦ تقريباً). وكانت سلطة برصوما تستند على صداقته



ديري- غاجين، دير الطباشير، ايران. وتقوم بجانب الخان الساساني، الذي كان يقع على طريق الحرير الذي يربط مرو وسلوقيا-قطيسفون، خرائب بنايات معقدة يحيط بها سور من الطين تبلغ ابعاده 250x100 م. وتقوم الى الشرق الاقواس الثلاثة المصنوعة من الطابوق المشوي تؤدي الى حجرة تبلغ ابعادها 12x10 م، والتي يتجه الجزء الناتيء نصف الدائري منها نحو الشرق والتي تزين جدرانها الطويلة محاريب ومشاكي. وكما يوحي اسمه فقد كان في اكبر الظن ديراً مسيحياً.

مع الملك الساساني **بيروز** (حكم ٤٥٩-٤٨٤)، والتي كان قد كونها من خلال عمله كوسيط في اقامة سلام ساساني- بيزنطي دائم. وعرفاناً بالجميل عينه بيروز قائداً للمنطقة الحدودية لنصيبين. ولما كان برصوما قد عانى من الوطىء الكبير للاضطهادات ضد النسطورية على يد المايافيزيين في الرها، فقد ظل معارضاً عنيداً لاختراق الواعظين المايافيزيين والمتوحدين الى بلاد بين النهرين، ونصيراً مخلصاً للمسيحانية الانطاكية و"رسولاً للارثوذكسية النسطورية"، كما يقال. وهكذا اقنع برصوما الملك فيروز من انه سيكون من الافضل لامبراطوريته لو اتبع كل المسيحيين كنيسة المشرق، والتي لم يكن لها ما تشترك به مع بيزنطة[٩٤].

لكن برصوما كان ايضا لاعبا بالسلطة، عديم الضمير، حارب أساقفته حول الغاء العزوبية. كان برصوما يعيش مع راهبة، الامر الذي منح الاساقفة البيزنطيين سبباً مؤاتياً لاتهام ثاني اعلى شخصية سريانية شرقية بالفسق. بيد ان البطريرك الذي كان يؤمن بعزوبية الاساقفة لم يستطع ان يحرز النجاح لان برصوما كان واثقاً من الدعم الملكي، كما انه ذاته، كمرتد عن دين الدولة، كان معرضا للخطر. عندئذ لجأ **البطريرك بابويه** الى الاساقفة البيزنطيين وطلب منهم اقناع **الامبراطور زينو** بالتدخل لدى الشاه بيروز لصالح السلطة البطريركية. ولما كان بابويه يدرك بان الرسالة التي وجهت بصورة غير مباشرة الى الامبراطور البيزنطي يمكن ان تفسر بالخيانة، فقد اخفى رسوله الرسالة في عكازة جوفاء. ومع ذلك وقعت في ايدي عدوه اللدود برصوما الذي قام بدوره بتسليمها الى الملك. وكما كان متوقعاً، اتهم البطريك بالجحود والخيانة واعدم في سنة ٤٨٤[٩٥].

لكن برصوما لم يجن ثمار الابلاغ عنه ـ الا وهو العرش البطريركي- لان شاه بيروز توفي بعد بضعة اشهر في معركة ضد **الهون البيض**، الذين تحالفوا مع بيزنطة. وقد سعى خليفته **بالاش** (Balash) حكم بين (٤٨٤ـ٤٨٨)، الى السلام مع بيزنطة، ولذلك تغاضى عن برصوما المشاكس لصالح **آقاق**. واثناء ذلك، وفور موت بابويه، دعا برصوما، في تصرف شخصي من لدنه تماماً، الى عقد سينودس **في بيت لاباط**، لكن البطريرك الجديد، في اول عمل رسمي يقوم به، اجبر برصوما على شجب سينودسه الذي لم تدون اعماله في السينودسات الشرقية. وفي السينودس المهم لسنة ٤٨٦ اعلن بان القانون الدايوفيزيي المذكور اعلاه ملزم.

وقد استمرت جاثاليقيات آقاق شغل الكرسي بين (٤٨٥-٤٩٦)، وباباي شغل

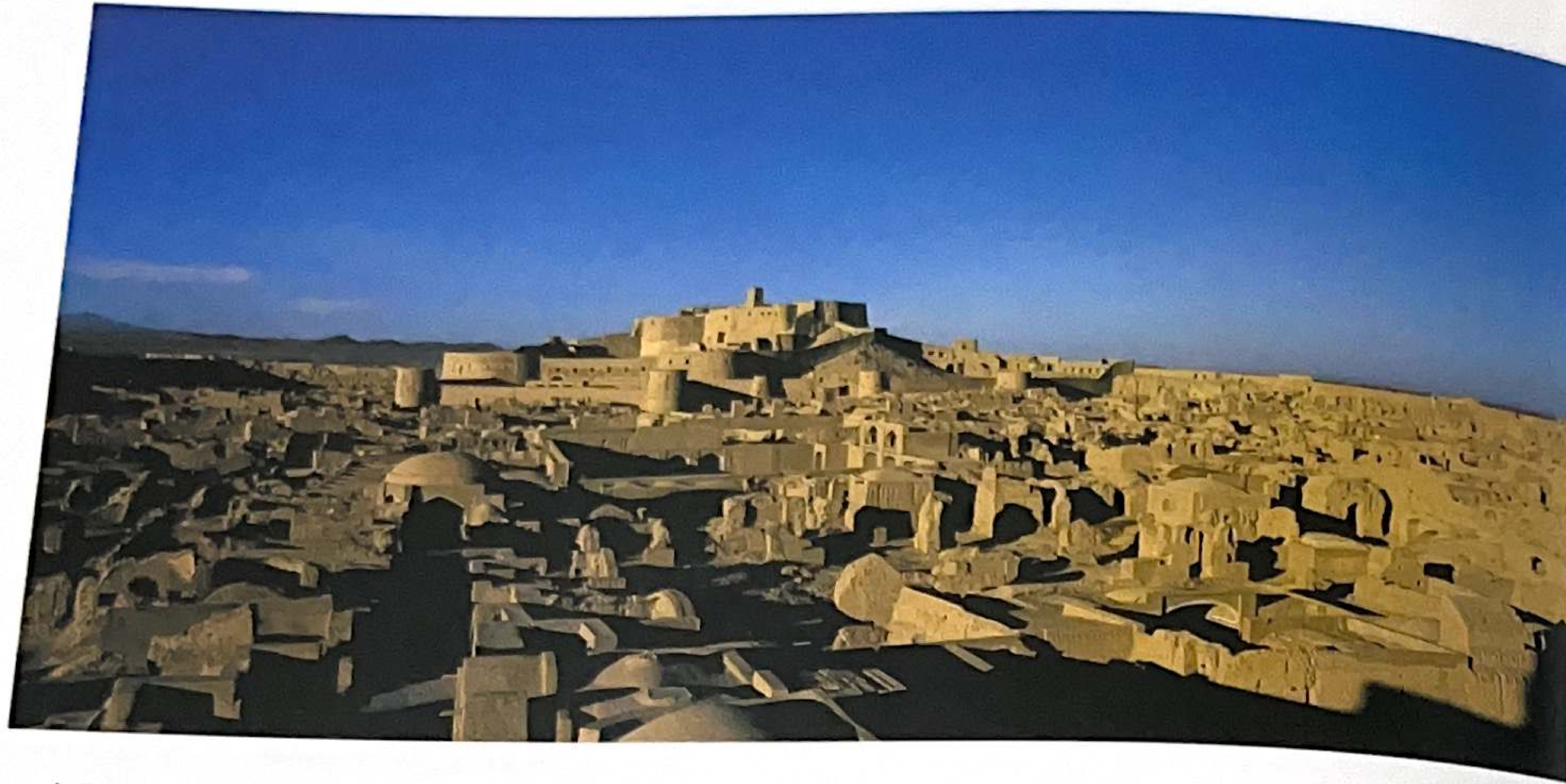
الكرسي بين (٤٩٧-٥٠٢) في سلام نسبي، في الاقل لان **شاه قباذ الاول** (Shah Kavad)، (حكم في ٤٨٨-٤٩٦ و ٤٩٩-٥٣١) كان ميالاً كثيراً الى المسيحيين، كما ان الاكليرس الزرادشتي كان منشغلاً بحركة الاصلاح الهرطقية لـ **مازداك** (Mazdak).

لقد استغلت هذه الحركة بذكاء الاستياء الذي كان تولد لدى الناس ضد ثروة النبلاء المتوارثين وتقلب الموبيد. وقد طالبت الحركة ضمن نظرة ثنائية الى العالم، بالمساواة بين جميع الناس، والاخوة وعدم انتهاك الحياة، وهكذا اعلنت الملكية المشاعة لكل الممتلكات، والنساء، ودعت الى اسلوب حياة نباتية مسالمة. وقد انضم الملك الشاب قباذ الى الاخوة، وسن العديد من الاصلاحات الاجتماعية، ويزعم انه كان يأمل في ان يكسر شوكة النبلاء والاكليرس. لكن هذه الجماعات انتقمت واطاحت به في سنة ٤٩٦، حيث هرب ملتجئاً الى عدو ايران التقليدي اللدود، الهون البيض، الذين يسمون ايضا **الهفتاليون** (Hephtalites).

وقد رافق النساطرة الملك، وسرعان ما انضم اليه اسقف نسطوري الى جانب اربعة كهنة. وفي المنفى تسنى للملك ملاحظة كيف ان المسيحيين النساطرة كانوا يقومون بتنصير الكثيرين من الهفتاليين الذين كانوا يعيشون الى الشمال من نهر **اوكسوس** (**امو – دريا**: Amu-Darya) ويعلمونهم القراءة والكتابة بل حتى يمنحون لغتهم شكلا كتابيا"[٩٦]. وقد تأثر قباذ بهذا الانجاز الثقافي، وعندما استعاد سلطته في سنة ٤٩٩ "امر بقتل عدد من السحرة وسجن العديد منهم. وكان محسناً تجاه المسيحيين لانهم كانوا قد ساعدوه عند فراره"[٩٧]. وعند نهاية حكمه، امر قباذ والامير خسرو الاول باعدام **مازداك** العجوز وتلاميذه المقربين اليه بالخازوق او دفنهم وهم احياء، وتم اضطهاد اتباعه دون شفقة[٩٨].

وقد كانت البعثة النسطورية الى هفتاليي **ترانسوشانيا** ناجحة، وفي سنة ٥٤٩ طلبوا اسقفاً من **البطريرك مار ابا**[٩٩]. وفي الوقت ذاته، قبل بعض الاتراك الغربيين المجاورين الدخول في الدين المسيحي. وعندما شنت القوات البيزنطية، بعد بضعة سنوات، الحرب ضد الترك الغربيين، اندهشوا غاية الدهشة عندما وجدوا ان اسرى الحرب الاتراك كانوا يحملون صلباناً موشومة على جبينهم كتعاويذ"[١٠٠].

ولكن لسوء الحظ، لم تعرف كنيسة المشرق ان تستغل الظروف المؤاتية في التسامح الديني تحت حكم قباذ الاول، وبدلا من ذلك، وقعت في خلافات ادت الى الانشقاق. وقد خلف باباي رئيس شمامسته، شيلا (Silas) (شغل الكرسي في ٥٠٣-٥٢٣)، لكن الجاثاليق الجديد "كان متزوجا وله ابنة، وكان رجلاً لا ترجى منه منفعة منشغلاً بالامور الدنيوية، ومحبا للمال حبا كبيرا"[١٠١]. ومع ذلك، بنى علاقات جيدة مع الشاه. وقبيل موته، تجاهل القوانين السينودسية وعين ابن اخيه، الطبيب **ايليشاع** (Elisha) خليفة له (شغل الكرسي في ٥٢٤-٥٣٩). وقد قام ثلاثة مطرافوليطيين برفض ايليشاع لكونه غير مناسب، ورسموا الكاتب **نرساي** (Narses) (شغل الكرسي في ٥٢٤-٥٣٥) بطريركاً لهم. ونظرا لتشبث ايليشاع بكرسيه دون ان يتنازل، وقع **انشقاق لخمس عشرة سنة المخجل**. "قام كل من البطريركين بتعيين الاساقفة وارسالهم الى كل مكان. وبني في كل كنيسة مذبحان، [illegible] ان المؤمنين لم يكونوا يذهبون الى الكنيسة للصلاة بل للقتال بالأكف واحيانا حتى القتل"[١٠٢]. وفي الوقت ذاته، قام كل بطري[illegible]



المدينة المحصنة لواحة بام (Bam) في قلب صحراء لوط. كانت تابعة لابرشية كرمان، التي بقيت حتى القرن الثالث عشر. وقد دمر بام بركان في ٢٦ كانون الاول سنة ٢٠٠٣. (تعود الصورة الى سنة ٢٠٠١.)

بتحريم الاخر. وقد تمكن قباذ الذي كان شديد الميل نحو النساطرة من تجنب التدخل، واذا ما كان يفكر في تعزيز الكنيسة كثقل مقابل ممكن للاكليرس الزرادشتي، فإن ذلك المشهد المثبط للهمة لابد ان يكون هو الذي اوقفه من القيام بذلك.

وفي سنة ٥٣٩ انهى الاساقفة الانشقاق، حيث قاموا باقالة ايليشاع وانتخبوا المرشح المطرافوليطي المعين لبيت لاباط، **بولس الاول**، الذي كان يتمتع بصداقة **الشاه خسرو الاول** (حكم في ٥٣١-٥٧٩)، لكنه توفي بعد شهرين فقط من استلامه المنصب. وكان الانتخاب التالي لـ **مار ابا الاول** بالاجماع وموفقاً، (شغل المنصب في ٥٤٠-٥٥٢)، رغم انه كان، كمرتد زرادشتي مثل بابويه من قبله، في خطر ادانته. وكان ابا رجلا متقفا ثقافة غير اعتيادية، وكان قد حجّ الى اورشليم، والاسكندرية، وقورنثوس، واثينا، والقسطنطينية. ومن ثم قام بالتدريس في نصيبين، وترجم الكتب اليونانية الى السريانية. وكانت امامه ثلاثة مهام: كان عليه انهاء الانشقاق، ورفع مستوى التعليم اللاهوتي، واعادة تأسيس نظام الرهبنة الواهن. وقد وقف الى جانبه في هذا المشروع الاخير **ابراهيم الكشكري** (٤٩١-٥٨٦)، مؤسس "الدير الكبير" في **جبل ايزلا**، وقفة قوية.

وقد بدأ البطريرك المنتخب حديثا بالعمل حالاً، وقام بتنظيف الاسطبلات القذرة التابعة للكنيسة. ومن خلال قيامه بزيارته التفقدية التي سعى من خلالها زيارة كل المطرافوليطيات والابرشيات ذات السلطة

المزدوجة، اكد على "ان الانشقاق البطريركي محرم امام الله وسخيف امام البشرية، مثل إمراة لها رجلان او جسد براسين"[١٠٣]. وقام بتعديل الكنيسة وفق المعيار التالي: "ان كان في الابرشية اسقف قد رسم قبل الانشقاق فانه سيبقى في منصبه. وإذا ما كان هناك اثنان او اكثر من الاساقفة الجدد، فإن اكثرهما فضيلة هو الذي سوف يثبت، والآخر سيعمل ككاهن. وان كانا فاضلين على حد سواء، يصبح الاصغر خليفة للاكبر الذي سوف يثبت. ولكن ان كان كلاهما غير جديرين، فإن كلاهما سوف يقالان ويتم ترسيم اسقف جديد"[١٠٤]. ثم قام بعد ذلك بتكييف قانون الانتخاب لوظيفة الاسقفية لسنة ٤١٠، ومنع الزواج بين قرابة الدم، وتعدد الزوجات التي كانت موجودة بين المسيحيين ايضاً. وإذا ما اهملت هذه القواعد، كان هناك تهديد بالحرمان من الدفن الكنسي. "سوف يلقون دفن حمار، مثل الحيوانات التي يشبهونها في الحياة"[١٠٥]. وما ان عاد مار ابا الى العاصمة، حتى قام بتأسيس جامعة لاهوتية هناك.

وما قد اعاق عمل مار ابا اكثر، كان استئناف الحرب مع بيزنطة، التي قام الساسانيون خلالها بنهب انطاكية في سنة ٥٤٠ وبترحيل اكثر من مئة الف اسير حرب الى الامبراطورية. وكانت شكوكهم القديمة في سكانهم من المسيحيين تزداد مع كل حرب مع بيزنطة. وفي حوالي سنة ٥٤٢ استغل **الموبيدان الموبيد** الفرصة واتهموا البطريرك بالجحود، وتنصير الزرادشتيين الممنوع، وشجب الزواج بين قرابة الدم، الى جانب محاولة تقويض العدالة المدنية بقوانينه الخاصة"[١٠٦]. وقد ادانته محكمة التفتيش الزرادشتية بالموت لكن الشاه خفف عقوبته الى النفي الى اذربيجان، لانه كان يخشى الثورة العلنية من قبل المسيحيين. وكان على الجاثاليق، ولمدة سبع سنوات كاملة، ان يقود كنيسته من السجن او المنفى.

وفي سنة ٥٥١ وجد البطريرك ومعه كل المؤمنين انفسهم في خطر كبير. فقد قرر ابن خسرو **نوشيزاد** (Nushizad) ومحظية مسيحية اعتناق المسيحية، حيث وضع عقب ذلك تحت الاقامة الجبرية. وبينما كان الشاه يشن الحرب ضد بيزنطة في شمال شرق البلاد، رفع نوشيزاد راية العصيان ضد ابيه. واستولى على السلطة، واعلن نفسه شاهاً جديداً في خوزستان، حيث كان يحظى بدعم الكثير من المسيحيين. وقد هُدد المسيحيين بمذبحة اكثر قسوة حتى من تلك التي قام بها شابور الثاني او يزدجرد الثاني، لان الزرادشتيين لم يتهموا البطريرك فقط بل كل المسيحيين بالخيانة. وقد امر خسرو اولا بسمل اعين البطريرك ثم قتله، لكنه نجح في اثبات براءته. ثم وجّه الشاه باستخدام نفوذه لمنع المسيحيين في خوزستان من تقديم الدعم للعصيان. فقام مار ابا بتحريم زعماء الفتنة المسيحيين، ومنع المسيحيين من الاشتراك في اية ثورة، بحيث انهارت المؤامرة[١٠٧]. وهكذا جنب البطريرك المسيحيين من أمرّ كأس في تاريخهم. وبعد ان انهكته حياته الصعبة، توفي مارابا في العاصمة، بعد اسابيع من عودته من خوزستان.

ولسوء الحظ، كان مار ابا بطريركا استثنائياً، وقد خلفه بطاركة عاديون، وآخرون غير كفوئين. ويقع اللوم في ذلك، من ناحية، على البطاركة، والذين قاموا بترشيح من يفضلونهم، وكذلك الاساقفة انفسهم فيما يتعلق بقضية **المطرابوليط غريغوريوس النصيبيني**، الذي رشحه خسرو الثاني المعروف بنظامه الصارم، حيث قاموا بدلاً من ذلك بانتخاب غريغوريوس آخر



تمثال منحوت من الحجر للشاه خسرو الثاني (حكم ٥٩٠-٦٢٨) عند طاق بستان (Taq-e Bustan) في ايران. وقد اتبع هذا الحاكم الايراني ما قبل الاسلام سياسة متقلبة تجاه كنيسة المشرق. وقد تأرجح، بعد ان علق ما بين الضغط من الاكليرس الزرادشتي وتنصر زوجته المفضلة شيرين، بين سياسة ودية مع النساطرة ومناهضة للمسيحية. وهناك احتمال كبير في ان تكون السياسة الودية تجاه المسيحية من قبل خسرو قد حفزت في اكبر الظن السكان المسيحيين بعد بضعة سنين لتصعيد مقاومة نشطة ضد الغزاة المسلمين.

اكثر ضعفاً، وهو **غريغوريوس الفراتي** (Gregory of Prat). ولم يرتق الى كرسي سلوقيا- قطيسفون بطريرك يتمتع بمهارات رجل دولة الا في سنة ٦٢٨، وهو **ايشوعياب الثاني**. شغل منصب البطريركية من (٦٢٨-٦٤٦) وقد احتفظ ايشوعياب، عند النظر اليه من بعيد، بتماسك الكنيسة في الفترة المضطربة لسنوات الحرب التي دامت خمسة سنوات من ٦٢٨ الى ٦٣٣ والغزو العربي اللاحق. بيد ان كنيسة المشرق فقدت فرصة استخدام قوتها العددية – كان نصف سكان الامبراطورية عند الغزو العربي مسيحيا- لكي تصير ديانة الدولة الرسمية. ولو قامت جبهة مسيحية بيزنطية- ساسانية بمقاومة العرب المهاجمين، لاتخذ تاريخ الشرق الاوسط مساراً مختلفاً. لكن البيزنطيين والساسانيين كلاهما قاما بقمع اقلياتهما، وهكذا رحب مايافيزيو سوريا ومصر، إضافة الى مسيحيي ايران بالعرب كمحررين.

وقد قام **خسرو الاول** بتسمية طبيبه الشخصي **يوسف** (شغل المنصب في ٥٥٢-٥٦٧) خليفة لـ **مار ابا**، الذي تبين بانه طاغية طماع قام باعتقال الاساقفة الثائرين فورا. ورغم قيام مؤتمر اسقفي باقالته في سنة ٥٦٧، فقد تشبث يوسف بمنصبه لثلاثة سنوات اخرى، بفضل الدعم الملكي. ولم يمكن الشاه من تغيير رأيه إلا مثال رواه اولا الطبيب **موسى النصيبيني**. "اعطى ملك كريم فقيراً فيلا، وعندما وصل بيته رأى الفقير ان الباب كان صغيراً جداً على الفيل، ما لم يهدم الجدار، ولما فعل ذلك فان البيت هو الاخر كان صغيراً على الحيوان. وعليه سيكون من المستحيل اطعامه. فعاد الفقير الى الملك والتمس منه ان يستعيد منه الفيل. فوافق الملك واستعاده". ففهم خسرو القصد وطلب من موسى ما كان يريده بذلك المثال. "نحن فقراء جداً وسنكون ممتنين جداً لو ان الملك يستعيد فيله". فوافق الشاه على اقالة يوسف حيث قام الاساقفة بانتخاب **حزقيال** (شغل المنصب في ٥٧٠-٥٨٢) رئيسا لهم[١٠٨].

ومن اجل ان يبرهن حزقيال ولاءه للملك، رافقه في سنة ٥٧٦ في حملته الجديدة ضد بيزنطة، والتي تم فيها غزو المدينة الحدودية المحصنة **دارا**، واندلعت النيران في **دير قارتمين** في طور عابدين[١٠٩].

وقد خلف خسرو **الشاه هرمزد الرابع** (حكم في ٥٧٩-٥٩٠)، والذي كان ميالاً متعاطفاً مع المسيحيين. وعندما عارض الموبيد البارزين سياسته المتوازنة تجاه الاقليات الدينية، اجاب الشاه بتشبه: "مثلما ان لعرشنا اربعة ارجل ولا يمكن ان يقف على الرجلين الاماميتين فقط دون ان يستند على الرجلين الخلفيتين، كذلك يجب على ديانتنا ان تستند ليس فقط على الزرادشتيين بل ايضا

في سنة ٥٠٦ قام الامبراطور انا ستاسيوس الاول (Anastasius I) ببناء مدينة دارا (Dara) في جنوب طور عابدين في تركيا، ليجعلها واحدة من اقوى القلاع الحدودية للامبراطورية البيزنطية. وبعد انتحار الساسانيين امام (مدينة) دارا في سنة ٥٣٠، ٥٤٠ و ٥٤٤، نجح خسرو الاول في غزوها في سنة ٥٧٣. وقد وقعت المدينة الحدودية تحت سيطرة مختلف الدول في سنوات ٥٨٦ و ٦٠٤ و ٦٢٨ قبل ان تسقط بيد العرب في سنة ٦٣٩. وفي سنوات ٩٤٢ و ٩٥٨ نهبها البيزنطيون دون ان يتمكنوا من الاحتفاظ بها.



على المسيحيين واليهود والاقليات الاخرى"[١١٠]. وعندما اخفق الاساقفة عند موت حزقيال في اختيار احد المرشحين، وهما العالم **ايوب، والاسقف ايشوعياب الارزوني** (Ishoyahb of Arzun)، اختار الشاه ايشوعياب الاول (شغل المنصب بين ٥٨٢-٥٩٦)، لان ايشوعياب كان قد اخبره مرارا حول تحركات القوات البيزنطية من مدينته الحدودية ارزون[١١١].

ولسوء الحظ مُني هذا الحاكم العادل والمتسامح بالكثير من الهزائم على يد الاتراك الغربيين والبيزنطيين التي ادت الى ثورة في البلاط. وبموافقة ابنه **خسرو الثاني** (حكم ٥٩٠-٦٢٨) ، تم اقالة هرمزد وسُملت عيناه واعدم[١١٢]. وبعد ما يقارب الاربعين سنة فيما بعد، لقي قاتل ابيه خسرو الثاني نفس المصير على يد ابنه **شيرو** (Sheroi)، وفي الوقت ذاته اعلن الجيش العصيان بقيادة الجنرال **بهرام جوبين** (Vahram Chobin) (حكم ٥٩٠-٥٩١)، الذي اعلن نفسه الشاه الجديد[١١٣]. ولم يكن هناك طريق للهرب امام خسرو سوى الطريق الى خصمه اللدود بيزنطة. وبحسب ما يذهب إليه تاريخ المؤرخ واللاهوتي المسلم **الطبري** (٨٣٩-٩٢٣)، ان راهباً سريانياً **مستعمداً*** (Stylite) تنبأ للاجيء الملكي بغزو ثان ناجح لامبراطوريته وسقوطها بيد العرب الذين سيحكمونها حتى "يوم القيامة"[١١٤]. وفي الحقيقة، ان **الامبراطور موريس البيزنطي** (Emperor Maurice of Byzantium) [illegible]ستقبله بكرم، ويقال انه اعطاه ماريا، احدى [illegible]ـه، زوجة له، وفي سنة ٥٩١، قام [illegible]يش بيزنطي- ارمني، باستعادة الامبر[illegible]ية الساسانية لصهره[١١٥].

وكان العقد التالي للمسيحيين في [illegible]ران عصراً ذهبياً، حيث ساد السلام والم[illegible]ين

* يقيم على رأس عمود [المترجم]

الامبراطوريتين. وقد امر الشاه، بتأثير من زوجتيه المسيحيتين **ماريا وشيرين** باعادة بناء الكنائس بل اعطى شيرين النسطورية دير او ديرين. ومرة اخرى بدا الافق مليئاً بالامل بالنسبة للمسيحيين عندما قام خسرو الثاني بدعم كنيسة المشرق بنشاط، وصار بامكان النساطرة ان يأملوا بانه سيصبح قسطنطين ثان ويجاهر بالمسيحية. وقد كان من شأن تحالف عسكري بين بيزنطة وربما ايران مسيحية ايضاً ان يزيد من مقاومة جادة ضد الهجوم العربي. لكن الاحداث جرت بشكل مختلف تماماً. فقد انهى اغتيال الامبراطور البيزنطي **موريس** في سنة ٦٠٢ الصداقة البيزنطية الفارسية، وبدأ بحرب دامت ٢٥ سنة. واصبحت شيرين والطبيب المتنفذ كبرييل مايافيزيبين، وألحقا الاذى بكنيسة المشرق ما استطاعا الى ذلك سبيلاً. وجعل خسرو من القبائل العربية القوية التابعة لمملكة اللخميين التي كانت غالبيتها مسيحية، عدواً مميتاً، بقيامه بتسميم ملكها المسيحي نعمان الثالث (حكم ٥٨٣-٦٠٢).

وكان البطريرك ايشوعياب الاول قد فقد الحظوة لدى الشاه، لانه لم يقدم له الدعم اثناء الصراع على السلطة مع مغتصب العرش **بهرام جوبين** بل بقي بدلاً من ذلك محايداً. فذهب الجاثاليق الى المنفى الى مملكة **اللخميين** (Lakhmids)، وهي دولة تابعة لايران، حيث توفي في سنة ٥٩٦. وقد قامت شقيقة الملك المدعوة هند الصغرى بدفنه في دير كان اسمه[١١٦].

بدأ اللخميون، واصلهم من اليمن، بتكوين مملكة منذ القرن الثالث للميلاد، وعاصمتها في الحيرة، التي كانت تقع بضعة كيلومترات عن الكوفة. وكانت ثروة الحيرة تقوم على موقعها كمفترق للطرق، حيث كانت طرق القوافل تؤدي من هناك الى جنوب مكة ويثرب (المدينة فيما بعد) والى نجران واليمن. وكان دخول الحيرة في المسيحية في اكبر الظن نتيجة لاضطهادات شابور الثاني، عندما هرب المسيحيون ولجأوا الى اللخميين المتسامحين. وقد أسس اول دير للحيرة في حوالي سنة ٣٧٠/٣٨٠ من قبل **مار عبديشوع**.

وقد نشأت اسطورة حول اختيار هذا الموقع. عندما قام مار عبديشوع باخراج روح شرير وهو في جزيرة في الخليج الفارسي، ساله الروح الشرير اين عليه ان يذهب. فامره القديس بأن يلتقط حجرة ويحملها الى الصحراء، فأطاع الروح الشرير ووضع الحجر قرب مدينة الحيرة ثم عاد الى القديس. لكن مار عبديشوع كان قد رأى فيما يرى النائم ديراً في الموضع حيث كان الروح الشرير قد وضع الحجرة. فقرر الذهاب الى الحيرة وبناء دير هناك. ومع ذلك امر الروح الشرير بالبقاء في الجزيرة، حيث مازال باقياً[١١٧]. وسرعان ما نمت الجماعة المسيحية السريانية الشرقية للحيرة، وثمة ادلة على وجود **اسقف اوسي** (Bishop Osea) هناك قبل سنة ٤١٠. وقد احتوت المدينة ومحيطها على العديد من الكنائس والاديرة التي اضيفت اليها صوامع توحدية في الجبال القريبة[١١٨]. وقد اسفرت التنقيبات التي قام بها **تالبوت رايس** (Talbot Rice) سنة ١٩٣١ النقاب عن كنيستين تعودان الى القرن السادس، كانت ممراتها مزينة بحليات معمارية على شكل وردة، وموضوعات نباتية، وكانت جدرانها مطلية بالالوان. وقد تضمنت الموضوعات مجموعة مختلفة من الصلبان، الى جانب "اورانتي" (orante)*

* شكل بذراعين يرمز الى الروح المستكنة في الفردوس [المترجم]

دلالــــة علـــى ان الكنــــــائس النسطورية كانــت تــستخدم اعمــالاً فنيــة رمزية[١١٩].

وقد شكلت الغالبيــة النــسطورية مــن العرب من اللخميين، اضافة الى بني تغلــب النساطرة ايضا، دولة حاجزة لبيزنطــة فــي الامبراطورية الساسانية في الجنوب الغربي. ولكن، وعلى الجانب السوري من الصحراء، كان يعيش الغساسنة المايافيزيون، الذين كان ملكهم تابعا للامبراطور البيزنطي[١٢٠]. وبينما كان اللخميون نساطرة بصورة رئيسة، فقــد بقي حكامهم وثنيين، وحتى آخر ملــك مهــم لهم. وكانت زوجات الملوك مختلفات، فقــد كانت زوجة المنــذر الثالــث (حكــم ٥٠٦-٥٥٤) وام ولي عهده عمــر (حكــم ٥٥٤-٥٦٩)، هند الكبرى، مسيحية تقية، وهي التي قامت بعد سنة ٥٥٤ ببناء دير يحمل اسمها، **دير هند الاقدم**. وقد كرســت هــذه الكتابــة المنقوشة على جدار الدير باللغــة والكتابــة العربية: "بنيت هذه الكنيسة من قبل هنــد ام الملك عمر وخادمة المسيح. ليغفر الله للتــي بنت له هذه الكنيسة خطاياها ويرحم ابنهــا". وقد ارتد عمر فيما بعــد الــى الوثنيــة[١٢١]. وعندما يتأمل المرء في كون العربية بالنسبة الى المسلمين هي لغة القرآن الكريم، لا يسعه ان يغفل مفارقة كون احــدى اقــدم الوثــائق المكتوبة بالعربية هي نقش مسيحي في ديــر نسطوري![١٢٢]

وفي حوالي سنة ٥٩٣ او ٥٩٤، جــاهر **الملك نعمان الثالث** بالمــسيحية النــسطورية وتم تعميده على يد الاسقف شمعون. وكانــت شقيقته، هند الصغرى مسيحية ايضاً قامــت بتاسيس **دير اللجة** (Deir al-Lajja)[١٢٣]. ولعل شاه خسرو اعتبر اعتناق الملك القوي نعمان الدين المسيحي خطرا. كمــا اهــان الملــك اللخمي، خسرو برفضه تزويج ابنته له بهــذه الكلمات: "لن اعطي ابنتي لرجل يتزوج مثل الحيوانات [قرابة الدم وتعدد الزوجات]"[١٢٤]. فدبر الشاه تسميم ملكه التــابع وقتــل اولاده. وقسم المملكة الى اقــاليم. ومثلمــا اتــضح سريعا، فان تدمير المملكة اللخمية كان خطــأ ستراتيجياً خطيراً، حيث حدث هنــاك فــراغ في السلطة في الجناح الجنوبي الغربي مــن بلاد بين النهرين، تمكن العرب من اشــغاله دون معارضة منذ عام ٦٣٤ فصاعداً. ناهيك عن ان الفرسان خفيفي السلاح المهابين مــن العرب اللخميين رحبوا باخوتهم مــن قلــب الجزيرة العربية، وعززوا مــواقفهم. ومــن الامور الممتعة في هذا الشأن ان الامبراطور **موريس** كان قد سبق خسرو في هذا الخطأ، عندما دمر في حــوالي ســنة ٥٨٥، دولــة العرب الغساسنة المايافيزيية القويــة التابعــة له، وقسمها الى ١٥ امارة. وبدءاً بسنة ٦٣٤ دخل العرب هذه الثغرة دون ان يلقوا إعاقــة ايضاً[١٢٥].

لقد دمر كل من الساسانيين والبيــزنطيين القوات الوحيدة التي كان باستطاعتها ايقــاف القبائل المسلمة من الحجاز. وسرعان ما آلت اهمية مدينة الحيرة الى الزوال عنــدما بــدا العرب ببناء مدينة الكوفــة المجــاورة فــي حوالي سنة ٦٣٦/٦٣٨ وقد خلف البطريرك ايــشوعياب الاول الاســقف الترويــضي سبريشوع الاول (شغل المنصب بين ٥٩٦-٦٠٤) الذي قيل انه شــجع الملــك خسرو الثاني في رؤيا لقتال عمــه الثــائر بستام (Bistam). وحسب ما يذهب اليه الطبري، مع ذلك، فإن المــستعمد الــسرياني، الــذي صادفه الشاه الهارب في ٥٩٠، كان قد تنبأ بان عمه سوف يثور ضده[١٢٦]. وبعد المعركة الناجحة قرر خسرو، وضد توصية المؤتمر الاسقفي، تسمية الاسقف الذي كان قد ساعده بطريركاً جديداً.

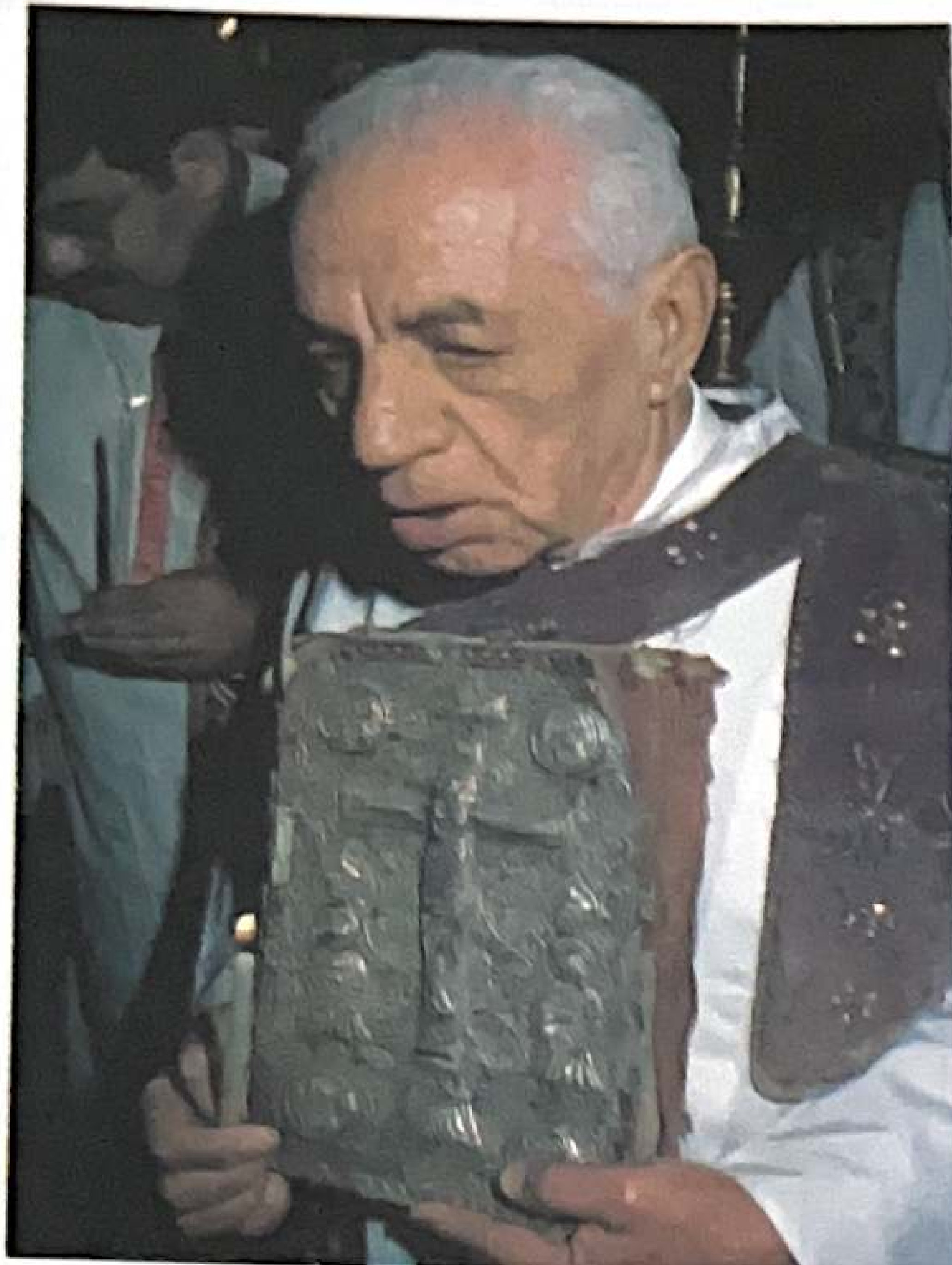
"تعين لكــم [الاســقف سبريــشوع]، الــذي تحتاجونه والذي نمنحه السلطة عليكم". ولــم يكن في وسع الاساقفة المجتمعين ان يفعلــوا اي شيىء بل صــفقوا مبتهجــين[١٢٧]. لكــن سبريشوع الترويضي لم يكن يتمتع بالمرونة الكافية لكي يقاوم البقاء فــي غابــة مكايــد القصر. وكنتيجة لهذا الرفض في التوصــل الى حل وسط بــشان الطبيــــب المتنفــذ جبرائيل السنجاري، قــام الطبيــب بتعزيــز العلاقة مع المحظيــة النــسطورية شــيرين، وهكذا ايضاً مع الملك. والبطريــرك حتــى عندما كان على فراش الموت، رفض رفــع التحريم ضد جبرائيل.

ومما يثير الدهشة ان خسرو قام بتــسمية مطرافوليط نصيبين، **غريغوريــوس** خليفــة لسبريشوع الذي اشتهر بنظامه الصارم. لكن اغلبية الاساقفة كانوا يخشونه، فانتخبوا بدلا منه مطراناً آخر والمفضل لــدى شــيرين، وهو غريغوريوس الفراتي*، (شغل المنصب ٦٠٥-٦٠٨). فأيد الشاه المخدوع الانتخاب ولكن بالتهديد التالي: "انه بطريرك، وسيبقى بطريركا- لكنني لن اسمح ابــداً بانتخــاب آخر"[١٢٨]. وقد اوفي خسرو بوعــده، وعنــد مــوت البطريــرك التافــه والطمــاع غريغوريوس استولى على مقتنياتــه ومنــع انتخاب خليفة له. ولولا القيادة المؤقتة لباباي لانهارت كنيسة المشرق في اكبر الظن.

وقد اتاح اغتيال حمو خسرو البيزنطي، موريس في سنة ٦٠٢ للحــاكم الــساساني فرصة البدء بحرب جديدة ضد بيزنطة. وقد احرزت القوات الساسانية نصرا بعد آخــر اول الامر واحتلت منطقة **طور عابدين** فــي حوالي سنة ٦٠٥ والرها في ٦٠٧ او ٦٠٩،



(اعلى) كنيسة مار حانبشو للسريان الارثوذكس المحصنة تحصينا قويا في قرية عين ورد في طور عابدين، والتي حوصرت من قبل الوحدات العسكرية التركية – الكردية في ١٩١٥. وما زالت الاطلاقات موجودة في الجدران حتى اليوم. وكان طور عابدين لقرون نقطة الإلتقاء لكنيسة المشرق، وكنيسة السريان الارثوذكس والكنيسة الملكية البيزنطية.



(الاسفل) كتاب الانجيل بغلاف من الفضة في كنيسة الاربعين شهيد للسريان الارثوذكس في ماردين بطور عابدين.

(اعلى الصفحة التالية) دير كبرييل الذي سمي اصلا قرطمين (Qartmin) مقر كرسي رئيس الاساقفة للسريان الارثوذكس طيماثاوس صموئيل اتكاس. وقد اسس الدير من قبل الراهبين صموئيل (+٤٠٦) و شمعون (+٤٣٣) قبل سنة ٣٩٦/٣٩٧، وربما في زمن يعود الى حوالي سنة ٣٥٠. وفي سنة ٣٩٧ قام الامبراطور اركاديوس (Emperor Arcadius) بتقديم الدعم لاول تجديد، والذي قام بعده الامبراطور ثيودوسيوس الثاني (حكم في ٤٠٨-٤٥٠) بتقديم منحة سخية للدير بعد ان شفاه شمعون من مرض اصاب عينه. وفي القرن الثامن كانت هناك شكوك بتعاطف الدير مع النساطرة. وعبر تاريخه الذي امتد لاكثر من ١٦٠٠ سنة، هوجم الدير عدة مرات، بما في ذلك على سبيل المثال، في سنة ٨٣٠ و ١١٤٠ على يد الاكراد، وفي سنة ١٢٦٠ على يد المغول، وفي سنة ١٣٩٥ من قبل تيمورلنك، وفي سنة ١٤٩٠ و ١٩١٥ و ١٩٢٦ من قبل الاكراد. وفي ١٩٧٠ تم نهبه من قبل لصوص اكراد.

* أي من فرات ميسان.

وانطاكيا في سنة ٦١١ ودمشق في سنة ٦١٣ واورشليم في سنة ٦١٤، حيث سقطت مصر في سنة ٦١٩. وقد بدا وكأن خسرو سيحقق مجد ونجاح اجداده الأخمينيين.

وكان طور عابدين، "جبل خدم [الله]"، بمثابة "أثوس الشرق" *، لانه كان يحوي في اوج نشاطه حوالي سبعين ديرا. وعندما سقطت مدينة نصيبين الواقعة جنوب طور عابدين بيد الساسانيين في سنة ٣٦٣، بقيت منطقة طور عابدين بايدي البيزنطيين وتم تحصينها تباعا. وكانت تبرز مثل جزيرة بيزنطية في البحر الساساني.

وفي بداية القرن السابع كانت هناك اقلية مهمة من الاديرة تحت القيادة النسطورية السريانية الشرقية، وكانت الاغلبية تعود الى الكنيسة الملكية الامبراطورية، كما حصل اليعاقبة المايافيزيون على موطىء قدم بطيء. ولما كان الاساقفة ورؤساء الاديرة التابعون لكنيسة الامبراطورية البيزنطية يعدون مشبوهين من قبل الفاتحين الفرس، فقد اقيلوا لصالح الاساقفة النساطرة. وحدث الشيء نفسه في الرها. ولكن بسبب رفض عامة الناس والرهبان لهؤلاء الاساقفة، قام الساسانيون باستبدالهم بأشراف مايافيزيين طالما ان الكنيسة اليعقوبية لم تكن لها علاقات مع بيزنطة[١٢٩].

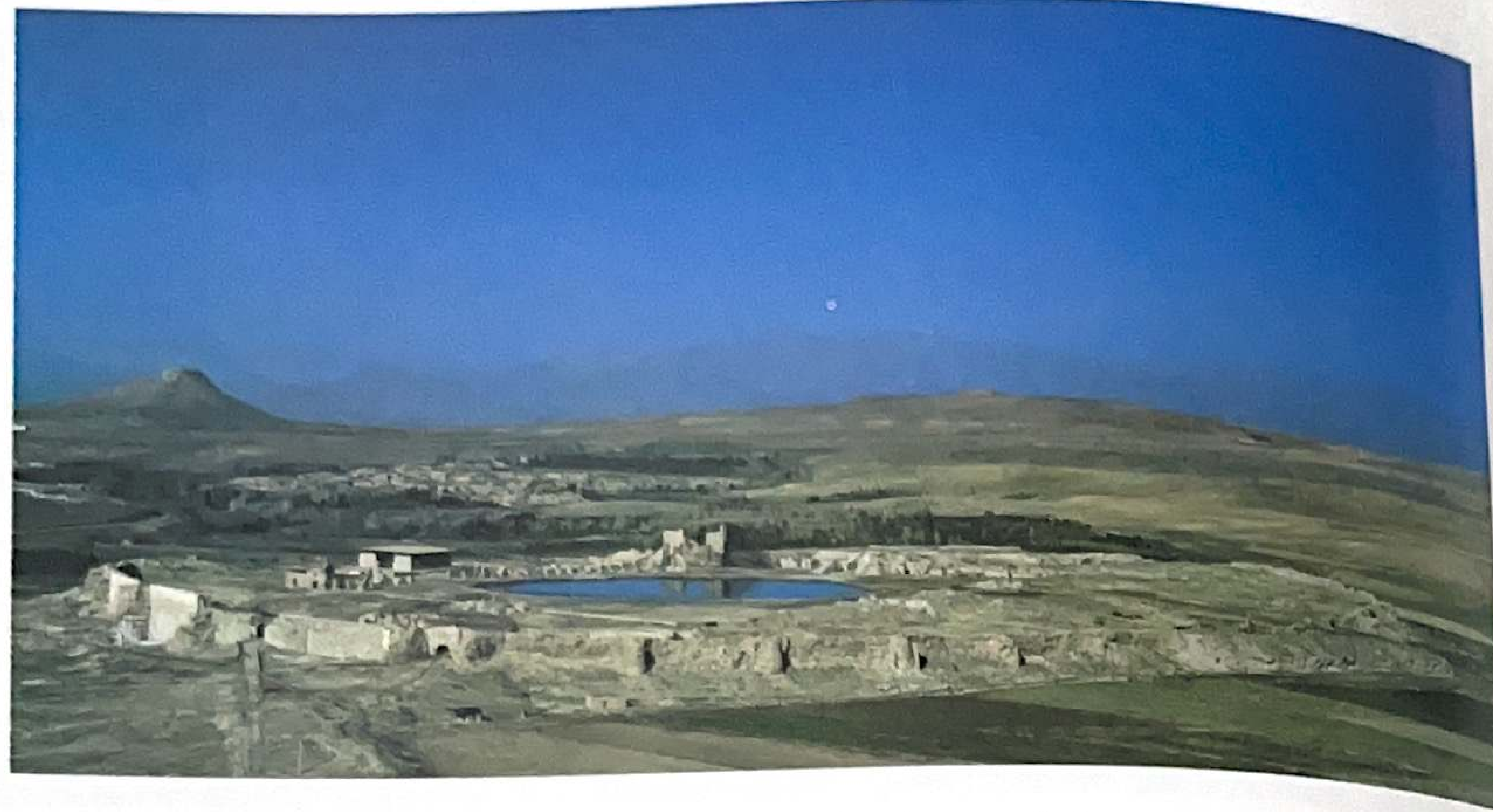
هكذا عزز احتلال طور عابدين من قبل الساسانيين، والذي دام لعشرين سنة توسع الكنيسة المايافيزيية هناك. ومع ذلك كان ارتباط دير بكنيسة معينة في بعض الاحيان غير واضح[١٣٠]. وحتى اواخر القرون الوسطى بقي طور عابدين، الذي كان تحت الاحتلال العربي منذ ٦٣٩، مكان لقاء





(الصورة السفلى)
عيد اكتشاف الصليب، الذي تحتفل به كنيسة المشرق في ١٣ ايلول. من كتاب انجيل نسطوري مكتوب بلغة بشيطتا (المبسطة) بالخط الاسطرنكيلي، من القرن الثالث عشر. وهذه المخطوطة المصورة من شمال بين النهرين او طور عابدين تبرهن على ان كنيسة المشرق لم تكن بعد تستخدم العبادة الايقونية (aniconic).[٢٦] وتظهر الصورة العليا، صورة قسطنطينوس والسفلى البحث عن الصليب الحقيقي (المكتبة الوطنية في برلين، الممتلكات الثقافية البروسية، Sachau304, parchment manuscript 195 Bl., Folio 162.)

* Athos of the East

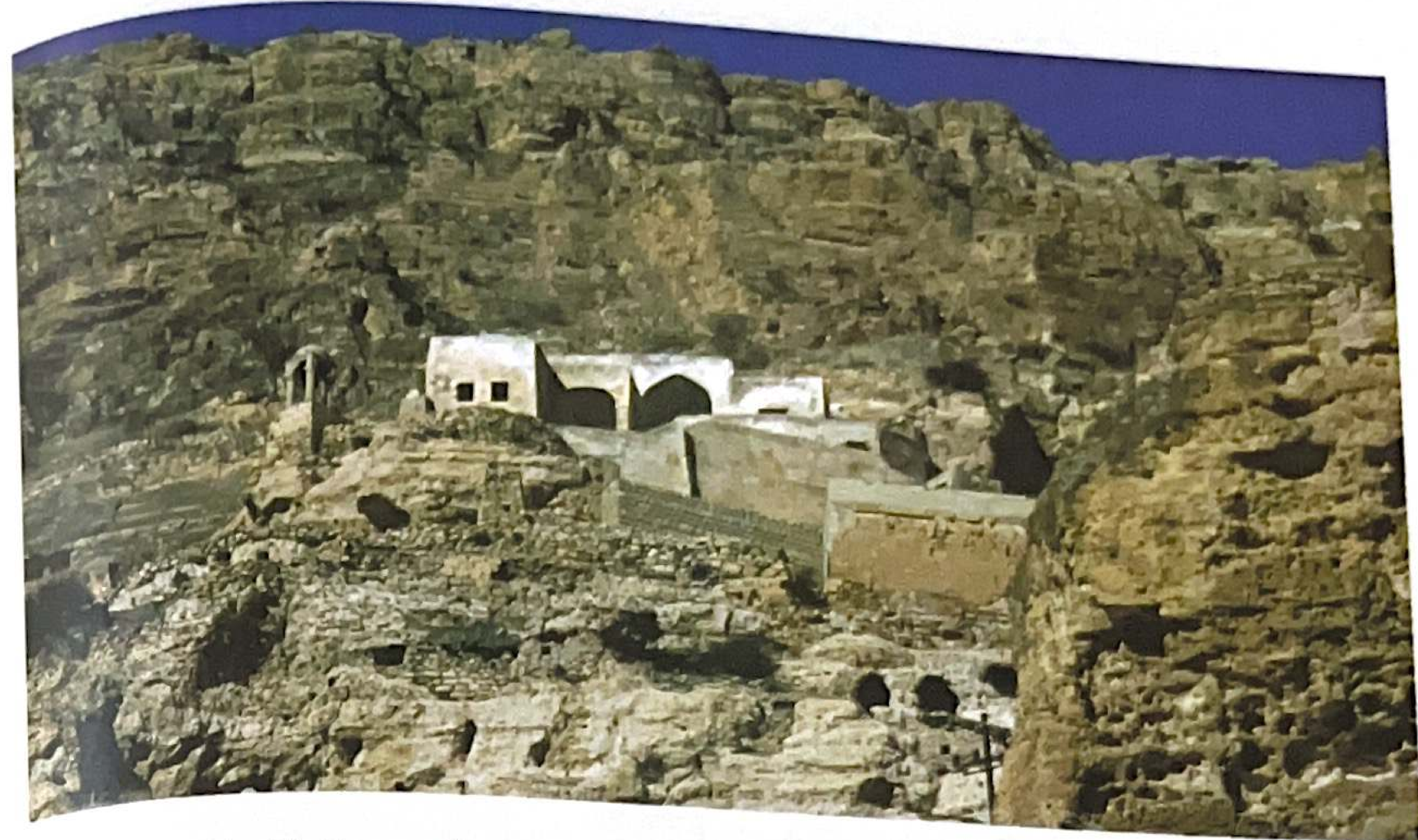


الضريح الزرادشتي وقصر غانزاك الساساني والذي يسمى ايضا تخت – ي– سليمان. ويذهب تقليد الى ان خسرو الثاني اعطى الصليب الحقيقي، الذي كان قد اخذه من فلسطين في سنة ٦١٤، الى زوجته شيرين، التي احتفظت به في قصر غانزاد.[٢٨] وكانت مدينة غانزاد منذ سنة ٤٨٦ على اقل تقدير مقر كرسي الاسقف النسطوري[٢٩]. وقد تم ترميم القصر الساساني وتوسيعه بعد ستة قرون من قبل الايلخان المنغولي اباقا (Abaqa)، (حكم ١٢٦٥–١٢٨٢).

مفضل بين جناحي التوحيدية السريانية والمتوحدين اليعاقبة والنساطرة. وقد غادر آخر المتوحدين السريان الشرقيين في النهاية، جنوب طور عابدين بعد سنة ١٨٣٨.

وفي اورشليم قتل الساسانيون حوالي 90,000 وسرقوا ما يسمى الصليب الحقيقي، الذي صلب عليه المسيح والذي "اكتشفته" **هيلينا** ام الامبراطور قسطنطينوس في سنة ٣٢٦[١٣١]. ويقال بأن الساسانيين وجدوا في اليهود مساعدين راغبين، والذين كانوا يدفعون الفدية عن المسيحيين المسجونين من قبل الفرس ويضعونهم امام خيارين: نكران المسيح او مواجهة القتل. وفي نفس الوقت، يقال بانهم قاموا بتدمير الكنائس بشكل منظم[١٣٢]. ومن جانبه، قام خسرو بتسليم الصليب الى زوجته المحبوبة شيرين، التي قامت بنقله الى قصر **غانزاك** (Ganzak) في غرب افغانستان[١٣٣]. وسرعان ما تقدمت جيوش خسرو اكثر في آسيا الصغرى وتوغلت حتى وصلت البوسفور، وبدا وكأن الشاه كان مقبلاً على غزو بيزنطة.

ومن النتائج غير المقصودة تماما للغزو الساساني للشرق الاوسط البيزنطي، هي حقيقة ان المسيحيين سرعان ما شكلوا نصف السكان. ليس فقط ضمن بلاد ما بين النهرين بل ضمن الامبراطورية كلها، طالما ان شعوب سوريا، وآسيا الصغرى، وفلسطين،



في حوالي سنة ٦٣٠ اسس الراهب النسطوري هرمزد دير ربان هرمزد شمال شرق القوش بشمال العراق. وكان دير كنيسة المشرق الرائد هذا، منذ سنة ١٥٠٤ حتى ١٨٠٤، مقراً لكرسي البطاركة من عائلة ابونا مع انقطاعات وتناوب مع القوش القريبة. وهو موضع لقبور تسعة بطاركة. وقد نهب الدير مرات لا تحصى من قبل الاكراد، مما ادى الى فقدان مجموعة كبيرة من المخطوطات في ١٨٥٠. واليوم يعود الى الكنيسة الكاثوليكية[٣٠].

وجنوب مصر كانوا مسيحيين جميعاً- باغلبية يعقوبية واقلية ملكية. وهذا الموقف المعقد هو الذي حثّ خسرو في اكبر الظن، لكي يتبع سياسة عملية ومتزنة تجاه النساطرة واليعاقبة. وكان الشاه مدركاً بما لا يقبل الشك بأنه لم ينجح اي من الحكام الرومان المسيحيين او الحكام البيزنطينن المسيحيين فيما بعد في فرض ايمان مسيحي موحد – فأنى له، وهو حاكم "الوثني" ان يفلح في ذلك؟ فلو قرر فرض كنيسة ساسانية امبراطورية لادى ذلك الى نشوء الاضطرابات وظروف اشبه بالحرب الاهلية، كما كان قد حدث في الامبراطورية البيزنطية في القرنين الخامس والسادس.

ولكن هيهات للامبراطور البيزنطي **هيراكليوس** (حكم ٦١٠-٦٤١) ان يقهر، فقام بهجوم من الخلف على الفرس الذين كانوا يحاصرون بيزنطة، ودخل ارمينيا واذربيجان وشمال بين النهرين في سنة ٦٢٤، وعاد في سنة ٦٢٧ بغنائم كبيرة. ثم اندلعت ثورة في القصر في قطيسفون، خطط لها **الامير شيرو** وبعض الاسر النسطورية المتنفذة. وكانت القوة المحركة من الجانب النسطوري هو **شمطا** (Shamta)، لان خسرو الثاني كان قد قتل أباه **يزدين**، امين خزانة الامبراطورية، من اجل مصادرة ثروته الكبيرة. وقد قام شمطا وشيرو- اللذين زعم انهما تنصرا سراً[١٣٤]- بقتل خسرو واولاده الستة عشر الاخرين في سنة ٦٢٨، واستولى

شيرو على العرش باسم **قباذ الثاني**. ولو كان تمنى شمطا بان شيرو سيظهر الامتنان لدوره الكبير في قتل أبيه في المؤامرة ضد الشاه المخلوع، لخاب امله. فقد امر شيرو بقطع اليد اليمنى لشمطا التي ضربت اباه خسرو الثاني، ثم امر بصلبه في العاصمة امام **كنيسة بيت ناركوس** (Beit Narkos Church)[١٣٥]. ثم مات قباذ الثاني بعد بضعة اشهر من الحكم. ولما كان قد قضى على كل الخلفاء الممكنين من الذكور للعرش، بقتله لاخوته، فقد وقعت البلاد في حرب اهلية. وفي بحر اربعة سنوات فقط، حتى مجيء **يزدجرد** الثالث الى العرش (٦٣٢-٦٥١)، كان هناك عشرة حكام مختلفين بما في ذلك ملكتين، وقائد مغتصب للعرش.

وما ان كان قباذ الثاني قد اعتلى العرش حتى طالب بان يقوم النساطرة بتسمية بطريرك جديد. وبسبب رفض **باباي الكبير**، الذي كان قد عمل قائداً مؤقتاً لكنيسة المشرق لعشرين سنة، التعيين الرسمي، فقد تم انتخاب **ايشوعياب الثاني من جدالايا** (٦٢٨ـ٦٤٦). ومع ذلك تشير اسطورة رواها **توما المرجي** الى ان باباي ندم فيما بعد على رفضه للانتخاب. وبعد عودته الى صومعته في جبل ايزلا، ظهر له ملاك من الرب راكباً فرساً ابيض ويحمل سيفاً ملتهباً. وقال لباباي، "بما انك قد اعفيت نفسك من وظيفة البطريرك، ويقوم هناك واحد آخر، اسمح لي بان اتبعه. انا ملاك قد امرني الله، رب الكل، لكي اخدم العرش البطريركي. لم اتركك طوال الوقت الذي بقيت فيه نائباً للجاثاليق، منذ اليوم الاول وحتى هذه اللحظة، لكن من الضروري لي الان ان التزمه كونه قد استلم وظيفته". فاجاب باباي متنهداً، "لو علمت انك كنت معي لقبلت هذه الوظيفة الكبيرة، ولكن الان اذهب بسلام وصلّ من اجلي"[١٣٦].

لقد كان انتخاب ايشوعياب الثاني ضربة حظ ليس لكنيسة المشرق فحسب بل ايضاً لكل البلاد. فقد قام اولاً باعادة تنظيم



اساقفة كنيسة المشرق في قبة البطاركة في دير ربان هرمزد. من اليسار الى اليمين، الاسقف مار عمانوئيل، كندا، المطرافوليط مار كيوركيس صليوا، العراق، المطرافوليط مار نرساي دـ باز، لبنان، الاسقف مار اسحق خامس، دهوك وروسيا، البطريرك مار دنخا الرابع، الاسقف مار ابرم ناثانيل، سوريا، الاسقف مار يوسف سركيس، بغداد. تشرين الاول ٢٠٠٠.

المدارس اللاهوتية من اجل اعداد الاكليروس بشكل افضل للنقاشات بازدياد حضور المايافيزيين. وفي سنة ٦٣٠ طلبت منه **الملكة بوران** (٦٣٠-٦٣١)، احدى بنات خسرو الثاني، لكي يقود وفداً سلمياً الى الامبراطور البيزنطي من اجل المحافظة على السلام المطلوب بالحاح. كما طلبت منه كذلك ان يعيد الصليب الحقيقي، علامة على النية الحسنة[١٣٧]. وقد تألف الوفد رفيع المستوى من البطريرك وثلاثة من المطرافوليطيين واساقفة اخرين، فالتقوا **بالامبراطور هيراكليوس** في حلب. وقد نجح البطريرك وقام بارساء سلام طويل الامد. وفي الوقت ذاته، احتفل بسر الاوخارستيا وفق الطقس السرياني الشرقي بمشاركة الامبراطور والاساقفة البيزنطيين. والنقطة السوداء الوحيدة في ادارته كانت تحول اسقفه **سهدونا** الى الكنيسة الخلقيدونية البيزنطية[١٣٨]. وعند عودة ايشوعياب الى العاصمة، اتهم بالخروج على الايمان الارثونكسي بسبب عبادته المسكونية مع الاساقفة البيزنطيين والامبراطور. لكن البطريرك كان دبلوماسياً محنكاً رفض الهجومات البغيضة باعتدال ولطف[١٣٩].

وما ان منح البطريرك بلاده السلام مع بيزنطة حتى اندلعت الصراعات الداخلية مرة اخرى، واغتيلت الملكة بوران المحبوبة من الشعب على يد أحد قادة الجيش. وبعد المزيد من الفوضى استولى على العرش آخر ساساني هو **يزدجرد الثالث**. بيد ان عقدين من الحرب مع بيزنطة والحرب الأهلية اللاحقة ارهقت الامبراطورية بحيث لم تعد تستطيع ان تقاوم الانقضاض العربي.

وكان العرب قد دحروا اولاً البيزنطيين الذين قد انهكتهم الحرب ايضاً في سنة ٦٣٦ عند نهر اليرموك وقاموا بغزو فلسطين وسوريا، حيث دمروا بعد ذلك الجيش الساساني بعد بضعة اشهر عند الحيرة وانتهكوا حرمة الكنائس والاديرة[١٤٠]. وفي ٦٣٧ سقطت العاصمة سلوقيا – قطيسفون بيد العرب الذين نهبوها الى حد كبير. وعلى اية حال، كان البطريرك ايشوعياب قد تراجع الى كركوك. وقد حطمت الهزيمة الاخرى لسنة ٦٤٢ في نهاوند في اقليم همدان آخر مقاومة ساسانية. وفرّ يزدجرد الى مرو حيث قتل في سنة ٦٥١ ودفن من قبل اسقف نسطوري[١٤١]. وقد فرّ نجل يزدجرد، **بيروز الثاني** (+٦٧٩) الى الصين حيث تلقى منصباً تشريفياً في وظيفة الادارة الامبراطورية لسلالة تانغ (٦١٨-٩٠٦) في سنة ٦٦١، وسمح له في عام ٦٧٧ ببناء دير نسطوري ثان في العاصمة الامبراطورية **شانغآن** (Chang'an). وقد حاول ابنه **نارسس**، الذي اتخذ اسم **بيروز الثالث**، فيما بعد عبثاً اقناع الامبراطور الصيني لاعادة فتح ايران، ومات في سنة ٧٠٧ في المنفى بالصين[١٤٢]. وانه لمن مفارقات التاريخ الكثيرة ان يكون آخر شاه ساساني، كان اضطهد المسيحيين مرات كثيرة، مديناً بمثواه الاخير لاسقف، وان يؤسس ابنه ديراً نسطورياً في المنفى!

كما نال **الجاثاليق ايشوعياب الثاني** ثناء الكنيسة والمسيحيين في مجالين آخرين، الاول: بادخاله زخماً جديداً في الارسالية الى الشرق، وتفويض وفد أرسالي الى البلاط الملكي الصيني، الذي وصل مكانه المقصود في **شانغآن** في سنة ٦٣٥، واستقبل هناك بحفاوة كبيرة من قبل **الامبراطور تايزونغ** (Taizong). والثاني: ينسب اليه التاريخ السعردي، قيامه بسرعة باقامة علاقات مع النبي محمد، والخليفة الثاني عمر (حكم ٦٣٤-٦٤٤) ومنحهم عطايا نقدية من اجل

اجراء ترتيب سلمي مع الغزاة المتوقعين[١٤٣]. وحتى لو كان مرسوم سماح عمر الذي منح للمسيحيين منتحلاً، فان هناك القليل من الشك من ان البطريرك استطاع في تلك الايام العصيبة وضع يد الحماية على مسيحيي ايران. وكان ما يقارب نصف سكان الامبراطورية الساسانية الآيلة للسقوط في زمن ايشوعياب مسيحيين، ومن بينهم ٧٥ بالمائة تقريباً مايافيزيين و ٥ بالمائة ملكيين. وقد تضمنت السلطة الكنسية لكنيسة المشرق يومذاك بطريركاً وتسعة رؤساء اساقفة و ٩٦ اسقفاً- اي ما مجموعه ١٠٦ اسقفاً.

ورغم ان كنيسة المشرق لم تبلغ مرتبة الديانة الرسمية ابداً واخضعت للاضطهادات العشوائية من قبل السلطات المدنية، فقد كانت قادرة ايضاً على الاحتفاظ باستقلالية اخلاقية مما لم تعرفه الكنيسة الرومانية -البيزنطية. فقد كان على الاخيرة عبر تاريخها المبكر، ان تقوم مراراً وتكراراً بتسويات خطيرة مع القيادة السياسية، والتي الحقت الضرر بمصداقية الكنيسة ذاتها. ولم تكن من بين تلك التسويات كل المراسيم التي فرضت عليها من قبل الامبراطور البيزنطي فحسب لاعتبارات سياسية، بل ايضاً خيانة الرؤيا السلمية للمسيح.

وطالما بقي المسيحيون في الامبراطورية الرومانية مسامَحين او مضطهدين، فقد ابقوا على تحريم القتل. وقد كان الايمان المسيحي والخدمة العسكرية لا ينسجمان، حتى في حالة تنصر القادة بصورة متكررة نسبياً. لقد سمح يسوع بوظيفة الجندي بحدود صارمة، ولكن ليس بالتأكيد شن الحرب[١٤٤]. ولكن، وبعد سنة من أعتناق قسطنطينوس المسيحية، تغيرت المسيحية تغييراً جذرياً مفاجئاً: ففي سنة ٣١٤ قطع **سينودس آرلس** (Arles) الاسقفي صلته بالسياسة السلمية، وهدد اولئك الذين رفضوا الخدمة العسكرية بعقوبة التحريم[١٤٥].

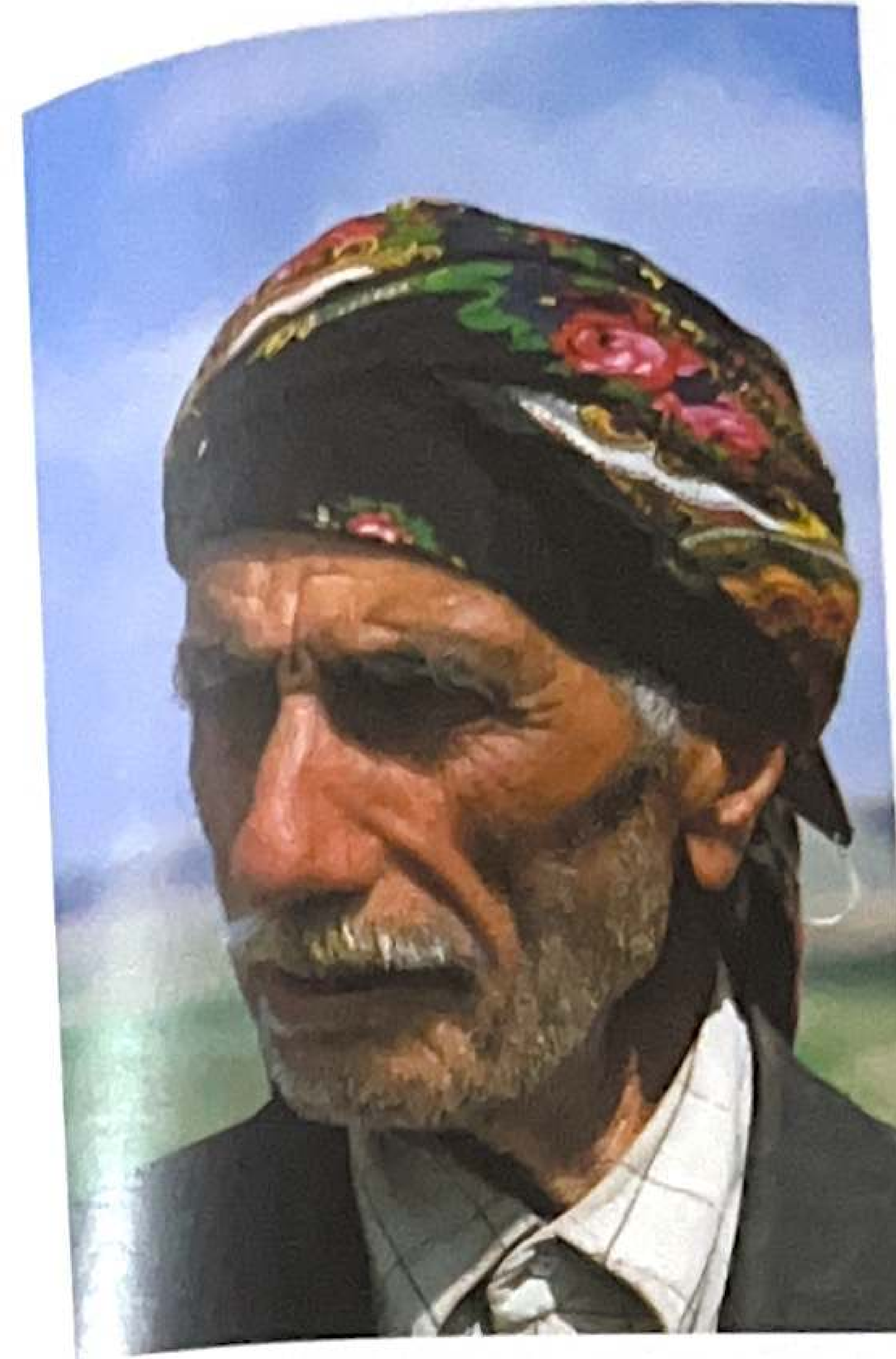
ومقارنة بهذه الاهانات، فان التسويات الاخلاقية التي كان على كنيسة المشرق القيام بها، مثل التنازل عن شرط البتولية، لم تكن مهمة.

ظهور الكنيسة السريانية الارثوذكسية والكنيسة اليعقوبية

قام الامبراطور **يسطنيانس** (Justin)، كما ناقشنا سابقاً، باعادة تأسيس الوحدة مع روما في سنة ٥١٩، كما ان المرسوم الخلقيدوني الجديد ليسطنيانس لسنة ٥٣٦ دفع بالحركة المايافيزية الى معارضة الكنيسة الامبراطورية. وفي سنة ٥١٩ كان على داعيتها الرئيس، **البطريرك سيفيروس** (Severus)، (+٥٣٨) الفرار الى الاسكندرية، كما تمت اقالة اساقفتها تدريجياً. وهكذا لم يبق خيار آخر امام المايافيزيين سوى اقامة سلطة مستقلة عن الدولة. وهكذا، وبدأ بحوالي سنة ٥٣٠ خول سيفيروس **الاسقف يوحنا التلي** (Jhon of Tella) برسامة الشمامسة والكهنة والاساقفة. وبعد سبع سنوات صار يوحنا التلي هو الاخر ضحية للاضطهاد بقيادة الدولة.

ومما يثير الاهتمام ان **الامبراطورة تيودورا** (Empress Theodora)، (اشتركت في الحكم في ٥٢٧-٥٤٨) ، كانت هي من بين كل الناس، التي القت بحبل النجاة للمايافيزيين الذين كان زوجها يضطهدهم. وفي سنة ٥٤٢ طلب الملك القوي التابع **حارث بن جبدة** من القبيلة الغسانية، الذي كان يحكم شرق سوريا ويمثل دولة مهمة فاصلة عن الساسانيين، باسقفين عامّين لشعبه. وقد قامت الامبراطورة تيودورا

سرياني شرقي من شمال العراق، يعيش في خابور، شمال شرق سوريا، والذي فرت اسرته من هكاري الى شمال العراق في سنة ١٩١٥.



بترتيب الامر للبطريرك المايافيزي **ثيودوسيوس الاسكندري** (Theodosius of Alexandria)، الذي كان يعيش في المنفى، لتعيين اسقفين ارساليين يتمتعان بامتيازات تكريسية خاصة. وكان هذان هما **تيودور العرب** (Theodore of Arab) الذي كان يعمل في المنطقة التي تقع تحت السلطة الغسانية، **ويعقوب** المدعو **البرداعي** (٥٠٥-٥٧٨)، الذي كان يعمل وغالبا في السّر على الجانبين الشرقي والغربي من الفرات بحماس كبير، لبناء منظمة كنسية مايافيزيية تسمى "اليعقوبية" نسبة الى اسمه[146]. ورغم ان الامبراطور يسطنيانس امر باعتقاله، فقد تمكن من التملص من الاعتقال الرسمي اثناء رحلاته المستمرة عن طريق التنكر في زي شحاذ ومتوحد بل حتى جندي. ويقال، حسب المصادر المايافيزيية، بانه قام بتكريس او رسامة بطريركين و٢٧ اسقفا وألاف الكهنة. بيد ان وحدة الكنيسة المايافيزية تلاشت في ٥٧٥ بخصومة من بطاركة انطاكيا والاسكندرية، والتي ادت اخيراً الى انشاء كنيستين مايافيزيتين مستقلتين، الكنيسة القبطية والكنيسة السريانية الارثونكسية[147].

ولما كان الموقف المايافيزي ينطلق من المعتقد بان تجسد المسيح حدث من طبيعتين في طبيعة واحدة، وان الحد الفاصل ليعقوب عن السريان الشرقيين واضح: "لقد صلب الله القدوس الكلي القدرة الازلي ومات من اجلنا. نحن لا نؤمن، كما يفعل النساطرة، عبدة البشر هؤلاء (على حد تعبيره)، ومن ان انساناً مائتاً مات من اجلنا"[148].

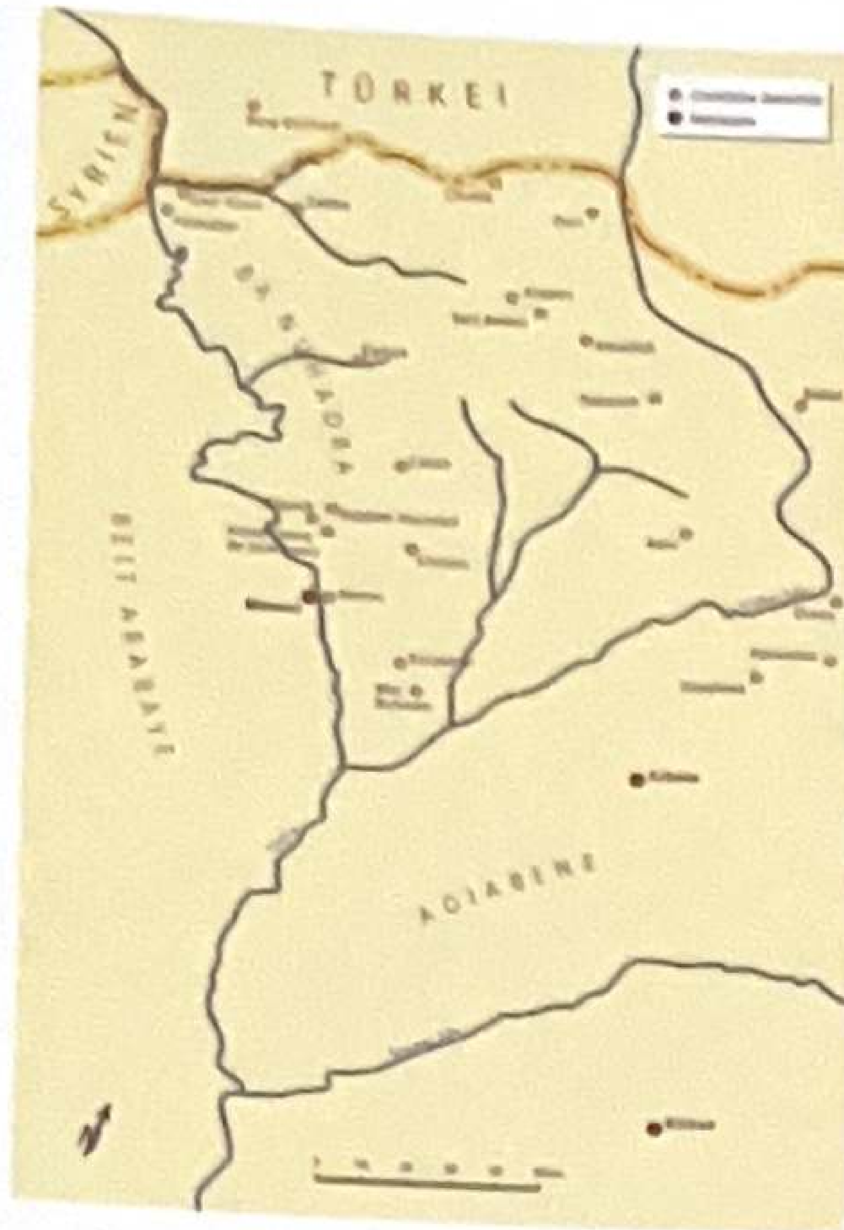
وبسبب الاضطهاد من الدولة، اضطرت الكنيسة السريانية الارثونكسية في سوريا الى العمل سرا لبعض الوقت. وقد تطورت بشكل رئيس في الاديرة والمناطق الريفية، ولاسباب امنية كان على بطاركتها ان يغيروا محل اقامتهم. وتفيد هذه الظروف الطارئة في توضيح سبب قيام غالبية السريان بالترحيب بالجيوش الساسانية اولا، ومن ثم العربية كمحررين. وحسب تعبير صلاة بُعيد سنة ٦٣٠، "يا الله، انك ترى مكرَ البيزنطيين، الذين حيثما حكموا ينهبون كنائسنا واديرتنا ويلعنوننا دون رحمة. فلتقد ابناء اسماعيل [العرب] من الجنوب ليحررونا من يد البيزنطيين!"[149] وقد اقام بطريرك السريان الارثوذكس منذ ١١٦٦ حتى ١٩٢٣، مع بعض الانقطاعات، في دير الزعفران قرب ماردين، ثم في حمص بسوريا، ومن ثم في دمشق منذ ١٩٥٩.

وقد لاقت الكنيسة اليعقوبية في الامبراطورية الساسانية معارضة مريرة من كنيسة المشرق، ولكن، من الناحية الاخرى، لاقت الترحيب من مئات الالاف من أسرى الحرب الذين رحلوا من سوريا من قبل الكسرى بين ٥٤٠ و ٦١٤.

اضافة الى ذلك، وبدءا بحوالي سنة ٦٠٥ تمتع اليعاقبة بحماية طبيب البلاط المتنفذ جبرائيل السنجاري والملكة شيرين. وفي سنوات ٥٥٨/٥٥٩ قدم يعقوب البرداعي الى الامبراطورية الساسانية، حيث قام بوضع اليد على **أحوديما** (٥٣٠-٥٧٥ تقريبا) كأسقف ومطرافوليط على تكريت. وبمناسبة انتخاب **الاسقف ماروثا**، تلقى المطرافوليط السرياني الارثوذكسي المقيم في تكريت لقب مفريان المشرق. وقد سمي المفريان من قبل البطريرك، وكان يتمتع بالسلطة على كل ابرشيات بين النهرين وآسيا، ليصل حتى اسيا الصغرى وافغانستان[150]. وكان المفريان اليعقوبي، وحتى ١١٥٦، يقيم في تكريت، محل ولادة صلاح الدين وصدام حسين، ولكن في الموصل ايضا، فيما بعد او في دير مار متى. وكان اشهر مفريان هو **ابن العبري** (١٢٢٦-١٢٨٦)، الذي امضى حياته وهو يعمل من اجل التغلب على الشك الذي كان نشا بين الكنيستين السريانيتين الشقيقتين، وكتب تاريخا مشهوراً عالميا للعالم، والكنائس الشرقية. وقد استقر في مثواه الاخير في دير مار متى، ٣٥ كلم شرق الموصل.

وحسب ما يذهب اليه التقليد، فرّ في زمن **الامبراطور فالنس** (Emperor Valens) الهرطوقي ومن ثم الاريوسي (حكم ٣٦٤-٣٧٨)، القليل من التورويضيين من **آميدا**، ديار بكر الى شمال بين النهرين وأسسوا

المناطق والاديرة المسيحية في شمال العراق



هناك دير متى. وقد وقع الدير، الذي يعود في اصله الى كنيسة المشرق، تحت التأثير المايافيزي منذ سنة ٤٨٤ تقريبا، وفي حوالي سنة ٥٤٠ اصبح معقلاً لليعاقبة[151]. ومن الاديرة التي ترتبط بدير مار متى هو دير مار بهنام الذي يقوم على مسافة بضعة كيلومترات جنوب شرق الموصل على الطريق العام المؤدي الى كركوك. وقد تم إنشاء اول معبد عند نهاية القرن الرابع، من قبل متوحدين من دير مار متى على ما يزعم، لتكريم بهنام واخته سارة، اللذان اعدما ابان اضطهاد المسيحيين على يد شابور الثاني. وفي الاسطورة المتماثلة، يتم إرجاع تاريخ هذا الحدث الى حوالي ألفية كاملة. ويزعم بان مار متى، مؤسس الدير الذي يحمل نفس الاسم، ظهر في حلم لبهنام، ابن الملك الآشوري سنحاريب (حكم ٧٠٥-



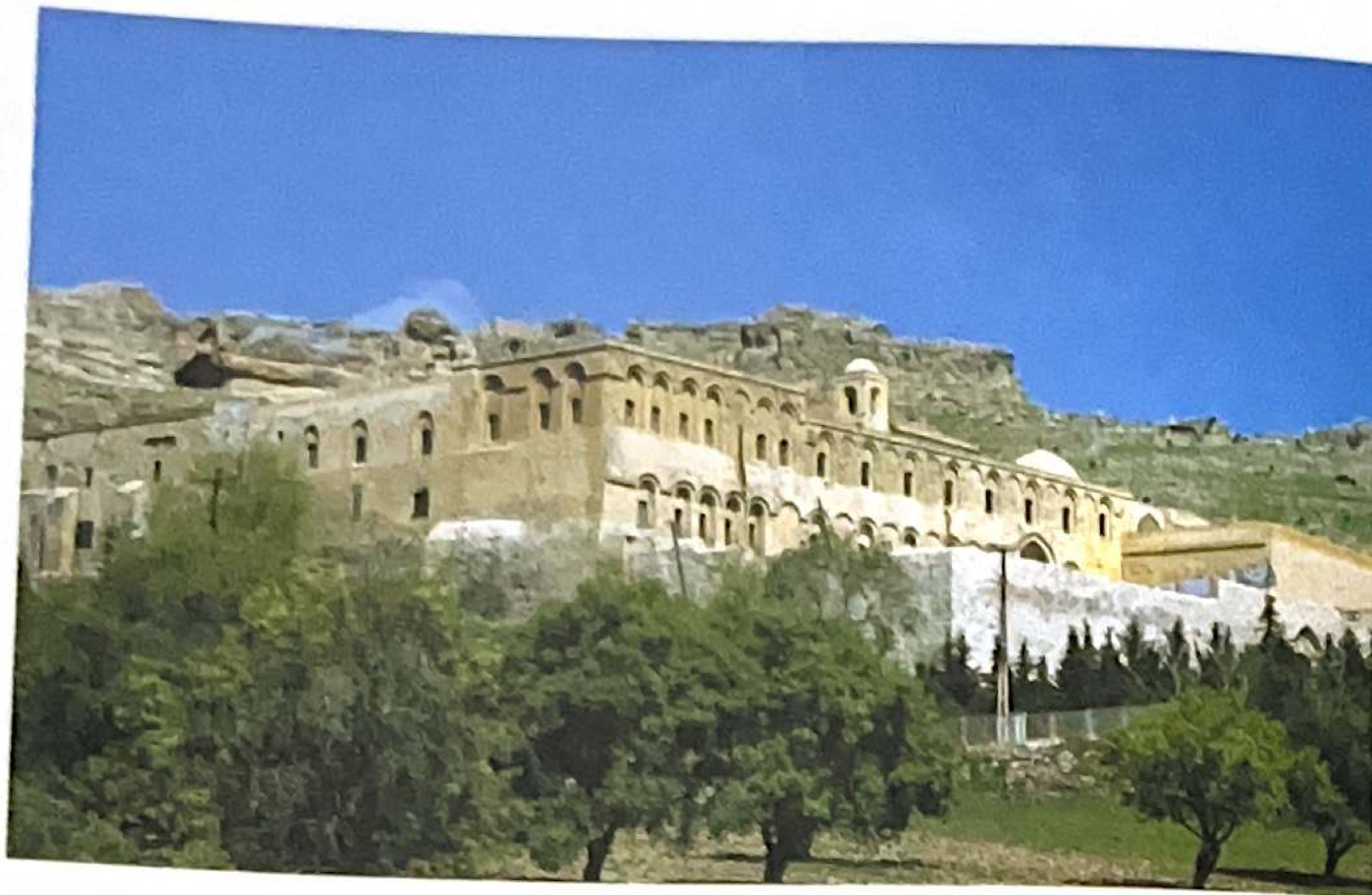
يقع دير مار متي، الذي اسس في سنة ٣٧٠، والذي كان يعود في الاصل الى كنيسة المشرق، ٣٥ كلم شرق الموصل في شمال العراق. ومنذ حوالي سنة ٤٨٤ تحول الدير الى كنيسة السريان الارثوذكس، ثم استعادته كنيسة المشرق، لكنه تحول ببداية سنة ٥٤٠ الى معقل لليعاقبة. شأنه شأن الاديرة الاخرى للمنطقة، عانى مار متى من هجمات وعمليات سلب متعددة من قبل الاكراد. وقد اعيد ترميمه بصور كاملة في سنة ١٧٩٥ و ١٨٤٥. ويشكل الدير ابرشيته الخاصة به للكنيسة السريانية الارثوذكسية.

٦٨١ ق.م)*. وبعد ذلك ذهب الامير بهنام مع اخته سارة التي كانت تعاني من البرص، الى القديس الذي شفاها من بليتها. وعلى ضوء هذه الاعجوبة تم تعميد الاخ وشقيقته. فأمر الملك الغاضب بعد ذلك بقطع رأس ولديه، حيث دخل المسيحية هو الاخر بعد ان اخذ منه الندم كل مأخذ[١٥٢].

وقد اتاحت هذه الاسطورة الاساس لتطور ضريح الشهيد- النسطوري من حيث الاصل، واصبح يعقوبياً منذ ٥٤٠- ليصبح مزاراً للشفاءات العجائبية، يؤمه المسيحيون والمسلمون. ويعرف دير مار بهنام بالنسبة للاخرين بـ الخضر "مكان قوة التحويل الى الاخضر"، - اي، الرجاء. وقد ازداد المزار اهمية بارتباط مار بهنام بمار كوركيس، الذي اشتهر كثيراً في الشرق[١٥٣].

---

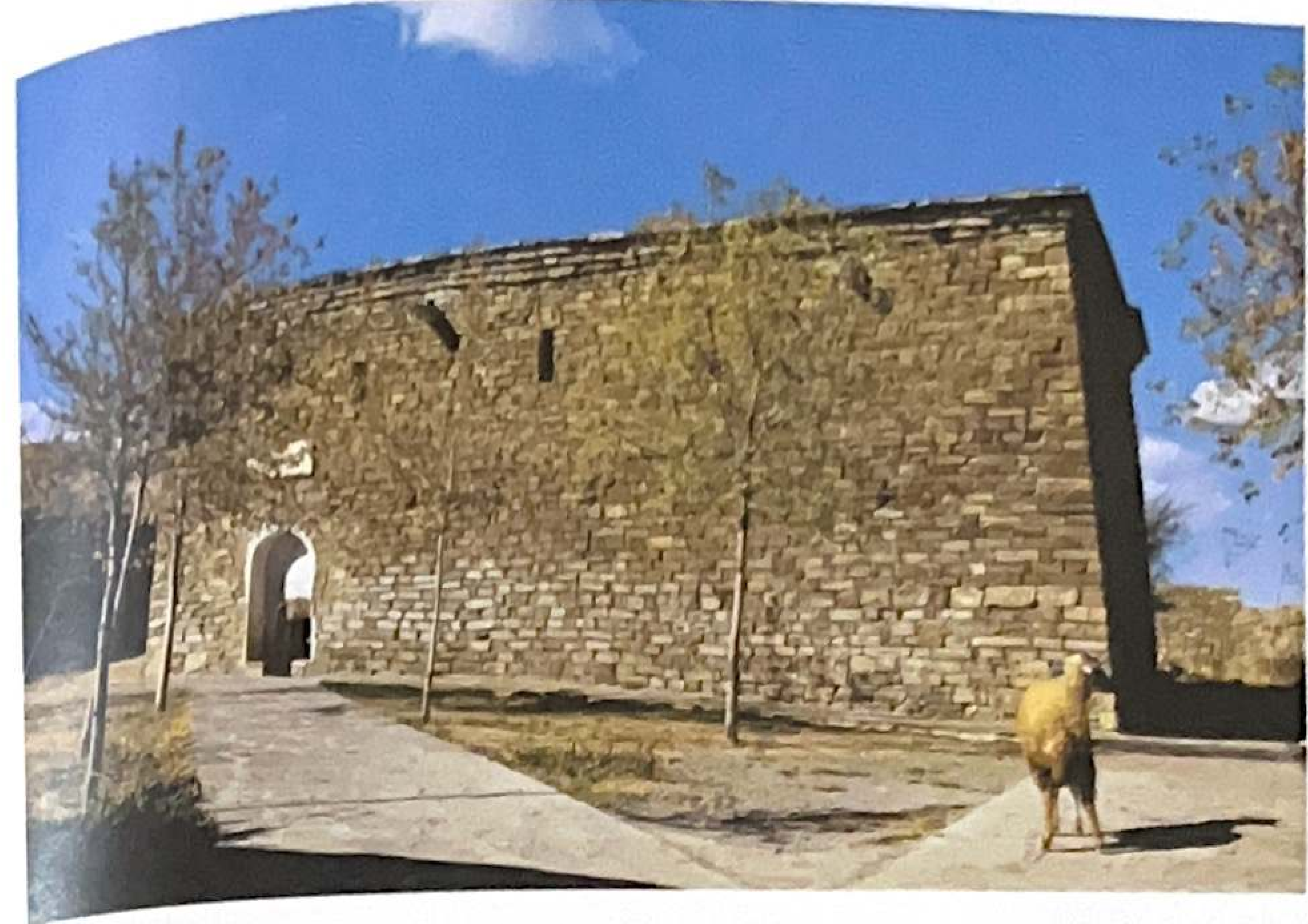
* ان سنحاريب والد الشهيدين بهنام وسارة وفي الجيل الرابع للميلاد، كان ملكاً في مدينة نمرود عاصمة مقاطعة أشور احدى المقاطعات المهمة ضمن الامبراطورية الساسانية. وليس له علاقة بالملك الاشوري سنحاريب ايام الامبراطورية. سوى ان اسم كليهما الملك سنحاريب، وانهما آشوريين حكما في آشور، كلا منهما في زمانه!! لاحظ (القس يعقوب أوجين منّا. المروج النزهية في آداب اللغة الارامية بغداد، ١٩٧٧ ج١، ص٧٨). (المدقق)



(اعلى) دير القديس الياس (St. Ananias)- المعروف ايضا بسبب لون حجره له- بدير الزعفران، الدير الاصفر - يقع شرق ماردين ببضعة كيلومترات على الحدود الغربية من طور عابدين. وقد اعيد بناء الدير، الذي يعود الى القرن الخامس، من قبل الاسقف ثاليلس بعد سنة ٧٩٣. وكان، منذ سنة ١١٦٦ حتى ١٩٢٣، مع بعض الانقطاعات، بمثابة مقر للبطاركة السريان الارثوذكس.



(اسفل) دير مار بهنام، الواقع قرب الموصل، تم تأسيس لذكرى الشهيدين بهنام وسارة في النصف الثاني من القرن الرابع، من قبل متوحدي دير مار متى في اكبر الظن. وقد شيد اصلا كضريح لقديس مجهول (martyrion)، حيث جرى توسيعه الى كنيسة اكبر في سنة ١١٦٤. وقد تلى التوسع الى دير كامل بين سنوات ١٢٤٨ و ١٢٩٥.[٣١] وقد وجد في الدير ايضا النقش الوحيد باللغة التركية والكتابة الايغورية (Uigur) في بين النهرين: "ليحل سلام خضر [الشافي] الياس، ارفق الله، على الخان ونبلائه وزوجته ويبقى معهم". والخان المشار اليه هو الالخان بايدو (حكم سنة ١٢٩٥)، الذي تم على نهب الدير واعاد اليه ذخائره المسروقة، اضافة الى منحة شخصية.[٣٢] وقد اعيد بناء الدير، الذي يعود اليوم الى كنيسة السريان الكاثوليك، في سنة ١٩٠١ ورمم في التسعينيات من نهاية الالفية الماضية.



(اعلى) تقوم الكنيسة النسطورية المزدوجة المكرسة للقديسين سركيس وباكوس، في قرية بوس فاج (Bos Vatch) التي تبعد ثمانية كيلومترات جنوب غرب مدينة اورميا في اقليم اذربيجان بايران. وتبقى منطقة اورميا حتى اليوم معقلاً لكنيسة المشرق، حيث شيدت فيها اكثر من ١٠٠ كنيسة ومعبد تعود الى كنيسة المشرق والكنيسة الكاثوليكية. وقد اغلقت العديد منها لاسباب امنية بسبب انتشار اعمال التخريب، وتفتح مرة واحدة في السنة فقط في ذكرى يوم شفيعها. وقد تم التضحية بالكبش في يمين الصورة بمناسبة مأتم، واستخدم دمه لرسم صلبان على الاسكفة فوق المدخل على يسار الكنيسة.



(اسفل) اسكفة فوق غرفة ضريح مار بهنام في الدير الذي يحمل نفس الاسم. ويظهر مار بهنام الى اليسار وهو يتغلب على الشيطان، والى اليمين مار كوركيس وهو يذبح التنين. لقد ساهم ارتباط بهنام مع مار كوركيس كثيراً في شهرة المزار.

وقد تم تصوير القديسين بصورة متساوية على اسكفة الضريح، حيث يهزم كيوركيس التنين وبهنام الشرّ. ويعود الفضل الى صفات الشفاء هذه والأنتصار على الشرّ، أن اصبح ضريح الشهيد موقعاً مفضلاً للحضانة. ومثلما قد لاحظ المؤلف في العديد من الكنائس الشرقية والغربية، هناك في الضريح او المدفن سلسلة مثبتة في الجدار حيث يربط بها المصابون بمرض عقلي، او الصرع، ويتركون لوحدهم في ظلام الليل. وفي صباح اليوم التالي، وبسبب قوة الشفاء لضريح القديس او الذخائر في الجدران، ولعله بسبب الصدمة، يشفى المرضى المصابون مرة اخرى. ويقال بان طريقة الشفاء هذه فعالة لكل من المسيحيين والمسلمين[١٥٤].

٦ ـ جوانب اللاهوت السرياني الشرقي وروحانيته

النزاع مع الزرادشتية والمانوية

كان للمسيحية علاقات ومنافسات مع عدة ديانات أخرى، ضمن الامبراطورية الساسانية. وقد نشأت اولاً في بلاد ما بين النهرين على اساس الجماعات اليهودية، والتي ادت منطقياً الى التوترات بين الجماعتين الدينيتين. وبعكس **مرقيون**، الذي رفض اساساً ارث العهد القديم اليهودي، فإن الرواد السريان الشرقيين الاوائل، مثل **افراهاط** (+٣٥٠ تقريبا)، حاولوا ان يبرهنوا على ان المسيحية كانت تمثل الاستمرار والكمال، واخيراً النسخ المنطقي للديانة اليهودية. وبدون الضرب على اوتار ضد السامية، انتقد افراهاط، وهو يحذو حذو أسلافه، الشكلية والشرعية اليهودية- اي، الاحتفاظ بالشرائع الموسوية في السلوك، الى جانب تجاهل المسيح على انه الـ (مشيخا) الموعود به في العهد القديم. وقد فسرت "مقالات" أفراهاط العهد القديم بطريقة بحيث ان المسيحية هي المثل الاعلى لليهودية التي قد فقدت الان حقها في الوجود. إضافة الى ذلك، فإن الديانة الموسوية تنطبق فقط على اليهود، لكن البشرى السارة ترتبط بكل الناس[١]. وتوحي اعمال الشهداء ايضاً بانه، خلال عهد الاضطهادات تحت حكم شابور الثاني، قامت مجموعات معينة من اليهود بالوشي بالمسيحيين لدى السلطات.

وفيما يخص البوذية، التي كانت قد انتشرت في أيران (وكان الفرثيون هم الذين نقلوا البوذية الى الصين)[٢] فقد قمعت بواسطة عقوبات **كارتير** الى حد انها لم تلعب إلا دوراً هامشياً عند إنتشار الكنيسة في الاقليم الشرقي لخوزسان. ومع ذلك كانت البوذية معروفة لدى اللاهوتيين المسيحيين مثل **برديصان** و**اوريجنس** (Origen) و**اقليمنضس** (Clement) **وكيرلس** الاسكندري[٣]. وبقدر تعلق الامر بالوثنيين الذين كانوا يعيشون جنوب بحر قزوين، فإن الكنيسة لم تلاق صعوبات فيما يخص الجانب اللاهوتي، ولكن ليس الجانب العملي، لان شعوب **الديلم** (Dailam) وكيلان لم يتخلوا عن آلهتهم الخاصة بالطبيعة واوثانهم، الا في تردد وبعد إظهار العجائب.

وكان المناهضون اللاهوتيون الحقيقيون، بالاضافة الى نشاطات الإرسالية لكنيسة المشرق، هي الديانات الثنائية **للزرادشتية والمانوية**. بيد ان ستراتيجية كل واحدة منها كان لا بد لها ان تكون مختلفة. وبدءاً بسنة ٢٧٣ كانت المانوية معرضة للقمع تماماً من قبل السلطة الساسانية الشريرة، والتي، ورغم الاضطهادات الشديدة، لم تنطبق على المسيحية. وهكذا كان يسمح للمبشرين المسيحيين بأدخال المانويين الى المسيحية. بيد ان فعل ذلك مع الزرادشتيين كان يجلب عقوبة الموت.

ويرتبط واحد من الموضوعات الاساسية للفكر الديني بمسألة أصل وطبيعة الشر المخيفة والكلية القدرة. ويظهر الشر، في التقليد اليهودي والمسيحي، كنتيجة لعدم إطاعة المخلوق لخالقه. بينما تنطلق النظرة الثنائية، من الناحية الاخرى، من المعارضة التي لا يمكن تلافيها بين الخير والشر، فإن الله، المفهوم كخالق، لا يمكن له ان يكون خالقاً للشر. ان اصل الشر لا يكمن في الله، بل بالاحرى، خارج الله، سواء أكان ذلك في شيىء مظلم في المانوية، او في **اهريمان** (Ahriman) المناهض لله في الزرادشتية. انه القيمة النسبية التي تمنحها كل واحدة للمادة، والتي تفصل بشكل متطرف بين المانوية والزرادشتية. وبحسب تعاليم **زرادشت**، كان **اهورا مزدا**، بعلمه المطلق يعرف عن وجود أهريمان وتنبأ بهجومه المدمر، وعليه فقد اوجد الخليقة وبني البشر. ومثلما سبقت الاشارة[٤]، فإن اهورمزدا خلق كلا من نفس وجسد المخلوق البشري. وعلى النقيض مما هو موجود في المانوية وجزئياً في المسيحية، فإن التثنية بين الخير والشر، لا تماثل باي شكل من الاشكال التماثل بين الروح والمادة، بل بالاحرى ثنائية الوجود من عدمه.

إن العالم المادي، باستثناء اعمال شياطين معينة مثل الحية او الهوام، ذو اصل مقدس. بينما كل الخليقة المادية والوجود الجسدي البشري، في المانوية، من نتاج قوى الظلام، ولا يمكن ان تخلص نفسها من براثن المادة الشريرة، إلا نفس النور غير المادية. والجسد في المانوية هو مقبرة النفس، وفي الزرادشتية وسيلته الى الكمال. وبسبب نقاط البدء المتناقضة هذه، نشأت خصومات مختلفة بين المسيحية والزرادشتية وبين المسيحية والمانوية.

الدفاع الزرادشتي

لم يكن من الممكن لحوار حقيقي ان يتطور بين المسيحية والزرادشتية- كان اشبه بالحديث بين الحمام. وبناء على المعلومات التي نحصل عليها من **اعمال الشهداء**، كان المدافعون المسيحيون يتهمون الزرادشتيين بالاخفاق في فهم سمو المسيح وقوته الشفائية الكلية الشمول، وكذلك بعبادة كائنات قابلة للموت مثل النار والمخلوقات التي لا تعقل مثل الشمس بدلاً من الله. كما ادانوا المبادىء الاخلاقية الزرادشتية، في جانب سماحها بتعدد الزوجات، والزواج من قرابة الدم، إضافة الى السماح بتضحية الحيوانات، في وقت كان شرب الدم واكل لحم ضحايا الحيوانات بالنسبة للمسيحيين، ممنوعاً منعاً واضحا. وبعكس ذلك، كان الزرادشتيون يستهجنون ضوابط الزواج المسيحي، والعزوبية والترويضية التوحدية، كونها تحدد الحفاظ على الحياة ونسلها.

ومن المنظور الزرادشتي، كان المتوحدون المسيحيون والمختارون المانويون، بتجردهم الترويضي عن العالم، كل على حدى، يعيقون كفاح اهورا مزدا بنفس المقدار، وكانت الترويضية بمثابة إهانة للمثل الزرادشتية. وكان الاكليرس الزرادشتي يتهم المسيحيين بعدم عبادة رمز الالوهية الزرادشتية - النار- واهمال قواعد نقاوة العناصر عن طريق دفن الموتى.

وفي الوقت الذي تكون فيه هذه الاتهامات الزرادشتية مرتبطة بروح "العمل الصحيح" فثمة عمل هجومي عنيف يختبر "الفكر الصحيح" للمسيحية. وكان العمل المقصود هنا هو **سكاند - غومانك فيكار** (Skand- Gumanik Vicar)، وهو عبارة عن دفاع زرادشتي يعود الى القرن التاسع مكتوب بالبهلوية، والذي انتقد فيه **مؤلفه**،

مردان **فاروق**، التوحدية اليهودية والمسيحية والاسلام، اضافة الى المانوية. وجاء مردان في الفصل الاول بوصف لمبادىء الديانة الزرادشتية: "خلق اهورا مزدا الديانة العالمة بكل شيء مثل شجرة كبيرة، بجذع وطرفين رئيسيين وثلاثة اغصان واربعة غصينات وخمسة براعم. والجذع هو القياس [الحقيقة]، والطرفين الرئيسيين هما العمل والزهد، والاغصان الثلاثة هي الفكر الصالح، والكلام الصالح والسلوك الصالح، والغصينات الاربعة هي الطبقات الطبيعية الاربعة المؤلفة من الكاهن والمحارب والفلاح والحرفي، والبراعم الخمسة هم الرؤساء الدينيون الخمسة"[5].

ثم قدم مردان حجة من ان الطبيعة المتناهية للخليقة تفترض مسبقاً تدخل مبدأ مناهض لله الخالق. ومفهوم الخلاص بالنسبة له كان يتضمن بالضرورة انحرافاً – غير مرغوب به من قبل الاله الخالق وسببته قوة اخرى – عن مسار التطور الكامل، الذي عليه ان يقوم بموازنته مرة اخرى. وهكذا خلص مردان الى القول بانه لم يكن الا في وسع نموذج ثنائي ان يفصل الشرّ عن الاله خالق الخير. بينما كانت التوحدية المسيحية، تمزج الشر بالله لتحول دون اي حد بين الخير والشر. ومن هذه المقدمة المنطقية، جادل مردان في هجوم عنيف ضد التضحية بابن الله بموافقة الله الاب: "[لكونه الله الكلي القدرة والواحد] اوجد كل الخليقة بما في ذلك حتى خصمه، من لا شيء، وقاد جلادي ابنه الى الخطأ. ولكن بقدر قيام الله بخلق كل جلاد وخصمه، دون سبب او دافع، ولا بد ان يكون قد استبصر اعمالهم، فإن المرء لا يسعه ان يرفض بانه هو بالذات كان جلاد ابنه". وبالاستعانة بنفس الحجة، استطرد مردان قائلا بان "اليهود قتلوا المشيخا بارادة الله"، او، بالاستعانة بصورة الراعي الصالح، "انها مشيئة الاب ان تقتل الذئاب الخراف، لانه خلق الذئاب ايضاً".

ورداً على الجواب المتوقع من ان الله منح البشر ارادة حرة، اجاب مؤلفنا: "ان كانت الخطيئة نتيجة الارادة الحرة، وان كان الله قد اعطى بني البشر هذه الارادة الحرة، فإن الله هو الآخر خاطيء، بقدر كونه جعل الخطيئة ممكنة من حيث الاساس". كما منحت تجربة يسوع مع الشيطان مردان الفرصة ايضاً ليبين بأن هناك، في الحقيقة، مبدأين متعاديين، او ان الله المسيحي لابد ان يكون بالضرورة خيراً او شراً: "ان كان هناك مبدأ واحداً فقط دون خصم، فكيف يمكن لـ اهريمان ان يكون قوياً كفاية لتجربة ابن الله؟ ومن ثم، ان كان الله قد خلق صانع الشر هذا، فان الله هو ذاته الذي جرب ابنه. ثم سأل في بلاغة القول، "ثم لماذا لم يفدّ الخصم مثل بقية الخليقة؟"[6] ولا شك ان مرقيون كان سيتفق مع حجة مردان!

وقد تركز الدفاع الزرادشتي بصورة رئيسية على استحالة إعتبار مشكلة الشر ضمن الموقف التوحيدي دون مصادفة تناقضات. وثمة تهجم آخر يتعلق بغموض الحبل العذري، وذهب الى ان مريم كانت تحتفظ بشركة مريبة[7]. ثم حاول مردان ان يأتي بفكرة ثالوث الى ما لا نهاية. فلو كانت الثلاثة مساوية للواحد، فإن التسعة ستكون حينئذ مساوية للثلاثة،... الخ. وإن لم يكن الابن أقل مساواة بالاب، فإن الاب لن يكون اكثر من الابن، وهو امر مستحيل، في حالة زعم بان الابن قد ولد من الاب. وهنا أكد مردان ثانية حجة **اريوس**، والتي يجب ان يكون هناك بموجبها تميز جوهري وهرمي بين الوالد والمولود. وأخيراً، سأل مردان في بلاغة كيف كان من الممكن ان يكون "هذا

الاله العظيم الذي يحكم ويديم العالمين، ان يسلم جسده لكي يضرب ويصلب"[9]. وكان المؤلف مدركاً ايضاً بالمفاهيم المختلفة لموت الله: " ان حديث المسيحيين حول مشيخاهم يسوع، الذي يعدونه ابن الله ولكن ايضاً مساوياً لله وإذ ذاك الله ذاته، [لهو] غير منطقي وتقول طائفة [اليعاقبة والملكيين] بأن هذا المشيخا مات، واخرى [النساطرة] بانه لم يمت"[10]. على النقيض من الاسلام، الذي يشترك في افتراضات جوهرية مهمة مع المسيحية، واستطاع ان يطور حواراً مثمراً مع المسيحية السريانية الشرقية في القرنين الثامن والتاسع[11]، فإن المقدمات المنطقية التصورية للزرادشتية والمسيحية كانت مختلفة.

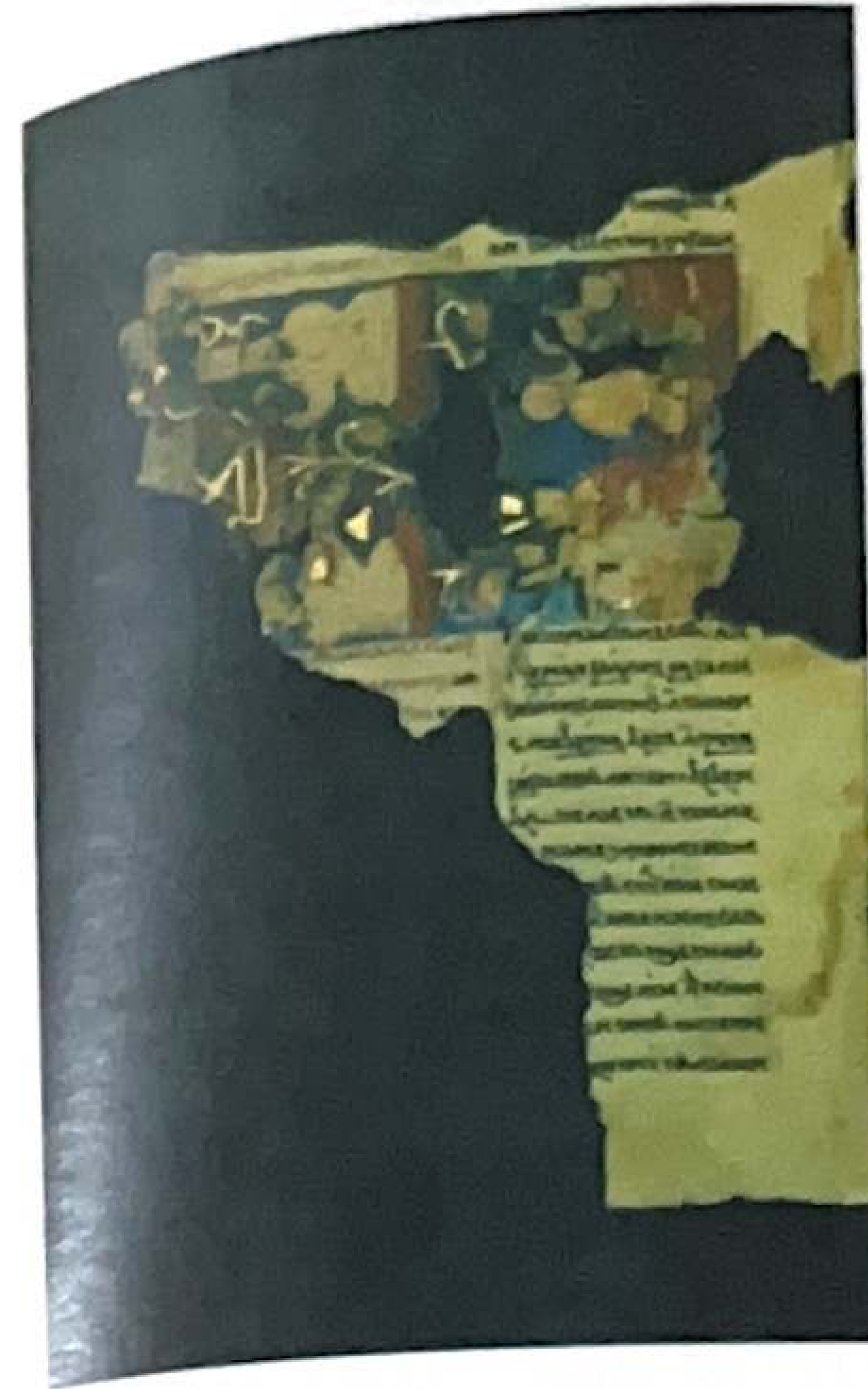
ماني البارقليط المعين ذاتيا

ان الخلاف بين المسيحية والمانوية، وهي ديانة دنيوية اختفت منذ ذلك الحين، تطور وفق اتجاهات مختلفة. وقد حدث ذلك عبر فترة تزيد على الالف سنة، ليس فقط في ايران بل ايضاً في مصر وشمال افريقيا وروما وسوريا واسيا الوسطى، وخاصة في الصين. وقد تراوح افق هذا الحوار بين الاستياء الجاف الى التعايش غير الاعتيادي لجماعة نسطورية مع مجموعة مانوية تحت قيادة اسقف واحد مشترك في جنوب شرق الصين في اوائل القرن الرابع عشر[12]. واثناء فترة الامبراطورية **الاوغورية** (Uigur) الثانية، (٨٥٠-١٢٠٩ تقريبا)، ايضاً، عاش البوذيون، والمانويون، والنساطرة سوية في سلام. وقد سقطت آخر معاقل المانوية في القرنين السادس عشر والسابع عشر في الصين[13].

كان **ماني**، الذي ولد في سنة ٢١٦ ليس بعيداً عن سلوقيا- قطيسفون، ينحدر من جهة امه من اسرة بارثيا الملكية الارشاقية، بينما كان ابوه عضواً في الطائفة **الالكسادية** (Elkasaites) اليهودية المسيحية المعمدانية، التي كانت تمارس حياة ترويضية صارمة، الى جانب العديد من الطقوس التطهيرية والعمادية. واستناداً الى سير القديسين فقد كشفت له دعوته في رؤياه الاولى عندما كان في الثانية عشرة من عمره. وبعد ذلك، عندما كان في الرابعة والعشرين من العمر، خبر رؤياه الثانية وترك الطائفة لانها كانت مرتبطة فقط بطقوس التطهير الجسدي – أي المادي- ولم تعر اهتماما بالتطهير الروحي للنفس. وعلى النقيض من المعمدانيين، الذين كانوا يعتبرون الجسد ضرورياً وقابلاً للخلاص، فإن الجسد المادي بالنسبة لماني كان يمثل عائقاً للمنبوذين، عائقاً لخلاص النفس- المنور.

وهكذا انظم ماني الى تقليد اليهود، "الذين رفعوا تطهير النفس بدلاً من تطهير الجسد والغذاء"[14]. وقد فهم ماني نفسه على انه البارقليط المعين من قبل يوحنا، كتوأم ليسوع[15]، الذي من شأنه ان يعلم العالم الطريق لوضع نهاية للمعاناة. وقد استفاد ماني من هذه الناحية، من اعمال توما و**نشيد الدُر** الغنوصي المسيحي لدعم دعوته في تجسيد البارقليط[16].

وقد قام ماني بتطوير ديانة عالمية جديدة، قام بتعليمها اولاً في الجنوب الشرقي من الامبراطورية الساسانية وفي امبراطورية **كوشان** (Kushan) في شمال الهند، حيث جابه البوذية ايضاً. وفي حوالي سنة ٢٤٢ او سنة ٢٤٣ عاد ماني وتلقى الاذن من شابور الاول لنشر تعاليمه. وكانت السمة التوفيقية للمعتقد الجديد في اكبر الظن هي التي جمعت بين مختلف ديانات الامبراطورية، والتي لفتت انتباه الشاه الذي كان يحكم شعوباً



مخطوطة مانوية على الورق من اوائل القرن العاشر الى القرن الحادي عشر، كوجو (Kocho)، خربة أ. وكانت كوجو (كاوجانغ Gaochang)، التي تقع في اقليم شينشانغ Xinjiang في شمال شرق الصين، ومنذ حوالي سنة ٨٤٤ للميلاد، عاصمة لامبراطورية الاوغوريين (Uigurs)، والتي كان وجهاؤها منذ سنة ٧٦١ حتى اواخر القرن العاشر– او اوائل القرن الحادي عشر مانويين. وتعرض الصورة المصغرة درساً. فالى الاعلى يجلس منتخبان على عرش من النيلوفر، حيث يتكلم الذي الى الشمال بينما يمسك الذي الى الجنوب بكتاب. والى الاسفل منهما يجلس ستة مستمعين، ثلاثة نساء الى اليمين وثلاثة اخرى الى الشمال. ويشير لباس الرأس للاشخاص الاربع في الخلف، اثنان على كل جانب، الى انهم من العائلة المالكة.[٣٣] (متحف الفن الهندي، مقتنيات الثقافة البروسية. الشظية MIK (111 8259, fol.ir.

عديدة. لكن المانوية المسالمة الترويضية الزاهدة في الدنيا لم تستطع بطبيعة الحال ان تنسجم مع ايديولوجية قوة معادية. وفي حوالي سنة ٢٧٤/٢٧٦، وبتحريض من **كارتير**، امر **بهرام الاول** باعتقاله، حيث مات في السجن إثر ذلك. وفي الوقت ذاته، بدأ اضطهاد منظم اجبر اتباع ماني على الهجرة إما الى اسيا الوسطى او الى الامبراطورية الرومانية، حيث واجهوا مراسيم **دايوقليطيان** (Diocletian) في سنة ٢٩٧ **وقسطنطين** في سنة ٣٢٦[١٧].

والقصة التي نشرها تلاميذه من انه لاقى عذاب الصلب خرافة هدفها ربط ماني باقرب ما يكون بيسوع[١٨]. ولما كان يعد نفسه تحقيقاً لوعد يسوع، فقد سعى هو او تلاميذه الى التماثل معه في رموزه الخارجية ايضاً. وهكذا فقد سمي بعض تلاميذه الاوائل أدي وماري وتوما (وهي اسماء رسل كنيسة المشرق)[١٩] وزعم انه كان قد جمع حوله اثني عشر تلميذاً، كما ان منظمته الكنسية كانت تضم (٧٢) اسقفاً[٢٠]. ومع ذلك، ورغم ان تشابه اجزاء النص المانوي بالوثائق المسيحية غالباً ما يكون مربكاً كما إن وصف المانوية بالحرباء وصف دقيق بحق[٢١]. بقي ماني مخلصاً لمبدأيه الرئيسيين الصحيحين، للمبدئين المتخاصمين والدهور الثلاثة. والمبدآن هما الخير والشر، والدهور هي تلك الخاصة بالفصل الاصلي بين المبادىء، وتمازجهما الحاضر وفصلهما المستقبلي. وباختصار، فإن المانوية نوع من الزرادشتية المسيحية، تندمج فيها عقيدة غنوصية للمعرفة حيث تم اغناؤها في آسيا الوسطى والصين بعناصر بوذية وطاوية[٢٢].

ان وضع ماني جنباً الى جنب مع يسوع، لا سيما بالنسبة للنساطرة، كان بطبيعة الحال غير مقبول. وكما يبين المثال اعلاه حول النقاش بين **الاسقف بابا** و **بهرام الثالث**، كان هناك خطر من ان الخارجيين قد يربكون الاثنين، كما حدث في الصين في القرنين السابع/الثامن، طالما ان كلتا الديانتين من ايران، كانتا تتحدثان عن يسوع المسيح. ومن اجل توضيح هذا التقارب وفي الوقت ذاته التشهير بماني، اورد التاريخ السعردي بان ماني تظاهر في صباه بالتنصر بل حتى عمل على ترسيم نفسه كاهناً من قبل اسقف **شوشان** (Susiana) (خوزستان). وبعد بعض الوقت، اعلن نفسه بارقليطا، وجمع حوله اثني عشر تلميذاً وقام بالدعوة الى عقيدته "الآثمة". وقد خلص التاريخ الى الصلب المزعوم لماني و"هكذا لعنه الله واعطاه ما يستحق"[٢٣].

وبسبب إعلان ماني نفسه خاتم الانبياء، والذين اقر من بينهم بوضوح زرادشت وبوذا والمسيح، فقد حق له ان يصغي الى رؤياهم الجزئية ويمزجها في الديانة العالمية الحتمية، التي ترتبط بكل الشعوب. ولم تكن هذه العقيدة في نظره انتحالاً بل تبلوراً للحقائق التي كانت تشوهت بفعل الزمن، يرافقها الرفض المتزامن للاخطاء المتراكمة. وعلى النقيض من اسلافه، لم يضع ماني ثقته في التقليد الشفوي غير المعول عليه، بل احتفظ برؤياه كتابة. وقام بتدوين نصوص للمتعلمين ورسم صوراً لمن لم يكونوا يعرفون القراءة والكتابة[٢٤]. وباعتباره خاتم رسل النور، ادعى ماني الحقيقة المطلقة. بل أن تلاميذه ذهبوا الى ابعد من ذلك فيما يخص التوفيق بين المعتقدات، في تقديمهم للمانوية كمسيحية كاملة في البيئة المسيحية وزرادشتية كاملة بين الزرادشتيين وبوذية كاملة بين البوذيين.

وعلى العكس من المسيحية، انطلقت المانوية من ثنائية جوهرية عنيدة لا يمكن التقريب بينها، بين الخير والشرّ. وكل منهما غير مولود وخالد. ولكن، وبينما تصب الثنائية الزرادشتية مباشرة في العالم المادي والروحي، فإن الثنائية المانوية تساوي بين الخير والنور وبين والروح والنفس وبين الشرّ والظلام والمادة. ووفقاً لكوزمولوجيا معقدة يصعب فهمها، فقد تم الفصل بين المبدأين اصلاً، لكن قوى الشر نجحت بعد ذلك في القبض على اجزاء من النور الصالح وربطها بالمادة. وانطلاقاً من هذا المنظور، فإن الكون والبشرية هما من عمل الشر بسبب ماديتهما. وتهدف عملية الخلاص الكونية الى تحرير اجزاء النور المحبوسة في المادة وعزلها عن المادة الشريرة. وبنو البشر، ضمن هذا الصراع الكوني بين قوى النور وقوى الظلام، ملزمون لان ينحازوا الى احد الطرفين. ويبين رسل النور السبيل الى الخلاص عن طريق تعليمهم للبشر العرفان، (أي المعرفة الخلاصية)، والتي توقظ ذاكرة اجزائهم الضوئية المحبوسة وتعلمهم كيفية تحرير النور من المادة. ولما كانت المادة شريرة في ذاتها، فإن طريق الخلاص لا يتبع النموذج الزرادشتي لحياة نشطة من الفكر الصائب، والكلام الصائب والعمل الصائب، بل يتطلب النكران الجوهري لكل ما هو جسدي والتخلي عن الانجاب.

وقد اظهرت التحليلات النصية بان مصادر ماني المسيحية تضمنت **الدياطسرون لططيانس** ولكن هناك ايضاً تأثيرات من الهراطقة **مرقيون**. **وبرديصان**، شأنه في ذلك شأن ماني، كان يعتقد بان الخلق نشأ من خلط الخير والشر وبان النفس يمكن لها ان تفدي ذاتها عن طريق الالتزام بشرائع الله[٢٥]. لكن ماني كان اكثر قرباً من مرقيون الذي وضع الله خالق المادة في العهد القديم إزاء اله الخير وابنه المخلص في العهد الجديد. ومثل ماني فيما بعد، انكر مرقيون الميلاد الجسدي ليسوع ومعموديته، وهكذا فقد مثل، كما فعل برديصان، موقفاً **ظاهريا**، كانت آلام البشرية والمسيح ظواهر ليس إلا. وقد اورد **أوغسطينس** الذي كان في يوم ما مانوياً، "انهم [المانويون] ينكرون بان المسيح ولد من عذراء. وهم يذهبون الى ان هذا الجسد لم يكن حقيقياً بل مزيفاً. وهم يعتقدون بان القيامة لم تقع"[٢٦] وبهذا الخصوص فقد كان من المناسب للمانويين ان يحتفلوا بذكرى موت نبيهم لكنهم لم ينيطوا به اية قوة خلاصية.

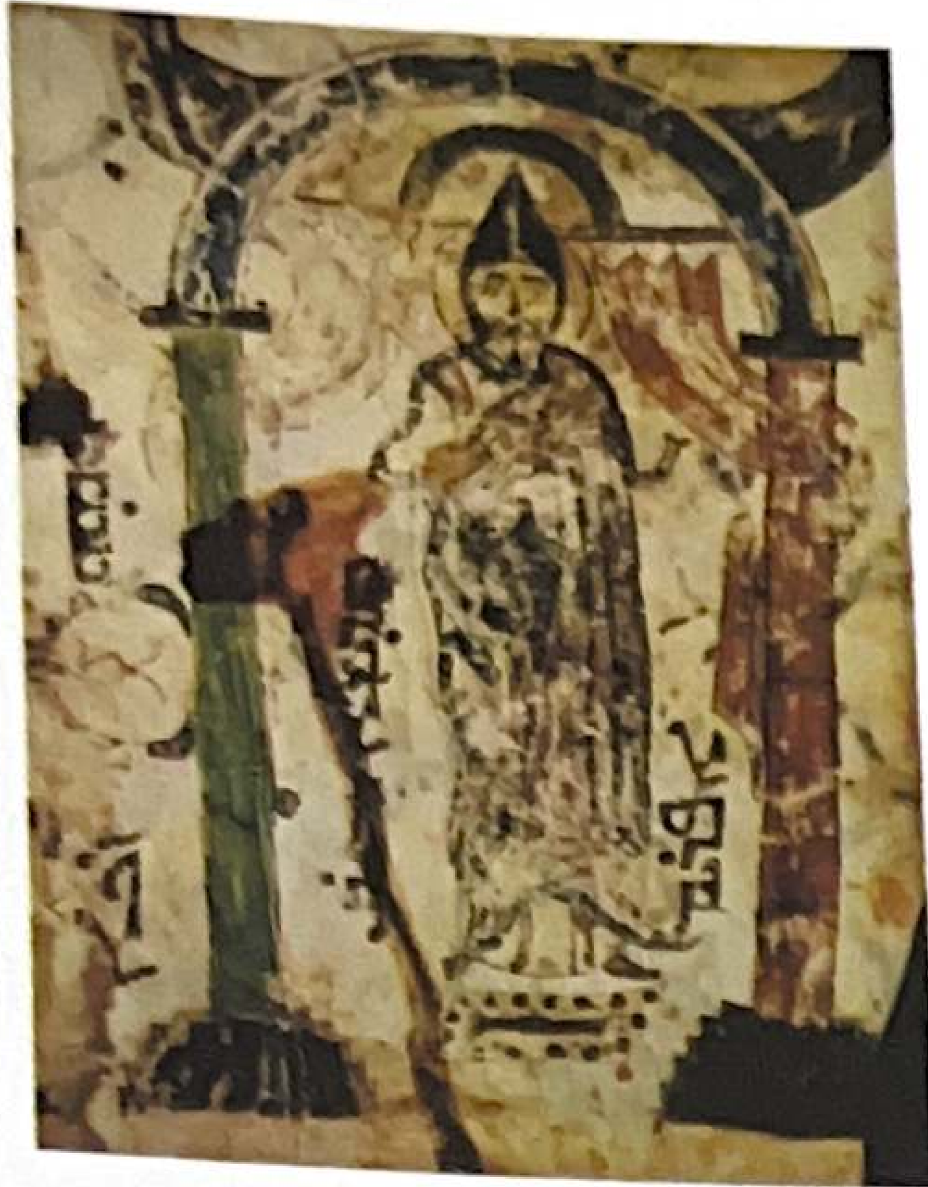
ولأن عمل الخلاص الشخصي تضمن فصل اجزاء النور من المادة، فإن المثل المانوي كان يدعو الى الامتناع المستمر عن

النشاطات التي تربط النفس بالمادة. وقد ادى هذا الى قائمة بالاعمال الممنوعة التي تجاوزت كثيرا شرائع التطهير للمعمدانيين الذين احتقرهم ماني. وقد منعت القتل واكل اللحم والانجاب (لتؤدي الى الجذام الذاتي)، والفلاحة، وحصاد الخضراوات (كانت الفواكه وحدها تعتبر طاهرة)، وشرب الخمر والحليب، واقتناء الممتلكات الخاصة، والعمل الجسدي، واستخدام الطب والاغتسال او استبدال المرء لملابسه لأكثر من مرة في السنة[27]. وقد تألفت العبادة من نشاطات فعلية بحتة، مثل القراءة الجماعية وغناء الاناشيد، لأن الاسرار المقدسة، كونها كما هو الحال مرتبطة بالمادة، فهي من الشيطان.

ولما كان الناس الذين ينشدون الكمال غير قادرين على اسناد انفسهم، كما ان الغالبية العظمى من الناس لم تكن قادرة على تحقيق هذه المطالب المغالى فيها، قسم ماني المؤمنين الى فئتين: المختارون المصطفون، والموعوظون المستمعون. فإذا كان المختارون قادرين على اتباع القوانين فقد كان بامكانهم ان يخلصوا روحهم النورية، اما المستمعون، من ناحية اخرى، فقد كان عليهم ان يخدموا المختارين بتقديم الطعام لهم وإكسائهم. وكان بإمكانهم، عبر فترة من الميلادات المتكررة، ان يدخروا ما يكفي من الاستحقاق لان يولدوا اخيراً مختارين مزمعين[28]. ومع ذلك، فإن من لم يكن مختاراً ولا مستمعاً، كان مهدداً باللعنة الابدية في يوم الدينونة، لانه لا يمكن لكل النور المحبوس في المادة ان يطلق[29].

إن الموقف المرقيوني لماني، الذي يعرض الخليقة ليس كعمل الله بل من عمل الشر، كان ميّزه بشكل جوهري عن المسيحية ووضع عقيدته في زاوية عالم الزهد المتطرف المصطفى، مثلما كانت تدعو اليه الغنوصية اليهودية المسيحية ايضا. فبالنسبة لهؤلاء ايضا، كان الجسد يمثل سجن النفس المظلم الضيق قد خُلق من قبل قوة خلاقة.. وقد كانت النفس تتطلب معرفة سرية من اجل ان تجد طريقها الى موطنها المفقود المنسي. ولما كان بإمكان مسيحيي العرفان "الحقيقيين"، الذين يعرفون البوابة التي تؤدي الى المعرفة الكاملة، ان يمتنعوا عن وساطة الكنيسة، فإن هذا الموقف الاصطفائي كان يستوجب مصداقية البشرى السارة الكونية. وفي الوقت الذي منحت فيه المسيحية ايضاً خيارات الزهد في الدنيا، المسموح به فقط للقلة (والتي تمثل الترويضية السريانية الشرقية منها صيغة متطرفة) فقد اتاحت هي الاخرى امكانات للعيش في العالم واحتضان الوجود، والتي كانت متاحة لكل المؤمنين[30]. وثمة اختلاف آخر مهم بين الديانتين فيما يتعلق بفكرة قيامة الجسد، التي كانت مهمة للمبشرين النساطرة الى اسيا الوسطى، بينما كان الجسد، بالنسبة للمانويين – وكذلك، عن طريق الصدفة، البوذيين– يمثّل اكبر عائق للخلاص. فالجسد بالنسبة للمانويين لن ينوّر او يتحول الى الجسد الروحي، بل عليه، بدلاً من ذلك، ولكونه مثقلاً بالقوى السلبية، ان يترك في الخلف او حتى ان يهلك.

وكان المانويون، بالنسبة الارثوذكسية المسيحية، الممثلة، مثلا، **بالاسقف** رابولا **الرهاوي** (Bishop Rabbula of Edessa) (+٤٣٥)، هراطقة مريعون، لانهم كانوا يدعون الى الطبيعة المطلقة للمبدأين، وينكرون العمل الخلاصي للمسيح ويرفضون العهد القديم، لكنهم مع ذلك اعلنوا كتاباتهم على انها رسولية وقانونية.



الكنيسة افرام السرياني ابو (٣٠٦-٣٧٣) الذي يعترف به السريان الشرقيون والغربيون وكذلك الكنيسة الكاثوليكية، منذ سنة ١٩٢٠، على انه ملفان الكنيسة. وقد عاش الشماس ايرم حياة توحدية وعلّم في المدارس الكنسية في نصيبين (حتى ٣٦٣) والرها. وقد نال الشهرة لاناشيده، الى جانب وصف لمعارضته التي لا تكل ولا تمل لاتباع ماني الهرطوقيين، برديصان واريوس. وفي هذه الصورة المصغرة من القرن الثاني عشر يمسك افرام درجا (لفيفة) بيده اليسرى. (مكتبة البطريركية السريانية الارثوذكسية، دمشق.)

التوحّدية السريانية الشرقية والمختارون المانويون

رغم ان المانوية والمسيحية السريانية الشرقية انطلقتا من مقدمات منطقية مختلفة ومعتقدات اساسية، فإن اهدافهما وممارستهما، لأسمى المثل الدينية كانت متشابهه على نحو مشوش. وكان هذا التشابه غير المقصود معروفا، مثلا، **لافرام السرياني**: "اعمالهم (اي المانويين) مشابهة لاعمالنا، مثلما ان صومهم يشبه صومنا، لكن ايمانهم ليس مشابها لايماننا"[31]. وعند الابتعاد عن النظرة السائدة مرارا، من ان التوحدية المسيحية نشأت اولا في مصر وإنتشرت من هناك الى سوريا وبين النهرين، فإن السؤال الذي يبرز هو، كيف حدثت التشابهات المدهشة بين الترويضية السريانية الشرقية والمانوية.

ويبدو ان جذور الترويضية المسيحية تظهر في الحقيقة ضمن مجال نشاط كنيسة المشرق. ففي الوقت الذي انزوى فيه **القديس انطونيوس** (St. Antony) (٢٥١-٣٤٦) اولاً في الصحراء المصرية في حوالي سنة ٢٧٠ أو سنة ٢٨٥، وقيام **القديس باخوميوس** (St. Pachomius) (٢٩٠-٣٤٦) بتاسيس اول دير له في أعالي النيل في حوالي سنة ٣٢٠، كان **ططيانس** قد أقام حركة **الانقراطيين** (Encratites) في **حدياب** في شمال العراق قبل ذلك بقرن. وقد رفض الترويضيون المسيحون الاوائل هؤلاء الزواج، وكذلك تناول اللحم والخمرة وقد وجد اول النساك الترويضيون في المنطقة حول نصيبين والرها، ومن بينهم **الاسقف يعقوب النصيبينى** (Bishop Jacop of Nisibis)، (+٣٣٨). وعندما تسلم المسؤولية، في حوالي سنة ٣٠١ او سنة ٣٠٨، كان يتمتع بشهرة ترويضي قديم.

وممن عاصروا يعقوب تقريبا هو **جوليان سابا** (Julian Saba)، (+٣٦٧)، الذي انزوى الى كهف في شمال الرها في حوالي سنة ٣١٧. وهكذا في سنة ٣٠٠ تقريبا، كان هناك في بين النهرين حركة نسكية توحدية مستقلة – اي، العيش مثل النساك، فإن التأثير المصري لتوحدية رهبانية، كانت تقوم على حياة الجماعة، وصلت اولا الى سوريا وبين النهرين عند نهاية القرن الرابع[32].

وقد عبر النسطوري **توما المرجي** (Thomas of Marga) عن الرؤيا النسكية: ان القديسيين "يصبحون آلهة بين البشر"[33]. وهذه الرؤيا مبنية على هدف الحياة التوحدية التي تحاكي الملائكة، الذين يُزعم انهم يمتنعون

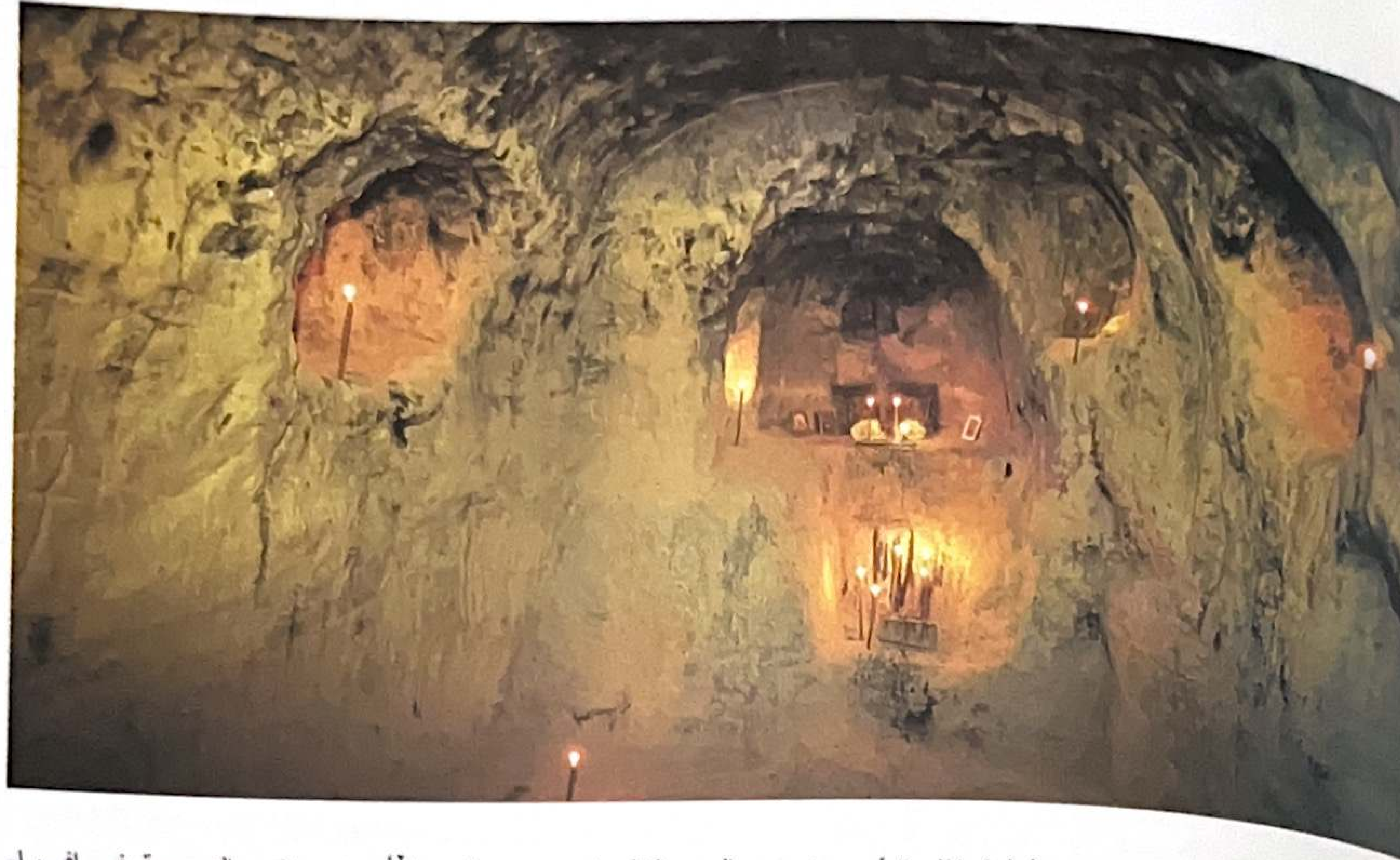
الطريق لربان بويا قرب شقلاوة في شمال العراق، الذي كان ديراً احلياً نسطورياً في السابق، ويقال بان مؤسس الدير ربان بويا قد عاش في القرن الخامس/السادس، ويعيش اليوم هناك ٣٣٥ عائلة، ١٣٠٠ شخص من النساطرة في شقلاوة.

عن النوم والطعام والحب الجسدي، من اجل ان يمجدوا الله دون توقف. وقد ذهب المفسر الكبير لكنيسة المشرق افرام السرياني (+٣٧٣) الى ان نكران الذات الجسدي يحول الوجود المادي الى وجود ملائكي[٣٤]. وكان "تدمير الجسد والقضاء عليه" عن وعي يمثل بالنسبة له اكثر الممارسات كمالاً للتنسك[٣٥]. وقد اثنى المتصوف النسطوري المشهور **يوحنا دالياثا** (John of Dalyatha)، (+ قبل سنة ٧٨٦) على الاستعداد للاستشهاد بهذه الكلمات: "العظمة لما يحققه حبك، يا الله! ولانهم [الشهداء] لا يملكون المزيد مما يقدمونه، فقد قدموا أجسادهم للموت"[٣٦].

وقد تجلت الحياة التوحدية في عزوبية صارمة، أدت احياناً الى الخصي الذاتي[٣٧]، وشحة في الملكية الشخصية، والصوم الصارم، والامتناع عن الكحول، واللحم، والمنتوجات الزراعية، واستهلاك النباتات البرية والفواكه، وحتى الحشيش، وابسط الملبس المصنوع من الصوف، وجلد الحيوانات والقش، او العري التام احياناً، ومن النوم ما قل قدر الامكان. وقال الترويضي **أرسنيوس** (Arsenius)، "ساعة من النوم تكفي للمتوحد المعافى"[٣٨]. وكان البعض ينامون ليس على الارض بل متكئين على جدار او مربوطين بعمود، او كانوا يعمدون الى ربط حبل يتدلى من السقف حول الجزء الاعلى من جسمهم. وكما هو الحال مع المانويين، فقد تخلى النساك عن اي اهتمام بالجسد واتبعوا تعليم افرام بعدم الاغتسال[٣٩]. أن هذا "الاهتمام" بقذارة الذات الهم **القديس هيرونيموس** (St. Jerome)، (٣٤٢-٤٢٠) لأن يعلق ساخراً بان الرهبان السريان الشرقيين كانوا مهتمين بقذارة اجسادهم بقدر اهتمامهم بطهارة قلوبهم[٤٠].



وتضمنت امثلة اخرى على معاقبة الذات، أن يكون المرء في حركة دائمة، ويقيّد نفسه بسلاسل من الحديد الى صخرة او شجرة، والعيش في صندوق من الخشب الراشح، او ان يتخذ من كهف اشبه بالقبر مسكناً له لما تبقى من حياته. وهذه الممارسة التي تضمنت تلقي الناسك للغذاء والماء الضروري من خلال ثقب صغير وهدم الجدار فقط عندما لم يكن الناسك قد لمس طعامه لشهر، كانت منتشرة ايضاً بين النساك البوذيين في التبت. وتبدو العديد من هذه الممارسات أنها من اصل هندي وبأنها قد وصلت الى بين النهرين بواسطة المانويين. وبدلاً من ان يبنوا حول انفسهم جداراً، فان بعض المتوحدين- وفي الغالب من السريان الغربيين ولكن احياناً من السريان الشرقيين - أثروا الوقوف على اعمدة من الحجر يبلغ



بدءا باواخر القرن الثالث عاش النساك السريان في كهوف كهذه واحيانا بنوا دون انفسهم جدرانا بشكل دائم حيث كان يتم تمرير الماء والخبز لهم من خلال ثقب. كهف النساك كتايفو (Kitayewo) من فترة غولدن هورد (Golden Horde)، (١٢٢٧-١٥٠٢)، قرب كييف، اوكرانيا.

طولها ٢١ متراً معرضين الى التقلبات الجوية واعجاب الحجاج، حتى موتهم.

وقد اشترك الحبساء والانقراطيون والمختارون السريان والمانويون، ليس فقط في مقت العالم المادي وكره حقيقي للجسد — والتي ادانها المصريون، مصادفة، كغاية أنانية في ذاتها والتهاء عن عمل التطهير الروحي[٤١] — بل ايضاً في إدانة متعة الحياة العاطفية كلها. وفي **تأملات في الموت** (Meditatio mortis)، كان المختارون والنساك يتأملون في اثمهم وموتهم. ويتم التعبير عن الحالة المماثلة عاطفياً. وهكذا يقول نصّ مانوي، "تذكر الارتجاف والبكاء والحزن"[٤٢]. ونجد نفس النصيحة في افرام الذي اثنى على الاسى والحزن والمحنة كعلامات على الكمال المسيحي. وإذ لم يضحك يسوع لكنه بكى فعلاً، فان "الضحك بداية الدمار للروح"[٤٣]. وقد كتب يوحنا داليثا بدوره، "احمل نفسك دائماً على الاحتفاظ بالحزن، اقتداء بالمسيح"[٤٤]. وبقدر كون موضوع الحزن آلام المسيح، فهناك تماثل للحزن المفرط احياناً مع الشيعة المسلمين على موت إمامهم **الحسين** (+٦٨٠).

ان نكران الذات هذا لم يكن شيئاً استثنائياً، فقد ورد ذكره في مقتطفات من قانون النسك السرياني.

القانون ٩: "أن اي شبع من الاكل او النوم محضور للمتنسك".

قانون ١٠: "يجب ان يكون المتنسك في حداد، نائحاً وحزيناً ومتألماً".

قانون ١١: "على المتنسك الا يكون فرحاً ابداً او يضحك او يكون في مزاج مرح"[٤٥].

وكان الضحك بالنسبة الى متوحد آخر من اوائل القرن الرابع، يدعى **اودا** (Uda)، الذي رأى **ثيودوريطس** انه كان متأثراً بماني، كان سبباً كافياً لعقوبة **الجرم**[٤٦]. ومثلما رأى **البطريرك ايشوعياب الثاني** بالتجربة، فإن الطريق بين انكار العالم والترويضية المعذبة للحياة والنفس الى الجهل كان قصيراً. وعندما حاول في سنة ٦٣٠ تقريباً ان يفتح مدرسة لاهوتية في **دير بيث عابى (عاوى)** (Beit Abhe) المهم شمال شرق مدينة الموصل، ثار الرهبان قائلين: "قدرنا ان نبكي وننوح ونحن نقيم في زنزاناتنا. فإن قمت ببناء مدرسة هنا فإننا سوف نغادر". فكان على البطريرك ان يتنازل"[٤٧].

ولما كانت الحياة التوحدية تجسد افضل تحقيق للمثل المسيحي، فقد برز هناك سؤال حول وضع مجمل العلمانيين. وعلى ضوء الطبيعة المتطرفة للتوحدية السريانية، فإنه من غير المدهش ان قام ممثلوها الرئيسيون في القرن الرابع بتقسيم الجماعة المسيحية الأخذه في النمو بسرعة الى فئتين او كنيستين: الكنيسة الخارجية الخاصة بمجمل العلمانيين، والكنيسة الداخلية الحقيقية لاكليرس الدرجة الدنيا للمتوحدين والراهبات والاكليرس من الدرجة العليا المتبتلين. وتوضح الكتابات المبكرة، مثل **أعمال توما**، على نحو لا يقبل الخطأ من انه لا توجد حياة مسيحية خارج البتولية[٤٨]. وكان هذا يعني انه كان على الزوجين ان يحلا رباطهما الزوجي، إن هما ارادا ان يتلقيا المعمودية. وقد خاطب **افراهاط السرياني** (+٣٥٠)، في موعظته السابعة المرشحين للعماد هكذا: "كل من قد خطب امرأة ويرغب في ان يتزوجها فليتراجع. وكل من قد نوى على حالة الزواج فليتزوج قبل العماد، وإلا وقع في الكفاح [ضد التجربة] وسوف يقتل، فليتراجع [عن المعمودية]"[٤٩]. وكل من لم يرغب ان يعيش عازباً بقي **موعوظا**.

ومما يتيح المزيد من المعلومات هو كتابا **دمسقاتا** (Ketaba demasqata) **كتاب الدرجات** (Book of Degrees)، الذي ظهر في حدياب في النصف الثاني من القرن الرابع. وهو يقسم المسيحيين الى الاتقياء والكاملين. الاتقياء يسمعون التعليم لكنهم يبقون مستعبدين للعالم المادي يشقون في العمل ويقتنون الممتلكات ويتزوجون، محاكاة لآدم وحواء الذين اعطاهما الله العمل والبلاء والزواج "غاضبا"، لانهما خضعا لتجربة الجسد التي قدمها الشيطان[٥٠]. اما الكاملون، فعلى النقيض من ذلك، إنهم يتبعون المسيح، آدم الثاني، ويحملون صليبه عن طريق الترويض. ومثل الكتابات الاخرى، فإن كتاب الدرجات يحتكم الى كلمات يسوع غير المهادنة (الصلبة): "من أحب اباه او امه اكثر مما يحبني، فلا يستحقني. ومن أحب ابنه او بنته اكثر مما يحبني، فلا يستحقني. ومن لا يحمل صليبه ويتبعني، فلا يستحقني". (متى ١٠: ٣٧-٣٨).

ومحاكاة للمسيح، فإن الصليب، الذي كان يكرم بصورة عامة في كنيسة المشرق كرمز للقيامة، اتخذ معنى مختلفاً، اي معنى الصلب التصوفي لصلب القديس في الصورة المصغرة للتألم. وقد اعلن افرام بأن على المتوحد ان يربط نفسه بالصليب بطريقة بحيث تغدو ممارساته الترويضية مساميراً

وطاعته للقوانين التوحدية بمثابة اكليل الشوك"[٥١]. وهكذا اصبح المتوحدون شهداء.

وبعد ان ينبذ الكاملون العالم يصبحون "غرباء" في هذا العالم ويتلقون البارقليط"[٥٢]. وفي هذا الخصوص ايضا، جعل **يوحنا داليثا** آراءه واضحة: "أتريد ان يلتهب فرح يسوع في قلبك؟ إذن انبذ الفرح الدنيوي. وسوف يدخل المسيح الى قلبك ويقيم هناك، إن كنت قد افرغته اولاً من كل ما هو دنيوي"[٥٣]. وبين العالمين، العالم المادي والروحي للمسيح، لم يكن هناك حل وسط ولا جسر. ورغم ان كتاب الدرجات اقر بعدم امكانية الفصل بين الكنيستين، فقد ذهب الى ان المعمودية الخارجية هي التي يمكن الحصول عليها للأتقياء، بينما يحتفظ بالمعمودية الداخلية للكاملين. وفي مقابل ذلك، فإن الكنيسة الخارجية كانت تمثل العباءة الحامية لكل الناس، لكن الكنيسة الداخلية هي كنيسة المسيح الحقيقية للترويضيين.

ويتضح الى اي مدى كان تشابه الكنيسة هذا وثيق الصلة مع التفرع الثنائي للمانوية من خلال الحضر على العمل للكاملين." ان الرب لا يسمح لمن هو مساعد لكل الانسانية ان يقوم بعمل على الارض". كما ان العمل الجسماني بدافع الشفقة من اجل صالح ابناء جلدتنا من البشر كان هو الاخر ممنوعا على الكاملين. كما ان العمل الجسماني المقام لفائدة الكاملين، محفوظا كعمل صالح للأتقياء. "لا تهتموا [ايها الكاملون]، إذ اطلب الى الاتقياء الذين يحرثون الارض من اجل ان يطعمونكم ويكسونكم"[٥٤]. إن التمييز بين الاتقياء والكاملين يماثل ذاك الموجود في المانوية بين السامعين والمختارين. ومع ذلك، فإن كتاب الدرجات يحذر الكاملين من الغرور و**الروحنة** من جانب واحد: كل من يعتقد بانه، كونه كاملا، يقف فوق العالم الجسدي ويمكنه اهمال الترويضية الجسدية سيتقهقر الى مستوى الاتقياء"[٥٥].

ان هذا التوازي بين المانوية والتوحدية السريانية يوحي بشكل من اشكال التأثير. وفيما يخص ممارسات معينة، يجب البحث عن اصلها بين الترويضين الهندوس والتوحيديين البوذيين. ولما كانت حركة النساك في بين النهرين قد سبقت المانوية، فإن من الممكن تقديم الفرضية بأن الرؤيا المانوية احيت القوى القديمة للجماعات المسيحية التي كانت قد فقدت الاهمية، نتيجة للنمو السريع للكنيسة. وقد شعروا بالقوة في اعتقادهم بأن المختارين الترويضيين وحدهم هم الذين يجسدون روح المسيحية.

وكانت هناك، مع ذلك، تطورات اخرى ايضا. وتوحي المواعظ الباقية لافراهاط وكتابات افرام بالنتيجة بأن الاسرار المقدسة كانت متاحة لجميع الناس، الامر الذي يحول دون انشاء "كنيسة ذات طبقتين". كما كان يسمح للمتزوجين ايضا تلقي المعمودية[٥٦]. وبسبب سرّ التوبة المقدس، كان بامكان الجماعة المسيحية ان تتطور اكثر الى كنيسة للجماهير دون ان تفقد هويتها وتتجنب الحدود الضيقة لجماعة من القديسين المعصومين من الخطيئة افتراضاً. وثمة تطور آخر يقابل المانوية هو ما كان يسمى "اولاد وبنات العهد". وهم لم يكونوا متوحدين بل افرادا تعهدوا بالتزام العفة والعيش جماعياً. وعلى النقيض من المتوحدين والمتوحدات، فقد كرسوا انفسهم للجماعة عن طريق تعليم الانجيل، ومساندة الشمامسة والقيام باعمال الخير، مثل ادارة المستشفيات وبيوت البرص. ولم تكن هذه الجماعات الاستثنائية تخجل من العمل الجسماني. بل كانوا، على العكس من ذلك تماماً، يخدمون عامة الناس بعملهم الجسدي.

القانون ٩: "أن اي شبع من الاكل او النوم محضور للمتنسك".

قانون ١٠: "يجب ان يكون المتنسك في حداد، نائحاً وحزيناً ومتألماً".

قانون ١١: "على المتنسك الا يكون فرحاً ابداً او يضحك او يكون في مزاج مرح"[45].

وكان الضحك بالنسبة الى متوحد آخر من اوائل القرن الرابع، يدعى **اودا** (Uda)، الذي رأى **ثيودوريطس** انه كان متأثراً بماني، كان سبباً كافياً لعقوبة **الحِرم**[46].

ومثلما رأى **البطريرك ايشوعياب الثاني** بالتجربة، فإن الطريق بين انكار العالم والترويضية المعذبة للحياة والنفس الى الجهل كان قصيراً. وعندما حاول في سنة ٦٣٠ تقريباً ان يفتح مدرسة لاهوتية في **دير بيث عابى (عاوى)** (Beit Abhe) المهم شمال شرق مدينة الموصل، ثار الرهبان قائلين: "قدرنا ان نبكي وننوح ونحن نقيم في زنزاناتنا. فإن قمت ببناء مدرسة هنا فإننا سوف نغادر". فكان على البطريرك ان يتنازل[47].

ولما كانت الحياة التوحدية تجسد افضل تحقيق للمثل المسيحي، فقد برز هناك سؤال حول وضع مجمل العلمانيين. وعلى ضوء الطبيعة المتطرفة للتوحدية السريانية، فإنه من غير المدهش ان قام ممثلوها الرئيسيون في القرن الرابع بتقسيم الجماعة المسيحية الآخذه في النمو بسرعة الى فئتين او كنيستين: الكنيسة الخارجية الخاصة بمجمل العلمانيين، والكنيسة الداخلية الحقيقية لاكليرس الدرجة الدنيا للمتوحدين والراهبات والاكليرس من الدرجة العليا المتبتلين. وتوضح الكتابات المبكرة، مثل **أعمال توما**، على نحو لا يقبل الخطأ من انه لا توجد حياة مسيحية خارج البتولية[48]. وكان هذا يعني انه كان على الزوجين ان يحـ... الزوجي، إن هما ارادا ان يتلقيا المعمودية.

وقد خاطب **افراهاط السرياني** (+٣٥٠)، في موعظته السابعة المرشحين للعماد هكذا: "كل من قد خطب امرأة ويرغب في ان يتزوجها فليتراجع. وكل من قد نوى على حالة الزواج فليتزوج قبل العماد، وإلا وقع في الكفاح [ضد التجربة] وسوف يقتل، فليتراجع [عن المعمودية]"[49]. وكل من لم يرغب ان يعيش عازباً بقي **موعوظاً**.

ومما يتيح المزيد من المعلومات هو **كتابا دمسقاتا** (Ketaba demasqata) **كتاب الدرجات** (Book of Degrees)، الذي ظهر في حدياب في النصف الثاني من القرن الرابع. وهو يقسم المسيحيين الى الاتقياء والكاملين. الاتقياء يسمعون التعليم لكنهم يبقون مستعبدين للعالم المادي يشقون في العمل ويقتنون الممتلكات ويتزوجون، محاكاة لآدم وحواء الذين اعطاهما الله العمل والبلاء والزواج "غاضباً"، لانهما خضعا لتجربة الجسد التي قدمها الشيطان[50]. اما الكاملون، فعلى النقيض من ذلك، إنهم يتبعون المسيح، آدم الثاني، ويحملون صليبه عن طريق الترويض. ومثل الكتابات الاخرى، فإن كتاب الدرجات يحتكم الى كلمات يسوع غير المهادنة (الصلبة): "من أحب اباه او امه اكثر مما يحبني، فلا يستحقني. ومن أحب ابنه او بنته اكثر مما يحبني، فلا يستحقني. ومن لا يحمل صليبه ويتبعني، فلا يستحقني". (متى ١٠: ٣٧-٣٨).

ومحاكاة للمسيح، فإن الصليب، الـ... يكرم بصورة عامة في كنيسة المشـ... للقيامة، اتخذ معنى مختلفاً، اي معنـ... التصوفي لصلب القـ... المصغرة للإنـ...

وكحصيلة ثانوية، إن صح التعبير، للتبادل الديني في ذلك الوقت، فإن رواية **برلام ويوشافاط** (Barlaam and Josaphaat) التوحدية المنسوبة الى **يوحنا الدمشقي** (٦٧٠ تقريبا- ٧٤٩ تقريبا)، وصلت الغرب. ولم يكن هذا الكتاب التديّني، والذي تم تداوله بلغات عديدة، على كل حال، إلا مجرد تكييف لسيرة حياة **بوذا شاكياموني** (Bhuddha Shakyamuni) للظروف المسيحية. وهنا ايضاً يريد امير هندي ان يمنع ابنه يوشافاط، من اعتناق المسيحية. وهو يحاول حمايته، لكن يوشافاط يصادف ضريراً وأبرصاً وشيخاً ضعيفاً وجثة. ثم يقابل الامير المتشكك برلام المتوحد حيث يترك على اثر ذلك عائلته وقصره ويعيش بعد ذلك متوحداً. وكانت هذه الاسطورة من الشهرة في اوروبا ما جعل **البابا سكستيوس الخامس** (Sixtius V) يعلن برلام ويوشافاط قديسين، وأعلن السابع والعشرون من كانون الاول تذكاراً لهما. ولم تتجلى الحقيقة الا في القرن التاسع عشر، وقد جرى تبني الرواية من قبل المانويين في آسيا الوسطى الذين قاموا بنقلها بعد ذلك الى الاسلام، الذي نقلها الى المسيحية[٥٧].

صلاح الطبيعة البشرية ومسألة الخطيئة الاصلية

ويظهر تأثير آخر دائم اكثر للفكر المانوي فيما يتعلق بمسألة الخطيئة الاصلية، ليس في العالم السرياني الشرقي، بل في كنيسة الروم اللاتين، لكن كنيسة المشرق رفضت هذه الفكرة. وتوجد نقطة البداية في مواعظ اللاهوتي العلماني والترويضي **بيلاجيوس** (حوالي سنة ٣٥٤- وبعد سنة ٤١٨) الذي كان مقره في روما، التي انتقد فيها بشدة الاخلاقية البالية للمسيحية. وهنا انتقد عقيدة الخطيئة الاصلية للاسقف **اوغسطينس** (Bishop Augustine) المتنفذ (٣٥٤-٤٣٠) من **هبو** (Hippo)، (في الجزائر الحالية)، طالما ان اعتقاد الاخير في أثم طبيعي للانسان وضرورة نعمة الله التي لا يستغنى عنها كانت تخدم الانسان ذا الارادة الضعيفة كذريعة للأخلاق الفاسدة. وقد وضع قناعة الارادة الحرة للانسان إزاء عقيدة الخطيئة الموروثة من ادم، والتي ادت الى الفسوق وقدر من يتلقى نعمة الله. وكانت الخطيئة بالنسبة له تمثل عملاً متعمداً تمنعه الشريعة الالهية، لكن خيار إطاعة او عدم إحترام تلك الشريعة، كانت تبقى ضمن القوى الراشدة للفرد. إن الخطيئة الاصلية بالنسبة لبيلاجيوس، كما هو الحال بالنسبة **لثيودورس المصيصي**، لم تكن تؤدي الى وسم سلبي عالمي لكل البشر، بل في فقدان الحال الفردوسية الاصلية. إن التأثير الحاصل للخطيئة الاصلية ليس وراثة آلية بل اتجاه نحو المحاكاة، التي تبطلها نعمة الله ومؤسسات الكنيسة[٥٨]. ان القناعة من ان البشر يستطيعون، عن ارادة حرة، ان يفعلوا الخير ويرفضوا الشر، تشكل الاساس لانثروبولوجيا متفائلة، والتي تعزو الى الشخص البشري طبيعة صالحة من حيث الجوهر، والتي يمكن، مع ذلك، ان تقاد الى الخطأ بسبب نقاط ضعفها.

إن وجهة النظر هذه تعارض إعتقاد اوغسطينس، التي يكون الله فيها الواهب المطلق للصلاح. وعليه، فإن كل الصلاح الذي نقوم به يمكن ان يأتي من الله فقط، واننا نستطيع ان ننعت اخطاءنا بانها خطايانا الخاصة بنا. إن الخطيئة الاصلية لآدم، بالنسبة لمعلم الكنيسة اوغسطينس، والغلطة

المصاحبة لها تُنقل للبشرية المائتة الان، التي هي ملعونة الى الابد، عدا جماعة المختارين.

إن انتقال الخطيئة الاصلية يحدث بواسطة الانجاب، الذي يُغذى بواسطة الشهوة الحيوانية[٥٩]. ورغم ان عقيدة بيلاجيوس وجدت قبولاً واسعاً بين المؤمنين وتم تثبيتها على إنها صحيحة من قبل **البابا زوسيمس** (Pope Zosimus)، (شغل الكرسي في ٤١٧-٤١٨)، فإن مكايد اوغسطينس نجحت في كسب دعم **الامبراطور اونوريوس** (Emperor Honorius). وكان على زوسيموس ان يذعن ويؤكد لعنة بيلاجيوس التي كانت قد اعلنت في سنة ٤١٨ اثناء مجلس قرطاجة المحلي.

ثم عارض **الاسقف يوليانس الاقلانومي** (Bishop Julian of Aeclanum)، (٣٨٠- حوالي ٤٥٠)، وخسر ابرشيته في حوالي سنة ٤٢١ والتجأ الى **نسطورس** في سنة ٤٢٨. وقد حمل يوليانس على العلاقة الاوغسطينية بين الخطيئة الاصلية والنشاط الجنسي ـــ لحقيقة انها لعنت البعد الجسدي للانسان- والتزمها الحياد الاخلاقي للغريزة الجسدية في الانجاب. إن لعنة ما هو جسدي، بالنسبة ليوليانس على انه سيء من حيث الجوهر كان بمثابة إرتداد الى الثنائية المانوية. وكان اتهام يوليانس قابلاً للفهم ليس من الناحية الحقيقية، بل ايضاً من ناحية السيرة الشخصية، طالما ان اوغسطينس كان مستمعا مانويا لما لا يقل عن تسع سنوات قبل دخوله الكنيسة في سنة ٣٨٦. إن محاضرات **شيشرون** في **هورتنسيوس** (Hortensius) هي التي ثبتت اوغسطينس اليافع في نظرته المتفائلة الى العالم. "ليس مفسرو الروح مخطئين ابداً [إن] هم اكدوا على اننا قد ولدنا من اجل ان نكفر عن الاساءات التي اقترفناها في حياة مبكرة".

ومثلما كان "القراصنة الاترورين يوثقون اجساد [سجنائهم] بالجثث، كل واحد قبالة الاخر، فكذلك نفوسنا مربوطة باجسادنا، مثلما كان الاحياء هؤلاء مربوطين بالموتى"[٦٠].وفي الحقيقة، فإن اقوال شيشرون والاعتقاد المانوي بالمسؤولية الاساسية للجسد المادي، والعقيدة الاوغسطينية للخطيئة الاصلية تعبر عن نفس الافكار بتعابير مختلفة.

ويمثل ثيودورس المصيصي، ومعه كنيسة المشرق موقفا مختلفا، يقترب كثيرا من موقف بيلاجيوس. وفي كتابه **ضد اولئك الذين يدعون بان البشر يخطاون بالطبيعة وليس بالارادة**، يرى ثيودورس بانه ليس هناك خطيئة موروثة من ادم لكل نسله. إن ظاهرة الخطيئة ليست من عمل الطبيعة الصالحة بالوراثة ولكن القابلة للموت، بل نتيجة الارادة الحرة. فلو كان الانسان مولوداً وهو خاطيء لما عُدّ مسؤولاً من قبل الله. ليست الخطيئة موروثة بل تمثل بالاحرى الاهمال المتعمد للشريعة الالهية، الناتج عن الضعف البشري في ضوء محدوديتهم وقابليتهم للموت. ولشخص الانسان ميل نحو الخطيئة ولكن ليس مجبراً على ذلك. "إن الموت يضعف طبيعة البشر ويولد فيها ميلاً كبيراً نحو الخطيئة"[٦١] ومع ذلك، فقد اكد ثيودورس على ان الكائن البشري الضعيف بحاجة الى الاسرار المقدسة للكنيسة ونعمة الله التي تمنحها تلك الاسرار. "وبعد ان يُعدّون مستحقين للنعمة [من قبل الله]، يمكن لهم [البشر] بعد ذلك ان يقوموا باسهاماتهم معه، مظهرين خياراتهم الذاتية لجعلها متناسبة مع النعمة"[٦٢]. وثمة قياس مماثل شائع بين النساطرة في آسيا الوسطى والصين من ان الخطيئة مرض شفى منه المسيح المؤمنين برسالته ومثله.

وكان احد معاصري ثيودورس، وهو **البطريرك يوحنا الذهبي الفم**، هو الاخر مقتنعا من ان الارادة الحرة للإنسان يجب ان تدعم النعمة بفعالية: "إن رغبة الفرد غير كافية إن لم يمنح عونا خارقا للطبيعة، كما ان المساعدة الخارقة للطبيعة لا تجدي عندما تفتقر الى الارادة الصالحة. ولهذا اطلب منكم ألا تناموا وتتركوا كل شيء على الله"[٦٣]. وقد اكد السرياني الشرقي **اسحاق النينوي** (Isaac of Nineveh) ايضاً على الصلاح الحقيقي للطبيعة البشرية، والتي تستعيد كمالها الاصلي من خلال موت وقيامة المسيح[٦٤]. وقد عبر المتصوف النسطوري **ربان يوسف** (Rabban Yousif) (٨٦٩-٩٧٩) وجهة نظر مشابهة: "النفس عاقلة ومفكرة وروحية بالفطرة مثل مرآة مصقولة غير متصدعة قد لوثت خارجياً بواسطة الخطيئة الاولى، ولكن لم تتلوث في طبيعتها. لان الخطيئة الاصلية لم تكن من الجسامة بحيث تفسد طبيعة النفس، وقد أدت الى حدوث تلطخ خارجي غير جوهري. إن [المتصوف] يوجه كل جهوده نحو تنظيف وصقل مرآة نفسه"[٦٥]. وقد كانت هذه الجوانب الانثروبولجية المتفائلة، هي التي اكدت عليها كنيسة المشرق خلال عملها الإرسالي في الصين، من اجل الدخول في حوار غريب مع **الطاوية**[٦٦].

وقد رفض المفريان اليعقوبي المشهور **ابن العبري** (Bar Hebraeus) ايضاً الخطيئة الاصلية، واكد على الارادة الحرة للانسان، وعارض في حواراته قبول كل من الخطيئة الاصلية والافكار المسيحية والاسلامية حول القضاء والقدر. فالإنسان، بالنسبة له، يمكن ان يقوم بكل من الخير والشر، طالما ان الشر ليس من عمل الطبيعة بل الشريعة. "وإلا فانه ستكون هناك مقولتان فقط – ماهو ضروري وما هوغير ضروري- ولن يكون هناك مجال يترك لما هو ممكن"[٦٧].

إن مسار التاريخ، من منظور الفكر النسطوري، ليس خلاصاً من الاثم بل بالاحرى وحي الله المستمر وتجلي للخليقة. وليس آدم في هذا السياق سبباً للخطيئة الاصلية والتعاسة الدنيوية، بل يمثل بدلاً من ذلك اول مثال للسؤال الذي لم يكن من الممكن الاجابة عليه حول الفرق بين الخير والشر. إن **كتاب البرج*** يروي، "أن الله، ملك التاريخ، أراد ان يكشف مجد الانسانية والاستجابة الى رغبة آدم في معرفة الخير والشر. فأخذ منه [من آدم] الجوهر، من اجل ان يتجلى المشيحا في كرامة ومجد في جسده. ورفعه الى السماء ومنحه القوة والمجد الملكي الى الابد. ثم منح [الانسانية] من خلال تجسد [المسيح] الذي ادى الى التأليه، ذلك الصلاح والنعمة التي كان قد منحها له [آدم] منذ البدء"[٦٨].

يسوع المسيح آدم الثاني، وشجرة الحياة وصليب القيامة

إن المقدمة المنطقية الضرورية لفكرة العودة الى الحالة الاصلية لآدم قبل الخطيئة الاصلية، البارزة في اللاهوت السرياني، هي دور المسيح كآدم ثان، التي يطرحها بولس. "كان آدم الانسان الاول نفساً حياً وكان آدم الاخير روحاً يحيى"[٦٩] إن هذا الموضوع مع فكرة الصليب المرتبطة به كشجرة الحياة، قد استنبطت بصيغة أدبية من قبل احد تلاميذ افرام في "كهف الكنوز"، وهي عبارة عن سلسلة منذ آدم الى المسيح. وهي تبدأ بخلق آدم ودخوله الجنة، وتروي عن "شجرة

* كتاب المجدل

مخالفة الشريعة [شجرة المعرفة]، التي يقيم فيها الموت القاتل"[٧٠] وتقف كتوأم لها، ان صح التعبير، "شجرة الحياة في وسط الفردوس، والتي هي نموذج لصليب الخلاص، شجرة الحياة الحقيقية"[٧١]. وفي وقت الطرد من الجنة، كشف الله لآدم بان المسيح سوف يتألم بدلاً منه. وبعد اولاد **شيت**، نزل الابن "الكامل" لآدم من كهف الكنز الى العالم المظلم لذرية قائين وهناك انظم اليهم– ويمكن للمرء ان يرى الفكرة الرئيسية، التي تذكر بالمانوية، للمزج التعيس بين النور ومادة الشر– وقد نفذ الله اول يوم للدينونة على شكل طوفان. لكن **نوح** وضع جسد آدم في وسط السفينة، كبشير مخلص للمسيح. ثم ذهب **سام** ابن نوح الى الجلجلة، "مركز الارض" ووضع جسد آدم هناك. "ثم انشطرت اربعة اجزاء من بعضها البعض، وانفتحت الارض على شكل صليب"[٧٢]. ثم فسرّ المؤلف ذبيحة **ابراهيم** لابنه **اسحاق في** الجلجلة "كتمثيل لموت المشيحا على الصليب"[٧٣]. وإن سلم يعقوب الى الجنة "تمثل ايضا صليب المخلص"[٧٤].

وفي الختام، فإن ألم المسيح يقدم كنظير لسقوط آدم وحواء. "وفي احد ايام الجمعة استولى الموت عليهم [آدم وحواء – اي، البشر]، وفي يوم من ايام الجمعة تم افتداؤهم من سلطانه". "في احد ايام الجمعة كان الباب الى الجنة مغلقاً، وفي يوم الجمعة فتح". "لقد اصبح المشيحا مثل آدم في كل الاشياء"[٧٥]. ولان صليب المشيحا– الذي صيغ، وفق تقليد آخر، من شجرة المعرفة[٧٦]– نصب فوق قبر آدم الشبيه بالصليب، فقد تلقى المعمودية من المخلص[٧٧]. وقد كتب افرام في كتابه **اناشيد الفردوس**، باختصار وبما لا يقبل الشك، "لقد وجد آدم مفتاح الجنة مرة اخرى بواسطة شجرة الصليب"[٧٨]. بيد ان الكنيسة، على اية حال، وكما كان قد اعلن موسى، اصبحت فردوسا على الارض[٧٩]. إن تحول الافكار الثنائية لادم وشجرة المعرفة الى المسيح، وشجرة الحياة، والصليب، تتطابق مع تلك التي لحواء في تحولها الى ام الله والكنيسة. وفي نشيد آخر ذهب افرام الى ان، "سبب الموت كان رجلا وعذراء وشجرة. لكن رجلا آخر وعذراء اخرى وشجرة اخرى تغلبوا على الموت"[٨٠]. وهكذا فإن ثنائي آدم وحواء حلّ محلهما ثنائي آخر، المسيح والكنيسة.

ان الصليب رمز قديم للبشرية، سبق المسيحية. وهو الذي يرمز، مثل الربط للجزئين من النقاط المتضادة، اتحاد الاضداد. وقد وضح الارساليون النساطرة علامة الصليب بهذه الطريقة للموعوظين[٨١]. وفي المجال الثقافي الهندي والبوذي، كان الصليب على هيئة الصليب المعقوف، الدوامة الاولى او الشمس. وفي مصر كان الصليب ذو المقبض، الذي تبناه المسيحيون الاقباط، يمثل الحياة والخصب.

اما صليب انطونيوس، المألوف في آشور، فقد كان يرمز الى محور العالم، والصليب المالطي، المحاط بدائرة، فقد كان يمثل الشمس. إن الصلبان التي تعود الى اكثر من ٦٠٠٠ سنة على اواني السيراميك من عيلام في جنوب غرب ايران، هي الاخرى في اكبر الظن رموز للشمس. ولان الصلب في منطقة الشرق الاوسط، كان شكلاً مخجلا من اشكال الاعدام، كان يحتفظ به للعبيد وغير الرومان، فإن المسيحيين الاوائل كانوا يتجنبون الرسوم التصويرية عن آلام المسيح. وقد ظهرت الرموز الاولى للمخلص بنهاية القرن الثاني في سراديب الموتى. ولم تظهر زينات القبور هذه رمز الموت على

نحو خاص، بل رمزاً للخلاص على شكل مرساة[٨٢].

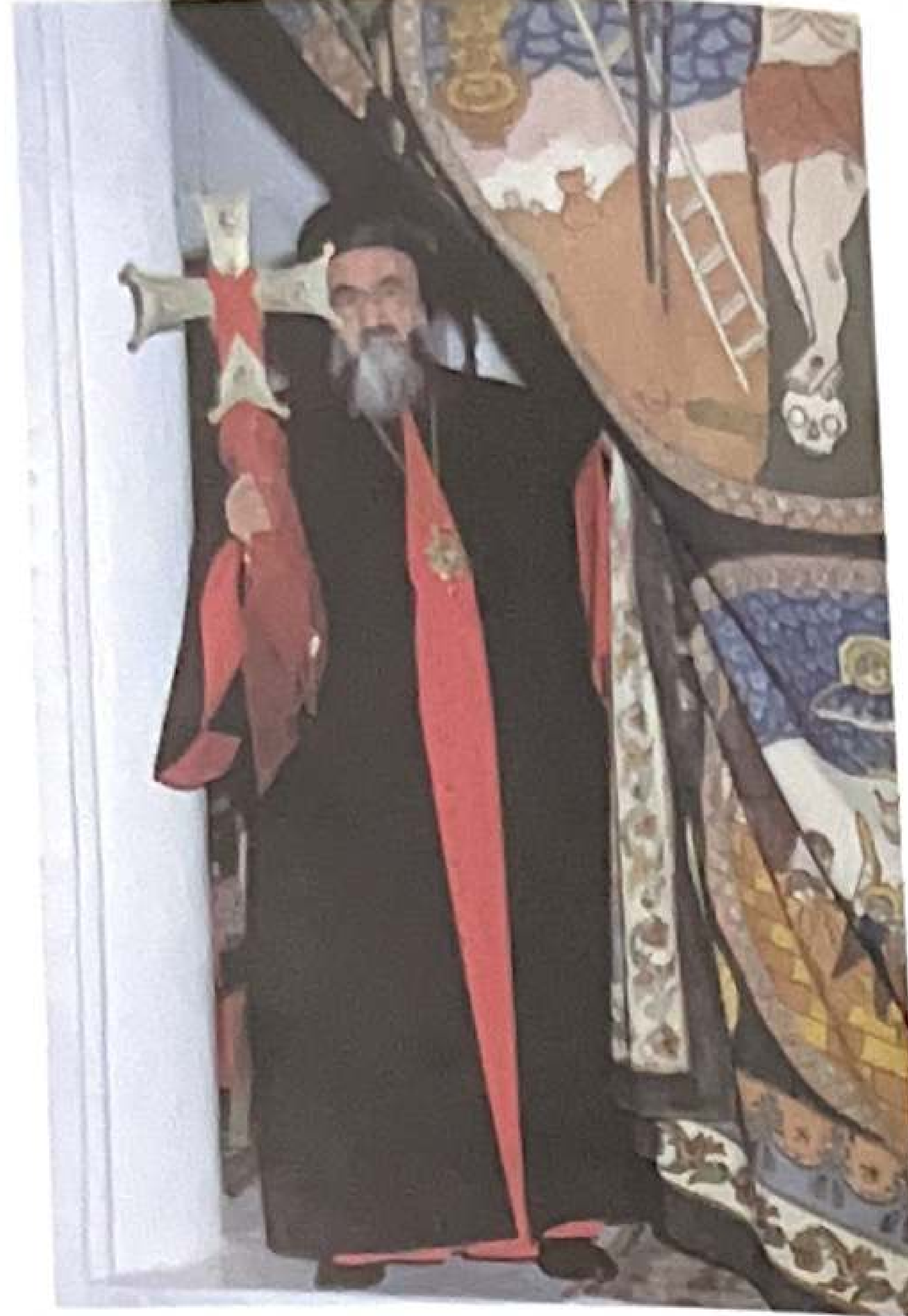
وقد مكنت رؤيا **الامبراطور قسطنطينوس**، التي اظهرت له الاحرف الاولى من اسم المسيح وهي متشابكة "بهذه العلامة ستنتصر"، أول الامر من تغير فضيحة اله مصلوب[٨٣]. إن الصورة الشائعة لإكليل الغار فوق الاحرف الاولى المتشابكة من اسم المسيح أو الصور الاخرى للصليب بدون شكل المصلوب، كانت لا شك رموزاً على انتصار المسيح وأملاً للمؤمنين. وقد ظهرت من نفس الروحية تلك الصور التي يجلس فيها المسيح على عرش مزين بالاحجار الكريمة، صفة للاباطرة الرومان وزيوس- جوبيتر[٨٤]. واول صورة لمصلوب عبارة عن كاريكاتير ذي معنى وثني من اوائل القرن الثالث، يظهر الشكل المصلوب برأس حمار[٨٥]. واولى الاقترابات الحذرة لصورة المسيح المصلوب عبارة عن لوح من العاج يعود الى سنة ٤٢٠ تقريباً، والباب الخشبي لكنيسة **القديسة سابينا** في روما يعودان لسنة ٤٣١ تقريباً. ويبدو يسوع في كلتا الحالتين غير متألم على وجهه تعبير مرتاح، ولا يكاد الصليب يظهر على باب الكنيسة. وتعود الصور الاولى للصلب الى أواخر القرن السادس[٨٦]- اي، منذ كانت كنيسة المشرق قد إنفصلت عن الكنائس الغربية لوقت طويل.

وتكرم كنيسة المشرق صليب القيامة الاصلي المجرد فقط، وترفض المصلوب كعلامة على المعتقد الهرطوقي في تأمل الله. بهذه الروحية اعلن **الجاثليق مار شمعون السابع** (شغل الكرسي في ١٨٢٠-١٨٦١) لعالم جيولوجي بريطاني ومرسل كلداني في سنة ١٨٤٠، "لقد تألم المسيح مرة ثم دخل المجد، ولن يتألم مرة اخرى ولن يموت مرة اخرى. إن صوراً كهذه هي من أعمال غير المؤمنين، الذين يريدون صوراً لألم المسيح، وليست من أعمال المسيحيين، الذين يفرحون بانتصار المسيح على الموت من خلال آلمه وموته"[٨٧]. ويتمتع الصليب في كنيسة المشرق باعظم الاحترام، لانها الكنيسة الوحيدة التي تدرج علامة الصليب بين اسرارها المقدسة. ولا يمكن لأي سرّ ان يمنح، ولا القيام بأية عبادة بدون علامة الصليب، طالما انه شعار خلاصنا"[٨٨]. كما ان للصليب معنى مسيحاني بارز، طالما انه سوف يعلن، في نهاية الزمان، كصليب نور المجيء الثاني، عودة المسيح[٨٩].

وبقدر ما ترمز فيه شجرة الحياة الى أهمية المسيح كآدم ثان، فإنه ليس من قبيل الدهشة ان يكون الصليب ذو الاوراق، وصليب اللؤلؤ أن يطغيان بين السريان الشرقيين، كما تشهد على ذلك امثلة من بين النهرين وايران[٩٠]. وفي كلتا الحالتين ترمز الصلبان التي تظهر عند نهايات اللآلىء الثلاثة الى كل من شجرة الحياة والثالوث. وقد ظهر في الصين أخيراً تركيب غريب يجمع بين الأديان، حيث تم اغناء شكليّ الصليب بعناصر رمزية من البوذية والطاوية والزرادشتية[٩١].

الاسرار المقدسة في كنيسة المشرق

يشار الى "السر المقدس" في كنيسة المشرق بكلمة (رازا)، التي ترتبط جذورها الايتيمولوجية بالكلمة اليونانية **ميستيريون** (mysterion) اكثر منها باللاتينية **ساكرمنتوم** (sacramentum). وقد كتب ثيودورس المصيصي قائلاً، "يتألف كل سرّ مقدس في تمثيله لاشياء غير مرئية واشياء لا يمكن البوح بها من خلال علامات



يقوم رئيس الأساقفة السريان الأرثوذكس طيماثاوس صموئيل ثكاس، بعرض صليب القيامة قبل شروق الشمس بوقت طويل، عند بدء قداس القيامة. وفي يوم الجمعة العظيمة، كان يتم وضع الصليب في وقار في كفن كان يتم وضعه فوق مدخل الكنيسة عند نهاية التطواف، وكان كل المؤمنين يمرون من تحت الصليب ويشربون شراباً مراً احياءً لتذكرى الكاس المرة للمصلوب. وبعد صلاة العبادة ليوم الجمعة العظيمة، كان يتم وضع الصليب في مشكاة في المذبح ويتم سدها بإحكام. وفي احد القيامة يستخرج الصليب من الكفن، ويغسل بماء الورد ويلف بقماش احمر. وهذا يرتبط باعلان الحكم النهائي من قبل اشعيا (اش ٦٣: ١-٦). ويتم تثبيت الصليب قرب المذبح ويحمل بشكل احتفالي الى جميع انحاء الكنيسة قبل الاوخارستيا. ويبقى في قماشه الاحمر بجانب المذبح حتى عيد الصعود. كاتدرائية مارت شموني في مديات، طور عابدين.

وشعارات"[٩٢]. وتستند على أساس فعل الايمان في النعمة الالهية. وفي الفعل الرمزي الليترجي يتم التأمل في مفهوم سرّ الخلاص الالهي بشكل ملموس في كونه يحي ثانية العمل الخلاصي للمسيح، ويشير في الوقت ذاته الى القيامة الاتية. والمسيح في السرّ هو الممثل الحقيقي، "حبرنا الاعظم الابدي"، الذي "تحل تضحيته طقوس العبادة للكهنوت الاهروني في العهد القديم"[٩٣]. ويتلقى المؤمن تعبيراً عن النعمة الالهية بواسطة أسقف او كاهن، تعبيراً لنعمة آلهية من خلال قوة الروح القدس.

وقد بدأت كنيسة المشرق، شأنها شأن الكنائس الاخرى، باستخدام تلك الاسرار اولاً التي يمكن اقتفاء اثرها الى المسيح، دون اعتبار لعددها. وهكذا على سبيل المثال، اعترف **يوحنا الدمشقي** بسرّين، و **برنردس الكليرفوي** (Bernard of Clairvaux) (+١١٤٢) باحد عشر سرا، **وهيو** (Hugh) من القديس فكتور بثلاثين سرا. وكان الاسقف **بطرس لمباردي** (+١١٦٠) اول من سمى الاسرار المقدسة السبعة التي اقرها **مجمع ترنت** (Council of Trent) أخيراً في سنة ١٥٤٧. وفي وقت مبكر من القرن الرابع عشر دفع هذا النقاش المدرسي باللاهوتيين النساطرة **مار عبديشوع النصيبيني** (+١٣١٨) والبطريرك **طيماثاوس** الثاني (شغل الكرسي في ١٣١٨-١٣٣٢) الى تحديد عدد الاسرار المقدسة، بغالبية قائمة عبديشوع[٩٤].

ومن أهم اسرار كنيسة المشرق المعمودية، والاوخارستيا، الى جانب رتبة الكهنوت التي تمثل الشرط المسبق لمنح الاسرار للمؤمن، وعلامة الصليب التي تختمها[٩٥]. وقد عرف مار عبديشوع درجة الكهنوت على انها "وساطة بين الله والانسان في تلك الاشياء التي تمنح مغفرة الخطايا، وتحمل البركة وتبعد غضب [الله]"[٩٦]. وعلى المرشح ان يكون قد تجاوز الثلاثين من العمر، ومتزوجاً، وذا سمعة فريدة، ومستويات رفيعة من الاخلاق. وتكمن قيمة درجة الكهنوت في وظيفتها التوسطية للمؤسسة رسولياً بين الله والمؤمنين[٩٧]. وقد رمزت المعمودية، التي كانت تصادف في ايام **افراهاط** في عيد الفصح فقط وكمعمودية للكبار، الى الميلاد الثاني في مشاركة الكنيسة. ولما كانت المعمودية تحرر المرء من كل الخطايا، فإن الكثيرين من الناس من كل الكنائس، كانوا يميلون الى ان يعمدوا فقط وهم على فراش الموت- اي في لحظة

مقارنة الاسرار المقدسة المعترف بها

مجمع ترنت	مار عبديشوع	البطريرك طيماثاوس الثاني
العماد	العماد المتبوع بالمسحة (٢)	المعمودية متبوعة بالمسحة (٣)
التثبيت	الاوخارستيا (٤)	الاوخارستيا (٤)
الاوخارستيا	الحلّ (٥)	قارن الدفن (٦)
التوبة	قارن زيت المسحة (٣)	الكهنوت (١)
المسحة الروحية	الكهنوت (١)	الزواج (٧)
الرتب	الزواج (٧ب)	تقديس الكنيسة (٢)
الزواج	الخميرة المقدسة (ملكا) (٦)	
	علامة الصليب (١٧)	

لا تكون فيها فرص للخطيئة. وفي كنيسة المشرق كان يفضل منح المعمودية للبالغين الشباب، لكن ظروفاً خارجية غير معروفة غالباً ما جعلت المعمودية العامة للبالغين مستحيلة، وهكذا استبدلت بدءاً بالقرن الثاني عشر بمعمودية الاطفال[٩٨].

ومثلما يبدأ وجود البشر بالميلاد ويسند بالغذاء، فكذلك تبدأ الحياة المسيحية بالمعمودية وتغذى بالافخارستيا. ولما كانت الافخارستيا الاستمرار المنطقي للمعمودية، فإن التناول الاول في كنيسة المشرق يأتي بعد المعمودية مباشرة، ويرتبط مباشرة ايضاً بالتثبيت[٩٩]. وفي كنيسة المشرق اليوم، كما قد لاحظ المؤلف، عدة مرات، يحدث العماد بثلاثة خطوات. فبعد قراءة العديد من النصوص والاناشيد والقانون النيقاوي، يطلب الاسقف او الكاهن حضور الروح القدس في زيت المسحة، حيث يجري بعد ذلك مسح الطفل بالزيت لاول مرة. إن مسحة التطهير هذه هي الخطوة الاولى التي يخطوها انسان آدم نحو انسان المسيح.وفي الخطوة الثانية يستخدم الكاهن الزيت المقدس لرسم علامة الصليب ليرمز الى الثالوث، على صدر المرشح للعماد، ويدعو الروح القدس للحلول في ماء بيت العماد، ويقوم بتغطيس الطفل تماماً ثلاث مرات. ثم يلي ذلك مسحة اخرى بالميرون المقدس عند بداية خدمة العبادة، التي تقام في صحن الكنيسة[١٠٠]، وهذا هو التثبيت، ذروة العماد. وأخيراً يتلقى الطفل المعمد حديثاً التناول الاول. وفي كنيسة المشرق يتم تلقي القربان بنوعيه، الخبز والخمر. وفي الاحتفال بالأسرار المقدسة المذكورة، وفي التكريم الخاص لصليب القيامة، نرى بان كنيسة المشرق قد احتفظت بالعديد من التقاليد المسيحية القديمة التي يكاد عمرها يبلغ الألفيتين.

وبحسب ما يذهب اليه مار عبديشوع، فإن القربان المقدس، يرمز الى ذبيحة المسيح، ويحل محل "قرابين حيوانات غير عاقلة ودم اجسادها". ولان المسيح، قدم جسده [مثل] ذبيحة لابيه عن حياة العالم، فقد سمي من قبل يوحنا [المعمدان] حمل الله



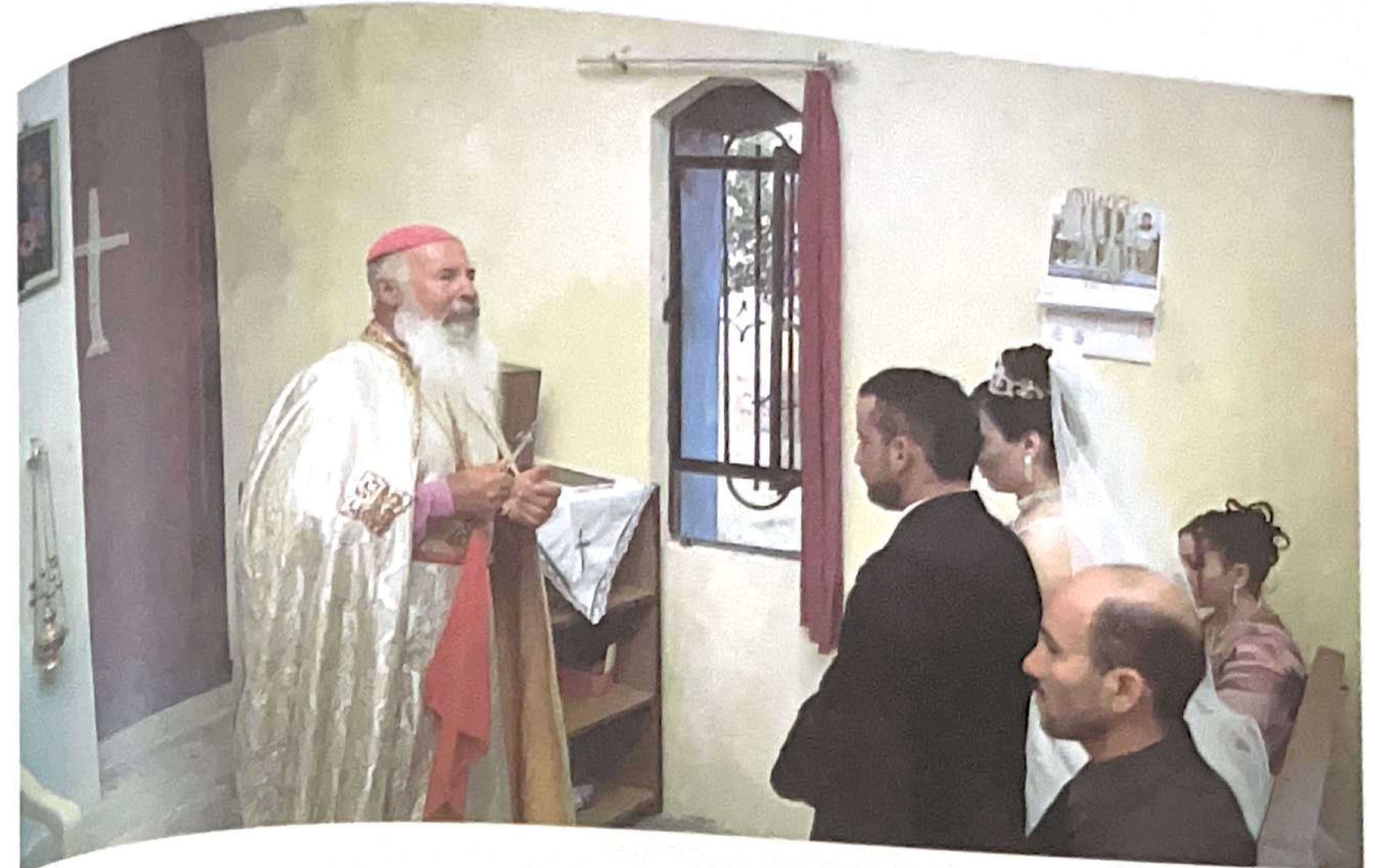
اليمين: مطرافوليط كنيسة المشرق في الهند، مار ابرم، وهو يعمد طفلة في حجرة الاجتماعات في كنيسة مار اداي في تريخور (Trichur)، كيرالا (Kerala). ويتم تعميد الاولاد بعد اربعين يوماً من ميلادهم والبنات بعد ٥٦ يوماً من الميلاد. ويتلو التثبيت والتناول الاول العماد مباشرة.



اليسار: القربان المقدس في مناولة القربان المقدس في كنيسة مار نرساي، تريخور، كيرالا.

الذي حمل خطايا العالم[١٠١]. وهذا الاستبدال والتغلب والانتصار على كبش الفداء اليهودي بحمل الله يستذكر اليوم في العادة، التي تمارس في بعض المناطق النائية في مناسبات معينة مثل المأتم، والتضحية بالخراف أمام مدخل الكنيسة، ورسم صلبان صغيرة على الاسكفة بدمه[١٠٢]. وعلى النقيض من الكنائس الغربية التي تستخدم خبزاً غير مخمر للقربان، فإن الكنائس السريانية تستخدم الخبز المخمر بالخميرة. كما يتم تقديس خبز الخميرة المتخمرة المسمى **ملكا** من قبل الاسقف في خميس الفصح (خميس الغسل) وتستلم كل كنيسة من كنائس الابرشية قطعة منه. ويجب ان يستخدم جزء من هذه القطعة لانتاج خبز الافخارستيا، طالما ان **ملكا** يمثل العلاقة غير المقطوعة بالخبز الذي باركه المسيح في العشاء الاخير. وتحدث مغفرة الخطايا على شكل كفارة علنية يعقبها حلّ عام وليس على شكل اعتراف شخصي. واخيراً تختتم علامة الصليب، بسبب قوتها في ترميزها الى القيامة والثالوث، جميع الاسرار الاخرى. كما تتجلى مكانتها ايضا في **كتاب البرج**، الذي يصور الانجيل وعلامة الصليب والعماد والافخارستيا كأربعة أعمدة للمسيحية[١٠٣].

وليست مسحة المرضى في كنيسة المشرق، ولا الزواج سرّاً مقدساً، فهم يستخدمون بدلاً من الاول **حنانا** (hanana)، الذي يتألف من مزيج من الزيت والماء والتراب من ضريح قديس او شهيد. ويمنح الحنانا ليس فقط للمحتضر بل ايضا للمرضى والعاقرات. ورغم ان مار عبديشوع لم يضمن الزواج بين الاسرار المقدسة، فقد سماه "حالة مقدسة". وهو غير قابل للحل عدا حالات الخيانة، والجنون، والقتل،



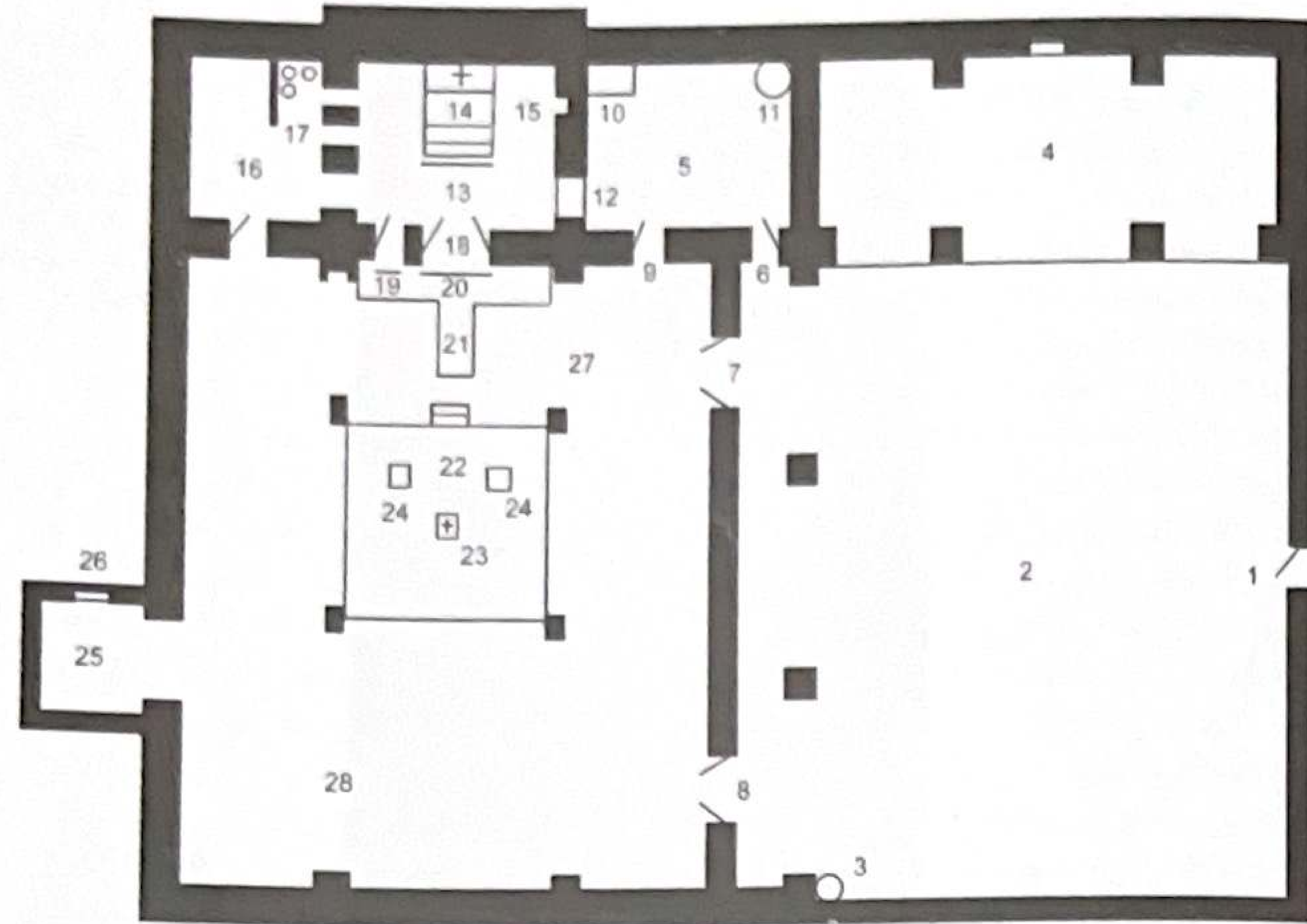
مطرافوليط كنيسة المشرق القديمة من الموصل، مار توما كيوركيس، يحتفل بزواج في كنيسة مار كيوركيس في هيزاني، شمال العراق.

والهجر[١٠٤]. واليوم يبارك الزواج من قبل كاهن ضمن سياق احتفال افخارستي*.

فن العمارة الكنسية ورموز الليترجيا في الفضاء والزمان

مازال الرمز القديم لتقسيم الفضاء في الكنيسة، ومسار الزمن في العبادة الليترجية حياً في كنيسة المشرق. ويعكس فن العمارة الكنسي المحور الكوني من الارض الى الفردوس، وتعيد الليترجية الى الحياة زمنياً تاريخ الخلاص بأسره، منذ الخليقة الى التجسد والعماد والصلب والقيامة. والليترجية في السريانية تسمى **قربانا**، التقدمة الذبائحية، لانها تذكر بذبيحة المسيح وعمله الخلاصي. وبقدر تكوين المؤمنين الجسد السري للمسيح، فإنهم، اثناء القربانا، مشاركون في الحدث الذبائحي، وهم ذاتهم جزء من الذ

* في كنيسة المشرق الأشورية لا تعتبر رتبة الزواج سرّ من الاسرار الكنسية السبع. لذلك لا يقرأ الانجيل المقدس ولا يتناول العروسان القربان المقدس اثناء عقد الزواج. وان ما ذهب اليه المؤلف ينطبق على الكنائس الكاثوليكية وليس على هذه الكنيسة (المدقق)



التخطيط الارضي لكنيسة شرقية نموذجية في بين النهرين (نسبة الى فيي: موصل المسيحية، ١٩٥٩، لوحة ٢)

١. الباب الخارجي
٢. الباحة الامامية
٣. البئر
٤. بيت الصلاة
٥. بيت المعمودية
٦. الباب الخارجي الى بيت المعمودية
٧. باب الدخول للرجال
٨. باب الدخول للنساء
٩. الباب الداخلي الى بيت المعمودية
١٠. خوان (خزانة)
١١. جرن المعمودية
١٢. شباك
١٣. الخورس
١٤. المذبح
١٥. بيت الاسرار
١٦. السكرستية (حيث تحفظ ذخائر القديسين)
١٧. مكان حفظ زيت المسحة وملكا
١٨. الستار، حجاب الخورس
١٩. باب جانبي
٢٠. القسطروما، ممر
٢١. شقاقونا، ممر مستقيم
٢٢. بيما
٢٣. الجلجلة، خوان
٢٤. طاولات القراءة
٢٥. بيت الشهداء
٢٦. رفات موضوعة في الجدار
٢٧. قسم النساء، احياناً الى اليمين
٢٨. قسم النساء، احياناً الى الشمال

والكنيسة النسطورية تقليديا هي بناية مستطلية ذات صحن او ثلاثة صحون، مبنية من الحجر او الطين الحراري. ولتخطيطها الارضي ثلاثة تشابهات مدهشة مع قاعات الاعمدة الساسانية، كتلك التي في قصر **غانزاك**[١٠٥]. ويتجه **الكورس*** نحو الشرق حيث تشرق الشمس، ومن حيث سيظهر المسيح يوم الدينونة (متى ٢٤: ٢٧). وقد قال النبي حزقيال في العهد القديم بأن مجد الله كان يدخل المعبد من خلال "البوابة المواجهة للشرق" (٤٣: ١- ٤). وتجعل ابواب الدخول للناس على جانب من الجدار الجنوبي، وهناك احياناً بابان واحد للرجال والاخر للنساء. ويكاد المدخل ان يؤدي دائماً الى عتبة مرتفعة، كما ان الاسكفة تكون واطئة بحيث يكون من يدخل بيت الله بوضع منحن ومتواضع. أضافة الى ذلك فإن مسالك الدخول الصغيرة حقاً، كانت تمنع المسلمين المعادين من اقتحام الكنيسة وهم راكبين جيادهم او اساءة استخدامها كأسطبل. كما أن بعض الكنائس الجبلية المحصنة لا يمكن والوصول اليها إلا بواسطة سلم يؤدي الى مدخل يرتفع عن الارض بحوالي خمسة امتار. وتلي المدخل مباشرة حجرة امامية حيث يترك المؤمنون احذيتهم واسلحتهم. وفي بعض الكنائس تجري الصلوات الثلاثة

* الجزء المخصص للكهنة والمرتلين في الكنيسة (المدقق)



هذا المقرا المصنوع من الحجر، كان يقوم في البيما ويستخدم اثناء ليترجية الكلم. ويقرأ الكتابة السريانية هكذا: "احفظوا بذكرى حسنة للكاهن ابراهام ويوحنا وامه الذين اوقفوا هذا [المقرا]، وهو من كنيسة بناوي في حلب، وهو اليوم في المتحف الوطني في دمشق، سوريا"[31].

يوميا اثناء الاسبوع في الباحة الامامية المفتوحة ذات قبا تتجه نحو الشرق وتقع احيانا عند حدود المقبرة[106].

ويقسم الجزء الداخلي الى ثلاثة اقسام على طول كلا المحورين، حيث يقع الى الشرق وفي الوسط قدس الاقداس والخورس الذي يرمز الى السماء ولا يجوز دخوله إلا لأعضاء الاكليرس بدرجة شماس فما فوق. ويرمز المذبح هنا الى قبر المسيح. ويرتفع فوق المذبح بناء اشبه بمظلة، ترمز الى فلك العهد لموسى او السماء مرة اخرى. ومقارنة بباقي الكنائس، فإن قدس الاقداس يُجعل مرتفعا على ثلاثة مستويات.

ويقع بيت العماد الى جنوب الخورس، ثم بيت الشهداء* الى الشمال، حيث يحتفظ بـ الملكا وبُعد الخبز المقدس.

ويقع صحن الكنيسة الى الغرب من الخورس حيث يجتمع المؤمنون، وهو يرمز الى الارض. وفي قديم الزمان كان الرجال يقفون امام الصحن، كرمز الى جنة عدن، والنساء الى الخلف، لتمثل ارض كنعان الممجدة، واليوم يختلط الجنسان في الصحن. وهذا يناقض السريان الارثوذكس حيث تجلس النساء الى الشمال والرجال الى الجنوب. ويفصل احيانا مشبك حديدي بين المجموعتين. وقد وضعت ذخائر مقدسة في الجدار الشمالي للكنيسة وهناك احيانا ايضا بيت الشهداء حيث عظام الشهداء او الاساقفة.

ويفصل الصحن عن الخورس حجاب الخورس المصنوع من الحجر او الخشب بقوس او ثلاثة اقواس، وهو يماثل **الايقونوسطاس** في الكنائس الارثوذكسية. ويحجب ستار يمتد مباشرة خلف اقواس الخورس منظر الخورس. واليوم نادرا ما يمكن مشاهدة حجاب الخورس، لكن الستار، كما هو الحال مع كنائس السريان الارثوذكس، ما زال باقيا[107]. ويبقى الستار مسدلاً خلال الاسبوع لأن خطيئة ادم وحواء قطعت العلاقة المباشرة بين السماء والارض، ويسدل كذلك اثناء الليترجية، عندما يجري تذكر صلب المسيح. وعدا ذلك يكون الستار مفتوحا اثناء الليترجية، علامة على حضور المسيح، كما كان قد دعا، "فأينما اجتمع اثنان او ثلاثة باسمي، كنت هناك بينهم" (متى ١٨: ٢٠). إن فتح الستار رمز

* بيت ساهدى حيث تحفظ ذخائر القديسين (المدقق)

لتفتح السماء ووصول المسيح، لان ليترجية الكنيسة تمثيل دنيوي لليترجية الالهية الابدية.

وهكذا، يجري إعادة إقامة الوحدة الاونتولوجية للسماء والارض اثناء خدمة القداس.

ويقع القسطروما الذي يعلى الممر، بين الصحن والخورس. ومن منظور الصحن يشاهد القسطروما على هذا الجانب من الستار، ولكن، كما هو الحال مع الخورس، يرتفع ثلاثة درجات. وهو يمثل الفردوس، الجسر بين السماء والارض، والذي يدخله القراء الانجيليون، الذين يرمزون الى المرتبة الدنيا من الملائكة، يعملون كرسل سماويين بين البشرية والله. وكان هناك قديما في مركز الصحن منصة مستطيلة او اشبه بحدوة الفرس، وهي البيما، التي كانت ترمز الى اورشليم كمركز لحياة يسوع[108]. وكما هو الحال في المجمع اليهودي، كانت القراءات وبداية خدمة العبادة – اي ليترجية الكلم– تقام في البيما. ومع ذلك، فإن ليترجية الاسرار كانت تجري في قدس الاقداس. وكان موكب الاكليروس المحتفل الى البيما يرمز الى الوعظ والتنبؤ بالمسيح، وعودتهم الى الخورس ذبيحته وقيامته. وكان الخورس العلماني الذي كان يستجيب في اغلب الصلوات المنشدة، الى الخورس الملائكي للكهنة والشمامسة، كانوا يتخذون اماكنهم في البيما ايضاً.

وتماثل البيما المنبر المبكر للقرون الوسطى، المنبر الذي كان يمتد الى البيما، الذي كان يربط بالخورس بممر صغير مرتفع بعض الشيء. وفي كنيسة المشرق المبكرة، كان هذا الممر يسمى شقاقونا، الممر المباشر. وكان الشقاقونا، الذي لم يعد موجوداً، صغيراً، لانه كان يرمز الى الممر الضيق بين هاوية الخطيئة الجسدية وكبرياء الروح الى المملكة السماوية. وتقوم في وسط البيما الخوان، او ما يسمى الجلجلة، التي تمثل ضريح آدم، وبجانب ذلك يقع عرش الاسقف. ولم يكن للكنائس النسطورية القديمة ابراجاً للناقوس، حيث لم تكن توجد اجراس عند ذاك. وكان المؤمنون يدعون الى الصلاة من قبل شخص يضرب بعصا لوحا او لوحين من الخشب يسميان **سماندرون** (simandron) كانا يعلقان بحبال[109].

وكان النساطرة يطلقون على صلاتهم كلمة **رازي، اي الاسرار** لانها كانت تحتفل بالوحي بكل اسراره. ولا يحتفل به إلا في كنيسة. والطقس النسطوري، وطقس شقيقتها الكنيسة الكلدانية*، من اقدم الطقوس الشرقية التي ماتزال تستخدم اليوم. وهي تعود في جوهرها الى القرن الخامس، وعليه فهي الاقرب الى الاصول اليهودية ـ المسيحية. وتتألف خدمة القداس من ثلاثة اقسام رئيسة. حيث يقوم المحتفل (الكاهن) اولاً باعداد الخبز المقدس مع قطعة من الملكا، في السكرستية. ثم كان يبدأ قداس الموعوظين في الازمان الاولى الذي كان يبقى اثناءها الكاهن والشمامسة في البيما. وهكذا كانت هذه الليترجية على البيما تقام في الصحن. وبينما ينشد المؤمنون المزامير والاناشيد، كان يتم تبخير المذبح في الخورس– ويرمز البخور كلاً من صلاتنا المرتفعة الى الله والحضور غير المرئي للروح القدس. ويلي ذلك قراءات من الكتاب المقدس، والموعظة، والطلبات واعداد الخبز. إن تغطية الكاس المملوءة بالخمر بقماش من الحرير الابيض يرمز الى وضع المسيح في القبر، ورفعها الى ازاحة الحجر الذي كان قد سدّ مدخل

* المنسلخة عن الكنيسة النسطورية قبل قرن ونصف. (المدقق)



هذا المقرأ المصنوع من الحجر، كان يقوم في البيما ويستخدم اثناء ليترجية الكلم. وتقرأ الكتابة السريانية هكذا: "احتفظوا بذكرى حسنة للكاهن ابراهام ويوحنا وامه الذين اوقفوا هذا [المقرأ]، من كنيسة بناوي في حلب، وهو اليوم في المتحف الوطني في دمشق، سوريا".[٣٤]

يومياً اثناء الاسبوع في الباحة الامامية المفتوحة ذات قبا تتجه نحو الشرق وتقع احياناً عند حدود المقبرة[١٠٦].

ويُقسم الجزء الداخلي الى ثلاثة اقسام على طول كلا المحورين، حيث يقع الى الشرق وفي الوسط قدس الاقداس والخورس الذي يرمز الى السماء ولا يجوز دخوله إلا لأعضاء الاكليرس بدرجة شماس فما فوق. ويرمز المذبح هنا الى قبر المسيح. ويرتفع فوق المذبح بناء اشبه بمظلة، ترمز الى فلك العهد لموسى او السماء مرة اخرى. ومقارنة بباقي الكنائس، فإن قدس الاقداس يُجعل مرتفعاً على ثلاثة مستويات.

ويقع بيت العماد الى جنوب الخورس، ثم بيت الشهداء* الى الشمال، حيث يحتفظ بـ الملكا ويُعد الخبز المقدس.

ويقع صحن الكنيسة الى الغرب من الخورس حيث يجتمع المؤمنون، وهو يرمز الى الارض. وفي قديم الزمان كان الرجال يقفون امام الصحن، كرمز الى جلة عدن، والنساء الى الخلف، لتمثل ارض كنعان الممجدة، واليوم يختلط الجنسان في الصحن. وهذا يناقض السريان الارثونكس حيث تجلس النساء الى الشمال والرجال الى الجنوب. ويفصل احياناً مشبك حديدي بين المجموعتين. وقد وضعت ذخائر مقدسة في الجدار الشمالي للكنيسة وهناك احياناً ايضاً بيت الشهداء حيث عظام الشهداء اوالاساقفة.

ويفصل الصحن عن الخورس حجاب الخورس المصنوع من الحجر او الخشب بقوس او ثلاثة اقواس، وهو يماثل **الايقونوسطاس** في الكنائس الارثوذكسية. ويحجب ستار يمتد مباشرة خلف اقواس الخورس منظر الخورس. واليوم نادراً ما يمكن مشاهدة حجاب الخورس، لكن الستار، كما هو الحال مع كنائس السريان الارثونكس، ما زال باقياً[١٠٧]. ويبقى الستار مسدلاً خلال الاسبوع لأن خطيئة ادم وحواء قطعت العلاقة المباشرة بين السماء والارض، ويسدل كذلك اثناء اللترجية، عندما يجري تذكر صلب المسيح. وعدا ذلك يكون الستار مفتوحاً اثناء الليترجية، علامة على حضور المسيح، كما كان قد دعا، "فأينما اجتمع اثنان او ثلاثة باسمي، كنت هناك بينهم" (متى ١٨: ٢٠). إن فتح الستار رمز

* بيت ساهدى حيث تحفظ ذخائر القديسين (المدقق)

لتفتح السماء ووصول المسيح، لان ليترجية الكنيسة تمثيل دنيوي لليترجية الالهية الابدية.

وهكذا، يجري إعادة إقامة الوحدة الاونتولوجية للسماء والارض اثناء خدمة القداس.

ويقع القسطروما الذي يعنى الممر، بين الصحن والخورس. ومن منظور الصحن يشاهد القسطروما على هذا الجانب من الستار، ولكن، كما هو الحال مع الخورس، يرتفع ثلاثة درجات. وهو يمثل الفردوس، الجسر بين السماء والارض، والذي يدخله القراء الانجيليون، الذين يرمزون الى المرتبة الدنيا من الملائكة، يعملون كرسل سماويين بين البشرية والله. وكان هناك قديماً في مركز الصحن منصة مستطيلة او اشبه بحدوة الفرس، وهي البيما، التي كانت ترمز الى اورشليم كمركز لحياة يسوع[١٠٨]. وكما هو الحال في المجمع اليهودي، كانت القراءات وبداية خدمة العبادة – اي ليترجية الكلم– تقام في البيما. ومع ذلك، فإن ليترجية الاسرار كانت تجري في قدس الاقداس. وكان موكب الاكليروس المحتفل الى البيما يرمز الى الوعظ والتنبؤ بالمسيح، وعودتهم الى الخورس ذبيحته وقيامته. وكان الخورس العلماني الذي كان يستجيب في اغلب الصلوات المنشدة، الى الخورس الملائكي للكهنة والشمامسة، كانوا يتخذون أماكنهم في البيما ايضاً.

وتماثل البيما المنبر المبكر للقرون الوسطى، المنبر الذي كان يمتد الى البيما، الذي كان يربط بالخورس بممر صغير مرتفع بعض الشيء. وفي كنيسة المشرق المبكرة، كان هذا الممر يسمى شقاقونا، الممر المباشر. وكان الشقاقونا، الذي لم يعد موجوداً، صغيراً، لانه كان يرمز الى الممر الضيق بين هاوية الخطيئة الجسدية وكبرياء الروح الى المملكة السماوية. وتقوم في وسط البيما الخوان، او ما يسمى الجلجلة، التي تمثل ضريح ادم، وبجانب ذلك يقع عرش الاسقف. ولم يكن للكنائس النسطورية القديمة ابراجاً للناقوس، حيث لم تكن توجد اجراس عند ذاك. وكان المؤمنون يدعون الى الصلاة من قبل شخص يضرب بعصا لوحاً او لوحين من الخشب يسميان **سماندرون** (simandron) كانا يعلقان بحبال[١٠٩].

وكان النساطرة يطلقون على صلاتهم كلمة رازي، اي **الاسرار** لانها كانت تحتفل بالوحي بكل اسراره. ولا يحتفل به إلا في كنيسة. والطقس النسطوري، وطقس شقيقتها الكنيسة الكلدانية*، من اقدم الطقوس الشرقية التي ماتزال تستخدم اليوم. وهي تعود في جوهرها الى القرن الخامس، وعليه فهي الاقرب الى الاصول اليهودية ـــ المسيحية. وتتألف خدمة القداس من ثلاثة اقسام رئيسة. حيث يقوم المحتفل (الكاهن) اولاً باعداد الخبز المقدس مع قطعة من الملكا، في السكرستية. ثم كان يبدأ قداس الموعوظين في الازمان الاولى الذي كان يبقى اثناءها الكاهن والشمامسة في البيما. وهكذا كانت هذه الليترجية على البيما تقام في الصحن. وبينما ينشد المؤمنون المزامير والاناشيد، كان يتم تبخير المذبح في الخورس– ويرمز البخور كلاً من صلاتنا المرتفعة الى الله والحضور غير المرئي للروح القدس. ويلي ذلك قراءات من الكتاب المقدس، والموعظة، والطلبات واعداد الخبز. إن تغطية الكاس المملوءة بالخمر بقماش من الحرير الابيض يرمز الى وضع المسيح في القبر، ورفعها الى ازاحة الحجر الذي كان قد سدّ مدخل

* المنسلخة عن الكنيسة النسطورية قبل قرن ونصف. (المدقق)

القبر. وفي هذه اللحظة قديما، كان يطلب من الذين لم يتعمدوا بَعدُ بمغادرة الكنيسة، واليوم يتم الاحتفال بالليترجية بكاملها في القسطروما والخورس، ولم يعد البيما موجودا. ولما كانت الكلمات والتي تقال لمغادرة الموعوظين ماتزال تنشد اليوم، فإن هذا الجزء مازال باقيا.

ويلي ذلك ليترجية قدس الاقداس مبتدئاً بقانون الايمان. وقبل ذلك كان الخورس العلماني يبقى في البيما، كما ان الشمامسة الثانويين كانوا يسيرون في موكب حتى القسطروما، والشمامسة الى المذبح. ويقوم الكاهن او الاسقف لوحده بالاحتفال عند المذبح. إن التقدم الهرمي هذا نحو المذبح كان يمنح البدء بأهم جزء من الليتورجيا سمة خاصة من الوقار. ويتجه الكاهن صوب المذبح، وليس نحو المؤمنين. وباعتباره الاول من بين المتساوين (primer inter pares)، يقوم بقيادة صلاة المحفل، وهو بهذه الطريقة يتخذ دورا يشبه دور الامام عند المسلمين. ولأنه لم يعد هناك اليوم بيما، فإن المذبح لا يمثل قبر المسيح فحسب بل ايضاً الجلجلة. ويعقب قانون الايمان طلبة، ومن ثم تبدأ الصلاة الافخارستيا، **الانافور**.

وتستخدم كنيسة المشرق ثلاث أنافورات مختلفة ولكن مترابطة. الاولى هي تلك التي لأداي وماري، والتي تستخدم منذ عيد القيامة حتى البشارة. ويعقب ذلك بالانافورة المنسوبة الى ثيودورس المصيصي، التي تستخدم حتى احد السعانين. اما الصلاة الافخارستيا الثالثة، والتي يقال انها تعود الى نسطور، فتستخدم فقط في الاعياد الخاصة، مثل عيد الدنح[١١٠]. ولا بد من أن يلاحظ هنا بأنه في السادس من كانون الثاني تحتفل كنيسة المشرق، كما كان في الاصل، بمعمودية يسوع، وعيد الدنح، وأن الاحتفال بظهور المسيح للوثنيين، المجسد بالملوك الثلاثة، بدأ يحل محل تذكار العماد في الكنائس الغربية في القرن الخامس[١١١].

وتبدأ الانافورات بصلوات مختلفة تؤدي الى قبلة السلام التي تحول من الكاهن الى الشمامسة والشمامسة الثانويون، ومن ثم كل المؤمنين. ويحي التذكر (anamnesis) ذكرى صلب وقيامة المسيح، ويليه اهم جزء للصلاة الاوخارستيا. وذلك هو استدعاء الروح القدس، الذي يدعى فيه الله الأب لكي يرسل الروح القدس لتقديس هبات الخبز والخمر.

ويختم الانافور نشيد اكراماً لله. كما يختم تناول الخبز المخمر خدمة القداس.

والتزاماً بقانون الضيافة، المهم جدا في الشرق، يقوم الاسقف بدعوة الى العشاء، ويختار الضيوف والاصدقاء – وفي مناسبة الاعياد الخاصة، يقوم بدعوة المحفل كله. ومثلما قد لاحظ المؤلف عدة مرات، فإنه ليس امرا غير مألوف ان يكون لهذه الوجبات مئات المشاركين. بهذه الطريقة تتحد مفاهيم الوليمة المشتركة المقدسة والاجتماعية، بعد ان تم فصلهما في القرن الثاني.

ولكنيسة المشرق ايضا صيغة رمزية جداً لليترجية الموتى. ولا يتم الاحتفال بالقداس في يوم الدفن، الذي يحدث عادة في نفس اليوم او اليوم التالي للوفاة، حيث يُكتفى بتلاوة صلاة واحدة في الكنيسة. ويقام القداس الجنائزي في اليوم الثالث. ومثلما قام المسيح في اليوم الثالث، فإن المتوفي يشترك في اليوم الثالث من موته من خلال الاحتفال بالافخارستيا، في قيامة المسيح. وإن مدى كونها تتسم برمزية غنية وحيوية امر بارز دائما في الليترجيات السريانية الشرقية.

الرهبنة والتوحد

يكمن الحافز نحو الرهبنة والتوحد في مثل تقليد المسيح، وفي الضرورة التي دعا اليها بولس، في التغلب على الجسد (روما ٨: ١-١٨). اضافة الى ذلك، فإن النمو السريع للجماعة المسيحية الاولى خفف من عمق رهبانيتها، التي ادت الى زيادة الحاجة الى طريقة خاصة لان تكون مسيحياً. وقبل ان تبدأ التوحدية السريانية بالازدهار عند الانتقال من القرن الثالث الى الرابع، كان **الاسينيون** (Essenes) و**الانقراطيون** قد طوروا اسلوب حياة يقوم على الترويض والزهد في الدنيا ومحبة الله. وكان التحول من الوضع العلماني الى التوحدي قريبا من عبور حدّ مرسوم بشكل واضح وعميق للغاية، لا رجعة منه دون دفع الثمن باللعنة. وكل من كان يرنو الى المسرات الدنيوية وترك الحياة الترويضية كان مهددا بمصير زوجة نوح: حيث يحول الى عمود من الملح[١١٢].

وقد كان للتوحدية السريانية الاولى سمة نسكية. كانت رفضا واعيا للحضارة المعاصرة وخصائصها، مثل التواصل الاجتماعي، والتربية، والاسكان، والملبس، واستخدام النار. وكان هؤلاء النساك، بإعادة صياغة نصيحة **افرام**، لا "يفضلون رفقة الحيوانات على رؤية البشر"[١١٣] فحسب، بل كانوا يعيشون مثل الحيوانات البرية ايضا تحت جلد السماء، او في الكهوف الجبلية. وقد وصف افرام اسلوب حياتهم: "مأواهم الكهوف الكبيرة، وغرف نومهم الصخور. والمرتفعات شرفاتهم، الحياد الجبلية سكناهم، والحشائش الجبلية مائدتهم"[١١٤]. وكان هؤلاء الترويضيون والنساك التائبون يسمون انفسهم، شأنهم شأن الشهداء، "رياضيو الايمان" و"محاربو وجند المسيح"، الذي كانوا يمدحونه مثل "جنرال مقدس"[١١٥].

وابتداء بحوالي سنة ٣٤٠م، وعلى ما يزعم بتأثير المتوحدين البيزنطيين والمصريين، نشأت في بلاد بين النهرين محاولة مدبرة لاعادة الهراطقة الى الجماعة المسيحية، ودمجهم في الجماعات التوحدية الرهبانية. وفي الحالة المثالية، كان النساك مستعدين لوضع قوتهم التي لا يصيبها الوهن في الظاهر تحت تصرف العمل التبشيري الذي يشهد عليه الانتشار السريع لكنيسة المشرق الى الشرق والجنوب. وفي الوقت الذي كان فيه النسك امرا شخصيا، فإن التوحدية الرهبانية كانت مؤسسة اجتماعية. وهذا التبدل البطيء جلي ايضا في النقد المتزايد للمتوحدين المتجولين ومن اطلق عليهم **المصلون** (Messalians) الذين قاموا بتأهيل القوة الخلاصية للاسرار المقدسة والتأمل والتوبة، ويعتقدون بان الصلاة المستمرة فقط هي القادرة على التغلب على الشيطان الداخلي، وتقود هكذا الى الخلاص. وقد وصفهم الاكليرس بالمتطفلين الكسالى الذين كانوا يعيشون من الاستجداء[١١٦]. وقد تم تأسيس الاديرة التي كانت تقع بشكل رئيسي في شمال ما بين النهرين، على مواقع ترتبط باعدام الشهداء او الكهوف التي اشتهرت بالنساك او سفوح الجبال والاضرحة الوثنية السابقة.

وقد ادان المرشدون الرئيسيون للتوحدية الرهبانية الاغريقية-البيزنطية والمصرية النسك السرياني في غاياته وممارساته. وفي الوقت الذي اكد فيه **يوحنا الذهبي الفم** بانه ليس الجسد ما يجب ان يحارب بل رغباته المؤذية، عارض **باسيليوس الكبير** (Basil

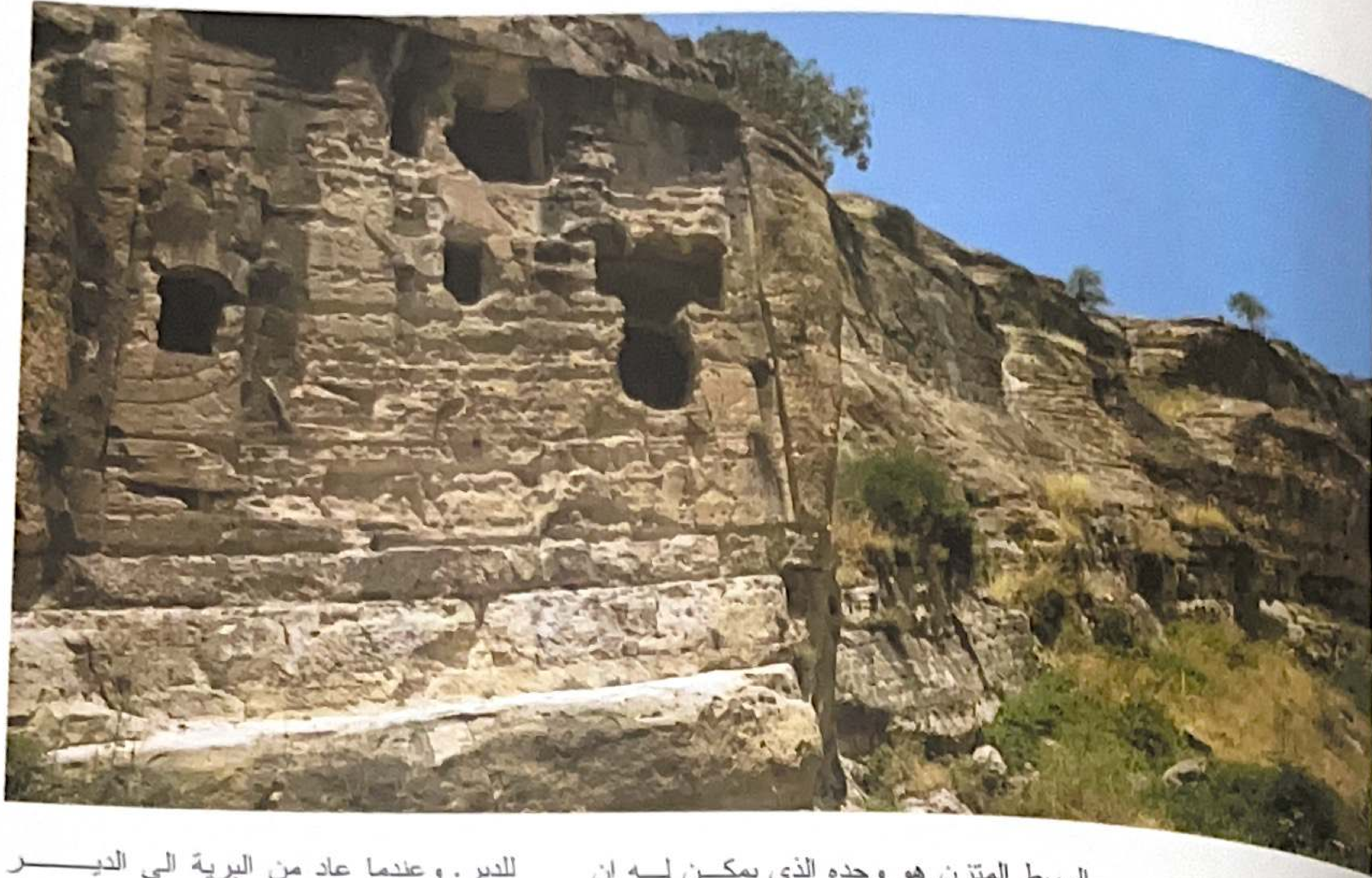


الكنيسة الصيفية المسماة بيث صلوثا (بيت الصلاة) في مار حاديشبا للسريان الارثوذكس في عين وردو، طور عابدين. وكانت الكنائس الصيفية تزود بمقاريء حجرية، حيث كانت تنشد المزامير وتقام القداديس على ارواح الموتى.[٣٥]

the Great)، (٣٣٠-٣٧٩) كل تعبير عن المغالاة في معاقبة الذات.

ويبدو النسك السرياني في الحقيقة، عند النظر اليه من بعيد، بترا لخليقة الله- بل تجديفا للعمل الالهي حقا. وعلى ضوء البديل بين التنسك واسلوب الحياة التوحدية، ذهب باسيليوس الى ان الاخيرة يمكن لها ان تتماشى مع القانون المقدس للمحبة الاخوية، فالمتوحد كان يحب ذاته فقط ولم يكترث باقرانه. وقد اضاف القديس **هيرونيموس** (٣٤٢-٤٢٠) بأن الحياة النسكية لم تكن تؤدي فقط الى الغرور والخيلاء بل الى الخطأ، طالما ان لا احدا يستطيع ان يكون تلميذا ومعلما لذاته في آن واحد[١١٧]- وهي رؤية اكدت عليها مدرسة **كاغيوبا** (Kagyupa) البوذية في التبت. لم يكن في مقدور احد عدا **بوذا شاكياموني** ان يكون معلما روحيا لذاته وقائدا.

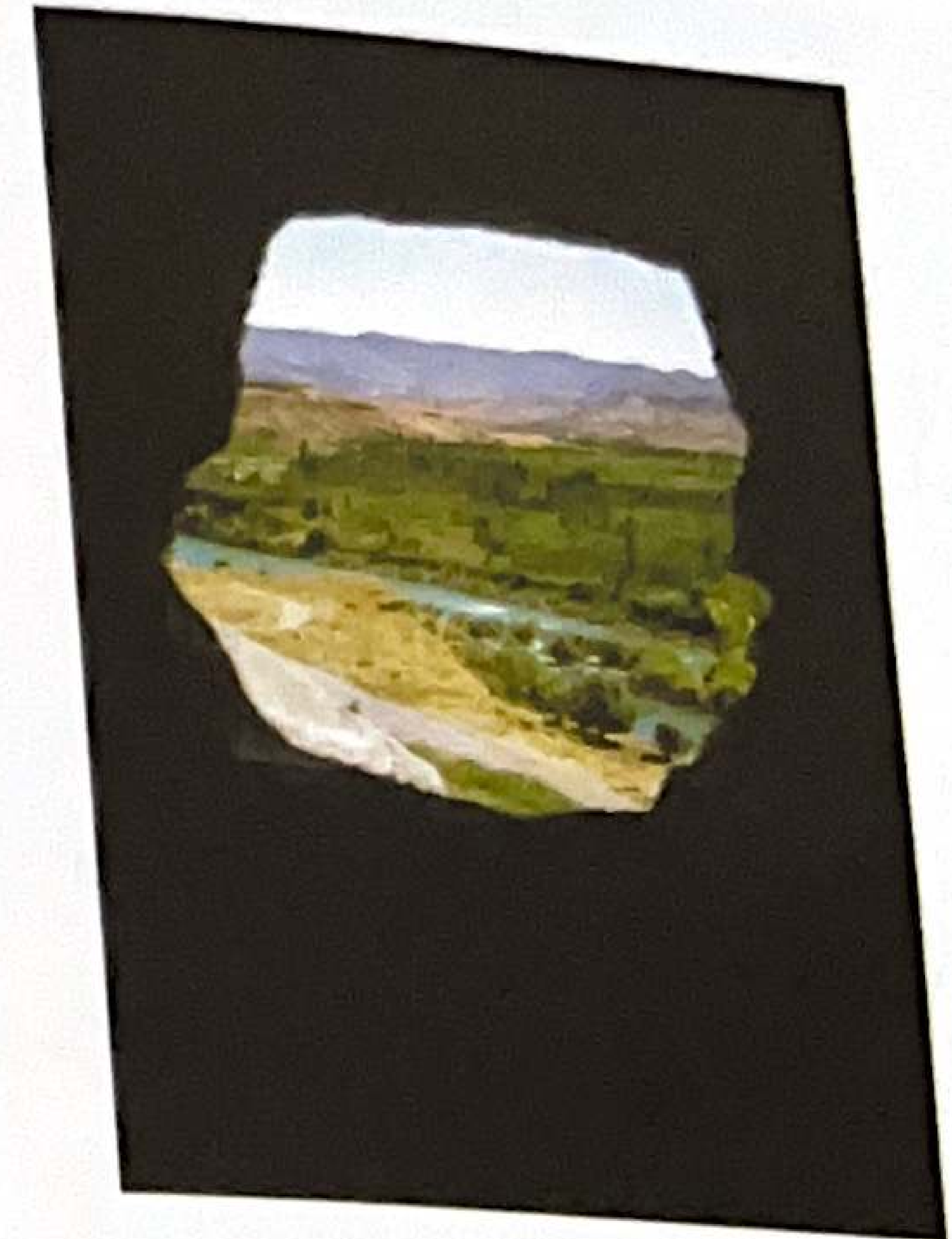
ومن جانبها اكدت التوحدية المصرية على ان الممارسات الخارجية لتعذيب الذات وانزال الالم كان اقل اهمية من الموقف الداخلي. ولا بد من ان تُقاد الترويضية ايضا بمبدأ الاعتدال، طالما ان "كل شيء ذي اجراء متطرف من الشياطين"[١١٨]. وقد كتب ابو التوحد النسكي المصري **باخوميوس** (Pachomius)، (٢٩٠-٣٤٦) بان الطريق



الكهف النسطوري الشهير في خنس في شمال العراق، الذي وصفه توما المرجي في سنة ٨٤٠، ومازال بامكان المرء اليوم ان يشاهد خمس عشرة زنزانة، عدد الرهبان الى حفرها في جدار الحجر، الذي كان قد زين بنحت اشوري بارز ونصوص مسمارية من زمن الملك سنحاريب (حكم ٧٠٥-٦٨١) ق.م وقد ارادوا بهذه الطريقة إعادة تقديس الموقع "الوثني" المقدس.[٣٦] ويقف الملك فوق اسد مجنح في الشكل الثاني من الشمال.

الوسط المتزن هو وحده الذي يمكن له ان يميز بين "التوحد الالهي والشيطاني"[١١٩].

ان الهدف في تحقيق حالة اشبه بحالة الملائكة من خلال التوحد المغالي فيه بل حتى المدمر للذات، ليس الا علامة على مغالاة المرء المضللة لقدراته. وعلى النقيض من ذلك في الحياة التوحدية الديرية، لم يكن هناك مجال للمغالاة الفردانية، بل ان الاولوية كانت للصلاة والعمل المشترك. وبهذا الخصوص يروي تقليد جدير بالملاحظة عن ناسك كان يدعى **يوحنا كولوبوس**، سعى الى عيش حياة ملائكية، وهكذا رفض كل اشتراك في الحياة العامة للدير. وعندما عاد من البرية الى الدير جائعا، بعد صوم طويل، وجد الابواب مغلقة. وقد تلقى الجواب على صراخه اليائس من انه الاخ يوحنا، بان الاخ يوحنا قد اصبح ملاكا ولم يعد يعيش بين الناس. بعد ذلك سمح له بالدخول ووضح له بانه لم يكن ملاكا بل انسانا اعتياديا، كان عليه، مثل كل النساك الاخرين من البشر، ان يشترك في الحياة المشتركة[١٢٠]. ورغم انه حدثت في البداية فجوة بين الموقف المعتدل للتوحدية اليونانية- البيزنطية والمثل السرياني المغالى فيه بخصوص كلا الهدفين والممارستين، فقد كان للموقف الاول تأثيرا مفيدا وملطفا على الاخير.



منظر يطل من صومعة لناسك نسطوري في يوم ما قرب جاليك (Challick)، شمال العراق.

ورغم تطور حياة توحدية مزدهرة ضمن كنيسة المشرق، فإن الاضطراب الذي هزّ كنيسة المشرق عند نهاية القرن الخامس، ادى الى تراخ في النظام التوحدي. وقد اهملت دراسة الكتاب المقدس، وهجرت الاديرة دون اذن للبحث عن مصالح خاصة في المدن بل حتى جلبوا النساء الى صومعاتهم. وقد قام **ابراهيم الكشكري** (٤٩١-٥٨٦/٥٨٨) مؤسس **الدير الكبير في جبل ايزلا**، بوضع نهاية لهذه النشاطات المشينة باصلاحاته. ومن بين اهم القوانين التي وضعها موضع التنفيذ في سنة ٥٧١ هي الاتية:

قانون ١: "يعيش المتوحدون بسلام في صومعاتهم ويكرسون ذواتهم للصلاة والدراسة او التأمل وممارسة الحرف. ومثلما تموت السمكة ان اخرجت من الماء فكذلك المتوحد ان بقي خارج صومعته".

قانون ٤: "يمارس المتوحدون الصمت واللطف".

قانون ٦: "لا يجوز لأي اخ الانتقال من دير الى أخر، او من مكان الى أخر، او دخول المدينة [نصيبين] إلا في حالة الطوارىء وبموافقة الجماعة".

قانون ١٠: "سيختبر الاخوة الجدد لفترة معينة"[١٢١].

وفي سنة ٥٨٨ اضاف رئيس الدير **داديشو**، خليفة ابراهيم، القوانين التالية:

قانون ١: "من لا يقبل الاباء الارثوذكسيين **مار ديودورس [الطرسوسي] ومار ثيودورس [المصيصي] ومار نسطور**، ستتكره جماعتنا".

قانون ٦: "لا يسمح بالسفر الى المدن او عبر طريق ما دون إذن رئيس الدير. ومع ذلك فمن يتجرأ على القيام بذلك سوف يلبس مسحاً ويقف في الرماد لثلاثة آحاد. وإذا ما خرق متوحد ما هذا القانون ثلاث مرات، فإن الجماعة سوف تناقش امر طرده". (وهكذا منعت حياة التجوال التي كانت شائعة في يوم ما بشكل صارم).

قانون ٧: "لا يقبل اي اخ يأتي الى الدير ليبقى ما لم يكن قادراً على قراءة الكتاب المقدس".

قانون ١٧ : "لا يقبل الاطفال في الجماعة".

وقد رفعت هذه المتطلبات، المستوى التعليمي للمتوحدين، ووضعت الاساس للعمل النهائي لترجمة النصوص الفلسفية والعلمية الكلاسيكية. كما اكد **الربان يوسف بوسنايا** على ضرورة البدء بالحياة التوحدية بدراسة الكتاب المقدس وآباء الكنيسة. "الدراسة هي المعلم والسبيل الذي يؤدي الى الخطوة التالية، الا وهي التوحد في الصومعة. فبدون العلم ليست هناك حياة توحدية كاملة". لكن الدراسة هي الخطوة الاولى فقط. "في الدراسة يطهر الفرد الحواس الجسدية حتى تغدو كاملة. وفي التوحد التاملي يطهر الفرد الروحي حواسه الباطنية، وذكاءه"[١٢٢].

قانون ١٣: "سيتم اختبار الاخوة في الدير لثلاث سنوات من وصولهم. فإن احسنوا السلوك سمح لهم ببناء صوامع لانفسهم"[١٢٣].

وهذا القانون مهم، لانه يوضح بان الحياة التوحدية الجماعية الديرية بين النساطرة، كانت بمثابة عملية استعداد واختيار لمرشحين مناسبين للحياة النسكية الاسمى. ومع ذلك، فإن النساك ما عادوا يعيشون في الجبال النائية بل بالاحرى في صوامع وكهوف بالقرب من المجمع الديري التوحدي. وظلوا خاضعين لسلطة رئيس ديرهم، وكان يطلب منهم الاشتراك في اعياد معينة في كنيسة الدير. وفي الدير ذاته كان يقيم فقط المرشحون، والمعتلون، والنساك العاجزون، وأولئك الذين لهم واجبات ادارية.

وقد انشأ **ربان يوسف بوسنايا** عقبة اخرى في عملية الاختيار عن طريق اشتراط ان يكون المبدئون قد قبلوا بوداعة انجاز عمل جسدي شاق، لخمسين يوما قبل قبولهم في الحياة التوحدية الديرية. ثم أمر، عند دخول المتوحد الحياة التوحدية الديرية، بان تغلق صومعة المتوحد الجديد بحجر استذكاراً للحجر امام قبر المسيح، لان الصومعة هي قبر المتوحد، في نظر العالم[١٢٤]. ومن الناحية الاخرى، فإن ربان يوسف سمح لمن كان قد



بقايا من ارتفاع اربعة امتار من عمود المستعمد في دير كنيسة السريان الارثوذكسية لمار لازور (الآزار) في حبوس (طور عبدين) والتي كانت كما تذكر المخطوطات بانه تم بناؤه في ٧٩٢-٧٩٣ للناسك دانيال. تؤكد الملفات الاولية بأن الرهبان النساطرة قد جربوا هذا الشكل المتطرف من التنسك.

اكمل الخيارات الابتدائية لثلاث سنوات، حسب رغبته، بان يقرر لنفسه الحياة النسكية الروحية، وان يكون نشطاً ثقافياً، كناسخ للمخطوطات، ومترجم، وواعظ. او القيام بالعمل اليدوي في الحقول، والكروم، والعناية بالحجاج في اقسام الضيوف من الدير[١٢٥]. وتتماشى هذه الصيغ الثلاثة للحياة التوحدية مع النظرة الافلاطونية الجديدة، التي كانت شائعة أنذاك، من أن الانسان يتألف من ابعاد جسدية وعاطفية- عقلية وروحية.

ومع ذلك، فإن الاديرة النسطورية الكبيرة لم تكن محصنة من المغالاة في شكل الغرور، والثروة، والكمل الروحي، وممارسة التأثير السياسي — وهي تطورات وجدت في أديرة تعود الى اعترافات وديانات اخرى. وهكذا فقد حذر **اسحق الانطاكي** المتوحدين الديريين من الاعمال الكبيرة، وبانه لم يكن مسموحاً لهم بتحويل انفسهم الى مزارعين. كما حذر أيضاً من التدخل المميت في السياسة، وضد رؤساء الاديرة الذين كانوا يختارون متوحدين ضخام الجسم واقوياء، من اجل تحويلهم الى عصابات قطاع الطرق[١٢٦]. وتظهر الاحداث المؤلمة **في مجمع افسس وسينودس السراق** (Robber Synod) لسنة ٤٤٩ إضافة الى الكثير من الاحداث الاخرى، التي كانت "تحل فيها مسائل العقيدة باللكمات، بان الغرائز الوحشية والبدائية يمكن لها ان تختبىء حتى وراء رداء المتوحد. وتذكر العصابات التوحدية بعصابات الدوب دوب للأديرة في التبت الذين، كرهبان مقاتلين مدربين، كانوا يهجمون على الاديرة الاخرى، بل حتى يضرمون فيها النار. وفي كلتا الحالتين، فإن العداوة والقسوة التي تغذي في اكبر الظن، وتحافظ على كل الترويضيات المتطرفة، لم تعد موجهة نحو الداخل الى جسد المرء وحاجاته، بل الى الخارج ضد الاخرين الذين يفكرون بشكل مختلف. وإذا ما أوليت روايات **توما المرجي** التصديق، فقد كان هناك ايضاً متوحدون ذو قدرات سحرية. فقد قيل، على سبيل المثال، بأن شخصاً ما كان يدعى **مار مارن عما** (النصف الثاني من القرن الثامن) لم يقم بشفاء المرضى وإقامة الموتى فحسب، بل ايضاً "بأمر ملاك الرب" بتدمير قرى المسيحيين الخطاة بالهزات الارضية والحرائق[١٢٧]. إن هذا التقليد يشبه كثيراً تقارير مبكرة من التوحدية التبتية*[١٢٨].

وثمة تطور آخر ضار يخص بواعث انشاء الاديرة، فالمتوحدون المدعوون الى الحياة الروحية، لم يكونوا وحدهم الذين أسسوا الاديرة، بل العلمانيون الموسورون ايضاً، مدفوعين بالعمل من اجل خلاصهم، او بدافع من الغرور. ولما كانت هذه الاديرة تمنح في الغالب ممتلكات ارضية واسعة، فقد كانت تتمتع بتسهيلات مالية لا يستهان بها. وعليه كانت الاديرة تقبل الكثير من المبتدئين، وكما هو الحال في التبت القديمة، فقد كان في مناطق معينة من شمال بين النهرين ربع الرجال المسيحيين رهباناً[١٢٩]. وعندما هدد تطور مشابه السلطة المدنية في بيزنطة، قام الامبراطور **نيكيفورس فوكاس** (Emperor Nikiphoros Phocas) بابطال كل المؤسسات الجديدة في سنة ٩٦٤[١٣٠].

وفي منطقة كنيسة المشرق، على اية حال، لم تكن هناك حاجة الى رخصة ملكية لتحديد عدد المتوحدين. فالأسلمة المستمرة للبلاد، واحتلال السلطة من قبل السلاجقة الاتراك المتعصبين في القرن الحادي عشر، والتدمير المنظم من قبل الاكراد، قلل ع

* نسبة الى التبت في الصين [المترجم]

الاديرة في بين النهرين، باستثناء طور عابدين، من عدة مئات الى خمسة بحلول عام ١٩٦٠- ثلاثة منها كلدانية، وواحد يعقوبي، وواحد سرياني كاثوليكي. ومازال هناك ايضا القليل من البنايات الديرية، والتي مازال بحالة جيدة، ولم يعد فيها اي متوحدين[١٣١]. وقد توفي آخر متوحد نسطوري، وهو ربان وردا، قبل الحرب العالمية الاولى[١٣٢].

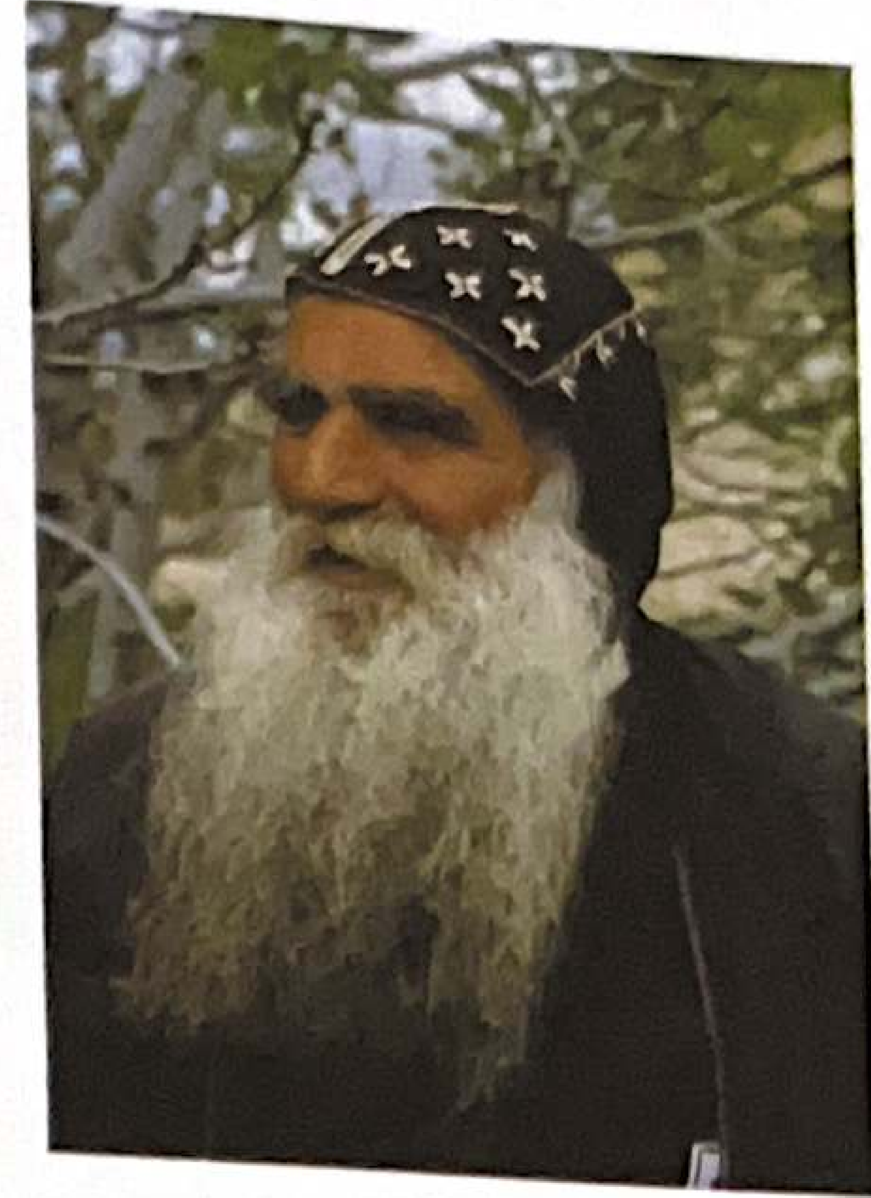
التصوف السرياني الشرقي المتمثل بيوحنا دالياثا

لقد تخلت التصوفية النسطورية، مقارنة مع آباء التصوف السرياني، **افراهاط وافرام**، عن مُثل الترويضية. فاختار فريق طريق المحبة التصوفية، ومن ابرز ممثليها هو **اسحق النينوي**، واتبع فريق آخر طريقاً روحيا-عقليا. وبهذه الطريقة ادت المعرفة الى رؤية مجذوبة لمجد الله، والتي الغي فيها اي تمييز بين العالم والمعلوم — اي، كل ثنائية- كما ان الروح في تحولها، كانت تختبر الله – معالجة شبيهة باسلوب **آدفايتا** الهندي.

وافضل داعية مشهور لهذا الفريق هو **يوحنا دالياثا**، الذي ولد في حوالي سنة ٦٩٠ في حدياب وتوفي قبل سنة ٧٨٦. وكانت كتابات يوحنا خطيرة دون ان تكون غير مثيرة للجدل، وقد حرمت على اساس ثلاثة نقاط من قبل **سينودس البطريرك طيماثاوس الاول** في سنة ٧٨٦/٧٨٧. فقد حرم يوحنا، اولاً: لكونه **شكلياً** لم يعترف، فيما يتعلق بالثالوث، بالاقانيم الثلاثة، بل بأقنوم واحد فقط، يتجلى في ثلاثة طرق. وثانياً: لانه كان يمنح قيمة للرؤيا التصوفية أكثر من الصلاة، وثالثاً: لادعائه التجديفي بأنه قد رأى الله، وما من مخلوق يمكن أن يرى خالقه. ثم قام خليفة طيماثاوس، وهو **ايشوع بر نون** (شغل الكرسي في سنة ٨٢٣-٨٢٨)، باعادة الاعتبار الى المتصوف[١٣٣].

وكان يوحنا، شأنه في ذلك شأن هيرونيمس، مقتنعا بأنه على المعلم المتمرس ان يرافق المتصوف في طريقه المحفوفة بالمخاطر، والتي يختبىء وراءها شياطين الجنون والعجرفة والغرور[١٣٤]. وقد تبنى اغلب المتصوفين النساطرة، في وصفهم للعملية التصوفية، خطة **أوريجينس** للمستويات الثلاث لعلاقة البشر بالله. ويحدث المستوى الاول: الجسدي، على شكل الترويضية الجسدية، والثاني: نفسي، مثل تطهير النفس، والذي يؤدي بعد ذلك الى التطور الروحي، ليبلغ الذروة في رؤيا المسيح كضوء لا شكل له. لكن التطهير الجسدي، بالنسبة ليوحنا، ليس مجرد خطوة واحدة بل عملية مستمرة لا تنتهي إلا بالموت. وتطهير النفس، في تجربته، هي الخطوة الاولى، والثانية: التنوّر وبركة النفس، التي يختبر المتصوف فيها رؤيا الاسرار الآلهية، والخطوة التالية الختامية هي رؤيا الله، التي تتغلب على كل الثنائية، وهي الخطوة الثالثة المتوجة.

إن الكفارة الجسدية والروحية تشكل "بوابة الى مملكة النور التي تعيش ضمن كل واحد منا". ومع ذلك، فهي لا تؤسس فقط الطهارة الاصلية للطبيعة البشرية بل تمنح ايضاً اللذة الضرورية تجاه لله، انها "ام الملائكة السماويين الذين يرتفعون الى السماء بأجنحة من اللهب"[١٣٥]. ولهذا السبب، اعتبر يوحنا الطريق الى التصوف غير منسجماً مع حياة العلماني، إن الحياة المسيحية الحقيقية تتطلب موت المقتنيات الارضية. ومن هذا

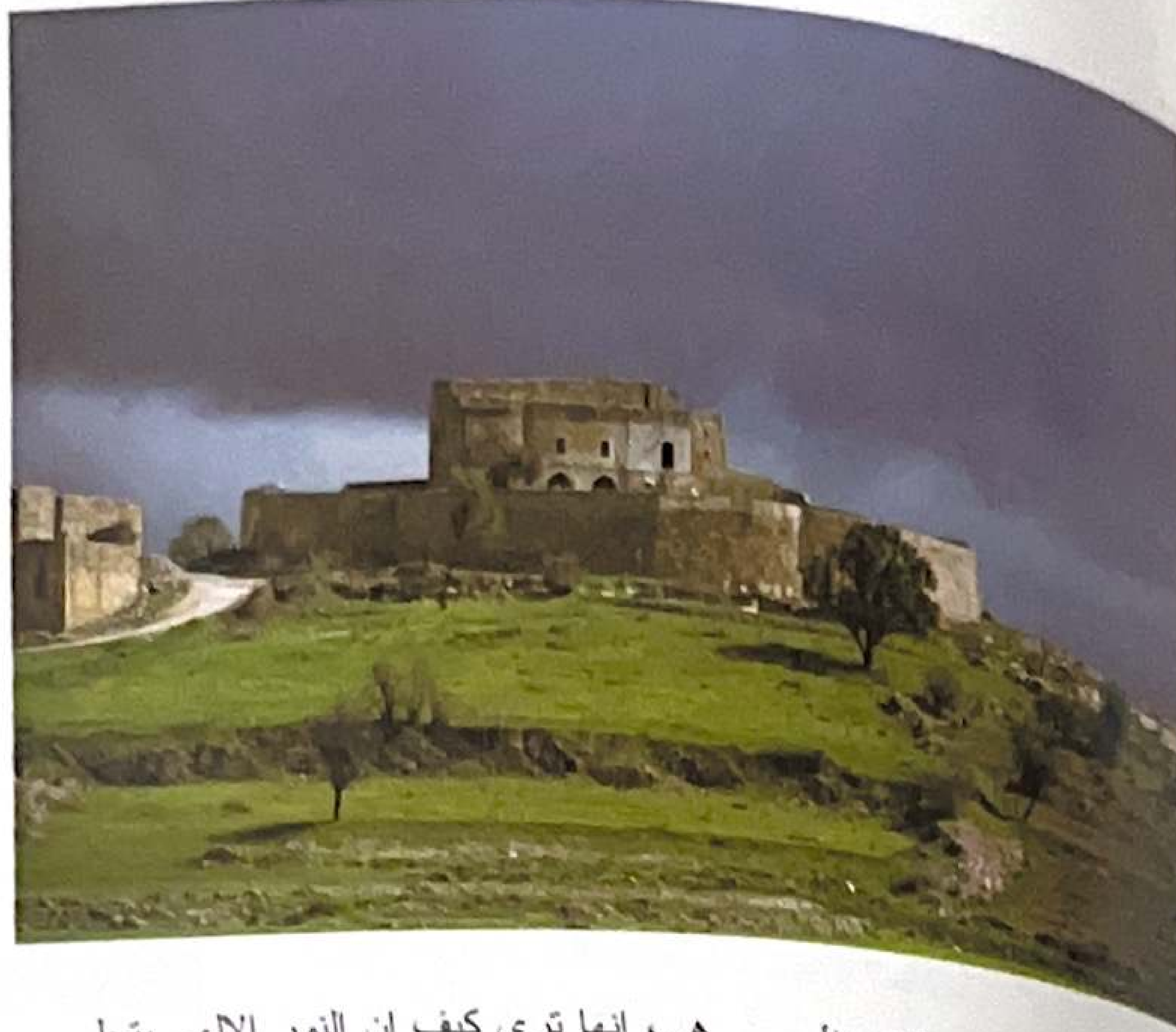


المتوحد السرياني الارثوذكسي يعقوب عاد من المنفى الى ديره، دير مور ديميت (Mor Dimet) في زاز (Zaz)، في طور عابدين في اوائل سنة ٢٠٠١، بعد ان كان على آخر المسيحيين مغادرة القرية في سنة ١٩٩٣. وتحمل قلنسوته ثلاثة وثلاثين صليباً، وهي ترمز الى يسوع المسيح والرسل الاثني عشر. وبعكس الكنيسة السريانية الارثوذكسية، فإن كنيسة المشرق لم يكن لها متوحدون منذ بداية القرن العشرين.

المنظور، فإن اولئك الذين لا يمرون من خلال البوابة الى الحياة الديرية، يبقون "لا حراك لهم بين الموتى". إن محبة الله ومحبة العالم صنوان لا يلتقيان: "إن المسيح لن يدخل روحك ويعيش هناك ما لم تقم اولاً بافراغ ذاتك مما هو دنيوي"[١٣٦]. إن الترويض الجسدي والصوم يجب ان يكونا صارمين ولكن معتدلين ايضاً، إذ لا يكفي اضعاف الجسد او حتى القضاء عليه، بل على المرء ان يروض عواطفه ويطهرها.

وبهذا الصدد فصل يوحنا نفسه بشك صارم عن افكار الترويضية الاولى، لانه كان يؤمن بأن الجسد المطهّر يمكن له ان يشترك في الانعاش الصوفي للروح. "يحصل الفرد على الاتحاد مع نفسه ومع من يوحده. لان قوى واحاسيس الجسد سوف تتحد مع قدرات النفس، والاخيرة مع الروح، لكن الروح يجد في النفس مجد الله"[١٣٧]. ولا يبدو هناك في طريق يوحنا دالياثا التصوفي اية نغمات متعارضة لتشويه المخلوق بل الى انسجام لطهارته القدسية. بيد ان يوحنا حذر من ان التواضع والاعتدال يجب ان يلازما دائماً عملية التطهير. "ولكن لاولئك الذين يعدّون انفسهم قديسين، فإن القدوس [المسيح] يقول، (ما عدتم بحاجة الي، فابقوا هناك في قداستكم)"[١٣٨]. ولتشجيع التواضع اوصى يوحنا بالسجود على الارض عند الصلاة – وهي ممارسة راسخة في البوذية التبتية ايضاً. وها ان المتصوف يقف على عتبة الرؤيا الداخلية، رؤيا الله في مرآة النفس. "ايها المسيح، هبّ لنا، من خلالك، لان ندخل معبد نفوسنا ونراك هناك. يا كنز الحياة المخفي [في داخلنا]. يا اخوتي، من قام بتطويق منظر روحه ضمن ذاته، سوف يرى في اعماق قلبه نجوم الضوء وهي تشرق في بهاء لا يوصف، ستكون رؤيا مجد السرمدي"[١٣٩].

وفي الخطوة الثانية من مباركة النفس، يختبر المتصوف، بنعمة الله، ثلاث درجات من التنوير. الاولى: التنوير العقلي على شكل تبصرات مفاهيمية ماتزال لها مكونات عقلية. وفي الخطوة التالية: تأتي التأملات حول الحضور الآلهي في نفس المرء، وفي كل الخلائق، والتي لا يتم خلالها بعد وضع حل للثنائية بين العالم والمعلوم. وفي هذه اللحظة، يستحوذ على المتصوف فزع عميق. واخيراً، يختبر الاله على شكل ضياء نقي لا شكل له، يفوق اي إدراك عقلي. ثم يعقب ذلك حالات اخرى من النعمة، والتي ترى فيها النفس ذاتها في الصلاح الاصلي ويختبر في آن واحد حضور الله. انها عودة الانسان الى صلاحه الاصلي. "عندما يبدأ الروح بالصلاة، فإنه يرى بريق جوهره، ويتجلى له جمال طبيعة النفس. وترى النفس ذاتها مثلما هي، انها ترى كيف ان النور الالهي يتجلى ويتحول الى ما يشبهه [النور]. ويزاح هذا الشبه من المنظر، ليرى نفسه مثل شبه الله، لانه متحد مع النور عديم الشكل"[١٤٠] وعندما يكون الفرد مع نفسه تماماً، فإنه يكون مع الله تماماً، والعكس صحيح. إن المتصوف يختبر **الاتحاد السري** (unio mystica) ليس فقط في نفسه بل ايضاً في الخليقة كلها: "ومثلما فكرت انا [يوحنا] بانني قد رأيتك [المسيح] ضمن ذاتي، رأيت بانك تعيش في كل الاشياء"[١٤١]. وعند هذه النقطة تلغى كل المعرفة. "انه [المسيح] يمسك بي وكاني بدون روح، بدون وجود، ودون ادراك. فما من بصر ولا سمع، فقط الذعر [الذهول] والصمت العميق، دون اية حركة [للنفس] ودون اي وعي. لأنه في الذي يعرف، تنسى المعرفة نفسها، [هي] خارج المعرفة"[١٤٢].

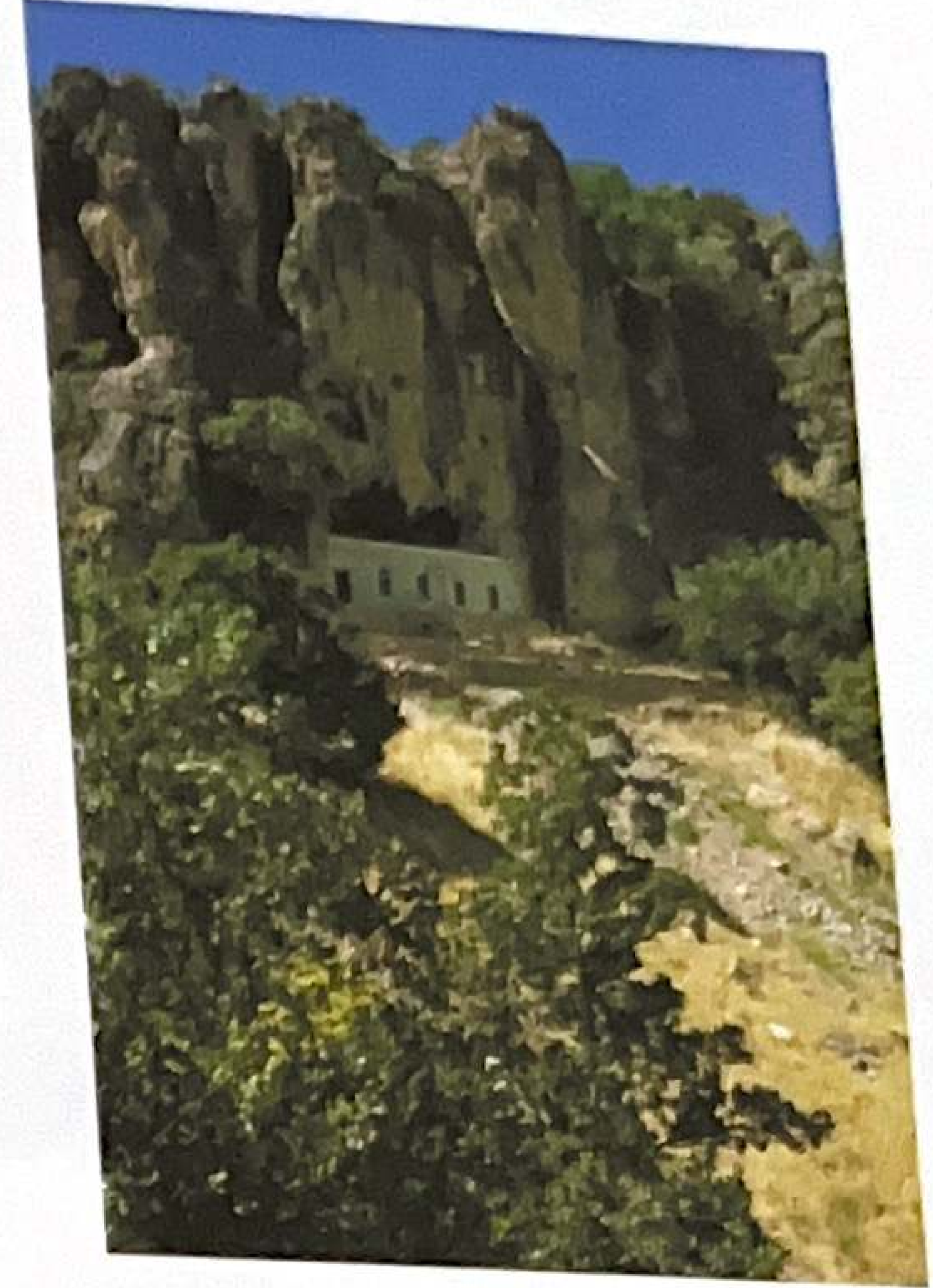


رغم الاسوار المحصنة تحصيناً قوياً، فإن دير ما ديميت للسراين الارثوذكس في زاز، بطور عابدين، حيث لجأ اليه السكان المسيحيون للقرية، سقط ايضاً بيد العصابات الكردية في سنة ١٩١٥.

واوصاف رؤيا الله هذه هي التي دفعت البطريرك طيماثاوس الى الحكم بالهلاك الابدي على يوحنا دالياثا، لأنه ما من مخلوق يستطيع ان ينظر الى خالقه. ولم تكن تهمة البطريرك دقيقة تماما، طالما ان يوحنا ميز بوضوح بين طبيعة الله ومجده. "ان مجد طبيعته، وليس طبيعته، هو الذي يكشفه لأولئك الذين يحبونه"[١٤٣]. وقد وصف **ربان يوسف بوسنايا** الاتحاد السري بكلمات مشابهة: "في الحالة السابقة للنعمة، صادفنا يسوع في نفسنا واعتبرناه ربنا وإلهنا. وفي الدرجة الاخيرة نجد بان الروح ذاته يصبح المسيح، وهو لم يعد خادما والمسيح لم يعد ربا، بل يصبح [الروح] ربا، والمسيح لا يكن بعد ذلك ربا. وهو [الروح] ليس بعد ذلك بشرا ولا الله إلها، بل يصبح (الروح) إلها، والله ليس بعد ذلك إلها"[١٤٤].

ويمكن للمرء ان يحزر بأن التصوفية النسطورية اثرت على التصوف الاسلامي لدى **الحلاج** (٨٥٨-٩٢٢). كما شك في تعالى الله بقيامه باعلان اعتقاده في اتحاد الانسان مع الله وراء الثنائية. وقد وصف الحلاج، مثلما فعل يوحنا، كيف ان المتصوف خلال خبرة كهذه، يفقد الوعي بهويته. وقد صلب الحلاج في بغداد في سنة ٩٢٢ بعد احد عشرة سنة في السجن.

وبطريقة مماثلة، فيما يخص الحالة المؤقتة للنفس منذ لحظة الموت حتى القيامة، اختلفت وجهة نظر يوحنا عن الموقف الرسمي. وتشبّه كنيسة المشرق، منطلقة من عدم امكانية الفصل بين الجسد والنفس والقيامة الشاملة، حالة النفس منفصلة عن الجسد بالنوم. إن النفوس الصالحة تدخل الفردوس، والنفوس الشريرة تبقى في الخارج، ولكن في كلا المكانين لا يوجد تمجيد ولا عقاب. وعلى النقيض من ذلك،



الطريق الصاعد الى دير الكهف النسطوري، للقديس قيوما، قرب قرية دوري، من القرن التاسع. وقد اعيد بناؤه في سنة ٢٠٠٠ بعد ان دمرته حملة الانفال لصدام حسين في سنة ١٩٨٨.

قبل يوحنا داليثا بنوم جزئي للنفس: وتتلقى النفوس غير الصالحة العقاب حتى قبل يوم الدينونة، بينما تتمتع نفوس الصالحين بحالات النعمة تشبه تلك التي للمتصوفين، والتي تمثل مع ذلك حالة سابقة لحالة النعيم الابدي.

وبخصوص الحياة بعد الموت، قدم المتصوف النسطوري إسحق النينوي (النصف الثاني من القرن السابع) وجهة نظر مختلفة. واعتقد بان العقاب الابدي واللعنة حتى لأسوأ الخطاة تتعارض مع الحب غير المحدود والشامل لله. لقد عد مفهوم الخطيئة الاصلية مفهوماً تجديفياً. وقد خلص الى القول، مستنداً على **ديودورس الطرسوسي** وثيودورس المصيصي، بان الله المحب لم يخلق بني البشر الراشدين من اجل ان يتخلى عنهم فيما بعد في عذاب ابدي، رغم انه كان يعلم قبل خلقهم بانهم سوف يرتكبون الخطيئة، ومع ذلك فقد خلقهم على اية حال. إن الله يسعى الى رفاهنا، وليس الى معاقبتنا. إن الجحيم بالنسبة لإسحق كان يعنى حالة الضمير التي لا يستجيب فيها الخاطىء لمحبة الله، بدافع من الانانية. وبينما يكون الوقت في جهنم مرعبا ومعذبا، فانه محدد. وقد قبل اسحق عقيدة الـ **ابوكاتاستاسس بانتون** (apokatastasis panton)، (اي "اعادة الجميع" باليونانية)، والتي يتم بموجبها، وفي سياق المصالحة الشاملة للخالق مع خليقته، إعادة كل الخليقة الى حالتها الأصلية الكاملة. وكان اهم ممثل لـ ابوكاتاستاسس، هو **اوريجينس** (+٢٥٣). وقد عورض بشدة من قبل ابي عقيدة الخطيئة الاصلية، **اوغسطين**. "يعود الفضل الى اوغسطين ان اتسمت المسيحية بنمط مرعب من قدر الخطيئة الاصلية- الخلاص للمختارين وجهنم للآخرين. لكن رؤيا اسحق كانت مختلفة تماماً. "إن الله لم يتخلى عن الشيطان والخطاة في لحظة سقوطهم. إن الشياطين لن يبقوا شياطيناً، ولا الخطاة خطاةً. لأن الله يقصد الى ان يقودهم جميعا الى نفس حالة الكمال التي يعيش فيها الملائكة مسبقاً"[١٤٥].

ولعل إعادة النظر في أنثولوجيا مسيحية متفائلة، غير مثقلة بالخطيئة الاصلية، الى جانب مسيحانية يمكن الوصول اليها والتي تلهم الاقتداء بالمسيح (imitatio Christi)، قد تساعد في معالجة الازمة الراهنة في المسيحية المؤسساتية. وتقترح كنيسة المشرق، كيف كانت ستبدو كنيسة غربية دون تشاؤم اوغسطيني. وقد كانت رؤيا إسحق حول ديانة محبة، بينما كانت رؤيا اوغسطين حول ديانة خوف.

٧ – المسيحيون في ظل الحكم الإسلامي

المسيحيون في منطقة الخليج الفارسي والجزيرة العربية

حتى المصادر المسيحية الاولى، تشير الى النشاط التبشيري في الجزيرة العربية. وفي الوقت الذي تروي في اعمال الرسل (٢: ١١) بان الرسل في حادثة العنصرة كانوا يتكلمون العربية ايضا، فإن مؤرخي الكنيسة **اوسابيوس وروفينوس** (Rufinus) **وثيودوريطس** ينسبون اول عمل تبشيري في جنوب الجزيرة العربية الى الرسول **برتلماوس**[١] (Bartholomew). وبما ان المؤرخين المسيحيين كانوا يخلطون مرارا الجزيرة العربية بالهند واثيوبيا، فإن اقوالهم يجب ان لا تقبل إلا بحذر. ورغم هذا الغموض، فإن الإرساليات المسيحية الى الجزيرة العربية يمكن ان تقسم الى ثلاثة مناطق جغرافية:

الاولى: الشمال، المنطقة الساحلية للخليج الفارسي.

الثانية: المنطقة الداخلية، بما في ذلك منطقة اليمن المهمة، وواحة نجران في جنوب المملكة العربية السعودية حالياً.

الثالثة: جزيرة سوقطرة في المحيط الهندي الى الجنوب من اليمن.

ومن الجوانب المدهشة لمسيحية المشرق انه في حوالي ٢٠٠ سنة قبل **محمد** كان بامكانها ان تحتل موطىء قدم في المهد المستقبلي للإسلام، وتنافس اليهودية هناك.

وفي الجزيرة العربية اليوم، وفيما عدا البضعة عشرات من يهود اليمن، لم يعد هناك مواطنون يهود او مسيحيون.

وكما توحي اسطورة تأسيس اول دير في الحيرة[٢]، فإن العمل الارسالي بدأ في الساحل الشمالي على طول الخليج الفارسي. وكان النساك الترويضيون من كنيسة المشرق، هم الذين تقدموا من البصرة الى الجزيرة العربية في القرن الرابع. واول اسم معروف هو **مار عبديشوع**، الذي قام



اماكن واديرة مسيحية في الجزيرة العربية

بتاسيس **صومعة** على جزيرة البحرين او جزيرة فيلكة، في نفس الوقت الذي أسس فيه دير **الحيرة** عند نهاية القرن الرابع. وفي العقود الأخيرة، كشف الآثاريون خرائب العديد من الأديرة النسطورية. ومن بينها اديرة على الساحل الفارسي من الخليج مثل الدير الذي في جزيرة خرج. وعلى الجانب المقابل، العربي، تم العثور على الهياكل التالية: **دير الكسور** (al-Kusur) على جزيرة فيلكة الكويتية، **وكنيسة اكاز** (Akkaz) على البر الرئيس الكويتي. وكنيسة، والعديد من الصوامع والمقابر قرب الجبيل وثاج (Thaj) في المملكة العربية السعودية الحالية. والدير في جزيرة **تاروت** (Tarut) **(دارين)** قبالة الساحل السعودي الشرقي، والدير في شبه جزيرة قطر. ودير **مروة** (Marawa) على الجزيرة التي تعود الى إمارة ابو ظبي. ودير الخور الكبير والكنيسة في جزيرة **سير باني ياس** (Sir Bani Yas) المجاورة. وهنا، كانت الكنيسة ذات الصحون الثلاثة مزخرفة، كما هو الحال مع كنائس مروة وخرج والكسور المشابهة، مزخرفة بصلبان مالطية عديدة مصنوعة من الجص.

وقد ازدهرت هذه الأديرة والكنائس بين القرنين الخامس/السادس، والقرنين السابع/الثامن. وقد هُجر بعضها بينما دُمر الباقي مثل الكسور، واستخدمت كمحلات للسكن. ويبدو أن العديد من المسيحيين كانوا نشطين في تجارة اللؤلؤ، منذ ان طلب الشاه خسرو الاول من البطريرك حزقيال الاول (شغل الكرسي في ٥٧٠-٥٨٢) البحث عن تجارة اللؤلؤ على طول الساحل الشمالي للجزيرة العربية. ودير الخرج هو الوحيد الذي كان مايزال عامرا ومشغولا في القرن الحادي عشر.[3] ورغم ان سجلات الكنيسة تشير الى اساقفة في البحرين وعمان، ولكن لم يتم الى الوقت الحاضر العثور على اية اكتشافات آثارية تشير الى ذلك.

وقد عاشت الجماعات المسيحية في عدة اماكن ضمن شبه الجزيرة العربية، مع كون نجران، ومكة، واليمن من اهمها. ومنذ سنة ٢٩٥ للميلاد حكمت السلالة الحميرية ما يسمى اليوم باليمن، والذي حكموه إما من عاصمة وطنهم ظفار، جنوب صنعاء، او من عاصمة السبئيين المندحرين، مارب، التي تقع الى الشرق من صنعاء. وكانت ثروتهم تقوم على طريق تجارة البخور الذي كان يربط إقليم ظفار المنتج للبخور مع روما وايران. لكنه مع بداية العصر المسيحي، كانت قد فقدت مسبقاً إحتكار التجارة البحرية مع الهند والساحل الشرقي الأفريقي، بعد ان علمت روما سرّ الرياح الموسمية.

وكان هناك في جنوب الجزيرة العربية، وحتى القرن الرابع للميلاد، ثالوث من الالهة يتمتع بتكريم كبير: وهم إله القمر الذكر **الماقة**، (Almaqah)، وإلهة الشمس، **ذات - حميام** (Dhat-Himyam)، وابنهما اثار*، نجمة الصباح. وفي وقت متأخر من القرن الثالث، بدأ توجه نحو التوحيد في مارب، كما هو معبر عنه في مراحله المبكرة في النقوش الحجرية العديدة، المكتوبة بالخط السبئي-الحميري، التي تدعو الى الإله الماقة[4]. وفي المرحلة الثانية، بعد سنة ٣٨٤، ظل الإله الذي كان يدعى له بدون اسم وسمي ببساطة **الرحمانان، اي الرحيم**[5].

والكلمة العربية المرادفة هي الرحمن، وهي في القرآن الصفة الاولى لله. ويمكن ان يفسر التخلي عن تعدد الالهة العربية الجنوبية

* لعله عطارد [المترجم]



معبد اوّان (The Awwan Temple) الذي تأسس منذ حوالي القرن السادس للميلاد، ويسمى اليوم محرم بلقيس، في مارب باليمن. ولم تعد النقوش الحجرية من اواخر القرن الثالث للميلاد الموجودة في ممر الأعمدة تدعو الثلاثي الآلهي المالوف للقمر والشمس وفينوس، بل الإله ماقة بوجه خاص التي توحي بتوجهات توحيدية.

التقليدية لصالح الهة محايدة - أي، لا يهودية ولا المسيحية ــ التوحيدية ــ جزئياً بالوضع السياسي. فعندما قامت الأمبراطورية الحميرية بتوحيد جنوب الجزيرة العربية كلها تحت حكمها، عند نهاية القرن الثاني، برزت هناك ديانة تسمو على الهيكل القبلي. وفي الوقت الذي كانت فيه الألهات التقليدية لجنوب الجزيرة العربية مرتبطة بالعشائر الفردية، خلقت التوحيدية نقطة التقاء يمكن الوصول اليها بصورة عامة بين الناس والإله الواحد، خارج نطاق الولاءات القبلية. وبقدر كون التوحيدية، من حيث تعريفها، متاحة شخصياً ومقبولة عالمياً، فإن لها قوة توحيد كبيرة كديانة للدولة. وفي ذلك الوقت، قام حكام آخرون باتخاذ إجراءات مماثلة: حيث اعلن **شابور الثاني** الزرادشتية ديانة الدولة الرسمية، كما حاول **اورليان** (Aurelian) (حكم في سنة ٢٧٠-٢٧٥) السمو بآله الشمس سول انفكتس (Sol Invictus) الى مرتبة ألوهية كونية. ثم نجح قسطنطين بعد ذلك في إختياره للمسيحية. ولم يقم الملوك الحميريون باختيار المسيحية لأنها كانت ستحل محلهم، كما هو الحال في اثيوبيا، تحت تأثير روما، بل آثروا بدلاً من ذلك توحيدية محايدة، ومن ثم اليهودية فيما بعد.

وقد برز تطور مشابه، وإن كان اقل وضوحا ومتأخرا في مكة، مولد النبي محمد، حيث كان الـ لاه، والذي يعني اسمه الله، يعبد كأسمى إله. وكانت بنات الـ لاه الثلاثة جميعا - الالهات مناة، وتعني الزمن، الـ -

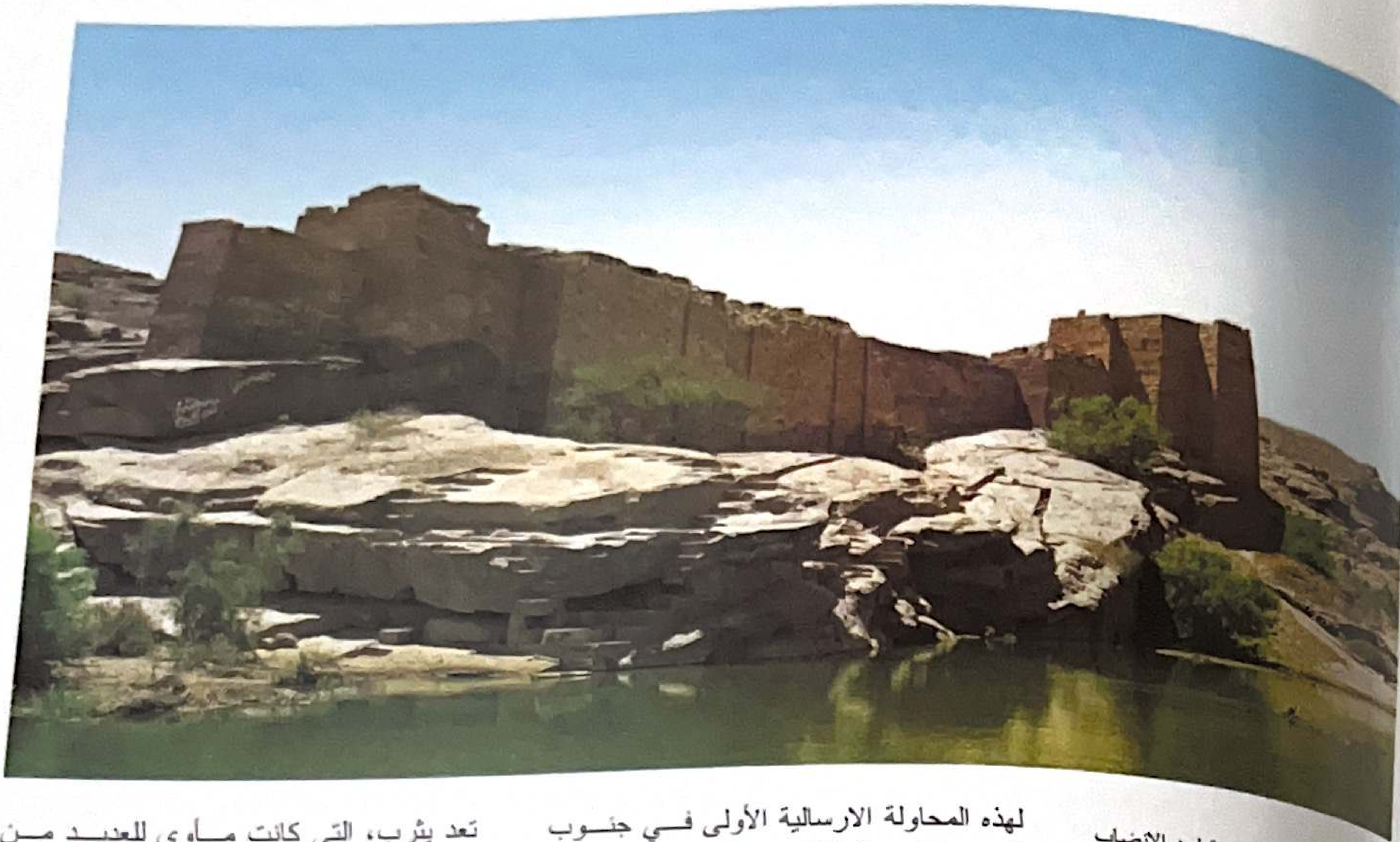
لات، وتعني الشمس، والـ -عُزة، وتعني نجمة الصباح ـــ شائعة جداً هي الاخرى. وتجعل مكانة الـ - لاه واضحة ايضاً بحقيقة انه لم يكن له شكل خاص به في الكعبة، رغم انها كانت تحتوي على ٣٦٠ وثناً. ويذكر هذا التطور بالتوحيدية المشابهة حول الإلهة ماريلاها (Marilaha) التي كانت سائدة في منطقة الرها[٦].

ويمكننا ايضاً ان نجد الصفة الإسلامية الثنائية لله في النقوش الحجرية قبل الاسلام، في جنوب الجزيرة العربية. ويروي نقش سباي - حميري من مأرب، يعود الى ٤٩٩ و٥٠٥ للميلاد، بأن البيت بني بمساعدة الرحمانان (رحمن)، الرحيم (مترحمن)، مع كون رحمانان اسم الله، والوصف الرحيم صفة له[٧]. إن هذا التشخيص الثنائي له يماثل تماماً ذاك الذي تفتتح به السورة الاولى من القرآن: بسم الله الرحمن الرحيم. وهكذا، فإن **محمد** لم يخترع الصيغة الافتتاحية لكل سورة، بل استخدم عبارات كانت مألوفة في ذلك الوقت. كما وحّد فيها الإله الـ - لاه، الذي كان يعد بصورة واسعة في الحجاز على انه اسمى إله، مع الرحمانان، الذي كان يعبد كإله واحد في جنوب الجزيرة العربية، مع كون الأخير متحولاً الى الصفة الاولى لـ - لاه. لكن كلمة "رحمانان" مرادف كان يستخدم في جنوب الجزيرة العربية لكلمة "رحمانا" الأرامية التي نجدها في كل من النسخ الأورشليمية، والبابلية للتلموذ اليهودي، وفي الكتابات السريانية الشرقية، كتلك التي لـ افرام.[٨] ومازال المصطلحان يستخدمان اليوم في الأدب السرياني الشرقي والغربي كليهما.

وكانت كل من اليهودية والمسيحية موجودة في جنوب الجزيرة العربية. وأول نشاط إرسالي مسيحي موثق في جنوب الجزيرة العربية يعود الى الأمبراطور قسطنطينوس الثاني (حكم في٣٣٧-٣٦١)، الذي قام برسامة الشماس ثيوفيلوس (Theophilos) المولود في جزيرة سنة ٣٥٦ كمبعوث رسمي الى جنوب الجزيرة العربية والهند. وكان الهدف من الارسالية بصورة رئيسة ذا طبيعة تجارية وسياسية. حيث كانت مهمته إنشاء علاقات ودية مع الدول المتاخمة للمحيط الهندي، من اجل مواجهة سياسة شابور الثاني التوسعية، وضمان التجارة البحرية المفيدة مع الهند. وكانت هذه الإرسالية على درجة كبيرة من الاهمية لبيزنطة، لأن مملكة الحيرة التي كانت تابعة للساسانيين ومتاخمة للجزيرة العربية. كانت تسيطر على الحجاز الى حدود المملكة الحميرية. وفي الوقت ذاته، كان يفترض بثيوفيلوس، الذي كان يتبع لاهوت اريوس، ان يعزز العلاقات الدبلوماسية مع حاكم حمير عن طريق جعله يعتنق المسيحية، والسماح ببناء الكنائس للمستوطنات التجارية البيزنطية.

وليس واضحاً ما إذا كان ثيوفيلوس قد وصل الهند ام لا، لكنه التقى فعلاً مع الملك الحميري ثأران يوهانيم (Tha'ran Yuhanim) وابنه الوصي على العرش ملكيكارب (Malkikarib). ورغم معارضة العديد من اليهود الذين كانوا يعيشون في البلاط، فقد حصل على السماح ببناء ثلاثة كنائس في العاصمة ظفار في صنعاء، وفي عدن أو هرمز.[٩] لكنها استخدمت من قبل التجار المسيحيين.

أما إذا كان الاسقف قد نجح فعلاً في جعل الملك الحميري يعتنق المسيحية أو ما اذا كان الملك قد قبلها فقط كمسألة شكلية، فامرمتنازع عليه. وعلى أية حال، فقد كان



البوابة الجنوبية لسد الإنضاب لمارب، الذي بني في القرن السادس قبل الميلاد. ويوثق نقش على مسلة من سنة ٥٤٢ للميلاد عملية ترميم سد الانضباب باسم الثالوث الأقدس، مع تشييد او تجديد كنيسة. (٣٨)

لهذه المحاولة الارسالية الأولى في جنوب الجزيرة العربية القليل من النجاح الطويل.

وقد اعتنق ابن ملكيكارب وخليفته، ابوكارب اسد (Abukarib Asad) (حكم في ٣٨٥-٤٢٠ تقريبا)، اليهودية بعد زيارة يثرب المدينة الواحة المركزية في الجزيرة العربية، التي سميت فيما بعد المدينة. وكانت يثرب قد بنيت من قبل مستوطنين يهود في الفترة السابقة للمسيحية، وازداد عدد سكانها الى حد كبير بعد قيام الامبراطور هادريان (Emperor Hadrian) بدحر التمرد اليهودي الثاني في سنة ١٣٥.

ورغم ان العرب من غير اليهود كانوا يعيشون في الواحة، فقد كان من الممكن ان تعد يثرب، التي كانت ماوى للعديد من المجامع اليهودية، مدينة يهودية. وبعد عودته الى اليمن أمر الملك ابوكارب بالإضطهاد الاول للمسيحيين. إن مدى ضغط الانتشار السريع للديانة الفسيفسائية في حمير وخنقه للمسيحية جلي من اعتناق الملك شرابهي اليُكوف (Sharabhi al-Yukkuf) لليهودية في حوالي سنة ٤٧٠. حيث أمر بعدها باعدام المبشر المسيحي أزقير (Azqir)، الذي كان قد قدم من نجران، لأنه كان "ينشر ديانة جديدة".[١٠] ويبدو بان اليهودية كانت هي الرائدة لحمير منذ سنة ٤٠٠ الى ٥٢٥ تقريباً. وبسبب تفوق اليهودية وحقيقة ان النقوش التوحيدية التي تعود الى ما قبل نهاية

السلالة الحميرية في سنة ٥٢٥، لا تذكر الثالوث، فإننا نستنتج بأنها كانت بإلهام يهودي.

وفي مدينة الواحة نجران، برزت جماعة مسيحية مزدهرة في القرن الخامس.

ورغم ان الطبري عزى الاعتناق غير المؤرخ لعرب نجران للمسيحية، والذين زعم انهم كانوا يعبدون شجرة مقدسة، للسوري فيمُن (يوفيميون)* Fimiun (Euphemion)[١١] فإن تاريخ السعردي يوضح ذلك اكثر، عندما يروي بأنه في زمن الشاه الساساني يزدجرد الاول (حكم في سنة ٣٩٩-٤٢٠)، توقف تاجر من نجران يدعى حنان في الحيرة، بعد عودته من رحلة تجارية الى القسطنطينية، وهناك سمع عن المسيحية السريانية الشرقية. وبعد عودته الى نجران قام بتعميد اسرته والعديد من ساكني بيته، بل حتى قام برحلة تبشيرية الى حمير[١٢] ورغم ان الجماعة المسيحية الاولى في نجران كانت في اكبر الظن نسطورية، فإن اضطهاد يسطنيانس للمونوفيزية الذي بدأ في سنة ٥١٩، ادى الى حركة مهمة للاجئين الى نجران. وصارت نجران مدينة مسيحية للجزيرة العربية، ولها العديد من الكنائس الرائعة.

وفي سنة ٥٢١، قام شخص يهودي يدعى يوسف اسعر يثعر (Yousif as'ar Yath'ar) (المسمى مسروق Masruq بالسريانية و ذو نؤاس بالعربية، اي ذو الشعر الأشعث)، باحتلال عرش الحميريين. اراد الرجل ان تنهض مملكة اسرائيل مرة اخرى في الجزيرة العربية. وكان النزاع بين الديانتين التوحيديتين مقدّرا، عندما قاد ذو نواس النزاع الثائر السريع كثورة دينية. وفي بداية سنة ٥٢٢ هجم على المسيحيين في مملكته التي كانت نجران تعود اليها كمنطقة تتمتع بحكم شبه ذاتي. وفي نفس الوقت، امر بنهب وقتل التجار البيزنطيين الذين كانوا يرحلون بين حمير واثيوبيا، مثيرا بذلك اول تدخل عسكري من قبل الأثيوبيين المسيحيين. ورغم انه كان على الملك ان يغادر ظفار، فقد قام بهجوم معاكس ناجح في برد الشتاء. وعاد الى عاصمته وأحرق الكنيسة التي كان المسيحيون مسجونين فيها، كما دمر كذلك كنيسة موكا (Mocha) على البحر الأحمر.

ثم قاد جيشه نحو الشمال وحاصر نجران المسيحية في سنة ٥٢٣ او سنة ٥٢٤. ورغم انه منح المسيحيين المرور الأمن بعد أستسلامهم المشروط، لكنه حرض على حمام دم مرعب. فقد أمر بحرق كل الأكليرس، والراهبات، والرهبان احياء في الكاتدرائية، بينما قطع رؤوس زعماء المواطنين والتجار، اضافة الى عوائلهم.

إن تصرف الملك بهذه القسوة بدوافع دينية جلي من حقيقة أنه وعد المسيحيين بالإبقاء على حياتهم إن هم اعتنقوا دينه: "والآن قد رأيتُنّ [يا نساء الزعماء المدنيين الذين قطعت رؤوسهم] كيف قتل ازواجكن لأنهم قالوا بأن المسيح الله وابن الله. اكفروا بالمسيح والصليب! صيروا يهودا مثلنا".[١٣] ومثلما يوضح تصريح آخر من تصريحات ذي نؤاس، فقد كان يضطهد بالدرجة الاساس المايافيزيتيين لأنهم كانوا يؤمنون بالطبيعة الواحدة الإلهية للمسيح: "هل انتم اكثر ذكاء من هؤلاء اليونانيين الذين يعيشون بينكم ويسمون انفسهم نساطرة؟"،[١٤] لكن المسيحيين ظلوا ثابتين، ولقي الموت ما يقرب من ٤٧٠٠ شهيد، وبيع ١٣٠٠ طفلا كعبيد.[١٥] وبعد المذبحة مباشرة وجه ذو نؤاس رسالتين

* هو مبشر أو راهب من سوريا الذي حوّل عرب نجران الى المسيحية. (المدقق)

الى الشاه الفارسي، وملك الحيرة، المنذر الثالث، طلب فيهما ان يحذوا حذوه ويدمروا المسيحيين. لكن المنذر، الذي كانت زوجته نسطورية، لم ينظر في ذلك، وفي الحقيقة، أعلم وفدا بيزنطيا كان يقيم في بلاطه بهذه الحادثة.

المسيحية تصير الديانة الرسمية للدولة في جنوب الجزيرة العربية

لكن ذا نؤاس أساء تقدير النجاشي المايافيزيتي في أثيوبيا، الذي كان يتحرق للإنتقام لمذبحة ثكنته في ظفار، واخوته المسيحيين في نجران. وفي حوالي سنة ٥٢٥م نزل على الساحل الغربي لليمن مع جيش قوي، وقتل ذو نؤاس وفرض المسيحية على الكثيرين من اليهود،[١٦] حيث عين في السلطة بعد ذلك نائبا ملكيا حميريا. وبعد فوضى دامت بضعة سنوات، إستولى على السلطة في حوالي ٥٣٣م المايافيزيتي **إبرها الحبشي**، الذي جعل المسيحية الديانة الرسمية لجنوب الجزيرة العربية لأربعين سنة. وحدث الترميم الأخير لسد مارب الكبير اثناء حكم ابرها، هذا السّد الذي بني في القرن السادس ق.م.

وتروي مسلة تعود الى سنة ٥٤٢ ليس فقط عن بناء أو تجديد كنيسة مارب، بل ايضا عن الاصلاح الكامل للسّد، الذي يفترض انه تعرض الى ضرر كبير بسبب هزة أرضية. والمسلة تبدأ بابتهال الى الثالوث: "بقوة ومجد ونعمة الرحمن [الرحمانان]، ومسيحه والروح القدس".[١٧] ولكن بعد ثلاثين سنة إنهار السد اخيرا، وفقدت منطقة مارب التي كانت في يوم ما خصبة، عصب حياتها، واصبحت صحراء قاحلة.[١٨] ولا بد ان يكون الدمار النهائي لسد مارب قد خلق انطباعا مهما في الناس، لأن القرآن، بعد جيل او جيلين، اشار اليه بعبارات تشبه تلك التي تصف الطوفان الكبير: "فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ" (سورة سبأ ٣٤ : ١٦)

وقد استخدم ابرها سلطته لتعزيز المسيحية في جنوب الجزيرة العربية، وقام بتشييد وإعادة اعمار العديد من الكنائس. واروع كنيسة هي كاتدرائية صنعاء، التي كانت مزخرفة بزخارف جصية وفسيفساء.[١٩] وقد روى المؤرخ المسلم الطبري بان ابرها اراد من بناء الكاتدرائية ان يستأصل مكة، مركز التجارة العربية الرئيس كموقع للحج، لأن الكعبة كانت، حتى في الفترة السابقة للإسلام، أهم مركز ديني في الجزيرة العربية. والآن كان يفترض بالبدو ان يحجوا سنويا الى صنعاء بدلاً من مكة. لكن قريش، القبيلة الحاكمة في مكة، قامت بقتل رسل ابرها واستعانت ببدوي لتدنيس كاتدرائية صنعاء. ويقال بانه قام في جنح الليل بتلطيخ المذبح والصليب بالبراز.[٢٠] فأقسم ابرها على الانتقام وقرر تدمير الكعبة. ورغم ان جيش ابرها، الذي كان له فيلة حربية تحت تصرفه، كان متفوقا على جيش مكة بكثير، وانه في الزحف على مكة، - في حوالي سنة ٥٥٢،[٢١] - ربح المناوشة الاولى، فقد لقي كمينا في واد ضيق قبيل وصوله الى هدفه فدمّر. ومما هو ماتع، ان الزعيم البطولي لأهل مكة، الشيخ عبد المطلب، لم يكن إلا جدّ محمد، والذي عاش في كنفه النبي المستقبلي حتى بلغ ثماني سنوات. وللمرء ان يتأمل كيف ان الفخر العائلي في تدمير

الجيش المسيحي الهم محمداً، عندما شعر بالنداء لقيادة العرب بعيداً عن الشرك بـالله، ليس في اختيار التوحيدية المسيحية، بل بالأحرى، عبادة اسمى اله للكعبة، الـ **لاه**. ولا شك ان الرغبة القومية لتحرير الجزيرة العربية من الحكم الأجنبي للحبشة وايران كان يشكل حافزاً آخر لألهام دين جديد.

وقد خلف الملك المهزوم إبرها اثنان من ابنائه، لكنه في حوالي سنة ٥٧٠ تجرأ سليلو ذو نؤاس على اثارة ثورة، وطلبوا من الملك الساساني **خسرو الاول** المساعدة العسكرية. فنزل جيش ايراني في عدن وهجم على المسيحيين المستضعفين. بيد ان الساسانيين، بدلاً من ان يسمحوا باحياء مملكة حمير القديمة، جعلوا من اليمن اقليماً ايرانياً، حيث بقيت كذلك حتى اخراجهم من قبل عرب **محمد** في سنة ٦٣٠ تقريباً.

وقد استغلت كنيسة المشرق هذا الغزو الجديد في اكبر الظن، لتعزيز حضورها في الجزيرة العربية. وقد اشتهر اسم كندة القبيلة العربية المشهور في وسط الجزيرة العربية، والتي كانت نسطورية الى حد ما.[٢٢] وكانت هناك ايضاً قلة من المسيحيين بين قريش، القبيلة الرئيسية في مكة. واشهر هؤلاء هو العالم وقارىء الفال **ورقة ابن نوفل**، الذي كان قريباً لمحمد باعتباره عم الزوجة الاولى للنبي، **خديجة**[٢٣]. وقيل انه، كانت هناك في ذلك الوقت، على ما يبدو، صورة لمريم مع يسوع على جدار الكعبة.[٢٤] وقد ظلت كاتدرائية ابرها المشهورة في صنعاء، من جانبها، قائمة حتى حوالي سنة ٧٧٠، عندما امر رجال الادارة العرب في اليمن بتدميرها. وقد اعيد استخدام تيجان الأعمدة المزخرفة بصلبان يونانية في بناء المسجد الكبير.[٢٥] وقد خدم آخر رئيس اساقفة اليمن النسطوري ومقره في صنعاء، **توما المرغري** (Thomas al-Margarri) حتى سنة ٨٥٠، وقد ذكر المسيحيون هناك لآخر مرة في سنة ٩١١.[٢٦]

وكما لاحظ الرحالة الى الهند **كوزموس انديكوبليستس** (Cosmos Indicopleustes) في سنة ٥٢٥، فإن ابرشية جزيرة سوقطرة كانت المعقل النسطوري الثالث في العالم العربي. وكانت تحت سلطة الكرسي المطرافوليطي لـ**رو اردشير** (Rew Ardashir).[٢٧] فقد صمدت المسيحية لقرون بعد الفتوحات الاسلامية بسبب عزلتها الجغرافية. وقد روى **ماركو بولو** (Marko Polo)، الذي زار الجزيرة في رحلة عودته في حوالي سنة ١٢٩٣/١٢٩٤، قائلاً: "الشعب [شعب الجزيرة] معمد جميعاً، ولهم رئيس اساقفة. وليس لرئيس الاساقفة اية علاقة بالبابا في روما، لكنه يخضع لسلطة رئيس الاساقفة الكبير في بغداد".[٢٨] وفي القرن السادس عشر اصبحت المسيحية ممتزجة بالاسلام وعبادة القمر، ثم اختفت في وقت مبكر من القرن العشرين. وكانت الوهابية المتعصبة، وهي مذهب الدول الاسلامية في المملكة العربية السعودية، قد نزلت، في حوالي سنة ١٨٠٠، الى الجزيرة ودمرت كل بيوت العبادة المسيحية.[٢٩] وتُذكر البقايا الآثارية لاحدى الكنائس حضور المسيحيين النساطرة هناك في يوم ما.[٣٠]

وعلى ضوء الانتشار المؤثر للمسيحية في الجزيرة العربية، فانه لمن المدهش ألا تكاد توجد هناك أية اشارات الى ترجمة قبل الاسلام للكتاب المقدس الى العربية. واقدم نتف، من القرنين الثامن والتاسع، تأتي من فلسطين وسيناء.[٣١] وقد قام الفيلسوف النسطوري حنين بن اسحاق (٨٠٨-٨٧٣)، اولاً بترجمة الترجمة السبعينية،[٣٢]

والترجمات المبكرة للـ بشيطتا كما ان رسائل بولس تكاد ان تكون معاصرة.[٣٣] ولا يسعنا إلا التأمل في اسباب هذه الترجمات المتأخرة نسبياً. ترى هل كانت السريانية تستخدم فقط كلغة طقسية في ذلك الوقت؟ هل كان العرب المسيحيون، وبسبب اسلوب حياتهم القائم على البداوة، جهلاء؟ وقد يكون هذا السبب قد طبق في منطقة شمال الجزيرة العربية واليمن، لكن لامر ليس كذلك في اكبر الظن في نجران. ام هل قد اختفت الترجمات الأقدم ببساطة دون ان تترك أثراً؟

فقدان الابرشيات العربية

بسبب ارتباط الاسلام بالقومية العربية المتنامية بسرعة، برزت هناك في عمق الصحراء العربية دوامة من قوة كهذه بحيث دمرت، في بحر عقود من الزمن، الامبراطورية الساسانية، وغزت اكثر من نصف الإمبراطورية البيزنطية، والتي، ولأول مرة، لم توقف المسيحية فحسب، بل اخرجتها بالقوة من موطنها ذاته. وفي مطلع القرن الحادي والعشرين، صار الفتح الاسلامي يعني بداية زوال المسيحية السريانية المشرقية، حيث باتت كل من الكنيسة السريانية الأرثوذكسية وكنيسة المشرق مهددة بالانقراض في مهدها.

ولم تأت دعوة النبي محمد (٥٧٠-٦٣٢) في بيئة 'وثنية' صرفة، لأنه كان لكل المدن العربية جماعات يهودية ومسيحية بكثافة متباينة. واضافة الى هاتين الديانتين التوحيديتين، كان هناك في مكة توحيديون مستقلون، يسمون **الاحناف** (Hanife)، الذين ابوا عبادة الألهات القبلية العديدة، واعترفوا فقط بـ **الـلاه** كإله حقّ، لكنهم مع ذلك لم يكونوا مسيحيين ولا يهوداً. وقد تمسك محمد، الذي كان مطلعاً على كلا الديانتين، بفكرته. فقد قام اولا برفع أسم اله في مكة، الـ لاه، الى الله الواحد، الذي لم يكن يقبل بأية آلهة أخرى. ثم أكد، متبعاً الأنبياء الذين سبقوه، ابراهيم وموسى وعيسى، بانه لم يكن يدعو الى ديانة جديدة، بل كان يعيد تأسيس العبادة غير الوثنية لإله ابراهيم في نقائها الأصلي. وطالما ان الله ليس مرئياً ولا يمكن تخيله فلا يمكن ان يعبد بتقديم ضحايا واوثان، بل بالصلاة بدلاً من ذلك، وبنشر رسالته.

لقد اراد محمد ان يطهر الكعبة - التي كان ينسب انشاءها الى ابراهيم، ابي اجداد كل العرب، اسماعيل - من اوثانها الـ ٣٦٠ وتكريسها لله وحده. وكان محمد، من هذا الجانب، ذا روحية مشابهه ليسوع، عندما قام بتطهير الهيكل (متى ٢١: ١٢ وما بعدها) ولما كانت الكعبة مركزاً دينياً واقتصادياً في آن واحد، فقد خشيت سلطات مكة من أن مبادرة محمد المتطرفة يمكن أن تقلل من قوة جذبها، وتقوض دورها كمركز للتجارة. وفي سنة ٦٢٢ هرب محمد الى يثرب اليهودية.

هناك قام بتنظيم اتباعه في جماعة دينية اجتماعية تحت قيادته. إن مفهوم الجماعة الأيمانية هذا، المجتمعة حول إله واحد، دون ارتباطات بأية قبيلة، مكن محمد من التغلب على التناقضات الداخلية العربية بين الشعوب المستقرة والبدو، وكذلك بين القبائل. وفي السنوات التالية وسع محمد سلطته على كل يثرب، دون أن يتوانى عن مهاجمة القوافل التجارية من مكة، او السماح للمعارضة من ديانات اخرى.

ثم قام بطرد قبيلة بنو قينقاع اليهودية من مدينتهم، كما قام باعدام زعماء قبيلة بني قريضة اليهودية ايضاً. وبعد وفاته، كان مركز الجزيرة العربية قد طُهّر من اليهود والمسيحيين. وبعكس يسوع وزرادشت

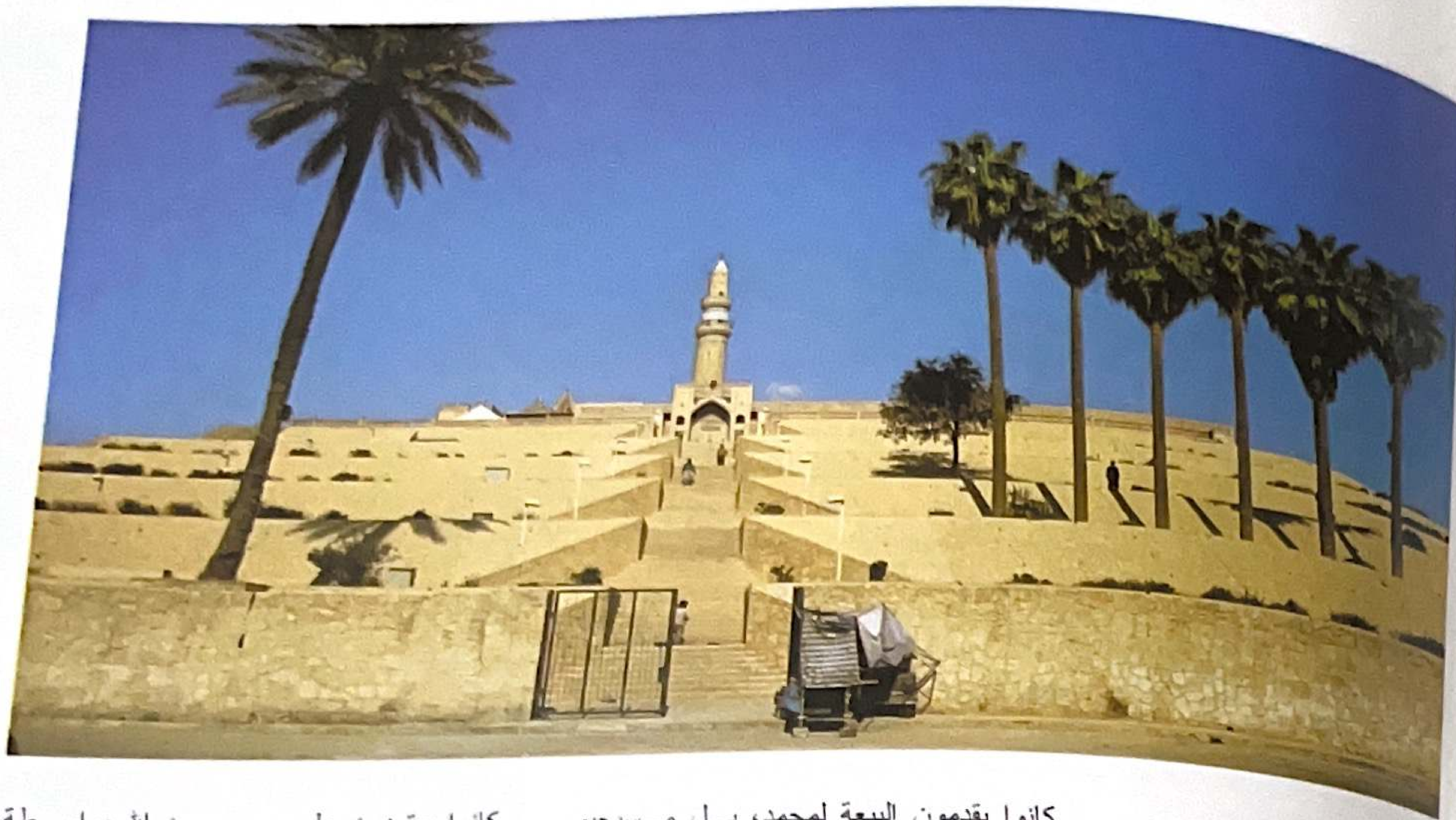
وماني، لم يكن محمد مؤسسا لديانة فحسب، بل كان في الوقت ذاته محارباً ورجل دولة ناجح. وقد كان هذا الجمع بالذات بين الادوار هو الذي جعل الاسلام مشكوكا فيه لدى اليهود والمسيحيين، طالما انه خليق بالرسالة الدينية ان تنجح بالاعتماد على قوة حقيقتها وبالكلمات، وليس بالسيف. وبهذه الروحية صرح يهودي من فلسطين في سنة ٦٣٦ تقريباً قائلاً، "محمد نبي مزيف. ايظهر الأنبياء مسلحين من الرأس حتى القدمين؟".[٣٤] وفي سنة ٦٩١ اجاب البطريرك النسطوري خنانيشوع (شغل الكرسي في ٦٨٥-٧٠١) بما يشبه ذلك عندما سأله الخليفة عبد الملك عن رأيه في الإسلام، حيث أجاب البطريرك الجريء، "انه سلطة قامت بالسيف وليس ايماناً مؤيداً بالعجائب الالهية، مثل المسيحية وشريعة موسى القديمة". وقد هم الخليفة أول الأمر بقطع لسان البطريرك الشجاع، لكنه عفا عن خنانيشوع بعدئذ بشرط ألا يرى وجهه ثانية.[٣٥]

ورغم ان محمد دعا الى ديانة عالمية، فقد بقي عالقاً في الفكر العبري. ان الله، مثل إله موسى، صالح ومعاقب، لا يظهر الرحمة إلا للخاطئين التائبين. وأغلب السور تتوسع في فكرة العهد القديم من ان الله يحذر شعبه ضد المعاصي ويهددهم بعقاب شديد. وفي الوقت ذاته، يرتبط الرضا الإلهي بالنجاح المادي للمؤمن – وهو الآخر مبدأ من مبادىء العهد القديم، والذي ترفضه روحية العهد الجديد تماماً. والى جانب رفض اليهود العرب الاعتراف بمحمد كنبي، فإن كون القرآن اكثر عداوة بصورة عامة نحو اليهود منهم نحو المسيحيين، يمكن ان يعزى في اكبر الظن الى التشابه الداخلي للإسلام مع الديانة العبرية.

"لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ" (سورة المائدة ٥ : ٨٢)

بيد ان سورة اخرى تدين المسيحيين واليهود بنفس الدرجة من القساوة لأنهم لم يؤمنوا بوحي محمد "وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ" (سورة البقرة ٢ : ٨٩).

وفي سنة ٦٣٠ احتل محمد مكة دون مقاومة، وهناك إستقبل العديد من الوفود من القبائل العربية بما فيها قبائل مسيحية، الذين اعترفوا بحكمه. وقد أعلن خليفته أبو بكر (حكم ٦٣٢-٦٣٤) محمداً خاتم أنبياء الله، وقرر إن الخروج على الجماعة المسلمة يمثل خيانة لله، وبأن المرتد، وحسب أمر القرآن، يجب أن يعاقب بالموت.[٣٦] وفي هذه النقطة يشبه الاسلام الزرادشتية، فقد حدد التسامح الاسلامي ذاته – ومازال يحدد نفسه اليوم في بلاد مثل ايران والمملكة العربية السعودية – بمنح اليهود والنصارى خيار ممارسة دينهم الذي ولدوا فيه أو يعتنقوا الاسلام. وكل من يرتد عن الاسلام يستحق الموت. ولم يكن البطريرك النسطوري **إيشوعياب** الوحيد من بين المسيحيين الذين



جامع النبي يونس، الذي يتجه نحو الشرق، في الموصل، شمال العراق (حيث يقال ان قبر النبي يونان موجود هناك). وقد بني على ضريح البطريرك النسطوري خنانيشوع الاول (شغل الكرسي في سنة ٦٨٥-٧٠١). وقد تم تحويل الدير المسيحي، الذي أسس في نهاية القرن الرابع، الى جامع في القرن العاشر. وفي ١٣٤٩ تم العثور على جسد البطريرك الذي زعم انه لم يكن قد فسد، والمتوفى قبل ذلك بأكثر من ستة قرون، والذي اعتبر مماثلا للنبي يونان المرتبط بنينوى/ الموصل. ٣٩

كانوا يقدمون البيعة لمحمد، بل مسيحيو نجران الذين ارسلوا وفداً الى مكة في سنة ٦٣١. وقد اعلنوا خضوعهم وعرضوا تقديم القوات في حالة الحرب. فقبل محمد خضوعهم، وفرض عليهم جزيتين، وألزمهم بتقديم المساعدة العسكرية. وفي مقابل ذلك ضمن للمسيحيين السلامة الشخصية وحرية العبادة، اضافة الى حماية الاكليروس والكنائس وممتلكات الكنائس.[٣٧] أما القبائل المسيحية الاخرى على اية حال، مثل عبد القيس، فقد اعتنقت الاسلام.[٣٨]

لكن النبي سامح من بين المسيحيين واليهود من كانوا من اهل الكتاب اي انهم كانوا يعتمدون على وحي من الله بواسطة الانبياء. وبعد فتح ايران، اعتبر الزرادشتيون ايضاً من اهل الكتاب لأسباب عملية.[٣٩] بيد ان محمداً كان عنيداً حيال الجماعات الدينية الاخرى. ولم يكن امامهم إلا سبيل واحد: الاسلام او الموت. ومثلما كان الله قد كشف لنبيه في سنة ٦٣٠ تقريباً، "فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ



يونان النبي من نينوى، التي تقع الى الشمال الشرقي من مدينة الموصل، العراق. ويروي الكتاب المقدس بأن الله أمر يونان بالذهاب الى نينوى وتهديد السكان بعقاب إلهي. وعندما هرب يونان من وجه الله عن طريق البحر، ألمّت بسفينته مصيبة فقام طاقم السفينة على اثرها بالقائه في الماء. بيد ان الله ارسل حوتاً ابتلعه وقذف به الى البر بعد ثلاثة أيام. فأطاع يونان أمر الله وذهب الى نينوى، حيث تاب الناس عن خطاياهم، وهكذا أبقى عليهم الله. وبما ان القرآن قد تبنى هذه الرواية، فإنه من المفهوم ان يقوم كل من المسيحيين والمسلمين بإكرامه.

٤٠ (عن مخطوطة تاريخ العالم لراشد الدين التبريزي، شمال غرب ايران، كتبت في سنة ١٣٠٦/١٣٠٧. مكتبة جامعة ادنبرة .Or Ms 20f 23v)

رَحِيمٌ." (سورة التوبة ٩: ٥)[٤٠] وكان أول الضحايا للسياسة القاسية هم المشركون من العرب، ومن ثم بوذيو آسيا الوسطى، واحياناً، المانويون.

بيد ان النبي نفسه وضع نهاية لهذا التسامح تجاه المسيحيين، عندما اوصى وهو على فراش الموت في سنة ٦٣٢، باستخدام الاسلام بشكل خاص لبناء الامة العربية، "واخراج جميع الكفار من الجزيرة العربية".[٤١] وكان من شأن الاسلام ان يصبح الدين القومي لكل العرب، وان تكون الجزيرة العربية جامعاً كونياً، مفتوحاً امام المسلمين فقط. وبعد ثلاث سنوات، وضع الخليفة عمر رغبة محمد موضع التنفيذ، وألغى معاهدة الصلح مع مسيحي نجران، الذين كان قد رحّلهم الى الحيرة، وكذلك الى سوريا والبصرة. لكن سمح لهم مع ذلك بالإحتفاظ بدينهم. وعند نهاية القرن الثامن تم تحول المايافيزيتيين الذين كانوا قد استقروا في الحيرة على يد البطريرك طيماثاوس الأول ليتبعوا كنيسة المشرق. لكن الذين كانوا في البصرة سرعان ما اعتنقوا الاسلام لكي يتجنبوا الجزية الخاصة المفروضة على المسيحيين.[٤٢]

وفي أقل من قرن وفق الاحتساب الإسلامي — اي، ابتداء بسنة ٦٢٢ للميلاد - كانت الجزيرة العربية قد طهرت تماماً من المسيحيين واليهود، وقد ظلت جماعات مسيحية صغيرة موجودة حتى القرن العاشر ولكن فقط عبر الحدود الشمالية وفي اليمن. وعندما تقدم العرب نحو الشمال ابتداء بسنة ٦٣٢، اصبح السوريون والمسيحيون العرب العراقيون تحت ضغط كبير لقبول الاسلام، بينما تُرك المسيحيون الباقون دون إزعاج ولو الى حين. وكان هناك استثناء مشهور لذلك في قبيلة عرب تغلب النسطورية، التي رفضت ان تخون إيمانها بل كانت مستعدة حتى لدفع ضعف الضريبة الاعتيادية المفروضة على المسيحيين. وقد دفع العديد من زعماء تغلب حياتهم ثمناً دفاعاً عن ثباتهم على الأيمان.[٤٣]

بين السماح والقمع – المسيحيون كمواطنين من الدرجة الثانية

كان العرب يشكلون أقلية صغيرة في المناطق التي تم غزوها، وقد إنسحبوا أول الأمر الى التحصينات العسكرية. وعند موت الخليفة الرابع علي (حكم في سنة ٦٥٦-٦٦١)، إستولى القائد معاوية الأول (حكم في سنة٦٦١-٦٨٠) على السلطة.

وأسس السلالة الأموية، ونقل العاصمة الاسلامية من المدينة الى دمشق في قلب أرض مسيحية صرفة. ولأسباب عملية ومالية أحجم بنو امية عن استخدام العنف في

ارغام العرب غير المسلمين على أعتناق الاسلام. وهم غالبا ما أبقوا على الإدارة المسيحية في المناطق التي كانت تعود في السابق الى بيزنطة والقائمة تحت امرتهم. كما أتيحت في الامبراطورية الساسانية السابقة فرص للمسيحيين، لاسيما النساطرة، في الحكومة المدنية بعد ان كانت في السابق مغلقة بوجههم. وأستفاد المافيزيتيون ايضا من التغيير في السلطة، طالما ان ذلك حررهم من الإضطهادات من قبل السلطات البيزنطية.

وقد قبل المسيحيون على جانبي الفرات بالعرب، إما برغبة محايدة اوأحتفوا بهم لتحريرهم من النير البيزنطي او الساساني. وبما ان أغلب المدن استسلمت دون مقاومة، فقد دخلت السلطات الدينية، مثل البطاركة ورؤساء الأساقفة، في مفاوضات مع العرب لتنظيم وضعهم. وكانت كلها متشابهة ومصنفة تحت عنوان، ميثاق عمر. وكانت هناك معاهدات اخرى، زُعِمَ ان بعضها يعود الى الخليفة علي، ذي المكانة الجليلة لدى الشيعة، أو حتى الى النبي نفسه. ورغم ان الوثائق الباقية اليوم تعود الى فترة متأخرة اكثر، إلا أنها تعكس بصورة جيدة الستراتيجية العربية لذلك الوقت حيال اتباعهم من ديانات اخرى. وحتى في يومنا هذا، فإن الجماعات المسيحية تثمن تلك الوثائق، لكونها تبرهن بشكل قاطع على حقوقهم. وإن البعض من الإتفاقات المفضلة لدى المسيحيين، عبارة عن تزوير واضح، والتي كان فيها النساطرة، الذين كانوا متأثرين بالإسلام اشد تأثير، هم السادة. ورغم ان هذه الاتفاقات لم تطبق على نحو فاعل، أو تجعل اكثر صرامة، فإن بنيتها الرئيسة ظلت ثابتة.

وكانت تحدد مكانة الكنيسة وحقوقها وواجباتها والقيود الرسمية المفروضة عليها.

وكان الشرط المطلوب لهذه الاتفاقات هو تنظيم كنيسة المشرق، منذ العهد الساساني، في ملة دون ان يكون هذا التركيب السياسي محددا بمعايير إقليمية ولا لغوية، بل بعقيدة عامة. ولما كان القانون المدني في الدولة الإسلامية حصيلة مباشرة للوصايا الدينية، فإنه لا يمكن ان يطبق بكامله على اولئك الذين ينتمون الى عقائد اخرى. وهكذا تعمل الملة مثل حكومة دينية: فكل المؤمنين هم تحت ولاية بطريركهم الذي يجمع الضرائب من القادة المدنيين والمصرفيين في جماعته نيابة عن السلطة الإسلامية. وإذ تمكنت هذه الطبقة الصغيرة من إدارة مبالغ ضخمة من المال خلال القرنين الاولين من الحكم العباسي، فقد برزت فرص عديدة للإغتناء

حضن ابراهيم. جدارية في دير مار موسى، سوريا، القرن الثاني عشر. وقد تفهم الاشكال الثلاثة في الامام على انها رموز للديانات الثلاثة القريبة من بعضها البعض، اليهودية والمسيحية والإسلام.



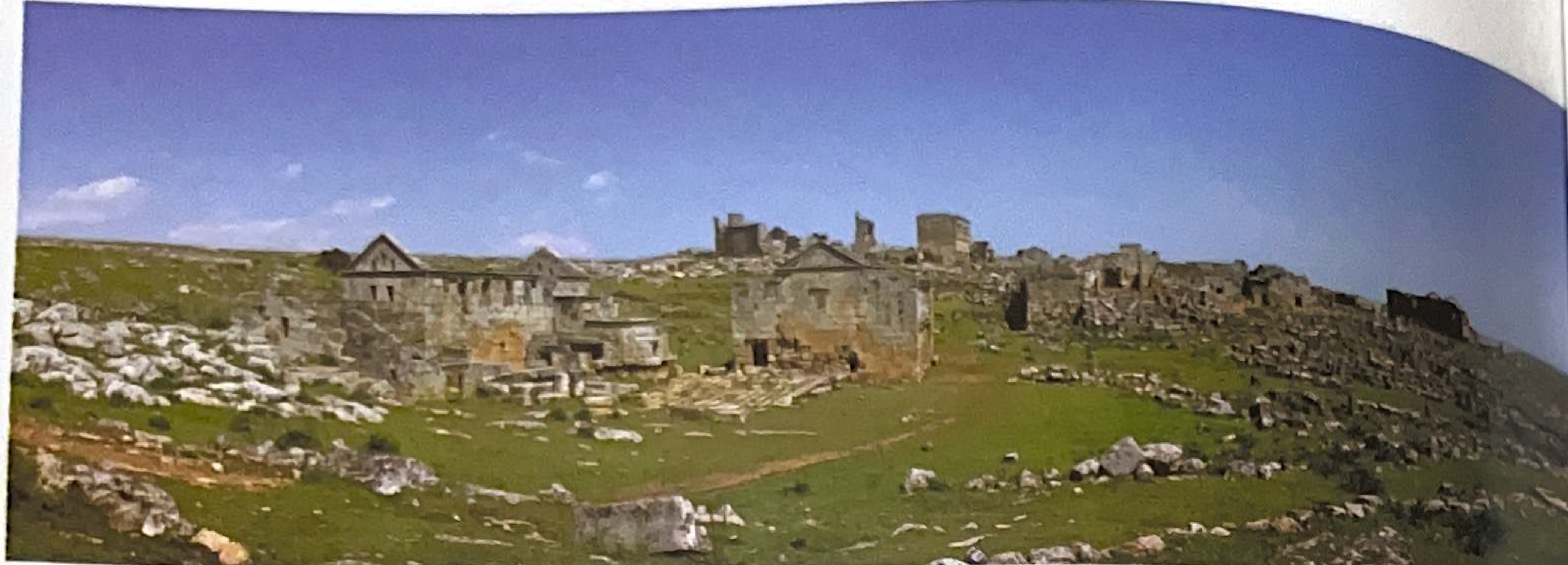
الشخصي، بما في ذلك، على سبيل المثال، تاجير الضرائب أو بيع الولايات (مناصب) الدينية العليا ـــ اي السيمونية.

وكان البطريرك النسطوري في هذه الدولة الدينية يتمتع بسلطات واسعة حتى القرنين الحادي عشر والثاني عشر، كونه كان يحكم في النزاعات القضائية ضمن جماعته ويستطيع ان يجعل السلطات المدنية تنفذ احكامه.[٤٤] ولم تكن تعرض إلا القضايا الشرعية التي كانت تخص كذلك المسلمين ذاتياً على محكمة اسلامية، حيث كانت شهادة المسيحي اقل اهمية عن تلك التي لمسلم، بينما كان عقاب المسيحيين اشد قسوة. وفي حالة القتل، كانت درجة العقوبة تعتمد على الارتباط الديني لكل من الجاني والمجنى عليه. فإن قتل مسلم مسيحياً، فإن ثمن الدم كان نصف ما كان يدفع للضحية المسلمة. ولكن إن قتل مسيحي مسلماً، فإن حكم الاعدام كان ينتظره بالضرورة. ومن ناحية اخرى، كان البطريرك مسؤولاً شرعياً عن كل من السلوك الجيد لأخوته في الدين وولائهم، اضافة الى المبلغ المطلوب من الضرائب. وهكذا كان النساطرة يشكلون دولة تابعة قوية عددياً ولكن ضعيفة سياسياً.

وقد افادت الإطاحة بالسلالة الاموية (٦٦١-٧٥٠) من قبل العباسيين (٧٥٠-١٢٥٨) النساطرة لأن الحاكم الجديد نقل كرسي حكم الإمبراطورية الاسلامية من دمشق الى العراق، وقام في سنة ٧٦٢ بتاسيس بغداد الى الشمال من سلوقيا - قطيسفون على موقع قرية مسيحية.[٤٥] وكانت كنيسة المشرق تمتاز عن باقي الكنائس بميزتين إضافيتين ايضاً. الاولى: أن المسيحانية النسطورية، من بين كل المسيحانيات، تشبه عن كثب التفسير الاسلامي ليسوع، إذ كانت تؤكد على انسانية المسيح ولم تكن تسمي مريم العذراء والدة الله. ثانياً: كانت كنيسة المشرق قد باتت مستقلة من حيث السلطة الكنسية عن بيزنطة، العدو اللدود. لهذا السبب، كان البطريرك طيماثاوس الأول يتولى الحكم على كل المسيحيين الذين كانوا يعيشون في الخلافة العباسية، والذي اكده الخليفة القائم* لـ البطريرك عبديشوع الثاني (حكم في ١٠٧٤-١٠٩٠).[٤٦] ومن مساوىء هذا التخويل الديني الشامل إن كل انتخاب لبطريرك كان يتطلب تايد الخليفة له. ومن ناحية اخرى، كان البطريرك النسطوري الرئيس الثيوقراطي لكل المسيحيين في الخلافة التي كانت تمتد من القاهرة الى سمرقند، وهكذا كان واحداً من اقوى التابعين. ومن الناحية الأخرى، كان موظفاً عاماً في مقدور الخليفة ان يقيله.

وهذا نص تخويل الخليفة المكتفي بالله الثاني (حكم بين ١١٣٦-١١٦٠) للبطريرك عبديشوع الثالث (شغل الكرسي بين ١١٣٨-١١٤٨)، والذي يعود الى سنة ١١٣٨: "يمنح لك بهذا التخويل الصادر من الإمامة الاسلامية السامية لتكون جاثاليقاً على المسيحيين النساطرة القائمين في مدينة السلام [بغداد] وكل اراضي بلاد المسلمين، وتمنح السطلة لتكون رئيساً لهم، وكذلك رئيس اليونانيين [البيزنطيين]، واليعاقبة والملكيين. ومن يتجرأ ممن ذكروا اعلاه [من الكنائس المذكورة] على السير في طريق عصيان أوامرك أو يرفض قبول قراراتك، سوف يحاكم ويعاقب. وسوف تحمى حياتك وممتلكاتك، وكذلك كنائسك واديرتك. وسوف نرضى بدفعكم لضريبة الرأس. فلتكن جديراً بكل هذه الحظوات، واقم الصلوات والدعاء

* الخليفة العباسي القائم بأمر الله. (المدقق)



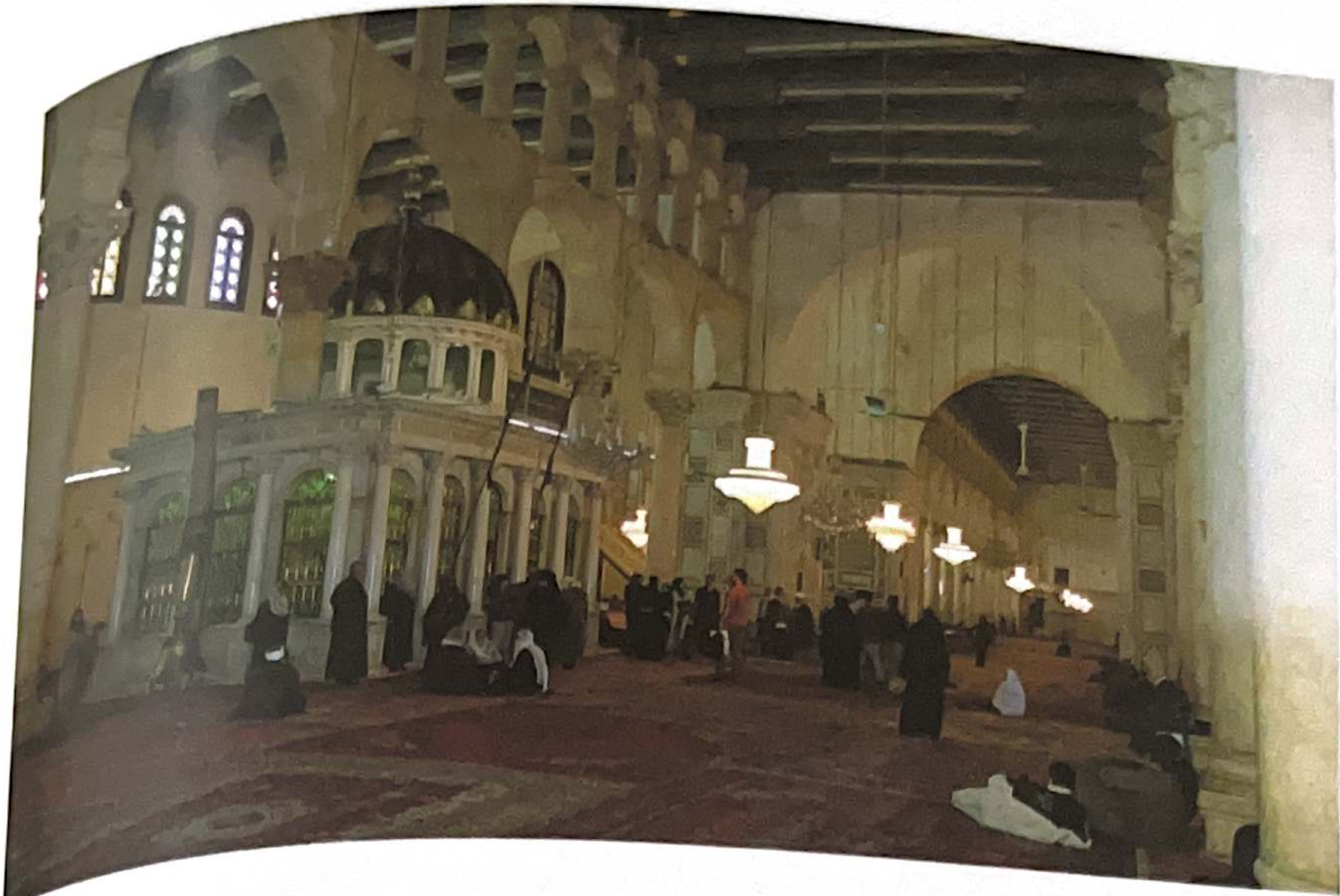
سرجيللة، واحدة من المدن الـ ٣٠٠ الميتة في شمال سوريا. وقد ادى الفتح العربي الى الإنهيار المفاجىء للتجارة مع بيزنطة، والإنهيار الإقتصادي للمنطقة الغنية بالزراعة والهجرة من المناطق الريفية.

لأمير المؤمنين".[٤٧] واخيراً، فإن البطريرك النسطوري، كان وحده الذي يتمتع بامتياز الموافقة للعيش في العاصمة.

وقد تم وضع التنظيم المدني لوضع المسيحيين واليهود من حيث المبدأ في القرآن، والتي يعتمد عليها ايضاً تسويغ الحرب: " قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ ." (سورة التوبة ٩ : ٢٩)

ووحي الله هذا يقسم العالم الى ما يسمى بدار الإسلام، دار السلام و دار الحرب. ويحكم الإسلام في المنطقة الاولى، ولكن في الأخيرة يحارب، لأن الاسلام لم يقبل به هناك.

وتكون الدول والمجتمعات غير المسلمة من حيث الجوهر أهدافاً للحرب، والتي يجب محاربتها متى ما توجب ذلك، حتى يهتدي سكانها الى الإسلام، أو يصبحون خاضعين، ويدفعون الجزية الى الجماعة المسلمة. ومن المنظور الاقتصادي، كانت المطالبة بدفع الجزية هي القوة المحركة وراء دعوة الله الى الحرب " كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ." (سورة البقرة ٢ : ٢١٦) وكانت الحرب تضع اوزارها حالما رغب المسيحيون واليهود والزرادشتيون بالإستسلام ودفع الجزية، وتصبح الحقوق المدنية ذات العلاقة نافذة.



ضريح يوحنا المعمدان في الجامع الأموي بدمشق، سوريا. وكان يوجد هنا اصلاً معبد روماني مكرس لـ جوبيتر، والذي كان الأمبراطور ثيودوسيوس الأول (حكم بين ٣٧٩-٣٩٥)، قد حوله الى كنيسة القديس يوحنا عند نهاية القرن الرابع. والذي تم تحويله الى جامع سنة ٧٠٥-٧٢٥ واعيد بناؤه من الأسفل الى الأعلى في سنة ١٨٩٣ بعد حريق. وبحسب افكار دينية مسيحانية اسلامية، فإن المسيح المنتصر سيظهر في يوم الدينونة الأخير على المنارة الشرقية، منارة يسوع، من الجامع الأموي ويقتل المسيح الدجال. ٤١

وكان للمسيحيين الطبقة الاجتماعية من الزبائن المحميين الذين يسمون أهل الذمة، وكانت الدولة تضمن أمن اشخاصها وبيوتها وحقولها، إضافة الى الأموال المنقولة. وكان بإمكانهم ممارسة الدين ضمن جماعتهم (ولكن ليس علنا)، ويعمدون أولادهم ويتزوجون ويدفنون وفق عاداتهم، ويرثون ممتلكاتهم ويحتفظون باغلب كنائسهم. وكانوا معفيين من الخدمة العسكرية، وهكذا كانوا مستثنين من الخدمة المربحة في سلك الضباط. وكان على المسيحيين، لقاء هذه الحماية، أن يدفعوا ضريبة الرأس الخاصة، وفق مهنهم وضريبة الممتلكات.[٤٨]

وقد أضيف الى هذه أتاوة عينية من الحصاد، اضافة الى ضرائب إضافية لفائدة الجماعة المسلمة ودعم جباة الضرائب.[٤٩]

وفي المناطق الريفية، كان اهل الذمة المدينين بضرائب ولكن غير القادرين على الدفع، يسمحون بان يؤخذ اولادهم ويباعوا عبيداً.[٥٠] وكلما ارتفع عبئ الضريبة كلما أزداد الدافع الى الاهتداء الى الإسلام.

ومن اجل تدارك خطر انخفاض موارد الضرائب، أعفى الوالي الأموي على العراق الحجاج (حكم بين ٦٩٤-٧١٤) العرب المسلمين فقط من ضريبة الملك، وليس المهتدين الى الإسلام او احفادهم.[٥١] وهكذا برز مجتمع مؤلف من ثلاث طبقات: المسلمون من اصل عربي، المسلمون من غير العرب، المدعوون بالموالي، واهل الكتاب غير العرب. وكان التمييز ضد الموالي هو الذي اشعل نار الثورة العباسية

في سنة ٧٥٠ وغير الإمبراطورية العربية الى امبراطورية إسلامية.

وفي بعض الاجزاء المعينة من دار السلام، أدى اجتماع سلطة مركزية ضعيفة والاستغلال الطائش لغير المسلمين وسكان الريف عن طريق الضرائب العشوائية وزمر اللصوص المتنقلين، الى تدهور للمناطق الزراعية الريفية تدهوراً لا يمكن اصلاحه. فترك الفلاحون الفقراء المثقلون بالديون حقولهم وبساتين الزيتون، والتي استولى عليها البدو ليتركوها مراحة. ليؤدي ذلك الى انحطاط الزراعة وانخفاض في عدد السكان، واخيراً الى تصحر اقاليم باكملها. وفيما يتعلق بسوريا وفلسطين، فقد توقفت التجارة التي كانت في يوم ما مزدهرة مع الدول المسيحية للبحر المتوسط هي الأخرى، لتحرم المدن من قاعدتها الإقتصادية. وهكذا اصبحت المناطق الزراعية في سوريا وفلسطين والعراق مراعي، وظهرت "المدن الميتة" المشهورة في شمال سوريا، حيث ترعى الماشية والماعز بين الخرائب وحيث تستخدم الكنائس كأسطبلات.

والى جانب الأنظمة الاميرية، كانت هناك سلسلة من القيود، لا سيما فيما يتعلق بالحياة العامة. وقد تم اولاً تحويل العديد من الكاتدرائيات والكنائس الى جوامع، كما تشهد على ذلك الهياكل الرئيسة للجوامع الكبيرة في دمشق وحلب ودياربكر والموصل، أو بنيت جوامع جديدة من مواد الكنائس المدمرة. ثانياً، كان اهتداء المسلمين محظوراً تماماً، وكذلك الأمر مع الجحود بالاسلام. وما زالت بعض هذه الأعمال في بعض الدول الإسلامية تعد جرائم كبرى يمكن ان تعاقب بالموت. إضافة الى ذلك، لم يكن يسمح لأي مسيحي ان يتزوج من إمرأة مسلمة، بينما كان يسمح بعكس ذلك، طالما بقي الأولاد مسلمين. ولم يكن من الممكن منع اي مسيحي من قبل اقربائه أو اقربائها من الاهتداء الى الإسلام.

وكانت الانواع التالية من السلوك ممنوعة ايضاً أو مفروضة على المسيحيين. يجب ان يمنح كل مسلم مأوى ورعاية في الكنائس لثلاثة أيام (!) مجاناً. ولا يجوز بناء كنائس واديرة وصوامع (hermitages)، كما أن تجديدها او ترميمها ممنوع ايضاً.[٥٢] كما تمنع المواكب خارج الكنيسة والعرض العلني للصليب والصور والأشكال، وكذلك قراءة التراتيل الدينية. ويجب ان يكون كل عمل من اعمال العبادة، بما في ذلك المأتم، هادئاً، مع جواز ضرب الصنج بهدوء فقط داخل الكنيسة. ولا يجوز للمسيحيين التجمع في حي يقطنه المسلمون، وعليهم الوقوف إحتراماً عند لقائهم مسلماً في الطريق. ولا يجوز ان يكون اي بيت مسيحي أعلى من بيوت المسلمين المجاورة. ولا يسمح للمسيحيين حمل السيوف أو ركوب الخيل، بل الحمير والبغال فقط. كما ان استخدام السرج إما ممنوع عامة، او يسمح به فقط في حالة السروج الخشبية. كما عليهم الاّ يمشوا في وسط الطريق بل على حافته. ويحضر على المسيحيين تسمية اولادهم باسماء مسلمة صرفة، واحياناً حتى استخدام الكتابة العربية.[٥٣] ويمنع المسيحيون من إرتداء ملابس مثل المسلمين، وعليهم ان يتحزموا بحزام مميز ويحلقوا الجزء الأمامي من رؤوسهم. ويجب ان تُعَلم الملابس التي تُرتَدى في الأماكن العامة من الأمام ومن الخلف بقطعة صفراء من القماش. وكل من يهمل هذه القوانين سوف يقتل أو تباع أسرته في سوق العبيد أو عليه أن يصبح مسلماً.[٥٤]

وبعد ان قام كل من الوالي الأموي الحجاج (حكم بين ٦٩٤-٧١٤) والخليفة

عمر الثاني (حكم بين ٧١٧-٧٢٠) بفرض هذه الإجراءات العنصرية فرضاً كاملاً، وزيادة الضغط المالي على المسيحيين. هذا الوضع بالنسبة للمسيحيين حتى مجيئ الخليفة العباسي الثالث، المهدي (حكم ٧٧٥-٧٨٥)، الذي شدد من جديد على الإجراءات العنصرية عقب بعض الهزائم العسكرية أمام بيزنطة. ثم قام الخليفة المتوكل (حكم بين ٨٤٧-٨٦١) بتوسيعها اكثر بهدف ايقاف التأثير الإجتماعي المتزايد للنساطرة في اقل تقدير.

فكان على المسيحيين الآن ارتداء معاطف صفراء ووضع زرين خاصين كعلامة خاصة على اغطية رؤوسهم. وكان على النساء ايضاً اخفاء وجوههن بخمار اصفر. ولم يكن يسمح بوجودهن في السوق ايام الجمعة، كما لم يكن يسمح لأطفالهن تعلم العربية في المدرسة. وكان على كل الموظفين المدنيين المسيحيين واليهود، حتى إن كانوا مجرد كتبة، قبول الاسلام، او يطردون من الوظيفة. إضافة الى ذلك، "كان يجب وضع اشكال خشبية تصور الشيطان على ابواب منازلهم". وأخيراً، كان على المسيحيين ان يجعلوا قبور موتاهم مساوية مع سطح الأرض.[55] وعلى ضوء التعليمات التي تتحكم بملابس المسيحيين علناً، فإن المرء لا يسعه ان يستنتج بأن النجمة اليهودية المأساوية لم تنشأ في اوربا، بل في الخلافة الاسلامية للعباسيين.[56] وقد وضعت تعليمات المتوكل نهاية للفترة الأولى من الإزدهار لكنيسة المشرق، الذي استمر منذ حوالي سنة ٧٨٠ حتى ٨٤٧.

ورغم ان هذه الإجرءات لم تكن تفرض دائماً وفي كل مكان بنفس الدرجة، فلا شك أن المسيحيين كانوا يعيشون في غيتو* (ghetto) اجتماعي. وباستثناء الأطباء والعلماء والمترجمين، كان النساطرة مستثنين من الحياة السياسية والعسكرية، وما له علاقة بالحياة الأجتماعية. ومن الجدير بالملاحظة ان بعض السياسات العنصرية ضد اولئك الذين من ديانات اخرى، ماتزال قائمة حتى في القرن العشرين في بعض دول الشرق الأوسط.

إن الفتح العربي للشرق الأوسط منح الكنيسة، من ناحية، ميزة، طالما انه مهد الطريق للنساك والأرساليين النساطرة للعودة الى المناطق البيزنطية السابقة غرب الفرات. وقد تم تأسيس الأبرشيات النسطورية في دمشق، وحلب، والرها، ومبسوستيا، وطرسوس وميليتين (Melitane) واورشليم، والقاهرة، والأسكندرية وقبرص. وقد جرى ترقية كل من دمشق واورشليم والقاهرة والأسكندرية فيما بعد الى درجة الكرسي المطرافوليطي. وقد اصبح في مقدور المتوحدين النساطرة الآن زيارة المتوحدين الأقباط في مصر دونما اعاقة. وقاموا بتأسيس العديد من الأديرة في فلسطين.[57] وفي ظل حكم الخليفة الفاطمي الشيعي العزيز (حكم بين ٩٧٥-٩٩٦)، الذي كان يحكم فلسطين ومصر وشمال افريقيا، خدم نسطوري بمنصب وزير حيث كان يقوم بإدارة المملكة كلها بحكم صلاحياته. وكان اسمه، عيسى بن نسطور، الذي يعني "يسوع ابن نسطور".[58] وقد وضع موت الخليفة نهاية لفترة عقدين من التسامح الكبير، مكن النساطرة من بناء العديد من الكنائس الجديدة. وقد أكد عيسى ابن نسطور، شأنه في ذلك شأن الجثالقة النساطرة، على البعد

* حيّ مخصّص لليهود والأقليات في المدن. (المدقق)

الشاسع الذي يفصل كنيسة المشرق عن كنيسة روما البيزنطية موحياً بقربها المزعوم من الأسلام.[59] بيد ان ابن العزيز وخليفته، الحكيم (حكم بين ٩٩٦-١٠٢١) تميز بالتطرف غير المحدود. فأمر بقتل عيسى بن نسطور في سنة ١٠٠٢ واضطهد المسيحيين بقسوة. وقد روى مؤرخا القرن الثاني عشر النسطوريين، ماري بن سليمان وابن العبري كلاهما قائلين "لقد اضطهد مسيحيو مصر وسوريا [فلسطين]، وكان عليهم لبس صليب خشبي يزن خمسة ارطال حول اعناقهم، واعتنق عدد كبير منهم الإسلام".[60] ثم قتل الحكيم عندما اعلن نفسه تجسيداً لله، ويعده كل من السنة والشيعة كافراً مختلاً في عقله، بيد ان الدروز، الذين يعيشون في لبنان وسوريا، يعتبرونه امامهم "المخفي".

وكان لأنتقال السلطة، عبر الفترة القصيرة والمتوسطة، من الساسانيين الى المسلمين تأثيراً ايجابياً على كنيسة المشرق. ورغم انه حدثت هناك، في ظل حكم كاره المسيحيين الحجاج، وفي ظل حكم الخلفاء عمر الثاني، والمنصور، والمهدي وهارون الرشيد، احداث منفصلة من التدخل، كما ان بعض الكنائس دمرت. فإن النساطرة لم يعانوا من اية اضطهادات كاملة، "مجرد" تمييز اجتماعي. ولم تكد تكون هناك اية محاولات رسمية لفرض الاهتداء الى الإسلام. وبينما كانت الأمبراطورية الأموية تتميز بالعرب، وبالروح العربية. فإن العباسيين الأولين كانوا عالميي التوجه على نحو اكبر بكثير، الأمر الذي افاد المسيحيين المثقفين، بل حتى ان افراداً من الأطباء والعلماء والشعراء والمترجمين والتجار، حققوا احتراماً وثروة كبيرين.

ومن الناحية الأخرى، كانت الكنيسة، كما في السابق، ممنوعة منعاً باتاً من القيام بمحاولات إرسالية بين المؤمنين بدين الدولة. وكانت إمكانات النمو في الأمبراطورية العباسية أقل بكثير مما كانت عليه في زمن الساسانيين، طالما انه لم يعد يوجد هناك أي مشركين لإهدائهم الى المسيحية. إضافة الى ذلك، كان الساسانيون قد سمحوا بين حين وآخر في صمت إهتداء الناس البسطاء الى المسيحية، مثل الفلاحين والحرفيين، بينما كانت السلطات الإسلامية تعاقب باستمرار كل حادث من حوادث الجحود. ولم يكن هذا الحضر الصارم على النشاط الإرسالي، الدافع الأدنى للنساطرة لأرسال المبشرين الى الشرق الأقصى.*

بيد ان الآفاق البعيدة المدى للنساطرة كانت مشؤومة، لأربعة أسباب.

اولاً: إن الحوافز المالية والأجتماعية كانت تغري المسيحيين بالإهتداء الى الإسلام.

ثانياً: إن التحول الى الإسلام، الذي كان يشترك في الإرث العبراني مع المسيحية، ويعترف بيسوع نبياً، كان حتماً اسهل من الأهتداء الأول الى الزرادشتية. وإنه لخليق بالمرء ألا يغفل حقيقة إنه، عند الصدام الأول بالإسلام، لم يشك إلا القليل من المسيحيين في مسألة كون الإسلام يمثل طائفة مسيحية هرطوقية (أو يهودية) اخرى، أو ما إذا كان محمد هو البارقليط الموعود به.[61] ولم يكن يقنعهم بعكس ذلك إلا الرفض الثابت للإفخارستيا، والصليب والصور الدينية.

ثالثاً: إن الاسلام دين واقعي ذو عقيدة بسيطة ومفهومة. وليس فيه أية مفاهيم يصعب فهمها، بل يحدد نفسه بمطالب سهلة التحقيق في السلوك على مؤمنيه.

* بمعنى أنه كان أحد الدوافع المهمة [المترجم]

رابعا: ظلت الكنائس تحت رحمة الحاكم في ذلك الوقت، كما ظل المسيحيون لا حول لهم أمام جباة الضرائب الجشعين.

ذروة ايام كنيسة المشرق برئاسة البطريرك طيماثاوس الأول

إستغرقت عملية تغيير السلطة من الساسانيين الى العرب أكثر من قرن، وحملت معها صعوبات لكنيسة المشرق. سقطت سلوقيا - قطيسفون في سنة ٦٣٧، لكن اقليم فارس لم يسقط حتى ٦٤٩، الأمر الذي ادى الى ان يفقد البطريرك، الذي كان يعيش في العراق الحالي، الإتصال مع ابرشيات جنوب أيران والسيطرة عليها، وقد كانت تقليديا تسعى الى الإستقلال. وفي الحقيقة، وبعد إعادة تأسيس الوحدة الأمبراطورية، رفض مطرافوليط رواردشير، شمعون واساقفته الثماني عشر الإعتراف بسلطة البطريرك إيشوعياب الثالث (جلس على كرسي الرئاسة بين ٦٥٠-٦٦٠). وقالوا محتجين بأن رواردشير قد تلقت بشارة الإنجيل من الرسول توما، بينما لم تتلقى سلوقيا - قطيسفون لبشارة ما إلا من تلميذ تلميذه أدي. وهكذا لم يكن من الممكن لمطرافوليط رواردشير ان يكون خاضعا لأسقف سلوقيا - قطيسفون.[62] لكن إيشوعياب كان يحضى بدعم العرب، وقام الجاثاليق بإقصاء الهند من مطرافوليطية فارس وأجبر الأساقفة الثائرين على الإستسلام. وعندما بدأت نشاطات إنفصالية في قطر ايضا، قام بإقالة الأساقفة وجند الطبقة الدنيا من الأكليرس والمتوحدين.[63]

وهكذا نجح البطريرك فعلاً في الإحتفاظ بوحدة الكنيسة.

وكان على الكنيسة ان تتحمل تجربة اخرى عندما افلح المتآمر يوحنا الأبرص في سنة ٦٩٢/٦٩٣ في تعيين نفسه بطريركا بوساطة والي الكوفة، ضد رغبة الأساقفة، مكان خنانيشوع الأول المطرود. وبعد موت يوحنا في حوالي سنة ٦٩٣، كانت سلطة خنانيشوع مقتصرة على الأبرشيات الشمالية، وظل الكرسي البطريركي شاغرا حتى إنتخاب صليبا زكا (شغل المنصب في ٧١٤-٧٢٨).[64] وفي هذا الوقت حلت العربية محل السريانية كلغة عامة للنساطرة في بين النهرين، وتحت رئاسة البطريرك إيليا (شغل منصب الرئاسة في ١٠٢٨-١٠٤٩)، اصبحت العربية ايضا اللغة الشرعية للمسيحيين، رغم ان السريانية ظلت اللغة الطقسية.[65]

وبمجيء طيماثاوس الأول (٧٨٠-٨٢٣)، اعتلت عرش الرئاسة شخصية غير اعتيادية من عدة نواحي. وقاد الكنيسة تحت ظل حكم اربعة خلفاء لأكثر من اربعة عقود. ولم يكن فقط كاتبا مهما، وعلى اتصال واسع مع اساقفته، بل تميز بحماس تبشيري كبير، وأظهر قدرات دبلوماسية رائعة في التعامل مع السلطات المدنية. وقد حققت كنيسة المشرق، بقيادته، منزلة عالية في وقت كان المسيحيون يشكلون فيه في اكبر الظن ٤٠% من سكان بين النهرين. وفي بادىء الأمر، لم تبشر سنته الأولى بشئ، لأنه ربح الإنتخابات البطريركية بفضل حيلة وخدعة. فقد عرض امام الناخبين عشية الانتخابات اكياسا مليئة بالمال، واوحى اليهم بأنهم سوف يكافؤون على انتخابه. لكنه تبين بعد نجاحه في الإنتخاب بان الأكياس انما كانت مليئة بالحجارة، وقام طيماثاوس بتوبيخ الناخبين قائلا: "لا ينبغي للكهنوت ان يباع بالمال".[66] فقام إثر ذلك احد المرشحين الذي خسر

الإنتخابات، المطرافوليط يوسف الذي من مرو بالوشاية ضده لدى الخليفة المهدي متهما إياه بالتعاطف مع بيزنطة. لكن المهدي لم يتصرف حيال المكيدة، فما كان من المطرافوليط الخائب إلا إعتناق الإسلام.[67] وفي سنة ٧٨١، عندما دخل المطرافوليط الأعلى للكنيسة، أفرام الجنديسابوري، وقد كان هو الآخر قد قام بحملة للفوز بالوظيفة البطريركية، في شقاق مع اساقفة آخرين، قام الطبيب النسطوري الشخصي للخليفة، عيسى القريشي بمصالحة الأسقفين.[68]

وقد تجلى كون الجاثاليق الجديد شخصية ناجحة ومقنعة في السنة الثانية من وجوده في السلطة، عندما لم يقم فقط باقناع الخليفة المعادي للمسيحية في بادئ الأمر باعادة بناء الكنائس المدمرة، بل اشترك معه في العديد من المجادلات اللاهوتية. وفي احدى تلك المناقشات، وجه الخليفة الى البطريرك سؤالا دقيقا، عما كان يعتقد في محمد. فجاء رد طيماثاوس لينا في مظهره، ولكن عنيدا في محتواه، "أن محمدا ليستحق كل المديح، من قبل كل الناس العقلاء. لقد علم عقيدة وحدانية الله وهكذا فقد سار على نهج الانبياء. لقد أبعد كل الانبياء الناس من الاصنام والشرك بالله وجعلوهم مرتبطين بالله وعبادته، لذا من الجلي ان محمدا سار في طريق الانبياء".[69] ورغم ان طيماثاوس امتدح عمل محمد، إلا انه كان حذرا من وصفه بانه نبي - لم يكن محمد مؤيدا،* بل سار فقط على نهج الانبياء. When the caliph demanded that he recite the Islam statement of faith. "لا اله الا الله". صرح الجاثاليق بكلام دقيق اكثر، "انني مؤمن بهذه الكلمات وسأموت معها. انا اؤمن باله واحد في ثلاثة، وثلاثة في واحد، ولكن ليس في ثلاث الهات منفصلة، بل بالاحرى [في مبدأ] الله، وكلمته وروحه".[70]

وقد فرض الخليفة هارون الرشيد سؤالا يفوق ذلك صعوبة: "اوجز لي، يا أبا النصارى، ما هو دين الحق عند الله بين الديانات؟"، فلو سمى البطريرك المسيحية بأنها احب الديانات الى الله، لأهان الاسلام، لكنه ان ذكر الاسلام صار مرتدا. فكان جوابه الدبلوماسي، "تلك الديانة التي تتماشى مبادؤها وقوانينها مع اعمال الله فيما يتعلق بخليقته". فاعترف الخليفة بالهزيمة، وعلق بعد نهاية المناقشة قائلا، "والله لقد اجاب جوابا كاملا لاعيب فيه. لقد قصد دينه ومبادىء اناجيله: احبوا اعداءكم كما تحبون انفسكم".[71] ولقد لخصت كلمات البطريرك تماما حجة المدافعين النساطرة للبرهنة على سمو المسيحية: فالمسيحية وحدها التي تنادي بالكرم ومغفرة الخطايا، وهو ما يشبه باقرب ما يكون اعمال الله. لكن الرضى الذي ابداه الخليفة تجاه البطريرك لم يمنع هارون من اصدار امر بتدمير كل الكنائس في المناطق المتاخمة لبيزنطة في ٨٠٧، وإعادة سن قوانين إنفاق المال تقوم على التمييز. وقد اعيد بناء قلة من الكنائس المدمرة في السنوات التالية.

وقد نعمت كنيسة المشرق، في ظل حكم الخليفة المامون (حكم بين ٨١٣-٨٣٣)، الذي عهد بإدارة مكتبته الرسمية الجديدة الى النسطوري يوحنا بن ماسويه، باحترام كبير. بيد ان وضعها ظل معتمدا على وجهات النظر الشخصية للخليفة الحاكم آنذاك. كما ظهر ذلك واضحا بشكل مؤلم في زمن الخليفة المتوكل (٨٤٧-٨٦١). وقبل ذلك في سنة ٨٣٧، قام الخليفة المعتصم (٨٣٣-

---

* باراقليط [المترجم]



الله ينقل جبلاً لمسيحي بغداد. لقد منح الخليفة المسيحيين انذاراً: إما ان ينقلوا جبلا او يقبلوا بالاسلام اويعذبوا حتى الموت. وقد احتج بهذا الخصوص بانجيل متى: "لو كان لكم ايمان بمقدار حبة من خردل، لقلتم لهذا الجبل انتقل من هنا الى هناك فينتقل" (متى ١٧:٢٠). فاستجاب الله لصلاة المسيحيين الخائفين، وقيل ان الكثيرين من المسلمين اعتنقوا المسيحية. (مخطوطة مصورة من كتاب ماركو بولو، عجائب الدنيا من سنة ١٤١٢. الببليوغرافية الوطنية الفرنسية، باريس Ms.fr.2810.fol 10v.RCC (18391)

٨٤٢) ببناء العاصمة الجديدة سامراء، التي تقع حوالي ١٠٠ كلم الى الشمال من بغداد لأن مرتزقته من الأتراك كانوا قد أثاروا غضب مواطنيه بسلوكهم العنيف. وكان يسكن الموقع المختار النساطرة بشكل كثيف ويحتوي على ثمانية اديرة.[٧٢] حيث قام الخليفة اولاً بشراء دير أدي (Deir Adi) الذي حوّله الى بيت المال. وكان على الأديرة الأخرى والسكان النساطرة افساح المجال لمشاريع بناء متعاقبة.

لكن العاصمة الجديدة لم تأت بفأل حسن لا للخليفة ولا للبطريرك الذي انتقل الى هناك، حيث قام المرتزقة الترك، الذين كانوا اصبحوا اقوياء جداً، بأجبار الخليفة المعتمد (٨٧٠-٨٩٢) على التخلي عن سامراء في سنة ٨٨٩ والعودة الى بغداد.[٧٣] وقد جلس على كرسي الرئاسة من بين النساطرة ثلاثة بطاركة كبار في السّن خلال فترة اثنتي عشر سنة فقط. وقد تم سدّ الفراغ الحاصل في السلطة من قبل اطباء نساطرة متنفذون، كانوا يمثلون الكنيسة في الحوارات اللاهوتية، والتي باتت شائعة كما في سابق عهدها، وقادوا الكنيسة بشكل فعال. وهكذا تكرر التطور التعيس، والشائع منذ العهد الساسائي المتأخر، والتي اصبح فيها البطاركة وانتخابهم إلعوبة بيد الاطباء المتنفذين. وكان الجاثاليق ثيودوسيوس* (شغل كرسي الرئاسة في ٨٥٣-٨٥٨) مثالاً على ذلك. فقد كان مديناً في ترشيحه الى الطبيب المتنفذ والفاحش الثراء بختيشوع. لكن معارضي بختيشوع إفتروا عليه عند الخليفة المتوكل الذي قام بمصادرة امواله، وسجن بطريركه السيء الطالع لثلاث سنوات. وقد حدث في هذه الفترة ايضاً زيادة في حدة سياسات التمييز العنصري وعزل الموظفين المدنيين المسيحيين من وظائفهم.

في خضم السياسة

شهدت القرون التالية انحطاطاً بطيئاً في كل من كنيسة المشرق والخلافة العباسية. وقد لعبت السياسة والسيمونية (الرشوة) في تعيين الوظائف الكنسية العليا دوراً متزايداً، فيما جعلت عجرفة المرتزقة التركية المتزايدة من الخليفة دمية سياسية. وفي الوقت ذاته انهارت الوحدة السياسية للامبراطورية. ففي الداخل، اولاً: هزت ثورة عبيد الزنج (Zang) والتي أستمرت بين (٨٦٩-٨٨٣) م أركان الدولة. ثم أعلنت العديد من الاقاليم الواقعة على اطراف الامبراطورية إستقلالها مثل مصر، واليمن، وتونس في الغرب وخورسان (شرقي ايران) في الشرق، جاعلة بذلك نفوذ الدولة العباسية مقتصراً على بلاد بين النهرين.

وفي زمن البطريرك آنوش الاول (Enos) (شغل منصب الرئاسة في ٨٧٧-٨٨٤)

---

* تياذاسيس (Teadasis) (المدقق)

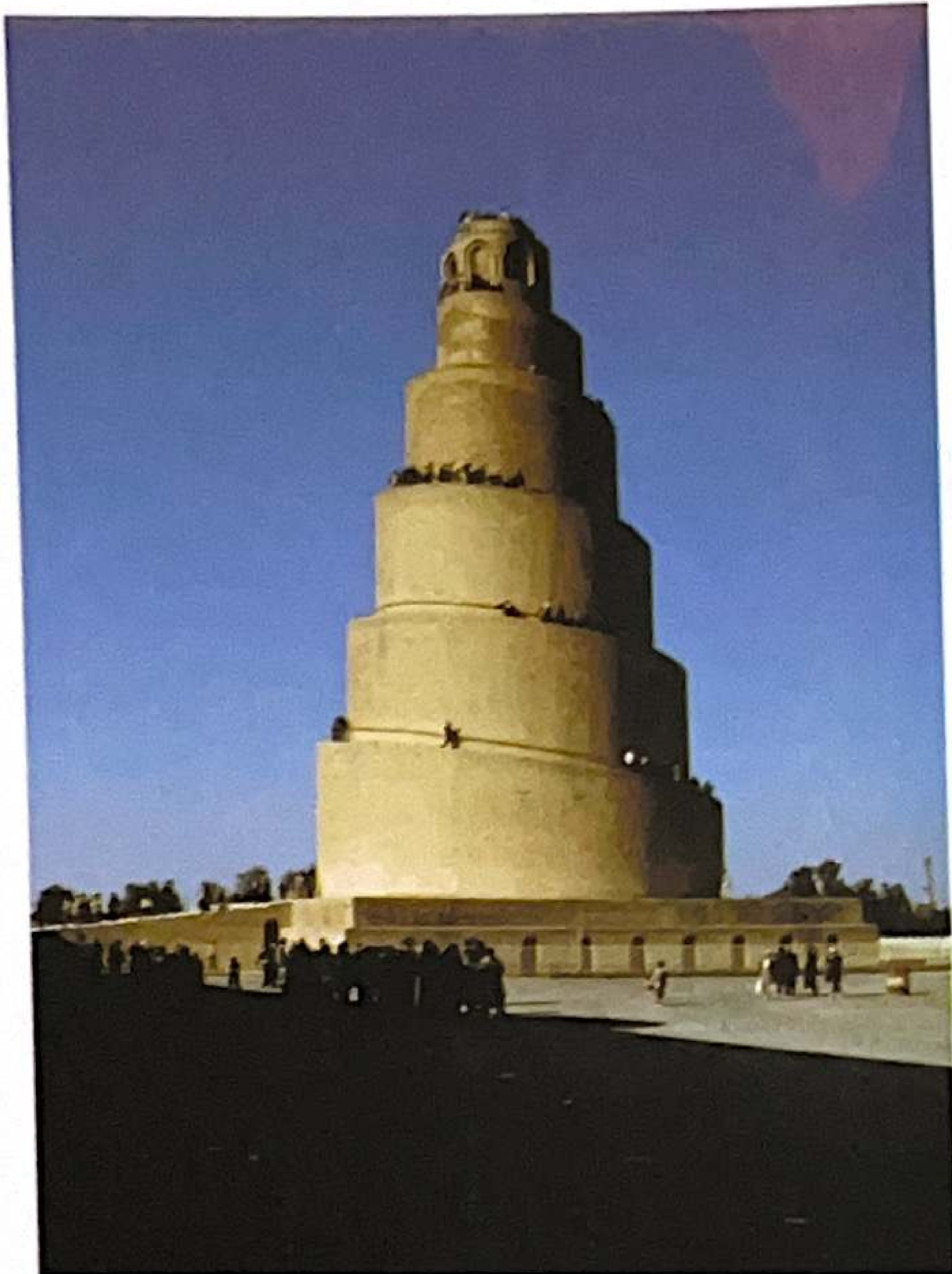
استفاد النساطرة من "اكتشاف" المعاهدة التي ابرمت بين محمد ووفد نجران في الجامعة الرسمية. وكان الوزير سعد ابن مخلد، احد الذين اعتنقوا الاسلام، شديد الميل نحو النساطرة اخوته في الايمان سابقاً، وقام بوضع هذه السياسة المتسامحة موضع التنفيذ.[٧٤] بيد ان إعادة تقييم اهل الذمة النساطرة، أثار غيظ غوغاء بغداد الذين نهبوا الكرسي البطريركي في سنة ٨٨٥ وسنة ٨٨٦. إن هذا النوع من الهيجان ضد المسيحية ثار مرة اخرى في السنوات ٩٩٩ و١٠٢١ و١٠٥٤ و١٠٥٥.

وفي سنة ٩٤٥ قام الخليفة المستكفي (حكم في ٩٤٥-٩٤٦) بمحاولة يائسة لكسر شوكة المرتزقة الأتراك، وقام بتسليم السلطة الى الأسرة البويهية الايرانية الشمالية. لكنه قام ببساطة باستبدال شر بشر آخر، حيث قام الحكام الجدد بسمل عينيه، واقاموا مكانه واحداً من اتباعهم. ومنذ ذلك الحين صارت الخلافة ترمز فقط الى القيادة الروحية للمؤمنين. وقد شهدت فترة البويهيين (٩٤٥-١٠٥٥) انتصار الفرع الشيعي من الديانة التي كانت تعترف فقط بالحكام المنحدرين من محمد او صهره علي. وقد حكمت الشيعة من سلالات مختلفة مصر واليمن وخورسان وشمال بين النهرين، وكان البويهيون شيعة ايضاً.

وكانت الستون سنة الاولى من حكم البويهيين هادئة بالنسبة للنساطرة، ليس اقله، لأن الامير عدود (حكم في ٩٤٩-٩٨٣) عين نصر ابن هارون النسطوري وزيراً له.[٧٥] وحسبما يظهر التاريخ، فقد منحت الظروف السياسية المستتبة المسيحيين اماناً نسبياً، وفي حالات الصراع على السلطة والاضطرابات، كانوا في خطر ان يصبحوا كبش فداء او اهدافاً لغضب الشعب.

وفي منتصف القرن الحادي عشر دخل الاتراك بلاد بين النهرين مرة اخرى، لكن هذه المرة ليس كمرتزقة بل كشعب باسره. وكان السلاجقة من اواسط آسيا، الذين ربما كان حاكمهم الاول نسطورياً،[٧٦] هم الذين غزوا بغداد في سنة ١٠٥٥ ووجهوا ضربة قاضية الى بيزنطة في مانزكر (Manziker) في سنة ١٠٧١. وقد استقر بعض الغزاة في المنطقة البيزنطية المغلوبة، وتغير السكان في آسيا الصغرى من مسيحيين على نحو صرف الى مسلمين على نحو صرف. ولم يعد المسيحيين يعيشون في تركيا اليوم عدا اسطنبول، ومن ثم بدرجة قليلة، طورعابدين.

وقد بدأت الحروب الصليبية (١٠٩٧-١٢٩١) في هذا الوقت ايضاً، واستفادت في البداية من التمزق السريع للامبراطورية السلجوقية الى إمارات أصغر. ولاسباب جغرافية، لم تتأثر كنيسة المشرق كثيراً بذلك. وقد عامل الصليبيون القلة من



منارة الجامع الكبير في سامراء العراق، وقد شيدت على غرار زقورة آشورية كان يقوم حولها ثمانية أديرة نسطورية.

النساطرة الذين كانوا يعيشون في المنطقة التي تحت سيطرتهم كهراطقة، مثل السريان الارثوذكس والارمن والمارونيين، الذين ينبغي كسبهم الى الكنيسة اللاتينية. ولم يعترف بسلطة روما الا الموارنة، في حوالي سنة ١٢١٥ الذين بقوا متحدين معها.

لكن الجماعة النسطورية في بلاد بين النهرين، مع ذلك، اخذت تتقلص تدريجيا – ليس نتيجة للاضطهادات القاسية بل بالاحرى بسبب الاعباء المالية، وابتزاز الاموال الشخصية، والحواجز الاجتماعية، والتمييز القضائي واستعباد اولئك الذين لم يكونوا قادرين على دفع الضرائب. وتحول مركز الحياة النسطورية من بغداد الى المناطق الشمالية من الموصل وكردستان. وعليه، ليس من المدهش ان قام النساطرة، مثل اليعاقبة والملكيين، بالترحيب بالخان المغولي هولاكو – الذي كانت امه سوركاكتاني– بكي (Sorqaqtani-Beki) وزوجته الرئيسة دوكوز خاتون (Dukuz Khatun) نسطوريتين كليهما– كمحرر. ولأول مرة في تاريخها البالغ ١٠٠٠سنة، لاقت كنيسة المشرق إمكانية منحها منزلة تساوي دين الدولة أو تصبح ذاتها دين الدولة.

الحفاظ على الارث القديم

لم يكن القرنان الثامن والتاسع عصرين ذهبيين فقط لكنيسة المشرق، بل ايضا فترة تطويرية للثقافة العربية ــ الايرانية. وكانت بغداد ذلك الزمان البودقة التي انصهر فيها التراث الفكري الايراني، واليوناني، والسوري، والهندي بأشراف إسلامي كوزموبوليتاني عالمي لخلق مكون ثقافي جديد. في وقت كانت اوربا مهددة فيه بالغرق في البربرية، فإن هذه الثقافة الاسلامية الجديدة قامت بجمع والحفاظ على نفائس الزمان القديم لتقوم في القرن الثاني عشر، بإعادته الى مدرسة طليطلة (Toledo). ولولا حب فضول الروح الاسلامية الفتية، والتي كان ولعها الفكري مضاهياً لذاك الذي للنهضة الاوربية، لما اهتدى الغرب الى الطريق، الى جذوره المنسيّة. او للقيام بذلك في الأقل في وقت متأخر، عندما ذهب العلماء اليونانيون الى ايطاليا بعد سقوط بيزنطة. ولأنه لم يكن لطلاب العلم والعلماء العرب ذاتهم، اي وسيلة للوصول الى الكتابات القديمة، ولم يكونوا يعرفون اللغة اليونانية، فقد كانوا معتمدين على وساطة النساطرة واليعاقبة. وبعكس اللاتين، الذين أهملوا الثقافة اليونانية، فإن السريان كرسوا انفسهم لها بحماس، بدءاً بالقرن السادس، عندما قاموا بترجمة النصوص اليونانية الى السريانية.

لقد تزامن العصر الذهبي للمترجمين مع ازدهار مدرسة جنديسابور النسطورية ، التي كان كسرى قد رفعها الى مستوى الجامعة.[٧٧] إن نقل عاصمة الامبراطورية من دمشق الى بغداد منح زخماً قوياً للثقافة النسطورية لسببين: الاول، لما كانت جنديسابور المركز الرائد لتعليم الطب في الامبراطورية، فقد رعاها الخلفاء من اجل اطبائهم الشخصيين. ثانياً، كان الخلفاء من امثال هارون الرشيد والمأمون رعاة حقيقيين للثقافة، وكانوا يجلبون بشكل منظم مخطوطات يونانية من بيزنطة.

وكانت أهم المواضيع العامة، هي الطب اليوناني، والهندي، والفلك، والفلسفة اليونانية، والرياضيات، والمال والادارة المدنية. وفي سنة ٨٣٢ حلت جامعة بغداد، التي كانت تسمى بيت الحكمة، محل جنديسابور. وبحسب المثل الاعلى للطبيب اليوناني، جالينوس (Galen)، القائل بان "الطبيب الجيد هو فيلسوف جيد"،[٧٨] فإن خير العلماء المشهورين كانوا في نفس الوقت اطباء، وفلاسفة، ومترجمين. وهكذا كان للنساطرة وبعض اليعاقبة شبه احتكار لهذا الحقل من المعرفة حتى القرن العاشر. وحتى بعد ظهور اطباء عرب، احتفظ النساطرة بدور رائد حتى الغزو المغولي لبغداد.

وكانت الترجمات تتم عادة من اليونانية الى السريانية، ومن ثم في خطوة ثانية الى العربية، مع وجود اكثر من ٥٠ مترجما سريانيا نشيطاً في بغداد وحدها في عهد طيماثاوس. وبفضل هذا الجهد، الذي كان يشجع من قبل الخلفاء، استطاع العالم العربي الوصول الى اعمال الفلاسفة الاغريق، مثل افلاطون، وارسطو، وبلوتونيوس. والاطباء جالينوس وابو قراط، وعلماء الرياضيات مثل اقليدس وطولون. وقد تمت الترجمة السبعينية الى العربية في هذه الفترة. ولما كان انشاء وتمويل مستشفى يعد امرا مسرّا لله من قبل المسيحيين والمسلمين، فقد كان في بغداد، التي كان يعيش فيها اكثر من مليون نسمة، عدة مستشفيات، والتي غالبا ما كان يقودها نساطرة، وفي القرن العاشر كان لكل مدينة كبيرة مستشفى. ولم يكن الممارسون العامون نشيطين في هذه المستشفيات فحسب، بل ايضا اختصاصيون مثل الجراحين والمجبرين واطباء العيون والاسنان والصيادلة والاطباء النفسانيين.[٧٩]

وقد انشأت الأسر النسطورية الفردية، سلالات من الاطباء بضمنهم بختيشوع، الذي كان يقوم على رعاية صحة الخلفاء، والامراء لثمانية اجيال. وبفضل قربهم الشخصي من الخلفاء، فإن آل بختيشوع لم يقوموا باكتناز الاموال الطائلة فحسب بل مارسوا ايضاً تاثيرا مهما على اسيادهم، الذين استغلوهم لمصلحة الجماعة النسطورية. فقد استقدم اولاً الطبيب كيوركيس بختيشوع، الذي كان يعمل في جنديسابور، الى بغداد، وذلك في عام ٧٦٥، حيث شفا الخليفة المنصور. وعندما همّ المنصور بمنحه ثلاثة جوار شابات، رفض قبولهنّ، لان المسيحية كانت تفرض الزواج الأحادي. فقام المنصور بعد ذلك بتعيين الطبيب الأمين كيوركيس ليقوم على رعاية حريمه. ثم تبع كيوركيس ابنه بختيشوع، وولده جبرائيل كاطباء للبلاط، مع كون جبرائيل مؤتمنا مقربا لدى هارون الرشيد. وعندما اعلن الخليفة في مقابلة رسمية عقدت اثر عودته من الحج الى مكة من انه صلى الى الله من اجل حماية طبيبه، غضب الوزراء المسلمون الحاضرون، لأن جبرائيل لم يكن مسلما. فأجاب هارون قائلا، "إن رفاه المسلمين يعتمد علي وعلى جسدي، وهذا يعتمد على جبرائيل، وهكذا فإن خيرهم يعتمد على فنه وحياته".[٨٠]

أما قيام الاطباء النساطرة بالعمل حتى بمثابة أباء رعويين للخلفاء فيمكن تبيان ذلك من مثل الطبيب سلمويه ابن بنان الذي قال عنه الخليفة المعتصم، "إن طبيبي سلمويه أهم بالنسبة لي من قاضي القضاة، لأن الأخير يهتم بممتلكاتي فقط، بينما يهتم الأول بروحي ونفسي".[٨١]

وباعتباره طبيبا شخصيا للمتوكل، فقد جمع جبرائيل ابن بختيشوع ثروة طائلة على نحو لا يتخيله العقل، وكان لا يتنقل إلا في عربة من العاج. بل ان ثروة بختيشوع الزاهية بشكل فاحش اغضبت حتى الخليفة. وعندما أستدرج الطبيب الى النزاع الكنسي الداخلي بسبب البطريرك ثيودوسيوس، أثيرت حفيظة المتوكل، بعد ان كان سئم من النزاعات المستمرة بين الطوائف النسطورية.

فامر بالقاء القبض على البطريرك، وطرد الأكليروس النسطوري من عاصمته سامراء، ودمر كنائسهم واديرتهم. وأعاد القوانين العنصرية موسعاً إياها، ثم قام الخليفة الغاضب بمصادرة ثروة بختيشوع وارسله الى المنفى في البحرين، حيث مات متسولاً في سنة ٨٧٠.[٨٢] بعد ان كان اغنى مواطني بغداد في يوم ما. فقام ابن بختيشوع يوخنا برعاية الخليفة المعتمد (حكم بين ٨٧٠-٨٩٢) واصبح عند موت الخليفة مطرافوليط نصيبين. وقد مات آخر طبيب من عائلة بختيشوع، سعيد، في سنة ١٠٥٨. وكانت هناك أسرة أخرى من الأطباء وهي عائلة الماسويه، التي أنحدر منها يوخنا (+٨٥٧)، أول رئيس لجامعة بغداد الرسمية، التي كانت تضم أكثر من مليون مخطوطة.

واشهر عالم نسطوري واكثرهم غزارة في الانتاج هو العربي حنين ابن اسحاق (٨٠٨-٨٧٣) من الحيرة. ولم يكن حنين رئيساً لأطباء بلاط المتوكل فحسب بل وعالماً متميزاً في حقول الطب، لا سيما طب العيون والفلك والانواء الجوية وعلم الحيوان والرياضيات والفسلفة، بل ايضاً افضل مترجم. وقد انطلق في عمله في حقل الترجمة وفق الطرق الحديثة بقيامه، قبل الترجمة، بجمع ما امكن من العديد من النصوص المختلفة، من اجل تكوين نقطة البدء الفضلى. وأخيراً أسهم في تطوير مفردات عربية علمية. وكان حنين ايضاً رئيساً للمكتبة الوطنية ومنح لقب امير المترجمين.[٨٣]

وتشير حادثة شهيرة في حياة حنين بأنه في ذلك الوقت كان النساطرة معتادين بما لا شك فيه على الصور التمثيلية.[٨٤] وفي سنة ٨٥٤ قام بعض الناس الذين كانوا يغارون من حنين باتهامه في حضور البطريرك والخليفة، بكونه مثل باقي المسيحيين، من عبدة الاصنام، لقيامه بمنح تفويض لصنع إيقونة لمريم العذراء التي كانت موجودة. وكدليل ضد هذه التهمة، طلبوا منه ان يبصق على الأيقونة. ولما كان حنين يخشى من ان الخليفة المناهض للمسيحيين قد يتهم المسيحيين عامة بعبادة الأوثان، فقد استسلم وبصق على الأيقونة. لكن رد فعل الخليفة المسلم الذي كانت ديانته تتضمن منعاً باتاً لصور الله، لم يكن متوقعاً. حيث بلغ به الانزعاج من هذا الكفر حداً جعله يأمر بان يلقى حنين في السجن ومصادرة ثروته ومكتبته الخاصة جميعاً. فقام البطريرك بتحريمه فوراً. وعقب ستة اشهر من سجن حنين مرض الخليفة مرضاً شديداً، حيث رأى فيما يرى النائم المسيح ليلاً، وأمره بالعفو عن حنين، حيث سيقوم عندئذ بشفائه. وفي الحقيقة قام المتوكل باطلاق سراحه وطلب بأن يدفع متهموه له مبلغاً كبيراً تعويضاً عن الاضرار التي قام هو ايضاً بمضاعفتها. ثم اعاد اليه ثروته ومكتبته القيمة.[٨٥]

ان الاعمال الواسعة للمترجمين النساطرة، والموجهة الى جمهور كبير، خلقت حاجة كبيرة الى وسط ملائم للكتابة عليه. ولم يعد ذلك رقاً بل الورق الذي كان قد تطور اصلاً في الصين. وقد اكتشف الورق في زمن سلالة الخان الاولى (٢٠٢ ق.م - ٩ب.م) وجرى تحسينه من قبل احد رجال الحاشية يدعى كاي لون (Cai Lun) في حوالي سنة ١٠٥ للميلاد. وفي اوائل القرن الثامن وصل الى مدينة سمرقند، التي كان العرب قد قاموا بغزوها.[٨٦] ومن هناك وصل فن صناعة الورق الى بغداد في سنة ٧٩٣، واخيراً الى كل منطقة البحر المتوسط. ثم إزدهر سوق الوراقين، وتجار الورق في بغداد، بعد ان بـ

في القرن التاسع. حيث كان هناك اكثر من مائة حانوت يقوم ببيع قطع الورق. وهناك ايضاً وجد تجار الكتب مع أعمال أخرى، وحوانيت بيع الكتب القديمة ونساخ محترفون.[٨٧]

وقد وجدت أعمال العلماء اليونانيين التي ترجمت الى العربية من قبل النساطرة، طريقها الى خلافة قرطبة، التي أسست في سنة ٧٥٦ التي كانت تعود اليها مدينة توليدو (طليطلة) الاندلسية. وبعد ان قام الملك المسيحي الفونس السادس (Alfon VI) الذي من كاستيل (Castile) بغزوها في سنة ١٠٨٥ تقريباً، بدأ العلماء المسيحيون، والعرب، واليهود هناك بالعمل في الوثائق العربية وترجمتها الى اللاتينية. وعند نهاية القرن الثاني عشر، تَقَدَّمَ إعادة إكتشاف الثقافة اليونانية الى صقلية والقسطنطينية، ومن ثم الى اوربا الوسطى في القرن الثالث عشر. ويظهر مدى تحديد النشاط الجامعي في اوربا الغربية ومراقبته من قبل الكنيسة، من النظام الاساسي لجامعة باريس الذي وضع في سنة ١٢١٥ على يد الكاردينال روبرت الكورسوني (Robert of Courcon): لقد منعوا الطلاب والاساتذة من قراءة مؤلفات الميتافيزيقا، والفيزياء، وكل العلوم الطبيعية.[٨٨] بيد ان روحانيات كوزموبوليتانية أخرى، مثل توما الاكويني (Thomas Aquinas) (١٢٢٤-١٢٧٤)، اتخذت على عاتقها محاولة التوفيق بين وحي الكنيسة مع التفوق العقلي اليوناني. ثم تحررت المعالجة العقلانية البحتة للعلوم الطبيعية فيما بعد في عصر النهضة من قيود اللاهوت.

وكان إسهام المترجمين النساطرة، واليعاقبة، والملكيين في بين النهرين مضاعفاً. فقد قاموا أولاً: ببناء جسر الى الغرب، وجددوا الفلسفة والعلم الغربيين. ثم قاموا ثانياً: بتمكين التطور المستقبلي للثقافة الاسلامية، التي ادت الى الجمع بين الفكر الاسلامي والعلم والفلسفة اليونانية، كما يمكن ان يُرى في مؤلفات ابن سينا (٩٨٠-١٠٣٧) وابن رشد (١١٢٦-١١٩٨).

كنيسة المشرق والاسلام

يقال بان اول اعتراف بمحمد الفتى كان من قبل راهب مسيحي، قبل أن يدرك هو ذاته هذه المهمة. وقد روى هذا التقليد كل من ابن اسحاق، كاتب سيرة محمد والمؤرخ الطبري.[٨٩] وعندما كان محمد في التاسعة، او الثانية عشرة من عمره، اخذه عمه ابو طالب في رحلة تجارة الى سوريا. فحطت القافلة في مدينة بصرى البيزنطية، حيث كان الراهب النسطوري نسطور،[٩٠] المسمى بحيرا من قبل العرب، يعيش في صومعة قرب مبنى كنيسة كبيرة. فرأى بحيرا من زنزانته كيف ان سحابة كانت ترافق القافلة، وهي تلقي ظلاً على محمد دون غيره. ثم دعا القافلة الى وجبة طعام. واستجوب الراهب الفتى وفحص جسمه. وعندما رأى على ظهره علامة النبوة، قال لأبي طالب، "عد بابن اخيك الى بلاده واحرسه من اليهود، فإن هم عرفوه، فإنهم سوف يصنعون له الشر. إذ سيكون لإبن أخيك شأناً عظيماً".[٩١] ان حقيقة قيام راهب مسيحي، في التقليد الاسلامي، بتأييد حقيقة نبوة محمد، تظهر بأن الاسلام كان يسعى في بداية الامر الى صلات وثيقة مع المسيحية، ويشير ذلك، في الوقت ذاته، الى إختلاف كبير عن اليهودية في ذلك الوقت.

ويمكن لنا ملاحظة ان محمداً، الذي نشط لسنوات كتاجر، ربما يكون قد سافر الى سوريا واصبح مطلعاً على المسيحية هناك.

ولا بد من انه قد صادف المسيحية في اتصالاته مع المسيحيين العرب، سواء اقدموا من الحيرة ونجران او من منطقته. ويبدو بان محمداً كان مطلعاً على كل من الدايطسرون لـ ططيانس وانجيل توما.[٩٢] ولعله كان اكثر اطلاعاً بالمسيحية المايافيزيتية، واقل ما يمكن من الاطلاع بالنسطورية. وقد اعترف محمد بيسوع ليس فقط كنبي، بل كرسول لله ايضاً. لقد اظهر الله ليسوع رسالة، لكن اليهود رفضوها معه، وقام المسيحيون بغش تلك الرسالة في العهد الجديد " **وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ**." (سورة البقرة ٢:٨٧). لهذا السبب، فإنه من غير الممكن بالنسبة لمحمد ان يكون هناك تناقض بين مضمون العهد القديم، الرسالة الحقيقية ليسوع، والقرآن الذي أنزل عليه، طالما ان وحي الله هو نفس الوحي دائماً. إن محمداً لم ينتقد يسوع ابداً، بل اليهود وحدهم الذين انكروه والمسيحيون الذين شوهوا رسالته.

ويسوع بالنسبة لمحمد ليس إبن الله وفق مفهوم أونتولوجي، بل بشكل ميتافيزيقي، على احسن ما يكون، وهو ليس الله بل خادماً لله. كل الحمد يليق بالله، الذي انزل كتابه الى عبده [يسوع]. " **ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا(١) قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا(٢) مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا(٣) وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا(٤)**" وهكذا بقية السورة (سورة الكهف ١٨: ١-٤). وفي سورة اخرى يقول يسوع عن نفسه، " **قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا** ". (سورة مريم ١٩: ٣٠) ان مونوفيزيتية محمد اجبرته على انكار الوهية المسيح، طالما انه كان عليه، لولا ذلك، ان يقبل بمفهوم الثالوث، الذي كان يفهمه على انه نوع من التثليث الشبيه بالعائلة. " يا اهل الكتاب [المسيحين].

" **يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا**." (سورة النساء ٤ : ١٧١). ويرفض القرآن رفضا قاطعا تجسد الله. وفي السورة الخامسة ، يكلم الله رسوله يسوع ، " وإن قال الله. " **وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِى**



دير بازيان المحصن في جنوب غرب السليمانية شمال العراق، اسس في نهاية القرن الخامس بعد الميلاد، وكان عامراً الى القرن ١٦/١٧ ميلادي. ويظهر في الوسط شقاقونا (زقاق) الذي يربط بين البيما في المقدمة مع المكان المخصص للمرتلين في الخلف.

نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ." (سورة المائدة ٥ : ١١٦) والرسالة الموحى بها في الاسلام هي وحدها المهمة، وليس الرسول، لانه ليس إلا لسان الله، وليس الله. وإن نظرة محمد الى الثالوث كنوع من ثالوث إلهي تظهر بان المونطانيين او الافكار من الديانات الشعبية للقبائل العربية الآنفة الذكر هي المصدر الذي اعتمده بهذا الخصوص.[٩٣] وقد رفض محمد، شأنه في ذلك شأن نسطور عبادة مريم، بل تكريمها.

ولان يسوع لم يكن الله، في نظر محمد، فلا بد ان يكون، مثل آدم، انساناً وقتياً مائتاً " **إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ**." (سورة آل عمران ٣ : ٥٩). " **وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (٣٣) ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ (٣٤)**." (سورة مريم ١٩ : ٣٣ – ٣٤). ومع ذلك رفض النبي بفكر الصلب، "وبهذا الخصوص قالت اليهود"، "**وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا**" (سورة النساء ٤ :

١٥٧). بل شبه لهم مثل [مصلوب]. وقد حاول المفسرون المسلمون حل مسألة موت يسوع: إما ان يسوع قد صلب في الظاهر، او ان رجلا آخر صلب مكانه. وراحوا في تأويلات شتى في هذا الامر، ما إذا كان القي القبض في اكبر الظن على معارض، او زعيم يهودي، بل حتى يهوذا ذاته، ام ان احد تلاميذ يسوع تطوع للأمر. وقد دعم الطبري الفكرة الثانية والتي نقل فيها الله يسوع قبل الصلب ومنح شبهه الى يشوع، وهو يهودي كان حاضرا، لكي يموت على الصليب.[٩٤]

انه لأمر جلي بان محمداً، بانكاره لصلب يسوع، ورفضه عبادة مريم العذراء، قد عارض في المقام الاول المايافيزيتين. ومن الناحية الاخرى كان اللاهوت النسطوري قريبا من الاسلام نسبياً بقدر رفضه الموت التألمي (Theopaschite) لألوهية يسوع، وتأليه مريم كوالدة الله. بهذه الروحية قال اللاهوتي المسلم الدمشقي (١٢٥٦-١٣٢٧)، "ما اروعه من رجل نسطورس، الذي قال، انا انكر إلها عاش في رحم امرأة".[٩٥] كذلك ترفض كنيسة المشرق والقرآن كلاهما الخطيئة الاصلية.

بيد ان القرآن يذهب خطوة حاسمة ابعد بهذا الصدد، مثلما تنكر ايضاً عمل المسيح الخلاصي. ومن منظور القرآن، فإن الله يفدي البشرية في تجليه في رسالته، وتحرير المؤمنين من الجهل. "إن الخلاص" المفهوم هكذا هو المعرفة التي يقبلها الناس وتعاش في حياتهم اليومية، بينما الوثنية، وبعكس ذلك، هي الجهل، والخطيئة هي رفض قبول رسالة الله.

وإن الادب النسطوري المتعلق بالنقاش (مع الاسلام) تطور على ثلاث مستويات. اولاً: برهنة تفوق المسيحية، وثانيا: المرتبط ارتباطا وثيقا بالاول، تشخيص ضعف الاسلام. ومع ذلك، كان على المدافعين عن الايمان النساطرة تجنب التهجم على الاسلام مباشرة او إهانة النبي. ثالثاً: حاولوا توضيح الافكار غير القابلة للفهم بالنسبة للاسلام، مثل الثالوث وعقيدة الطبيعة الثنائية للمسيح.[٩٦]

وقد ذكر كتاب البرج ستة حجج على سمو المسيحية.[٩٧]

الاولى: ان المسيح، بعكس محمد، كان قد اجترع المعجزات وهكذا فقد قدم علامات إلهية لينير للناس طريق البشارة. ومع ذلك، فمنذ قيامة المسيح لم تحدث هناك اية اعاجيب. وقد وضح النسطوري عمار البصري (+٨٤٥) اختفاء المعجزات بقوله بان يسوع ترك للناس بانجيله معجزة خالدة، وبانه كان اولى بالمؤمنين ان يعيشوا بشكل عقلاني وفق الانجيل بدلاً من العيش على اساس العجائب، التي لا تروق الا للحواس الجسدية.[٩٨]

الثانية: ان المسيحية تسمو على الديانات التوحيدية الاخرى لاسباب اخلاقية، كونها الديانة الوحيدة التي تعلم تلك المبادىء التي تتماشى مع علاقة الله بخليقته. ان هذه الحجة، التي اوردها البطريرك طيماثاوس في مجادلته مع الخليفة هارون، مبنية على فكرة القوانين الالهية الثلاثة. ويفسر البطريرك الحالي مار دنخا الرابع تلك المبادىء هكذا: " لقد شرّع الله منذ الخليقة حتى آدم قانون العقل، بحيث كان يجري الحكم على الناس في هذه الفترة بحسب القانون غير المدون لضمائرهم" ومع ذلك، فسرّ مفكرون آخرون، مثل الكندي هذا القانون بشكل سلبي كقانون العنف، وقانون الاقوى. مع كون محمد ضمن هذه الفئة. "وقد بدأ مع موسى عهد الشريعة الثانية، العدالة، حيث سيتم إدانة الناس في يوم

الدينونة بحسب الوصايا العشرة. اما الفترة الثالثة، التي ستدوم حتى يوم الدينونة الأخيرة، فقد بدأ بها يسوع المسيح، حيث اعطى شريعة النعمة والغفران".[٩٩] والمسيحية هي الوحيدة التي تعلم شريعة النعمة، بينما تقوم اليهودية على شريعة موسى، والاسلام على الشريعة الاولى، او الثانية، تبعاً للتفسير.

الثالثة: ان المسيحية هي الديانة العالمية الوحيدة. فبينما تنطبق اليهودية على اليهود فقط والقرآن على العرب بالدرجة الاساس، فإن البشارة موجهة الى كل الناس بغض النظر عن العرق او القومية. وعلى النقيض من الاسلام المبكر، الذي كان يمنع ترجمة القرآن، فإن الاناجيل قد ترجمت الى العديد من اللغات.[١٠٠]

الرابعة: ومثلما اكد حنين ابن اسحاق، فإن المسيحية، عقلانية وخالية من اية تناقضات. لأنه رغم ان الرسل لم يكونوا متقفين، فإن المسيحية قد قبلت ايضاً من قبل الفلاسفة اليونان- مقياس كل العلوم بالنسبة للنساطرة والعرب.[١٠١]

والحجة الخامسة: تشير الى ان كل نبوءات العهد القديم قد تحققت في المسيحية.

والحجة السادسة: تستشهد برغبة الشهداء بالتضحية بانفسهم. وقد اكد الكندي، بهذا الخصوص، على حقيقة ان شهداء الايمان الضعفاء والمسالمون هم الشهداء الحقيقيون، وليس اولئك الذين يسقطون في المعركة، مثل المحاربين المسلمين.[١٠٢]

ثم اورد المدافعون النساطرة خمسة اسباب خاطئة وراء اختيار ديانة ما من قبل الناس. وكان الاسلام الهدف الاول في انظار اشرس المدافعين، مثل البصري والكندي. وكان السبب الاول الاهم مرتبطا بالعنف. ومثلما كان البطريرك خنانيشوع قد سبق ان اوضح للخليفة عبد الملك، فإن الديانة التي تقوم على السيف لا يمكن ان تكون ديانة حقة، طالما ان هذا العمل ينكر بشكل قاطع، اللاعنف الذي يريده الله.[١٠٣]

وقد رد المطرافوليط عبديشوع النصيبيني على الاتهام الاسلامي من ان كل ذلك الاكرام للصليب لم يكن اكثر من مجرد عبادة وثن من الأوثان، بان علامة الصليب سرّ من الاسرار المقدسة. انه الطريقة المسيحية في الانفتاح على النعمة الالهية. كما ان الصليب يبين الاتجاه للصلاة، المماثل للكعبة الاسلامية. وقد اضاف البصري بان المؤمن في اكرامه للصليب يكرم الخالق، لان المصلوب هو "ستار الله" الذي بواسطته كشف لنا عن ذاته.[١٠٤] وقد دافع البصري ايضاً عن سرّ المعمودية ضد سخرية المسلمين. فقد اشار اولاً الى الاهمية الكبيرة للوضوء في الاسلام، ثم عرف المعمودية بعد ذلك بانها "الفهم الرمزي" لقيامة المسيح. "علينا ان نتذكر باننا ايضاً سوف نقوم من القبر مثلما قام هو".[١٠٥] ثم وضح البصري اهمية الصلب وخاطب المسلمين مباشرة قائلاً: "أن نعمة الله وبركته [قد كشفت] في صلب المسيح. ايها الانسان المائت، لقد وقعت في الكفر والمناظرة، بدلاً من ان تكون شاكراً".[١٠٦] لقد أفاد الصلب في تخليص المؤمنين من الخوف من الموت، او في الاقل تخفيف ذلك الخوف. ان الله، بالنسبة للبصري، كان قد تعمد في اظهار موت المسيح وقيامته بشكل علني. بهذه الطريقة، كان على الناس ان يدركوا بانهم سوف يقومون في يوم ما مثلما قام المسيح، الذي شاركهم طبيعتهم. وبهذا الخصوص افاد الاحتفال بالافخارستيا في تذكير المؤمنين ليس فقط بالكلمات بل ايضاً بشكل ملموس بامكانية القيامة والحياة الابدية.[١٠٧]

وفيما يتعلق بمسألة الصلب، يبدو النساطرة انهم استسلموا لضغط بيئتهم الاسلامية، مثلما تباهى المطرافوليط إيليا النصيبيني (٩٧٥-١٠٤٦) قائلاً: "نحن نتبع افعال ربنا ورسله القديسين عن طريق ممارسة الختان".[١٠٨] بهذه الكلمات، اجاب إيليا على الاتهام القائل بان المسيحيين لم يكونوا يتبعون يسوع، الذي كان مختوناً.

ولما كان الاسلام والمسيحية يمثلان قيماً مختلفة اختلافاً جوهرياً في العديد من القضايا، رغم ان الحوار حول النقاط المتعلقة بالدين والانثروبولوجيا كانت ممكنة، فإنها بالكاد اتت بأية ثمار ابداً على كلا الجانبين. ويستثنى من هذه القاعدة تبادل الافكار، آنفة الذكر، في مجالات الفلسفة[١٠٩] والعلوم، وإمكانية إلهام التصوف الاسلامي الحلاج (٨٥٨-٩٢٢) والصوفية. اضافة الى الديانة التوفيقية لـ النصيريين والعلويين. وكانت الديانة العلوية التي انتشرت بصورة اساسية في سوريا ولبنان، من حيث الاصل طائفة شيعية، تبنت العديد من العناصر من المسيحية والغنوصية في القرن التاسع.[١١٠]

هل ان كنيسة المشرق كنيسة ايقونية؟

عندما وصل المبشرون الانكلو-ساكسونيون في القرن التاسع عشر الى النساطرة في جبال كردستان، ترك فيهم ما وجدوه من غياب الصور الدينية والتماثيل انطباعاً مرضياً. وفي فرحتهم لاكتشافهم على نحو غير متوقع نفوساً قريبة منهم، راحوا يصفون النساطرة بـ بروتستانت الشرق. وقد صرح غرانت (Grant)، الذي وصل الى أورمية في تشرين الثاني من عام ١٨٣٥، قائلا: "لقد ظل المسيحيون النساطرة عبر فترة الثمانية عشر قرناً برمتها ، انقياء من دنس عبادة الصور". واستنتج يوسطين بيركنز (Justin Perkins) المشيخي في سنة ١٨٣٤ قائلاً: "حقاً ان النساطرة يمكن ان يلقبوا بشكل ملائم جداً ببروتستانت آسيا".[١١١] وقد كرر المؤلفون فيما بعد مثل عجلة الصلاة (prayer wheels)*، بان كنيسة المشرق كانت قد رفضت على نحو منظم تكريم الصور مستندين على تلك الملاحظات.[١١٢] وفي الحقيقة فأن الكنائس الشرقية الحديثة تتيح جواً يتسم بالبساطة والاقتصاد، بصليب مجرد، العنصر التصويري الوحيد في الداخل، من دون وجود اية صور. والاستثناءات الوحيدة يمكن ايجادها في معابد صغيرة في اقليم اذربيجان الايراني، حيث يمكن ان يرى بين حين وآخر على سجادة جدارية صغيرة عليها صورة للمسيح او احد القديسين. ولكن ترى اكان الامر هكذا دائماً؟

كانت المسيحية الاولى، مثل البوذية، من دون صور، وقد اتبعت الشريعة الموسوية: لا تصنع لك تمثالاً.[١١٣] لكن اليهودية ضمنت استثناءات نادرة، ومن اشهرها جداريات مجمع دورا - يوروبس الذي يقع على الضفة الغربية من نهر الفرات، التي تعود الى ما بين سنة ٢٣٤ و ٢٥٤ للميلاد.[١١٤] وأول من انتج صوراً للمسيح هي طائفة الكربوقراطيين (Carbocratians) الغنوصية، لكنها عدت هرطقية.[١١٥] وضمن الجماعة الارثوذكسية، تطور الفن التصويري في ثلاثة مراحل: فقد ظهر اولا عند نهاية القرن الثاني، رمزياً مجازياً، حيث تشير حيوانات واشياء مثل الحمل، والحمامة، والسمك والخمر، والمرساة الى اشكال موحاة ايحاءاً

* في الديانة البوذية، عجلة تكتب عليها صلوات تتلى مع تدوير العجلة [المترجم]



جدارية من سنة ٨٣٧/٨٣٩ من قصر المختار في سامراء، العراق، تصور اكليريكيا من كنيسة المشرق. وحتى سنة ١٩٢١، بقيت الصور، التي ازيحت بين سنة ١٩١١ و ١٩١٣، مرزومة في اقفاص، والتي دمرت فيها تدميرا كاملا. ٤٢

رمزياً. ثم ظهرت الصور الأولى لأناس في حوالي منتصف القرن الثالث في الدياميس، حيث كان بالامكان رؤية شخصيات من العهدين القديم والجديد والراعي الصالح على الجدران. وتعود جداريات المعبد المسيحي لـ دورا- يوروبس الى نفس الفترة.

ونجد هنا في الغالب مشاهد من العهد الجديد، مثل الراعي الصالح ويسوع ماشياً على الماء، وشفاء الكسيح، واقامة لعازر، اضافة الى آدم وحواء وداؤد وغولياث.[١١٦]

وعند بداية القرن الرابع أخذت صور ترمز الى المسيح والرسل والقديسين تنتشر بشكل اوسع، لكنها ظلت مثيرة للجدل. وقد ناقش المدافعون عن الصور، مثل الاباء القبدوقيين، مجادلين بان الصور كانت تساعد في تعليم "الفقراء في الروح" وتشير الى واقع روحي غير مرئي. بهذه الطريقة ينتقل تكريم الصور الى نموذجها الروحي.[١١٧]

وعلى اية حال، فإن اول منع عام للصور، صدر ليس في دولة مسيحية بل دولة مسلمة، عندما منع الخليفة يزيد الثاني (حكم ٧٢٠-٧٢٤) الصور الدينية في سنة ٧٢١. وقد احتكم بهذا الخصوص الى الحديث، وهو القول التقليدي لمحمد: في يوم القيامة سيعاقب الله عقاباً شديداً صانعي الصور مطالباً اياهم، "إِنَّ الَّذِينَ يَصْنَعُونَ هذه الصُّوَرَ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ،"[١١٨] وكل من يتولى خلق الحياة مثل الله سيعاقب بنار جهنم.

وبعد خمسة سنوات بدأ الامبراطور البيزنطي ليو الثالث (حكم بين ٧١٧-٧٤١) بتحريم تكريم الايقونات، واصدر في سنة ٧٣٠ مرسوماً يمنع فيه الصور. ورغم ان المرسوم الذي اصدره يزيد قبل ذلك قد ترك تأثيراً على الامبراطور في تحطيمه للتماثيل، إلا ان ذلك حدث ايضا بسبب دوافع سياسية داخل بيزنطة. فقد اراد، اولاً: ان يستخدم حضر الصور لأضعاف الرهبان الذين كانوا قد اصبحوا متنفذين جداً. وثانياً: استخدم نفوذه لدعم نشر صور الامبراطور، من اجل ان يظهر سلطة الدولة.[١١٩] وفي الجدل المثير الذي نتج عن ذلك، استخدمت الماندیلون (Mandylon) وهي لوحة المسيح التي رسمها رسول الملك ابجر، لصالح الجناح الداعي الى تبني الايقونات دليلاً على ان الايقونات تسر الله. فإن اللوحة لم يكن المسيح قد سمح بها فحسب، بل انها شفت الملك المريض من برصه. وهكذا فان الصور كانت بمثابة وسيط ذي نعمة إلهية.[١٢٠] وقد انتهت مسألة الايقونات المثيرة للجدل في سنة ٨٤٣ باعادة أنشاء تكريم الصور. ومن ذلك الحين غدَتْ الصور المقدسة وسائل مساعدة شرعية في جعل غير المرئي مرئياً.

وعلى ما يبدو ان كنيسة المشرق لم تكن جزءاً من الجدال. ورغم التدمير الواسع والنهب الذي تعرضت له الكنائس والأديرة النسطورية، فإننا نملك من الادلة والبراهين التي تفيد بأن كنيسة المشرق قد الفت تكريم الصور. ومع ذلك هناك شك في ان يكون تكريم الايقونات قد تطور بنفس الروعة والى نفس المدى، كما في الامبراطورية البيزنطية. وبقدر تعلق الامر بموطن الكنيسة، فإن اعمال الشهداء (Acts of the Martyrs) تذكر بان "الكنائس المزخرفة" قد دمرت من قبل اضطهادات بهرام الخامس في سنة ٤٢٢.[١٢١] ومع ذلك فإن الزخرفة المشار اليها قد كانت في اكبر الظن تتألف من صلبان وموضوعات نباتية، مثلما اكتشف

في خرائب الكنيسة في الحيرة. ومما يسهم في التوضيح اكثر، هو الاكتشاف الذي قام به علماء الآثار الألمان في سنة ١٩٢٩ في سلوقيا - قطيسفون. فقد عثروا في بقايا الكنيسة على شكل مرسوم من الجص بالحجم الطبيعي مكسوراً الى عدة قطع. ولسوء الحظ، فإن الرأس مفقود، وعليه لا نعلم ما اذا كان التمثال يمثل المسيح او احد القديسين.[١٢٢] وعلى اية حال، فإن هذا الشكل، الذي يعود الى اواخر القرن السادس، يثبت بان كنيسة المشرق كانت تضع التماثيل في كنائسها. وتعود كسرة جدارية من الحيرة، التي قد تشير الى شكل في وضع صلاة، الى نفس الفترة.[١٢٣]

ومثلما تبرهن التنقيبات في سامراء قرب بغداد، التي قام بها ايرنست هرتزفيلد (Ernest Hertzfeld) بين ١٩١١ و ١٩١٣، فقد كان للنساطرة في بين النهرين صور جدارية. وقد روى مؤرخ قديم عن هذه الصور في وصفه لقصر المختار واثنى على "اللوحات العجيبة، ومن بينها صورة الكنيسة مع الرهبان".[١٢٤] وفي قاعة استقبال خاصة، على قطع الاعمدة الاثني عشر، إكتشف هرتزفيلد صوراً لاربعة اساقفة أو كهنة. وفوق احد الرؤوس كتابة تقول مفلاح الشماس Miflah the Deacon التي كانت تشير إما الى الاكليريكي المرسوم او الرسام.[١٢٥] وقد تم نقل تلك الرسوم، التي تعود الى حوالي سنوات ٨٣٧-٨٣٩، واخفاؤها في انبوب غير مستعمل للماء، وفي اكبر الظن عندما قام الخليفة المتوكل بطرد الاكليرس المسيحي من العاصمة في سنة ٨٥٠. وكانت الكنيسة النسطورية الكبيرة في فاماغوستا بجزيرة قبرص مزخرفة بصور جدارية، وكتابات سريانية في حوالي سنة ١٣٥٩. ومازال من الممكن رؤية كسر من الجداريات النسطورية في صحن الكنيسة اليوم.[١٢٦]

الى جانب الاكتشافات الآثارية، لدينا العديد من المصادر التي تبرهن على ان كنائس المشرق في بين النهرين كانت مزخرفة بالايقونات والجداريات.[١٢٧] وفي القرن الثامن شهد اللاهوتي ابراهام بر ليفي (Abraham Bar Lipeh) على الانتشار العام للايقونات: "لا يجوز الاحتفال بالاوخارستيا إلا امام الصليب، والانجيل وايقونة مخلصنا".[١٢٨] وفيما بعد هاجم الاسقف ايشوعياب النصيبيني (+١٢٥٨) هجوماً عنيفاً موجهاً للمسلمين تحت عنوان دفاعاً عن الصور، وفي حوالي سنة ١٣٤٠ دافع عمر بن متى كذلك عن تكريم الصور.[١٢٩]

واخيراً، تم الاحتفاظ ببعض الكتب المقدسة البشيطتا بالسريانية الشرقية واناجيل من بين النهرين وطورعابدين، موضحة بصور مصغرة، وتظهر بان النساطرة كانوا يزودون كتبهم المقدسة بالصور ايضاً. وهذه المخطوطات ضربة حظ، لأن الاتراك والاكراد والمبشرين الكاثوليك قاموا بتدمير المكتبات النسطورية بشكل منظم. ان الامثلة العشر التي استشهد بها جولز ليروي (Jules Leroy) في مؤلفه الاساسي حول المخطوطات السريانية بصور مصغرة، تعود الى ما بين القرنين السادس والسابع عشر.[١٣٠] وتصور الصور المصغرة أشكالاً من العهدين القديم والجديد، إضافة الى احداث مهمة من حياة المسيح، مثل العماد في الاردن، وأحد السعانين، وغسل الارجل، والعشاء الاخير والقيامة والعنصرة. وتبرهن الاكتشافات الآثارية والعديد من الوثائق المدونة، بأن النساطرة خارج بين النهرين استخدموا ايضاً اشكالاً صورية.





(يسار) صحن من الفضة المطلية من القرنين التاسع/العاشر، صنعت في وادي نهر تالاس (Talas)، في قيرغيستان. وقد صور صعود المسيح الى السماء في الدائرة العليا، والى اسفل يساراً زيارة مريم ومريم المجدلية الى القبر، والى اليمين الصلب. وهناك صليب في وسط الصحن في الفسحة اسفل دانيال في جب الاسود، والى اعلى اليسار جنديان عند القبر، والى اليمين بطرس الديك. (٤٤) وقد جاء الصحن في سياق نسطوري. (متحف الصوامع الوطني، سانت بيترسبرغ)

ومن بين الاكتشافات الآثارية، بالدرجة الاساس، الجداريات الثلاث التي عثر عليها البرت فون لي كوك (Albert von Le Coq) في عام ١٩٠٥ في كوجو، (Kocho) في شمال غرب الصين، والتي كانت جزءاً من الكنيسة النسطورية التي تعود الى القرنين السابع/الثامن. وهي تصور كاهناً يبارك ثلاثة مؤمنين، وآخر كسيح، وفارساً يمسك بيده اليمنى صولجاناً يعلوه صليب مالطي، ويظهر الصليب ايضاً على غطاء رأسه.[١٣١] وبعد ثلاث سنوات عثر السير اوريل شتاين (Aurel Stein) على رقاقة نسطورية مرسومة من اوائل القرن التاسع في مجمع من الكهوف في دنهوانج (Dunhuang)، ٥٥٠ كلم شرقي كوجو. وقد تم تصوير الشكل الذكوري وفق اسلوب المنوّر البوذي، لكنه يلبس اربعة صلبان: واحد في غطاء الرأس، واخر على ياقة عباءته على شكل صدرية ثم يحمل في يده صولجاناً طويلاً ينتهي بصليب، وهذا الشكل لقديس نسطوري او المسيح.[١٣٢]

ثم هناك خمسة اطباق من الفضة المطلية بالذهب التي تم العثور عليها في جنوب سيبيريا بين سنتي ١٩٠٩ و١٩٩٩. وقد جاءت من وادي طالاس (Talas) في قيرغستان (Kyrgystan)، حيث يتم تنجيم الفضة. ورغم ان الاطباق قد صنعت وفق الاسلوب الساساني المتأخر، الا انها تعود الى

القرنين التاسع والعاشر. وقد تم تصوير الموضوعات التالية:
الصلب، وزيارة مريم، ومريم المجدلية الى القبر. والصعود مع المسيح، والملك داود واربعة فرسان، وحصار اريحا لمرتين في اكبر الظن على يد يشوع. وتصف النقوش السريانية بالخط الاسطرنجيلي تلك المشاهد.[١٣٣] واخيرا، تم العثور على العديد من شواهد القبور من القرنين الثالث عشر والرابع عشر في كوانزوهو (Quanzhou) وهي مدينة زيتون (Zaitun) المرفأ القديم على البحر الاصفر. وقد نحت عليها ليس فقط صلبان مزخرفة زخرفة غنية، ومذابح بل كذلك ملائكة حائمة وجالسة. وتشير الملائكة المجنحة الى تأثيرات اسلوبية من النقوش الساسانية للغار الكبير طاق — أي بوستان (Taq - e Bostan) (ايران، القرنين السادس والسابع) وتصوير الرسل السماويين البوذيين، المدعوين ابساراس (Apsaras)، في دنهوانج.[١٣٤]

وهناك العديد من الادلة التي تدل، وبما لا يقبل الشك بان النساطرة في الصين ومنغوليا، كانوا يمارسون تكريم الايقونات.[١٣٥] واشهرها هو المسلة الحجرية التي نصبت في سنة ٧٨١ في العاصمة الصينية لذلك الوقت، شانغان (Shan'an) وهي شيان (Xian) الحالية. "وقد صدر في السنة الثانية عشرة لـ شينغ خوا [٦٣٨ م] المرسوم التالي: أن [المطران] الفاضل من أرض تا — قين (Ta Qin) [منطقة البحر المتوسط الشرقية]، قد جاء من بعيد حاملاً كتبه وصوره لكي يهبها في العاصمة السامية."[١٣٦] ويشهد النص بأن الارسالي النسطوري ألوبين (Alopen)، الذي وصل شانغان في سنة ٦٣٥، لم يحمل معه كتبه الدينية فقط بل ايضاً صوراً. وفي الوقت ذاته، أمر الامبراطور غاوزونغ (Gaozong) من سلالة تانغ (Tang) (٦١٨–٩٠٧) ببناء دير ورسم صورته في الكنيسة. وفيما بعد، في سنة ٧٤٢، امر الامبراطور شوانغزونغ (Xuangzong) باعادة ترميم كنيسة شانغان ورسم صور خمسة اباطرة تانغ هناك.[١٣٧] واذا كان النساطرة قد اصبحوا معارضين للايقونات لما وافقوا على ذلك.

وبعد نصف ألفية تقريبا، روى روبروك (Rubruk)، الذي بقي قريباً من العاصمة المنغولية كاراكورم (Karakurum) في سنة ١٢٥٣/١٢٥٤، عن كنيسة نسطورية قائلا، "دخلت بثقة في الكنيسة المسيحية ورأيت مذبحا جميلا. وقد تم خياطة صور للفادي والعذراء المقدسة ويوحنا المعمذان وملاكين على قماش قد نسج من ذهب" وبدوره كتب الاسقف اللاتيني يوحنا الذي من كورا (Cora) في سنة ١٣٣٠ تقريبا، استنادا الى معلومات اودوريك البوردينوني (Odoric of Pordenone) (١٢٦٥–١٣٣١) المشكوك فيها، الذي كان قد زار الصين في سنة ١٣٢٢، "هؤلاء النساطرة اكثر من ثلاثين الفا في الصين. ولهم كنائس جميلة جدا ومرتبة بصلبان وصور اكراما لله والقديسين".[١٣٨]

وقد تخلى النساطرة عن اكرام الايقونات اولاً في جنوب الهند في حوالي منتصف القرن الرابع عشر. وقد كتب الارسالي الكاثوليكي يوحنا المريغنولي (Jhon of Marignolli)، (+١٣٥٧) عن مكوثه في كيرالا في سنة ١٣٤٧/١٣٤٨، "ان اليهود والمسلمين وبعض [النساطرة] المسيحيين يعتبرون اللاتين اسوأ عبدة للاصنام لانهم يستخدمون التماثيل والصور في كنائسهم."

وفي نفس الوقت، بدأت الصور الدينية بالاختفاء من الكنائس النسطورية في بين النهرين لعدة اسباب نشأت سوية. اولا: صارت الكنيسة، وابتداء من وقت مبكر من القرن الرابع عشر، تحت ضغط شديد من الاسلام، الذي توسع بسبب اعتناق الايلخانيين في بلاد النهرين الدين الاسلامي. ثم قام تيمورلنك (١٣٦٦–١٤٠٥)، بعد ذلك، بين سنة (١٣٨٤–١٣٨٨) بتدمير كل الكنائس بشكل منظم، واضطهاد مسيحيي بين النهرين، الذين هربوا من السهول الخصبة الى جبال كردستان. ومن اجل عدم اثارة غضب المسلمين المتعصبين وتجنب سلب وتدنيس معابدهم الصغيرة ومن ثم لفقرهم ايضا، رفض "نساطرة الجبل" الزخرفة الصورية لمعابدهم الصغيرة. واخيرا، وفي القرن التاسع عشر، قبل الاكليرس النسطوري تفسير الارساليات البروتستانتية وادعوا بان كنيستهم كانت ضد الايقونات دائما.





(يسار) الملاك يعلن قيامة المسيح لمريم ومريم المجدلية عند وصولهما الى القبر وهن حاملات الطيب لمسكبه على جسد يسوع. وهاتان المرأتان هما اول من يسمع عن القيامة، حتى قبل التلاميذ. عن ترجمة للكتاب المقدس (بشيطتا) من القرن الثالث عشر مكتوبة بالخط الأسطرنجيلي. (المكتبة الوطنية في برلين، مقتنيات الثقافة البروسية. المخطوطة الرقية Sachau 304.)
(Bl., Folio 106v. ١٩٥

(يمين) الرسل الأثنا عشر مجتمعون حول بطرس الذي قد صوّر مثل شيخ، في العنصرة، وهناك أثنا عشر شعاعا تنزل من السماء على رؤوسهم. عن ترجمة سريانية للكتاب المقدس (بشيطتا) من القرن الثالث عشر مكتوبة بالخط الأسطرنجيلي. (المكتبة الوطنية لبرلين، مقتنيات الثقافة البروسية). المخطوطة الرقية Sachau 304.)
(Bl., Folio 123v. ١٩٥

٨ ـ الارسالية الى الشرق

النساطرة على طول طريق الحرير في آسيا الوسطى

سوغديا وارض الانهار السبع

اتجهت كنيسة المشرق منذ وقت مبكر من تاريخها صوب آسيا[1]. وقبل ذلك عند بداية القرن الثالث كانت هناك جماعات مسيحية على بحر قزوين وترانسوشانيا. وفي القرنين الرابع والخامس وصل المسيحيون السريان الشرقيون الى خراسان، والى **الهون البيض**، وابعد من ذلك الى الشرق، الذين دخلت اقليتهم المسيحية في سنة ٤٩٨. وبدءاً بسنة ٥٤٩ شكل **الهفتاليون** (Hephtalites) ابرشيتهم الخاصة بهم[2]. وعندما اجبر **اوغوز** (Oghuz) التركي الهفتاليين على ترك المنطقة التي تشكل اليوم جنوبي اوزبكستان وشمال افغانستان، قام مطرافوليط مرو النسطوري **ايليا** باهدائهم الى المسيحية في سنة ٦٤٤ بتفوقه على سحر شاماناتهم (shamans)[3]. ومما يشير الى وقوع المسيحية في ارض خصبة بين الترك، هو، رسالة تعود الى سنة ٧٨١ من البطريرك **طيماثاوس** التي تقول: "لقد تخلى ملك الترك [وهم شعب تركي] عن عبادة الاوثان واعتنق المسيحية مع شعبه بأسره تقريبا. وقد طلب منا ان نقيم كرسياً مطرافوليطياً، وهذا ما فعلنا"[4]. وفي الوقت الذي كان فيه ذلك الكرسي المطرافوليطي بدوياً – كان يتبع رحلات الهجرة لشعبه الذي كان يعيش في ترانسوشانيا في اوزبكستان الحالية– فإن كرسي سوغديا كان يقوم بشكل دائم في سمرقند، لانه كان للسوغديين ثقافة مدنية مستقرة. وأن البطريرك **تاداسيس** (٨٥٣-٨٥٨) قام في اغلب الظن بترقية الابرشية التي وجدت منذ القرن السادس، الى كرسي مطرافوليطي[5]. كما كانت تقع مقرات مطرافوليطية اضافية في هرات وبالغ في افغانستان اليوم.

ولم يتم الاحتفاظ باي دليل معماري على ابنية مسيحية في سمرقند، لكن المؤرخ الايراني **الجزجاني** (al-Juszjani) روى بأن القتال بين المسيحيين والمسلمين ادى الى تدمير كنيسة في حوالي سنة ١٢٥٦/١٢٥٩[6]. ولعل وصف **ماركو بولو** لكنيسة رائعة مكرسة ليوحنا المعمدان، التي اثارت حفيظة المسلمين، يشير في اكبر الظن الى الحادثة التي يعيد سردها الجزجاني[7]. وعلى اية حال، يشهد حوالي مئة نقش حجري قديم بالسريانية، وصلبان منحوتة على مسافة ٣٠ كيلو متراً جنوب سمرقند، قرب سوفيون (Sufyon) جنوب اوغوت (Urgut)، على وجود مسيحي في القرون الوسطى. ويعود احد النقوش الى سنة ١٢٠٦ وفق تقويمنا[8]. وهناك على مسافة كيلو متر ونصف موقع آثاري جرى تنقيبه من سنة ١٩٩٧ الى ١٩٩٩، المرتبط بالآثاري اي. **سافجنكو** (A.Savchenko) الى جانب رواية عن رحلة للجغرافي المسلم من القرن العاشر **ابن حوقل**. الذي وصف ديراً نسطورياً قرب سمرقند، قام بزيارته في سنة ٩٧٠ قائلاً،



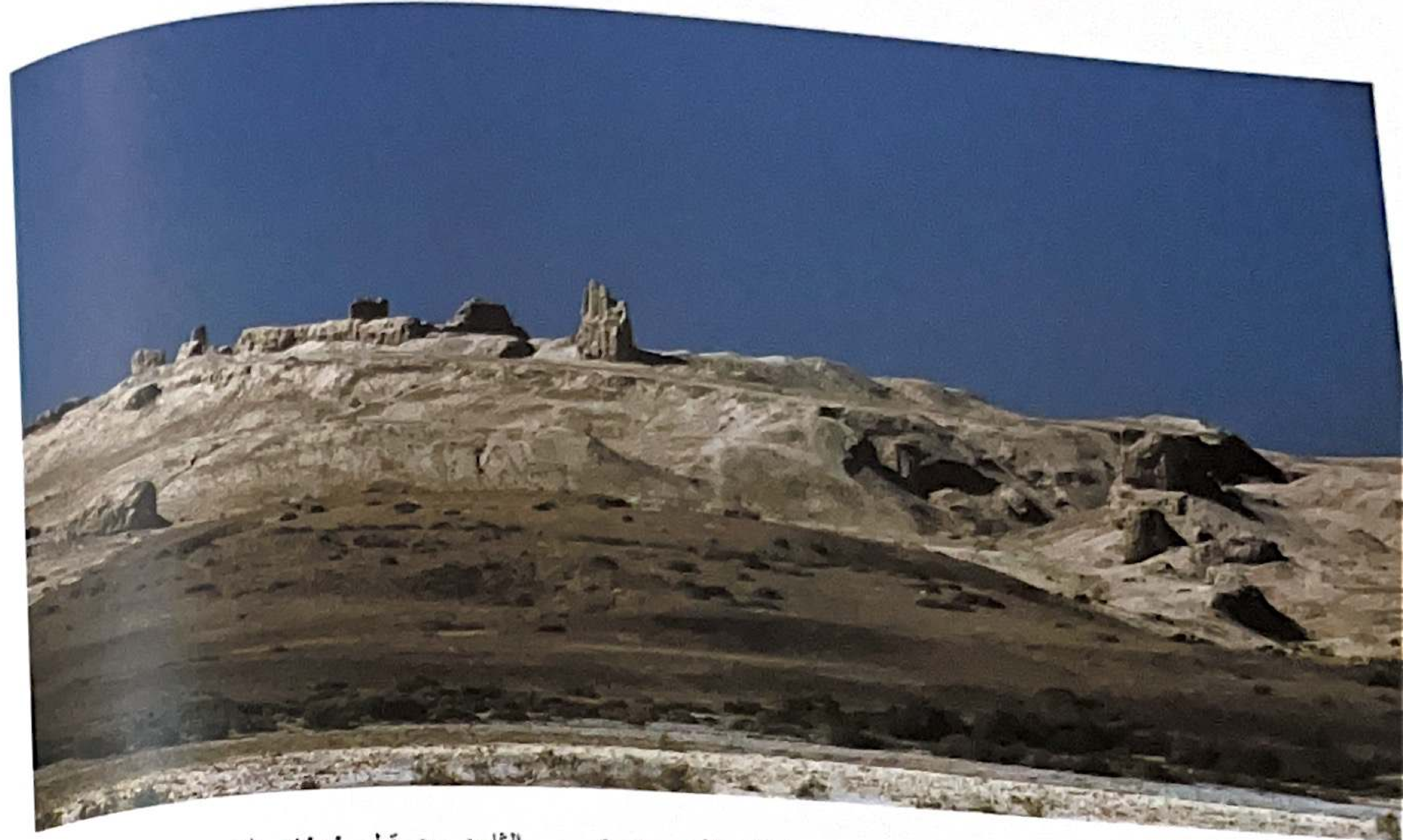
الاكتشافات الآثارية لما يزعم انه دير نسطوري في اورغوت في اوزبكستان، في اواخر صيف عام ٢٠٠٥. ويوجد الحجر الذي على وجهه نقوش بالسريانية في منتصف جبل يظهر في الصور الخلفية، فوق ممر كوتيربولاق.



الكتابة السريانية التي نقلت من السور الحجري لـ كوتربولاق في سنة ١٩٣٦. وإن الاحرف السريانية الاربعة لا تمثل اي مورفيم morpheme تركي، ولا سرياني وقد بقيت حتى اليوم دون ان يتم فك رموزها. (المتحف التاريخي لسمرقند Nr. A-308-1.)

"السوادر (Al-Sawadar) جبل في جنوب سمرقند. ويمكن للمرء ان يرى بالقرب من سمرقند ديراً للمسيحيين، حيث يجتمعون ويحتفظون بصومعاتهم. وقد صادفت الكثيرين من المسيحيين من العراق الذين انتقلوا الى هنا بسبب الموقع الجيد، والبعيد، والمناخ الصحي. لقد انزوى هنا الكثيرون من المسيحيين، لان المكان يعلو سوغديا، ويسمى **وازكاردا** (Wazkarda)"[9]. ان اكتشاف مبخرة من البرونز محلية الصنع من القرن الحادي عشر في منطقة **اروغوت** (Urgut) عن طريق الصدفة سنة ١٩١٦، مزخرفة بمشاهد من العهد الجديد، وبعد ذلك صليب صغير مصنوع من حجر الاردواز المحلي يؤكدان على الماضي المسيحي **لسوفيون**[10].

وقد أكدت أخر التنقيبات، التي استؤنفت في سنة ٢٠٠٤، بان المجمع كان يستخدم بنشاط منذ القرنين الثامن/التاسع حتى القرن الثاني عشر. ولم تكشف التنقيبات في حجرة طويلة تتجه شرقا، عن آثار قبة متداعية تظهر بلاطاتها من الطين علامات على أنها قد كانت مطلية بالاحمر والاخضر فحسب، بل ايضا عن صليب صغير من المعدن وصليبين محفورين في البلاطات الطينية. واللقى الاخيرة مهمة لأنها تمثل، الى جانب النقوش، اولى الاكتشافات المسيحية الدقيقة من ناحية الطبقات عند اورغوت. وهي تبرهن على ان سافجنكو قد عثر هناك على موقع مسيحي[11].



...خرائب مدينة كاور قلا (Gyaur
Kal) القديمة، مزدخكان
(Mizdachkhan) باوزبكستان.
...وحي اكتشاف المعاظم
...سيحية في مدينة الموتى القريبة
... المسيحيين من كنيسة
...شرق، الى جانب الزرادشتيين
...را في مدينة كاور قلا، مدينة
...ر.

وتشير العديد من الاكتشافات الصغيرة الاخرى، بان الجماعات المسيحية ازدهرت في ترانسوشانيا. ومن بين اهم تلك الاكتشافات النقود المعدنية من القرنين السابع/الثامن التي عثر عليها بالقرب من طشقند وسمرقند و**فاراخشا** (Varachsha) شمال بخارى، و**بايقند**، و**بنجيقند**. والتي تظهر على وجهها حاكماً يزين تاجه صليب، وعلى وجهها الاخر صليباً. ان هذه الاكتشافات مهمة لان المدن او الحكام وحدهم الذين كانوا يسكون نقوداً. وهناك ما لا يقل عن (١٤) قطعة نقدية معروفة على وجهها اسد وعلى وجهها الاخر صليب، تم سكها بين اواخر القرن السابع واوائل القرن الثامن من قبل **خوناق** (Khunak) حاكم **خودا** (Khuda) في فاراخشا الذي بسط نفوذه في سنة ٦٨٩ على بخارى. وكان هو واسرته مسيحيين، لكن غالبية مملكته لم تكن كذلك في اغلب الظن. وهناك ايضا كسرة من السيراميك من **بنجيقند** (Penjikend) تحمل مزامير من **البشيطتا** مكتوبة بالاسطرنجيلي، وصليب من البرونز، وكلاهما من القرن الثامن، وهناك من سمرقند صليب ذهبي الى جانب قارورة مزخرفة بصلبان وقديس، وصليب صدري يعود الى القرنين العاشر والحادي عشر من **كوبا** في **فرغانة** (Ferghana)[١٢]. وفي جنوبي سوغديا، في **ترمز** (Termez)، تذكر خرائب دير وصلبان



(اعلى)
لقد شيد مسجد ماغاك-ي-
تاري Maghak-I Attari،
الذي اسس في القرن الثامن او
التاسع في بخارى، اوزبكستان،
فوق معبد للنار زرادشتي او
كنيسة نسطورية، واعيد بناؤه
بعد حريق في القرن الثاني
عشر.



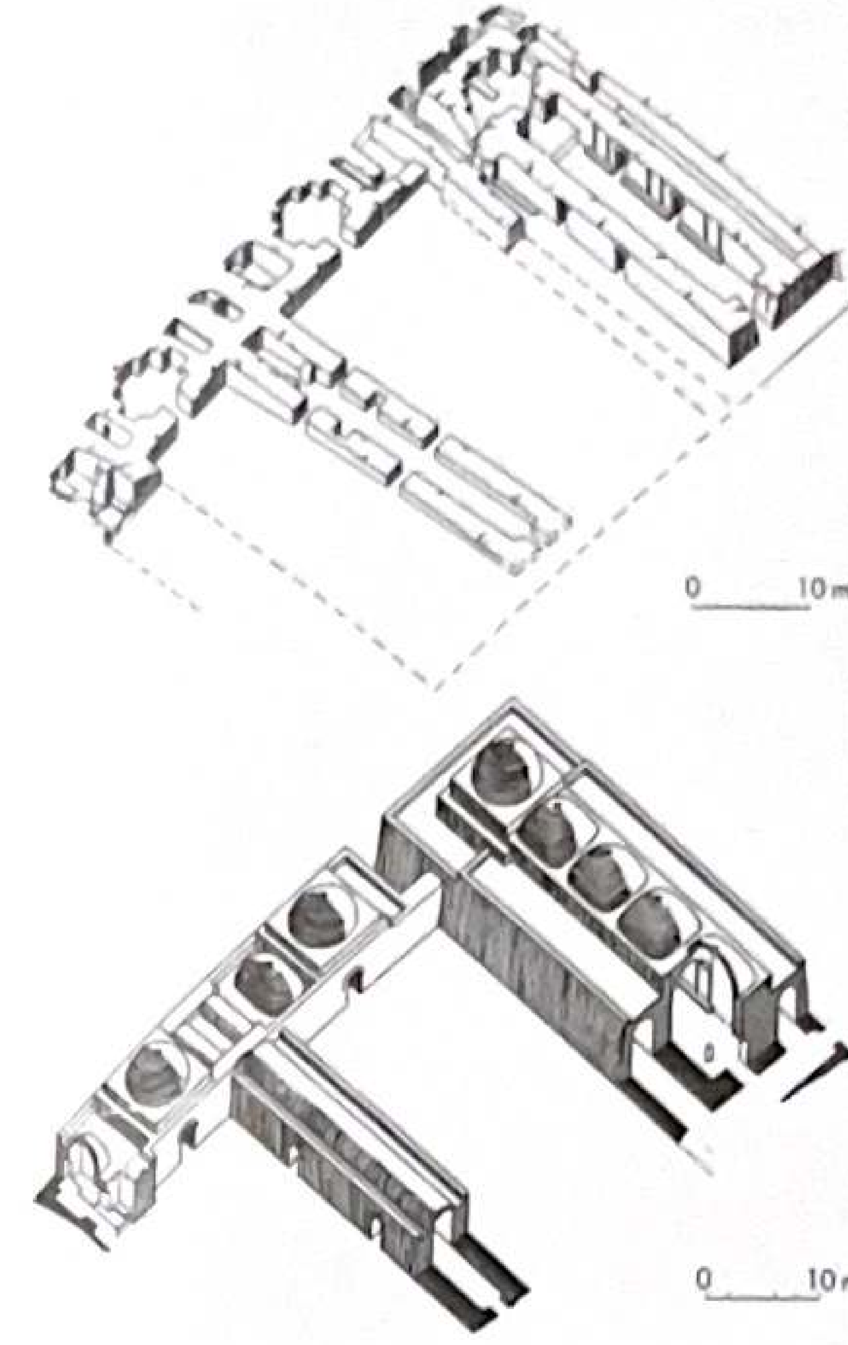
(اسفل) في مدينة الموتى
لقد تم العثور في مدينة الموتى
لمزدخكان على ما لا يقل عن
ثمانية معاظم مزخرفة بصلبان
سوداء، تماثل اكتشافات
درزوانسكايا
(Dreswanskaya) في مرو.
والجزء الاعلى من الصليب
مفقود فوق الغطاء، ولعل الاخير
يعود لمعاظم اخرى.

قبل ذلك. وقد اسفرت التنقيبات التي اجريت في سنة ١٩٧٩-١٩٨٠ عن مجمع مستطيل يضم (١٦) حجرة بينها كنيستان، وبيت العماد، ومعبد يظهر جداره الشمالي الغربي صليباً من الجصّ. وقد دمرت الكنيسة في اكبر الظن في اثناء الهجوم المغولي الضار في سنة ١٢٢٠.[١٣]

كما عاش النساطرة ايضاً في خوارزم الى الغرب من بخارى، وقد عثر علماء الآثار الروس هنا، في اسفل خرائب مدينة كاور- قلا على ما يسمى "مدينة الكفار"، التي تماثل مزدخكان القديمة وهي حجرة دفن ضخمة تضم ما يصل الى ٢٠٠ معظمة.

وما لا يقل عن ثمانية من هذه الآنية الطينية كانت مزخرفة من الامام والجانب او على الغطاء بصلبان سوداء، وتظهر القليل منها شكل صليب ذراعيه تستدق الى الداخل،





اليمين: الكنيسة الجنوبية من مجمع الكنيسة لـ أق- بشيم (Ak-Beshim) في قيرغستان. وكانت الكنيسة النسطورية الثلاثية مستخدمة منذ القرن الثامن حتى القرن الحادي عشر. وكان مجمع الكنيسة يقع داخل "شهرستان" المركز المحصن للمدينة، على النقيض من الاضرحة البوذية والزرادشتية التي كانت تقع في الخارج.

اليسار: التخطيط الارضي وارتفاع الكنيسة الثلاثية لـ أق - بشيم.

والذي غالباً يعثر عليه بين النساطرة. ويرى البروفسور **في. أن. جاغودين** (V.N.Jagodin) انه كانت هناك معاظم، لم تعد ترى اليوم. وهو يؤرخها الى القرنين السابع/الثامن ويعتقد بانه كانت تعيش هناك، في فترة ما قبل الاسلام، جماعة نسطورية صغيرة في منطقة غالبيتها زرادشتية، تكيفت مع العادات الزرادشتية الشائعة[١٤].

وقد اصبح النساطرة، شأنهم في ذلك شأن الزرادشتيين والبوذيين والمانويين، الذين كانوا يعيشون في سوغديا ابتداء من العقد العاشر من القرن السابع، تحت ضغط العرب الغزاة. ورغم ان السوغديين كانوا قادرين على صدّ العرب الناهبين كل مرة لما يقارب الاربعين سنة، فقد قام قتيبة من مسلم، بين سنة ٧٠٩- وسنة ٧١٤، بغزو بخارى وسمرقند وطشقند. وقد ابقى قتيبة على المسيحيين لانهم كانوا من اهل الكتاب، بينما امر بقتل اتباع الديانات الاخرى - وفي مقدمتهم الزعماء المثقفين- او طردهم[١٥]. وعندما اغتيل الطاغية، في سنة ٧١٥ ثارت مدن ترانسوشانيا[١٦]، واصبحت المنطقة جزءا من منطقة نفوذ الصين، التي احتلت طشقند في سنة ٧٥٠. ثم انضم التحالف العشائري



طبق فضي كبير، عثر عليه في سنة ١٩١٠ في المجرى السفلي لنهر اوب (River Ob) في روسيا. وقد جاء الطبق في اكبر الظن من وادي طالاس في قيرغيزستان، المشهور بمناجمه الفضية وسبائك الفضة ويقطنه النساطرة. وهو يعود الى القرنين التاسع والعاشر ومصنوع وفق الاسلوب ما بعد الساساني، ويبلغ قطره ٢٤ سنتمترا. وفي الوسط يجلس الملك داود على العرش وهو يعزف على آلة وترية، وتاجه المجنح صفة عامة للحكام في الفن الساساني. ويقف أسدان امام عرشه. ويقف الى يمينه ولي العهد سليمان، والى شماله زوجة داود في اكبر الظن، وام سليمان بثشبع (Bathsheba). ويحوم ملاكان في الاعلى. وحافة الطبق مزخرفة بعشرين حيواناً، وهي ترتبط بعلامات الابراج او بقدرة سليمان على التحدث بلغة الحيوانات[٢١]. (متحف معهد الآثار والاثنوغرافيا للاكاديمية الروسية للعلوم لسيبيريا، نوفوسيبيرسك Novosibirsk).

ومن المعاقل النسطورية في آسيا الوسطى كانت ارض الانهار السبع التي تقع في قيرغزستان الحديثة وجنوبي كازاغستان. وكانت المنطقة تحت السلطة الصينية، مع فترات من الانقطاع منذ سنة ٦٥٧ الى ٧٥١، وسرعان ما تم غزوها من قبل القارلوك الترك الذين تبنت الطبقة العليا منهم في قسم منها، المسيحية النسطورية. ومثلما قد اوضح **و. كلين** (W. Klein)، يمكن تمييز فترتين من فترات الجماعات النسطورية، الاولى المرحلة المدنية للسوغديين، التي دامت منذ القرن السابع/الثامن حتى القرن الحادي عشر. عقبتها فترة ثانية من تربية الماشية والزراعة التركية، دامت منذ اوائل القرن الثالث عشر حتى حوالي سنة ١٣٥٠[١٩].

وقد قام علماء الآثار الروس بتنقيب كنيستين نسطوريتين استخدمتا منذ القرن الثامن حتى القرن الحادي عشر ليؤرخوا بذلك مدينة **سويوب** القديمة المهمة في زمانها الى الفترة الاولى. وتظهر الكنيسة الصغرى تشابها مع كنائس القرميد في الحيرة في بين النهرين، بينما كانت الكبرى مجمعاً كنسياً كاملاً بثلاثة كنائس كبيرة ومعبد. وقد صنعت جدران الكنيسة الثلاثية، التي اكتشفت في سنة ١٩٩٨، من الطين المطروق، والقبة من بلاطات الطين المفخور. وقد عثر على العديد من الالواح (panels) الجصية المزخرفة بالصلبان الى جانب آثار رقاقة ذهب، وصليب من النفريت* وصليب من البرونز بنقش سوغدي وقالب لانتاج الصلبان الطينية يحمل ايضاً نقشاً سوغديا على وجهة الاخر[٢٠]. وفي حجرة بجانب الكنيسة الجنوبية، عثر الآثاريون على شظايا جدارية، والتي يوجد موضوع حليتها

للقارلوك (Qarluqs) الترك، الى جانب العرب، ودمرت قواتهم المتحدة الجيش الصيني عند سمرقند او طالاس (Talas) في سنة ٧٥١.[١٧] وهكذا اصبحت ترانسوشانيا تحت السيطرة الاسلامية بدلاً من الحكم الصيني، واحتل القارلوك المنتصرون، الذين اصبح البعض منهم نساطرة، ارض الانهار السبع في حوالي سنة ٧٦٦. ويتضح بان منطقة سمرقند بقيت مركزاً نسطورياً مهماً، رغم السياسات الاسلامية المتطرفة التي انتهجها الطاهريون (Tahirids)، (٨٢٠-٨٧٣)، ليس فقط من ترقية الابرشية الى درجة الكرسي المطرافوليطي بل ايضاً من حقيقة ان المدينة انجبت شخصيات نسطورية مهمة. واشهر ابناء سمرقند النساطرة كان نائباً لحاكم منطقة زنيانغ (Zhenjiang) المركزية الصينية، **مار سركيس**، الذي ذكره ماركو بولو، والذي اشغل الوظيفة من سنة ١٢٧٧ الى ١٢٨٠ او ١٢٨٢ وأنشأ ستة اديرة. وكان ابوه وجداه كلاهما اللذان جاءا ايضاً من سمرقند، اطباء مشهورين، كما ان جده لامه قام بشفاء **طولوي** (Tului) الابن الاصغر **لجنكيزخان** (+١٢٣٢)[١٨].

* نوع من اليشب وهو حجر كريم [المترجم]

المعمارية الوردية الشكل في لوحات **دنهوانغ** (Dunhuang) في شمال غرب الصين، وهناك في الكهوف ١٥٠، ١٥٧، ٣٠٢ و٤٤٠-٤٤٢ من القرنين العاشر والحادي عشر، وهو امر ليس غير متوقع، طالما ان دنهوانغ وسويوب تقعان كلتاهما على طريق الحرير[٢١]. وقد عثروا كذلك في الغرفة ٢٤ من الكنيسة الشمالية على عشر مخطوطات لم يتم حتى الان فك رموزها. وهي اقدم لقية ورق في قيرغستان[٢٢]. وفي مشكاة جدارية في الغرفة ٢٣ المجاورة عثر الآثاريون على عظام بشرية، وهي تعود في اكبر الظن لقديس، ويزعم بان الحجرة كانت تستخدم كحاضنة[٢٣]. وكانت الكنيسة الثلاثية مستخدمة منذ القرنين الثامن والتاسع الى القرنين العاشر والحادي عشر، ثم تركت اخيراً لتستخدم كمستودع. ويوحي اكتشاف خمسة صلبان صدرية في **كراسناجا رسجاك** (Krasnaja Retschak) في **نافاكات** (Navakat) القديمة على بعد ١٥ كيلو متراً الى الشرق، الى جانب نقش سوغدي على إناء كبير من السيراميك، بان الجماعة النسطورية كانت تعيش في نافاكات ايضاً[٢٤]. إضافة الى ذلك، فاننا نعلم بان كنيسة **تاراز** (Taraz)، (دزامبول Dzambul) الكبيرة في كازاغستان قد حولت الى جامع في سنة ٨٩٣، في نفس الوقت الذي حولت فيه الكنيسة التي في **مكري** (Mikri) في كازاغستان[٢٥]. واخيراً يشهد صليب من الفضة يمكن ارتداؤه، عثر عليه في **كوستوب** (Kostobe)، في **جاموكات** (Jamukhat) القديمة بالقرب من **تاراز** Taraz، وكسرة من قدر من الطين منقوش بثلاثة صلبان عثر عليه في سنة ١٩٩٩ في جنوب شرق كازاغستان عند **كايالك** (Kayalik)، وهي التي يسميها **روبروك** سايالك (Caialik)، على وجود مسيحي سابق. واهم الاشياء المسيحية من صنع الانسان من ارض الانهار السبع هي خمسة أوانٍ من الفضة المطلية بالذهب التي مرّ ذكرها سابقاً، والتي عثر عليها في جنوبي سيبيريا لكنها انتجت على ما يزعم في وادي طالاس.

التبت

وقد اشار البطريرك طيماثاوس، في رسالة كتبها في سنة ٧٩٥/٧٩٨ الى صديقه الوفي **سيرجيوس العيلامي**، ليس فقط الى الترك بل الى التبت: "لقد كرس الروح القدس في هذه الايام مطرافوليطاً للترك، ونحن نستعد لتكريس مطرافوليط آخر لارض التبتيين"[٢٦]. ولو سلمنا بان البطريرك كان قادراً على تنفيذ قصده، فانه يبقى من غير الواضح اين كان سيحدد موقع الكرسي المطرافوليطي لتبت. وليس من المحتمل ان يكون ذلك في **لهاسا** (Lhasa) بل في **دنهوانغ**، التي كانت تقع في تلك الايام على طريق الحرير، واليوم تقع في اقليم **غانسو** (Gansu) الصيني. وقد عثر المكتشفون الاوربيون في مجمع الكهف الديني لدنهوانغ، الذي كان يعود الى امبراطورية التبت، منذ ٧٨١/٧٨٧ حتى ٨٤٨، في الكهف ١٧، الذي كان قد اغلق منذ ١٠٣٦، على عشرات الالاف من المخطوطات. ورغم ان الغالبية الكبرى منها كانت بوذية، الا انه كانت هناك ايضاً وثائق نسطورية، من بينها ثماني شظايا مكتوبة بالصينية وثلاثة بلغة التبت وتتحدث وثيقة **بليوت تيبتان** ٣٥١ (Pelliot Tibetain) عن "الله يسوع، المسيح، الحاكم على يمين الله"، وصلبان بأذرعة متساوية ظاهرة على شظايا بليوت تبتيان ١١٨٢ و ٦٧٦.



نقش سوغدي وصليب نسطوري من سنة ٨٢٥/٨٢٦ على صخرة ضخمة لوحدها قرب تانكتسي في لاداخ، شمال الهند. ويمكن أن نرى هنا على ما لا يقل عن ثلاثة صلبان. ويروي النقش بان تاجر سوغدي من سمرقند قد رافق راهباً مسيحياً، قد يكون في الأصل نسطورياً، الى التبت.

وحسب تاريخ صيني، فان المسيحيين النساطرة عاشوا في غانسو قبل تأسيس الكرسي المطرافوليطي، لانها تتحدث عن عائلة مار سركيس الكبيرة، التي استقرت في سنة ٥٧٨ في **لنتاو** (Lintao) على طريق الحرير[٢٨]. واثناء الفترة المغولية، تم دمج الكرسي المطرافوليطي بكرسي **تانغوت** (Tangut) التي كانت مركزاً لما يسمى اليوم **ننغشيا** (Ningxia). واكتشفت ايضاً ثلاثة شظايا بكتابات نسطورية، اثنتان منها بالسريانية وواحدة بالتركية في مدينة **كارا خوتو** (Kara Khoto) على الحدود الشمالية لتانغوت[٢٩].

وقد عثر على شاهد نسطوري آخر رائع في **تانكتسي** (Tanktse)، في **لاداخ** (Ladakh)، التي كانت تعود الى امبراطورية التبت منذ حوالي سنة ٦٤٤ حتى ٨٤٢ ومن ثم للامارات الغربية للتبت. وقد تم نحت ثلاثة صلبان مالطية كبيرة وثمانية اصغر حجماً، الى جانب طير – لعله حمام – ونقوش **بالتوخارية** (Tokharian) **والسوغدية**، والصينية، والعربية، والتبتية في صخرة ضخمة تقوم لوحدها، وصخرتين أخريين اصغر حجماً. وينصّ نقش سوغدي اطول على ما يلي: "في سنة ٢١٠ [عربي – اي في سنة ٨٢٥/٨٢٦] ارسلنا **قايترا** (Caitra) الذي من سمرقند، الى جانب الراهب **نوسفارم** (Nosfarm)، سفراء الى ملك التبت". وقد يعني نقش آخر، موضوع فوق الصليب يساوي (Yisaw)– اي يسوع.

واخيراً عثر على نقش من التبت يعود الى ٧٧٤ او ٨٣٤. واذا ما افترضنا بوجود علاقة بين النقشين السوغديين والصلبان الثلاثة الكبيرة، فاننا يمكن ان نستنتج بان التاجر السوغدي رافق راهباً في ٨٢٥/٨٢٦ الى ملك التبت[٣٠]. وكانت الصخرة تعد



شظية من جدارية لبناية مسيحية مقدسة، كوجو (Kocho) شنزيانغ (Xinjiang) بالصين. وتظهر اللوحة التي تبلغ ابعادها ٦١×٦٧ سم وتعود الى القرنين السابع والثامن، رجلاً يعود اصله الى الشرق الادنى، ولعله كاهن، وهو يمسك بإناء في يده اليمنى. ويقف امامه ثلاثة اشخاص برؤوس منحنية قليلاً، يحملون فروع اغصان بايديهم. والشخص الاول في اكبر الظن ايغوري يتبعه رجل صيني وامرأة صينية. ومما يفسر بأن المشهد يمثل احد السعانين، هو، وجود حافر في الاعلى.[٤٧] وتصور اللوحة في اكبر الظن مشهد استقبال واسع الانتشار في تركستان، او ان الموضوع جرى تبنيه من سياق بوذي. وهناك يحمل المؤمنون غصناً مزهراً، وغالباً برعم اللوتس، يرمز الى رغبة في الميلاد من جديد في جنة اميتابها (Amitabha).[٤٨] ويعبر الغصن في هذه الحالة بين المسيحيين الرجاء بالقيامة (متحف الفن الهندي، من المقتنيات الثقافية البروسية. Inv.III 6911).

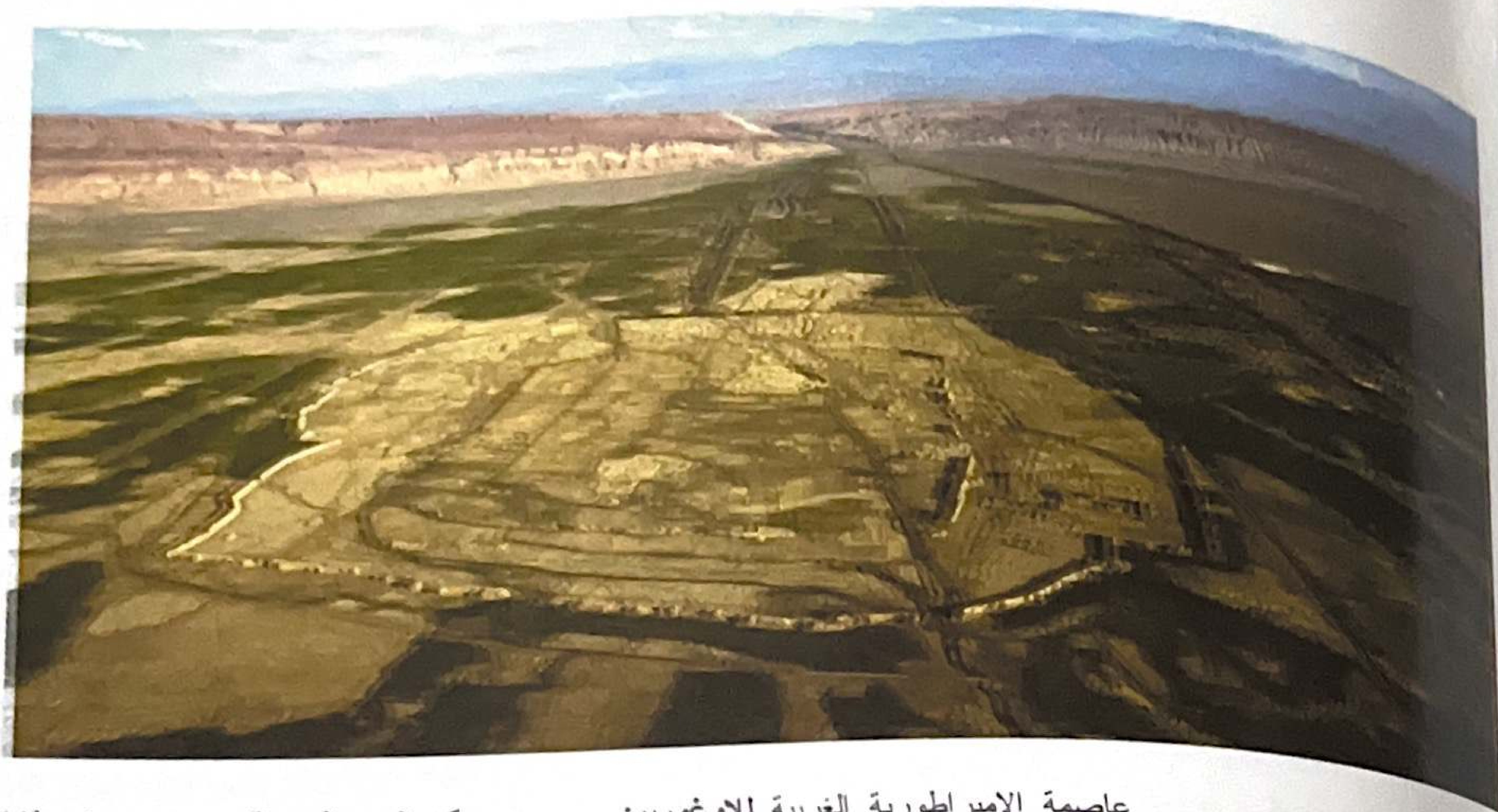
مقدسة حتى في الفترة التي سبقت المسيحية، كما ان الجانب الاعلى المواجه للسماء مزخرف بالعديد من الموضوعات من العصر البرونزي، مثل مشاهد الصيد، وحيوانات الياك (yak) والغزلان وحلزونيات وصلبان معقوفة.

وليس موقع هذه الاكتشافات مما يثير الدهشة لان تانكتسي كانت تقع على فرع من طريق الحرير، والذي يربط سوغديا وباكتريا (Bactria) مع مركز تبت. وكان التجار السوغديين يسيطرون على التجارة البعيدة ويحتفظون بمستوطنات تجارية في كل المدن الكبيرة، بما في ذلك ربما لهاسا. وكان السوغديون من اصل ايراني شرقي – اي هندو اوربيين – ويسكنون المنطقة الواقعة في شمال شرق نهر اوكسوس (River Oxus)، أمو داريا (Amu Daria) الحالية. وبفضل تجارتهم الواسعة وامكاناتهم في السفر عبر آسيا الوسطى الى الصين وتبت ونيبال وكشمير والهند وباكتريا وايران، فان السوغديين – وكان اغلبهم زرادشتيين، لكنهم كانوا يضمون ايضاً بوذيين وكذلك نساطرة ومانويين– كانوا بمثابة نحل ثقافي، يلقحون الشعوب التي يزورونها بافكارهم ودياناتهم. ولم تكن وظيفة الكاهن تستبعد امكانية الزواج، فقد كان بامكان التجار السوغديين ان يقوموا بعمل تبشيري ويعدون الطريق امام الارساليات التوحدية اللاحقة.

تركستان الشرقية

ليس من العجب، أن انتشرت المسيحية والمانوية عبر المسالك الرئيسية لطريق الحرير الذي كان يمر من **افراسياب** (Afrasiab)، (سمرقند) الى **كاشغار** (Kashgar) في اقليم **ينغزيان** (Xinjian) الحديث. ومن هناك كان التجار يرحلون إما في طريق الحرير الشمالي عبر **ترفان** (Turfan) **وهامي** (Hami) الى **دنهوانغ** او عبر المسلك الجنوبي عن طريق **ياركاند** (Yarkand) **وخوتان** (Khotan) ومن ثم الى دنغهوان، وبعد ذلك الى ابعد من ذلك عن طريق **غانسو** الى العاصمة **شانغان** (Chang'an)[٣١]. وفي الحقيقة فان ابرشية كاشغار، رقيت الى كرسي مطرافوليطي في القرن الثامن، وكان لها في ذلك الوقت اميراً مسيحياً. وربما قام السوغديون النساطرة بنشر المسيحية من كاشغار عبر الطريق الجنوبي الى ياكاند وخوتان، وربما الى **ميران** أيضاً ومنها الى دنغهوانغ. بينما ظهرت جماعات مسيحية في **أكسو** (Aksu) وواحة **تورفان وهامي** على طريق الحرير الشمالي[٣٢].

وكانت تعيش جماعة نسطورية كبيرة في واحة تورفان، وكان هنا ان اكتشف أ. **فون لي كوك** (A.von le Coq) جداريات نسطورية في معبد في **كوجو**(Kocho)، عاصمة الامبراطورية الغربية **للاوغوريين** (Uigurs) (حوالي ٨٥٠-١٢٠٩/١٢٥٠) [٣٣].



صورة جوية لـ كوجو Kocho العاصمة السابقة لامبراطورية ايغور، اقليم شنزيانغ Xinjiang، في الصين.

وقد عثر علماء الآثار الالمان بين سنة ١٩٠٤ و١٩٠٧، في الخرائب القريبة لدير بولايق (Bulayiq) وفي **كوروتكا** (Qurutqa) في مكتبة الدير السابقة على حوالي ٥٠٠ نتفة لنصوص سوغدية مسيحية، وعلى العديد من المخطوطات بالتركية والسريانية. اضافة الى وثائق ثنائية اللغة بالسريانية والسوغدية، ومن ثم السريانية والفارسية الجديدة[٣٤]. ولما كانت تلك الوثائق ثنائية اللغة تتناوب بين الجملة السريانية الاصلية والترجمة، جملة بعد جملة. فانه من الممكن الافتراض بانه كان يُحتفل باللترجيا بلغة ثنائية في كل من اللغتين اللترجية والعامية.

ويمكن تفسير العدد الكبير من شظايا النصوص السوغدية بحقيقة ان اللغة السوغدية كانت في ذلك الوقت هي اللغة المشتركة لآسيا الوسطى. ولم يبرهن اكتشاف النصوص السوغدية هذا بانه ذا اهمية كبيرة لتاريخ الكنيسة النسطورية فحسب، بل وضع الاساس كذلك لفك رموز اللغة السوغدية. وفي سنة ١٩١٢ صرح فقيه اللغة **ف. و. موللر** (F. W. Muller) قائلا، "بهذه الترجمة لنصوص ذات المحتوى المسيحي المألوف [البشيطتا، مثلاً]، نملك الان مفتاح السوغدية"[٣٥].

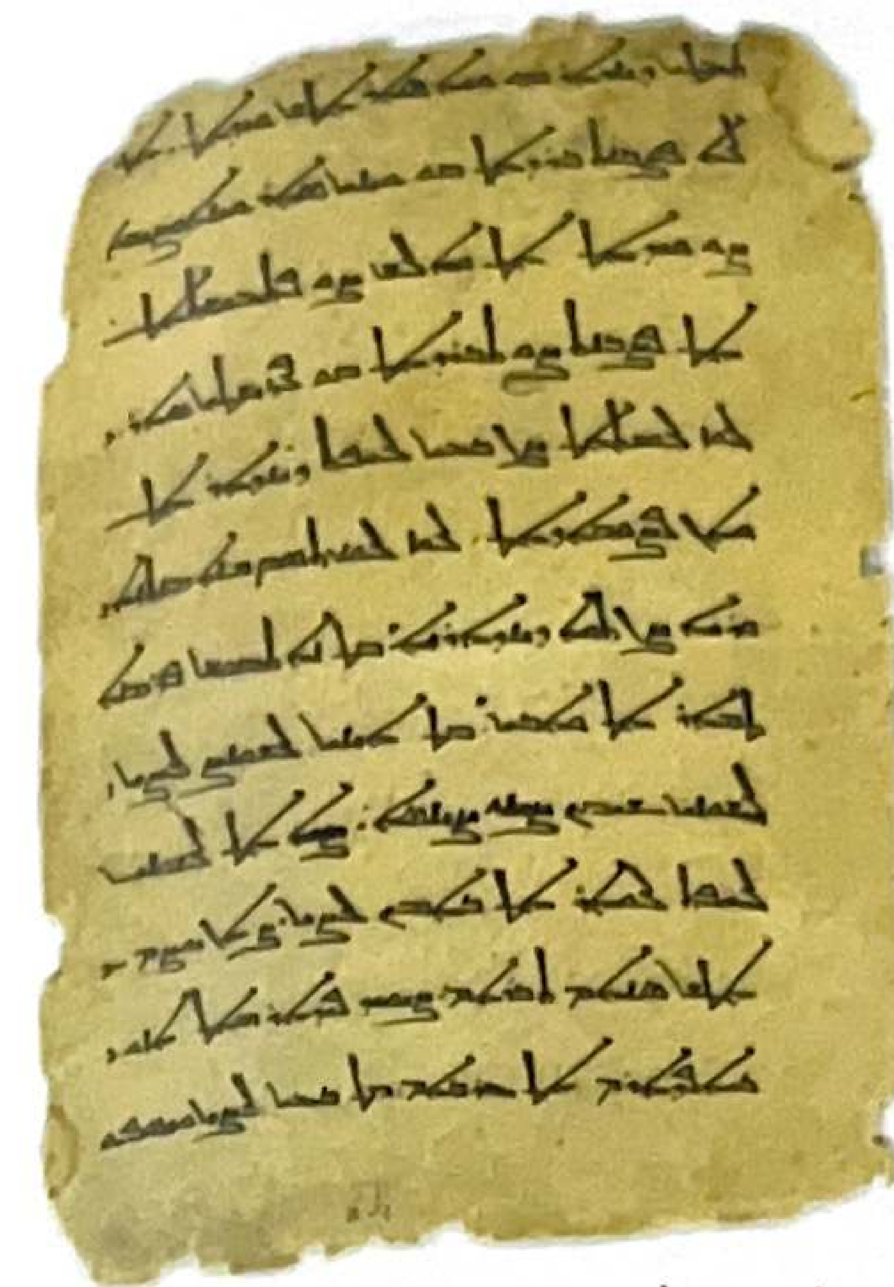
وفي واحة تورفان وفي دنغهوانغ، تم العثور على نتف من وثائق نسطورية مكتوبة بما لا يقل عن ثمانية لغات مختلفة: السريانية، والفهلوية، والبارثية، والخوتانية (Khotanese) والسوغدية، والتركية القديمة،

مخطوطة سوغدية مسيحية بالكتابة النسطورية من دير بولايق (Bulayiq) النسطوري في زينغزيانغ بالصين تبلغ ابعادها ٢٠×١٣,٥ سم، حوالي القرن السابع/الثامن. وديعة اكاديمية برلين براندنبرغ (Berlin-Brandenburg) للعلوم في المكتبة الوطنية في برلين، المجموعة الثقافية البروسية، القسم الشرقي، (n180 recto).

والأيغورية، والصينية، والتبتية[36]. إن تعدد اللغات في النصوص النسطورية والتي كانت في الغالب ترجمات لنصوص سريانية اصلية، يعكس ستراتيجية كنيسة المشرق: المحافظة على السريانية لغة طقسية ومصدراً للوحدة، ولكن من اجل إتاحة الكتابات امام المؤمنين المحليين بلغاتهم الاصلية.

وقد تضمنت مكتبة الدير مخطوطات من عدة انواع: إضافة الى كتاب للمزامير من القرن الخامس. وكانت هناك نتف من البشيطتا والمزامير واعمال منحولة، وكتب وفقرات مقتطفة من الكتاب المقدس. وكتب اناشيد ونصوص طقسية للعماد، والافخارستيا، الى جانب القانون النيقاوي المكتوب بالسوغدية، من القرنين التاسع والعاشر. وكانت هناك ايضاً اساطير، كتلك التي حول سجود المجوس، والقديس كوركيس، واكتشاف الصليب الحقيقي من قبل ام الامبراطور **هيلينا** والاسقف **برشابا** (Bar Shaba) من مرو، وتاريخ مدينة نصيبين. ومثلما يُتوقع في مكتبة دير، فقد احتوت ايضاً على العديد من سير الحياة التوحدية و**اعمال الشهداء السلطة الفارسية** تحت حكم شابور الثاني، واعمال لترويضيين مشهورين، ونصوص حول موضوعات توحدية، مثل الزهد في الدنيا، والصوم، والعزلة والتأمل[37].

وتوحي بعض المخطوطات بان نساطرة واحة تورفان كانوا على اتصال منتظم ليس فقط مع الكنيسة الام في بين النهرين فقط، بل ايضاً مع ملكيّي (Melkites) آسيا الوسطى ومواطنين خاصين من الامبراطورية البيزنطية[38]. ويلاحظ ايضاً بان النساطرة لم يكونوا اول المسيحيين في ذلك الوقت الموجودين على طريق الحرير لآسيا الوسطى. فقد عاش الملكيون في القرم



وخوارزم على نهر اوكسوس. كما ان اليعاقبة كانوا قد اقاموا لهم ابرشيات في خراسان، وهرات، كما أن اليعاقبة كانوا يعيشون في يارقند (Yarkand) والى الشمال من تورفان[39].

وفيما يخص المحتوى، فانه من المدهش ملاحظة مدى تأكيد اساطير كوركيس وبرشابا على قيامة جسد الانسان. وهي تنسجم مع التاكيد النسطوري النموذجي على قيامة المسيح، ونتائجها بالنسبة للمؤمنين، وتضع القيامة في مركز رسالة التبشير. بهذا التأكيد على قيامة الشخص كله مرة اخرى، بما في ذلك جسده، والموافقة الضمنية على الجسدانية ومادية العالم، فان النسطورية السوغدية وضعت نفسها في تعارض تام مع منافسيها، البوذية والمانوية. فالجسد، بالنسبة لكليهما، ليس مما يُعدّ روحياً وكاملاً، بل

عبثاً، يعيق التطور وينبغي التخلص منه وتركه الى الوراء. فان الـ **سامسارا** (samsara) **والكوزموس** (cosmos) اماكن للشقاء والفساد، بينما هي في الفكر النسطوري مدخل للعودة الى الحالة الاصلية الكاملة قبل سقوط آدم في الخطيئة. ومثلما قد اوضح **هـ. جي. كلمكيت** (H.J. Klimkeit)، فان هذه النتف تهاجم البوذية بشكل مباشر عن طريق تصوير الاله الحارس المهم **ماهاكالا** (Mahakala) كمساعد للشيطان لانه ينكر قيامة الموتى[40].

ورغم ان النتف السوغدية تتجنب اي توفيق بين المعتقدات الدينية المتعارضة وتتبع الارثوذكسية النسطورية، فان النصوص التركية الايغورية، والصينية بشكل خاص، تدخل في حوار مع بيئتها وتمتثل لها في بعض النواحي. ان اسطورة المجوس، الذين جلبوا ثلاث هدايا ليسوع، والتي كان لها معنى رمزياً خاصاً في آسيا الوسطى، تعطي مثالاً واضحاً. وفيما يتعلق بيسوع، فكر المجوس بأنه، "ان كان ابن السماء [ابن الله]، فانه سوف يقبل المرّ والبخور، وان كان خاناً [حاكماً]، فإذن سيقبل الذهب، وان كان طبيباً ومشافياً، فانه سيقبل الدواء". وقد علم يسوع بافكارهم وقال، "انا ابن السماء، وانا حاكم، وانا طبيب، ومشافي ايضاً"[41]. وتأخذ هذه الاوصاف بنظر الاعتبار افكاراً لاتراك آسيا الوسطى، الذين كانوا يعبدون السماء كأسمى إله غير مرئي، ويسمون حكامهم "ابن السماء" و خاناً. بينما كان الترك البوذيين يعبدون بوذا كطبيب مشاف ايضاً. ويماثل هذا الموقف الفهم النسطوري لدور المسيح، الذي، كمخلص، كان يشفي الناس ايضاً من معاناتهم الجسدية. وقد تبنى المانويون الذين كانوا الاغلبية في مملكة الايغور (Uighurs) وكوجوس (Kochos)، وظيفة يسوع هذه وسموه "طبيباً نبيلاً" و" طبيب المجروحين"[42].

وحول كون المانويين في شرقي تركستان يشكلون جماعة اكبر بعدة مرات من تلك التي للنساطرة، فأن ذلك واضح من حقيقة انه تم العثور على ما يزيد كثيراً عن 10,000 كسرة من مخطوطات مانوية، قسم منها مزخرفة بمنمنمات، في تورفان ودنغهوانغ عند بداية القرن العشرين. وكانت المانوية منتشرة في شرقي تركستان، اولاً: بواسطة لاجئين ايرانيين وتجار سوغديين، وكانت مدينة في مركزها القوي الى اهتداء الامير الايغوري **مويو خان** (Muyu Khan) واسرته في حوالي سنة ٧٦٢ الى المسيحية. وفي ذلك الوقت كانت عاصمة الامبراطورية السهلية الواسعة في مركز منغوليا قرب **قارابالغاسن** (Karabalgasun)، لكن **القيرغيزيين** دمروا اول امبراطورية ايغورية في سنة ٨٤٠، حيث استقر الايغوريون على اثرها في **غانسو** وفي شرقي تركستان، مؤسسين مملكة مانوية هناك بعد عشرة سنوات. ورغم ان العائلة الأميرية سرعان ما ارتدت الى البوذية، فان الديانات الثلاثة عاشت هناك في سلام جنباً الى جنب حتى سقوط امبراطورية **موغولستان** (Mogulistan) الاسلامية عند نهاية القرن الرابع عشر[43].

الاسقف ألوبين يحمل الديانة المشرقة الى الصين

ليس لـ (طاو) اسماً خالداً مثلما لم يكن له جسداً خالداً. وسوف يتم تكييف الديانة الملائمة للمناطق وتنفذ بطريقة بحيث يخلص كل الناس.



تعلن الاحرف الصينية التسع على الجزء الاعلى من المسلة النسطورية من الحجر التي تعود الى سنة ٧٨١: "مسلة انتشار دين تا قن (Ta Qin) المنوّر في المملكة الوسطى". ان الصليب فوق الغيوم والاغصان وزهرة اللوتس ترمز الى تحقيق الرهبنة الصينية في صليب القيامة المسيحية. (متحف بي لن Bei Lin [غابة المسلات] في زيانغ Xiang، اقليم شانزي Shaanxi، الصين.)

عن مرسوم الامبراطور تايزونغ (Taizong)، ٦٣٨ للميلاد[٤٤].

كانت سلالة تانغ (٦١٨–٩٠٧) العصر الذهبي للصين. وكانت المملكة الوسطى متحدة ولها علاقات تجارية مع العالم المعروف بأسره: مع كوريا واليابان والشرق، ومع الهند الصينية واندونيسيا حتى الجنوب، والتبت ونيبال والهند الى الجنوب الغربي. ومع سوغديا، والخلافة الاسلامية، وبيزنطة البعيدة الى الغرب. وقد وضعت الشروط المسبقة لازدهار الصين المتجدد من قبل الامبراطور تايزونغ (حكم بين سنوات ٦٢٧–٦٤٩) عندما دحر الممالك الحدودية للترك الغربيين والشرقيين، ووضع طريق الحرير، الذي كان يمر عبر تركستان، تحت السيطرة الصينية[٤٥]. وكان للعاصمة العالمية شانغان، شيان (Xian) الحديثة، اكثر من مليون من السكان، وذات مجد لا يضاهى.

وقد أقام ممثلوها من الامم المختلفة مستعمرات تجارية تضمنت ايضاً مؤسسات دينية. وقد عاشت في الصين في ذلك الزمان ديانات مختلفة جنباً الى جنب، كما ان تعدد الآلهة كان ينظر اليه كعامل اغناء للدولة. ومع ذلك فقد تم اختبار ديانات جديدة من قبل دائرة المذاهب، والتي كانت تعمل بمثابة وزارة الخارجية، للتأكد من عدم احتوائها على اية افكار خطرة للدولة او المجتمع. ثم يقرر السلطان بعد ذلك ما اذا كان سيسمح بالدين الجديد في الامبراطورية كلها، او يقتصر على جماعات من التجار الاجانب او يمنع بصورة عامة. وهكذا كان يحكم في الصين توازن بين السماء والارض، لم تستطع قلبه الا فترات من عدم الاستقرار السياسي، والقومية التي كانت تخشى الاجانب. ومثل الديانات الاخرى، فان كنيسة المشرق استفادت لقرنين من الزمن من هذه الروح العالمية، حتى وقعت ضحية لمبادرة من مبادرات رهاب الاجانب*.

وفي سنة ١٦٢٣ أو ١٦٢٥ تم كشف النقاب عن مسلة من الحجر يبلغ وزنها طنين وارتفاعها ٢،٧٩م وعرضها ٩٩ سم، بالقرب من **شيانغ**. وتقوم المسلة، مثل باقي المسلات، على ظهر سلحفاة ضخمة من الحجر، ترمز الى استقرار النظام العالمي. وتحمل الواجهة ما مجموعه (١٨٠٠) حرف صيني، وقد نقش في الاسفل، في (٢٣) سطراً عمودياً، بالخط السرياني الاسطرنجيلي والكتابة الصينية، **الكولوفون** بكامله الذي يشتمل على الاسم والزمان والمكان، مؤرخاً تكريس الكتابة الى شباط

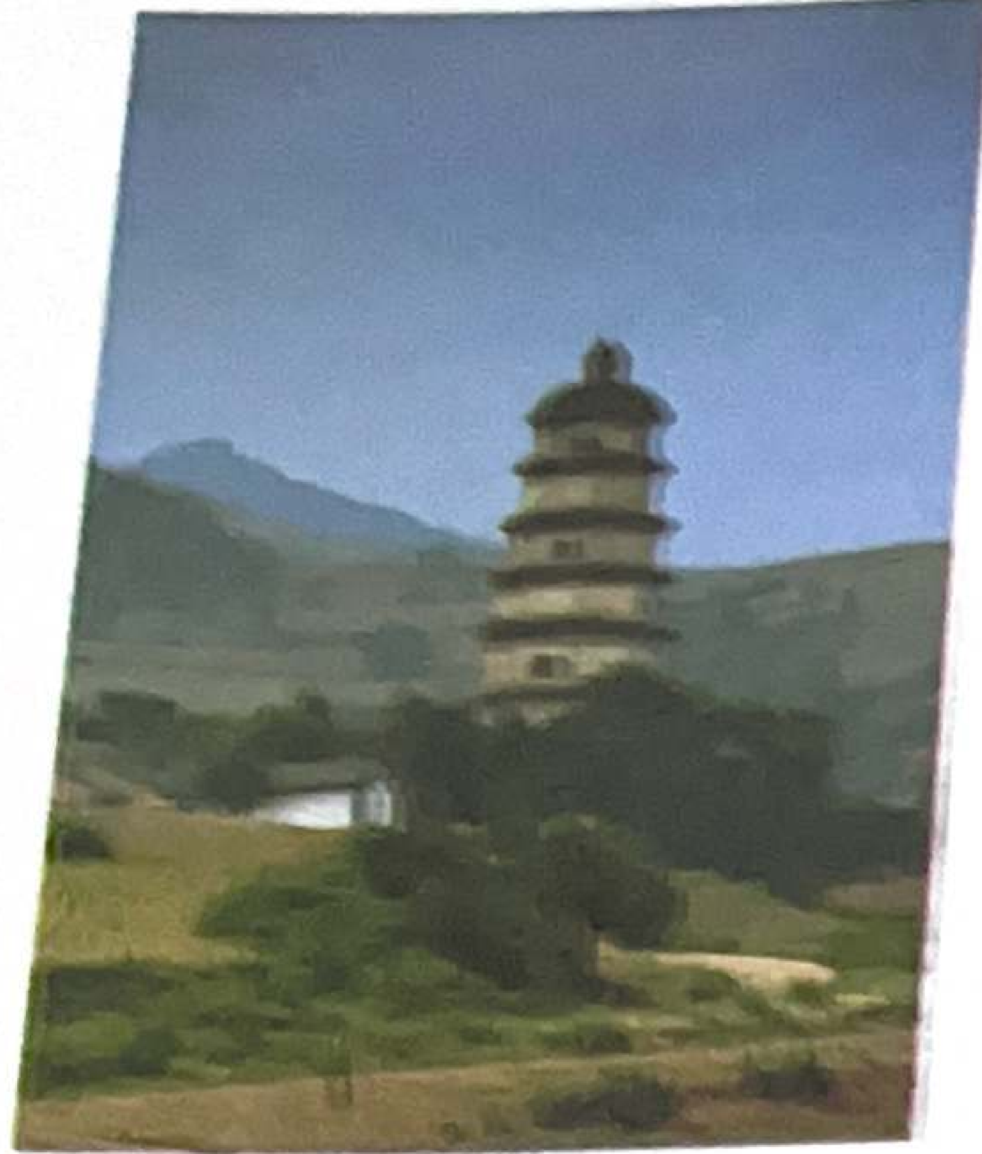
* الخوف من الاجانب.

سنة ٧٨١. وكلا الجانبان الصغيران من المسلة مزخرفان ايضاً باحرف سريانية اسطرنجيلية وصينية، تدرج اسماء (٧٠) مانحاً[٤٦]. ويمكن للمرء ان يرى على الجزء الاعلى من الواجهة ثلاثة ازواج من التنين ملتفة حول بعضها البعض، ممسكة بين مخالبها لؤلؤة محاطة بالسنة النيران – رمزاً للشمس. وتحتها تسعة أحرف صينية كبيرة تعلن: مسلة لنشر ديانة **تا قين** (Ta Qin) المشرقة في المملكة الوسطى. وثمة صليب نسطوري موضوع على زهرة اللوتس بين الغيوم، وفرعين من الشجر، قد نحت بين الشمس والرموز الثلاثة العليا.

وهكذا يتم تمثيل المسيحية النسطورية بشكل مرئي في علاقة مع **الطاوية** والبوذية، وتتبوأ مكاناً مرموقاً في الوسط. وترمز الغيوم واللؤلؤ في هذا السياق الى مبادىء **ين** (yin) **ويانغ** (yang) الطاوية، كما ان زهرة اللوتس بدورها رمز بوذي كلاسيكي، يفسر كيف ان نقاء الروح يطفو فوق المستنقع الكئيب للوجود الدنيوي. وهذه الفكرة الرئيسة للعمل الفني التي يعثر عليها ايضاً على شواهد القبور النسطورية، توحي بتحقيق التقوى الصينية في صليب القيامة.

لقد كان اكتشاف المسلة نبأ مثيراً لكل من العلماء الصينيين وفي اوربا، لانها برهنت على ان المسيحية كانت قد وصلت الصين بألف سنة تقريباً قبل **ريجي اليسوعي** (Jesuit Ricci) الذي عاش هناك من سنة ١٥٨٣ الى سنة ١٦١٠ وسبعة قرون قبل رئيس الاساقفة الكاثوليكي **يوحنا المونتكورفيني** (John of Montecorvino)، الذي قام بعمل تبشيري، بنجاح معتدل، في المملكة المتوسطة منذ ١٢٩٤/١٢٩٥ حتى ١٣٢٨. وبقدر تعلق الامر بإشارات ماركو بولو، الذي عاش في الصين من ١٢٧٤– ١٢٩١، الى الجماعات المسيحية، فقد أهملت في الغالب كنتاج من ضرب الخيال. أما الان فقد اصبح الامر رسمياً: إذ كانت المسيحية قد ازدهرت في الصين الى زمن يرتقي الى القرن السابع وتمتعت بحماية امبراطورية.

وينص القسم التاريخي للمسلة على: "عندما بدأ الامبراطور **تايزونغ** حكمه الرائع بالمجد والبصيرة، عاش في ارض **تا قن** رجل ذو فضيلة فريدة يدعى **الوبين**. لقد رأى العلامات السماوية واخذ الكتب المقدسة ووصل الى **شانغان** في سنة ٦٣٥. فارسل الامبراطور وزير الدولة **كاونت فانغ شونلينغ** (Count Fang Xuanling) مع حرس شرف الى الجهة الغربية من المدينة لاستقبال الضيف ومرافقته الى القصر. وامر الامبراطور بترجمة الكتب المقدسة في



معبد تا قين النسطوري المتعدد الانوار، أسس في سنة ٦٥٠ تقريبا، بالقرب من وشونغ Wuchung، في اقليم شانغسي Shaanxi في الصين. وقد دمر الدير زلزال ارضي في النصف الاول من القرن الثامن. وفي ٩٦٣ جرى اعادة بناء المعبد المتعدد الانوار كجزء مما اعتبر ضريحا بوذيا منذ ذلك الوقت فصاعداً. وهو اليوم معبد طاوي لكنه ما زال يسمى دير تا قين.[٤٩] وقد اعيد ترميم المعبد ذو الانوار السبع والبالغ ارتفاعه ٣١ مترا في سنة ٢٠٠٠/٢٠٠١.

المكتبة الامبراطورية وفحصها. فاقر بأن التعليم كان صحيحا وحقيقيا، وسمح بنشره". وفي سنة ٦٣٨ اصدر المرسوم التالي: "ليس **للطاو** اسما خالدا، وليس لـ **واي** (Way) جسدا خالدا. وسوف تكيّف الديانة الملائمة للمناطق، وتنفذ بطريقة بحيث يخلص كل الناس. ان صاحب الفضيلة [الاسقف] **الوبين** من ارض **تا قين** [منطقة شرقي البحر المتوسط]، قد جاء حاملاً كتبه وصوره المقدسة من بعيد ليقدمها الى العاصمة العليا. انها [هذه العقيدة] تعلم حول كل جوانب الحياة، وليس لها كلمات زائدة. انها تساعد كل الكائنات وتشجع الناس. ومن المناسب انها انتشرت عبر الامبراطورية. ولهذا السبب، يجب على السلطات في حي **آي ننغ** (I Ning) من المدينة بناء دير تا قيني فوراً وإجازة واحد وعشرين راهبا فيه. وعندما فقدت فضيلة اجداد [سلالة] **زو** (Zhou)، اختفى الفارس على ظهر [الثور] الازرق الرمادي الى الغرب، وعندما اشرقت حكمة **تانغ** العظيم مرة اخرى، هبّ النسيم المشع الى الشرق". ثم اصدر امراً برسم صورة للامبراطور على سور الدير[٤٧].

وكان الدين الساساني الرسمي – من بين ما سميت بالديانات الفارسية – الزرادشتية والنسطورية والمانوية – هو الاول الذي كان له معبده الخاص به في شانغان، بدأ بسنة ٦٢١ في اكبر الظن، او في سنة ٦٣١ كاقدم تاريخ[٤٨]. ولما لم تكن الزرادشتية ديانة تبشيرية حقا، فان الكهنة الزرادشتيين لشانغان كانوا يخدمون فقط التجار الايرانيين والسوغديين هناك. وفي سنة ٦٣٥ وصل الراهب النسطوري **الوبين**، وهو في اكبر الظن متوحد او اسقف كان يدعى **يابالاها** (Yaballaha) او اوراهم (Abraham)، الى شانغان. فأن قيام الامبراطور تايزونغ بارسال وزير الدولة وحرس الشرف لاستقباله خارج اسوار المدينة، يوحي بأن الوبين اما كان يرافق وفداً ساسانيا، او كما يرى **بول بليوت** (Paul Pelliot)، انه ذاته كان بمثابة سفيراً للملك **يزدجرد** الثالث[٤٩]. وفي الحقيقة يبدو من المستحيل استقبال مجرد مبشر ديانة غير مألوفة من قبل وزير دولة واخذه الى القصر. وهكذا نستطيع ان نفترض بان **الوبين** كان يعمل ايضا باوامر بطريركه، **ايشوعياب** الثاني[٥٠]. وتبين مكانة الوبين الرسمية ايضا، لما امر الامبراطور **تايزونغ** ببناء دير نسطوري في العاصمة ويشرفه بصورته. ويرى **بليوت** بأن الامبراطور كان ينزل عند رغبة الملك يزدجرد الثالث. وفي هذه الحالة يكون ابن يزدجرد، **بيروز** الثاني، الذي كان يعيش في المنفى في الصين، قد سار على نهج ابيه عندما طلب من البلاط بناء دير نسطوري ثان في سنة ٦٧٧.[٥١]

ويجب ان يفهم الذكر المحيّر للراكب **على الثور الازرق الرمادي** في ارتباطه بالصليب الوارد ذكره اعلاه، المنحوت بين الغيوم. لان الراكب ليس إلا **لاو- تزو** (Lau Tzu) المؤسس الروحي للطاوية، الذي دعمه الامبراطور تايزونغ بسلطته. وبحسب ما يذهب اليه التقليد، يقال بان لاو- تزو، بسبب الانهيار المعنوي لسلالة زو الاخيرة (Zhou Dynasty)، (٧٧٠ ق.م-٢٤٩م)، كان غادر المملكة المتوسطة باتجاه الغرب ممتطيا ظهر ثور ازرق. وبفضل تأسيس سلالة تانغ الفاضلة اصبحت حكمة لاو- تزو، بصيغة الديانة النسطورية، تعود الان بمساعدة الروح القدس – النسيم المشع. وليس من قبيل الصدفة هنا ان يتم تشييد دير تا قين في حوالي سنة ٦٥٠ بالقرب من ووشن (Wuchun)، ٧٠ كيلو متراً جنوب غرب

شيانغ، القريبة جداً من **لو غوانتاي** (Lu Guantai) اهم معبد طاوي لذلك الوقت.

ويقال بان لاو- تزو كتب الـ **تاو تي – شيغ** (Tao te-Ching)، الاساس الادبي للطاوية في هذا المعبد، الذي رفع الى منزلة المعبد الامبراطوري للاجداد في سنة ٦٣٠، قبيل نشوته مباشرة.[٥٢]

وقد مرت المسيحية السريانية الشرقية بتحسن سريع في المملكة المتوسطة، مثلما تستطرد المسلة في الرواية: "لقد اتبع الامبراطور العظيم **غاوزونغ** Gaozong [حكم في ٦٤٩-٦٨٣] نهج اجداده باحترام، ومنح عقيدة الحكم زينة اضافية، وامر ببناء دير للدين المشع في كل من الولايات الـ [٣٨٥]. واكرم الوبين ومنحه لقب **استاذ القانون الكبير وحارس الامبراطورية**. وقد انتشر القانون في الولايات العشر، وكانت هناك اديرة في مئة مدينة، صار الناس ذوو ثروة كبيرة"[٥٣]. ان العدد الكبير من الاديرة يجب ان يفهم، لكي يعنى بان غاوزونغ منح الاذن لتشييد الاديرة في كل الولايات، الامر الذي لا يعنى بانها بنيت كلها في الحقيقة. وهناك احد عشر ديرا معروفا، ومن بينها سبع قد تم تحديد مواقعها: ديران في شانغان، دير تاقين قرب وشن، الوحيد المحفوظ في بعض اجزائه، ودير في **لويانغ** (Luoyang)، العاصمة الثانية للامبراطورية، واديرة في **لنغوو** (Lingwu) في غانزو و**جنغدو** (Chengdu) واومي شان (Omei Shan)، وكلاهما في سيشوان (Sichuan).[٥٤] اضافة الى ذلك، كانت هناك مجاميع في **كانتون ودنغهوانغ**، وفي كوجو التي كانت تتمتع باستقلال شبه ذاتي. وقد اصبحت كنيسة المشرق الان تمتد على طول طريق الحرير، من دمشق عبر سلوقيا ــ قطيسفون، ومرو وسمرقند، وتركستان حتى شانغان.

لكنه، كما هو الحال مع الامبراطورية الساسانية، بقيت كنيسة المشرق في الصين معتمدة على النية الحسنة للحكام المطلقين، وتحت رحمة نزواتهم "واثناء فترة حكم **شنغلي** (*Shengli*) [٦٩٨-٦٩٩] استغل البوذيون الموقف ورفعوا اصواتهم في **شاو لويانغ** [*Shou Louyang*] عاصمة الغرب. وعند نهاية فترة شيانتيانغ (Xientiang) [٧١٢] قام بعض الرجال من الكتّاب ببث افتراء ساخر في غرب **هاو** (Hao) [شانغان]. لكن الكاهن الاعلى [الشماس] **لوهان** [ابراهام] وصاحب الفضيلة **جيليا** (Jilieh) [**كابرييل**]، اللذان كانا كلاهما من اصل نبيل، وكرهبان قد زهدا في الدنيا، قدما من الغرب وقاما سوية برفع الحبل الغامض مرة اخرى، و مرة اخرى قاما بزيادة الغرزات المتواصلة. وامر الامبراطور **زوانزونغ** (Xuanzong) [حكم في سنة ٧١٣-٧٥٦] الامراء الخمسة بزيارة البنايات المقدسة [الكنائس والاديرة النسطورية] شخصيا، واعادة تشييد المذابح هناك. وقد تم اصلاح العارضة العليا للقانون، بعد ان كانت منحنية لبعض الوقت، كما تم من جديد بناء حجارة الاساس للعقيدة، التي كانت قد هدمت. وفي بداية سنة **تيان باو**(Tien Pao) [٧٤٢] امر الامبراطور الجنرال **كاو ليكسي** (Kao Lixe) بتعليق صور القديسين الخمسة [الاباطرة الخمسة السابقين] في الدير"[٥٥].

وقد حدثت الاضطهادات الملحوظة على كنيسة المشرق في اواخر القرن السابع في زمن مغتصبة العرش **وو** (Wu)، (حكمت سنة ٦٨٣-٧٠٥). وكانت **وو** واحدة من محظيات والد **غاوزونغ** (Gauzong) وقد تم اخذها من قبل الامبراطور إثر موت ابيه – تحديا للتعاليم الاخلاقية لكل من البوذيين

والكونفوشيسيين. وكانت **وو** مخادعة عديمة الضمير. فقد قامت اولاً بقتل طفلها وطفل الامبراطور، والصقت التهمة بالامبراطورة، حيث استولت على مكانة الامبراطورة، وامرت بقتل منافستها بوحشية. وبموت غاوزونغ في سنة ٦٨٣ قامت باقالة ولديها واستولت على السلطة لنفسها. وكانت بوذية متعصبة قامت بترفيع البوذية الى مستوى دين الدولة في سنة ٦٩١. وقد اعتبرت نفسها بالذات بانها **بوذا مايتريا** (Budha Maitreya)، الموعودة من قبل **بوذا شاكياموني**، لكن ذلك لم يمنعها من اتخاذ راهب بوذي عشيقاً لها. وعندما فشل في مهمة عسكرية امرت بجلده حتى الموت. وقد استغلت اطراف بوذية هذا الموقف المؤاتي لاضعاف خصومهم النساطرة وتدمير دير **لويانغ** (Luoyang). وقبل ان يضع الامبراطور **هوانغزونغ** Xuanzong الاول (حكم سنة ٧١٣-٧٥٦) نهاية لهذه الفوضى، جرى نهب بعض الاديرة وتدميرها[٥٦]. وقد وجد الشق الصيني من كنيسة المشرق نفسه في ازمة واضحة لم تنته إلا بارتقاء هوانغزونغ العرش[٥٧].

وقد كانت ابرشية الصين مدينة للدبلوماسية في نجاتها، حيث وظف الخلفاء العرب الخبرة الصينية للنساطرة وأستغلوا أرسالياتهم كمستشارين ومترجمين. وبعد وصول الوفد العربي الاول الى **شانغان** في سنة ٦٥١، وصل الاسقف **كابريل** الى الصين مع الوفد الثاني في سنة ٧١٣. وبعد فترة زمنية غير معروفة عاد كابرييل ورافق الوفد العربي الثالث في سنة ٧٣٢[٥٨]. وفي سنة ٧٤٤ سافر الفلكي والاسقف **جيهو** (Jihuo) (كيوركيس) عن طريق البحر الى شانغان، حيث اقام، مع سبعة كهنة اخرين، طقس عبادة في القصر الامبراطوري[٥٩]. وقد انتهز الاسقف كيوركيس اللحظة المناسبة وطلب من الامبراطور، الذي كان ودوداً اليه كثيراً، ليس فقط بأن ياذن له بتغيير اسم الاديرة النسطورية من **بوسي سي** (Bosi si)، (دير فارسي) الى **تا قين سي** (دير تا قين) بل ايضاً بان يدون الامبراطور بيده الخط الذي يقابل ذلك[٦٠]. لقد كان السماح باستخدام نقش خطي بيد الامبراطور يمثل شرفاً غير اعتيادي في الصين.

اضافة الى ذلك، فقد كانت إلتفاتة ذكية في تمييز انفسهم عن سلالة الساسانيين الفارسية "الغابرة" وتجنب الخلط مع الديانات الفارسية الاخرى. وفي الوقت الذي بدا فيه بان المستقبل الاسقفي او الابرشية المطرافوليطية مضمونة في الصين مرة اخرى، فان السحب السوداء كانت تتجمع فوق المملكة المتوسطة. وكانت الشرارة التي كادت ان توصل بسلالة **تانغ** الى حافة الهاوية، هي تقدم العرب. فقد قاموا، ابتداء بسنة ٧٤١، الى جانب حلفائهم من التبت، بالتقدم من سوغديا وباكتريا الى داخل شرقي تركستان. وبعد نجاح اولي، تكبد الجيش الصينى هزيمة نكراء في سنة ٧٥١ عند نهر **تالاس** او بالقرب من سمرقند. فاستغل السوغدي المقرب من هوانغزونغ، الجنرال **آن لوشان** (An Lushan)، (+٧٥٧) القيادة الضعيفة للامبراطور العجوز وقام بثورة. فغزا شانغان واجبر الامبراطور على الهرب متنازلاً عن العرش لصالح ابنه **سوزونغ** (Suzong)، (حكم في سنة ٧٥٦-٧٦٢). وبفضل القائد الميداني **ديوك غوزيي** (Duke Guo Ziyi)، (٦٩٧-٧٨١)، الراعي القوي للنساطرة، والجنود الايغوريين، تمكن سوزونغ من قمع الثورة. وعندما استغل التبتيون الفوضى التي تلت موت آن لوشان، وقاموا بانفسهم باحتلال شانغان، فان غو

زيي مرة اخرى هو الذي قام بطردهم من العاصمة.

وقد كان التدخل العسكري للايغوريين بمثابة نقطة تحول للمانوية، حيث اهتدى حاكمهم، **مويو خان** (Muyu Khan)، (حكم في سنة ٧٥٩-٧٧٩/٧٨٠)، في حوالي سنة ٧٦٢. وقبل هذه المرحلة، كانت المانوية، التي كانت قد وصلت الى العاصمة رسمياً في سنة ٦٩٤، في تباين مع المسيحية، ولم يكن مسموح بها الا في جماعات التجار الاجانب. وفي سنة ٧٣١، وبعد تحري قامت به **دائرة الشعائر**، اصدر الامبراطور هوانغزونغ الاول المرسوم التالي: "ان العقيدة المانوية ايمان منحرف من حيث الجوهر. انها تتظاهر باسلوب مخادع بأنها مدرسة للبوذية وترشد الناس هكذا الى الخطأ. وهي تستحق بان تمنع منعاً باتاً. ولكن، ولكونها ديانة البرابرة الغربيين والغرباء الاخرين، فان اتباعها لن يعاقبوا، طالما انهم يمارسونها بين انفسهم". وبعكس المانوية، التي ادينت كونها مضرة من حيث الجوهر، فان المسيحية كانت قد صنفت، قبل ذلك بقرن، كديانة مفيدة في الجوهر وتستحق الدعم[٦١]. ان محاولات المانوية في اكبر الظن لمنافسة البوذية – محاولات بلغت حد الانتحال – كانت شوكة خاصة في خاصرة السلطات. وكون عدم توجيه تهمة كهذه الى المسيحية امر يعود الى استقلاليتها.

ومع ذلك فانه سرعان ما اصبحت المانوية دين الدولة الرسمي للايغوريين، الذين كان الامبراطور الصيني يزداد في اعتماده على مساعدتهم العسكرية. ولم يعد الامبراطور يقف الان في طريق انتشارها في المملكة الوسطى، وسمح ببناء الاديرة والمعابد المانوية. ومع ذلك، فانه يبدو بأن المانوية قد لاقت القليل من الاستحسان من قبل عامة الصينيين، لكون مبادئها الاساسية غريبة جداً. ومثلما قيمها تاريخ صيني: "انه *[الكتاب المقدس المانوي]* يقول بانه ليس خليقاً بالرجال والنساء ان يتزوجوا وبان المرضى لا يجب ان يتلقوا الدواء، وبان على المرء ان يدفن الموتى وهم عراة. وسرعان ما سوف يصاب الناس الجهلاء بالتعاليم المنحرفة لهذه الديانة المحلية. انها تعود الى فئة الطوائف الـ ٩٦ الهرطوقية الغربية"[٦٢].

ونظراً لأن المسيحية كانت تعد هي الاخرى ديانة فارسية، فقد استفادت من الموقف الجيد. اضافة الى ذلك، فان خليفة مويو خان، **الب كوتلوغ** (*Alp Qutlugh*) (حكم في سنة ٧٧٨/٧٨٠-٧٩٠)، سمح للمسيحيين بمزاولة العمل التبشيري في الامبراطورية الايغورية[٦٣]. واخيراً فان المسيحية تمتعت بحظوة لدى الحاكم القوي **غو زي يي** (*Guo Ziyi*) الذي لم يكن نفسه مسيحياً لكن قائده ومساعده **ايسو** (Issu) كان كذلك. وقد كتب في نهاية هذا القسم التاريخي لمسلة **هيان** (*Xian*) التي كرست لهذا القائد ما يلي: "ان المحسن الكبير، نائب قائد اقاليم حدود الشمال، القس ايسو، كريم وسخي، انه يمارس الطريق *[الديانة]* بحماس. وعندما استلم رئيس المجلس الكبير، المبجل غو زي يي والامير **فنيانغ** (*Fenyang*)، قيادة الجيش في اقاليم حدود الشمال، فان الامبراطور **سوزونغ** منحه ايسو ليكون نائباً له. وقد خدم ايسو الامير بكل ما اوتي من قوة، وكان للجيش عيناً واذناً". وقسم ثروته بين المستحقين "وكان في كل سنة يجمع رهبان الاديرة الاربعة *[للعاصمة]*. كان يطعم الجياع ويكسي البردانين ويهتم بالمرضى ويدفن الموتى. انه ذو فضل لا يضاهى بين الرهبان

والمعلمين المنورين ذوي العباءات البيضاء"[٦٤].

وقد قدم القس النسطوري والخوراسقف ايسو من بالخ في شمال افغانستان الحالية، وكان اجداده من الايرانيين، وكان اسمه المقابل هو **يزد بوزيد** (Yazdbozid). ولم يكن من غير المألوف في ذلك الوقت لاعضاء الاكليرس النساطرة والبوذيين اشغال وظيفة سياسية او عسكرية. وكان ايسو متزوجا – وكتب ابنه آدم نصّ النقش – وهكذا فقد كان ينتمي الى الاكليرس الابيض، حيث كان الاكليريس الذي يرتدي السواد، بعكس ذلك، من الرهبان العزاب. وكان ابن ايسو، آدم، الذي كان اسمه بالصينية **كن كن** (Qin Qin)، عالما توحّديا ومترجما غزير الانتاج، نسبت اليه ترجمة ثلاثين نصّاً نسطوريا الى الصينية، وتمت المحافظة على واحد او اثنين منها[٦٥]. وكان كن كن عالماً لغويا موهوبا الى درجة بحيث ان المبشر الهندي البوذي المشهور براجنا (Prajna) طلب منه في سنة ٧٨٦ المساعدة في ترجمة الساتبارامیتا سوترا (Satparamita Sutra) الى الصينية. ولما لم يكن **كن كن** يجيد الصينية، فقد اجريت ترجمة قابلة للترجمة الى الفارسية او الايغورية. ومن الواضح ان النتيجة لم تكن مرضية، لان الامبراطور رفض منح الاذن بطبعها[٦٦]. وقد يثار الشك من ان الترجمة النسطورية غيرت الحكمة البوذية باتجاه المسيحية.

وقد تصادف عصر **كن كن** مع الحماس الاول للكرسي المطرافوليطي النسطوري للصين. وفي الوقت الذي جندت فيه الكنيسة مؤمنيها بين الجماعات المهمة الايرانية والسوغدية والتركية والايغورية، ظل النجاح الحاسم بين السكان الصينيين على نطاق واسع بمثابة مراوغة، لانها كانت بالنسبة للصينيين ديناً غريباً. وبقيت، كما في السابق، معتمدة على حسن نية اولئك الذين كانوا في السلطة وسياستهم الخارجية. وقد تجلى هذا عندما قام القيرغيزيون في سنة ٨٤٠ بطرد الايغوريين – الذين لم يكن من الممكن الاستغناء عنهم كقوة حامية، ولكنهم كانوا مع ذلك مكروهين – من وطنهم في وسط منغوليا. فانتقل الايغوريون الى تركستان الشرقية. وفقدوا تأثيرهم المسيطر في المملكة الوسطى، ليجردوا بذلك المانويين من حاميهم. فاستغل الامبراطور **وزونغ** (Wuzong)، (حكم في سنة ٨٤١-٨٤٦) الفرصة لمنع المانوية في الصين وامر في سنة ٨٤٣ بأنه "سوف تصادر الكتب المانوية وتحرق الصور ويستولى على الممتلكات من قبل القضاة". وهكذا "يجب غلق كل الاديرة المانوية، وتم في العاصمة قتل جميع الراهبات السبعين"[٦٧]. ولكن وزونغ، وهو ذلك الطاوي الملتزم، ولاسباب اقتصادية قام بتوسيع الاضطهاد ليشمل البوذيين الى جانب النسطورية والزرادشتية لانهما كانتا تعدان طوائف هرطوقية لتعاليم بوذا. ولكنه بعد سنتين دفع الثمن من أجل سعيه للحصول على اكسير كيمياوي للخلود، حيث مات موتاً بطيئا عن طريق التسمم. وفيما يتعلق بالمضمون، فأن هذا التخمين كان قابلا للفهم بقدر كون البوذية و "الديانات الفارسية" تقدم منظورا لما بعد الموت، او انها كانت تهتم بنشاط بالحياة ما بعد الموت، بينما لم تكن الطاوية او الكونفوشيوسية تعير ذلك اهتماما الا قليلا. ولعل الملك التيبتي **لانغدارما** (Langdarma) قام ايضاً بتشجيع الامبراطور ووزونغ لاتخاذ تلك الخطوة المتطرفة عندما امر باغلاق جميع الاديرة البوذية في التبت في سنة ٨٤٢/٨٤١، وقام بتأميم ممتلكاتهم واملاكهم[٦٨].

وقد ذهب مرسوم سنة ٨٤٥ الى انه:

"كان العمل البشري يُهدر في بناء الاديرة، وتنهب اموال الناس من اجل زخرفات ذهبية ويلحق الاذى بالعلاقات الزوجية من خلال القيود التقشفية. وفيما يخص عدم إطاعة القوانين الوطنية والحاق الاذى بالناس، ليس هناك اسوأ من البوذية. فان لم يزرع الفلاح حقله مات اخرون جوعا، واذا ما تخلت إمراة عن تربية دود القز تجمد آخرون حتى الموت. هناك اعداد لا تحصى من الرهبان والراهبات في الامبراطرية. وهم معتمدون جميعا على الاخرين في مأكلهم وملبسهم. وبعد تحليل دقيق لامثلة اجدادنا، قررنا وضع حدّ لهذا الشرّ. وقد تم تدمير ٤٦٠٠ دير في كل الامبراطورية، وتم اعادة ٢٦٥٠٠٠ راهبا وراهبة الى حالة عامة الناس وجعلوا خاضعين للضرائب. وتم تدمير اكثر من ٤٠٠٠٠ **صومعة**، وتأميم اعداد لا تحصى من الاراضي الزراعية الخصبة. وقد اعتق ١٥٠٠٠٠ عبداً"[٦٩].

وبعكس النساطرة، الذين، حسب مسلة زيان، لم يكن لهم عبيد، كان لكل دير بوذي ما معدله ٣٠ عبداً. "وبقدر تعلق الامر بديانات **تا قين** [النساطرة] **وموهو** (Muhu)، [الزرادشتية]، طالما ان البوذية قد نبذت مسبقا، فأن هذه الهرطقات لا يجوز ان يسمح لها ان تبقى بوحدها. وينبغي ان يجبر الناس المنتمون إليها بأن يعودوا الى العالم، وينتموا مرة اخرى الى مناطقهم كدافعي ضرائب. اما بالنسبة للغرباء، فليصار الى اعادتهم الى بلادهم. ويجبر الرهبان الـ تا قين [النساطرة]، [الصينيون في اكبر الظن]، والـ موهو [الزرادشتيون] الذي يبلغ عددهم اكثر من ٣٠٠٠ على العودة الى العالم"[٧٠]. وتظهر هذه الارقام أنه كان للبوذية من الرهبان والكهنة والراهبات مائة مرة اكثر من المسيحية والزرادشتية جميعا.

ورغم ان الامبراطور هوانغزونغ الثاني (حكم في ٨٤٧/٨٤٦-٨٥٩) نقض مرسوم سلفه وسمح بقدر معين من إعادة الاعمار، فان البوذية لم تتعافى في الصين الا ببطىء، بينما لم تبق الماوية والنسطورية الا في المحيط الخارجي من الامبراطورية في كوجو. وقد شهد النصف الثاني من القرن التاسع سقوط سلطة الدولة – قام المخصيون في القصر بالاستيلاء على السلطة، واندلعت الثورات في كل بقعة من الامبراطورية. ومما كان مرعبا بشكل خاص هو ثورة هواغ زاو (Huang Zao)، الذي استولى على كانتون المدينة والمرفا في سنة ٨٧٨/٨٧٧ ويزعم بانه قام هناك بذبح ١٢٠٠٠٠ من المسلمين واليهود والنساطرة المسجلين[٧١]. وعندما سقطت سلالة تانغ في سنة ٩٠٧ تدهورت معها التجارة مع الغرب عن طريق البر نتيجة لفقدان الامن الداخلي، كما توقف الاتصال السابق مع البطريرك في بغداد. وعندما ارسل البطريرك ستة رهبان الى الصين في سنة ٩٨٠ تقريبا، كان عليهم ان يكتبوا تقريراً مفاده، "ان المسيحية في الصين قد انقرضت. وهلك المسيحيون من اهل البلاد ودمرت كنائسهم، ولم يبق الا مسيحياً واحداً في البلاد"[٧٢]. وبعد قرن تقريباً عادت حفنة من النساطرة الى المملكة الوسطى، بصفة تجار او موظفين مدنيين من اصل منطقة اواسط آسيا، الذين دخلوا في خدمة سلالات لاو (Lao) في شمال الصين (٩٤٧-١١٢٥) و زين (Zin) (سنة ١١١٥-١٢٣٤). ولا نعلم ما اذا كان هناك أي تواصل بين الجماعات السريانية الشرقية لفترة تانغ وهؤلاء النساطرة.



اعادة ترميم لشعار معبد الحرير
من القرن التاسع من كهف ١٧
في هوانغ بالصين. ويرتدي
الشكل الذكوري اربعة صلبان:
الاول في تاجه المجنح، والثاني
في ياقته الاكليريكية، والثالث على
شكل صليب صدري والرابع في
صولجانه الاحتفالي. ان وضع يده
على مأخوذ من البوذية، هي
فيتاركا موردا (vitarka
mur)، التي ترمز الى تفسير
بدة. ويمثل الشكل التعليمي
ع المسيح او قديس.[٥٠]

حوار الارثوذكسية والحركة التوفيقية مع البوذية والطاوية*

واجهت المسيحية النسطورية في زمن سلالة تانغ مهمة صعبة. وبعكس كنيسة الغرب، التي توسعت عن طريق حلولها محل الديانات الضعيفة لاهوتيا (مثل الديانة اليونانية – الرومانية) عن طريق انتشارها بين الشعوب الجاهلة (كما في جرمانيا والجزر البريطانية). او عن طريق تلقي المساعدة من السلطات المدنية. فان الارساليات النسطورية واجهت ثقافة متطورة جداً، وثلاثة ديانات او وجهات نظر عالمية كانت راسخة بثبات في الدولة وبين الشعوب. في الوقت الذي اتاحت فيه الكونفوشيوسية ايديولوجيا الدولة ودمغت آلية المجتمع، اخترقت الطاوية المفهوم الذاتي للشعوب وتمتعت بدعم اباطرة تانغ الاوائل. وكانت البوذية، بدورها، قد وصلت شانغان نصف الفية قبل ألوبين، وانتشرت بسرعة عبر المملكة الوسطى، متبنية عناصر من الطاوية.

ترى كيف استمرت المسيحية لاهوتيا، وقد نشأت في ظروف ثقافية مختلفة تماما؟ هل نادت برسالتها من دون وساطة او تسوية، هل سعت الى التعبير عن مضمونها الى الجمهور المنشود باللغة التي من شأنهم ان يفهمونها، ام هل قامت، مثل المانوية، بتكييف نفسها لظروفها كالحرباء؟[٧٣] ويمكن البحث عن الاجوبة في الوثائق النسطورية الباقية باللغة الصينية. وهناك، الى جانب أعلان الايمان لمسلة الحجر، ستة رقوق اخرى، اربعة من هذه النصوص جاءت من كهف ١٧ في **دنهوانغ** وقد ختمت في سنة ١٠٣٦، كما هو الحال ايضا مع الاخرتين في اكبر الظن. وثمة نقاش حام حول شظيتين اضافيتين [٧٤]. والنصوص المعترف بها بأنها اصلية هي:

* الطاوية هي ديانة صينية قديمة مبنية على التواضع والتقوى، وهي تعتمد على فلسفة وكتابات لاوزي (Laoze) الذي عاش ٥٠٠ عام قبل الميلاد تقريبا. وتشكل الطاوية الى جانب البوذية والكونفوشيوسية الاديان الصينية الرئيسية الثلاثة. وكان شعار الطاوية وردة اللوتس، لذلك جمع المبشرون النساطرة الى الصين بين هذه الوردة وعلامة الصليب كمحاولة لجذب ابناء هذه الديانة. ويسمى الصليب الذي في اسفله وردة اللوتس بالصليب الصيني لحد الان. (المدقق)

١. كتاب يسوع، المسيح، المكتوب في اكبر الظن من قبل الوبين في سنة ٦٣٥-٦٣٨.
٢. في الاله الواحد، الذي الفه في اكبر الظن الوبين في سنة ٦٤١. ويتألف النص من ثلاثة اجزاء:
   - المثل،
   - في السماء الواحدة،
   - موعظة رب الكون.
٣. نقش شيان (Xian) الحجري، المكتوب من قبل كن كن (Qin Qin) في سنة ٧٨١.
٤. كتاب المديح، المكتوب في اكبر الظن من قبل كن كن في حوالي سنة ٧٨٠-٨٠٠.
٥. كتاب الرجال المبجلين والكتب المقدسة، ٩٠٦-١٠٣٦.
٦. كتاب السلام الغامض والفرح الغامض، قبل سنة ١٠٣٦.
٧. كتاب اصل ديانة تا قين المنورة، قبل سنة ١٠٣٦.

ان الصعوبتين الرئيسيتين اللتان واجههما الوبين ومن خلفوه، كانت تكمن في توضيح كون المخلص يسوع المسيح فريداً، واختيار الجمهور المستهدف، لانه لم يكن من الممكن مخاطبة البوذيين والطاويين والكونفوشيوسيين بنفس المفاهيم. إن فكرة يسوع، كإله متجسد، قدم ذبيحة من اجل خلاص الطبيعة البشرية – الميالة من حيث الجوهر الى الخطيئة بسبب سقوط آدم – من اللعنة الابدية، لم تكن قابلة للفهم في السياق الصيني. وكانت الكونفوشيوسية تؤمن بصلاح الطبيعة البشرية وتركزعلى العيش حياة لائقة هنا والان. كما انطلقت البوذية والطاوية بنفس الطريقة من صورة متفائلة عن الانسان، وكانوا يؤمنون بأن في مقدور الناس جميعا ان يبلغوا الكمال بقوتهم الذاتية او بمقادير متفاوتة من المساعدة من **بوذيساتفاس** (bodhisattvas) او الخالدين. وقد كان العذاب بالنسبة لهم مبنيا على الجهل، الذي كان بالامكان التغلب عليه من حيث المبدأ.

ورغم ان العقيدة السريانية الشرقية، بسبب رفضها للخطيئة الاصلية، يمكن ان تكون مرنة بخصوص هذه المسألة، فان فكرة قيام إله قادر على كل شيء بالتضحية بابنه الحبيب، ظلت امراً مخزيا. علاوة على ذلك فان مبادىء الميلاد من جديد والقدر، في الفكر البوذي والطاوي، كانت تتناقض تلك التي للقيامة سابقا وفعل الايمان. ومن جانبهم استهجن الكونفوشيوسيون قلة احترام يسوع لامه (متى ١٢-٤٧ وما بعده). وكذلك طلبه بترك المرء لابيه وامه واحتقاره لعبادة الاجداد (متى ٨: ٢٢، لوقا ١٤: ٢٦). واخيراً فلابد للدعوة المسيحية، في مناخ تانغ المتسامح، الى طريق واحد للخلاص، ان تكون قد بدتْ مُنفرة.

وكتاب يسوع المسيح هو اقدم وثيقة نسطورية باللغة الصينية. وهو يتضمن ٢٨٠٠ كلمة ولعله قد كتب من قبل إلوبين بعد وصوله الى شانغان للامبراطور او لدائرة الشعائر المشرفة. وتعلن الوثيقة، اولاً، القدرة الكلية لله ودوره كمصدر للحياة كلها، ثم توضح وصايا الله وتستمر الى الانجيل الذي يقوم بصورة مختصرة ولكن كاملة، بسرد حياة يسوع منذ التجسد الى الصلب. لكن مع الاسف ينقطع الكتاب في منتصف النصّ حيث يغيب وصف القيامة. وان المرء ليندهش منذ البداية من النظرة المتفائلة من ان لكل شخص من حيث المبدأ امكانية 'معرفة الرب السماوي [عن طريق] عمل

الخير وعدم اتباع طريق الشرّ الى جهنم"[75].
ويستبق هذا الاعتقاد نظرة يوحنا دالياثا حول الله، للمتصوف الذي عاش بعد ذلك بقرن. ثم يقوم المؤلف بتفسير الخطيئة كنتيجة للسلوك الخاطىء للاجيال السابقة، ويشير الى "جنة الفواكه والحيوانات" ولكن ليس الى آدم وحواء، وهكذا يفسح المجال امام تفسير بوذي، الذي يعزي الشرّ الذي يصيبنا الى قدر الاجيال السابقة[76]. ثم يقوم بعد ذلك بانتقاد العادة الشائعة في زمن تانغ، بدفن اشكال خشبية وطينية لجمال وثيران واحصن الى جانب الموتى.

اما كون الوبين راغباً في نيل الحظوة لدى الامبراطور فواضح من تأكيده على القيم الصينية الكلاسيكية في اكرام الامبراطور والوالدين والاجداد." هذه هي اهم الوصايا الثلاث: اولاً عبادة الاله السماوي، ثانياً، خدمة الامبراطور، ثالثاً، خدمة المرء لوالديه." وتبنت الوصية الرابعة اساس البوذية: "كن رحيماً بكل الكائنات الحية."[77] ثم تلي ذلك الوصايا الموسوية الاخرى. وبعكس الوثائق المتأخرة، لم يتردد الوبين عن وصف الصلب وصفاً فعلياً.

ويمثل نصّ الوبين الاول على الاجمال، محاولة ناجحة للتوفيق بين الرسالة المسيحية والاخلاق الكونفشيوسية والمبادىء البوذية.

وفي مخطوطته الثانية، في الاله الواحد، المتكونة في الاقل من ثلاثة اقسام، يؤكد الوبين على الانجيل والمبادىء الاساسية للعقيدة المسيحية، ويفترض ان تكون هذه النصوص قد ساعدت الجهود الارسالية.

ويوضح المؤلف في القسم الاول، الذي قد حُفظ على شظايا، الموقف التوحيدي للمسيحية[78]. وبعد توضيح العالمين – الحالي والعالم الاتي – يؤكد الوبين بان على الانسان ان يعيش في الفضيلة وعلى نحو جدير بالثناء في هذا العالم الارضي. "ان ما يتطلبه العالم الاتي يجب ان يزرع اولاً في هذا العالم. يجب تحقيق كل الاستحقاقات والفضائل في هذا العالم، وليس في العالم الاتي. يجب القيام بالصدقة والفضائل الاخرى في هذا العالم. إذ حتى ان اراد المرء ان يفعل ذلك في العالم الاخر، فانه لا يمكن القيام بذلك. لا يمكن القضاء على القلب الشرير والافكار الشريرة والرد الشرير والغيرة، إلا في هذا العالم وليس في العالم الاخر"[79]. بهذه المناشدة الملحة اقر الوبين بالوصية البوذية بجمع الاستحقاقات عن طريق عيش الحياة في الفضيلة، لكنه انكر بوضوح امكانية الميلاد المتعدد الذي يتيح فترة مفتوحة النهاية لتكديس الاستحقاق المطلوب. وليس للفرد العديد من الفرص الى ما لا نهاية، وبفضل الميلاد المتكرر، من اجل ان يحسن ذاته، بل فرصة واحدة فقط في حياته. وقد قام **سايكي** باعادة صياغة موقف الوبين كالاتي: "ان العالم هو بوابتنا الوحيدة الى السماء. علينا ان ندخل الجنة ونحن في هذا العالم"[80].

وبخصوص مسألة عدم كمال البشرية، استغل المؤلف الثغرة التي تتيحها العقيدة النسطورية. "ان الانسان جاء اصلاً من الله الصالح. لقد كان للانسان من حيث الاصل غرضاً نبيلاً، ولكن بسبب جهله تعرض للتجربة من الشرير. انه يعرف الخير والشر، لكنه مازال مرتبكاً ويفتقر الى الفهم."[81] ان الانسان حرّ في سماع المعلم الكوني، يسوع، ومعرفة الطريق الصحيح منه من اجل ان يتغلب على جهله. هكذا وضّح الوبين بتعابير مفهومه للبوذيين والطاويين وجهة نظر **ثيودورس المصيصي** الارثوذكسية لكنيسة المشرق، حول نزعة الانسان الى الخطيئة. وانه لمن المدهش مرة

النشيد النسطوري كتاب المديح من سنة ٧٨٠-٨٠٠ تقريبا. والنشيد الذي اكتشف في دنهوانغ من قبل بول بليوت (Paul Pelliot) في سنة ١٩٠٨ وقد كتب على الورق بلغة الكتابة الصينية، "تمجيد للثالوث الاقدس"[51]. ومن الملفت للنظر، انه تم في اوائل التسعينات من الالفية الماضية العثور ايضاً على اربعة صفحات من كتاب المزامير في دنهوانغ، في الكهف B 35[52]. (المكتبة الوطنية الفرنسية، باريس. بليوت Pelliot Ch. 3847, RCA (28578.

اخرى ملاحظة كيف ان المتصوف النسطوري **ربان يوسف**، وبعد اكثر من اربعة قرون بعد الوبين، عبر باسلوب مختلف، عن موقف مماثل في المحتوى: "النفس عقلانية وعاقلة وروحية بالفطرة، مثل مرآة مصقولة وسليمة. وقد تلوثت خارجياً من خلال الخطيئة الاولى، ولكن ليس في طبيعتها. لان الخطيئة [الاصلية] لم تكن من الخطورة ما يمكنها من افساد طبيعة النفس، فلم تحقق الا لطخة خارجية غير جوهرية"[82].

ويختتم المؤلف، في إتساق القسم الثاني من **في السماء الواحدة** بكلمات مهدئة: "ان الله الواحد يريد من جميع الناس من البداية حتى النهاية لان يصبحوا قديسين".[83] وتتفق هذه القناعة تماماً مع عقيدة **المعاودة** للمتصوف النسطوري **اسحق النينوي** – المعاصر لالوبين. "ان الله لم يتخل عن الابليس والخطاة لحظة سقوطهم. ولن يبقى الشياطين شياطيناً ولا الخطاة خطاة. لان الله ينوي ان يقودهم جميعاً لنفس الكمال الذي فيه كل الملائكة القديسين مسبقاً".[84] وتظهر هذه الامثلة واخرى تعقبها بأن موقف المتصوفين الفرديين، الذين وقعوا تحت شكّ الهرطقة، كان مدعوماً ايضاً من قبل المبشرين الرسميين الى الصين. وتمثل هذه النصوص الصينية بدورها امثلة بارزة على تهذيب تمكن من تجنب الحركة التوفيقية.[85]

اما القسم الثالث المسمى **موعظة رب الكون**، فهي نسخة لعظة الجبل قد جرت مراجعتها وتوسيعها (متى ٥-٧) تعقبها آلام يسوع والصلب والقيامة، اضافة الى مجيء الروح القدس في العنصرة. كما نجد ايضاً تلميحاً الى العقيدة النسطورية لطبيعتي يسوع: "لم يكن المسيح إلهاً. هو [الله] اصبح مثل الانسان. هذا هو التكون الذاتي للرب.

لقد مات جسد يسوع. وهذا لا يعني نهاية حياته".[86] ان هذه الكلمات غير الواضحة بعض الشيء كان يقصد بها لأن تعبر عن ان الطبيعة البشرية للمسيح ماتت على الصليب، ولكن ليس الطبيعة الالهية.

ولنقم بتحليل قانون الايمان على مسلة شيان الحجرية من اجل معرفة ما إذا كان الكرسي المطرافوليطي للصين قد قام بتكييف نفسه مع محيطه القوي والى اي مدى. ويبدأ النص بدعوة الروح القدس على شكل ثلاثة في واحد. وهو ينطلق من قصة الخليقة وعمل المسيح الخلاصي، وينتهي بوصف الحياة المسيحية. في بداية الخليقة، "اقام [الله] الصليب من اجل تحديد الجهات الاربع"[87]، التي توضح بان الله قد وضع علامة الصليب منذ بدء الزمان علامة كونية. وهكذا فان الصليب لا يمثل صلب المسيح، الذي ليس مذكوراً في المسلة، ولا الى قيامة المسيح، بل بالاحرى الى قدرة الله الكلية. وثمة ما يماثل هذا الموقف في اعمال يوحنا المنحولة من القرن الرابع، تعرف في الشرق بنسخة سريانية ونسختين عربيتين. "هكذا فأن هذا الصليب جمع بين كل الاشياء في العالم من خلال الكلمة".[88]

ثم يخاطب مؤلف **كن كن** مسألة الخطيئة. ومثل الوبين، فان كن كن لا يعترف بأية خطيئة اصلية، انه يؤكد على الصلاح الجوهري لطبيعة البشر، لكنه يجعلها اقرب الى الفكرة البوذية الطاوية في غياب الرغبة من حيث الاساس. " لقد منح [الله] للانسان الاول انسجاماً تاماً مع نفسه. لقد تركت الطبيعة [طبيعة الانسان] في حالتها الاصلية ولم تتبختر [بالغرور]، ولم يكن قلبه النقي يعرف اية رغبات". وقد وجد الطاويون في هذه الكلمات قناعتهم الخاصة بهم، والتي لم يكن الانسان الاول بموجبها يعرف اية رغبات، وعاش في انسجام تام مع طاو. "واستغل الشيطان فنونه في الخداع، وقام بتزيين الطبيعة النقية بزخارف". وبقدر تمثيل هذه الزخارف لنتاج الخداع الشيطاني، فلابد لها ان تكون الرغبات الغائبة سابقاً. وهكذا يفسر كن كن الخطيئة كخطأ فيما يتعلق بجوهر الوجود، اولوية مزيفة ووهم. بهذه الطريقة يتفق مع البوذيين الذين يستنتجون السمة المراوغة لحياتنا من ثنائية اساسية، من جهلنا.

وتعالج هذه الافكار عن كتب الطاوية والبوذية [89] وهي لا ريب مدهشة لاتباع الكنيسة اللاتينية، ولكن هل هي هرطوقية في سياق كنيسة المشرق؟ كلا، اننا لا نرى ذلك صحيحاً اذا ما كان لنا ان نستشير المتصوفين النساطرة. لقد وصف يوحنا دالياثا الحالة الكاملة للطبيعة البشرية دونما لبس بانها غياب الشهوات البشرية. "اتريد لمتعة المسيح ان تبقى ملتهبة في قلبك؟ إذن ابتعد عن رغبات الدنيا. وسوف يدخل المسيح في نفسك، ويعيش هناك ان انت قمت اولاً بتفريغها من كل ما هو دنيوي"[90]. كذلك وصف الربان يوسف الخطيئة بأنها فقدان النقاء الروحي، وجهل "يلوث المرايا النقية للنفس."[91] ان التحرر من الخطيئة بالنسبة ليوحنا دالياثا، من الناحية المنطقية، والمفهوم على شكل عودة تدريجية الى الحالة الاصلية، يتألف من سلسلة من الالتماعات الروحية على شكل تبصرات مفاهيمية - اي، التغلب على الجهل.[92]

واخيراً هناك اسم **جنغ جياو** (jing giao)، الدين المنوّر، الذي تصف المسيحية نفسها به على المسلة. وفق تقليد التصوف السرياني الشرقي للضياء، يقوم يوحنا دالياثا بتطويره مرة اخرى باوضح ما يمكن.[93] ونرى بأن العديد من تأويلات مبشرين

ولاهوتيين نشطوا في الصين تظهر عند النظرة الاولى توفيقية، لكننا نجد انماطاً مشابهة لهذا الفكر بين المتصوفين النساطرة في بلاد ما بين النهرين.

وهذا وصف للمسيح وفق افضل تقليد نسطوري: "ثم ظهر على الارض على هيئة انسان الشخص الواحد من الثلاثة في واحد، المسيح الجليل المشع، مخفياً بريقه الحقيقي". لقد خدم الجسد البشري للمسيح طبيعته الالهية مثل صدفة – صيغة أقر بها ابو الكنيسة ثيودورس المصيصي ايضاً. بيد ان النص امتنع عن ذكر الصلب وفسر القيامة بالتغلب العام على الموت. ان المسيح "اكمل الناموس [الموسوي] القديم، الذي تم تأسيسه من اجل تنظيم الاسر والدول، واعلن عقيدة الروح القدس الجديدة التي لا يمكن وصفها من الثلاثة في واحد، من اجل ان يقود [الشعوب] الى طريق الفضيلة في الحياة في ايمان حقيقي. وقد وضع قوانين المراحل الثمانية [ثمان فئات من التطويبات من عظة الجبل؟]، وازال شوائب [طبيعة البشر] واعاد لها ثانية نقاءها المقدس. لقد فتح ابواب الفضائل الثلاثة الثابتة [الايمان والرجاء والرحمة]، فتح الطريق الى الحياة وتغلب على الموت. وترك وراءه (٢٧) كتاباً مقدساً،[٩٤] وضّح فيها **الاصلاح الكبير** من اجل ان يفتح الباب المغلق [الموصد حتى الان] الى الروحانية".[٩٥] ويظهر المسيح هنا كمعلم روحي يبين للناس الطريق لايجاد الحالة الاصلية لطبيعتهم التي اقيمت ثانية من قبله، وليعيشوا حياة روحية. وفيما يتعلق بالكتاب المقدس، فان العهد القديم كان قد نظم العلاقات المحلية والمجتمعاتية عن طريق الشريعة، بينما يأتي العهد الجديد ليكون بمثابة توجهات للكمال الاخلاقي والروحانية الشخصية.

وتحتل إستعادة النقاء الاصلي لطبيعة الانسان مركز النشيد القصير، كتاب المديح (The Book of Praise)، الذي يمكن ان يكون قد جاء من ريشة الطائر **كن كن**. وفي لغة الشعر الصيني، يمدح النشيد الاقانيم الثلاثة للثالوث، ويقول عن المسيح: "الذي يحمل الخطايا المتراكمة لكل المخلوقات بحيث يتم انقاذ طبيعتنا الحقيقية، والكف عن افساد السلام".[٩٦] أن القناعة من ان المسيح أعاد للطبيعة البشرية حالتها الاصلية النقية لم تتح جسراً الى الطاوية والبوذية فحسب، بل تسري كفكرة مهيمنة متكررة عبر اللاهوت السرياني الشرقي وتبلغ ذروتها في التصوف النسطوري للقرنين الثامن والعاشر. فقد وصف يوحنا دالياثا على سبيل المثال، تجربة الله بعودة الانسان الى صلاحه الاصلي.[٩٧] كما شبه الربان يوسف امكانية الروحانية الحقيقية، التي فتحت ثانية بواسطة المسيح، بالنقاء التام لمرآة النفس[٩٨]. وهكذا يتجلى بان اللاهوتيين النسطوريين الرئيسيين للصين، الوبين وكن كن، على اساس تفسيريهما للبشرى السارة، لم يكونا قادرين فقط على البدء بحوار مع الطاوية والبوذية بل استبقيا ازدهار التصوف النسطوري لبلاد ما بين النهرين. ان كون كن كن قد حذف فكرة الصلب امر مفهوم ضمن السياق النسطوري حيث جعل، من الممكن الوصول الى صورة المسيح للجمهور الصيني المقصود.

ان الوثيقتين الاصليتين الاخيرتين[٩٩]، كتاب السلام الغامض، والفرح الغامض والشظية القصيرة من كتاب اصل ديانة تا قين المنوّرة، يبثان روحاً مختلفة عن تلك التي مرت مناقشتها سابقاً. وثمة محاولة في الوثيقة الاولى المكتوبة على ورق الجوت، لجعل الاخلاق البوذية والطاوية تتلائم مع

الافكار والوصايا المسيحية. والصيغة مأخوذة من الحوارات على شكل سؤال وجواب بين **بوذا شاكياموني** التاريخي وتلميذه المفضل **اناندا** (Ananda)، وهنا يوجه يسوع تعليمات الى سمعان بطرس. وتقدم هذه الوثيقة في الحقيقة نقيض النصوص الاربعة الارثوذكسية لـ الووبين وكن كن: فتلك تقدم المضمون المسيحي باللغة الطاوية/البوذية، بينما يقدم هذا النص المحتوى الطاوي/البوذي ضمن إطار مسيحي.

ويجيب يسوع في الحوار على سؤال بطرس حول طريق الخلاص. الخطوة الاولى نحو السلام والفرح، هي: نبذ الشهوات والعمل. وهذه الوصية تماثل المبدأ الصيني لـ **وو واي** (wu wei)، اللاعمل من اجل عدم اعاقة قانون طاو. وهي تلعب دوراً كبيراً في كل من الطاوية وبوذية جان (زن)،(Chaan (zen)). وبعد ان ينتهي المؤلف من ادراج قائمة امثلة ملموسة لعدم العمل يقيم ضرورتها على اساس تجنب الـ كارما (karma) العائلية الفاسدة – فكرة بوذية مرة اخرى. ويوضح يسوع كارما ايجابية: "تستطيع انت [شمعون] ان تسألني عن الطريق الى النجاح [الخلاص] لان اباءكم واقرباءكم من الاجيال السابقة قد فعلوا الكثير من الاشياء الجيدة التي قد نقلت اليكم"[١٠٠].

وعلى العكس من ذلك، فأن الرغبات الفاسدة تعيق النمو الروحي للرجل المريض، بيد ان عدم العمل لا يثير اي كارما رديئة، ويؤدي الى السلام الداخلي والهدوء النفسي. والخطوات التي تؤدي الى اللاعمل هي الوصايا العشر، التي تهدف الى تبديد تعلقنا بذواتنا، واسرنا وسلعنا المادية، والتي تماثل، بنفس الطريقة، الفكر البوذي. وفي الختام يعلم يسوع الطرق الاربعة في النجاح، والتي تماثل وو واي. وهي اللارغبة واللاعمل واللافضيلة (غياب الكبرياء) واللاحكم[١٠١]. ان كلاً من هدف السلام الداخلي والطرق التي تؤدي اليه، تقف اقرب من حيث الجوهر الى الطاوية/البوذية، منه الى المسيحية. فالله لم يعد إله الكتاب المقدس الشخصي الحيوي، بل بالاحرى، يماثل طاو غير الشخصي والعابر. ويظهر يسوع كتجسيد لبوذا او لاو-تزو (Lao-tzu).

ومن الناحية الرمزية، تمثل الحياة المعاشة في استقامة العبور من ضفة نهر وجودنا البشري الزائل، الى الضفة المقابلة للثبات والخلود. ويتصرف بوذا في البوذية مثل ربان السفينة، مثلما يفعل المسيح في المسيحية. ولا تظهر الافكار المسيحية البحتة، الا عندما يتكلم يسوع عن نفسه: "انا في كل السماء وكل الارض. ولا يهم ان كان النوع ذاته ام انواعاً مختلفة، ما هو قابل للمعرفة ام الجهل، فانا احمي وادعم كل الصالحين [بني البشر] واطلق [اخلص] كل الذين يستحقون العقاب."[١٠٢] وفي الوقت الذي يمثل فيه دور يسوع فيما يخص اولئك الناس الذين قد كدسوا الكثير من الاستحقاق، ويعرفون الطريق الى الخلاص. دور بوذستافا المساعد او الخالد الطاوي، فأن الجاهل ذو الـ كارما السيئة بحاجة الى قوته الخلاصية – اي، النعمة الالهية. ان المدى الذي يكون عنده هذا النص ممثلاً لتطورات الزمن يبقى سؤالاً مفتوحاً.

وهنا يبرز سؤالاً عما اذا كانت النسطورية قد أثرت في بيئتها في ذلك الوقت. وفيما يتعلق بالكونفوشيوسية، التي كانت المسيحية بالنسبة لها غريبة تماماً، فان مثل ذلك لم يحصل ابداً.



[illegible] الطبق الفضي المطلي [illegible] على [illegible] بلنيو Verkhne- [illegible] الذي يصور الملك داود [illegible] (الطبق [illegible])، والمصنوع وفق [illegible] على طول نهر اوب (River Ob) في غرب سيبيريا. وقد احتفظ [illegible] شاماني (shamanistic)، (نمط [illegible] والمعتقدات المتنوعة لبعض [illegible] الشفاء عن طريق [illegible] باستخدام قوى صوفية للسفر الى [illegible] التواصل مع الارواح من اجل [illegible] العوامل المادية والروحية [illegible] السكان المحليون يكرمونه [illegible] كانوا يقدمون لها قرباناً [illegible] والطبق الذي يبلغ [illegible] ٢٣،٦ سم، يكاد يمثل صحناً، تم اكتشافه [illegible] ١٩٠٩ في منطقة بيرم (Perm). وقد [illegible] من نفس القالب، وكما هو [illegible] الذي يصور الملك داود، فانه [illegible] بوجود اصل له في وادي [illegible] (Talas) في شمال غرب قيرغستان، [illegible] يعود الى القرن التاسع او [illegible] عشرة فرسان [illegible] على الطبق [illegible] وهم يحيطون بقلعتين، تقوم [illegible] بالسلاح، ونظراً لان الطبق لا [illegible] الاخرى، فان تفسيرات الصورة تبقى [illegible] الفرسان. وتصور احدى النسخ [illegible] كوشنغارا [illegible] (Kushingara). وفي هذه القصة، وبعد موت بوذا شاكياموني – الذي تم تحنيط جسده، مع [illegible] التي تحتوي على رفاته (رماد) [illegible] على الاسطبة (برج بوذي على شكل [illegible] [المترجم]) في مدينة كوشنغارا – [illegible] من الامراء الجيران بحصتهم من [illegible] (الرفات)، وهكذا ضربوا الحصار على [illegible] واحتلوها. اما التفسير الثاني المعقول [illegible] على ان المشهد يمثل حصار اريحا [illegible] الملك يشوع، وفي الاعلى الى اليمن [illegible] العسكري يشوع، ويده ممتدة، [illegible] الشمس والقمر الذي يظهر فوق القلعة [illegible] القلعة السفلى تقف الجارية [illegible] (Rahab) التي اخفت رسل يشوع، [illegible] القلعة العليا تابوت العهد وهو محمولاً في [illegible] والكهنة السبع يقومون بالنفخ في قرون [illegible] السبعة التي ستهدم الاسوار في اليوم السابع. (متحف معهد الاثار والاثنوغرافيا [illegible] الاكاديمية روسيا للعلوم في سيبيريا، نوفوسيبرسك.) ٥٣

ومع ذلك، وبقدر تعلق الامر بالطاوية والبوذية، هناك القليل من التشابه الذي لا يكاد ان يكون له تأثير ما. فالطاوية، على سبيل المثال، في فترة تانغ كانت مألوفة مع نوع من الثالوث الإلهي للطهارات الثلاث (Three Purities). وكانت تتألف من **الجدير الالهي الاول** (First Heavenly Worthy)، المسمى ايضاً **الاب الصالح** (Good Father)، **والرب الاسمى طاو والرب الاسمى لاو ولاو – تزو**. ويعدّ **لاو–تزو** في هذا السياق هو طاو المتجسد، الذي اتخذ جسداً بسبب عطفه على البشرية المتعذبة، من اجل مساعدتها. وقد تطورت هذه الفكرة التي يمكن ايجادها قبل سنة ٦٣٥، ليس من المسيحية بل من بوذية **ماهايانا** (Mahayana Budhism). ويمكن ملاحظة نفس الشيء عن التقليد الطاوي المسمى **بنجي جنغ** (benji jing) والذي جرى بموجبه تجسيد المبجل السماوي الاول كترويضي طاوي، وبسبب رأفته بالبشرية تحمل الاف العذابات والموت في **اليمبوس** (Limbo). وقد وجد هذا النص ايضاً قبل سنة ٦٣٥. وكانت قصص **جاكاتا** (Jakata) التي تروي عن الحيوات السابقة لبوذا ساكياموني هي نموذجاً له. ويبدو بأن تأثير المسيحية على الطاوية مستثنى.[١٠٣] اما بالنسبة للبوذية، فهناك القليل من التشابهات بينها وبين العقيدة المسيحية حول الخلاص، وتلك التي لمدرسة الارض الطاهرة (Pure Land) البوذية، التي تضع الايمان برحمة أميتابها (Amitabha) في مركز عقيدتها. وعلى اية حال، فان التأثير المسيحي، غير محتمل، طالما ان اول دير في تلك المدرسة، التي نشأت في الهند، تم تأسيسه في الصين في سنة ٤٠٢.[١٠٤] وقد كانت المسيحية في اكبر الظن اضعف من ان تترك اية بصمات على الديانات الكبيرة للصين.

واخيراً، يبقى السؤال: لماذا اختفت الديانة المنورة في الصين؟ هناك الكثير من الاجوبة، التي يعتمد الواحد منها على الاخر. ويبرز عامل واحد في اعتماد الكرسي المطرافوليطي الصيني على حظوة الحكام، مثلما كان الامر فيما بعد مع البوذية في الهند بخصوص أديرتهم الخاصة. وكانت الجماعة النسطورية قليلة العدد وتتألف في جزء لا يستهان به من التجار غير الصينيين. إضافة الى ذلك، فان المسيحية لم تثبت إلا لدى الجماهير الصينية في مراكز ريفية مختارة، وهكذا بقيت معرضة للقمع والذبح المنظم. علاوة على ذلك، وحتى القرن التاسع لم تكن المسيحية تعد ديانة مستقلة بل طائفة بوذية. ان العزل الجغرافي لمسيحيي الصين عن مركز بلاد ما بين النهرين لعب بالتأكيد دوراً ايضاً.

والى جانب هذه الاسباب الخارجية، كانت هناك ايضاً عوامل داخلية. لقد واجهت المسيحية في الصين ثلاث وجهات نظر

عالمية عالية التطور، والتي كانت افكارها قد ترسخت عميقا في النفس الصينية. وقد كشفت فروقات جوهرية بين التوحيدية المسيحية والمنظور الشامل للبوذية او الطاوية. وتتميز المسيحية بالإيمان المزدوج بإله صالح مطلق، والشر الذي ينبغي التغلب عليه. والصلاح محصور في الصراع مع الشر، وسوف ينتصر عند نهاية الزمن. ومع الرؤيا (جليّان) (apocalypse)، يتوقف الزمن، وسيرسل البشر الى الابد أما الى الجنة او الجحيم.

بيد ان الافكار المتعلقة بالتمييز المغالى فيه بين الخير والشر والزمن الخطي المطلق، امور غريبة على العقل الاسيوي الشرقي. وليس مصطلحا "الخير" و "الشر" في نظرتهما القدسية الى العالم مطلقين بل نسبيين. ان الديانة الطاوية الشعبية تقر بعدد لا يحصى من الالوهيات التي تحسن او تسيء الى البشر، لكنها ليست من حيث الجوهر صالحة او شريرة. فهي صالحة إن اطاع الناس الوصايا والشعائر، وشريرة ان هم اهملوها، وفي هذه الحالة يتم ارضاء الالوهيات الغاضبة عن طريق كفارة طقسية. ان الالوهيات الاسيوية الشرقية تشكل حقا حاجزاً امام السلوك البشري. وليست البوذية والكونفوشيوسية قوانين بل اخلاق. وفي الفهم الدوراني الاسيوي الشرقي للزمن، يتحول الخير الى الشر وبالعكس، وهو مسيطر عليه باستخدام استعارة لـ نيتشه، "العودة الابدية لنفس الشيء". وهكذا لا مجال في اطر تفكيرية كهذه، لافكار مثل الخطيئة ضد الله، والخلاص، والله الأوحد والرؤيا.

٩ — الفترة المغولية

الشامانية والتوفيقية الدينية بين الشعوب التركية ـ المغولية

ألتقت كنيسة المشرق بالشعوب التركية - المغولية في وقت مبكر تماماً[1]. وكان اللقاء الاول عند نهاية القرن الخامس مع **الهون البيض**، ثم بعد اقل من قرن بعد ذلك مع الاتراك الغربيين، ثم تلى ذلك المزيد من اعتناق القبائل التركية للمسيحية في سنة ٦٤٤ و ٧٨١ حيث تبنت اقلية صغيرة من الايغوريين المسيحية السريانية الشرقية[2]. وفي سنة ١٠٠٧ حقق المبشرون السريان الشرقيون تحولاً مفاجئاً بتنصر خان **الكيراتيين** (Keraits) وشعبه. وحسب ما يذهب اليه المؤرخان **ماري ابن سليمان وابن العبري**، فإن خان الكيراتيين، الذي كانت بلاده تمتد من مركز منغوليا الحالية حتى جنوب صحراء **غوبي** (Gobi Desert)، ضل سبيله بينما كان يصيد في عاصفة ثلجية، وهام على وجهه مرتبكا. ثم ظهر له القديس **سركيس** في رؤيا ووعده بانقاذه إن هو اعتمد. فأستشار الخان الذي أنقذ مما كان فيه، التجار النساطرة المقيمين في معسكره، حول ذلك وطلب من مطرافوليط مرو، **عبديشوع**، لكي يعتمد. فأرسل عبديشوع كاهناً وشماسا، قاما حالا بتعميد الخان و 200,000 من الكيراتيين، كما قاما بتكييف نظم الصوم المغولي، وسمحا للخان ليبارك حليب الفرَس بالصليب الذي على المذبح وليشرب منه جميع الحاضرين. بهذه الطريقة اظهرت كنيسة المشرق مرونتها في مسائل الليترجية وقبولها بالتفاعل الثقافي[3]. والامير الذي عمل ككاهن، كان فيما بعد واحداً من نماذج شخصية **برستر جون** (Prestor John) الاسطورية.

وكانت الشعوب التركية - المغولية في ذلك الوقت تعبد السماء، او اله السماء المسمى **تنغري** (Tengri)، (ولهذا تسمى ديانتهم ايضاً التنغرية) إضافة الى العديد من الظواهر الطبيعية، مثل الجبال والجهات الاربع. وكان **الشامان** – ويسمون قام (qam) بين الشعوب التركية — بمثابة الوسيط بين بني البشر والارواح، تشخيصات الظواهر الطبيعية. ورغم ان التنغرية كانت تتضمن ايضاً افكاراً حول ما بعد الموت والعالم الآتي، حيث كان من شأن الشامان ان يقودوا الأرواح اليه، فإن اعمال الشامان كانت تركز على التأثير في الارواح الخيّرة والشريرة في مواكبة الحياة اليومية[4]. وهكذا فإن الشامانية التنغرية لم تعتبر الديانات الاخرى التي كانت موجهة نحو العالم الاخر توجها قويا، منافسة لها بالضرورة، طالما انها كانت تتجنب المطالب الدينية المطلقة. وكان التسامح الديني معلناً بشكل واضح في لائحة القوانين لسنة ١٢٠٦ **لجنكيز خان**: "ستحترم كل الديانات، ولن يفضل احدها على الاخر"[5]. وبنفس الروحية عبر الخان الكبير **مونغكي** (Mongki)، (حكم في ١٢٥١-١٢٥٩) عن وجهة نظره للفرنسسكاني **وليم الروبروكي** (Fraciscan William of Rubruk)، (١٢١٥- ١٢٩٥

تميمة من النحاس بقياس 5x5 سم كان يرتديها مغوليو اتغوت النساطرة من الاردوس بمنغوليا الداخلية. والتميمة نموذج طبق الاصل للتوفيقية الدينية للقرنين الثالث عشر والرابع عشر، كونها تجمع بين رموز ديانتين، الصليب المسيحي، والصليب البوذي المعقوف.

تقريباً) في عشية احد العنصرة سنة ١٢٥٤: "نحن المغول نؤمن بأن هناك فقط إله واحد [إله السماء تنغري]، الذي نحيا ونموت فيه، واليه نوجه كل قلوبنا. ولكن، مثلما اعطى الله اليد عدة اصابع، كذلك منح البشر عدة طرق لتحقيق القداسة"[٦]. وكانت دعوة مونغكي مبنية ايضاً على حقيقة، ان الادعاء بالمطلق غريب بالنسبة الى ديانة شعبية مرتبطة بشعب معين في وقت تكون فيه اساساً للديانات العالمية.

لكن التسامح الديني للتنغرية المنغولية إنتهى عند الحد الذي ادى عنده الادعاء بكون الديانات التوحيدية المطلقة تؤدي الى الاستخفاف بالديانات الاخرى. وحدث ذلك اولاً قبل بدء الجدال الديني الكبير الذي حدث في سنة ١٢٥٤ في حضرته بين الشامانيين البوذيين، والمسلمين، والنساطرة، والروبروك، بقيام الخان الكبير مونغكي باعلان الحكم التالي: "انه [مونغكي] يأمر بانه لا يجرؤ احد تحت طائلة عقوبة الموت، باستخدام كلمات تبعث على الشجار او جارحة ضد الطرف الاخر"[٧]. ثانياً، ان الروح المتسامحة للشامانية ترفض الاتهامات من ان ايمانها بالارواح تطيُّر يستحق التوبيخ. وهكذا، وعلى المدى البعيد، اصبحت البونية، التي كان شكلها الشعبي يظهر جوانب من الشرك بالله ولم تكن لها مشكلة في تبني آلهات اجنبية ضمن آلهتها، اقرب الى المغول البدو مما فعلته الديانات التوحيدية مثل المسيحية والاسلام بادعائهما بالمطلق.

ومن جهة اخرى، خضعت العديد من الشعوب التركية المستقرة عبر الزمن للادعاءات المطلقة لتعاليم محمد التي انتشرت بمساعدة السيف، وأجبرت على الدخول في الاسلام. ان الافتقار اليوم الى



الادلة العمرانية ضمن المنطقة الجغرافية للشعوب التركية – المغولية يُفسر بحقيقة انه كان للبدو كنائس من خيم متنقلة، بينما جرى تدمير كنائس المسيحيين المستقرين على يد الحكام المسلمين المتعاقبين.

وبسبب تسامح الشعوب التركية – المغولية ومرونة الارساليات التبشيرية النسطورية، كان بأمكان هذه الشعوب قبول المسيحية دون التخلي عن عاداتهم. ان الاعتقاد المغولي القديم باله السماء تنغري الكلي القدرة مهد الطريق للفكرة التوحيدية في الايمان باله واحد. ومن الناحية الاخرى تحولت الرموز المسيحية الى تمائم حامية كان يرتديها غير المسيحيين ايضاً. وخير امثلة على ذلك هو ما يسمى بـ **صلبان أوردس** (Ordos Crosses) التي عثر عليها في منطقة مغوليي اونغوت (Ongut Mongols) في الاقليمين الصينيين ننغشيا (Ningxia) ومنغوليا الداخلية. وحوالي ثلثي هذه التمائم المعدنية الصغيرة على شكل صليب، لكن غيرها إما مزخرفة برموز اخرى مثل الصلبان المعقوفة، او انها تمثل نقوشا هندسية وطيوراً[٨].



قافلة جمال في صحراء خونغورين إلس (Khongorin Els) جنوب غربي منغوليا. وكانت هذه الصحراء تشكل الحدود الجنوبية للقيراطيين الذين كانت غالبيتهم نسطورية.

وفي مسألة التوفيقية المسيحية – المغولية، برز السؤال حول عدد الحلول الوسط التي كان بالامكان منحها دون خيانة او في الاقل اضعاف جوهر الروح المسيحية بشكل خطير. وبينما كان الاعتقاد بفعالية التمائم غير مؤذي نسبياً ومنتشراً حتى ضمن الممارسات المسيحية، فإن مادة طقوس الدفن المسرفة كانت مثيرة للنزاع. وكان سينودس سنة ٦٧٦ للبطريرك كيوركيس (شغل الكرسي في سنة ٦٦١-٦٨٠) قد ادان مسبقاً اضافة طقوس الدفن الوثنية الى المآتم المسيحية. "ان الموتى المسيحيين سيدفنون وفق الطريقة المسيحية وليس الوثنية. لان لف الموتى في ثياب ممتازة ومسرفة ما هي الا عادة وثنية"[٩]. ومع ذلك فقد لاحظ روبروك (Rubruk) بين المغول عادات في الدفن لم تعد تتفق مع المسيحية. "في حالة المتوفي حديثاً، وجدتهم وقد علقوا حول القبر بين اعمدة طويلة ١٦ قطعة من جلد الفرس، اربعة منها نحو كل اتجاه من الاتجاهات الاربع. كما قاموا ايضا بتوفير حليب الفرس للشرب واللحم للأكل، كما اعلنوا بان المتوفى كان قد عُمِّد"[١٠]. ورغم استعانة كنيسة المشرق بالمواطنين للقيام بوظائف القسان والشمامسة، وقدوم أساقفة متقفين من بين النهرين او ايران، فإن المسافات الشاسعة كانت تعيق الحفاظ على الشعائر الارثونكسية. ولما كان الاسقف يقوم بزيارة القبائل الرحل مرة فقط كل بضعة سنوات او مرة كل عقد من الزمن، فإنه ليس من

المدهش ان يكون بعض المسيحيين الترك-
المغوليين ميالين عن كثب اكثر الى عاداتهم
القديمة، وكانت العقائد المسيحية قد تحولت
الى مفهوم غامض عن الحياة ما بعد الموت.

الاتراك النساطرة والشعوب المنغولية

القيراطيون
بقي القيراطيين، وهم شعب محارب،
اعتنق المسيحية في بداية القرن الحادي
عشر، وصار تحت قيادة **طغرل خان**
(Toghril Khan)، (حكم في ١١٧٥ -
١٢٠٣/١٢٠٤ تقريبا) في اواخر القرن
الثاني عشر، من اقوى الشعوب المنغولية،
نساطرة في الاقل بين طبقة النبلاء.
وقد تبنى القليل من الحكام الذين كانوا
يلقبون انفسهم **غور خان** (Gur Khan) "الخان
العالمي" اسماء مسيحية. وهكذا فإن جد
طغرل خال كان يسمى **مارغوس** – اي
مرقس. وفي ذلك الوقت كان مارغوس يقاتل
شعب التتار وامبراطورية **ين** (Jin)،
(١١١٥-١٢٣٤) الشمالية، وهو شعب ذو
نسب منشوري، من اجل السيطرة على
منغوليا الشرقية. ووقع مارغوس بيد التتار
الذين قاموا بتسليمه الى امبراطور ين. فسخر
الامبراطور من الملك المسيحي بطريقة
قاسية جدا، حيث امر بأن يُسمّر بمسامير
طويلة على حمار خشبي – اشارة ساخرة
الى احد السعانين[١١]. ثم انتقم حفيد مارغوس
المدعو طغرل فيما بعد لجده، عندما قام مع
وصيّه وحليفه **جنكيز خان** (الذي كان والده
قد سُمّم ايضا على يد التتار في سنة
١١٧٦)، بتدمير التتار في ثلاث معارك بين
سنة ١١٩٦ و ١٢٠٢. وقد ذبح النبلاء
وبيعت عامة الناس عبيداً[١٢]. وكان ابن الخان
مارغوس، والد طغرل، يحمل ايضا اسما

مسيحيا، كيرياكس (+١١٧٥ تقريبا)
قرياقوس بالمغولية[١٣]. وعندما توفي
قرياقوس، ثار طغرل ضد عمه، وقتل كل
اخوته، وبفضل قرابة الدم بينه وبين
جيسوجي (Jesugei)، تمكن والد جنكيز خان
من تنصيب نفسه حاكما على القيراطيين.
وليس معروفاً على نحو واسع، بان فاتح
الدنيا في الاخر جنكيز خان (حوالي ١١٦٧-
١٢٢٧)، الذي كان اسمه الشخصي **تيموجين**
(Temujin) كان ولوقت طويل تابعا لـ غور
خان طغرل النسطوري[١٤]. وبعد ان قام التتار
بتسميم والد تيموجين، وبعد ان هُجر مع امه
من قبل اتباعه، وضع نفسه تحت حماية
حليف والده السابق طغرل خان. وكان مخيم
الامير في ذلك الوقت يقع في جنوب شرق
العاصمة الحالية **اولان باتور** (Ulan Bator)
حيث كان الكهنة النساطرة، وهم يرتدون
ملابس رائعة، يتلون القداس في معبد من
خيمة. وفي مناسبات خاصة، كانوا يباركون
الغور خان، ويعطرونه بالبخور في معبده.
وقام طغرل بتجديد ميثاق المساعدة المشتركة
مع تيموجين، التي كان قد عقدها مع والده،
ووعده بمساعدته في استعادة مركزه كشيخ
لقبيلته. وبفضل مساعدة طغرل العسكرية،
انتصر تيموجين، حيث اعلنته بعض القبائل
بعد ذلك، في سنة ١١٨٩ او ١٢٠١/١٢٠٣
"جنكيز خان" التي تعني "حاكم المحيط"[١٥].
وعندما قام شعب **نايمان** (Naiman)،
وكان نسطوريا ايضا، ويعيش الى الغرب من
القيراطيين، بطرد طغرل خان في سنة
١١٩٨. اظهر جنكيزخان امتنانه، وقام بغزو
النايمانيين وساعد طغرل في سنة ١١٩٩ في
استعادة العرش. فاصبح طغرل خان الان،
مرة اخرى اقوى امير مغولي وبامكانه ان
يأمل، وبمساعدة جنكيز خان، في ان يصبح
الحاكم المعترف به للشعوب المغولية.

هكذا تطورت رؤيا توحيد الشعوب
التركية – المغولية التي كان ما لا يقل عن
سبعة منها (الشعوب) نسطورية بشكل او
باخر، في امبراطورية نسطورية تحت قيادة
الحاكم المسيحي[١٦]. ولما كان ما يقرب من
٣٠% الى ٤٠% من الترك – المغوليين
الذين يعيشون بين **بحيرة بلشاش** (Lake
Balchasch) في شرقي كازاخستان ومنشوريا
نساطرة، فإن هذه الفكرة كانت مقبولة تماما.
ان الانتشار الكبير للمسيحية بين الشعوب
التركية- المغولية، التي كانت تعيش على
هذه المسافة البعيدة من بغداد، لهو شاهد على
الروح الارسالية التي لا تقهر، والمنظمة
ايضاً لكنيسة المشرق. ولم يكن على
المبشرين، الذين كانوا ماهرين في اللغات
الاجنبية، ان يقوموا بكسب المؤمنين الجدد
الى المسيحية فقط، بل تثبيت المسيحيين في
ايمانهم ايضاً. وهنا كانت اللغة الطقسية
السريانية بمثابة الملاط الضروري للحفاظ
على وحدة جماعة الايمان. بيد ان مكانة
المسيحية كانت ضعفت، طالما انها لم تحتل
منطقة واضحة ومتجانسة.
وكوّن طغرل خان القوي، واحداً من
اقوى الشخصيات في الصورة الخلفية
لأسطورة برستر جون، الحاكم المسيحي
الغامض في الشرق الاقصى، يتجلى في
تقرير رحلة ماركو بولو، التي يساوي فيها
الامير القيراطي مع الشيخ جون[١٧]. لكن
منغوليا كانت اصغر من أن تتسع لهذين
الخانين، حيث قام جنكيز خان في سنة
١٢٠٣/١٢٠٤ بالاطاحة بمن كان حاميه في
يوم ما، طغرل خان- وقتل طغرل الهارب
على يد نايمان. وبعد سنتين من ذلك، في
سنة ١٢٠٦، وفي تجمع على نهر اونون
(River Onon) في شرقي منغوليا، اعلن
جنكيز خان نفسه **خا خانا** (حاكم الحكام).

وهنا قوّض جنكيزخان بنى العلاقات القبلية
التقليدية عن طريق تقسيم الشعوب حسب
النظام العشري الى مجاميع، تبلغ الف
مجموعة، تتألف من اعضاء من قبائل
وشعوب مختلفة، عهد بقيادتها الى ضباط
مستحقين. هكذا قام جنكيزخان بتوحيد ما
يقارب الدزينتين من القبائل التركية –
المغولية التي كان يبلغ عددها مليونا ونصف
المليون شخص، في امة مغولية تحت قيادة
ارستقراطية عسكرية. وعن طريق تخصيص
منطقة خاصة لكل مجموعة مؤلفة من ألف،
وتنظيمها المجاميعي المؤلف من عشرة
الاف، للعيش فيها. قام بتحديد حركة البدو،
وحول اتجاههم نحو الانتقال من مكان الى
آخر الى آلة عسكرية لا تقهر[١٨]. بيد ان
الولاء للدين الذي كان في السابق مرتبطا
ارتباطاً وثيقا بالعضوية في العشيرة، اصبح
الان امراً خاصا.
وبعد انتصاره على القيراطيين، قام
جنكيزخان بدمجهم في قبائله المغولية. واتخذ
لنفسه زوجة كانت ابنة اخ طغرل، وهي
ايباكا- بكي (Ibaka-Beki)، وقام بتزويج
اختها الاصغر **بكتومش- بكي** (-Bektumish
Beki) من ابنه الاكبر يوشي (Jochi) واختها
الصغرى **سوركاكتاني – بكي** (-Sorqaqtani
Beki) من ابنه الاصغر **تولوي** (Tolui)،
(+١٢٥٢). وبفضل هذه التحالفات الزيجية،
تمكنت المسيحية من الدخول الى عائلة فاتح
الدنيا. واصبحت سوركاكتاني النسطورية من
اكثر الاميرات المغوليات نفوذاً، لانها كانت
ام الخان المغولي الكبير **مونغكي** (حكم في
١٢٥١-١٢٥٩)، والخان الكبير وفيما بعد
امبراطور الصين **قبلاي خان** (Kublai
Khan)، (حكم في١٢٦٠-١٢٩٤)، ومن ثم
إلخان ايران (Il-Khan of Iran)، **هولاكو**
(حكم ١٢٥٦-١٢٦٥). وبعد موت الخان

الكبير **غويوك** (Guyuk) نجحت في اثارة انقلاب في البلاط عن طريق استبدال نسب عشيرة **اوغودي** (Ogodei) بنسب تولوي (Tolui)، التي كانت تقودها هي بنفسها، لتمكن بذلك من انتخاب مونغكي[١٩].

الاويرات والمركيت والمنشوريون

كانت تعيش الى الشمال من القيراطيين اقوام اضافية، كان المبشرون النساطرة نشطين فيها. واحد تلك الشعوب هو **الاويرات**، الذي يقع موطنه الى جنوب غرب **بحيرة بايكال** (Lake Baikal) والذي خضع لجنكيز خان في سنة ١٢٠٨. وبعد قرنين من الزمن، وبمساعدة الصينيين، قام القيراطيون بغزو منغوليا في سنة ١٤٣٤، ووضعوا حداً لسيطرة احفاد جنكيزخان عليها[٢٠]. وكان هناك شعب مغولي آخر شديد التأثر بالتركية يدعى **المركيت**، الذي اتخذ موطنه في جنوب شرق بحيرة بايكال، وكان مصير جنكيز خان مرتبطاً بهم ارتباطاً شديداً، لان ام **تيموجين** كانت من المركيت حيث قام **ايشوغي** (Jesugei) بخطفها من قائد مركيتي. وانتقاماً لذلك، قام المركيت بخطف عروس تيموجين الاولى، **بورتي** (Borte) التي استطاع فيما بعد الفوز بها بمساعدة طغرل. ومنذ ذلك الحين فصاعداً اعتبر جنكيزخان المركيت، مثل التتار، اعداء لدودين له. وفي سنة ١٢٠٤-١٢٠٥ الحق الهزيمة مرتين بالمركيت الذين كانوا هم الاخرون قد تحالفوا مع النايمان النساطرة. وقام **تايكال** (Taikal) بغزو حصنهم الذي كان يقع في جنوب مدينة **اولان اودي** (Ulan Ude) الحالية. واعطى زوجة ابن خان المركيت **توريكين** (Turekene) الى ثالث اكبر اولاده **اوغودي** (Ogodei) زوجة له، والتي انجبت فيما بعد الخان الكبير **غويوك** (Guyuk). وهكذا كانت للخان الثالث الكبير، غويوك، مثل خلفائه مونكي وقوبلاي خان، ام نسطورية. ومثلما روى **يوحنا** الذي من بلانو **كاربيني** (John of Plano Carbini) الفرنسسكاني (١١٨٢-١٢٥٢) الذي التقى بغويوك في خريف سنة ١٢٤٦ في **كاراكوروم** (Karakorum)، فإن الخان الكبير كان محاطاً بالنساطرة، وكان يقيم معبد نسطوري في خيمة امام خيمته الجلدية[٢١] (وتسمى يورتة)* وفي سنة ١٢٠٥، استسلم غالبية المركيت، واحفادهم هم **البوريات** (Buryat) اليوم. بيد ان اغلبيتهم انتقلت غرباً الى منطقة في شمال بحيرة بلشاش في كازاخستان الحديثة، حيث قام القائد الميداني لجنكيزخان، المتمرس، **سوبوتاي** (Subutai) بالقضاء عليهم في سنة ١٢١٦[٢٢].

وبعيداً الى الشرق من بحيرة بايكال كان يعيش شعب تنغوسي- منشوري، والذي كان نسطورياً ايضاً. وقد ذكر ماركو بولو بان حاكمها الامير **نايان** (Nayan)، وهو احد ابناء عمومة قبلاي خان، تمرد على عمه امبراطور الصين، في سنة ١٢٨٧. ويبدو بان الثائر النسطوري كان على قدر كبير من النفوذ، بحيث ان قبلاي خان البالغ من العمر ٧٢ عاماً، انطلق شخصياً الى منشوريا، التي وصلها بعد عشرين مسيرة اضطرارية. وهنا صادف جيش الامير نايان، الذي كان الصليب يظهر على رايته، لأن "نايان كان معمداً وكان يحمل الصليب على شعاره، لكن ذلك لم يسعفه" لأن قبلاي خان انتصر واخذ نايان اسيراً وامر باعدامه[٢٣]. وتشهد العديد من شواهد القبور المحفوظة في منشوريا على وجود كنيسة المشرق في المنطقة التي كانت تقع على بعد اكثر من ٧٠٠٠ كلم بخط

* من خيام بدو سيبيريا [المترجم]

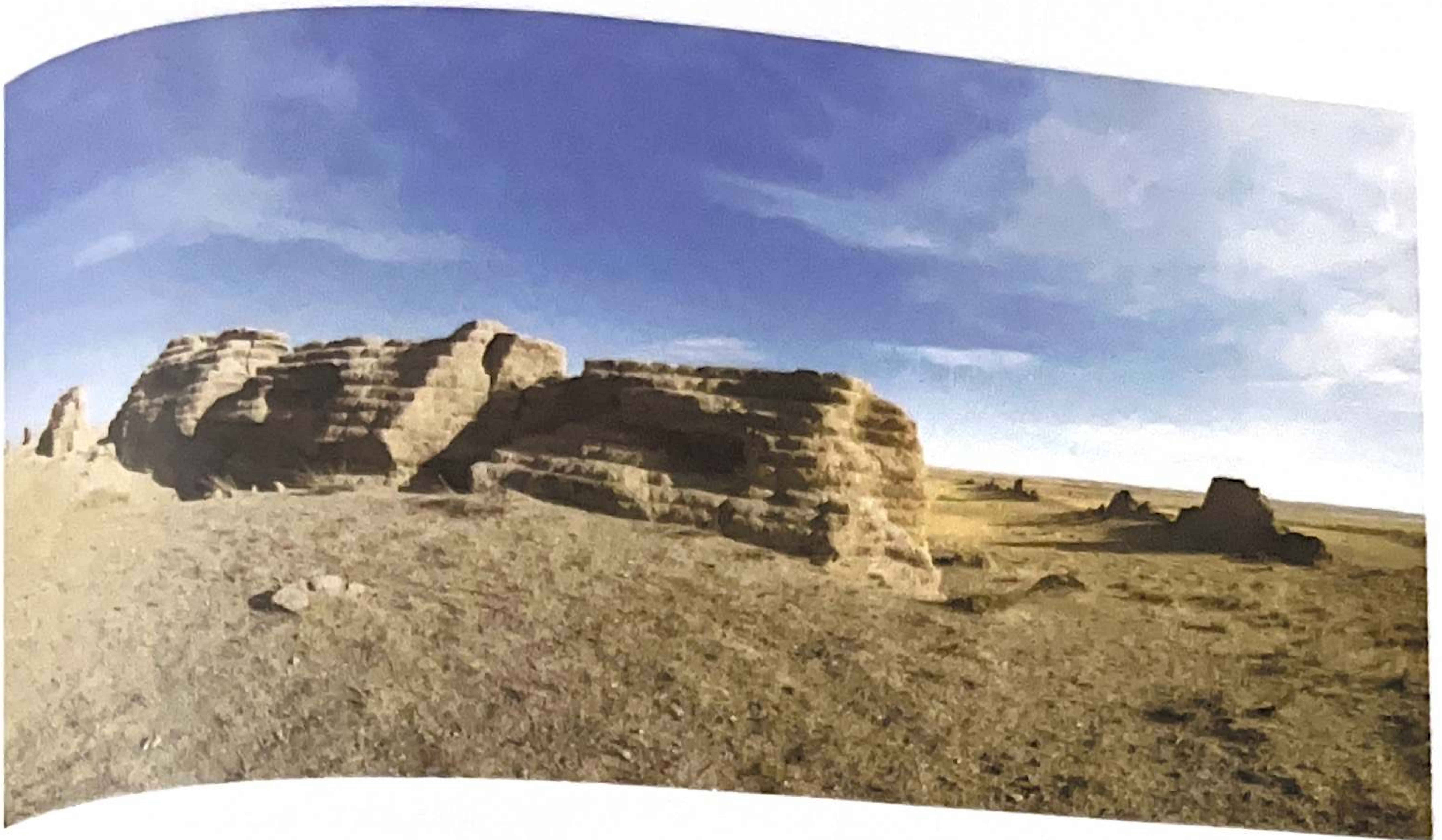


الامير النسطوري نايان الذي حكم منشوريا، وثار ضد قبلاي خان في سنة ١٢٨٧، مندهشاً في سريره من جيش قبلاي خان المندفع نحوه. (مخطوطة مصورة من كتاب ماركو بولو عجائب الدنيا، سنة ١٤١٢. البيليوغرافيا الوطنية الفرنسية، باريس. Ms. Fr. 2810, fol.34. RCC 18438)

مستقيم، عن الكرسي البطريركي[٢٤].

ويستطرد ماركو بولو قائلاً: "فما كان من البوذيين والمسلمين، بعد الهزيمة، إلا السخرية من المسيحيين بسبب الصليب على راية نايان: لتنظروا فقط، كيف ساعد صليب إلهكم نايان الخادم المخلص للمسيح! [عندما علم قبلاي خان بهذا] وبّخهم بشدة: ان الصليب لم يساعد نايان كما يجب، لانه كان خائناً مشيناً، ثار ضد حاكمه، واستحق مصيره. حسناً فعل صليب إلهم بعدم مساعدته في معارضة العدالة"[٢٥]. ومما يوحي به التسامح الديني للمغول ان قبلاي خان، الذي كان شخصياً يميل الى البوذية، لم يحمل ضغينة ضد المسيحيين على هذه الخيانة من جانب تابع مسيحي.

وتزداد شهامة قبلاي خان في إثارة الدهشة عندما نعلم بأن احد الامراء قبل ذلك، والذي كان وثيق الصلة بالنساطرة، كان قد تخاصم على حقه في العرش. وكانت القضية تخص شقيقه الاصغر **آريكبوك** (Arikboge)، وهو ابن اخر لسوركاكتاني النسطورية، الذي لمح روبروك الى انه كان مسيحياً[٢٦]. وقد خاض آريكبوك حرباً اهلية دامت اربع سنوات بمساعدة مجموعة من النساطرة الاقوياء. وكان من بين هؤلاء **بولغاي** (Bulgai) المستشار الامبراطوري السابق، ووزير مالية مونغكي، اضافة الى زوجة مونغكي الرئيسية **كوتوكتي** (Kutuktei)، التي ظن روبروك انه كان شهد عمادها[٢٧]. وعندما استسلم آريكبوك في سنة ١٢٦٤



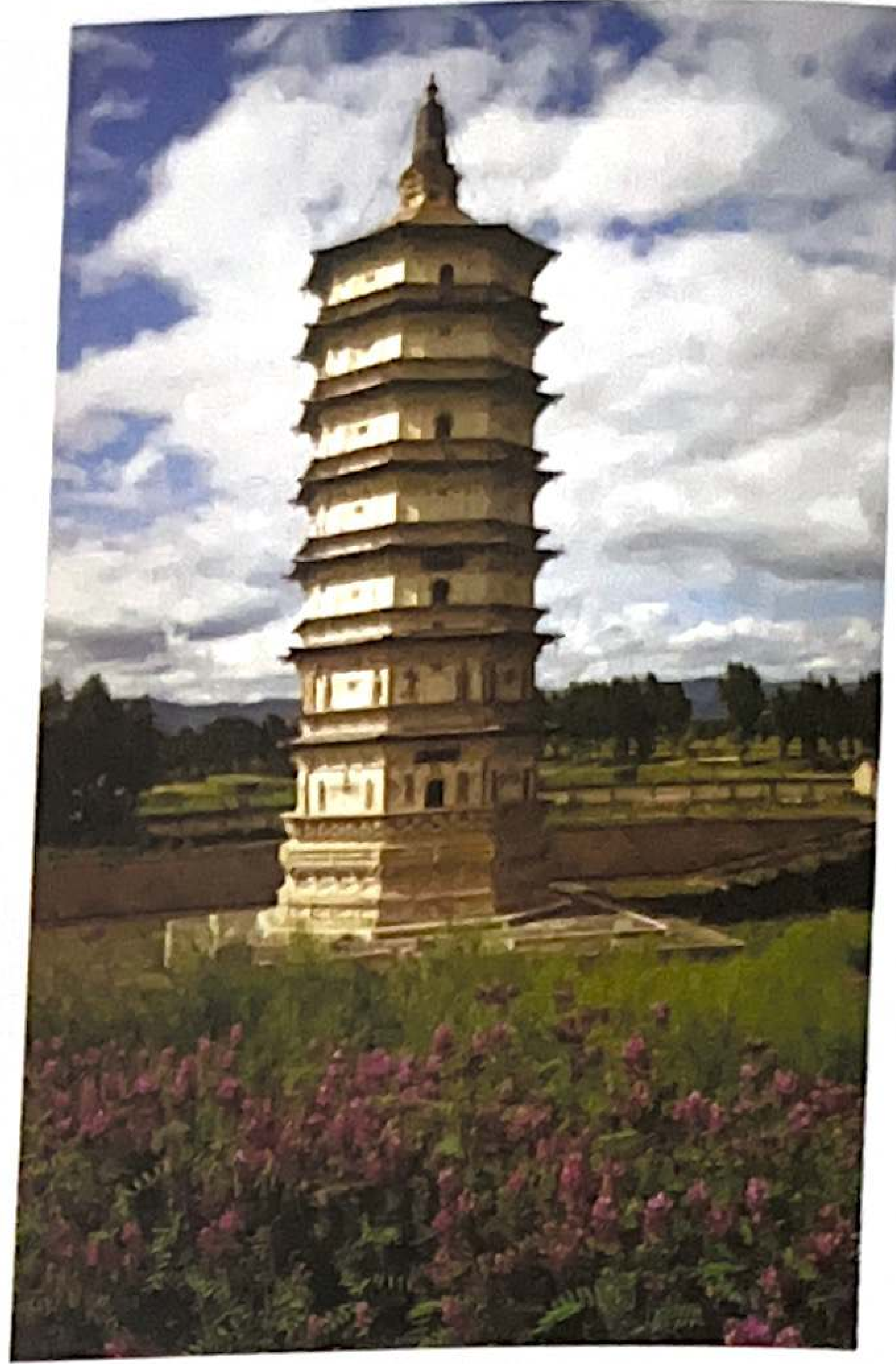
اسوار مدينة اولون سوم- إن تور (OlonSume-in Tor) في منغوليا الداخلية بالصين. وكانت اولون سوم ان تور عاصمة للانغوت الذين كان اغلبهم نساطرة، والذين كانت العائلة التي تحكمهم تتبع كنيسة المشرق. ولما كان الملك اسقفاً ايضاً، فقد كان يجمع بين السلطة العلمانية والروحية. وفي الثلاثينيات والاربعينيات من القرن الماضي، عثر الآثاريون في المدينة على العديد من حجارة القبور النسطورية، إضافة الى خرائب الكنيسة النسطورية التي قد تضررت كثيراً، وكاتدرائية مونتيكورفينو (Montecorvino) الكاثوليكية، التي بنيت وفق الاسلوب الكاثوليكي بعد سنة ١٢٩٥.[٥٤]

وضعه قبلاي خان تحت الاقامة الجبرية في المنزل حتى وفاته في سنة ١٢٦٦، بينما امر باعدام بولغاي[٢٨]. ومرة اخرى عانت كنيسة المشرق سوء حظ كونها الى جانب خاسر في نزاع سياسي.

الاونغوت (Ongut)

وفيما يتعلق بشعب اونغوت التركي، وقفت كنيسة المشرق بجانب المنتصرين. لقد وضع الاونغوت، الذين كان موطنهم يقع على جانبي القوس الشمالي الكبير للنهر الاصفر في الاجزاء الشرقية من الاقاليم الحالية لمنغوليا الداخلية وننغشيا (Ningxia)، والذين كانوا في غالبيتهم نساطرة، وضعوا انفسهم منذ البداية الى جانب جنكيز خان.

ولانهم كانوا يعيشون بين سور الصين العظيم والجزء الشرقي لصحراء غوبي، فقد كانوا ذات اهمية ستراتيجية استثنائية لكل من امبراطورية **زين** الصينية في الشمال، والقوة المغولية التي أخذت تبرز، ولهذا السبب كان الـ زين قد تحالفوا معهم كحماة للسور العظيم. لكنه عندما اندلعت الحرب في سنة ١٢٠٤ بين مغول جنكيز خان ونايمان الذي كان يضاهيه في القوة، وعندما طلب امير نايمان من اونغوت الهجوم على جنكيز خان من الخلف، انحاز الملك النسطوري **آلاكوش - تاغين** (Alaquch-tagin) الى جنكيز خان وارسل اليه رسولاً يدعى يوحنا (جون) يحذره من هجوم نايمان. فدفع آلاكوش- تاغين حياته لقاء تغييره لولائه، عندما قام



بعض شيوخه الذين كانوا يفضلون تحالفاً مع نايمان بقتله[٢٩]. وبعد سبع سنوات، في صيف عام ١٢١١، فتح الاونغوت الباب الى الصين امام جنكيز خان المتقدم، بالسماح له بالعبور من خلال السور العظيم دونما مقاومة. ولم ينس جنكيز خان مساعدة آلاغوش – تاغين، فعين ارملته على عرش اونغوت، وزوج ابنها الشاب **بوياو هو** (Poyao Ho) من ابنته **آلاكاي – بكي** (Alakai-Beki). وبعد وفاة **بوياو هو** حكمت آلاكاي البلاد بقبضة من حديد، وقامت بتزويج اثنين من ابناء زوجها، لانها كانت عاقر، من اسر مغولية حاكمة: **كونبوكا** (Kunbuka) من ابنة كويوك الكبرى، و**آيبوكا** من ابنة قبلاي خان الصغرى، وابن آيبوكا **غورغوس** (جورج) من حفيدة قبلاي خان اولاً، ومن ثم من ابنة ولي العهد **تيمور** (حكم في سنة ١٢٩٤-١٣٠٧) ولم يكن هناك من كان هكذا وثيق الصلة، من خلال الزواج، بالبيت المغولي الامبراطوري مثلما كانت اسرة اونغوت النسطورية الحاكمة[٣٠].

وعندما انطلق الراهبان النسطوريان ربان **بر صوما** وتلميذه **مرقس** – بطريرك المستقبل **يهبالاها** الثالث (شغل الكرسي البطريركي بين ١٢٨١-١٣١٧) – من محبسهما (صومعتهما) قرب **خان باليق** (بيجينغ Beijing) في رحلة حج عن طريق البر الى اورشليم. سافرا اولاً الى امبراطورية اونغوت، موطن مرقس الشاب، وكان مرقس هذا والذي ولد سنة ١٢٤٥، ابن الارخيدياقون النسطوري لعاصمة كواشانغ (Kwashang) الشمالية آنذاك (اولون سوم – إن تور Olon Sume-in Tor)، التي كانت تقع حوالي ١٣٠ كلم شمال **هوهوت** (Hohot) في منغوليا الداخلية[٣١]. ويشير تقرير الرحلة الذي كتبه صديق مقرب الى بطريرك المستقبل في اوائل القرن الرابع عشر الى انه: "عندما سمع سكان المدينة ووالدا ربان مرقس بان هذين الراهبين قد قدما، رحبوا بهما بسعادة وفرح ورافقوهما في شرف عظيم الى الكنيسة. وعندما وصل نبأ وصول الراهبين الى الحاكمين كونبوكا (Kunbuka) و آيبوكا، امرا باحضارهما الى معسكرهما"، حيث وهبت لهما الهدايا[٣٢].

وخلف آيبوكا على عرش اونغوت ابنه غورغوس، الذي قام كتابع موال للاباطرة **يوان** (Yuan) وقبلاي خان وتيمور، باخماد العديد من الانتفاضات. وفي سنة ١٢٩٤ منحه تيمور لقب الامير، وفي سنة ١٢٩٨ أسر على يد الثوار واعدم. وكأمير لشعب



كولوفون (اسم الناسخ وزمان ومكان النسخ [المترجم]) لمخطوطة مكتوبة بحبر الذهب على ورق ازرق اللون. وهي تعود الى كتاب انجيل مختصر، معتمداً الترجمة البشيطتا وهي مكتوبة باللغة السريانية. وينص الكولوفون على أن الكتاب، بقياس ١٨x ١٣ سم وقد انجز في آذار ١٢٩٨. كتب لـ "سارة، المؤمنة، المشهورة بين الملكات، واخت المحارب الذي لا يقهر من بين المحاربين، والبطل بين المقاتلين، جورج، ملك المسيحيين المجيد، ملك الاونغوت". والكتاب، الذي دون في وادي الرافدين، لم يصل الملكة سارة، واحتفظ به حتى سنة ١٩٥٠ في مكتبة الرئاسة الاسقفية الكلدانية لـ أميدا (ديار بكر) ومنذ ذلك الحين في مكتبة الفاتيكان. (Ms. Vat.Syr. 622, 173 v-174).

٥٦

متضامّ لم يُخضع يوماً، وكقائد عسكري لمنطقة عازلة، بين العاصمة خان باليق وقلب الاراضي المنغولية، وصهر أمبراطورين، كان غورغوس النسطوري قوياً وشخصاً متنفذاً سياسياً. وكان ماركو بولو متأثراً به ايضاً: "الملك جورج من نسب برستر جون. ومن عادة هؤلاء الملوك ان يحصلوا دائماً على زوجة من بنات الخان الكبير، او الاميرات الاخريات من اسرته. كان الحكام مسيحيون، لكن هناك ايضاً الكثير من عبدة الاوثان [البوذيين] والمسلمين. والملك جورج هو الخليفة السادس لـ برستر جون". ويستطرد ماركو بولو في وصف كيف ان الملك جورج، الى جانب احد ابناء قبلاي، هزما المتمرد كايدو (Kaidu) في معركة كبيرة[٣٣]. وبطبيعة الحال فإن ماركو بولو اخطأ بقيامه بتنسيب جورج الى الامير القيراطي طغرل، الذي ساواه مع برستر جون، لانه ليست هناك علاقة بين النسبين.

وانها لمفارقة تاريخية ان تكون النتيجة الملموسة الوحيدة للرحلة الاوربية لربان برصوما هي تعريض مكانة كنيسة المشرق في الصين الى الخطر! فبعد ان اخبر الربان برصوما البابا نيقولا الرابع في روما في سنة ١٢٨٨ بوجود العديد من المسيحيين من بين المواطنين، أرسل البابا المبشر الفرنسسكاني والاسقف يوحنا مونتيكورفينو (١٢٤٧-١٣٢٨) الى هناك في حوالي سنة ١٢٩١. وبينما كان الفرنسسكانيان كاربيني وروبروك، اللذان كانا زارا الامبراطورية المغولية قبل ذلك، هناك من حيث الاساس كمبعوثين دبلوماسيين وامتنعا عن العمل التبشيري، فإن مونتيكورفينو سافر من اجل العمل التبشيري الى خان باليق التي وصلها في سنة ١٢٩٤.[٣٤] وكان اول قس كاثوليكي يصل الى الصين- بعد ٦٥٩ سنة تماماً من وصول آلوبين النسطوري.

وهكذا بدأ المشهد المأساوي الذي استمر حتى النصف الثاني من القرن العشرين: فقد تقدمت الكنيسة الكاثوليكية الى مناطق ذات سكان مسيحيين نساطرة، وهناك وجهت جهودها التبشيرية بشكل اساس، ليس نحو ما يسمى الوثنيين، بل نحو السريان الشرقيين. وبدلاً من دعم كنيسة المشرق التي كانت قد نشأت هناك، اخترقت الكنيسة الكاثوليكية الجماعات المسيحية عن طريق اقامة سلطات كنسية موازية، قائمة على حجة السلطة البابوية العالمية.

وتلقت كنيسة المشرق نذيراً سيئاً لذلك عندما تودد مونتكورفينو الى المذهب الكاثوليكي، ومن ثم سرعان ما "اهتدى" الى المذهب الكاثوليكي أقوى نسطوري في

جون، لانه ليست هناك علاقـة بـين

ها لمفارقة تاريخية ان تكون النتيجـة
الوحيدة للرحلة الاوربيـة لربـان
هي تعريض مكانة كنيسة المـشرق
ن الى الخطر! فبعد ان اخبر الربان
البابا نيقولا الرابع في روما في سنة
جود العديد من المسيحيين من بـين
، أرسل البابا المبشر الفرنسسكاني
ـ يوحنـا مونتيكورفينـو (١٢٤٧-
ى هناك في حوالي سـنة ١٢٩١.
كـان الفرنسـسكانيان كـاربيني
، اللذان كانـا زارا الامبراطوريـة
ل ذلك، هناك من حيث الاسـاس
بلوماسيين وامتنعـا عـن العمـل
فإن مونتيكورفينو سافر من اجـل
يري الى خان باليق التي وصـلها
١٢٩. [٣٤] وكان اول قس كـاثوليكي
صين- بعد ٦٥٩ سنة تماماً مـن
ين النسطوري.

بدأ المشهد المأساوي الذي استمر
ـ الثاني من القرن العشرين: فقـد
ـة الكاثوليكية الى منـاطق ذات
ين نـساطرة، وهنـاك وجهـت
شيرية بشكل اساس، ليس نحو ما
ن، بل نحو السريان الـشرقيين.
م كنيسة المشرق التي كانت قـد
اخترقت الكنيـسة الكاثوليكيـة
سيحية عن طريق اقامة سلطات
، قائمة علـى حجـة الـسلطة
ة.

سة المشرق نذيراً سبقياً لـذلك
مونتكورفينـو الـى المـذهب
ن ثم سرعان ما "اهدى الـى
ليكـي أقوى نسطـوري في



شاهد قبر نسطوري من اولون سوم (Olon Sume)، متحف بلنغمياو (Bellingmiao) في منغوليا الداخلية بالصين. ويذكر النصّ الكتابي باللغة التركية والكتابة السريانية اسم المتوفي.

الصين يومذاك، الملك جورج، وقام بتـشييد كنيـسة كاثوليكيـة الـى جانـب الكنيسـة النسطورية في اولون سوم. وبفضل حماية جورج، قام ببناء كنيسة اخرى في بيجينـغ في سنة ١٢٩٩، لتعقبها ثالثـة بعـد الـسنة التالية. وفي رسالة الى البابا مؤرخة فـي ٨ كانون الثاني سنة ١٣٠٥، اشتكى اولاً مـن "النساطرة، الذين هم مسيحيون بالاسم فقـط" والذين اعاقوه في عمله. ثم تفاخر بأنه كـان عمّد ٦٠٠٠ شخص، وبالنسبة الى المدرسة، "قمت بشراء اربعين غلاماً واحداً بعد الاخر، ابناء الوثنيين، ثم قمت بتعميدهم" - ممارسـة تبشيرية ماتزال تستخدم في القـرن الحـادي والعشرين[٣٥]. واخيراً أكد على اهتـداء ملـك الاونغوت: "وأما الملك الطيب جورج، مـن مدرسة المسيحيين النساطرة، فقد اهتدى على يديّ الى حقيقة الايمان الكاثوليكي الحقيقي.

وجاء بجزء كبير من شعبـه ليهتدي الى الايمان الكاثوليكي الحقيقي. وقام ببناء كنيسة جميلة. وانتقل الملك جورج هذا الى جـوار الرب قبـل ست سـنوات [١٢٩٨/١٢٩٩] مسيحياً صالحاً. وخلف غلاماً وخليفـة فـي المهد في التاسعة من عمره. لكن اشقاء الملك جورج، لانهم كانوا اشخاصاً منطوين علـى الغدر وسائرين على درب نسطور، قـاموا، بعد موت الملك، بافساد جميع الـذين كـانوا اهتدوا [الى الكاثوليكية]، ليعودوا بهـم الـى انشقاقهم السابق. وان ابن الملك المار ذكـره (جورج) يحمل اسمي، واتمنى ان يسير على خطى ابيه"[٣٦].

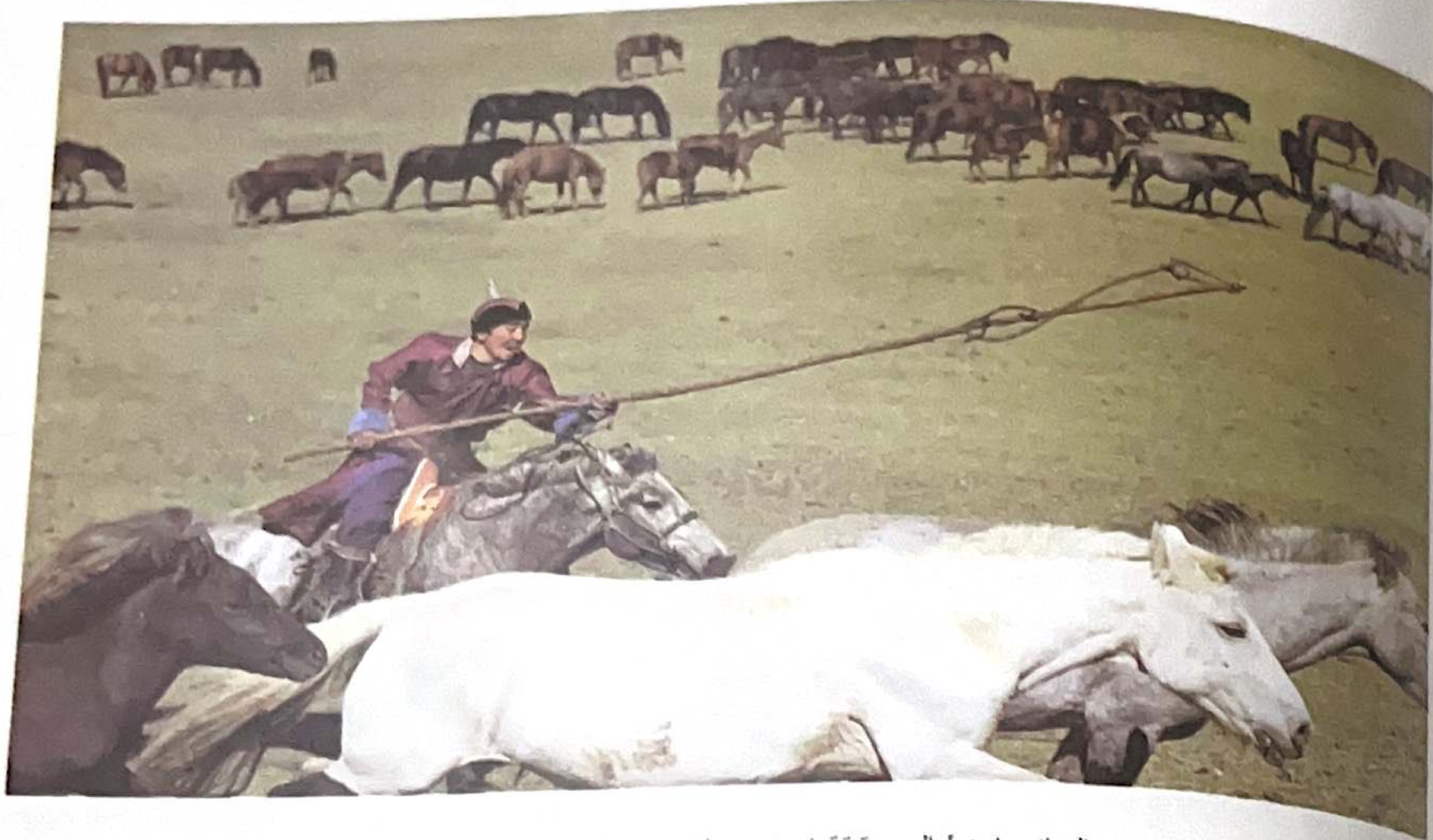
فسرّ البابا كلمنـت الخـامس (+١٣١٤) وعين مونتيكورفينو رئـيس اسـاقفة لخـان باليق، رغم ان خـان بـاليق كـانت مقـراً للكرسي المطرافوليطي النسطوري منذ سـنة ١٢٤٨. وفي نفس الوقـت ارسـل سـبعة اساقفة، ثلاثة منهم وصلوا بيجينغ فـي سـنة

١٣٠٨.[٣٧] وبمضاعفة السلطات الكنسية، دخلت روما في منافسة مفتوحة مع كنيسة المشرق، لتضع نهاية سريعة لود النساطرة نحو اخوتهم الاوربيين في الايمان. ويتجلى قيام المبشرين الكاثوليك بادانة السريان الشرقيين على انهم هراطقة، على سبيل المثال، من تقرير رئيس اساقفة **سلطاني** (Sultanie) في ايران، يوحنا الذي من **كورا** (Cora)، الذي كتب في حوالي سنة ١٣٣٠ قائلا، كان [رئيس الاساقفة مونتيكورفينو] سيهدي البلاد [الصين] كلها الى الايمان المسيحي الكاثوليكي لولا ان قام النساطرة، المسيحيون المزيفون الاوغاد، بعرقلته". ثم وصف النساطرة هكذا: "النساطرة مسيحيون منشقون. ويبلغ عدد هؤلاء النساطرة اكثر من ثلاثين الفاً في الصين، وهم اناس اثرياء جداً. ولهم كنائس جميلة ومنظمة ذات صلبان وصور اكراماً لله وجميع القديسين"[٣٨]. ولم تمر المنافسات المسيحية الداخلية في الصين دون ملاحظة. وقد تخلص الصينيون من الطبقات المغولية العليا، في حين اعتبروا كلا من الكنيستين اجنبيتين، فقد اعتبرت كنيسة المشرق مغولية، حتى وان كانت آسيوية ايضاً، لكنهم كانوا ينظرون الى الكنيسة الكاثوليكية مثل حصان طروادة لقوات اجنبية.

إن تقرير مونتيكورفينو دقيق تاريخياً. فبعد موت الملك جورج، ارتدت طبقة النبلاء الى كنيسة المشرق بقيادة اخيه **يوحنا**، كما ان نجله، **يوحنا**، الذي كان تعمد على يد مونتيكورفينو، توفي في سنة ١٣١٢ او ١٣١٤[٣٩]. وسرعان ما بدأت الكنيسة بعد ذلك بفقدان المؤمنين من بين الاونغوت، كما هو الحال في الامبراطورية كلها. وكنتيجة للتأثير الصيني العام الذي استحوذ على الطبقة المغولية الحاكمة، اعتنق المسيحيون الاونغوت الكونفوشيوسية والطاوية والبوذية[٤٠]. وكما حدث في الصين كلها، اختفت المسيحية مباشرة بعد سقوط **سلالة يوان** (Yuan Dynasty) في سنة ١٣٦٨. ومما يبعث على الدهشة ان أي. **موستترت** (A. Mostaert)، صادف في حوالي سنة ١٩٣٠ بين قبيلة **ايركوت** (Erkut) المغولية في منطقة **اوردوس** (Ordos)، افكاراً دينية تتفق بشكل واضح مع المسيحية النسطورية رغم ان الايركوت الذين تم استجوابهم لم يكونوا عارفين بهذه العلاقة[٤١].

ولما كان الانغوت مستقرين جزئيا ومنشغلين بالتجارة، فقد شيدوا المدن، ومن بينها العاصمة الشمالية **اولون سوم – ان تور** (Olon Sume-in Tor)، و **كواشانغ** (Kwashang)، **وهوهوت** الجنوبية الحالية القريبة. وبينما بقيت الاخيرة محتلة بعد سقوط سلالة هوان، فإن اولون سوم هُجرت بعد الدمار المتكرر الذي الحقته بها سلالة **منغ** (Ming)، (١٣٦٨-١٦٤٤) الجديدة، باستثناء إعادة استيطان قصير عند نهاية القرن السادس عشر.

وقد بقي مركز مدينة اولون سوم، التي كان يحيط بها سور ترابي، محفوظا جزئيا على شكل خرائب. وعلى قمة العديد من الأسس المصنوعة من الحجر الصلد او الأجر، على مساحة (٩٦٠ x ٥٧٠) متر، يبلغ ارتفاعه (٥) امتار، تقع العديد من اكوام الأجر، وقطع عديدة من البلاطات السقفية المزججة بالاخضر والاصفر. وقد تعرف الآثاريون على خرائب القصر الملكي، وعلى معبد بوذي، والكنيسة النسطورية الكبيرة، وكنيسة مونتيكورفينو الكاثوليكية، التي شيدت في سنة ١٢٩٥، بتصميم صليبي وبلاطات مزخرفة وفق الاسلوب الغوطي بنقش بارز للزهور. وقد يعزى الحفاظ غير الجيد على



فارس مغولي يمسك بالافراس بحلقة مربوطة بعصا يبلغ طولها اربعة امتار مثلما كان ليفعل قبل الف سنة. كانت منغوليا الوسطى تعود الى مراعي النايمان، الذين كانوا نساطرة جزئيا.

المباني ايضاً الى حقيقة ان دير **بيلينغ مياو** (Beling Miao) البوذي، على مسافة ثلاثين كيلو متراً، كان قد شيد من الآجر من اولون سوم. وإن العديد من الحجارة الضخمة على هيئة عمود التي عثر عليها في كل من محيط الكنيسة النسطورية وخارج اسوار المدينة والتي تحمل واحداً او اكثر من الصلبان المالطية، لتشهد على الماضي المسيحي لاولون سوم. وعلى النقيض من شواهد القبور لقيرغيستان، التي لم تكن قد صنعت بل كانت عبارة عن حجارة نهرية او حجارة ضخمة، او مسلات اشبه بالمذبح، ومنشآت تمثل اغطية لتوابيت حجرية، عثر عليها في جنوب الصين. فإن تلك التي في اولون سوم كانت اشبه بأكفان، وتحمل على الجانب الاعلى الطويل كتابات قصيرة باللغة التركية، والكتابة السريانية الشرقية، كما ان الجوانب الباقية كانت مزينة بالاكاليل او النقوش النباتية. ان اكتشاف دزينات اضافية من حجارة القبور في العديد من الخرائب، على بعد ٧٠ كلم من اولون سوم، اضافة الى الصلبان المتناثرة على نطاق واسع من اوردس (Ordos)، يشير الى ان المسيحية كانت في ذلك الوقت منتشرة بشكل واسع بين الاونغوت، ولم تكن مقتصرة فقط على طبقة النبلاء في المدينة[٤٢].

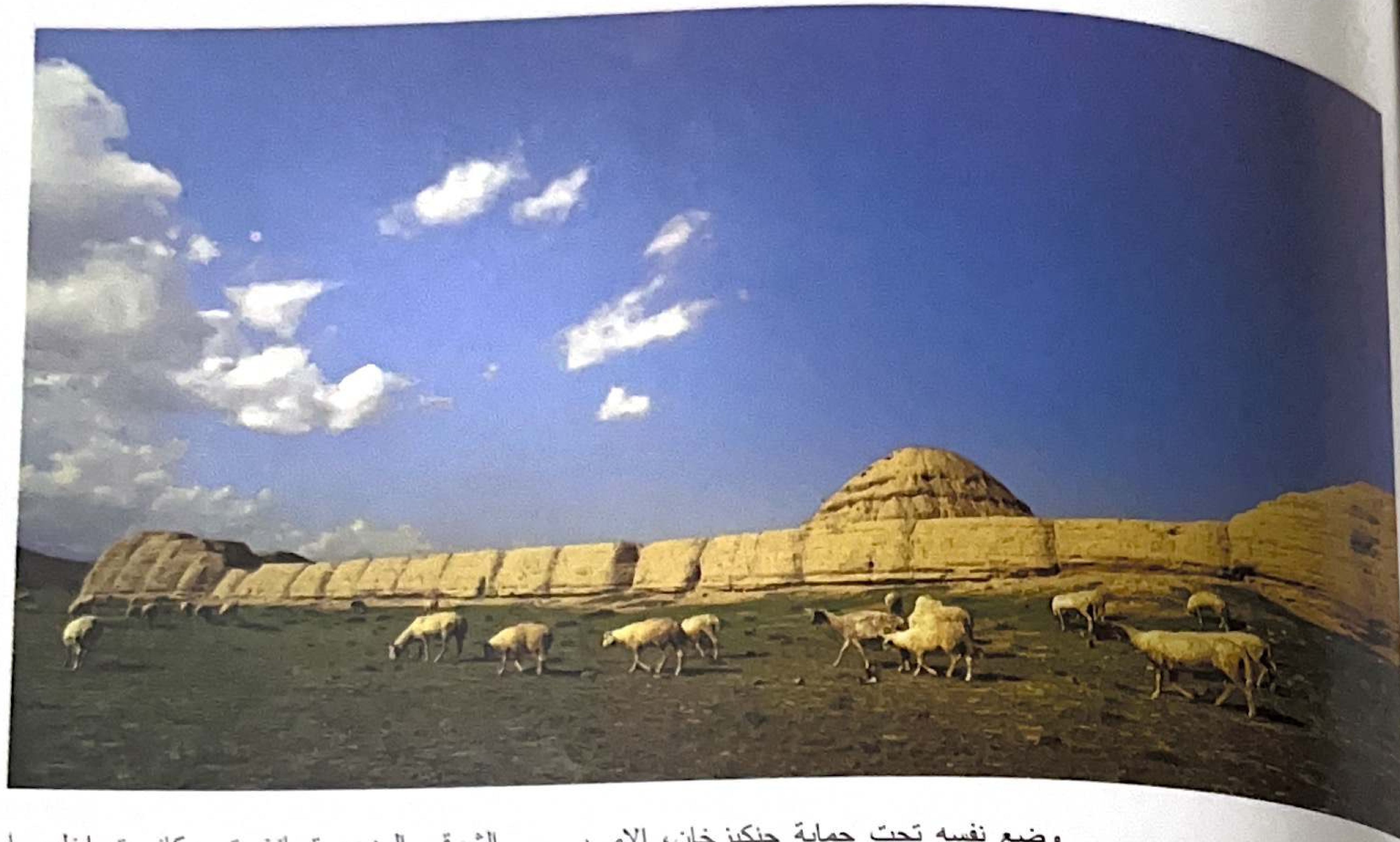
النايمان والاويغور والتانغوت

كان موطن **النايمان** يمتد الى الغرب من القيراطيين في غرب منغوليا حتى شرقي كازاغستان، وهو عبارة عن كونفدرالية من ثمانية قبائل تركية – منغولية[٤٣]. وكان النايمان نساطرة ايضاً رغم ان **الشامان** مارسوا عليهم ضغطاً كبيراً[٤٤]. وبعد هزيمة القيراطيين، كان النايمان القوة المستقلة الوحيدة الباقية. وقد احتل جنكيزخان شمال الشرق، والنايمان المسيحيون جنوب الشرق. ومثل المغناطيس جذبوا القبائل التي غزاها جنكيزخان، طالما بقيت غير خاضعة. ووقعت المعركة الحاسمة في سنة ١٢٠٤ بالقرب من كاراكوروم (Karakorum) المستقبلية، حيث دمر جنكيزخان الجيش النايماني. وسقط امير النايمان صريعاً ولم يستطع الهرب الا ابنه **كوجلوغ** (Kuchlug). ومرة اخرى دخل المغول الحرب ضده بعد ١٤ سنة.

وكان من بين السجناء ايضاً **تاتاتونغا** (Tatatunga)، الحامل الايغوري لختم الملك النايماني الصريع، لان النايمان كانوا تبنوا الكتابة الايغورية. وكانت الكتابة الايغورية قد تطورت عن السوغدية التي شأنها شأن السريانية، كانت مشتقة من ابجدية الحروف الصامتة الارامية. وكانت الايغورية تدون من حيث الاصل افقياً من اليمين الى الشمال، ولكن تحت تأثير الصينية، بدات تكتب عمودياً من الاعلى الى الاسفل. ان تأثير تهجئة عمودية للسريانية القديمة ممكن ايضاً، طالما انها كانت تستخدم في **ليفانت** (Levant) للنقوش الحجرية والرقع المرسومة على الجدران[٤٥]. وقد أقر جنكيزخان بأهمية الكتابة وفوض تاتاتونغا لإستخدام الابجدية الايغورية للكتابة بالمنغولية. وبعد سنتين امره بتدوين القانون المغولي، الذي انبثقت منه لائحة القانون المسماة **ياساك** (Yassaq).

ان تبني الكتابة الايغورية تطور اكثر على يد العالم التبتي **ساكيا بانديتا** (Sakya Pandita)، الذي كان يعيش في كاراكوروم منذ سنة ١٢٤٧ حتى سنة ١٢٥١، واستمرت تُهذب الى القرن الثامن عشر. بيد ان كتابة **بشاغسبا** (Pshagspa)، التي فوضت من قبل قبلاي خان وابتدعها ساكيا بانديدا، ابن اخ بانديدا المدعو بشاغسبا، لم تلق القبول ولم تستخدم الا بعد سقوط سلالة يوان في سنة ١٣٨٦[٤٦]. ان بعضاً من حجارة القبور النسطورية في المدينة الساحلية الصينية الجنوبية **زيتون** (Zaiton) منقوشة بالكتابة البشاغسبية[٤٧]. وفي القرن السابع عشر تم اشتقاق كتابات **كالميك** (Kalmyk) و**بوريات** (Buryat) و**منشوريا** من االابجدية المغولية المدونة عمودياً.

وفي سنة ١٢٠٧، دحر ابن جنكيزخان **يوشي** (Jochi) لاول مرة القيرغيزيين الذين كانوا يعيشون في جنوبي سيبيريا، والذين زعم ايضاً بانهم كانوا يضمون بعض المسيحيين. واخيراً قام باخضاعهم في سنة ١٢١٨[٤٨]. وكان الايغوريون التركيون الذين يعيشون الى جنوب شرق نايمان المغلوبة في اقليم **شينجيانغ** (Xinjiang) الحالية، والذين كانوا على قدر كبير من التطور الثقافي من البدو ايضاً في الغالب، مع اقليات نسطورية ومانية إضافة الى اقليات مسلمة في الغرب. وتشهد المسلات الحجرية التي نقشت عليها اللغة الايغورية بالكتابة السريانية على انتشار المسيحية في ذلك الوقت[٤٩]. وفي ضوء التقدم القاسي للمغول الذين لا يقهرون، قرر الملك الايغوري **بارت جوك** (Bartchuq)، الذي كان تابعاً لامبراطورية **قره خيتاي** (Kara Khitai)، في سنة ١٢٠٩ وبشكل طوعي،



السور الخارجي لمدينة الموتى لامراء سلالة شي شيا (Xi Xia) (١٠٣٢-١٢٢٧)، بالقرب من ينشوان (Yinchuan)، اقليم ننغشيا Ningxia في الصين. وكانت تعيش العديد من الجماعات النسطورية في مملكة تانغوت Tangut حتى القرن الرابع عشر.

وضع نفسه تحت حماية جنكيزخان، الامر الذي سمح لشعبه المستقر في الغالب ومدنه النجاة من الدمار. وبعد ثمانين سنة من ذلك نال ايغوري نسطوري الشهرة، وكان هذا هو الوكيل العام **ربان بر صوما** (+١٢٩٤)، الذي سافر في سنة ١٢٨٧/١٢٨٨ كمبعوث للحاكم المغولي في ايران **ارغون** (Arghun) الى ملوك فرنسا وانكلترا، وكذلك الى البابا.

وكان هناك مناهضاً اكثر خطراً من الايغور، وهي امبراطورية **شي شي** (Xi Xi)، التي كانت تقع على حدودهم من الشرق وتماثل الاقاليم الحديثة **غانسو** (Gansu) و **ننغشيا** ومنطقة منغوليا الداخلية الغربية. وكانت قد أسست من قبل شعب التبت الشرقي المدعو تانغوت. وكانت اغلبها بوذية، لكنه كانت توجد فيها اقليات نسطورية ومسلمة كبيرة. وقد اشار روبروك الى انه لم يكن للنساطرة صليب عليه المصلوب كما وصف تمثالاً لرئيس الملائكة ميخائيل[٥٠]، في حين وجد ماركو بولو – الذي صادف في سنة ١٢٧٣ نساطرة وكنائس، وعدة مدن شرقي تركستان و**تانغوت**، بل حتى شيننغ (Xining) على الحدود مع التبت.– في مدينة شانغي (Zhangye) "ثلاثة كنائس [نسطورية] جميلة"[٥١]. وقد سافر الرهبان الحجاج ربان بر صوما وربان مرقس الى تانغوت بعد حوالي خمس سنوات. "وبلغا مدينة تانغوت [ينشوان **Yinchuan** الحالية في ننغسيا].



...رب منغوليا، موطن ...طارة في السابق.

وعندما سمع الناس بان ربان صوما وربان مرقس قد وصلا للذهاب الى اورشليم، انطلقوا لمقابلتهما، رجالاً ونساءاً، شيوخاً وشباباً، لان اهالي تانغوت كانوا مؤمنين متحمسين وانقياء القلوب"[٥٢]. وبعد عدة حملات عسكرية مغولية بين سنة ١٢٠٥ و ١٢٠٩ اعترف ملك تانغوت – الذي لم يتمكن جنكيزخان من احتلال عاصمته **ينشوان**، بالسيادة المغولية وتعهد بالمساعدة العسكرية. لكنه في سنة ١٢١٩، عندما امر جنكيزخان تانغوت بمنحه قوات للحملة التي بدأت ضد **شاه محمد الثاني الكورسمي** (Choresm)، (+١٢٢٠)، الذي كانت امبراطوريته تمتد من القوقاز الى الهند وسمرقند، ترددوا في الايفاء بوعدهم في تقديم المساعدة. إضافة الى ذلك، فإن القائد العام لـ **شي شيا**، الجنرال آسا غامبو، سخر من السفراء المغوليين قائلاً، "إن لم تكف قواته فهو [جنكيز خان] لا يستحق ان يكون حاكماً"[٥٣].

وبعد ان قام جنكيزخان بغزو كورسم ونهبها، انتقم انتقاماً شديداً لهذا التمرد العدائي. وفي خريف عام ١٢٢٦ قام بهجوم على **شي شيا** وهزم التانغوت في عدة معارك. ورغم ان جنكيز خان توفي قبل ان تضع الحرب اوزارها في سنة ١٢٢٧، إلا انه كان قد امر قبيل موته بتدمير العاصمة تانغوت وتسويتها بالارض، وذبح كل سكانها

– وهذا ما حدث. وقد عثر العالم الروسي **بي كي كوزلوف** (P.K. Kozlov)، في التنقيبات التي اجراها في سنة ١٩٠٨-١٩٠٩ في **كارا خوتو** (Kara KhotoK) ٦٣٠ كم شمال غرب **ينشوان**، على عدة نتف من مخطوطات نسطورية باللغة التركية والخط الاسطرنجيلي، الامر الذي يبين بأنه كانت هناك جماعة سريانية شرقية على حدود تانغوت مع منغوليا ايضاً[٥٤].

كوجلوك النسطوري والقبائل التركية في قيرغستان الحالية

عندما قام جنكيز خان بغزو التحالف القبلي للنايمان، نجح **كوجلوك**، نجل الملك الصريع، في الهرب الى الغرب. وانتهت به سلسلة اسفاره في **بالاساغون** (Balasagun)، عاصمة امبراطورية **قره خيتاي**، التي كانت تقع في وادي **جو** (Chu) في ارض **الانهار السبع سميرجتسيشي** (Semirjetschie)، الى الشرق من العاصمة الحالية قيرغيستان. وكان الحكام هناك من احفاد شعب خيتاي المغولي، الذين كانوا يحكمون شمال الصين منذ سنة ٩٠٧ الى سنة ١١٢٥ تحت اسم سلالة **لياو** (Liao Dynasty). وعندما طردوا على يد **جن** (Jin) المنشوريين، قامت اقلية من الخيتاي المتأثرة بشدة بالصينية بالهرب الى الغرب. وفي حوالي سنة ١١٣٠ وانتزعت قيرغيستان الشمالية من **كاراثانيي كاشغاريا** (Kathgarnids of Kashgaria) المسلمين. ثم قام القره خيتاي بعد ذلك بغزو **ترانسوشانيا** و **كاشغاريا**[٥٥]. أن النصر الكاسح لـ **خان يلو داشي** (Khan Yelu Dashi) غير المسلم (حكم في ١١٣٠-١١٤٣) على الحكام المسلمين الاقوياء ركن **الدين محمود السمرقندي** في سنة ١١٣٧ وسيده الاقطاعي، سلطان **السانجاريين السلاجقة** (Seljuks Sanjar)، في سنة ١١٤١، مهد في اكبر الظن ارضية خصبة لاسطورة الكاهن – الملك جون المسيحي. وفي حوالي سنة ١١٤٥ روى المؤرخ **اوتو** الذي من **فريزنغ** (Otto of Freising)، (١١١١-١١٥٨)، بأن الشيخ السرياني الشرقي هزم الملوك المسلمين في آسيا، وكان ينوي تحرير فلسطين. ان كون **يلو داشي** غير مسيحي بل بوذيا لم يلعب اي دور، طالما ان اوربا في ذلك الوقت لم تكن تعلم عن البوذية، وكانت تعتقد بأن عدو المسلمين المنتصر لابد وان يكون اميراً مسيحياً[٥٦]. وقد بدت الان للامراء الاوروبيين امكانية الفوز بهذا الحاكم الاسيوي الغامض حليفاً في القتال ضد الاسلام. وفي الحقيقة فإن حكام قره خيتاي كانوا حالة فريدة، لانه، ولاول مرة في التاريخ، يتم ايقاف فرض الدين الاسلامي على مجتمع ما، وصدّه. ورغم ان غالبية شعوب قره خيتاي التركية بقيت مسلمة، فان كل من البوذية الصينية والمسيحية النسطورية كانت قادرة على التوسع.

وقد نجح اللاجيء النسطوري كوجلوغ في نيل الحظوة لدى **غور خان يلو جيليكو** الكهل (Gur Khan Yelu Jeliku)، (حكم في ١١٧٨-١٢١١)، الذي زوجه من ابنته البوذية. لكن كوجلوغ المتعطش الى السلطة اطاح بحميه، وحكم امبراطورية قره خيتاي التي غدت ضعيفة الان حتى موته في سنة ١٢١٨. وقد قام المغتصب بتوسيع سياسات سلفه المضادة للاسلام، واجبر مسلمي **كاشغار وختان** (Khotan) على اعتناق النسطورية او البوذية. وامر بصلب الامام المعارض. وعندما بحث جنكيز خان اخيراً عن عدوه القديم كوجلوغ في سنة ١٢١٨،

شاهد قبر أمراة، مصنوع من الحجر النهري، المتحف التاريخي لطشقند، اوزبكستان. ويذكر الحجر اسم كوشتانز (Kushtans)، ام اسباهسالار Ispahsalar" [قائد جيش فارسي] ومؤرخ في ١٥٣٧ بحسب التقويم السلجوقي، الذي يقابل التقويم الميلادي ١٢٦٢. "[٥٧]



الصورة المقابلة الى الاسفل:
شاهد قبر نسطوري، متحف توكتوغول ساتولغانوف (Toktogul Satulganov). ويحمل شاهد القبر هذا، الذي اكتشف في سنة ١٩٦٣، قرب سارو على الضفة الجنوبية لبحيرة ايسيك – كول (Issyk-Kul)، نقشاً كتابياً مطولاً باللغة التركية والكتابة السريانية، هذا نصها: "وفقاً لتقويم الملك اسكندر، نصب الخان جنكشي (Jenkshi) نفسه في سنة ١٦٤٧ (اي ١٣٣٥م)، في الرابع عشر من كانون الاول... وعند الخيط الاول من الفجر، في سنة الفار، على العرش، على رأس الامبراطورية [اراضي الشاغاتانيين Chagatanids] واعدّ لألما خاتون Alma Khatun هذه ذكرى [؟]... كانت عروس جديدة [؟]... هربت هذه المرأة في سنة الخنزير... وتوفيت في عمرها السادس والعشرين تماماً...

التتمة في الصفحة التالية ....



ثار مسلمو قره خيتاي وسلموا مدن **بالاساغون** و**كاشغار** الى المغول دون قتال. وبموت كوجلوغ، الذي قتل اثناء هربه، مات آخر امير نسطوري مغولي[٥٧].

وبعد موت جنكيزخان اصبحت ارض الانهار السبع تحت سيطرة ابنه الثاني **جاغاتاي** (+١٢٤٢)، الذي قدم الدعم للمسيحيين. بيد ان المناطق الواقعة على طول نهري **جو وتالاس** انشغلت في صراع على السلطة بين المغول، ادت الى افول التجارة والزراعة. وكنتيجة للتصحر الزاحف، تحولت الاراضي الصالحة للزراعة الى مراعي، وهكذا حل مجتمع بدوي محل الثقافة الزراعية والمدنية السابقة. ثم وضع الطاعون في سنة ١٣٣٨ و ١٣٣٩ نهاية للجماعة النسطورية في وادي جو، لانه قضى فعلياً على كل السكان المستقرين، مثلما يمكن للمرء ان يستنتج من العدد الهائل من حجارة القبور التي تعود الى ذلك الزمن. وفي الوقت ذاته قام السلطان المسلم علي بذبح اسقف روماني كاثوليكي وستة مبشرين في منطقة **المالك**[٥٨]. ويعود اخر حجارة القبور المسيحية من بين حوالي ٦٥٠ حجراً معروفاً في قيرغيستان الى ١٣٤٥، وآخرها من المالك يعود الى سنة ١٣٧٢[٥٩].

إن ازدهار المسيحية النسطورية في امبراطورية قره خيتاي – أي المنطقة التي كان يحكمها احفاد **جاغاتاي** – واضح من روايات السفر التاريخية والاكتشافات الآثارية. وقد روى ماركو بولو الذي وصف شاغاتاي خطأ بأنه مسيحي، عن مسيحيين نساطرة وكنائس في سمرقند و**كاشغار ويارقند** (Yarkand)[٦٠]. وفي الحقيقة فان البطريرك **ايليا الثالث** (شغل الكرسي في ١١٧٦-١١٩٠) اضاف الى مطرافوليطيات سمرقند وتوركستان مطرافوليطا هو **يوحنا كاشغار** في الغرب البعيد من **شنجيانغ**[٦١]. وفي حوالي سنة ١٢٨١ و١٣٥٠ كانت **المالك** التي تبعد ٥٠٠ كلم شمال

كاشغار * على نهر **ايلي** (River Ili) الكرسي المطرافوليطي مع تانغوت[٦٢]. وعندما زار الربان **بر صوما** والربان **مرقس** كاشغار، ست او سبع سنوات بعد ماركو بولو، "كانت المدينة خالية من سكانها، لأنها كانت قد نهبت من قبل العدو"[٦٣]. غير ان كاشغار في سنة ١٣٤٠ كانت يستشهد بها على انها كرسي مطرافوليطي. اضافة الى ذلك، وحتى القرن العشرين كانت هناك جماعات مسيحية في **خوتان** و**آسكو**[٦٤]. وكما روى اليسوعي البرتغالي **بنتو دي غوز** (Bento de Goes)، (١٥٦٢-١٦٠٧) فإن حاكم كاشغار المسلم في سنة ١٦٠٤ كان مدركاً بان اسلافه كانوا مسيحيين[٦٥].

واغلب الادلة الآثارية على انتشار المسيحية النسطورية في الالخانية الشاغاتية تاتي من ارض الانهار السبع. وهناك ما يقرب من ٦٢ شاهد قبر عثر عليها في اواخر القرن التاسع عشر في وادي جو في مقبرتين من مقابر العصور الوسطى لـ **كاراجيغاك** (Karajigak)، عشر كيلومترات جنوب شرق **بشكك** (Bishkek) و**بورانا** (Burana) قرب **توكماك** (Tukmak) ٦٢ كلم شرقي بشكك. ولسوء الحظ قد فقد ما يقارب ٥٠٠ شاهد قبر في حريق للمتحف في سنة ١٩٣٩. وقد عقبت ذلك بعض الاكتشافات في المناطق المجاورة في **كراسنايا ريجكا** (Krasnaja Rejka) و**كوك دجار** (Kok Djar) وكذلك في **سارو** (Sarru) على الضفة الجنوبية الشرقية من بحيرة **أيسيك – كول** (Issyk- Kul) وفي **المالك** المركز الاسقفي، التي كانت عاصمة لشاغاتاي وخلفائه[٦٦]. ومايزال ما مجموعه ٢١٠ الى ٢٢٥ شاهد قبر باقياً[٦٧]. وتعود اقدم شواهد القبور الى السنوات ١٠٩٥ و ١١١٥. لكنها توجد باعداد كبيرة ابتداء بسنة ١٢٥٠ فقط، لكي تسمح بالاستنتاج بأن الجماعة النسطورية كانت مزدهرة هناك مسبقاً في فترة **قره غيتاي**، لكنه تم توسيعها فيما بعد إما بسبب النشاط التبشيري او لقدوم المستوطنين المسيحيين (إليها). وكان يجري نقش صليب على كل حجر قبري، والعديد منها تحمل نقوشاً كتابية. وكان المسيحيون ذوي الاصل التركي يقومون بنقش حجارة قبورهم بالكتابة الاسطرنجيلية، وغالباً باللغة السريانية وبين حين وآخر باللغة التركية، الامر الذي يوحي بان السريانية كانت لغة طقسية[٦٨].

وكانت حملات الحرب والنهب المغولية التي عقبت موت **كوجلونغ** موجهة بشكل رئيس ضد الدول المسلمة مثل **كورسم**، لكن النساطرة المسيحيين عانوا بشدة بسبب القتال المرعب. وقد كان الامر هكذا تماماً لان النساطرة في ذلك الوقت كانوا يعيشون بشكل رئيسي في المدن، حيث سويت بالارض كل مدينة قاومت المغول، وذبح سكانها عن بكرة ابيهم. وكان التسامح المغولي تجاه الاديان يتوقف في زمن الحرب، فور ظهور مقاومة. وفي اثناء النهب المنظم والدمار لخراسان وافغانستان بين السنوات ١٢٢٠ و١٢٢٢ دمرت المدن التالية وقتل سكانها: **كورجنك** (Gurgentch) مع 1,250,000 قتيل، **ونيسابور** مع 500,000 الى 1,500,000 قتيل، **ومرو** التي قتل فيها 700,000 الى 1,300,000، **وباميان** التي قتل فيها 500,000 – وهنا قتل المغول كل الكلاب والقطط ايضاً – **وهرات** التي قتل فيها 1,600,000، **وغازنا** (Ghazna) **وبلخ** مع مئات القتلى في كل واحدة منها. وقد نهبت **سمرقند وبخارى** تماماً، كما ان السكان من الذكور قدموا ضحايا كدروع بشرية في طلائع الهجوم

* كاشغار = ليست كشكر العراقية [المترجم]

التالي على المدينة. وكان المغول يتركون ورائهم بعد كل غزو اكواماً من الانقاض وحقولاً من الجثث، وكان مجموع ما قام 150,000 محارب مغولي تقريباً بقتله، هو 6,000,000 شخصاً. والذين كان من بينهم حوالي ٥ بالمائة مسيحيين[٦٩]. بيد ان حالات الطرد الجماعي الاضافية شجعت على انتشار الاسلام في غرب ووسط الصين.

وتبدو النتائج البعيدة المدى بنفس المستوى من الاثارة، حيث تحولت اراضي الواحات لخرسان وافغانستان، التي اشتهرت بخصوبتها، الى صحراء تماماً. وقد جردت مناطق كاملة من سكانها، واصاب الدمار قنواتها الاروائية، كما تحولت الارض الصالحة للزراعة الى ارض مُراحة*. ان الصحارى الموجودة اليوم في خرسان وافغانستان ليست كلها مظاهر طبيعية بل صنعتها يد الانسان، وحصيلة حملة من الغزوات البدوية ذات الاحجام الهائلة.

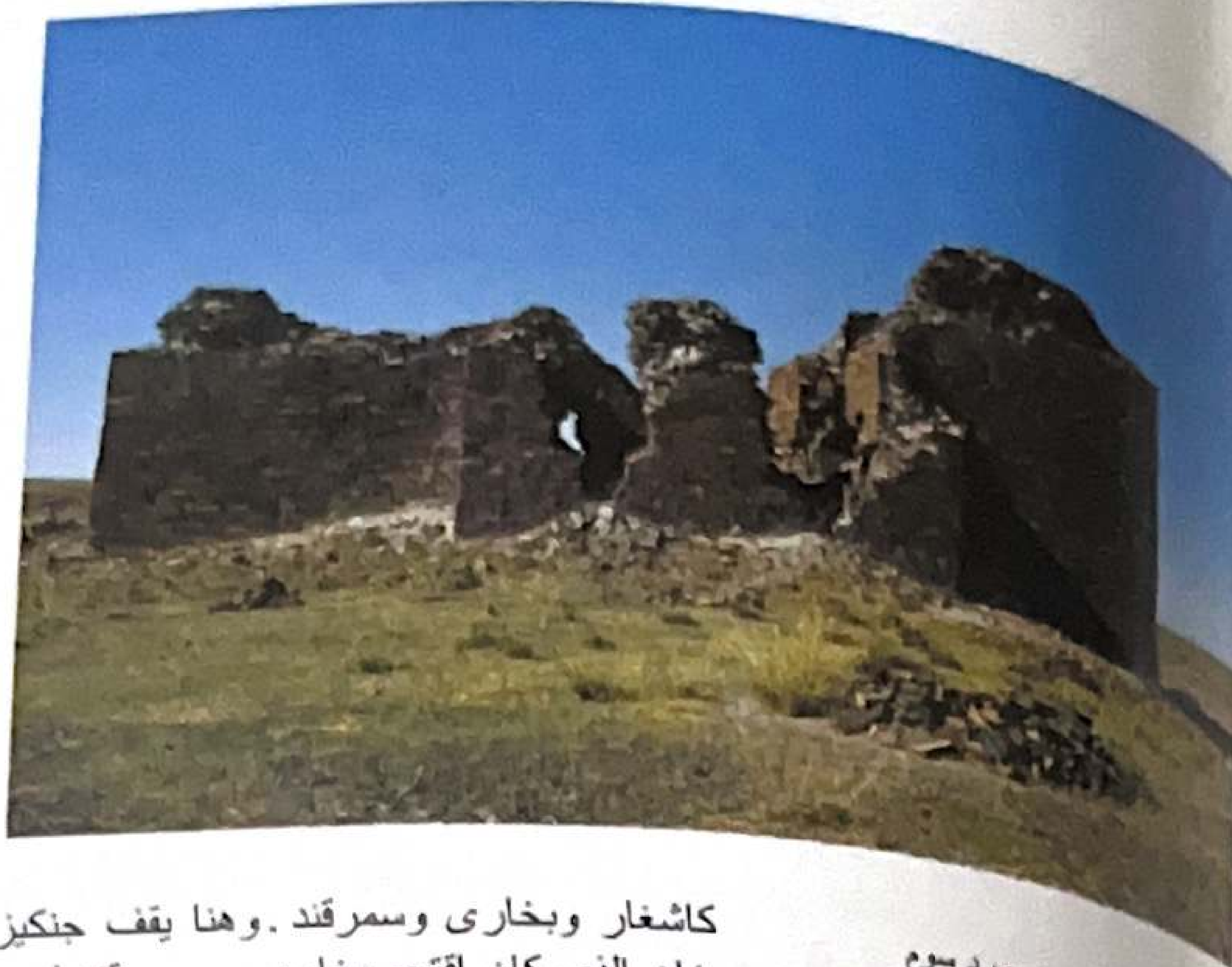
اسطورة برستر جون ومواجهة الرهبان الكاثوليك مع النساطرة في منغوليا

نشات خلفية اسطورة الكاهن – الملك المسيحي في آسيا عن طريق الحروب الصليبية، التي بدأت في سنة ١٠٩٧ لتحرير فلسطين من المسلمين الذين كانوا يمنعون الحجاج الاوربيين من القيام برحلة الحج. وبعد انشاء **الايرليات** (Earlsdoms) الافرنجية في الرها وانطاكيا في سنة ١٠٩٨ والغزو السريع لاورشليم في سنة ١٠٩٩، اصبحت المقاومة الاسلامية قوية. وفي سنة ١١٤٤ فقدت اول دولة صليبية، وهي **ايرلية** الرها بيد **زنكي**، حاكم الموصل وحلب (+١١٤٦)، الامر الذي حدا بالصليبيين المحاصرين البحث عن حلفاء. وليس من قبيل الصدفة انه بعد سنة فقط، روى المؤرخ **اوتو فون فريزنغ** (Otto von Freising) لاول مرة بأن ملكاً مسيحياً فاضلاً وتقياً في اسيا كان هزم الحكام المسلمين[٧٠]. وبعد ان قدم فون فريزنغ النسخة الثانية من تقريره الى الامبراطور **فريدريك بربروسا** (Emperor Fredrick Barbarossa) الاول في ١١٥٧، ظهرت رسالة **برستر جون** المزيفة بين سنوات ١١٦٠ و ١١٦٥ الى الامبراطور **مانويل** كومنينوس الاول (Emperor Manuel Komnenos) الذي حكم(١١٤٣–١١٨٠)، والتي كلف بها المستشار الامبراطوري **رينولد الداسلي** (Rainald of Dassel)[٧١].

وقد تم توفير المادة لها من قبل النساطرة الذين كانوا يعيشون في سوريا وفلسطين، والذين اخبروا الصليبيين عن وجود امراء مسيحيين بين الشعوب التركية المغولية. ولما كان برستر جون بالنسبة للاوربيين شخصية اسطورية مبهمة، فإن العديد من الامراء المسيحيين عبر فترة طويلة كانوا بمثابة شخصيات خلفية. ومن بينهم الامير القيراطي الذي لم يكن معروفا بالاسم، الذي ادعى المسيحية في سنة ١٠٠٧، وخلفاؤه فيما بعد **مرقس، وقرياقس وطغرل خان**، وملك قره غيتاي المدعو **يلو داشي**، وغور خان **كوجلونغ**[٧٢]. وقد حدث اتصال مؤكد تاريخيا بين الصليبيين والنساطرة بين ١٢١٧ و ١٢٢١، عندما رافق الاسقف **يعقوب الفتري** (Bishop Jacob of Vitry) (+١٢٤٠) الحملة الصليبية الخامسة على مصر ولقي سرياناً شرقيين في دمياط. وقد اشار في رسائله الى رعايا الملك المسيحي كنساطرة، ووصف الملك داود الذي كان الحفيد الاعلى لبرستر جون، وكان قد غزا

---

* ارض تزرع بين موسم وآخر [المترجم]



خربة مجمع خوخ بورد سوم Khukh Burd Sume، وسط منغوليا. ان الخارطة الارضية البناية المؤلفة من طابقين، والتي تعلو الى حد سبع امتار، جاءت على شكل صليب. وقد شيد هنا قصر في القرن السابع عشر فوق خرائب معبد اقدم من القرنين الحادي عشر/الثاني عشر[٦]. ولما لم تكن البوذية في تلك الايام قد حققت موطىء قدم في منغوليا، كما ان اتباع التنغرسمية الشامانية لم يكونوا قد شيدوا ابنية مقدسة ثابتة، فإن السؤال الذي يثار، هو، ما إذا كان قد اسس هنا ضريح مسيحي - نسطوري في منطقة قيراط المسيحية.

كاشغار وبخارى وسمرقند. وهنا يقف جنكيز خان الذي كان اقتحم بخارى وسمرقند في سنة ١٢٢٠، خلف الملك المسيحي الاسطوري[٧٣]. وفي بداية الامر، وبسبب التقارير غير الدقيقة، كان في مقدور الامراء الاوربيين الغربيين والبابا اعتبار المغول الغزاة حلفاء ممكنين ضد الدول الاسلامية للشرق الاوسط، بيد ان الهجمات ضد الممالك والامارات المسيحية لجيورجيا في سنة ١٢٢١ وروسيا في سنة ١٢٢٣، اضافة الى تدمير اغلب مدن روسيا واوكرانيا وهنغاريا وبولندا وبوهيميا ومورافيا ودالاماتيا بين السنوات ١٢٣٧و١٢٤١، منحتهم درساً افضل.

ولم يكن المغول مسيحيين اتقياء، بل شعب محارب حقق جيشهم تنظيماً وانضباطا اعلى لا يضاهى من قبل جيوش اوربا الغربية. وكان موت اوغودي (Ogodei) في سنة ١٢٤١ هو الذي انقذ اوربا من الدمار، لان انتخاب خان جديد كان يتطلب حضور الامراء والضباط الكبار - وقد اختفى الفرسان المغول بنفس السرعة التي تدفقوا بها من السهوب القاحلة. ومن اجل انقاذ اسطورة جون، "روى" المؤرخ **اولبرخ التروازفونتاني** (Alberich of Troisfontaine)، (+١٢٥٩)، بأن الملك يوخنا قد قتل في تمرد، مما فسح المجال امام البحث عن ورثته[٧٤].

وكانت اوربا الغربية مدركة لخطر المغول المرعبين. ورغم ان الامراء المغول لم يكونوا مسيحيين، إلا انهم كانوا دمروا الامبراطورية الاسلامية القوية في كورسم، اضافة الى ذلك، فإن الكثيرين من المسيحيين كانوا يعيشون في ظل حكمهم. كما ظلت الشائعة قائمة من ان الحكام المغول كانوا مستعدين لقبول الايمان المسيحي. إن هذه العوامل، إضافة الى سقوط اورشليم ثانية بيد المسلمين في سنة ١٢٤٤، حدت بالبابا **انوسنت** (Innocent) الرابع (جلس على الكرسي البابوي بين ١٢٤٣-١٢٥٤)، والملك لويس التاسع ملك فرنسا (حكم ١٢٢٦ - ١٢٧٠) الى المبادرة بالاتصال المباشر بالخانات المغول الكبار، من اجل ابعادهم عن اوربا، واستكشاف امكانات تحالف ستراتيجي. كما كان البابا يأمل ايضاً في ان يكون قادراً على الفوز بالنساطرة والعودة بهم الى "الايمان الحقيقي".

وقد انتهز البابا انوسنت الرابع المبادرة، وارسل اربعة وفود في تعاقب سريع. وبينما لم يصل **لورانت** (Laurent) البرتغالي، الذي عُيّن في سنة ١٢٤٥، في اكبر الظن إلا الى التحصين المغولي على بحر قزوين، فإن **جون كاربيني** (John of Plano Carpini)، (١١٨٢-١٢٥٢) بلغ هدفه، حيث لقي اولا **باتو** (Batu) (+١٢٥٥)، خان القبيلة الذهبية المغولية، الذي كان يبسط سلطته على روسيا

والقوقاز، ثم حضر فيما بعد في صيف سنة ١٢٤٦ تقليد السلطة للخان الكبير **غويوك في قره قرم** Karakorum. وقد اندهش كاربيني ليس فقط من حضور العديد من المسيحيين من مختلف الطوائف في معسكر الخان الكبير، بل ايضا من حقيقة ان النساطرة كانوا يشغلون اعلى مناصب الدولة.

ومن بين هؤلاء المستشار الامبراطوري **جنكاي** (Chinkai)، (+١٢٥٢/١٢٥١)، الذي كان يحكم شمال الصين بصورة مستقلة، "حيث لم يكن من الممكن اعلان مرسوم دون موافقة جنكاي المكتوبة باللغة الايغورية"، ومعلم غويوك القائد العسكري، والاداري الامبراطوري، **كاداك** qadaq (+١٢٥٢/١٢٥١)[٧٥]. ولكن رغم ان غويوك احاط نفسه بوزراء نساطرة، إلا انه لم يذهب الى حد التفكير في العماد او دعم الحروب الصليبية. بل العكس من ذلك، فرسالتاه الى البابا تتضمنان تهديدات بالحرب لا تكاد تخفى: "هذا مرسوم الى البابا الكبير.



...ثة سلاحف حجرية فقط
...ابة قواعد لمسلات،
...قره قرم Karakorum
...في يوم ما عاصمة
...رية المغولية. ولم
...يات التي بدا بها
...الالمان في سنة
...حتى الان على الكنيسة
...ة التي وصفها

لقد ارسلت لنا عرضا بخضوعك، الذي قبلناه. وقلتم بأن علي ان أصبح مسيحيا مرتعشا، واعبد الله واصير ترويضيا. ولكن كيف لكم ان تعرفوا لمن يغفر الله ولمن يظهر الرحمة؟ ها ان كل الارض من حيث تشرق الشمس الى حيث تغيب قد اصبحت خاضعة لي. فمن ذا الذي كان قادرا على القيام بذلك ضد امر الله؟ وعليه، فإن كنت تقبل السلام، عليك شخصيا وعلى راس الملوك، على جميعكم دونما استثناء، ان تأتوا وتقدموا لنا الخدمة والاجلال. ولكن ان لم تؤمنوا برسائلنا وبأمر الله، عندئذ سوف نعلم علم اليقين انكم ترغبون في الحرب. ولا يعلم الا الله ماذا سيحدث"[٧٦]. ويظهر جواب كويوك حدود تأثير اصحاب المقامات الرفيعة النساطرة، الذين كانوا يميلون على نحو واضح الى اخوتهم المؤمنين الاوربيين. إن موت كويوك بعد سنتين فقط من الحكم انقذ اوربا من حملة ثالثة، لان خليفتاه **مونكي وقوبلاي خان** ما عادا يوجهان سياساتهما نحو الغرب بل نحو الشرق.

ومن كانوا اقل حنكة من كاربيني هما الدومنيكيان **اسلين الكريموني** (Ascelin of Cremona) و**سيمون القديس كوينتن** (Simon of St.Quentin)، الذين تحدثا امام **الجنرال بايجو** (General Baiju) في ارمينيا في سنة ١٢٤٧. لقد اثار سلوكهما المتعجرف غضب القائد الذي حكم عليهما بالموت، وكانا مدينان لانقاذهما من الموقف وصول آمره الجيغيدي (Elijigidei)، الذي اعادهما مع رسالة الى البابا يرافقهما النسطوري المغولي **سركيس**. وبعد سنة من ذلك ارسل الجيغيدي، الذي كان يخطط لهجوم على بغداد في صيف سنة ١٢٤٩، اثنين من نساطرة شمال العراق، **مرقس وداود**، الى قبرص الى الملك **لويس** التاسع ملك فرنسا.

وعرض على لويس تحالفا عسكريا ضد المسلمين المناوئين للصليبيين، وطلب من الملك المسيحي التقي أن يتولى حماية كل المسيحيين الساكنين في دول الصليبيين، وبضمنهم النساطرة[٧٧]. وعندما اخبر النسطوريان لويس بأن ام كويوك المدعوة **توريكين** (Torekene) كانت مسيحية، قرر ارسال الدومنيكي **اندرو دي لونغجمو** (Andrew de Longjumeau)، الذي كان سافر الى تبريز في سنة ١٢٤٧/١٢٤٦، الى الجيغيدي والى الخان الكبير. وعندما وصل الى منغوليا في سنة ١٢٥٠، التقى بارملة كويوك المدعوة **اوغول قيميش** (Oghul Qimish)، التي كانت تحكم بصفة الوصية على العرش. وكان ردها فاترا، لانها رفضت تحالفا عسكريا، وطالبت بالجزية بدلاً من ذلك[٧٨].

إن اوربا الكاثوليكية لم تخطىء في الحكم على الحكام المغول وسياساتهم فحسب، بل اظهرت ايضا فهما قليلاً بكنائسها الشقيقة المكتشفة. وهنا قام الدومنيكيان بالحكم بالهلاك الابدي على كاهن الاعتراف النسطوري للاميرة **سرقاقتان** (Surqaqtan) وممثل الشؤون المسيحية لفترة طويلة، **رباناتا** Rabbanata (+١٢٥٩)، الذي لقياه في تبريز على انه "مغتصب وساحر وهرطوقي محكوم عليه بنار جهنم"[٧٩]. ان دعم رباناتا للسريان الشرقيين الذين كانوا يعيشون في الدول الصليبية هو الذي اثار في اكبر الظن غيظ الدومنيكيين. واثناء الزيارة الاولى التي قام بها لونغجمو الى تبريز، كان رباناتا قد سلمه رسالة موجهة الى البابا، طالب فيها بالوحدة المسكونية بالصلاة، مطالبا الصليبيين بالكف عن مضايقة النساطرة الذين كانوا يعيشون في المناطق التي كانت تحت حكمهم[٨٠]. ورغم ان اوربا الكاثوليكية كانت تظهر امام المغول اشبه بمتوسل، الا انها لم تكن قادرة على التغلب على عجرفتها الاعترافية، والاحكام المسبقة بشان المسيحيين الشرقيين. بيد ان الارمن اعترفوا باستحقاقات رباناتا دون تحفظ، رغم انهم، باعتبارهم مايافيزيتيين، كانوا يرفضون المسيحانية السريانية الشرقية. وكان رباناتا قد أرسل الى القوقاز وانربيجان مسلحا بسلطة واسعة النطاق من اوغودي لمنع ذبح المسيحيين العزل من كل الطوائف. وقد كتب المؤرخ الأرمني **كيراكس** (Kirakos) قائلا: "أسس الكنائس في المدن المسلمة حيث كان حتى ذلك الحين قد مُنع من النطق باسم المسيح. لقد بنى الكنائس ورفع الصلبان وأمر بإقامة صلوات العبادة بالمواكب والشموع والانشاد. وجميع العشائر المنغولية قد اظهرت احترامها له"[٨١].

ورغم رفض اوغول قيمش لم يفقد الملك لويس الامل فارسل الفرنسسكاني **وليم الروبوركي**، الى الخان الكبير. وفي صيف سنة ١٢٥٣، وفي مقاطعة **كولدن هورد** (Golden Horde) قرب نهر فولغا، قابل روبروك الابنُ الاكبر لـ **باتو خان** (Batu Khan) **سرتاق** (Sartaq) وكان نسطوريا. لكنه لم يحكم إلا لفترة قصيرة، منذ سنة ١٢٥٥ حتى سنة ١٢٥٦، لان عمه المسلم والخليفة على العرش **بيرك** Berke (حكم ١٢٥٧-١٢٦٦) كان قد دسّ له السم[٨٢]. ورغم انه فات روبروك ملاحظة ان سرتاق كان مسيحيا، إلا انه لاحظ فعلاً اعتناق عمه للاسلام[٨٣]. وكان يكمن في اعتناق الاسلام ذاك بذور النزاع بين الامبراطوريتين المغوليتين الغربيتين: **القبيلة الذهبية** (Golden Horde)، التي جُعلت أن تعتنق الاسلام تدريجيا، والايلخانات الايرانيين الذين كانوا يميلون اكثر الى المسيحية. وبعد



خارطة شرقي آسيا على هيئة لوحة
جدارية في سالا دل ماب Sala
del Mappe المسماة ايضا سالا
ديللو سكودو Sala dello Scudo،
ي قصر دوغس Doges في
نيسيا، القرن السادس عشر، تم
ميمها في القرن الثامن عشر.
بدو على الخارطة التي الشمال
ا في الجنوب، والجنوب في
مال، العاصمة القديمة
براطورية المغول كاراكوران
د قرم)، في الوسط الاسفل
اصمة الجديدة كامبالو
Camb (بيجينغ Beijing) الى
ار منها.

اقل من اربع سنوات من استحواذه على السلطة، دخل بيرك في تحالف عسكري مع العدو اللدود للالخانيين، وهم المماليك المسلمين في مصر. وكانت القناعات الدينية اقوى من مثيلاتها الاسرية والعشائرية، التي دمرت على نحو لا يمكن اصلاحه الامبراطورية المغولية العالمية وانقذت مصر المسلمة من المصير الذي لاقته بغداد.

بقي روبروك مع المغول للنصف الاول من سنة ١٢٥٤، اولاً في خيمة مونغك الجلدية ومن ثم في العاصمة قره قرم. وهنا استقبله الاكليروس النسطوري بحرارة. "وتقدمنا نحو الكنيسة التي صليبها مرفوعاً في الاعالي مع العلم. ولاقانا النساطرة في موكب. وبعد دخول الكنيسة وجدناها معدة للقداس. وبعد الاحتفال بالقداس تناول الجميع القربان. كما سألوني ايضاً ان كنت ارغب بذلك"[٨٤]. ان النساطرة لم يكتفوا بدعوة روبروك الكاثوليكي الى الشركة المسكونية بل سمحوا له ايضاً باستخدام الكنيسة لكي يستطيع تعميد ثلاثة اولاد كاثوليك.. وفي عيد الفصح قاموا بعد ذلك بدعوة كل المسيحيين من مختلف الطوائف - الارمن والجيورجيين والملكيين الآلانيين (Melkite Alans)، والروس والهنغاريين والاوربيين الغربيين - الى صلاة عبادة مشتركة. ومع ذلك، ذكر روبروك في رواية رحلته تعليقات استخفافية حول الكهنة النساطرة: كانوا

سكارى وجهلاء وفاسدين وطماعين، وكانوا يتزوجون عند موت زوجاتهم، كما ان اساقفتهم كانوا يرسمون الاولاد ككهنة[٨٥]. كما شكا ايضاً من ان النساطرة كانوا ازالوا الشكل المصلوب من الصليب الفضي الذي كان قد صاغه صائغ الفضة وليم من قره قرم للمستشار **بلغاي** (Bulgai). ومع ذلك، فقد اقر بأنهم في عيد الفصح "قاموا بتعميد اكثر من ستين شخصاً على نحو لائق جداً"[٨٦]. وظل روبروك، رغم كل المظاهر، متضامناً مع النساطرة. وعندما امر مونكي في سنة ١٢٥٤ باقامة جدال لاهوتي كبير في العنصرة بين المسيحيين والمسلمين والبوذيين ومانيّ ايغوري، اختار النساطرة روبروك ليتحدث باسمهم. وشكلوا جبهة موحدة مع المسلمين ضد البوذيين عن طريق الدفاع عن وحدانية الله. ثم جادل النساطرة، المانويين والمسلمين. وبعد ذلك في يوم احد العنصرة، استدعى مونكي روبروك والزعماء البوذيين وبين لهم موقفه من الدين مستخدماً قياس الاصابع الخمس[٨٧].

وقد فشلت مهمة روبروك فيما يتعلق بالسياسة، لان رسالة مونكي الى الملك لويس اكدت على مطلب كويوك: "أرسلوا لنا رسلاً مبعوثين متى ما كنتم [ايها الامراء المسيحيون] راغبين في اطاعتنا. عندئذ سوف نتأكد ما اذا كنتم تريدون الحرب ام السلام معنا"[٨٨]. ولم يذكر شيئاً عن العرض الفرنسي بالتحالف ضد المسلمين. وكانت الجيوش المغولية ماتزال تبدو انها لا تُقهر وبان تقدم هولاكو، شقيق مونكي، ضد السلطات المسلمة الباقية، لا يمكن ايقافه. وفي الحقيقة هجم المغول في سنة ١٢٥٦/١٢٥٧ ودمروا قلاع القتلة المخيفين وفي سنة ١٢٥٨ هجموا على بغداد التي سقطت بعدها دمشق، واندفع المغول باتجاه غزة. - لكنه حدث عندئذ ما لم يكن في الحسبان. فقد توفي مونكي، وهددت القبيلة الذهبية الحدود الشمالية لايران. فعاد هولاكو الى ايران مع اغلب القوات، وترك قائده النسطوري **كتبوكا** (*Kitbuqa*) مع القليل من الجنود فقط، الامر الذي كان يعنى ان الاخير لم يكن يستطيع ان يصمد امام **الامير بيبرس** (Baibars)، (+١٢٧٧) حاكم مصر القوي إلا بمساعدة الصليبيين. ولكن بدلاً من تشكيل جبهة موحدة مع الجنرال المغولي المسيحي ضد العدو المسلم المشترك، سمحت البارونات الافرنجية لبيبرس بالمرور الحر عبر اراضيهم. فاصبح من السهل لبيبرس الحاق الهزيمة الكاملة بكتبوكا الذي كان يقله عدداً على نحو واسع عند **عين جالوت** قرب الناصرة وقطع راسه. وقد "شكر" بيبرس الصليبيين على مساعدتهم باحتلال اغلب المدن الساحلية، مثل يافا والقيصرية وانطاكيا. ومنذ ذلك الحين غدت الايلخانات المغول في ايران في وضع الدفاع وبدوا - لانقلاب الحظ - امام الاوربيين الغربيين خاضعين، وقد كانوا قبل ذلك ببضع سنوات محتقرين. بيد انه كان لانتصار المسلمين في عين جالوت بالنسبة الى كنيسة المشرق آثار كارثية بعيدة المدى[٨٩].

امراء مغول نساطرة وشخصيات نسطورية مرموقة

وجدت كنيسة المشرق نفسها في زمن الخانات المغولية الكبيرة وسلالة يوان (Yuan Dynasty) في الفناء الامامي للسلطة ان صحّ التعبير. ان حسن النية التي أظهرت تجاه المسيحيين كانت تقوم على ثلاثة اعتبارات: الاول التسامح الديني التقليدي لحكام المغول، الذي افاد كل الاديان، ثانياً، التحالفات العسكرية البعيدة المدى التي اقيمت

عبر عدة اجيال بين اسرة جنكيز خان والقبائل التركية المغولية ذات العقيدة المسيحية، وثالثا، المستوى الثقافي العالي للنساطرة.

وقد ثمن الخانات الثلاثة الكبار الذين خلفوا جنكيز، وهم اوغودي وغويوك ومونكي بشكل خاص خدمات النساطرة الذين كانوا يحسنون القراءة والكتابة. وفي ظل حكم مؤسس سلالة يوان، قبلاي خان (١٢٦٠-١٢٩٤)، ظهر هناك حافزان اضافيان لتفضيل النساطرة. اولا، قام قبلاي خان، بعد غزو الصين الجنوبية، الذي تم في سنة ١٢٧٩، بتقسيم المجتمع الى اربعة طبقات اجتماعية: يأتي على رأسها المغول ثم الاجانب مثل الآسيويين من وسط آسيا والايرانيين، وثالثاً الصينيين الشماليين، واخيراً الصينيين الجنوبيين. وكانت الطبقتان الاوليتان مفضلتين في التعيين للمناصب العليا. وكان النساطرة، الذين كان عددهم قليلاً مقارنة بمجموع سكان الصين، مُمثلين بصورة غير متناسبة في الطبقتين الاولى والثانية، وكادوا ان يكونوا غير موجودين ضمن الطبقات السفلى ابداً. ثانياً، كان الامبراطور يكن نوعاً من الشك تجاه المسلمين لان مفهوم الحرب المقدسة، الموجود في القرآن، كان يناقض المبدأ المغولي في التسامح الديني[٩٠].

وكانت اشهر الاميرات المغوليات واكثرهن نفوذاً، هي ابنة اخ الملك القيراطي المهزوم **طغرل**، المدعوة **سوركاكتاني- بيكي** (+١٢٥٢)، التي زوجها جنكيز خان من ابنه **طولوي** بينما تزوج هو من شقيقتها أيباكا – بيكي، وقام بتزويج شقيقتها الاخرى **بكتومش- بيكي** من ابنه **يوشي**. ولم تنجب سوركاكتاني الخان العظيم مونكي، والخان العظيم والامبراطور قبلاي خان، ومنافسه اريكبوغ (Arikboge)، والالخان هولاكو، فحسب بل استطاعت ايضا، بعد موت الخان العظيم كويوك في سنة ١٢٤٩، الذي كان من بيت اوغودي، تغيير الخلافة الى بيت زوجها تولوي، الذي توفي في سنة ١٢٣٢- البيت الذي كانت تقوده. وهكذا تمكنت من المناورة على ارملة كويوك، اوغول قيميش، التي كانت بمثابة الوصي، وكانت تريد تنصيب ابن اختها المدعو **شيرامون** (Shiramon) على العرش. وقبل سوركاكتاني، تمكنت توروكين من مساعدة ابنها غويوك في احتلال العرش[٩١]. بهذه الطريقة تم التغاضي عن عشيرة كل من اوغودي ويوشي وشاغاتاي، وتم انتخاب مونكي ليكون الخان العظيم في سنة ١٢٥١. وقبل ذلك بحوالي عشرين عاما، بعد موت طولوي، كان الخان العظيم اوغودي قد حاول عبثاً اقناع سوركاكتاني بالزواج من ابنه غويوك. وفي سنة ١٣١٠، وبعد ستين سنة تقريباً من وفاتها، منحت لقب الامبراطورة، وتم الاحتفال بلترجيات وفق الطقس السرياني الشرقي في العاصمة بيجينغ وفي معبد دفنها في زانغي (Zhangye) الحالية في اقليم غانسو[٩٢].

وكانت سوركاكتاني شخصية غير اعتيادية قامت بعناية باعداد ابنائها للقيام بدورهم في المستقبل وكانت تتمتع بمهارات دبلوماسية عظيمة. وقد كتب عنها الاسقف المايافيزيتي والمؤرخ ابن العبري (+١٢٨٦): "لقد ربت هذه الملكة اولادها تربية حسنة بحيث كان كل الامراء يتعجبون من قدرتها على الادارة. [كانت تقود عشيرة طولوي منذ ١٢٣٢] وكانت مسيحية، مخلصة وصادقة مثل [الملكة] هيلين. وقد قال شاعر ما، لو قدر لي ان ارى امراة ثانية مثلها، لقلت بان جنس النساء كان اسمى

بكثير من جنس الرجال"[٩٣]. ولا بد من القول بأن المكانة الاجتماعية للنساء بين المغول كانت افضل على نحو لا يمكن مقارنته مما كانت عليه في الصين، مثلاً، او في المجتمعات المسلمة. وإنها لظاهرة بين العديد من الشعوب البدوية بأن المرأة مساوية للرجل في مجالها من الحياة، ولها مجموعة واسعة من المسؤوليات ليس فقط في الشؤون المنزلية بل ايضاً في ادارة القطعان.

وكانت ابنة عم سوركاكتاني، المدعوة **دوقوز خاتون** (Dokuz Khatun)، (+١٢٦٥)، هي الاخرى نسطورية تقية، وبطلة حازمة لدينها ايضاً. وكانت دوقوز خاتون اول الامر مثل ساركاكتاني متزوجة من نجل جنكيز خان الاصغر، طولوي، وبعد موته تزوجت من احد ابناء ابنة عمها من زواجها من طولوي، الا وهو هولاكو، فاتح بين النهرين. كما ان ابنة اخت دوقوز خاتون، النسطورية **توكيتي خاتون** (Tuqiti Khatun)، هي الاخرى تزوجت من هولاكو. وقد مارست دوقوز خاتون تأثير كبيراً على زوجها، وقامت بترتيب قيامه ببناء العديد من الكنائس التي كان هولاكو البوذي يحضر فيها القداس. كما قامت ايضاً بالعمل على رفع الاجراءات العنصرية المفروضة على المسيحيين[٩٤]. وكان لابنها **آباقا** (Abaqa)، (حكم ١٢٥٦-١٢٨٢) زوجة نسطورية ايضاً تسمى **نقدان خاتون** (Nukdan Khatun) مثلما كان لابنه آرغون (Arghun)، (حكم ١٢٨٤-١٢٩١). وكانت هذه الزوجة هي **اوروك خاتون** (Uruk Khatun) التي امرت بتعميد ابنها باسم نيقولا، لكنه تحول الى الاسلام لاسباب سياسية وحكم تحت اسم **اولغايتو** (Oljaitu)، (حكم ١٣٠٤-١٣١٦)[٩٥].

والى جانب هذه الاميرات، فان النساطرة **الخان سرتاق** والملك **غورغوس** الانغوتيين، والوزراء النساطرة، وقادة الجيش، مارسوا ايضاً تأثيراً لا يستهان به. ومن ابرز هؤلاء هو **جنكاي** (Chinkai) الذي ولد في سنة ١١٧١ تقريباً، ومن بعد ذلك **كاداك** (Qadaq). وكان كلاهما، اولاً قادة للجيش لوقت طويل تحت حكم جنكيز خان، حيث خدموا بعد ذلك اوغودي وكويوك كوزراء. وبعد سيرته العسكرية اصبح كويوك حاكماً لألطايك (AltaiK) ثم وزير الخارجية في ظل حكم اوغودي، ومستشاراً تحت ظل حكم كويوك حيث كان يحكم شمال الصين بشكل يكاد يكون مستقلاً. وكان كاداك من جانبه معلماً لاوغودي وارتقى ليصبح ادارياً امبراطورياً. وفي الصراع على السلطة الذي اندلع بعد وفاة غويوك، بين آل اوغودي وآل طولوي، انظما الى جانب ارملة غويوك اوغول قيميش ودعما عشيرة اوغودي. لكنه عندما انتصر مونكي، وبفضل امه سوركاكتاني، امر باعدام كلا الوزيرين في سنة ١٢٥١/١٢٥٢. بيد ان ذلك لم يمنع احفاد جنكاي من اشغال مناصب عليا اثناء سلالة يوان[٩٦].

وكان للنسطوري بلغاي سيرة مشابهة، فقد خدم مونكي كوزير للمالية والداخلية، وفي الوظيفة الاخيرة كان مسؤولاً عن امن الخان العظيم. وقد روى المؤرخ الاسلامي **جيوفيني** (Juvaini) بأن بلغاي ظهر في تنصيب مونكي على العرش "قائداً لكل الوزراء" - اي، كرئيس للوزراء[٩٧]. ولكن، مثل جنكاي وكاداك، اختار، بعد موت مونكي، الجانب الخطأ بقيامه بدعم الطرف الخاسر آركبوغ ضد اخيه قبلاي خان، الذي امر باعدامه في سنة ١٢٦٤.

بكثير من جنس الرجال"[٩٣]. ولا بد من القول بأن المكانة الاجتماعية للنساء بين المغول كانت افضل على نحو لا يمكن مقارنته مما كانت عليه في الصين، مثلاً، او في المجتمعات المسلمة. وإنها لظاهرة بين العديد من الشعوب البدوية بأن المرأة مساوية للرجل في مجالها من الحياة، ولها مجموعة واسعة من المسؤوليات ليس فقط في الشؤون المنزلية بل ايضاً في ادارة القطعان.

وكانت ابنة عم سوركاكتاني، المدعوة **دوقوز خاتون** (Dokuz Khatun)، (+١٢٦٥)، هي الاخرى نسطورية تقية، وبطلة حازمة لدينها ايضاً. وكانت دوقوز خاتون اول الامر مثل ساركاكتاني متزوجة من نجل جنكيز خان الاصغر، طولوي، وبعد موته تزوجت من احد ابناء ابنة عمها من زواجها من طولوي، الا وهو هولاكو، فاتح بين النهرين. كما ان ابنة اخت دوقوز خاتون، النسطورية **توكيتي خاتون** (Tuqiti Khatun)، هي الاخرى تزوجت من هولاكو. وقد مارست دوقوز خاتون تأثير كبيراً على زوجها، وقامت بترتيب قيامه ببناء العديد من الكنائس التي كان هولاكو البوذي يحضر فيها القداس. كما قامت ايضاً بالعمل على رفع الاجراءات العنصرية المفروضة على المسيحيين[٩٤]. وكان لابنها **آباقا** (Abaqa)، (حكم ١٢٥٦-١٢٨٢) زوجة نسطورية ايضاً تسمى **نقدان خاتون** (Nukdan Khatun) مثلما كان لابنه آرغون (Arghun)، (حكم ١٢٨٤-١٢٩١). وكانت هذه الزوجة هي **اوروك خاتون** (Uruk Khatun) التي امرت بتعميد ابنها باسم نيقولا، لكنه تحول الى الاسلام لاسباب سياسية وحكم تحت اسم **اولغايتو** (Oljaitu)، (حكم ١٣٠٤-١٣١٦)[٩٥].

والى جانب هذه الاميرات، فان النساطرة **الخان سرتاق** والملك **غورغوس** الانغوتيين، والوزراء النساطرة، وقادة الجيش، مارسوا ايضاً تأثيراً لا يستهان به. ومن ابرز هؤلاء هو **جنكاي** (Chinkai) الذي ولد في سنة ١١٧١ تقريباً، ومن بعد ذلك **كاداك** (Qadaq). وكان كلاهما، اولا قادة للجيش لوقت طويل تحت حكم جنكيز خان، حيث خدموا بعد ذلك اوغودي وكويوك كوزراء. وبعد سيرته العسكرية اصبح كويوك حاكماً لألطايك (AltaiK) ثم وزير الخارجية في ظل حكم اوغودي، ومستشاراً تحت ظل حكم كويوك حيث كان يحكم شمال الصين بشكل يكاد يكون مستقلاً. وكان كاداك من جانبه معلماً لاوغودي وارتقى ليصبح ادارياً امبراطورياً. وفي الصراع على السلطة الذي اندلع بعد وفاة غويوك، بين آل اوغودي وآل طولوي، انظما الى جانب ارملة غويوك اوغول قيميش ودعما عشيرة اوغودي. لكنه عندما انتصر مونكي، وبفضل امه سوركاكتاني، امر باعدام كلا الوزيرين في سنة ١٢٥١/١٢٥٢. بيد ان ذلك لم يمنع احفاد جنكاي من اشغال مناصب عليا اثناء سلالة يوان[٩٦].

وكان للنسطوري بلغاي سيرة مشابهة، فقد خدم مونكي كوزير للمالية والداخلية، وفي الوظيفة الاخيرة كان مسؤولاً عن امن الخان العظيم. وقد روى المؤرخ الاسلامي **جيوفيني** (Juvaini) بأن بلغاي ظهر في تنصيب مونكي على العرش "قائداً لكل الوزراء" – اي، كرئيس للوزراء[٩٧]. ولكن، مثل جنكاي وكاداك، اختار، بعد موت مونكي، الجانب الخطأ بقيامه بدعم الطرف الخاسر آركبوغ ضد اخيه قبلاي خان، الذي امر باعدامه في سنة ١٢٦٤.



قلعة حلب، سوريا، التي سقطت في سنة ١٢٦٠ بيد الجنرال المغولي النسطوري كتبوكا، الذي كان حاكمه هولاكو يميل كثيراً الى كنيسة المشرق. وقد احتفى مسيحيو حلب ودمشق بالمغول كمحررين لهم من النير الاسلامي. وتعود التحصينات الحالية الى السلطان الايوبي ظاهر غازي (حكم في ١١٩٣ - ١٢١٥)، وقد قام المماليك باعادة بنائها في سنوات ١٢٩٢ و ١٤٠٢ بعد الدمار المغولي لسنة ١٢٦٠ وسنة ١٤٠٠.

كما لاقى الجنرال كتبوكا، وهو نسطوري من قبيلة نايمان موتاً عنيفاً. وباعتباره خير قائد لهولاكو، شارك فعلياً في غزو بغداد سنة ١٢٥٨ وفي الحاق الهزيمة بطائفة الاسماعيلية المتطرفة (Assin) القوية. وبعد غزو حلب ودمشق عينه هولاكو حاكماً هناك. وقد رحب المسيحيون بكتبوكا وهولاكو كمحررين مرسلين من الله لتحريرهم من ستمائة سنة من عبودية الاسلام. وكان ظهور الجنرال النسطوري كتبوكا في نظر مسيحي بين النهرين وسوريا تدشيناً لعهد جديد يكون لهم لاول مرة حقوقاً مساوية مع المسلمين. وكانوا يأملون سرّاً بان يعتنق هولاكو الدين المسيحي بتأثير من زوجته المسيحية دوقوز خاتون. وقد ظهر كتبوكا بالنسبة للمسيحيين المضطهدين اشبه بمار كوركيس التاريخي الذي هجم من آسيا لكي يحررهم وينتقم لهم. وكانوا قد لاحظوا في امتنان بان المغول كانوا اثناء غزو بغداد وحلب، قد استثنوا المسيحيين من المذبحة العامة في كل مرة. وظهر لفترة قصيرة حلم، من ان المسيحيين سوف يحكمون الشرق الاوسط مرة اخرى، وبين النهرين للمرة الاولى. ويمكن للمرء ان يتأمل في ان حلفاً ثلاثياً مكوناً من المغول والصليبيين وبيزنطة كان سيكسر شوكة المماليك، القوة المسلمة الوحيدة الباقية. وكان من شأن ذلك ان يلهم الايلخانات المغول في قبول ليس الاسلام، الذي كان غريباً بالنسبة لهم، بل المسيحية التي كانت مألوفة بالنسبة لهم بسبب العلاقات

العائلية. لكن الامور جرت عكس ذلك، حيث مُني كتبوكا بهزيمة ساحقة في ٣ ايلول ١٢٦٠ في عين جالوت، وقام المماليك المنتصرون اثر ذلك بغزو دمشق ونفذوا حماماً من الدم بين المسيحيين إنتقاماً[٩٨].

وهناك الى جانب كتبوكا، قادة عسكريون نساطرة آخرون معروفون بالاسم، مثل قائد كان يسمى **كيوركيس** وآخر **صوما** (Sauma)، الذي توفي في سنة ١٢٧٢ **ويوحنا تيجين**، وقد جاء ثلاثتهم من وادي **جو** في قيرغيستان[٩٩]. وقد تم اختبار طريق اقل عسكرية من قبل النسطوري **شمعون رباناتا** (+١٢٥٩)، الذي كان في اول الامر مستشاراً لطغرل خان، وفيما بعد كان يقدم ارشاداً رعوياً لابنة اخ طغرل سوركاكتاني[١٠٠]. وبعد سنة ١٢٣٣ ارسله الخان العظيم كممثل مخول للشؤون المسيحية الى اذربيحان وارمينينا، حيث تمكن من وضع نهاية لقتل المسيحيين العزل. وفي الوقت ذاته امر ببناء الكنائس في المنطقة حول تبريز التي كانت معادية للمسيحيين، وعمّد الكثيرين من المغول. وقد عمل رباناتا لاقامة حوار مسكوني مع روما، لكن تلك الجهود بقيت عقيمة بسبب تعجرف وتصلب الفاتيكان[١٠١].

وفي ظل حكم سلالة يوان (١٢٧١-١٣٦٨) احتل النساطرة ايضاً مناصب عليا، رغم ان قوتهم كانت اقل من تلك التي لأسلافهم الذين خدموا الخانات العظماء. وكان المسيحيون من كل الطوائف في الصين في ذلك الوقت يسمون **يلكوين** (Yelikewen) وهي الترجمة الصوتية لمصطلح المغولي **آركون** (Arkaun)*. ثم ربطت هذه بعد ذلك بالاغريقية مع صيغة النصب لـ (ἀρχήγόύ) لصيغة الرفع (ἀρχήγός) للارخون التي تعني "الرئيس" و"الزعيم"[١٠٢]. وهكذا استعير المصطلح اليوناني اولاً من قبل السريانية، حيث قام بعدها المغول التركمانيون بتكييفها مع الايغورية والمغولية، واخيراً ظهرت في مفردات الادارة الصينية.

واهم نسطوري خدم الـ(يوان) هو الطبيب السرياني المولد والفلكي **آي شيه** (Ai Xieh)، (إيشوع، ١٢٢٧-١٣٠٨). الذي قام رباناتا بتقديمه الى غويوك، حيث عينه قبلاي خان بعدها رئيس الدائرة للفلك والطب الغربي. وفي سنة ١٢٨٤ أمر قبلاي خان ذلك النسطوري، الذي كان ماهراً في اللغات، ليعمل مترجماً لوفد عالي المستوى الى الايلخان ارغون في بغداد. ومن هناك حمل آي شيه رسالة الى البابا **اونوريوس** (Pope Honorius) الرابع (جلس في الكرسي البابوي سنة ١٢٨٥-١٢٨٧) عرض فيها الخان المغولي على البابا تحالفاً عسكرياً هجومياً ضد مصر. "ان ارض مصر تفصل بيننا، سنسحقها. اننا نرسل اليكم هؤلاء الرسل، ونطلب منكم لأن ترسلوا حملة وجيشاً الى ارض مصر. ونحن [سنأتي] من جانبنا وانتم من جانبكم، بحيث نسحقهم"[١٠٣]. وبعد عودته عينه قبلاي خان على رأس دائرة الديانة المسيحية في سنة ١٢٩١، وفي سنة ١٢٩٧ رقي الى وزير دولة. وقد نال بعد وفاته لقب "امير فولين المخلص والعالم". وقد شغل اولاده الخمسة ايضاً مناصب عليا، لكنه، في سنة ١٣٣٠، أُتهم أبنه الاكبر ايليا بالثورة والشعوذة حيث قطع رأسه[١٠٤].

وكنتيجة للغزو المغولي لجنوب الصين، الذي تم في ١٢٧٦ و ١٢٧٩، تمكنت كنيسة المشرق من التوسع الى داخل الحوض المنخفض لنهر **يانغتسي**، توسعاً كان مار

---

* في الاشورية المعاصرة (ܐܪܟܘܢܐ) (المدقق)

سركيس النسطوري مشاركاً مهماً فيه، وقد جاء من سمرقند، وكان والده وكلا جديه اطباء مشهورين في بلاط الخان العظيم والعائلة الامبراطورية. ومنذ سنة ١٢٧٧ حتى ١٢٨٠ أو ١٢٨٢ كان مار سركيس نائب حاكم منطقة **زنزيانغ** (Zhenjang) ذات الستراتيجية المهمة عند نقطة اتصال القناة الكبرى بنهر يانغتسي. وقد روى تاريخ صيني من سنة ١٣٣٣ قائلاً: "في حلم في احدى الليالي فتحت سبع بوابات وخاطبه ملاكان: **عليك ان تقيم سبعة اديرة**. وعندما افاق من النوم شعر بانه قد جاءه الالهام، ثم استقال من الوظيفة وكرس نفسه لبناء الاديرة"[١٠٥]. وقد قام مار سركيس فعلاً ببناء ستة اديرة في منطقة زنغزيانغ وديراً آخر في مرفأ مدينة **هانغزو**(Hangzhou)[١٠٦]. وكانت تقوم اضافة الى ذلك ثلاثة كنائس نسطورية اخرى شمال زنغزيانغ في **يانغزو** (Yangzhou)[١٠٧]، وهو مرفأ نهري مهم على القناة العظمى، كما كان يوجد ما مجموعه ست كنائس في مدينة زايتون الميناء، كوانزو الحالية في اقليم **فوجيان** (Fujian)[١٠٨].

لكن الزمن قلب ظهر المجن لكنيسة المشرق، حيث قام الأباطرة المغول الصينيون، عقب موت قبلاي خان في سنة ١٢٩٤، بتكييف انفسهم بصورة سريعة نوعاً ما مع بيئتهم الصينية، واهتموا اهتماماً متزايداً بمتطلبات ذلك. وفي سنة ١٣٠٤، اتهم الطاويون من زنزيانغ النساطرة في محكمة مدنية باهداء طاويي جنوب نهر يانغتسي الى المسيحية. وصدر الحكم لصالح الطاويين: "يمنع اليليكيويين* (Yelikewen) من استغلال مكان الصدارة في الصلاة. وكانت هناك الى جنوب النهر (يانغتسي) منذ الازمان القديمة البوذية والطاوية فقط، ولكل منهما نطاق سلطته الخاص به ولم يكن هناك اي يليكيويون"[١٠٩]. وكان الاكليرس البوذي في زنزيانغ منزعجين ايضاً حول الشعبية الواضحة للاديرة النسطورية واشتكوا لدى السلطات المركزية، حيث صدر في سنة ١٣١١ (او ١٣٠٩) مرسومان امبراطوريان. وقد امر المرسوم الاول بما يلي: لقد طاب للمسيحيين بناء اديرة الصليب على ارض تعود للاديرة [البوذية]، فلتلقى تلك الصلبان ارضاً وتحطم". واضاف المرسوم الثاني: "واما بالنسبة لاديرة الصليب، وبما انه رميت [الصور] التي صاغوها ارضاً وحطمت، فلتصنع صور جديدة لبوذا وتطلى الجدران من جديد"[١١٠]. وهكذا آلت الاديرة السبعة التي قام مار سركيس بتشييدها بمرور الزمن الى ايدي البوذيين.

لكن الاباطرة المغول لم يتكيفوا لمحيطهم الصينى المهذب فحسب. فقد حدث بين العائلة الامبراطورية بعد تيمور (حكم في ١٢٩٤-١٣٠٧)، تدهور لم يسبق له، تأرجح بين قطبي مذهب المتعة الطليق العنان، وبين الولاء الاعمى للبوذية. فراح آخر امبراطور مغولي، **طوغان تيمور** (Toghan Timur)، (حكم ١٣٣٣-١٣٦٨) يراقب اندلاع الثورات في الجنوب بدءاً بسنة ١٣٥٢ دون ان يحرك ساكناً، والتي على اثرها ثار امير مغولي من عشيرة اوغودي على الامبراطور ليجر الصين بذلك الى حرب اهلية - فراحت الجيوش المغولية تحارب بعضها بعضاً. وهكذا سهل الامر لحركة وطنية في طرد المغول من الصين وغزو العاصمة، خان باليق، في ايلول سنة ١٣٦٨. فحل محل مغول سلالة يوان المتحررين عقلياً وذوي النزعة العالمية والمتسامحين دينياً، سلالة منغ (Ming) الانعزالية ذات النزعة القومية.

* المسيحيون [المترجم]

ولم يُطرد الموظفون المدنيون الاجانب والجنود بل حتى التجار والرهبان. ومع سقوط المغول اختفت المسيحية للمرة الثانية من المملكة الوسطى.

هل وصلت كنيسة المشرق الى اليابان او جنوب شرق آسيا؟ لقد بات هناك الكثير من التخمينات في هذا الشأن[١١١]. وبقدر تعلق الامر باليابان، تم العثور على خوذ مغولية على جانبها صليب فضي في الساحل الغربي[١١٢]. بيد ان هذا الاكتشاف لا يبرهن وجود جماعة نسطورية، عدا ان ضابطاً مسيحياً من ضباط قبلاي خان لقي حتفه هنا في المحاولة الثانية الفاشلة لغزو اليابان في سنة ١٢٨١. واما بخصوص جنوب شرق آسيا، فلا تعرف هناك اكتشافات ذات علاقة، عدا بعض التقارير غير القابلة للتأكيد من المسافرين. ورغم التأكد تماماً من كون افراداً من التجار النساطرة، عاشوا هناك بصورة مؤقتة في جنوب شرق آسيا، فإنه ليس هناك من دليل على وجود مجتمعات مسيحية ثابتة[١١٣].

الصليب ونبات اللوتس: مركب للرمزية المسيحية والبوذية على الساحل الشرقي من الصين

لم يكتف الحكام الجدد، المنغ باصدار اوامر بطرد الرهبان الاجانب فحسب، بل وبتدمير بناياتهم الدينية. وهكذا في سنة ١٣٦٩ او سنة ١٣٨٩ في زايتون، كوانزهو (Quanzhou) الحالية في فوجيان، تم محو ستة كنائس مسيحية عن الوجود، كما جرى تدنيس قبور اتباع الديانات الاجنبية، واستخدمت حجارة القبور في بناء سور المدينة. وجرى هدم جزء من سور المدينة القديم في سنة ١٩٢٠ والباقي في سنة ١٩٣٨. وقد تم العثور على حجارة القبور تعود للمسيحيين والمسلمين تحت الانقاض. واليوم تضم هذه المجموعة النادرة اكثر من مائة من حجارة القبور الاسلامية وحوالي ٤٥ منها مسيحية[١١٤].

وفي ظل حكم سلالة يوان، كانت مدينة زايتون على البحر الاصفر، في جنوب شرق الصين اكبر ميناء للصين. وكان قد نزل ماركو بولو هناك في سنة ١٢٩٢ في رحلة عودته. وكان الصينيون في هذه الحاضرة يلتقون بالتجار من بوربما، وجاوا، وسومطرة، وايران، والشرق الاوسط، واوربا. وقد تم تمثيل العديد من الطوائف بين المسيحيين، مثل النساطرة، والارمن، والكاثوليك. وفي ضوء السمة العالمية لـ زايتون، فانه لا يكاد يكون من المدهش العثور على حجارة قبور هناك، إضافة الى مدن صينية اخرى مثل يانغزو، بعضها يمثل مذبحاً مزخرفاً، واخرى اغطية لتوابيت حجرية ذات سقف ذي جملون، نحت عليه بازميل، الصليب ونبات اللوتس[١١٥]. وفيما يتعلق بالكتابات واللغات، يمكن تمييز ستة انواع:

١ـ كتابة ولغة صينية. ٢ـ ثنائية اللغة، باللغة الصينية والتركية بكتابة سريانية. ٣ـ كتابة سريانية ولغة تركية. ٤ـ كتابة فاغسبية - منغولية (Phagspa-Mongol) ولغة صينية. ٥ـ كتابة ايغورية ولغة تركية. ٦ـ لاتينية.

وقد دونت صيغة الثالوث الاقدس في ثلاثة من النقوش النسطورية باللغة التركية والكتابة السريانية[١١٦]. ولما كان النساطرة الاتراك المغوليون يستخدمون اللغة التركية بصورة عامة، بينما كان التجار السريان الشرقيون الذين كانوا يسافرون عن طريق البحر، يفضلون السريانية او العربية. فإنه يمكن الاستنتاج بأن غالبية الجماعة

النسطورية في زايتون كانت مـن المغـول الترك، وكانوا يعملون هناك كوسطاء.

اما مسلة القبر ثنائية اللغـة بالـصينية-التركية، فامر غير مـألوف لانهـا اقيمـت لاسقف نسطوري هو **مار شـليمون** الـذي توفي في سنة ١٣١٣ والذي وُصـف بانـه "اداري المـانيين والنـساطرة فـي منطقـة **شيانغ- نـان** (Chiang-nan)-" أي منطقـة جنـوب يانغتـسيكيانغ (Jangtsekiang)[١١٧].

وعلى ضوء المنافسة القديمة لالف سنة بـين النساطرة والمانيين، فإنه من المدهش تمامـاً ان يقوم اسقف نسطوري بالاشـراف علـى الجماعة المانوية. لكننا نجد الحل لهذا اللغـز في **ميليون** (Millione) لماركو بولو. حيـث يروي بانه في حوالي سنة ١٢٩٢ صـادف هو وخاله **مافيو** (Maffeo) قرب **فوزو**، على بعد حوالي ١٠٠ كلم. شمال زايتون، اناسـاً بديانة غيـر مألوفـة. فاستفـسروا مـنهم، وفحصوا كتبهم المقدسة، التي فسروها بأنهـا كتب المزامير. وهكذا فـإن الـ **بولـوس** (Polos)* عرفوهم بأنهم مسيحيين ونصحوهم بأن يسجلوا انفسهم كمسيحيين في بيجينغ لكي يتمتعـوا بالمزايـا التـي كانـت تمـنح للمسيحيين[١١٨]. ولذلك السبب، وضعوا تحـت ادارة الاسقف النسطوري لجنـوب الـصين.

ولا بد ان يكون الاسقف شليمون قـد لاحـظ بسرعة نوعا ما، على اي حال، بان رعايـاه لم يكونوا مسيحيين ابداً بل مـانويين ايـضاً. لكنه بصفته اسقفا، كان موظفا للدولة، وعليه، كان عليه ان يشرف على المانويين ايـضاً. وعلى اية حال، كان المانويون قـد نجحـوا، عقب الحضر بحقهم فـي سـنة ٨٤٣، فـي الهرب ليس فقط الى غانسو وتركستان، بـل ايضاً الى المنطقة الساحلية لجنوب الصين.

وهكذا يبرز سؤال، ما اذا لم يكن هنـاك في الصين ايضا، حضور مـسيحي مـستمر من تانغ حتّى يوان. والدليل الايجابي الوحيد على هذه الاستمرارية يتيحه تقرير الرحلـة المثير للنقاش للغاية للتاجر اليهودي **يعقـوب الانكوني** (Jacob of Ancona)، والذي يقـال عنه بأنه زار زايتون في سـنة ١٢٧١ قبـل ماركو بولو. وبحسب روايته، فإن المسيحيين النساطرة لزايتون كانوا مدركين تماماً بانـه لاكثر من ٦٠٠ سنة قبل ذلك، كان قدم الـى الصين "كاهن ما يـدعى **آلوفينـو** Alofeno [آلـوفين] مـن تاتـسن (Tatsin)". بيـد ان مصداقية النص مثيرة للشك كثيراً[١١٩].

واما فيما يتعلق بالماويين، فانهم كجماعة بقوا يعيشون بصيغة مكيفة للبوذية حتى بُعيد سنة ١٦٠٠. وإن المعبـد المـانوي الوحيـد الباقي في العالم يقوم على تـل **هـو- بيـاو** (Huo-piao) في زايتون. وهـو مـدين فـي الحفاظ عليه الى سوء فهـم، لان المـؤمنين اعتقدوا بأن الضريح المكرس لـ **موو - ني** (Mo-ni) كان مكرساً في الحقيقة لـ مُ- نـي Mu-ni- اي بوذا شاكياموني[١٢٠]. واما مدينة زايتون، بدورها، فقد آلـت الـى التـدهور بصورة كبيرة من حيث اهميتها فـي سـنة ١٥٢٨ عندما قامت سلطات **منـغ** بـاغلاق المرفأ وركزوا على قيام التجارة العالمية في غوانغزهو (كانتون Canton)[١٢١].

وتظهر ايقنة** حجارة القبور النسطورية لجنوب الـصين تركيبـاً مـذهلاً للرمـوز المسيحية والبوذيـة والطاويـة والايرانيـة والهلنستية. ويقف الصليب عادة على زهـرة اللوتس، محاطاً بـالغيوم او محمـولاً بهـا. واحياناً يحيط ملاكان مجنحان بالصليب، او

* نسبة الى ماركو بولو [المترجم]

** صنع الايقونات [المترجم]



نقش قبر نسطوري من زايتون (Quanzhou)، الصين. ... كوانزهو ١٤٠١، يظهر على ... ملاكان يحملان على شكل ... الأعلى صليب على شكل ... زهرة اللوتس، القرنان الثالث عشر/الرابع عشر، 17.5x74 سم. (المتحف البحري كوانزهو)

نقش قبر نسطوري من كوانزهو (Quanzhou)، في الصين. الملاك ... زوجين من الأجنحة يمسك في يده المنحوتين زهرة اللوتس مع صليب. وهناك جدال حول اصالة هذا الشكل، وقد دمر شكل آخر مطابق له تقريبا اثناء الثورة الثقافية. (المتحف البحري كوانزهو)

يتوّج الصليب مظلة مـا. ويظهـر وجـود الصليب ان تلك المسلات القبوريـة كانـت مسيحية، لانه لم يكن من الممكن للمـانويين تصوير صليب على حجارة القبـور. وفـي الوقت الـذي كان الصليب المجرد يرمز فيه الى القيامة، فإن زهرة اللوتس البوذية تمثـل كلا من الميلاد الجديـد، وطهـارة الـروح المتأصلة في هذه الحياة. وكما اظهـر **جـي. بي. بريريتون** (J. P. Brereton)، فإن زهرة اللوتس كانت بمثابة رمز التجدد بين الاغريق والرومان والمسيحيين الاوائل ايضا، وهكذا، كان يستخدم في الجنائز[١٢٢]. ويوجد الغيم في كل من الطاوية والبوذية، وهو يرمـز الـى المطر الـذي يجلـب الخـصب والـسعادة والسلام. لكنه في المسيحية يشير الى سـمو الله، فعلى سبيل المثال يقود **يهـوا** اسـرائيل عبر الصحراء على شكل عمود مـن الغـيم (خروج ١٣ : ٢١) وهو يظهر لموسـى فـي سيناء في غمامة (خروج ٢٤ : ١٦، ٣٤ : ٥) وإن ابن الانسان سوف يظهر على سـحاب في نهاية الزمان. (مرقس ١٣ : ٢٦). وفـي الصين تمثل المظلة السماء، وهي في البوذية واحدة من **رموز الحظ**، وتدل علـى المكانـة الرفيعة إضافة الى الحماية.

واخيراً، فإن الملائكة مألوفة في العديـد من تقاليد الشرق الادنى. وفـي النـصوص الاكثر قدماً للعهد القديم، تظهر الملائكة اولاً كتجسيدات مؤقتة لوحي إلهي. وبعد الجـلاء البابلي، وتحت التأثير الآشوري - البابلي او الزرادشتي، اصبحت وسائط روحية مـستقلة بين الله والعالم. وهي بمثابة سعاة لله، تحمي الافراد والشعوب وتمجد الله. وحتى اواخـر القرن الرابع كانت المسيحية ترفض تصوير الملائكة المجنحة لتجنب الخلط مع الآلهـات الوثنية المجنحة العديـدة والجنيـات وآلهـة الحب. وعند نهاية القرن الرابع ظهرت على التوابيت الحجرية المسيحية صور لملاكـين مجنحين يحيطان بالصليب او يسندانه، رمـز انتصار المسيح على الموت. وتوجد ايـضاً ملائكة طائرة كتلك التي تسند الصليب فـي مسلات القبور الارمنية والجورجية، وعلـى قلب القوصرات* القبطية، والعتبات العليـا. ومن وجهة نظر علم الايقونات فإن التقـارب بين صور قياسـية للثقافـات الاغريقيـة - الرومانية، والـساسانية امـر مـدهش، لان الاختلافات الوحيدة مع الصور المسيحية هي ان اشكال **نايكي** (Nike) المجنحـة، انثويـة وتحمل اكليلاً من الغار بدلاً من الصليب[١٢٣]. وقد جرى تبني هذا الشعار ايضاً في اديـرة الكهوف البوذية لشرقي تركستان، على هيئة حاملي الاكليل الطائرين في **قيـزل** (Kyzil) وموسيقيين سماويين، وهو ما يطلـق عليـه **اسبارا** (aspara)، في دنهوانغ.

واخيراً ثمة تشابه مثير على حد سـواء في زايتون نفسها، بين تصوير الملائكة فـي

* مفردها القوصرة = وعاء

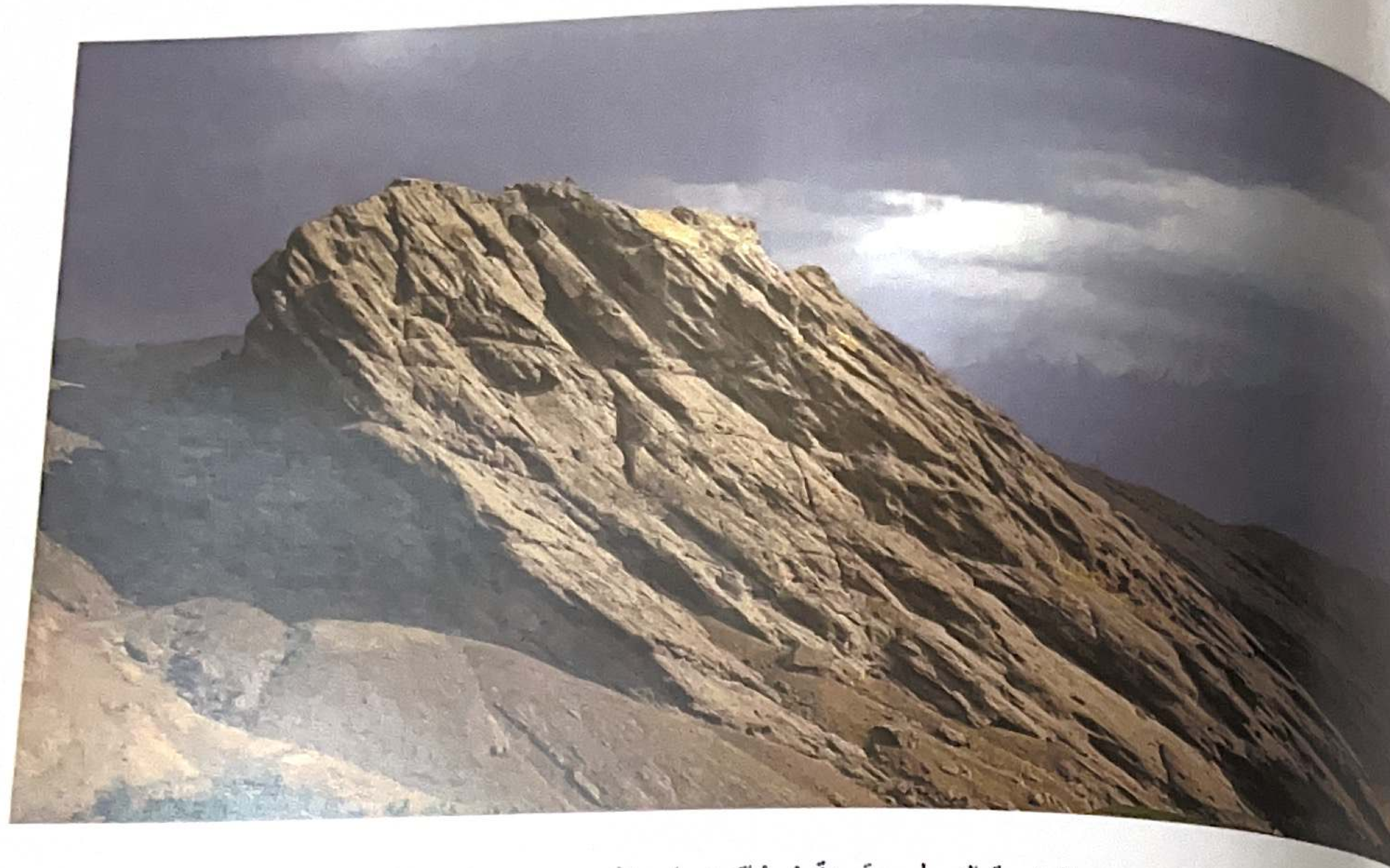
قطع الخشب للسقوف في القاعة الكبرى لمعبد **كيوان** (Kayuan) من اواخر القرن الثالث عشر، والنحت البارز على المعبدين التوامين هناك[١٢٤]. ولا يمكن الجزم فيما إذا كانت الاشكال الخشبية البوذية هي التي اثرت في تصميم حجارة القبور النسطورية او العكس. وللملائكة، في زوج من مسلات القبور في زايتون شوارب وتيجان مغولية او قلنسوات ملبدة، الامر الذي يشهد على المزج الايقوناتي للتقاليد المسيحية او المغولية[١٢٥].

وثمة مسلتان من مسلات قبور زايتون غير مالوفتان، لان كلتيهما تصوران ملاكاً بزوجين من الاجنحة. ويجلس في احداهما مثل **بونساتفا** (Budhisattva) بوذي في وضع التامل تحت صليب كبير، ويمسك بيديه زهرة اللوتس ينبثق منها صليب، وتحيط به الغيوم والاكاليل[١٢٦]. والمسلة الثانية مشابهة رغم ان الصليب الكبير في الاعلى مفقود، كما ان الملاك يجلس "بالطريقة الاوربية " على حافة غمامة، بيد ان **بوذا مايتريا** (Buddha Maitreya) المقبل قد صور هو الاخر وفق اسلوب الجلوس ذلك[١٢٧]. ان حجارة قبور زايتون تجمع بطرق مختلفة بين عناصر ايقونية ذات مغزى لاديان وثقافات اخرى، والتي تمثل السلام الداخلي، والتناسخ والتغلب على الموت، لتخلق تحت رمز الصليب وحدة جديدة ذات ثراء رمزي.

وقد جرى كذلك تكييف اسلوب القبر النسطوري من قبل الكاثوليك في ذلك الوقت. وكمثال على ذلك قبر الاسقف **اندريا دي بيروغيا** (Bishop Andrea de Perugia)، الذي كان انظم الى **يوحنا مونتيكورفينو** في سنة ١٣٣٢ في زايتون[١٢٨]. وقد تم اكتشاف الامثلة الاخرى في **يانغزهو**، وهي مسلات القبور المنقوشة باللاتينية لزوج من الانسباء يدعيان **دي فيليون** (de Vilione). وقد حفر على مسلة كاترينا (+١٣٤٢) استشهاد **القديسة كاترينا** والعذراء ويسوع ومشاهد من يوم الدينونة على مسلة **انطونيو** (+١٣٤٤)[١٢٩]. ورغم ان النساطرة والكاثوليك لم يكونوا على وفاق في ذلك الوقت، الا انهما بقيا مرتبطين من خلال تصميم حجارة قبورهم.

ازدهار اخير في ظل حكم الايلخانات الايرانيين

عندما قام الخان العظيم مونكي بتسليم حكم ايران التي جرى غزوها، جزئياً فقط الى اخيه هولاكو في سنة ١٢٥١، فانه دشن بذلك بشكل غير مباشر الفترة الاخيرة من الازدهار لكنيسة المشرق. وقد امره بغزو القوى المسلمة الباقية في الشرق الاوسط، وخاصة الخلفاء العباسيين، وطائفة **الاسماعيلية** المتطرفة، وامراء سوريا ومصر[١٣٠]. ولم تكن الغارات المغولية السابقة منذ سنة ١٢٣٥ إلا غزوات وحشية، دمرت كذلك العديد من الاديرة المسيحية حول الموصل[١٣١]. ورغم الفشل في فلسطين وسوريا، فإن غزو ايران كان قد نجح. وبين ١٢٥٦ و١٢٥٧ سقطت قلاع الاسماعيليين جنوب بحر قزوين او استسلمت، الامر الذي ادخل الفرح في قلوب كل من الحكام المسلمين والمسيحيين، واستسلمت بغداد في وقت مبكر من سنة ١٢٥٨. ولم يطلب **الخليفة المستعصم** (حكم ١٢٤٢-١٢٥٨) من البطريرك النسطوري **مكيخا الثاني** (شغل الكرسي بين١٢٥٧-١٢٦٥) ان يتفاوض مع هولاكو على الهدنة إلا عندما اصبح الموقف يائساً[١٣٢]. لكن الاوان كان قد فات، وقام الغزاة بغزو المدينة. وبفضل مكيخا، وقبل كل شيء بفضل زوجة هولاكو



حصن الامت Alamut شمالي ايران الذي دُمر على يد قائد الجيش، النسطوري كتبوكا في سنة ١٢٥٦ .وكان مقرا لفرقة الاسماعيلية المتطرفة Assasins - الذين كان يخشاهم السنة المسلمون، والمسيحيون .وهو يتوج هذه الصخرة.

الرئيسة النسطورية، **دقوز خاتون**، استثني مسيحيو بغداد من المذبحة العامة .وكعلامة على التقدير الذي كان يتمتع به، تلقى البطريرك مكيخا احد قصور الخليفة مقرا جديداً لاقامته، حيث قام ببناء كنيسة .وفي الشمال، كان بامكان المسيحيين ايضا ان يأملوا مستقبلاً افضل، لانه بعد ان ثارت مدينة الموصل ذات الغالبية المسلمة في سنة ١٢٦٠/١٢٦١ قام القائد النسطوري **سامداقو** (Samdaqu) باحتلالها ثانية، حيث اصبح **زكي** المسيحي على اثر ذلك بمثابة حاكم[١٣٣] .وكان اقوى حاكم مسيحي خدم الخانات هو **مسعود بر قاوتا** (Masúd Bar Qawta)، الذي حكم الموصل من سنة ١٢٧٥ حتى ١٢٧٧ ومن ١٢٨٤ حتى ١٢٨٩. ولعله كان يحلم ببناء خانية مسيحية تشمل شمال شرق بلاد الرافدين وكردستان واذربيجان[١٣٤].

وفي الوقت الذي اعتبر فيه المسلمون الهجوم المغولي الضاري كارثة خسروا فيها تفوقهم الممنوح لهم من الله، فإن ذلك كان يعني للمسيحيين تحريرا لهم من قبل العناية الالهية من النير الاسلامي .إضافة الى ذلك، فإن التقوى الجديرة بالذكر للاميرة دقوز خاتون والسياسات المسيحية الودية لهولاكو، سمحت للنساطرة لان يأملوا في ان يعتنق الحكام الجدد المسيحية .بل ان المؤرخ الارمني **ستفانوس اوربليان** (Stephanos

Orbelian) امتدح هولاكو ودقوز خاتون مثل "قسطنطين وهيلين الجديدان، ادوات الانتقام ضد اعداء المسيح"[135]. إن جهود الايلخانات[136] لتشكيل حلف عسكري مع القوى الاوربية حفزتهم ايضاً نحو سياسات تفضل المسيحيين. وعلى اية حال، لم يعد المسيحيون خلال الاربعين سنة الاولى من حكم الالخانيين اقلية مضطهدة، بل تمتعوا بحقوق مساوية مع حقوق المجموعات الاخرى. بيد ان المسيحيين فشلوا في إدراك ان الحكام المغول كانوا يرسمون سياساتهم حول الدين وفق معايير ستراتيجية وسياسية، وبأنهم انفسهم، عدا الاباطرة اليونانيين الاخيرين، كانوا يفصلون ما كانوا يفضلونه شخصياً عن سياساتهم. وقد وصف **مفريان** المشرق السرياني (المطرافوليط الاكبر) الارثوذكسي **ابن العبري** (١٢٢٥/١٢٢٦-١٢٨٦) ذلك الموقف الذرائعي قائلاً: "ليس هناك مع المغول عبد او حر، ولا مؤمن ووثني، ولا مسيحي ولا يهودي، انهم يرون بأن كل الناس يعودون الى اصل واحد. وكل ما يطلبونه هو الخدمة والخضوع في حماس"[137].

ولكن، على اية حال، وقبل ذلك عقب موت هولاكو ودقوز خاتون في سنة ١٢٦٥، كانت هناك بوادر اولى تشير الى ان الاغلبية المسلمة ما كانت لتقبل خسارتها لمكانتها دون قتال. وعندما اراد البطريرك النسطوري **مار دنخا الاول** (شغل الكرسي سنة ١٢٦٥-١٢٨١) في اواخر سنة ١٢٦٨ تعميد مسلم، هجمت عليه غوغاء من المدينة. وقد تمكن من الفرار الى منزل حاكم المدينة والمؤرخ **عطا مالك جيوفايني** (Ata Malik Juvaini) (١٢٢٦-١٢٨٣)، حيث غادر بغداد اثر ذلك واتخذ من قلعة اربيل مقراً لاقامته. ثم هرب فيما بعد الى اذربيجان الايرانية، بعد ان هاجم المسلمون موكباً كان يقوده[138]. وقد بقي مسيحيو ايران، شأنهم في ذلك شأن البوذيين واليهود، معتمدين على حسن نية الحكام. وكانوا معرضين للهجوم تباعاً، وكانوا في آخر الامر دمية للمصالح السياسية. أن النزاع المتصاعد – الذي اندلع ليتحول الى حرب مفتوحة على الحدود الشمالية في سنة ١٢٦٢ – مع **القبيلة الذهبية**، والتي كانت اتخذت طابعاً اسلامياً منذ **الخان بيرك** (حكم ١٢٥٧-١٢٦٦)، كانت بمثابة تهديد كامن لمسيحيي ايران العظمى.



الوجه الآخر لعملة مصنوعة من الفضة كان الالخان ارغون (حكم ١٢٨٤-١٢٩١) قد سكها لدولة جورجيا التابعة له. ويقرأ النص العربي: "بأسم الاب والابن والروح القدس، الاله الواحد" وقد ختم صليب على الجانب الاسفل الايسر. (مجموعة خاصة).

وفيما يتعلق بالايلخانات الافراد، كان **اباكا** (حكم بين ١٢٦٥-١٢٨٢)، و**ارغون** (حكم بين ١٢٨٤-١٢٩١) يميلان كثيراً الى النساطرة، لاسباب داخلية واخرى تتعلق بالسياسة الخارجية وبسبب زوجتيهما المسيحيتين. وتتجلى النية الحسنة هذه، على سبيل المثال، في حقيقة ان كلا الخانين كان قد سكّ نقوداً لاتباعه الجورجيين تحمل الصيغة الثالوثية "بأسم الاب والابن والروح القدس، الاله الواحد آمين" بالعربية، مع صليب قد ادمج بين الكلمات[139]. وتحت حكم

أباكا، انتقل مركز الايلخانية ابعد الى الشمال. بينما قام هولاكو بنقل عاصمته من بغداد الى مراغة في جنوب اقليم اذربيجان الايراني، اختار اباكا تبريز، التي كانت تقع اقرب الى الحدود الشمالية المهددة. وبعد ان انهى اباكا الحرب مع القبيلة الذهبية، وصد الهجمات من **ترانسوشانيا**، اتجه نحو الغرب. وهناك كان السلطان **بيبرس** (حكم ١٢٦٠-١٢٧٧)، المنتصر في عين جالوت، قد نشر الخراب في مملكة قيليقيا المسيحية الارمنية التي كانت حليفة قريبة مع الالخانية. وبعد ان عرض اباكا الى الحكام الاوربيين تحالفاً عسكرياً لثلاثة مرات دون جدوى، قام جيش مغولي – ارمني مشترك بالزحف على سوريا، لكن المعركة ضد المماليك في حمص في سنة ١٢٨١ انتهت بالانسحاب. وسرعان ما توفي اباكا بعد ذلك بعد ان كان يحمي النساطرة وبطريركهم **مار دنخا الاول**[140]. وكان مار دنخا قد استغل الظروف السياسية المؤاتية لاعادة تنظيم الكنيسة في آسيا الوسطى والصين. وفي الوقت ذاته وافق على عرض المصالحة الذي قدمه المايافيزيتي المفريان ابن العبري، والذي كان من شأنه ان يضع نهاية للخلافات التي دامت سبعمائة سنة بين كنيسة المشرق والكنيسة السريانية الارثوذكسية.

وقد جعلت السنتان التاليتان النساطرة مدركين إدراكاً واضحاً بمدى تعرضهم للاذى. وعندما اعتلى شقيق اباكا المدعو **طاقودار** (Taqudar)، (حكم ١٢٨٢-١٢٨٤)، الذي كان قد عُمد بأسم **نيقولا**، اشهر اسلامه. واتخذ لنفسه أسم احمد، وراح يدمر المعابد البوذية والكنائس المسيحية ليحولها الى جوامع، حيث استغاث البوذيون والنساطرة إثر ذلك بقبلاي خان. ونظراً **لغضبه وتهديده بفرض عقوبات على ابن** اخيه احمد، قام احمد بالقاء البطريرك مار يهبالاها الثالث (شغل الكرسي ١٢٨١-١٣١٧) في السجن انتقاما منه بعد ان اتهمه اثنان من الاساقفة بكونه زعيم مجموعة الثورة التي اندلعت. ويدين البطريرك في انقاذ حياته واطلاق سراحه الى ام الملك النسطورية **كوتوي خاتون** (Qutui Khatun).

والتف النساطرة والنبلاء المغول، الذين رفضوا فرض الاسلام على ايران بالقوة الذي بدأه احمد، حول ابن اكابا الثائر المدعو **ارغون**، الذي هزم احمد في سنة ١٢٨٤ واعدمه. وقد نجح الخان ارغون (حكم بين ١٢٨٤-١٢٩١) في صدّ فيضان الثورات المسلمة، ليمنح كنيسة المشرق والمسيحيين فترة اخيرة وقصيرة من الحظ السعيد.

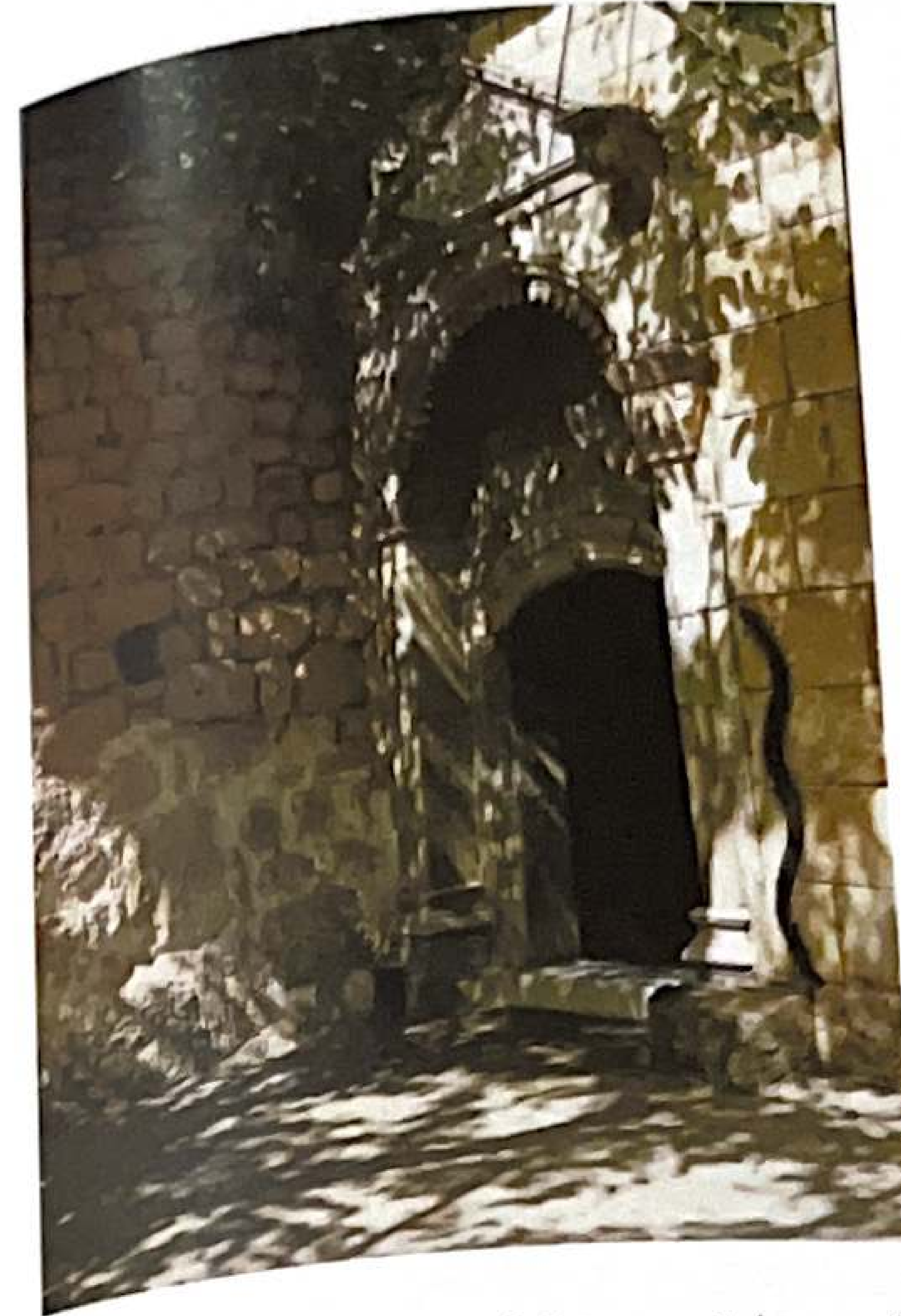
وإذ نجا **مار يهبالاها الثالث** من الموت بشق الأنفس، بسبب دعمه المزعوم او الحقيقي للحزب الثائر، صار يتمتع بصداقة واحترام ارغون. وقام البطريرك بنقل مقر كرسيه الى مراغة واستطاع اعادة بناء الكنائس التي دمرها احمد. ويروي احد المعاصرين قائلا: "كان يتمتع بالشهرة والسلطة كما لم يسبق لاحد [بطريرك] من قبله. كان المغول والالخان واولاده يحنون ركبهم امامه حاسري الراس. اوامره تنفذ في الامبراطورية والمسيحيون قد بلغوا شرفاً وقوة كبيرين"[141].

ورغم حظوتهم لدى الالخان، اندلع في سنة ١٢٨٥ و١٢٨٦ شغب بشع ضد المسيحيين في الموصل موحياً بان مصيراً مرعباً كان ينتظر المسيحيين بدون دعم من الدولة. وثمة نذير آخر هو اضطهاد اليهود الذي وقع عند موت ارغون. وقد اثار غضب المسلمين معاملة ارغون المميزة للمسيحيين واليهود والبوذيين في التعيين في المناصب العليا، وزادها لهيبا **المنصب القوي**

لوزير المالية اليهودي **سعد الدولة**. فقتل سعد واضطهد اليهود بقسوة. وكان شقيق ارغون وخليفته الالخان **كيخاتو** (Geikhatu)، (حكم بين ١٢٩١-١٢٩٥)، الميال شخصيا الى البوذية، يميل بشكل واضح الى المسيحيين. لكنه اخفق في سنة ١٢٩٤ في القيام بادخال النقود الورقية، سائرا على خطى عمه قبلاي خان. ونظرا لقيامه بمنع العملة المعدنية، تدهورت التجارة وهجرت المدن لقلة مخزون الغذاء. ولم يؤثر ذلك على السكان الملتفين حول الامير **بيدو** (Baido)، (حكم سنة ١٢٩٥)، الذي كان مسيحيا في السر[١٤٢]. لكن ابن ارغون، **غازان** (Ghazan) دعا الى الثورة التي دُعم فيها بنشاط من قبل المسلم المتطرف **نوروز** والاجنحة الاسلامية.

وبعد ستة اشهر فقط من الحكم اعدم بيدو، واستولى على الحكم غازان (حكم ١٢٩٥ - ١٣٠٤) الذي كان ارتد عن البوذية واعتنق الاسلام. وقد حكم كاتب سيرة **مار يهبالاها** على موت بيدو بانه "برهان حقيقي على تخلي الله عن الكنيسة"[١٤٣]. وهنا انطلق العنان لغضب المسلمين حيال المسيحيين، واليهود، والزرادشتيين، والبوذيين، الذي كان يتنامى عبر العقود.

وتم بقيادة **نوروز** تدمير الكنائس ودور العبادة اليهودية، ومعابد النار، والاضرحة البوذية بشكل منظم، وذبح الرهبان البوذيين والمسيحيين[١٤٤]. وامر نوروز بتعذيب البطريرك مار يهبالاها الثالث، ولم ينج الا بتدخل من الملك الارمني **هيثوم** (Hethum) الثاني، حيث اعاده غازان بعد ذلك الى وظيفته. ولكن بعد بضعة اشهر قامت عصابات مسلمة بتدمير الكرسي البطريركي والكاتدرائية في مراغة. كما اعاد نوروز العمل بقوانين الزي التمييزية، حيث كان على المسيحيين واليهود ان يضعوا قماشا مميزا



بوابة ضريح الشيخ عادي في لالش، شمال العراق. وكما يروي توما المرجي من القرن التاسع، فان لالش كانت اصلا ديرا نسطوريا، تم احتلاله في حوالي القرن الثاني عشر من قبل الايزيديين الذين يطلق عليهم عبدة الشيطان، وتم ترقيته ليكون ضريحهم الرئيسي. هناك الى يمين قوس البوابة افعى احفة لترمز الى الشر، الذي ينبغي ترضاؤه. وقد قام الايزيديون، ين نشأوا من طائفة صوفية لامية، بدمج افكار مانوية ادشتية معتقدين بانه من الخير ضاء لوسيفورس القريب بدلا عبادة الله البعيد.

في عمامتهم وحزاما خاصا[١٤٥]. ورغم ان غازان امر باعدام نوروز القوي في سنة ١٢٩٧ ليهدىء من الموقف نوعا ما، إلا ان النظرة السياسية والاجتماعية للمسيحيين كانت قد باتت مظلمة. وقد فتح نوروز لمسيحي ايران وبلاد الرافدين البوابة الى جهنم التي سيدفعهم اليها تيمورلنك.

الفرصة للتحالف بين الايلخانات المغول واوربا

سافر الملك الارمني هيثوم الاول (+١٢٦٩) الى قره قروم في وقت مبكر يرتقي الى ١٢٥٣ للاعتراف بالسيادة المغولية. ومنذ ذلك الحين كانت الممالك المسيحية لارمينيا من اكثر حلفاء الايلخانات

الموثوق بهم. وكان للحملة العسكرية المشتركة ضد الدول الاسلامية بالنسبة لهم اهمية الحروب الصليبية. لكن الحلفاء المسيحيين كانوا قليلي العدد، الامر الذي دفع بهولاكو الى البحث عن حلفاء في اوربا الغربية بعد خسارة سوريا للمماليك، حيث قام بارسال وفد الى **البابا اوربان الرابع** في سنة ١٢٦٤[١٤٦]. ومنذ ذلك الحين ولاربعين سنة، كان المغول المغرورين يتضرعون امام الباباوات وملوك اوربا. وكان الشرق، القوي تماما قبل بضع سنوات فقط، يسعى الى التعاون من الغرب. وقد قام خليفة هولاكو اباكا بالمزيد من المحاولات لاعادة إثارة الاهتمام بفلسطين، الذي كان قد خمد في اوربا. وقام بارسال وفود في سنوات ١٢٦٧ و١٢٦٩. وكان امرا مبهما بالنسبة للمغول بان ترسي الحملة الصليبية الثامنة بقيادة الملك **لويس التاسع** ملك فرنسا، في ارض تونس بدلا من فلسطين او سوريا[١٤٧]. ومع ذلك، ارسل الالخان في سنة ١٢٧٤ مبعوثين مغول الى مجمع **لاين الثاني** (Second Council of Lyons). وكان عرضهم في تحالف عسكري يمثل احدى الفرص الاخيرة لانقاذ الصليبيين المحاصرين. لكن البابا **غريغوري** العاشر (+١٢٧٦) لجا الى المراوغة ومنح اباكا جوابا غير ملزم. كما لم تلق رسائل اضافية الى البابا، والملك **ادور الاول** ملك انكلترا، والى **جيمس** ملك اراغون في سنة ١٢٧٦ و١٢٧٧ جوابا[١٤٨].

وبعد المحاولة الفاشلة لاستعادة سوريا في سنة ١٢٨١، بدأ نجل اباكا وخليفته بمساعي دبلوماسية. وسعى في البعثة الاولى الى البابا **اونوريوس** (Honorius)، (+١٢٨٧)، في سنة ١٢٨٥ الى تحالف عسكري هجومي ضد مصر، للهجوم عليها من الطرفين[١٤٩]. وبعد سنتين، وبتوصية من البطريرك مار يهبالاها الثالث، ارسل ارغون النائب البطريركي العالم **ربان بر صوما**، من اصل ايغوري، مبعوثا الى اوربا الغربية. وقد التقى الراهب اولا بالامبراطور **اندرونيكوس** (Andronicus) الثاني (حكم بين ١٢٨٢-١٣٢٨) في القسطنطينية. ثم انطلق الى نابولي. وفي روما، حيث شاهد المنديل* الذي كان قد سرق في سنة ١٢٠٤ من قبل الصليبيين من القسطنطينية. وكان البابا **اونوريوس** قد توفي توا، فاستقبله الكرادلة المجتمعون هناك[١٥٠]. فشرح لهم الارسالية الاسيوية لكنيسة المشرق وبان الكثيرين من المغول والقبائل التركية والصينية كانت مسيحية، ومن بينهم ملكات وامراء شباب. بهذا الحديث واحاديث لاحقة مع البابا المنتخب حديثا **نيقولا الرابع**، اثار تماما ودون شرط اهتمام روما في حملة الى الصين. ثم انطلق ربان بر صوما الى باريس لزيارة الملك فيليب الوسيم** (Philip the Fair) ثم الى **بوردو** (Bordeaux) للقاء الملك **ادورد الاول** ملك انكترا. ورغم ان كلا الملكين استقبلا المبعوث باسمى علامات الاكرام، إلا انهما لم يرغبا في القيام بحرب صليبية اخرى، رغم ان ارغون كان قد وعد بانه في حال غزو فلسطين فانه سوف يعمّد نفسه هناك[١٥١].

---

* كفن تورينو [المترجم]

** وهو فيليب الرابع حفيد الملك لويس التاسع الذي مات في تونس وهو يحارب المماليك هناك. (المدقق)

ورغم هذا الفشل الدبلوماسي، أمر ارغون مرة اخرى الجنوي° الذي من جيزولف (Gisolf) بأن يقدم الى الملك فيليب والملك ادورد خطة ملموسة. وقد اشارت الرسالة المكتوبة باللغة المغولية والكتابة الايغورية الى مهمة بر صوما واعلنت: "بعد الدعوة من السماء، سوف نبدأ بحملة في الشهر الاخير من الشتاء من سنة النمر [كانون الثاني ١٢٩١] ونقيم معسكراً امام دمشق في حوالي اليوم الخامس عشر من الشهر الاول من الربيع. [٢٠ شباط ١٢٩١] فإن ارسلت ايها الملك قواتك في الوقت المحدد، والحقنا الهزيمة بهؤلاء القوم، وقمنا باحتلال اورشليم بعون من السماء، فإننا سوف نسلمها اليكم. وإن وصلت قواتكم متأخرة، فما الجدوى من هذه الخطة؟"[152] ومرة اخرى لم يحدث هناك اي تحالف.

وفي سنة ١٢٩٠، وفي ضوء الاجابات غير الحاسمة، قام ارغون بمحاولة رابعة واخيرة، وارسل الضابط المسيحي **زاغان** (Zagan). وفي الوقت الذي كان فيه زاغان يحاول عبثاً الحصول على تأييد في اوربا، سقطت آخر قلعة صليبية في **عكا** بيد المماليك، في ٢٨ ايار ١٢٩١، وهكذا فقد آخر راس جسر مسيحي في فلسطين. لقد انتهى اخيراً عصر الحروب الصليبية.

رغم ان الامراء المسيحيين كانوا يرفضون العروض المغولية بشكل ثابت لغرض التحالف، قام الالخان المسلم غازان، بعد بعثته الفاشلة في سنة ١٢٩٩، والذي كان منشغلا بحرب حدودية مستمرة مع المماليك، بمحاولة اخيرة في سنة ١٣٠٢. ووعد **البابا بونفس** (Pope Boniface) الثامن، والملك ادورد ملك انكلترا، وجيمس الثاني ملك



سالة بطريرك كنيسة المشرق سنة ١٣٠، مار يهبالاها الثالث (شغل منصب في ١٢٨١ -١٣١٧)، الى ابا بونيفس الثامن. ان الختم حمر للبطريرك على شكل ليب هو باللغة الايغورية والكتابة ريانية. انها تؤكد باسم الخان ظيم مونكي سلطة البطريرك كل المسيحيين، وتقضي بانه مكن لاي مسيحي السفر الى ن العظيم دون رسالة مختومة تم البطريركي. (الوثائق السرية كان، A.A. Arm. I-XVIII, (1800[64]

اراغون بأنه في حال عقد تحالف عسكري ضد مصر، فإنه سوف يرتد عن الاسلام ويعتمد[153]. فمرت هذه الفرصة دون ان تستغل. وفي سنة ١٣٠٣ مني غازان بهزيمة تامة عند دمشق. وفي ضوء قلة الاهتمام الاوربي في تحالف ضد الاسلام، بقي غازان مسلماً. ولم يعد يطلب الالخان **اولجيتو** (Oljeitu)، (حكم في سنة ١٣٠٤ -١٣١٦)

° نسبة الى جنوة الإيطالية [المترجم]

في سنة ١٣٠٥، في المحاولة الدبلوماسية التالية، من الملك فيليب الوسيم ملك فرنسا، تحالفاً، بل مجرد علاقات ودية[154]. وهكذا اغلقت نافذة الفرصة من اجل امكانية اعادة المنطقة التي تمثل الان ايران والعراق الى المسيحية، لتختم المصير طويل الامد للمسيحيين هناك.

الربان بر صوما والربان مرقس – الماركوبوليون النساطرة من آسيا

وفي الوقت الذي كان يعيش فيه الـ **بولوس** في الصين سافر ايغوري نسطوري من بيجينغ الى بغداد، والقسطنطينية، وروما، وفرنسا. حيث التقى بالبابا وملكين – كان نوعاً من ماركو بولو أسيوي بشكل معكوس. كان ربان بر صوما، الذي ولد في حوالي سنة ١٢٢٥، وهو احد الزوار الايغوريين التابعين للاسقف - يعيش في خان باليق[155].

ورغم ان والديه زوّجاه، إلا انه "نبذ ظلال هذا العالم [وهو في العشرين من العمر]"[156]. وقد تلقى مراسيم ترسيمه راهباً وحلق رأسه على يد المطرافوليط كيوركيس، وانزوى في صومعة لسبع سنوات، انتقل بعدها الى كهف قرب دير الصليب في جبال **فانغ – شان** (Fang- shan) جنوب العاصمة. وبعد بضعة سنوات جاء ابن ارشيدوق **اولون سوم** (Olon Sume) المدعو **مرقس**، الى الناسك راغباً في ان يصبح راهباً. وفي سنة ١٢٦٣ تمت رسامة مرقس راهباً من قبل المطرافوليط **نسطور**، وعاش مع معلمه في منسك الصليب. وبعد خمسة عشر سنة غادرا في رحلة الى اضرحة القديسين والبطاركة في بين النهرين واورشليم. وقد سافرا، بالسير على خطى ماركو بولو، ان صح

الجزء العلوي من الوجهة مسلة نسطورية من الحجر في فانغ شان Fang Shan في الصين. وتنص الكتابات على: "لكي تعلن على المسلة المرسوم الامبراطوري بان الصليب". ويعلو صليب الدير الاعلى بوضوح. وقد عثر من قانغ شان، التي تقع على ٧٠ كلم جنوب غرب بيجينغ، على حجريتين، ومسلتين كبيرتين بالكتابة في سنة ١٩١٩. كلتا الكتابتين صليبا على وتصور احداهما اربعة سريانية ايضا، وتقتبس احداها ٣٤:٥ من الترجمة السريانية "بشيطتا": "انظروا المقدس"[65] وتعود المسلة الى سنة ٩٦٠، وتحيي الدير، الذي تم في سنة هذا الدير الجديد بونيا، ٩٥٢. وكان الدينية للدير القديم. والمسلة الاكبر التي يبلغ ارتفاعها ٢٧٣ سم، منقوشة بالكتابة من الجهتين. وتروي الامامية التي تعود الى سنة ١٣٦٥ ترميم الدير الذي تم في سنة ١٣٥٧. وهي تذكر "قبل زمن طويل جاء الى هنا كاهن [مسيحي] من الاراضي الغربية" - هل حدث ذلك اثناء عهد سلالة تانغ - اي، قبل سنة ٩٠٧؟ وفي الختام يثني النقش الخطي calligraphic المرسوم الحكيم للامبراطور تيمور (حكم ١٣٣٣ - ١٣٦٨)، الذي مكّن من اعادة اعمار الدير النسطوري. وتذكر الجهة الخلفية، التي تعود الى سنة ١٣٨٢، بل سكان القرى المجاورة كانوا قد نصبوا المسلة، بعد ان سقطت.[66]



التعبير، الى **تانغوت** و**خوتان** و**كاشغار**، وبعد ذلك الى **تالاس** في ارض الانهار السبع، والى **طوز** في خوراسان، ثم الى مراغة للقاء البطريرك **مار دنخا الاول**. وتابعا رحلتهما وزارا اهم اديرة ومزارات بين النهرين، لكن خطورة الموقف على الحدود الغربية حال دون وصولهما الى هدفهما النهائي اورشليم.

وفي سنة ١٢٨٠ استدعاهما مار دنخا للعودة، لانه كانت لديه خططاً اخرى: "ليس هذا وقت السفر الى اورشليم. لقد تلقيتما بركات كل بيوت الله والذخائر التي فيها. وعندما يزورهما امرىء ما بقلب نقي، فإن الخدمة المقدمة لهم لا تقل ابداً عن الحج الى اورشليم. وقد قررت الان ان اكرس مرقس ليكون مطرافوليطاً على **كاثاي** (Cathai) و**اونغ** (Ong)، [التي تقع في شمال الصين



ي لقلعة اربيل (اربيلا)، العراق. التي تحصن ون النساطرة، وقوات ن سنة ١٢٩٧ حتى سنة

والاونغوت]. واما بالنسبة للربان برصوما، فاني ساجعلك نائباً بطريركيا عاماً، وسوف اعيدكما الى بلادكما"[١٥٧].

ومنح مرقس الاسم الجديد **يهبالاها**، التي تعني "الموهوب الهيا". وقد جعلت الحروب في وسط آسيا عودتهما مستحيلة، وهكذا انتظرا في دير بالقرب من الموصل. ولكن عندما توفي مار دنخا بعد ذلك بوقت قصير، قامت الهيئة الانتخابية، ولاعتبارات سياسية، باختيار التركي المغولي يهبالاها ليكون بطريركاً جديداً. وثبت **اباكا** الانتخاب، ومنحه الخاتم الذي كان الخان العظيم مونكي قد منحه علامة لسلطة الكرسي البطريركي.

وتم تنصيب البطريرك الجديد يهبالاها الثالث في ٢ تشرين الثاني سنة ١٢٨١.

وعندما طلب ارغون من يهبالاها سفيرا مناسباً الى اوربا الغربية في سنة ١٢٨٧، اوصى برفيقه في وقت ما، ربان بر صوما. واثناء زيارته الاولى الى روما، قدم النائب البطريركي العام النسطوري للكرادلة المجتمعين قانوناً دايوفيزيتيا موثوقاً به: "انه [المسيح] في الوهيته من الاب منذ الازل، وفي ناسوته ولد في زمن مريم، وهو اتحاد متلازم غير قابل للتجزئة الى الابد. وابن هذا الاتحاد إله كامل وانسان كامل - طبيعتان، واقنومان في **برسوبا** (parsopa) واحد"[١٥٨]. وعندما قبل الكرادلة هذا الاعلان المسيحاني

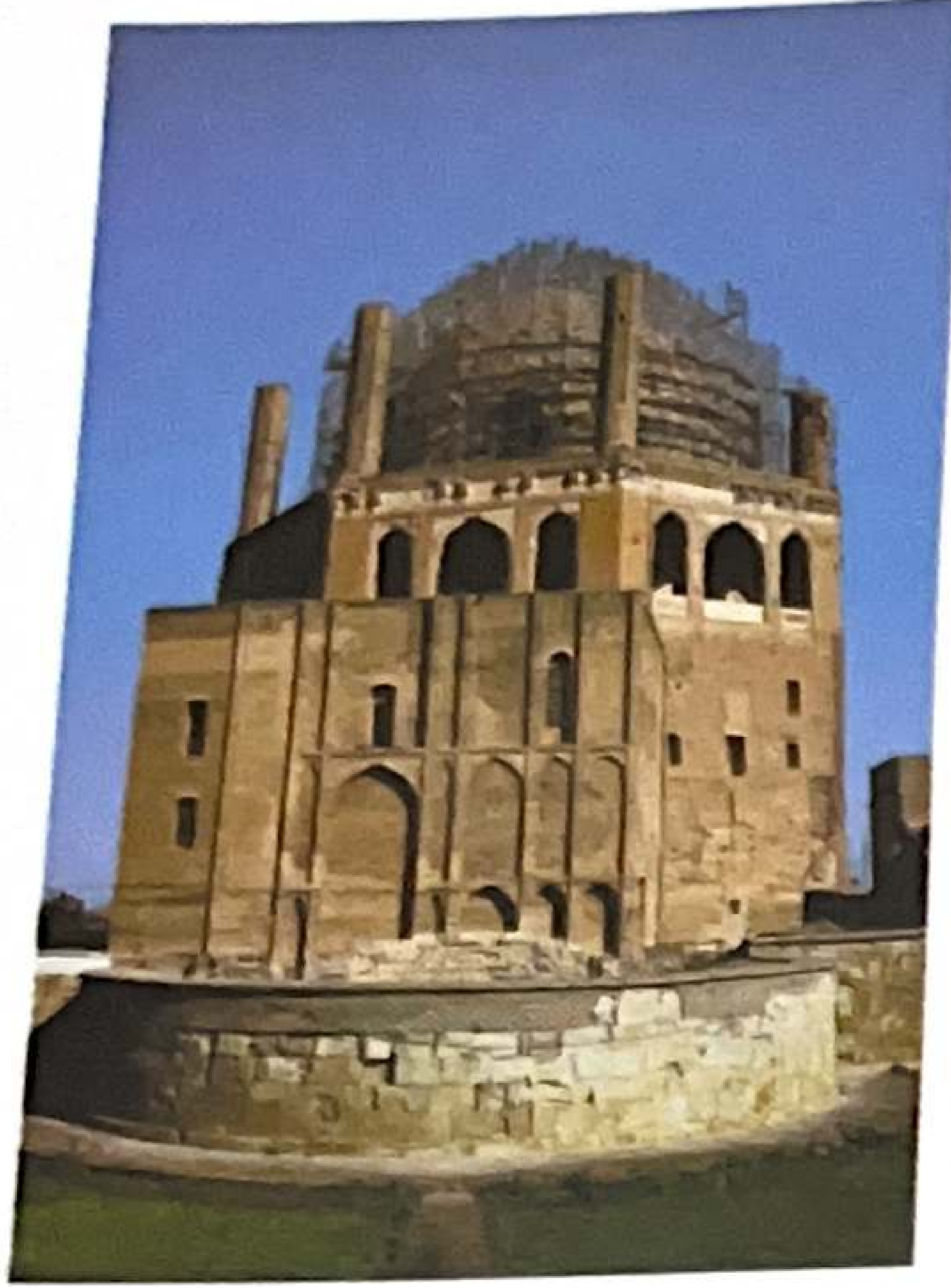
ضريح الالخان اولجايتو Oljaitu (حكم في سنة ١٣٠٤-١٣١٦) المؤلف من ثلاثة طوابق، والذي يبلغ ارتفاعه ٥١ مترا في السلطانية بايران. ويبلغ قطر القبة ٢٦ مترا. وكان اولجايتو، الذي كان قد عمده البطريرك مار يهبالاها باسم نيقولا، مسلما متعصبا، وساهم بشكل كبير في تدهور كنيسة المشرق.

- رغم كونه هرطوقي في سياق الكاثوليك- وسعوا الى مسائلة بر صوما حول اضافة **والابن** (filioque) المتنازع عليها، صدهم بقوله: "لقد اتيت من بلاد بعيدة ليس لكي اناقش، ولا ان اعلم في قضايا الايمان، لكنني اتيت لكي اعلن كلمات الملك [ارغون] والجاثاليق"[١٥٩].

وبعد نصف سنة فيما بعد، عاد ربان بر صوما الى روما وقد خابت أماله بمرارة ما، لانه لا ملك فرنسا ولا ملك انكلترا كانا اظهرا رغبة حقيقية في غزو اورشليم مع المغول. ورغم ان البابا المعين حديثا نيقولا الرابع سمح للنائب البطريركي العام المغولي بالمشاركة في جميع صلوات الاسبوع المقدس، والاحتفال بالقداس في روما بحسب الطقس النسطوري، فانه هو الاخر لم يقم باي التزام. وتوفي ربان بر صوما في سنة ١٢٩٤ في بغداد.

وقد اتسمت بطريركية مار يهبالاها العاصفة بالكفاح من اجل الحفاظ على كنيسة المشرق وسلامة المسيحيين. وبعد ان نجا من الموت تحت حكم الالخان احمد، فقط بفضل تدخل ام الملك النسطورية، كوتوي خاتون. مرت دزينة من السنوات الامنة قبل ان يحتل غازان السلطة، الذي امر بتدمير بيوت العبادة غير الاسلامية. وقد زج بالبطريرك في السجن وعُذب، وهذه المرة كان مديناً لانقاذ حياته للملك **هيثوم الثاني** ملك ارمينيا، الذي كان آنذاك في مراغة. وبعد ان سمح لمار يهبالاها بالعودة الى منصبه في سنة ١٢٩٦، قام المسلمون بنهب وتدمير مقر اقامته البطريركي، واجبروه على الهرب.

وفي الوقت ذاته حاول نوروز، بمساعدة من الاكراد، طرد النساطرة من قلعة اربيل المحصنة. وعندما جرد غازان نوروز المتطرف من سلطته، هدأ الموقف بعض الشيء. وهنا اقترح الالخان على البطريرك بأن يغادر المسيحيون القلعة القوية، اضافة الى مدينة اربيل، ويقيموا في موقع آخر. لكن اربيل كانت القاعدة الاخيرة للمسيحيين المحاصرين. وفي جوابه عدد البطريرك اليائس الاماكن التي اجبر على الهرب منها، لا سيما بغداد، ومراغة، التي رثا بعدها مصير كنائس اخرى: "لم يبق في تبريز إلا قطعة منبسطة من الارض من غير بناية عليها، وفي همدان، يستحيل تحديد المكان الذي كان يقوم فيه الدير والكنيسة. ولم يبق الان الا دير وكنيسة اربيل ومائة انفس. فهل تريد ان تبددهم وتنهبهم؟ ما جدوى الحياة لي؟ فليأمر سيدي الملك، إما بالعودة الى



الشرق، من حيث اتيت، او ان اذهب الى بلاد الافرنجة واضع نهاية لحياتي هناك"[160]. فلان له قلب غازان واحتفظ النساطرة بقلعتهم.

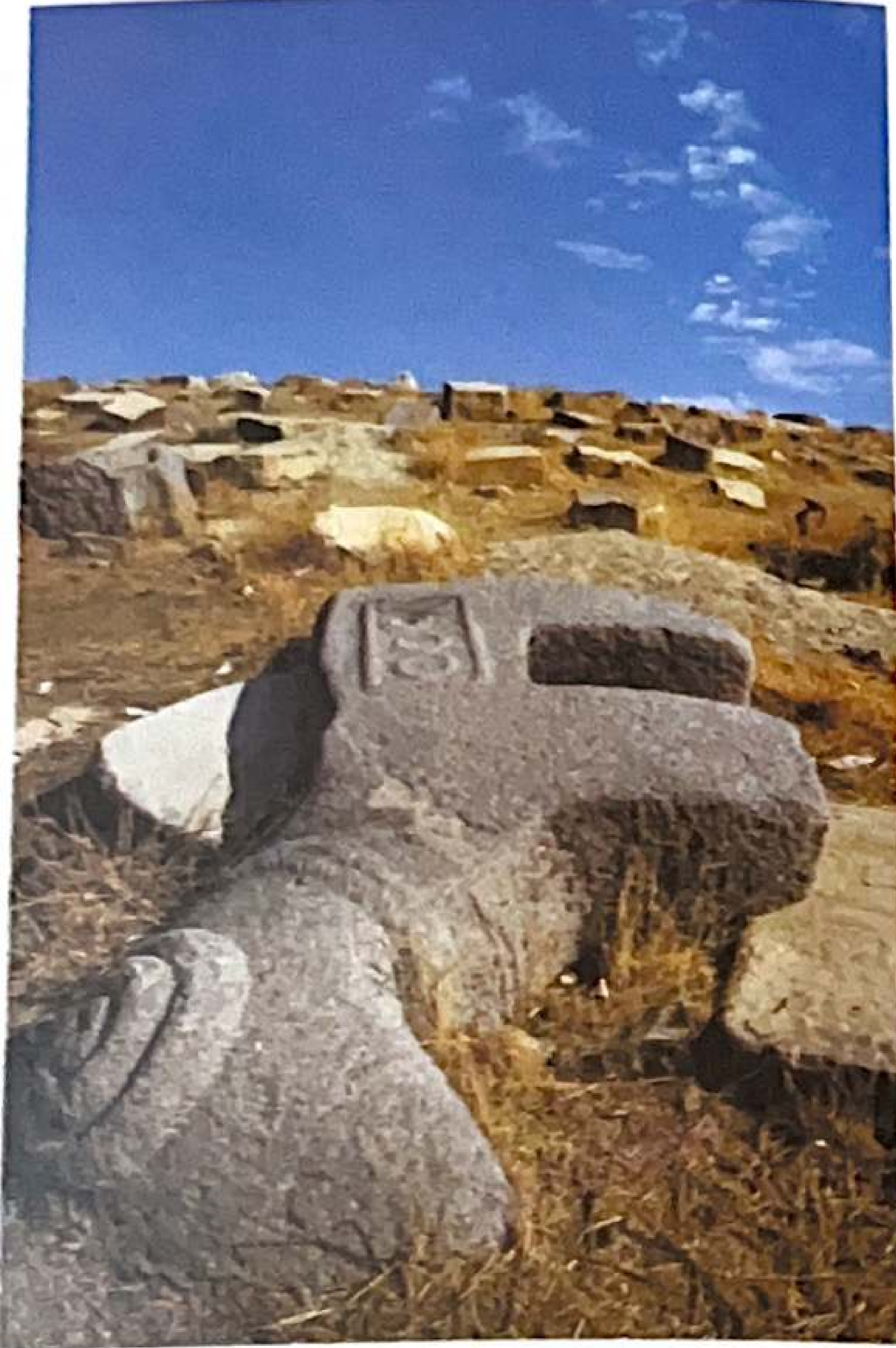
ولما كان غازان يسعى مرة اخرى بدءاً بسنة ١٢٩٩ الى تحالف مع اوربا، تبنى موقفا ايجابيا اكثر تجاه المسيحيين، الامر الذي سمح لمار يهبالاها باعادة بناء الكاتدرائية ومقرالاقامة البطريركي في مراغة. بل حتى تطورت، مع مرور الزمن، علاقة ودية بين غازان، الذي كان يدعم بشكل ثابت فرض الاسلام على ايران، والبطريرك المغولي، والتي بلغت الذروة بزيارة الخان الى مراغة في سنة ١٣٠٣ ومنحه صليباً ذهبياً يحوي شظية من **الصليب الحقيقي** وكان **البابا بونيفس الثامن** (جلس على الكرسي بين ١٢٩٤-١٣٠٣) قد ارسله الى الحاكم المسلم عربونا لاحترامه[161].

وفي هذه الفترة الهادئة نسبياً فوّض البطريرك، اللاهوتي الاول لذلك الزمان **مار عبديشوع** (+١٣١٨)، مطرافوليط نصيبين وارمينيا، لوضع كتاب تعليم مسيحي سهل على الفهم. وفي سنة ١٢٩٧/١٢٩٨، وضع الاسقف **عبديشوع** (Abedjesus)، كما كان يعرف في الغرب، **كتاب مرغنيثا** (The Book of Marganitha)، (اللؤلؤ) في **حقيقة المسيحية**[162]. وقد اعلن **سينودس سنة ١٣١٨** بأن هذا الكتاب اضافة الى كتب اخرى في القانون الكنسي والقانون المدني ملزمة. وقد مكّن الاتصال الدبلوماسي لغازان مع اوربا مار يهبالاها من تبني مبادرة البطريرك **سبريشوع الخامس** (شغل الكرسي ١٢٢٦-١٢٥٦)، الذي كان قد اقترح في سنة ١٢٤٧، وحدة الصلاة مع **البابا انوسنت** (Innocent) الرابع. وقد الهمت الاعتبارات السياسية البطريرك للسعي الى صيغة من الاتحاد مع روما. فاعطى اولاً رسول غازان، **سعد الدولة** المسيحي، رسالة الى **البابا بونفس** (Biniface) التي اقترح فيها التقارب بين الكنيستين[163].

وبعد سنتين في مراغة اعطى الدومنيكي **جاكوب** الذي من **آرلس- سور- تك** (Jacob of Arles-sur-Tch) مرسوما مكتوبا بالعربية لاطلاع البابا **بندكت الحادي عشر** (Benedict XI)، (جلس على السدة البابوية في ١٣٠٣-١٣٠٤)، التي قام جاكوب بترجمتها الى اللاتينية. وتظهر مقارنة بين النصين، بأن الاخ جاكوب قام بتكييف ترجمته وفق توقعات الكنيسة الكاثوليكية[164]. ويؤكد النصّ العربي على القانون النيقاوي ويدعو المسيح "إله كامل وانسان كامل". ورغم ان البطريرك تجنب التحدث عن اقنومين، إلا انه كان يفهم القناعة السريانية الشرقية من ان الوهية المسيح لم تكن متأثرة بالم ناسوته على الصليب. ان القبول بالترجمة، **والابن:** في الترجمة اللاتينية غير موجود في الاصل العربي. وهكذا، لم يكن البطريرك قد تخلى عن أساس الارثوذكسية النسطورية. بيد انه اقر بسمو البابا امام كل الزعماء الدينيين المسيحيين وبحقيقة انه "[يشغل] كرسي بطرس، كرسي ممثل يسوع المسيح لكل اولاد الكنيسة الرسولية من المشرق الى المغرب"[165]. ولم تأت رسالة مار يهبالاها باية نتيجة.

وعندما ارتقى **اولجايتو** (Olijeito)، (حكم بين سنة ١٣٠٤-١٣١٦) العرش، سُرّ مار يهبالاها، لانه كان قد عمده باسم نيقولا. لكنه خاب ظناً، لان الامير كان قد اعتنق الاسلام وسرعان ما بدأ باضطهاد المسيحيين. وفي سنة ١٣٠٦ لجأ البطريرك المعرّض للخطر الى قلعة اربيل، ولكن في وقت مبكر من سنة ١٣١٠ اجبرته القوات

المغولية والكردية على مغادرة القلعة، حيث فتحت بعد ذلك، بعد حصار دام عدة اشهر، وذبح المسيحيون او جرى بيعهم عبيداً[166]. وهرب يهبالاها الى مراغة، حيث توفي في سنة ١٣١٧. وفي فترة ٣٦ سنة التي امضاها في الخدمة، قام البطريرك بتكريس ٧٥ اسقفا ومطرافوليطا ودافع بكل ماأوتي من قوة عن المسيحيين الذين عهد بهم اليه. لكنه لم يكن قادراً على الفرض المستمر للاسلام على ايران، والتدهور البعيد المدى لكنيسته في عقر دارها.



المقبرة النسطورية في كوكتبه (Goktepe)، في منطقة اورميا، في ايران. وترجع عادة اضافة شكل حجري لكبش في القبور النسطورية والكلدانية الى تقليد مغولي. وهو موجود ايضا في القبور القديمة في منغوليا وكازاغستان.[167] ويعود هذا التقليد في اكبر الظن الى الممارسة الصينية القديمة بوضع مسالك من الاشكال الحجرية، او ما يسمى "طرق النفس" في قبور الامراء. وتوجد اشكال حجرية مشابهة في المقبرة المسيحية في خسرو اباد قرب ديليمون، في اذربيجان، وفي المتحف التاريخي في مراغة، وكلاهما في ايران.

تخريب تيمورلنك وتقهقر المسيحيين الى جبال كردستان

بعد موت يهبالاها انتخب الاساقفة مطرافوليط اقليم اربيل المدمر، الذي اتخذ من **طيماثاوس الثاني** (جلس على الكرسي بين سنة ١٣١٨-١٣٣٢) اسماً له. وقبل ذلك بسنتين كان **ابو سعد** البالغ من العمر اثنتي عشرة سنة قد اختير ليكون إلخانا، لكن السلطة بقيت بيد الامير **جوبان** (Choban) الذي كان يحمي المسيحيين. وقد مكن الموقف الهادىء نسبياً البابا **يوحنا الثاني والعشرين** لتأسيس ابرشية السلطانية قصيرة العمر في سنة ١٣١٨. وبعد الاطاحة بجوبان في سنة ١٣٢٧، بدأت الاضطهادات ثانية، وحوّل دير مار يهبالاها في مراغة الى جامع. وان الصراع على السلطة الذي اندلع بعد موت ابو سعد، وغياب حكومة مركزية، ادى الى تفاقم وضع المسيحيين، الذين اصبحوا الان ضحايا امراء الحرب المحليين وعصابات اللصوص. ولهذا السبب انتقل الكرسي البطريركي مع محل اقامة شاغلي هذا المنصب الى حيث يوجد هناك شعور بالامان. وحدث هذا ضمن المثلث المتكون من الموصل في الجنوب، وبحيرة اورميا في الشرق، وبحيرة وان في الغرب. ونتيجة لهذه الانتقالات العديدة، لا تكاد توجد هناك اية وثائق تاريخية من الفترة بين سنة ١٣٥٠ وسنة ١٥٥٠، وفي حالة بعض البطاركة فإنه حتى الفترة المحددة في المنصب مجهولة. وفي الوقت ذاته ترك نساطرة بين النهرين المهمشين السهول الخصبة للفرات ودجلة لكي يغيروا موقعهم في كردستان القاسية واذربيجان. وقد إعتنق الكثيرون منهم الدين الاسلامي.

وكان تيمورلنك (حكم بين ١٣٧٠-١٤٠٥)، ذو الاصل التركي، هو الذي وجه الضربة القاضية لكنيسة المشرق المخرّبة. وكان تيمورلنك المسلم يملك العبقرية العسكرية لجنكيزخان ويزيده وحشية، كما يشهد على ذلك اهرامات الجماجم سيئة الصيت التي اقامها عند غزوه للمدن. لكنه مع ذلك كان يفتقر الى التسامح الديني لايلخانات المغول الكبار، إذ كان يكره المسيحيين واليهود كرهاً شديداً. وهكذا جمع تيمورلنك بين الرغبة الشديدة في الغزو والتعصب الاسلامي. وبدءاً بحوالي سنة ١٣٧٠ قام بتوسيع مملكته عبر آسيا الوسطى، وفي سنة ١٣٨٠ قام بغزو الايلخانية السابقة. وكانت الكنائس والمعابد اليهودية تدمر في كل مكان، ويجري ذبح المسيحيين واليهود – وحدثت إبادة حقيقية بين مسيحي ويهود آسيا. ثم قام ابن اخ تيمورلنك، **اولوغ بك** (Ulug Beg)، (١٣٩٣-١٤٤٧) بالقضاء على اخر المسيحيين الباقين في سمرقند[١٦٧]. فأهلك عُشر كنيسة المشرق بشكل منظم. وعند نهاية القرن الرابع عشر، سقطت واختفت من المنطقة حول بغداد، بعد ان قُضي عليها في الصين، ومنغوليا، وآسيا الوسطى، وايران (عدا المنطقة حول اورميا). وبعد ما يقارب احد عشر قرناً من التوسع، انكمشت المسيحية في الارض الواقعة الى شرق الفرات، لتعود الى اصولها الجغرافية. ولم تتمكن الكنيسة من البقاء إلا في كردستان المنيعة، وفي اذربيحان الايرانية، وارمينيا وكيرالا، التي نجت من العبث التدميري لتيمورلنك لاسباب مناخية وجغرافية.

وفي القرن السادس عشر انهار التنظيم القائم للكنيسة، وهكذا في سنة ١٤٥٠ جعل **البطريرك شمعون الرابع باصيدي** (Basidi)، (شغل الكرسي بين ١٤٣٧-١٤٩٧) البطريركية وراثية. ومنذ ذلك الحين فصاعداً تم حجز المنصب لعائلة ابونا، وانتقلت من العم الى ابن الاخ، او في حالات نادرة اكثر، الى اخ اصغر. وفي حالات استثنائية، كان يتم تعيين غلام حيث يقوم احد الاقرباء مثل الام او الاخت الكبرى بالاشراف على شؤون الكنيسة حتى بلوغ القائد المعين سن الرشد[١٦٨]. وسرعان ما اصبحت مناصب المطرافوليط والاسقف وراثية ايضاً. ومن خلال انتقال المناصب وراثياً، فإن تعيين الخلفاء جعل مبسطاً ومحمياً بشكل افضل من التلاعبات الخارجية. ولما كانت هذه المناصب الاكليريكية مرتبطة بأسر خاصة، واحياناً يقوم باشغالها من قبل رؤساء العوائل، فإن تنظيم الكنيسة اصبح مجدولاً اكثر فاكثر بالبنى العشائرية للمؤمنين. وكان البطريرك هو السلطة الكنسية والمدنية في شخص واحد، لينطبق ذلك على الصيغة القديمة من التنظيم، رغم انه كان عليه ان يشارك السلطة الدنيوية مع رؤساء العشائر والامراء الاكراد المسلمين في منطقته.

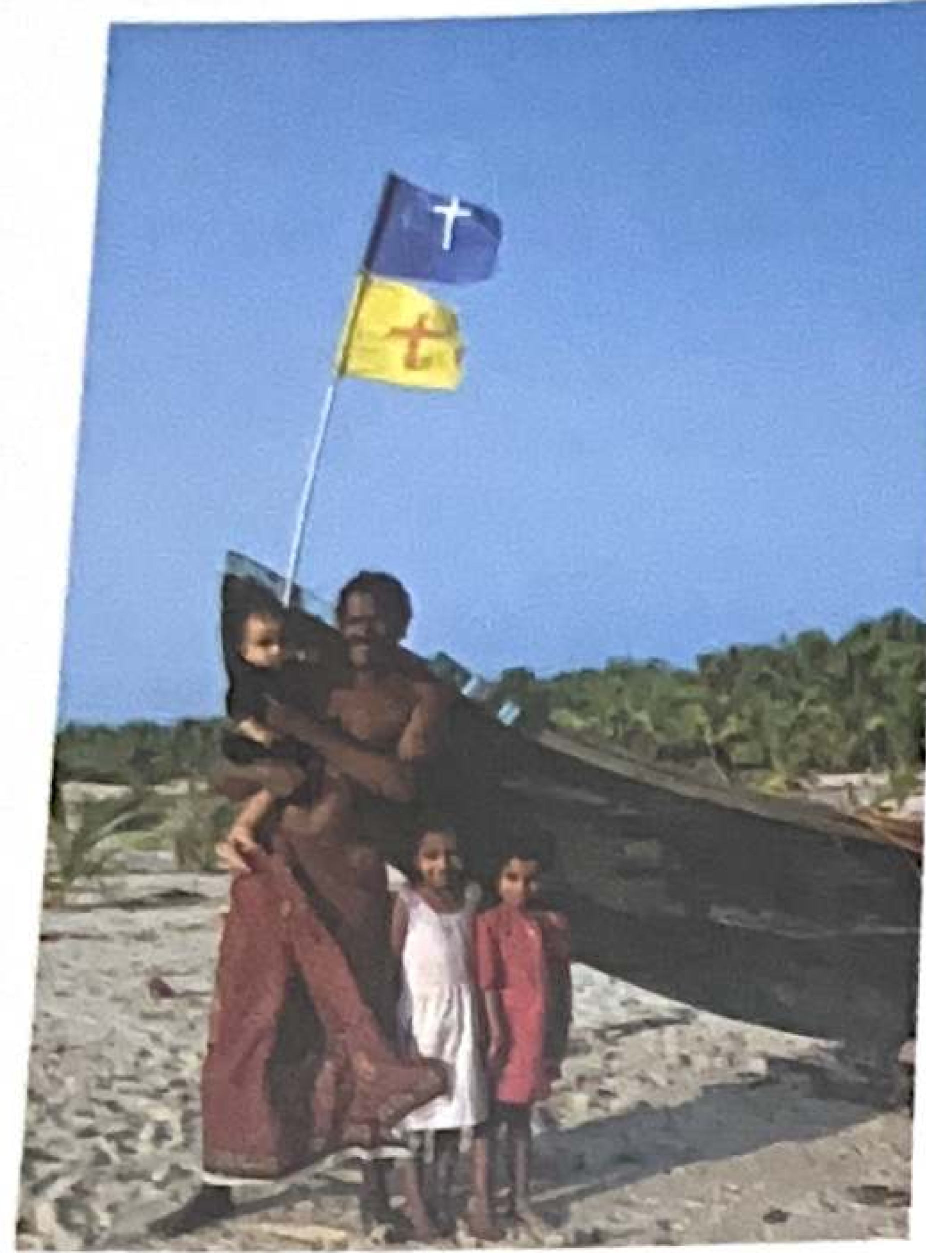
وفي النهاية، كان على كنيسة المشرق ان تنظم نفسها كشعب من اجل ان تبقى. وهكذا برزت من بين انقاض الكنيسة العالمية سابقاً، التي كانت قد ضمت شعوباً واقواماً عديدة، كنيسة محلية وفق المبادىء العشائرية. وصار حضور كنيسة المشرق ملازماً لمنطقة معينة وشعب معين، هم الآشوريون. ولم تتمكن الكنيسة من تحرير نفسها من قيود الاكليرس الوراثي إلا بعد مضي نصف ألفية (من السنين) فيما بعد.

١٠ – مسيحيو توما في جنوب الهند

الجماعة السريانية الشرقية على ساحل ملبار

حدث الاتصال الاول بين مسيحيي توما في جنوب الهند، وكنيسة المشرق في حوالي سنة ٣٠٠، حيث تم بعدها دمجهم هرمياً مع الكرسي الرسولي الايراني في **رو اردشير** (Rew Ardashir) في اوائل القرن الخامس[١]. ثم قام البطريرك **ايشوعياب** الثالث (ارتقى الكرسي الرسولي في سنة ٦٥٠-٦٦٠) بعد ذلك بترقية الابرشية الهندية الى مرتبة الكرسي الرسولي للهند، تحت سلطته مباشرة. والتي كان مقرها في آنغامالي (Angamali) في القرن السادس عشر[٢].

وكما تظهر الوثائق النحاسية من القرنين الثامن والتاسع، فان مسيحيي توما كانوا مندمجين تماماً في المجتمع الهندي ويتمتعون بحماية الامراء المحليين. وكان ازدهارهم مبنياً على مزارع الفلفل العائدة لهم، والتجارة التي شجعتها تزايد اهمية مدينة وميناء **قيلون** (Quilon). وبدءاً بالقرن التاسع كانت قيلون اهم ميناء في جنوب غربي الهند حيث كانت ترسو كل من السفن الفارسية والسفن الشراعية الصينية، الامر الذي ادى الى الاتصال بين سريان قيلون الشرقيين، وسريان **زايتون** في الصين في القرنين الثالث عشر، والرابع عشر.



صيادو السمك في كيرالا، جنوب الهند. ان صيادي السمك المسيحيين فخورون بانتمائهم الديني لسببين: اولاً، ان يسوع المسيح سمى اول خليفة ارضي له بطرس "صياد الرجال"، ٦٨ وثانياً، ان المسيحية تمكن من الهرب من الطبقات الاجتماعية الدنيا لنظام الطبقات المغلق.

وبفضل اهمية قيلون، والقبر المزعوم للرسول* قرب **مايلابور** (Mylapore) على الساحل الشرقي للهند، التقى العديد من المسافرين من اوربا الغربية مع مسيحيي توما. وكان الاسقف الانكلو- ساكسوني **سيغهيلم** (Sigehelm) من اوائل هؤلاء، وقد ارسله **الملك ألفرِد** (Alfred) الكبير ملك انكلترا (+٨٩٩) الى مايلابور في حوالي سنة ٨٨٥[٣]. وبين سنة ١٢٩١ و ١٢٩٣

---

* توما [المترجم]


صلاة القداس في كيرالا جنوب الهند.

زار قيلون ومايلابور اوربيان بارزان: الاول هو اسقف **مومنتيكورفينو** في طريقه الى الصين، ومن ثم **ماركو بولو** في رحلة عودته الى البندقية. وتوفي رفيق مومنتيكورفينو المبشر الفرنسسكاني **نيكولاس البستويي** (Nicholas of Pistoia) في مايلابور ودفن هناك في كنيسة القديس توما للسريان الشرقيين[٤]. وعندما قرر البابا يوحنا الثاني والعشرون القيام بارسالية الى ايران، وقام بتأسيس ابرشية السلطانية في سنة ١٣١٨، ارسل الدومنيكي **جوردانوس كاتالاني** (Jordanus Catalani) الى الهند. وفي حوالي سنة ١٣٢٤ زار جوردانوس نساطرة **ثانا** (Thana)، وجزءاً من **موومباي** (بومباي) الحالية، ومدينة **سوبارا** (Sopara) القريبة، حيث تفاخر بقيامه بجعل "اكثر من 10,000 من الكفار المنشقين" مسيحيين[٥]. وحتى إن كان جوردانوس قد بالغ كثيراً، فان راويته تشير الى انه كان مايزال هناك نساطرة في شمال غرب الهند في القرن الرابع عشر. وعندما عاد الى الهند عينه البابا اسقفاً بـ قيلون في سنة ١٣٢٩، واعطاه رسالة يطلب فيها اعتراف من زعيم مسيحيي توما بسلطة روما[٦].

وبعد جوردانوس بعشرين سنة تقريباً، في سنة ١٣٤٨ امضى الاسقف الفرنسسكاني **جون المارغنوللي** (Johm of Marignolli)، (+١٣٥٧) عدة اشهر في قيلون. وعن النساطرة، فقد روى بأنهم كانوا يملكون جميع مزارع الفلفل، ويحتلون الوظيفة العامة للاوزان والمقاييس، ولا شك ان الامتيازات الموثقة على الواح النحاس كانت ماتزال سارية المفعول[٧]. وبعد ذلك، في حوالي سنة ١٤٣٠ تقريباً وصف **نيكولو كونتي** (Nicolo Conti)، (+١٤٦٩) وهو تاجر من البندقية ضريح توما في مايلابور[٨]. وتتيح هذه التقارير التي توحي ايضاً بوجود وزراء مسيحيين بل حتى ملوك، تطور فكرة امكانية وجود **القس- الملك جون** في جنوب الهند. وبناء على هذه الاحتمالات يقال بأن **فاسكو دا جاما** (Vasco da Gama) قد صرح عند وصوله الى **كاليكوت** (Calicut)، (كوزيكود Kozhikode)، "جئنا نبحث عن المسيحيين والتوابل"[٩]. وكان دا جاما مخطئاً، على اية حال، عندما حسب ان البراهمة الهندوس هم مسيحيين، ومعابدهم كنائساً. وكان البرتغالي **بيدرو الفارس كابرال** (Pedro Alvares Cabral) اول من التقى بمسيحيين حقيقيين، حيث وجدهم فعلاً بالقرب من كوشين (Cochin) في سنة ١٥٠٠.

وزودتنا رسالة بالسريانية من سنة ١٥٠٤ بلمحة عن موقف مسيحيي توما في ذلك الوقت. وهي تروي بأن الجماعة كانت تضم 30,000 عائلة – اي 150,000 الى 200,000 نسمة. وفي سنة ١٤٩٠ قاموا بارسال ثلاثة رجال اتقياء الى البطريرك مار شمعون الرابع (شغل الكرسي سنة ١٤٣٧–١٤٩٧*) شمال بلاد ما بين النهرين طالبين اساقفة. وقد وصل اثنان من المبعوثين الى هدفهم، وتمت رسامتهم كهنة من قبل البطريرك، حيث قام ايضا بتكريس راهبين كاساقفة، واطلق عليهم اسماء توما ويوحنا. ووصل الاربعة جميعاً الى كيرالا. وبعد بضعة سنوات عاد الاسقف توما الى بلاد ما بين النهرين حيث قام البطريرك ايليا الرابع (شغل الكرسي في سنة ١٥٠٢–١٥٠٣) بتكريس احد الرهبان ليكون المطرافوليط يهبالاها، وراهبين آخرين كاساقفة باسم يوحنا وكيوركيس، حيث عادوا جميعاً الى الهند في سنة ١٥٠٤. وبسبب مبادرتهم، تم بناء كنائس جديدة، كما اعيد ترميم ضريح توما في مايلابور.

وتستطرد الرسالة قائلة "ان ملك مسيحيّي الغرب، أخوتنا، الافرنجة (Franks)، ارسلوا الى هذه البلاد سفناً قوية وصلت بلدة **كاليكوت**"[١٠]. وكان اولئك "الاخوة بسفنهم القوية" هما **كابرال** و فاسكو دا جاما، اللذان عادا الى جنوب الهند في سنة ١٥٠٢. ولم يشعر مسيحيو توما بالتهديد من البرتغاليين المتفوقين عسكرياً، بل العكس من ذلك، كانوا يتمنون حمايتهم بوجه المسلمين المهاجمين. ولذلك ارسلوا وفداً الى دا جاما في تشرين الثاني من سنة ١٥٠٢ ووضعوا انفسهم تحت حماية التاج البرتغالي. وقد رحب البرتغاليون بهذا التحالف كثيراً، لانه كان في مقدور مسيحيي توما ان يقدموا اكثر من 25,000 جندياً في اوقات الخطر. فرد التجار المسلمون على هذا التحالف المسيحي، والتجاوز البرتغالي على احتكارهم التجاري، بنهب قيلون في سنة ١٥٠٥ و ١٥٢٤.

اعتناق النساطرة المذهب الكاثوليكي قسراً

كانت العلاقات مع مسيحيي توما خلال العقود الاولى من انشاء المستوطنات التجارية البرتغالية متناغمة تماماً، لان المستوطنين البرتغاليين الاوائل كانوا تجاراً بدلاً من ان يكونوا مبشرين. إضافة الى ذلك، لم يكن الكهنة الكاثوليك يعرفون السريانية في بداية الامر، لذلك لم يلاحظوا "الهرطقات النسطورية". وقد تمكن مسيحيو توما من الاحتفاظ بهويتهم الدينية وصلتهم بكنيسة المشرق بقيادة اسقفهم يعقوب (James) (+١٥٥٢) الذي كان قدم من بلاد ما بين النهرين. وبدات المشاكل بوصول الاخ **الفارو بنديدو** (Brother Alvaro Penteado) الى **غوا** (Goa) في سنة ١٥١١، والاسقف البرتغالي **جاو دي البوكيرك** (Jaoa de Albuquerque) في سنة ١٥٣٨، واليسوعي **فرنسيس خافيير** (Francis Xavier)، (+١٥٥٢). وكانوا يحتقرون كلا من الوثنيين الهندوسيين ومسيحيي توما السريان الشرقيين. وبدأوا وبمساعدة السلطات المدنية البرتغالية، بممارسة الضغط على النساطرة للتخلي عن افكارهم الشرقية في الايمان، وتبني الطقس اللاتيني، والاعتراف بسلطة البابا. وبسبب قيام مسيحيو توما بالدفاع ان

* هذا التاريخ هو ١٤٤٧ حسب العديد من مؤرخي كنيسة المشرق. (المدقق)



مسيحي يمثل يسوع في موكب في الشارع، في كيرالا. وهنا ايضا يتم التعبير عن المسيحية على شكل موكب كبيرة بعشرات الآلاف من المشاركين.

انفسهم دفاعا مستميتاً ضد اخضاع كنيستهم للاتينية وطقوسها، حاول الاسطول البرتغالي، الذي كان يسيطر على الممرات البحرية الى الغرب من كيرالا، قطع الاتصال مع كنيسة المشرق، من اجل منع وصول الاساقفة النساطرة من بلاد ما بين النهرين. فخاف الاسقف النسطوري **مار دنخا** الذي كان يعيش في **كرانغانور** (Granganore) على حياته، او في الاقل على حريته، وهرب الى داخل البلاد الى **آنكامالي** في سنة ١٥٣٤.

وفي ذات الوقت، قام المبشرون الكاثوليك بالتبشير الجماعي الحسن، مستهدفين الصيادين الهنود المسيحيين الفقراء، الذين كانوا ينتمون الى الطبقات الدنيا، والذين تمنوا بأن يمكنهم قبولهم للايمان الكاثوليكي من التحرر من قيود نظام الطبقات الهندي. فإن المبشرين الكاثوليك الذين كانوا قد ارتبطوا بالطبقات العليا، ولم يسبق لهم ابدا القيام بجهد تبشيري نشط بين الطبقات الدنيا، استغلوا تلك الفجوة، التي تركها مسيحيو توما مفتوحة استغلالا حسنا. وهكذا خلق الكاثوليك فعلا تماثلا اكليروسيا مع النساطرة. وفي الوقت ذاته بدأت محاكم التفتيش التي طالب بها فرنسيس خافير بعملها المرعب في سنة ١٥٦٠.

وازداد الموقف سوءاً عندما اتحد جزء من كنيسة المشرق في ما بين النهرين، مع روما سنة ١٥٥٣ بقيادة **يوحنا سولاقا**، وأسس بطريركية الكنيسة الكلدانية الكاثوليكية المنافسة. وقادها سولاقا تحت اسم يوحنا الثامن (+١٥٥٥). وقبيل ترقية ابرشية **غوا** اللاتينية الى درجة ابرشية رئيس اساقفة (Archdiocese) في سنة ١٥٥٨، قام البطريرك الكلداني يوحنا سولاقا، وبموجب مرسوم بابوي منح له، بارسال الاساقفة مار ايليا ومار يوسف الى جاوا، حيث وصلا الى هناك في سنة ١٥٥٥. وبينما غادر مار ايليا الهند بسرعة، قامت السلطات البرتغالية بتسليم مار يوسف* الى محكمة التفتيش التي قامت بارساله الى روما مرتين لتوضيح استقامة عقيدته.

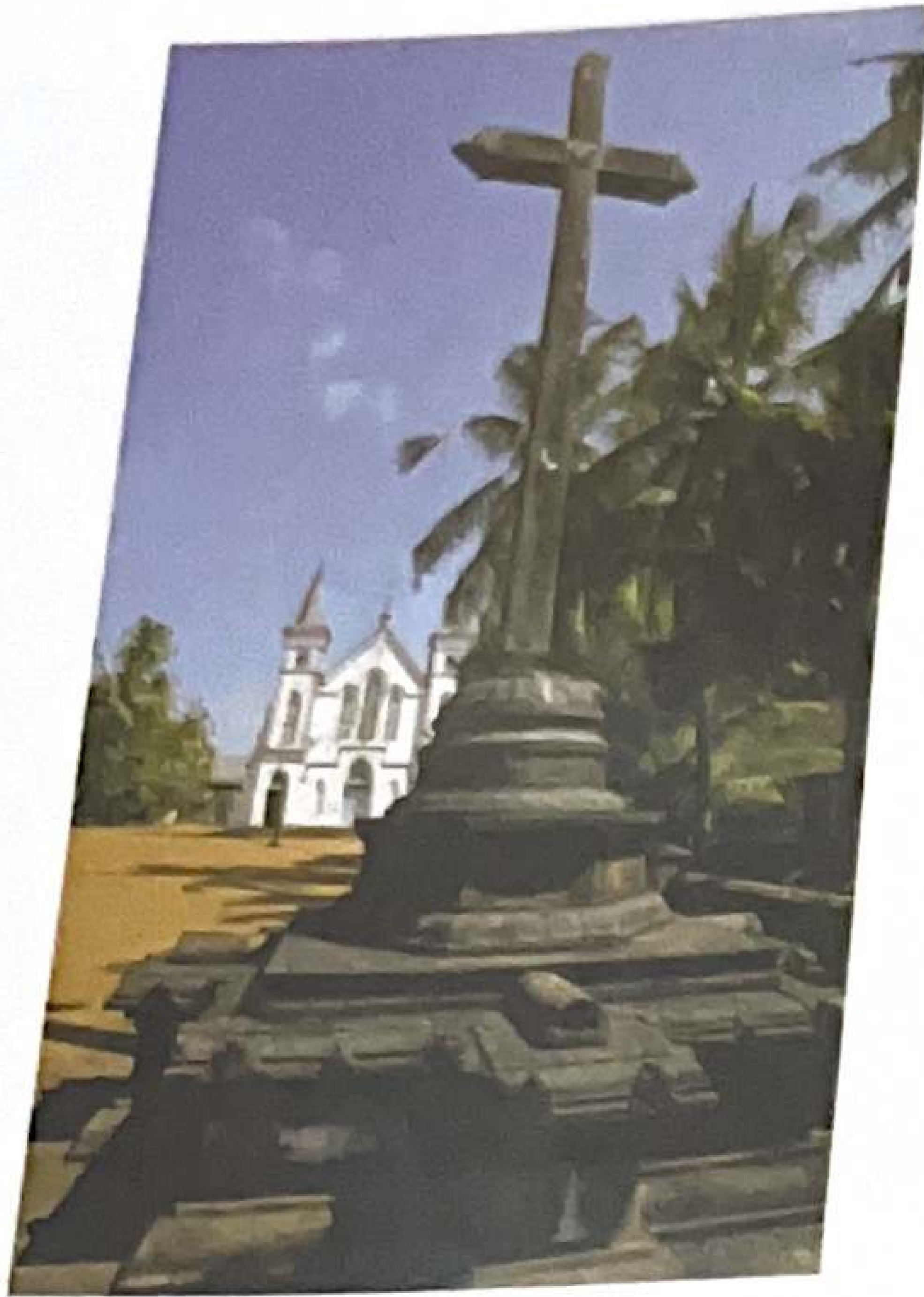
ولم يقم البطريرك النسطوري مار دنخا الثامن (جلس على الكرسي بين سنة ١٥٥١-١٥٥٨) بارسال الاسقف مار ابراهيم الى الهند الا بعد سنتين، حيث استطاع اول الامر تحاشي قبضة البرتغاليين اليقظين، لكنه القي القبض عليه بوشاية من منافسه الكلداني مار

* إن مار يوسف هذا هو شقيق سولاقا، وقد إتهم بعدم استقامة كثلكته! (المدقق)

يوسف وسلم الى محكمة التفتيش. وفي رحلة حقيقية مثيرة، هرب من معتقله في **موزنبيق** الى الموصل، حيث سافر طوعا الى روما وادعى قبوله بقانون الايمان الكاثوليكي. وفي حوالي سنة ١٥٦٥ عاد الى جنوب الهند بعد ان قام البابا بتقسيم ابرشية مسيحيي توما بينه وبين مار يوسف. وبعد الابعاد الثاني للاسقف الكاثوليكي يوسف، مارس مار ابراهيم علنا الطقس السرياني الشرقي، وفرّ الى **انغامالي** حيث توفي وهو في وظيفته في سنة ١٥٩٧. ثم قام الارخيدياقون كيوركيس الصليب (George of the Cross)، وفق العادة السريانية الشرقية، بقيادة ابرشية الرئاسة الاسقفية لكنيسة المشرق[11].

وهكذا كانت هناك في النصف الثاني من القرن السادس عشر ثلاثة سلطات كنسية في الهند - النسطورية، والكلدانية الكاثوليكية، وكنيسة الروم الكاثوليك - التي كانت تعمل جنبا الى جنب وضد احداها لاخرى. ثم قرر رئيس الاساقفة في جاوا، **الكسس دي مينيزيس** (Alexis de Menezes)، الذي جرى تعيينه في سنة ١٥٩٧، "حل" الموقف المضطرب بروح الادارة البرتغالية من خلال جعل مسيحيي توما لاتينا بصورة كاملة. وقد تصرف مثل صليبي يقاتل الكفار بدلاً من دبلوماسي يسعى الى ايجاد حل وسط. وتحت الم القوة العسكرية، والتجريد من الممتلكات والتحريم، دعا الى عقد سينودس دايامبار (Dyamper)، او (Udayamperu) بالقرب من كوشين، بعد ان قام برسامة اكثر من مئة كاهن لكي يضمن لنفسه اغلبية. واثناء ذلك السينودس الخاطف الذي دام اسبوعا واحداً، قام مينيزيس بفرض ٢٦٧ مرسوماً، الى جانب اخرى بما في ذلك، مقررات مجمع افسس، والحكم بالحرمان الابدي على آباء الكنيسة

الكنيسة السريانية الارثوذكسية في نيرانام، كيرالا وحسب التقليد كانت احدى سبع كنائس في الهند التي اسسها توما الرسول في عام ٥٢م البناء القائم حاليا كان قد انشئ في ١٩١٠.



ثيودورس وديودورس ونسطور، اضافة الى بطريركهم. وقد تبنى السينودس ليترجية لاتينية، وقاموا بتكييف الاسرار المقدسة لتلائم النموذج اللاتيني، واقروا بالايمان بالمطهر، وبوصف مريم والدة الله، وأنشاوا البتولية الكهنوتية، الامر الذي يعني انه كان على كهنة كنيسة المشرق الذين يرغبون بالبقاء بالوظيفة أن يطلقوا زوجاتهم. ثم اقر السينودس بعد ذلك بالرئاسة الوحيدة للبابا، الامر الذي ابعد الهند من سلطة بطريرك، وقلص الكرسي المطرافوليطي لانغامالي الى ابرشية اسقفية مساعدة لجاوا. واخيرا، جرى جمع كل مخطوطات مسيحيي توما بشكل منظم وحرقها، وكان ذلك بمثابة



اقدم كتاب محفوظ في كيرالا على ما يزعم هو كتاب نوموكانون Nomocanon، كتاب القوانين الرهبانية لابن العبري (١٢٢٦-١٢٨٦). ويظهر في الـ كولوفون Colophon تاريخ سنة ١٢٩٠. (مكتبة كنيسة القديس يوحنا في بامباكودا Pampakuda، كيرالا، جنوب الهند.)

ثورة مسيحيي توما عند معبر كونان

رغم ان خضوع مسيحيو توما لروما بدا لاول وهلة كاملا، الا انه لم يدم طويلا. فالاخضاع المتهور لكنيستهم الى اللاتينية واقامة اساقفة لاتين، والسلوك المتعجرف لليسوعيين كان اهانة للمؤمنين. وفي حوالي سنة ١٦٥٠ قاموا بانتخاب توما بالاكوماتا (Thomas Palacomtta)، (+١٦٧٠)، ليكون ارخيدياقون الذي منع المبشرين اليسوعيين من دخول الكنائس السريانية الشرقية، وفي نفس الوقت طلب من البطاركة النساطرة واليعاقبة والاقباط ارسال اسقف غير لاتيني. فقام مار ايليا الثامن شمعون (شغل الكرسي في سنة ١٦١٧-١٦٦٠) بارسال الاسقف **مار اخادالا** (Mar Ahadallah) الى الهند، حيث قام البرتغاليون باعتقاله وتسليمه الى محكمة التفتيش في جاوا. فمات الاسقف السيء الطالع حرقا، وهو مشدود الى خازوق في سنة ١٦٥٣[١٣].

فاجتمع مسيحيو توما الغاضبون حينئذ في كوشين عند معبر كونان (Koonan) واقسموا على عدم الاعتراف بسلطة البابا وطرد اليسوعيين. وقرروا بان يقوم اثنا عشر كاهنا بتكريس الارخيدياقون توما ليكون الاسقف الجديد، حيث فعلوا ذلك في كنيسة آلانغاد (Alangad) وقد قام السواد الاعظم من المؤمنين بدعم الانفصال عن روما، حيث سهل ذلك الغزو الهولندي لـ قيلون في سنة ١٦٦١ وكرانغانور في سنة ١٦٦٢، واخيرا كوشين في سنة ١٦٦٣، لان الهولنديين البروتستانت قاموا بطرد الاساقفة والقسان والمبشرين اللاتين من مناطقهم. لقد انقذ طرد البرتغاليين الاسقف توما من لهيب محكمة التفتيش. والقى البابا الكساندر السابع (جلس على الكرسي البابوي في سنة ١٦٥٥-١٦٦٧) اللوم على اليسوعيين للفشل

التدمير الثقافي للتقليد الكنسي البالغ من العمر ١٣٠٠ سنة. وهكذا فان الفرع الوحيد لكنيسة المشرق الذي نجا من التدمير الجنوني لتيمورلنك جرى محوه على يد الاوروبيين. **وحرق المهرطق** (auto-da-fe) هذا، هو السبب الرئيس في كون تاريخ مسيحيي توما مليئا بعلامات الاستفهام.

بهذه الاحداث زال عن الوجود آخر كرسي مطرافوليطي نسطوري "من الخارج" وكان ما يسمى بكنيسة ملبار السريانية مجرد ابنة لكنيسة روما. وقد واجهت روما الافكار والعادات السريانية الشرقية ليس بافكارها وفهمها بل بالقوة الوحشية. وفقد مسيحيو توما في ظل الحكم المسيحي مستوى حرية المعتقد والضمير الذي كانوا يتمتعون به تحت حكم "الهندوس" الوثنيين[١٢].



شباك الصيد التي استعيرت من الصين واستخدمت من قبل المسيحيين في كوشين، كيرالا، تذكر بتجارة كيرالا مع الصين، والتي ازدهرت حتى القرن الخامس عشر.

الذريع في **قسم كونان** (Oath of Koonan)*. واستبدلهم بالرهبان الكرمليين بقيادة **جوزيف سباستياني** (Joseph Sebastiani). وقد نجح هذا عن طريق التهديد والرشاوي بارجاع اقلية من مسيحيي توما الى حضيرة الكنيسة الكاثوليكية. ولان الاسقف توما رفض التخلي عن وظيفته والاعتراف بسلطة البابا، جعل الاسقف سباستياني الجنود البرتغاليين يبحثون عن رجل الدين العنيد لتسليمه الى محكمة التفتيش في جاوا. وعندما هددوا باعتقاله في كنيسة **مولامثوروتي** (Mulamthuruty) تنكر الاسقف في زي احد عامة الناس وهرب.

ولما قام الهولنديون بطرد البرتغاليين بعد ذلك بوقت قصير، قام الاسقف جوزف سباستياني بتكريس الكساندر بالاكوماتا وهو من اهل البلاد ليكون اسقفا على الكنيسة السريانية الكاثوليكية في مالابار. لكن

* قسم الصليب ادته جماعة من مسيحيي توما في سنة ١٦٥٣ بعد ان غضبوا من اضطهاد المستعمرين البرتغاليين والمبشرين اليسوعيين لكنيستهم، وسعيهم الى اخضاعها الى سلطة البابا. فاقسموا على ان لا يكون لهم اي شان مع كنيسة الروم الكاثوليك او البابا وبانهم لن يطيعوا المبشرين اليسوعيين. [المترجم]

بالاكوماتا كان احد ابناء عم الاسقف توما الثالث[14]. ورغم ان غالبية المسيحيين وقفوا خلف اسقفهم توما، فان مركزه ظل مثاراً للخلاف بسبب تكريسه غير العادي من قبل الكهنة فقط، وهكذا احتكم ثانية الى البطريرك القبطي والبطريركين السريانيين. وهذه المرة وصل الاسقف السرياني الارثوذكسي **مور غريغوريوس** الى الهند في سنة ١٦٦٥، حيث قام بتكريسه ثانية اسقفاً باسم الاسقف توما الاول وقام بادخال الطقس اليعقوبي. ان تكريس ارخيدياقون نسطوري على يد اسقف يعقوبي يشير الى ان مسيحي توما كانوا اقل اهتماماً بكثير بالمسائل المسيحانية منه بالدفاع عن التقاليد السريانية و كرههم للمسيحيين اللاتيين.

وبسبب ذلك التكريس، كانت هناك صلة سلطوية وشرعية لجزء من مسيحيي توما بانطاكيا، الامر الذي يعنى ضمناً حل الصلة بالبطريركية السريانية الشرقية. ان هذا التطور وضع حجر الاساس لفسيفساء من كنائس مختلفة موجودة اليوم في كيرالا، لانه كانت هناك في ذلك الوقت ثلاث سلطات متوازية: الاولى، كنيسة مالانكارا (Malankara) السريانية الارثوذكسية التي كانت تابعة لانطاكيا، والثانية كنيسة مالابار السريانية - المالابارية الكاثوليكية، التي كانت تعترف بها روما لكنها كانت تتمتع بسلطة ذاتية، والثالثة جماعة المسحيين اللاتين، التي تضمنت الهندوس الذين قام المبشرون الاوربيون بإهتدائهم الى المسيحية، ونسل اولئك المهتدين.

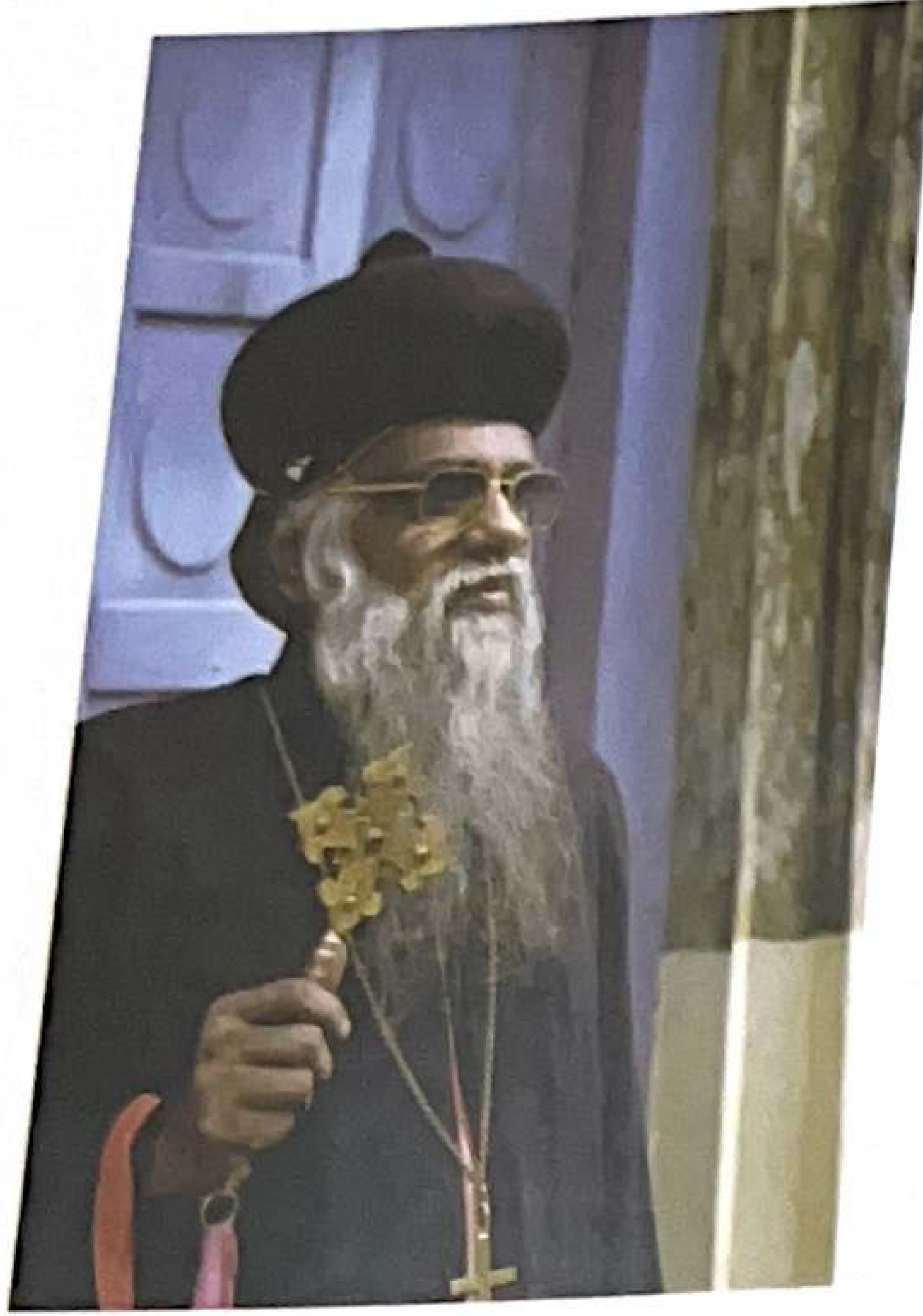
كذلك لم يجد المسيحيون الشرقيون هم ايضاً سلاماً في الهند في القرن الثامن عشر، وانه يبدو بان مسيحيي مالانكارا السريان، الذين كانوا يرفضون الطقس السرياني الغربي، لجأوا ثانية الى البطريرك النسطوري. وفي سنة ١٧٠١ وصل اسقف واحد هو مار شمعون الى كيرالا، حيث قامت محكمة التفتيش الكاثوليكية باعتقاله وسجنه حتى وفاته[15]. وبعد سبع سنوات وصل الاسقف النسطوري مار كبريال واشرف على الابرشيات السريانية الملانكارية الاثنين والعشرين من مقر اقامته في كوتايام، وتوفي هناك في سنة ١٧٣١[16]. وبعد موت مار كبريال ارسل البطريرك السرياني الشرقي الاسقف يوحنا الى كيرالا من اجل ان يمنح التكريس الاسقفي للكاهن توما من اهل البلاد. لكن ذلك لم يحدث، لان الحاكم الهندوسي لكوشين قام باعتقاله بتحريض من الكاثوليك[17]. ونشأت ازمة اخرى في سنة ١٧٧٤، عندما قام الاسقف مور قوريللوس السرياني المالانكاري، الذي لم يكن تكريسه قد نفذ بشكل مناسب، بتأسيس كنيسة ثوزهيور (Thozhiyur) المستقلة. ثم وضعت مذابح مسيحيي توما على يد الحكام المسلمين والهندوس، تلك الجماعات امام اختبار قاس[18].

ان وصول المبشرين البروتستانت، الذين بنوا اول كنيسة لهم في سنة ١٨٠٩، والقسان الانكليكان ادى الى انشقاق آخر. وقام المطرافوليط السرياني المالانكاري مار اثناسيوس (في الكرسي ١٨٤٣-١٨٧٧) بتطبيق اصلاحات انكليكانية الالهام بعيدة المدى، والتي ادت الى حدوث شرخ وتأسيس كنيسة مار توما السريانية في سنة ١٨٨٨ في مالابار بكرسيها في تيروفالا (Tiruvalla). وقام مار اغناطيوس في اول عمل له بترجمة الليترجية من السريانية الى اللغة المحلية لـ مالايالام (Malayalam)، والغى قداديس الموتى، واستخدام البخور، ودعاء القديسين ومريم العذراء.

الاسقف السرياني الارثوذكسي مور بلخوميوس امام كاتدرائيته، كاتدرائية مريم العذراء في الوا Aluwa، كيرالا، التي قد جرى غلقها قانونيا منذ سنة ١٩٧٥، بسبب نزاع قانوني ضمن السريان الارثوذكس. ويعتمر الاسقف غطاء الرأس المنتفخ الخاص بالاساقفة المايافيزيتيين.

كما ان الايمان بالاستحالة الجوهرية في كنيسة مار توما مرفوض ايضاً وان الاسرار المقدسة تقتصر على العماذ والافخارستيا والدرجات المقدسة. كما يمنح الكتاب المقدس مكانة بارزة اكثر، كما ان الافخارستيا مفتوحة لكل المسيحيين: "مائدة الرب مفتوحة امام الجميع، ولا يستطيع احد طرد امرىء الا المسيح"[19]. ان كنيسة مار توما والتي تضم اليوم عشرة اساقفة، والف كاهن وحوالي 800,000 علمانيين، تبرز كمنظمة غير اعتيادية. ففي الوقت الذي يكون فيه سينودس الاساقفة الذي يترأسه بطريرك، مسؤولاً عن المبدأ والعقيدة، فإن مجلساً من المفوضين من المؤمنين، يسمى سابها براثيندهي ما ندالام (Sabha Prathinidhi Mandalam)، يقوم بالاشراف على عمل الكنيسة. وتقوم كل ابرشية بارسال وفد من ممثل واحد الى خمسة ممثلين منتخبين الى جانب الكاهن، وفي حالة وجود اثنين او اكثر من الممثلين العلمانيين يجب ان يتضمنوا أمرأة. وهكذا فان الماندالام، الذي يمثل البرلمان، يتألف في الغالب من العلمانيين. وفي عملية اتخاذ القرارات، يقوم سينودس الاساقفة والبطريرك، اما بوضع قرار من مجلس المفوضين موضع التنفيذ، او رفضه، وفي هذه الحالة سوف يعالج ثانية. فإذا اكد الماندالام قراره ورفضه البطريرك ثانية، مرة اخرى باستخدام حق النقض، فعليه ان يقوم بحل الماندالام والدعوة الى انتخابات جديدة. ثم يقوم البرلمان الجديد اخيراً بحل القضية المتنازع عليها في اول جلسة له[20].

وفي بداية القرن العشرين ادى نزاع في زعامة الكنيسة السريانية الارثوذكسية الى انقسام في الكنيسة الفرعية الهندية مازال قائماً حتى اليوم. وفي سنة ١٩١٢ قام بطريرك انطاكيا، **عبد المسيح الثاني**



بتكريس اول جاثاليق مستقل لجنوب الهند، **مور باسيليوس بولص الاول**، بينما بقيت مجموعة اخرى من المسيحيين السريان الارثذوكس موالية لبطريرك انطاكيا الشرعي. وسرعان ما اندلعت المعارك الشرعية حول ممتلكات الكنيسة. وفي سنة ١٩٣٠ انضمت اقلية من مجموعة كنسية مستقلة بقيادة المتصوف **مور ايفانيوس** الى كنيسة روما الكاثوليكة. أن اعادة توحيد الكنيستين اليعقوبيتين، الذي نجح في سنة ١٩٦٤، كان قصير العمر، لانه بعد احدى عشرة سنة من ذلك قام البطريرك في انطاكيا بتحريم الجاثاليق **مور باسيليوس** اوجين الاول وسمى بدلاً **منه مور** باسيليوس بولس **الثاني** (+١٩٩٦). ومنذ

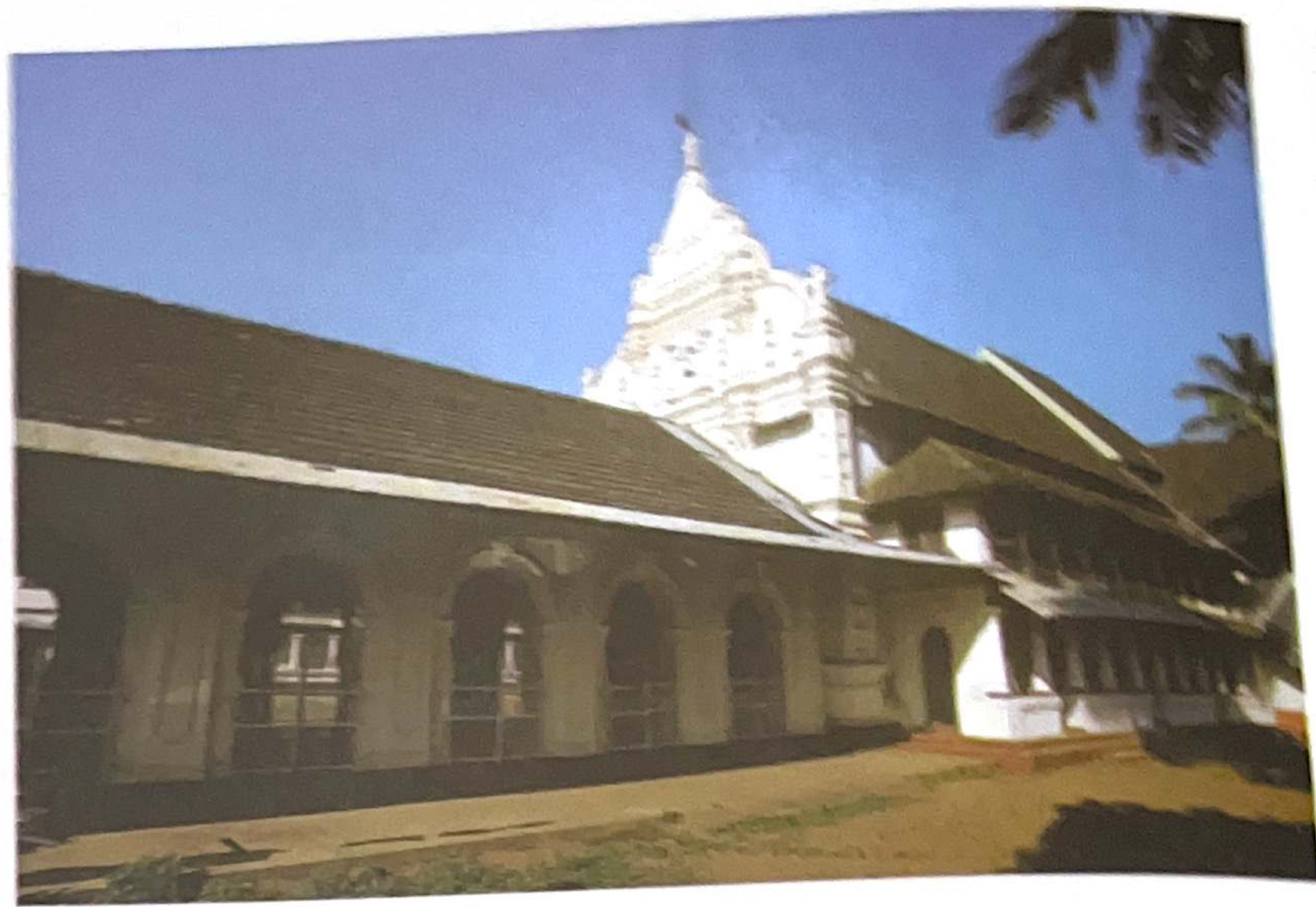
ذلك الحين يتنافس جاثاليقان في كيرالا، الكنيسة الموالية الى انطاكيا التي تسمى نفسها الكنيسة السريانية الارثوذكسية، وكنيسة مالانكار السريانية الارثوذكسية المستقلة. وتؤلف الكنيستان معاً مليونين الى ثلاثة ملايين عضو.

ومما يؤسف له ان الانشقاق الذي تجدد في سنة ١٩٧٥ ادى الى حدوث العنف والمزيد من المناقشات الشرعية حول ملكية الكنائس. وفي سنة ١٩٩٥ قررت المحكمة العليا في الهند لصالح الكنيسة المستقلة، طالما انه لم يكن من الممكن وجود أكثر من جاثاليق واحد ورابطة كنسية واحدة في الهند. وبسبب عدم معالجة المحكمة لتقسيم الكنائس بالتفصيل، ماتزال هناك، كما لاحظ المؤلف في سنة ٢٠٠١، العديد من الكنائس التي تم اغلاقها منذ سنة ١٩٧٥، وان قلة الصيانة يهددها بالانهيار[٢١]. وبالتأكيد ليس لصالح صورة المسيحية في الهند ان لا تتوصل كنيستان قديمتا التأسيس الى حل وسط، وبان تضطران بدلاً من ذلك الى اللجوء الى السلطات المدنية. وانه على ما يبدو بان قلة من الوجهاء تنفق طاقة اكبر امام المحكمة مما تنفقه امام المذبح. وان النزاع لمخيب للامال اكثر إذا اخذنا بنظر الاعتبار ان الليترجية في الكنيستين متطابقة، وان النزاع يدور فقط حول الملكية والمناصب والسلطة.

اعادة بناء كنيسة المشرق في الهند

إنها لمفارقة ان تكون واحدة من احدث الجماعات الكنسية لجنوب الهند خليفة اقدم كنيسة، الكنيسة النسطورية. في سنة ١٨٥٦ لجأ الاعضاء غير الراضين من الكنيسة السريانية - المالابارية الكاثوليكية الى البطريرك الكلداني **مار يوسف السادس اودو** (شغل المنصب بين ١٨٤٨-١٨٧٨)، الذي انتهز الفرصة لتوسيع نطاق سلطته ليشمل مسيحيي توما. ورغم المعارضة الشديدة من الفاتيكان، قام بارسال معاون بطريركي هو **توما روكوس** (Thomas Rokos) في سنة ١٨٦٠ والاسقف **ايليا مللوس** سنة ١٨٧٤، الذي قام بأنشاء السلطة الكلدانية في منطقة **تريشور** (Trichur)، تحت اسم **مار عبديشوع**. ولان البطريرك الكلداني على اية حال، كان في اثناء تلك الفترة قد خضع الى روما ثانية، ولم يكن يستطيع ان يسمي خليفة لمار عبديشوع، فكان ان قامت جماعة تريشور التي اضحت دون قيادة باللجوء الى البطريرك النسطوري **مار شمعون التاسع عشر**، الذي ارسل إليهم الاسقف والمطرافوليط مار **طيماثاوس** (١٨٧٨-١٩٤٥) الذي كان من كردستان في سنة ١٩٠٧[٢٢].

لكن جماعة تريشور الصغيرة، التي غدت الان نسطورية، لم تهنأ بالسلام بسبب تورط مطرافوليطهم في قتال حول الخلافة الوراثية للبطريركية. وعندما توفي **البطريرك شمعون العشرون** بولس في سنة ١٩٢٠، قامت شقيقة البطريرك المرحوم، **سورما** بتكريس ابن اخيها البالغ من العمر ١٢ سنة ليكون البطريرك **مار شمعون الحادي والعشرين ايشاي** (بقي في المنصب بين ١٩٢٠-١٩٧٥)، قبل ان يصل المطرافوليط طيماثاوس قادماً من الهند، الى بغداد. ولما كان طيماثاوس من اكثر الاساقفة ثقافة، واعلاهم منزلة في الكنيسة، اصطف حوله الآشوريون الذين لم يقبلوا بالخلافة الوراثية وانتخاب صبي ليكون قائدهم. وكحل وسط تم تعيين طيماثاوس وصياً عليه. لكن السيدة سورما (+١٩٧٥)، التي لم ترد ان تسلم سلطة الكنيسة الى وصي، قامت بحياكة مؤامرة مع السلطات البريطانية ضد الوصي،



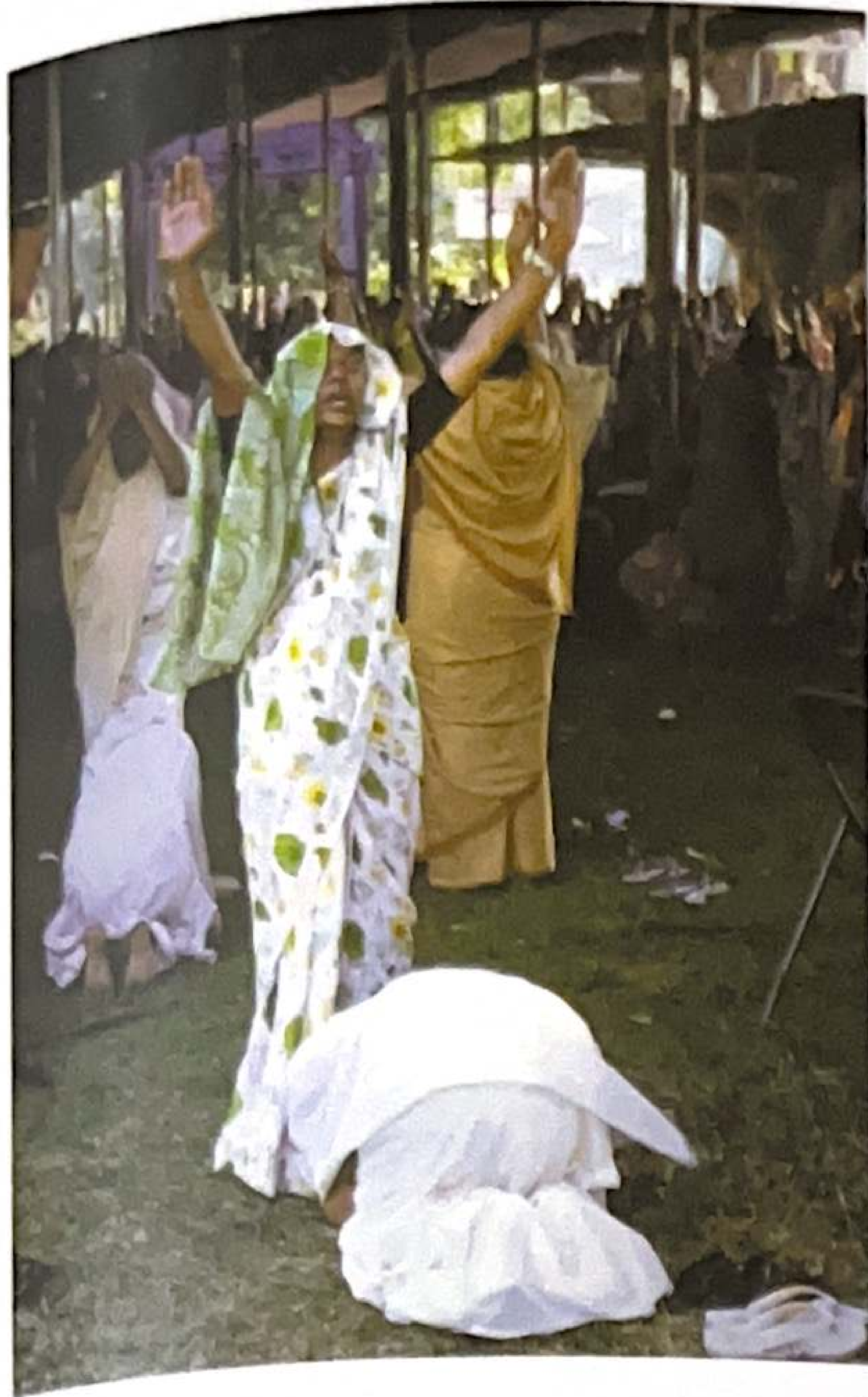
وفي صيف عام ١٩٢٧ تسببت في إعادته الى الهند. وبعد موته في سنة ١٩٤٥ ظلت الابرشية شاغرة لسبع سنوات.

وكان الاسقف الجديد **مار توما درمو** (+١٩٦٩) هو الاخر، معارضا شديداً للخلافة الوراثية، الامر الذي وضعه في خلاف مع البطريرك مار شمعون الحادي والعشرين ايشاي. واندلع النزاع علناً عندما قام مار شمعون باصلاحات من دون ان تكون مستندة على قرار سينودوسي. فقام اولا بتجريد المطرافوليط الثائر مار توما درمو من كافة صلاحياته الدينية في سنة ١٩٦٤. وفي سنة ١٩٦٨ قام مار توما درمو برسامة ثلاثة قسان ليكونوا اساقفة ومطرافوليطيين، حيث قام الاساقفة المعينون جديداً بتسميته بطريركا منافساً لكنيسة المشرق القديمة بعد اسبوع، بيد ان مار شمعون اعلنهم مقالين. وكان احد الاساقفة الثلاثة الجدد هو **كيوركيس موكن** (George Mooken) من تريشور، المولود في سنة ١٩٤٠، والذي اتخذ اسم مار ابرم وتم تعينه مطرافوليطا للهند. وكان الانقسام الجديد مؤلماً بشكل خاص في الجماعات التابعة لكنيسة المشرق الاشورية للهند، لان مار شمعون الحادي والعشرين قام بترقية مار طيماثاوس (١٩٢٠-٢٠٠١) الى مرتبة مطرافوليط الهند على كنيسة المشرق في سنة ١٩٧٢. فكان هناك الان مطرافوليطان نسطوريان في الابرشية الصغيرة.

مطرافوليط كنيسة المشرق في الهند، مار طيماثاوس الثاني، الذي توفي في ٧ آب ٢٠٠١. ولما كان الاسقف يبقى في وظيفته روحياً مثل رسول، فانه يوضع مباشرة بعد موته بكامل شعارات منصبه على عرشه الاسقفي، بحيث يمكن له ان يستمر في مباركة المؤمنين الذين قد ودعهم.

اليسار: تجمع براثانا (انظر المادة ادناه [المترجم]) من المسيحيين المواهبيين في كوشين، بجنوب الهند. ويقوم كل شخص بتبجيل ما هو الهي في الاخرين.





ان الغاء الخلافة الوراثية للسلطة البطريركية في سنة ١٩٧٦ فتحت الطريق امام المصالحة. ورغم ان النزاعات على السلطة قد منعت حتى يومنا هذا اعادة توحيد شامل للكنيستين النسطوريتين، فقد حُقق اعادة التوحيد في الهند في سنة ١٩٩٥. حيث اصبح الكرسي المطرافوليطي باكمله مرة اخرى تحت نفوذ بطريرك كنيسة المشرق، مار دنخا الرابع (الجالس سعيداً منذ سنة ١٩٧٦) وفي الوقت الذي يشرف فيه مار ابرم على شؤون الكنيسة، فان مار طيماثاوس، الذي توفي سنة ٢٠٠١، كان يقود مؤتمرات الاساقفة[٢٤].

ويظهر اعادة التوحيد هذا بأن الانشقاقات يمكن لها ايضاً ان تُحل من دون تدخل المحاكم المدنية. والمطرافوليط الحالي، مار ابرم، نشط جداً في العديد من الجماعات المسكونية المتعددة، والمؤتمرات الاكاديمية. واليوم تضم الكنيسة المشرق الاشورية في الهند 30,000 عضواً، و٤٤ كاهناً و ٢٧ ابرشية و شدياقين اثنين* وشماستين وبعض الراهبات.

وقد حافظت كنيسة المشرق الاشورية وكل من الكنيستين السريانيتين الغربيتين على شخصيتها المسيحية الشرقية، فالمؤمنون "هندوس حقاً في ثقافتهم ومسيحيون في ايمانهم وطقسهم السرياني"[٢٥] ان العديد من النشاطات الشعائرية، مثل تقديم المصابيح،

---

* مفرد شدياق ويسمى ايضاً هيبوذياقون Hypodeacon والشدياقية احدى الدرجات الكنيسة تختلف مادتها وصورتها باختلاف الكنائس [المترجم]



... مطر افوليط
... الهند اثناء
... في كنيسة مار
... الهند.

والاكاليل النباتية او الفاكهة، يمكن ان تشاهد في كل من الكنائس والمعابد الهندوسية. وثمة غرابة قديمة للكنائس السريانية هي شخصيتها المواهبية، والتي يُعبر عنها في التجمعات الدينية المسماة **براثانا** (prathana)، حيث تقوم اسرة او ما يصل الى مئة شخص بالتجمع سوية لتقديم الصلوات، والتي يتم انشادها سوية بتصفيق ايقاعي. وتتخلل ذلك لحظات من الصمت التأملي الذي يتضمن صلوات انفرادية تقدم بصوت عال. ويختتم التجمع، مثل صلاة الاحد في الاعياد الخاصة، بوليمة مشتركة، مائدة المحبة للكنيسة الاولى[٢٦].

وتحدث الزيجات بين مسيحيي توما السريان عادة ضمن الجماعة. وفي حالة الزواج المختلط، هناك اتفاق بين الكنيسة السريانة الشرقية والكاثوليكية، يقضي بأنه لا يمكن ان يقوم بمباركة الزواج إلا راع سرياني شرقي او كاثوليكي. ونظراً لانه لا يوجد اتفاق كهذا مع السريان الغربيين، فإن من شأن الزواج المختلط ان يؤدي الى الزواج السرياني الغربي. ومن اجل تجنيب الزوج السرياني الغربي هذه التجربة المؤلمة، تسمح الكنيسة النسطورية للزوج السرياني الشرقي المزعوم لان يهتدي الى احدى الكنيستين السريانيتين الغربيتين في يوم الزواج، بشرط ان يقوم الزوج او ان تقوم الزوجة بالعودة الى كنيسة الاجداد في اليوم التالي. ان القيود على الزواج ضمن الكنائس يعكس ايضاً الوعي بان هذه



كنيسة مار كوركيس الكاثوليكية، واحدة من الكنائس التي لا تحصى في كوتايام، والتي تكنى بـ "روما مسيحي مار توما".

الجماعة، كما تشهد على ذلك صفائح نحاسية قديمة، كانت تنتمي في يوم ما الى طبقة اعلى. وفي الحقيقة فأن مسيحيي توما ينتمون الى الطبقة الوسطى والعليا من كيرالا، بينما يوجد الكاثوليك والبروتستانت اكثر ضمن الطبقات الاجتماعية الادنى. وتتيح كل من المسيحية والاسلام لاتباعهما من الطبقات الدنيا، الذين يسمون "المحظور مسّهم"، هذا السبيل الوحيد للخروج من هذه القيود المهينة لنظام الطبقات الاجتماعية الهندية. بيد ان هؤلاء المهتدين يفقدون حينئذ المخصصات المدنية التي يتلقاها الهنود الفقراء ويخاطرون بأن يكونوا اهدافاً لاصوليين هنود عنيفين.

ان علاقة مسيحيي توما بشكل طبقي اكثر اعتدال يمكن ان يوجد في التقاليد الكهنوتية القديمة لقرون من الزمن، ضمن نفس العائلات، وفي الاحترام غير الاعتيادي الذي يتمتع به الكهنة ضمن الجماعة المحلية. كما وتتمتع بنفس الاحترام زوجة الكاهن الذي عليه ان يتزوج قبل الرسامة بدرجة الشماسية. ويعيش بعض الكهنة عزاباً حيث يتم من بين هؤلاء اختيار الاساقفة.

ان مثل مسيحيين توما في جنوب الهند، يظهر بان المسيحية لا يمكن لها ان تنتشر بنجاح وتحافظ على بقائها إلا في الاراضي الآسيوية الى جانب الديانات المحلية عميقة الجذور في حال تكوينها مركباً ثقافياً مع بلدها المضيف. ورغم ان حوالي السبعة ملايين والنصف من المسحيين يشكلون ٢٣% من مجموع السكان في كيرالا، فأنهم

لا يشكلون في باقي الهند الا 1.6%. ومن المؤسف من وجهة النظر المسيحية ان المحاولات التي قام بها اليسوعيان **ماتيو ريسي** (Matteo Ricci)، (١٥٥٢-١٦١٠) في الصين و **روبرتو دي نوبيلي** (Roberto de Nobili)، (١٥٧٧-١٦٥٦) في الهند لتكييف الصيغ الخارجية للمسيحية مع المناخ الثقافي، قد تنصلت عنها روما. وفي هذا السياق اثبت المبشر البروتستانتي الامريكي **يوسطين بيركنز** (Justin Perkins)، الذي زار النساطرة في اورميا في سنة ١٨٣٤، وعاش هناك لستة وثلاثين سنة، كونه اكثر فطنة: "يجب بناء البيت الشرقي [المسيحي] من مواد شرقية وتكييفه مع المناخ الشرقي، وليس الغربي"[٢٧].

١١ ـ فترة المحن والانقسامات

لقد ضمنت الخلافة الوراثية للمناصب الكنسية العليا التي ادخلت في حوالي سنة ١٤٥٠ بقاء سلطة كنسية بدائية، ولفترة قصيرة. لكنها ادت الى ضعف عقلي وروحي، وحملت بذور عدد من الانقسامات والتحالفات الانتهازية مع روما. إن التسليم الوراثي للمناصب لم يضمن تعيين الاكثر كفاءة والمندفعين، كاساقفة، ولم يقدم اكليريكيين طموحين ذوي امكانات لتطوير سيرَهم. لقد ضمن بناء الجماعة النسطورية وفق حدود عائلية وعشائرية المزيد من المجال للنزاع. لان مطالبة عائلة ما، بمنصب كنسي رفيع، والسلطة والازدهار النسبي التي كان ذلك المنصب يتيحها، في حقيقة الامر استثنيت منها اسر اخرى لتؤدي الى السخط والغيرة. وباتت السياسات الكنسية اقل توجها نحو المبادىء الدينية، واكثر توجها نحو مصالح الاسر والعشائر. وقد دام هذا الموقف التعيس لنصف ألفية، ولم ينتهِ إلا في سنة ١٩٧٦ عندما قام سينودس اسقفي بانتخاب البطريرك **مار دنخا الرابع**، وفق قوانين كنيسة المشرق الاشورية.



كنيسة القديس كيوركيس في فاماغوستا بقبرص، التي كانت في يوم ما تعود الى كنيسة المشرق، والتي أسست في سنة ١٣٥٩. وهناك في الغرفة الداخلية آثار محفوظة للوحة الجدارية الاصلية.

أول كنيسة كاثوليكية – اتحاد مع روما

بالنظر لعدم تمكن كنيسة المشرق ابداً من تحقيق مكانة كنيسة رسمية، ولانها كانت تشكل اقلية حتى في عقر دارها، اعتمدت على حسن نية الحكام من الديانات الاخرى. ومع تأسيس العلاقات الدبلوماسية بين المغول واوربا الغربية، بات الافق مفتوحا لكسب الكنيسة الكاثوليكية والممالك الكاثوليكية كحلفاء. وقد فشلت الجهود الاولى التي قام بها البطاركة **سبريشوع الخامس** في سنة ١٢٤٧، و **يهبالاها** الثالث في سنة ١٣٠٢/١٣٠٤. لكنه في السابع من تموز سنة ١٤٤٥ انشق الكرسي المطرافوليطي السرياني الشرقي في قبرص بقيادة مار **طيماثاوس الطرسوسي** عن كنيسة الام، ودخل في اتحاد مع روما في مجمع فلورنسا.

واطلق البابا **اوجين الرابع** على نساطرة قبرص الذين تحولوا الى المذهب الكاثوليكي اسم الكلدانيين، وهي تسمية ماتزال مستخدمة اليوم. وقد اخفق هذا الاتحاد الى جانب العديد من امثاله بحلول عام ١٤٥٠ بسبب معارضة المؤمنين لاجراءات الاخضاع للثقافة اللاتينية[١].

وفي القرن السادس عشر حدثت إعادة رصّ الصفوف في الشرق الاوسط لتزيد من موقف الكنيسة تعقيداً. إذ بعد الدمار الذي سببه تيمورلنك، انهارت ايران وبلاد بين النهرين لتتحول الى امارات صغيرة. الى ان قامت القوتان باعادة تأسيس نفسيهما والتصادم احدها مع الاخرى أثناء توسعهما. وفي الغرب قام العثمانيون باعادة اعمار

امبراطوريتهم التي دمرت على يد تيمورلنك، وبلغ اعادة البناء ذلك ذروته بغزو القسطنطينية في عام ١٤٥٣. واما في الشرق، فقد ظهرت هناك في سنة ١٥٠١ سلالة الصفويين الايرانية (حتى ١٧٣٢)، الذين بلغوا بالاسلام الشيعي الى مرتبة دين الدولة، بينما كانت غالبية الامبراطورية العثمانية سنية. ان توسع القوتين ادى اولاً في سنة ١٥٠٨ الى غزو بين النهرين من قبل الصفويين، لكنها سقطت في سنة ١٥٣٤ بيد العثمانيين الذين حكموها حتى نهاية الحرب العالمية الاولى، عدا فترة من الانقطاع من سنة ١٦٢٣ الى ١٦٣٨.

وقد قسمت الحدود الجديدة ارض الكنيسة النسطورية الى منطقتين: الابرشيات الغربية، حيث صارت الموصل وكردستان وهكاري الى بحيرة وان ضمن الامبراطورية العثمانية. والابرشيات الشرقية ضمن ايران. وقد اعاقت تلك الحدود السياسية اتصال البطاركة بالمؤمنين في الامبراطورية الاخرى، إن لم تمنع تلك الاتصالات تماماً، مما ادى مرة اخرى الى انقسامات.

وعند وفاة **مار شمعون السابع** (شغل الكرسي في ١٥٣٨-١٥٥١)، اثبت نظام الخلافة الوراثي بانه كارثي. عندما رفض اساقفة اربيل واورميا وسالماس (Salmas) تعيين ابن اخي البطريرك المتوفي، مار شمعون الثامن (شغل الكرسي بين ١٥٥١-١٥٥٨)، لعدم شرعيته. قاموا بانتخاب رئيس دير ربان هرمز، **يوحنا سولاقا**، بطريركاً منافساً حمل اسم **يوحنا الثامن**[٢]. ومن اجل منع عزلة متوقعة، قبل يوحنا سولاقا في ١٥ شباط ١٥٥٣ مرسوماً كاثوليكياً امام **البابا يوليوس الثالث**، يقر بسلطة البابا العليا، واوحى كذلك بان البطريرك مار شمعون قد توفي*، فعينه يوليوس الثالث بطريركاً للكنيسة الكلدانية في ٢٨ نيسان، ومنحه طيلسان البابا، الذي يميز رؤساء الاساقفة الكاثوليك **والمتحدين (Uniate)**[٣]. لكن غالبية المؤمنين والاساقفة ظلوا موالين الى مار شمعون الثامن، ولم يجد يوحنا الثامن اعترافاً إلا في ماردين، حيث قام بتعيين مطرافوليطين اثنين، وثلاثة اساقفة. بيد ان الادارة العثمانية اعترفت بشمعون الثامن ممثلاً شرعياً وحيداً لملته. وهكذا القي القبض على يوحنا سولاقا وقتل في السجن في سنة ١٥٥٥. لكن انصار سولاقا لم يرتعبوا وعينوا **مار عبديشوع الرابع** (شغل الكرسي في ١٥٥٥-١٥٧٠) بطريركاً جديداً لهم. هكذا كانت خاتمة الانشقاق الاول.

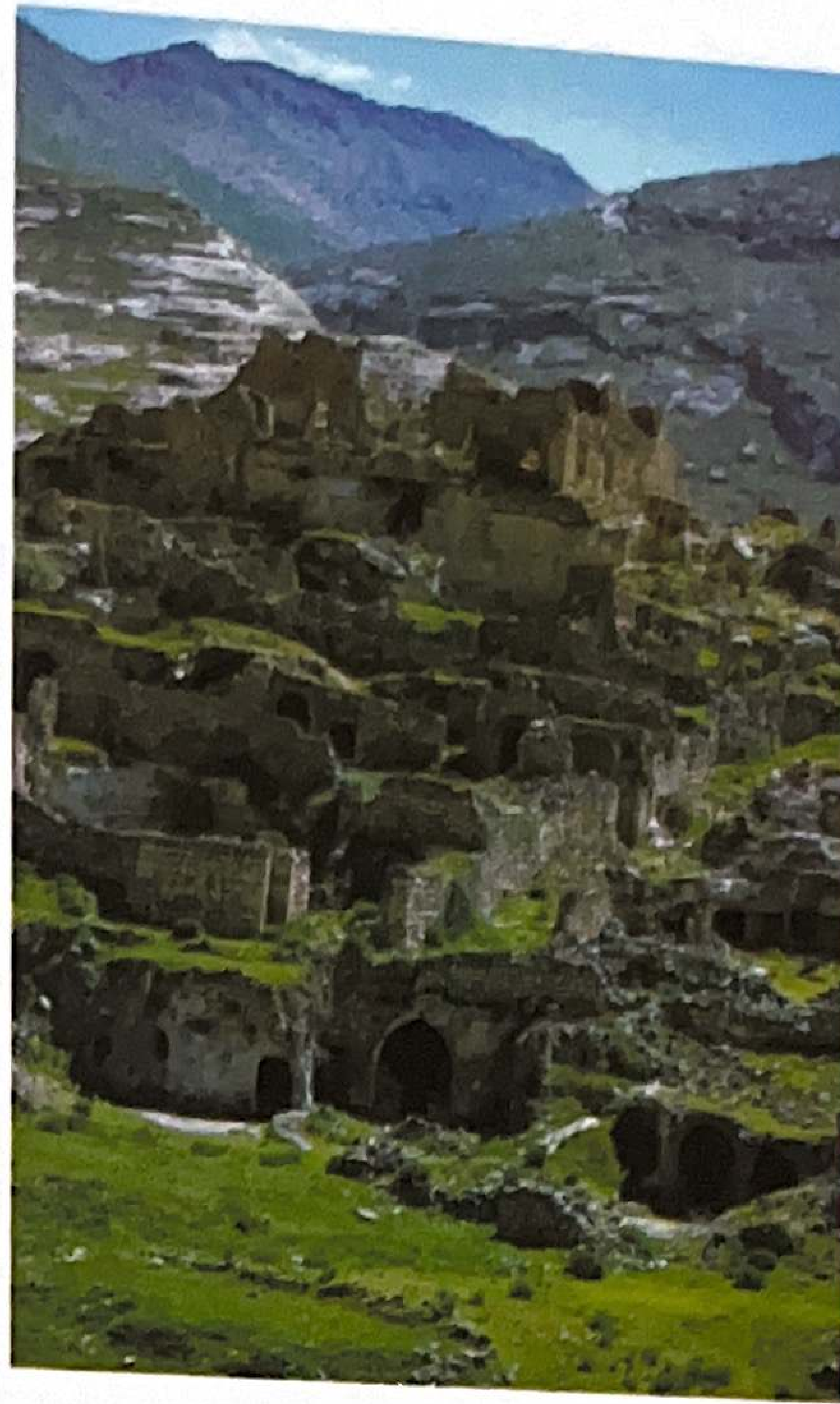
بطاركة وبطاركة معارضون

كانت هناك بعد تأسيس الكنيسة الكلدانية وحتى سنة ١٨٣٠ سلسلة من المساعي المعقدة من اجل الوحدة، وكان المزيد من الانشقاقات التي لم يكن لها علاقة بمسائل الايمان، بل كانت وثيقة الصلة بسياسة السلطة. ولابد ان يكون عبديشوع قد ادرك حالاً بان اخضاع الطقس الى اللاتينية لم يكن معقولاً، الامر الذي حدا بالبابا لان يوافق متردداً على الاستمرار باستخدام الطقس السرياني. ثم عاد **شمعون التاسع دنخا** (شغل الكرسي بين ١٥٨٠-١٦٠٠) الى العمل بالخلافة الوراثية، وتلقى الاعتراف البابوي كآخر بطريرك لما يسمى بخط سولاقا.

ومن اجل تجنب الاضطهاد من قبل السلطات التركية قام بنقل الكرسي البطريركي

---

* من أجل خداع روما (المدقق)



مدينة حسنو – دكيفو (حصن الصخر [المترجم])، على نهر دجلة كانت منذ سنة ١٢٥٧ تقريبا حتى سنة ١٥٥٢ مقراً لكرسي لبرشية نسطورية. ثم اختار الاكليروس السرياني الشرقي حزب البطريرك غير الشرعي يوحنا سولاقا.[٦٩]

من **سعرت** الى **سالماس** شمال اورميا. وقد حاول خلفاؤه **شمعون العاشر** (شغل الكرسي بين ١٦٠٠–١٦٣٨) **وشمعون الحادي عشر** (شغل المنصب بين ١٦٣٨–١٦٥٦) **وشمعون الثاني عشر** (شغل الكرسي في ١٦٥٦–١٦٦٢) عبثاً الحصول على الاعتراف البابوي بسبب الشكوك في صدق عقيدتهم. وقام البطريرك شمعون الثالث عشر (شغل الكرسي بين ١٦٦٢–١٧٠٠) بنقل كرسيه من خسرو آباد الايرانية الى الامبراطورية العثمانية ثانية، الى قوجانس في جبال هكاري، وانهى الوحدة مع روما في سنة ١٦٧٢. وقد استمر هذا الاتحاد مع روما رسمياً لمدة ١١٩ سنة، رغم انه في الحقيقة لم يكن معترفاً به إلا لما يقارب ٤٧ سنة. وقد عاد بطريرك "نساطرة الجبال"، الى التقليد السرياني الشرقي وكرسيه في قوجانس، حيث بقي هذا الكرسي حتى سنة ١٩١٥، وإن الكنيسة الآشورية المشرقية هي اليوم خليفته الشرعية من بعيد[٤]*.

ومنذ سنة ١٥٠٤ حتى ١٨٠٤، اقام البطاركة من عائلة ابونا، مع بعض الانقطاعات، في دير الربان هرمز او في القوش المجاورة، حوالي ٤٠ كلم. شمال الموصل. وفي الوقت الذي تشبث فيه خليفة مار شمعون الثامن ايليا السادس بر كيوركيس (شغل الكرسي بين ١٥٥٨–١٦٩١) بالنسطورية، فإن البطريرك التالي، ايليا السابع (شغل الكرسي بين ١٥٩١–١٦١٧)، راح يغازل من اجل التقارب مع روما. ومع ذلك كان هذا هو الوقت الذي نأت فيه روما بنفسها عن البطاركة الكلدانيين. وقام البطريرك بارسال الارشمنديت ربان آدم الى روما، وبعد الفحص المستفيض، عاد الى السينودس السرياني الشرقي في سنة ١٦١٦ مصحوباً باثنين من اليسوعيين.

ورغم ان الاساقفة وافقوا على كل النصوص التي تؤدي الى الوحدة، فقد اثاروا اعتراضات قوية ضد الاعمال المتهورة لليسوعيين في جنوب غرب الهند. وهذا يشير الى انه رغم عزلة الكنيسة، إلا انها كانت حسنة الاطلاع بالاحداث في الهند. فرفض اليسوعيون الغاضبون قانون الايمان، مما جعل البابا **بولس الخامس** يصدر قانون ايمان جديد سلم الى البطريرك، الذي كان راغباً في الاهتداء، للتوقيع عليه. وعندما عاد الرسول

---

* يعني ان هذه الكنيسة مازالت على نفس الايمان النسطوري رغم البعدين، الزماني والمكاني بين مؤسسة ماردين ليوخنا سولاقا وبين الكنيسة المشرقية الاشورية. (المدقق)

الى ربان هرمزد في سنة ١٦١٧، كان البطريرك قد توفي لتوه. فوقع الجاثاليق المنتخب حديثاً، مار ايليا الثامن (شغل الكرسي بين ١٦١٧-١٦٦٠) على قانون الايمان، لكنه اضاف بانه لم يكن من الممكن محو اسمي ثيودورس المصيصي ونسطور من الكتب الطقسية، وبان كنيسته ستستمر بدعوة مريم ام المسيح، وليس ام الله. ورغم المزيد من الاتصالات إلا ان الوحدة لم تتحقق في ظل مار ايليا الثامن هذا.

ان ابتعاد روما بدءاً بسنة ١٦٦٢، وانهاء وحدة سنة ١٦٧٢ من قبل آل سولاقا، ترك الكلدانيين* من دون قائد، مما ادى الى تأسيس بطريركية ثالثة. وبتشجيع من قبل المبشرين الكبوجيين (Capuchin)[٥]، في سنة ١٦٦٧/١٦٦٨، ترك المطرافوليط يوسف الآمدي كنيسة المشرق، واعلن ولاءه للكاثوليكية. وبعد رحلة الى روما، تلقى يوسف الطيلسان البابوي في سنة ١٦٨١، ليؤسس بذلك بطريركية آمد الكلدانية الثانية، التي استمرت حتى سنة ١٨٢٨. وبعد ان عين يوسف خليفته يوسف الثاني (شغل المنصب بين ١٦٩٦-١٧١٢)، تنازل عن العرش وتوفي في سنة ١٧٠٧. وهكذا كانت هناك في اواخر القرن السابع عشر بطريركيتان نسطوريتان لربان هرمزد وقوجانس، اضافة الى البطريركية الكلدانية في آميدا. وفي زمن البطريرك يوسف الثالث (شغل المنصب بين ١٧١٤-١٧٥٧)، قام **اوغسطين سكاندر** (Augustin Scandar) بجمع المخطوطات السريانية في المنطقة المحيطة بالموصل، وارسلها الى روما الى المستشرق **يوسف سمعان السمعاني** (Joseph Simon Assemani)، (١٦٨٧-١٧٦٨)، الذي قام بادخالها في فهرسه المشهور **ببليوتيكا اورينتالس** (Bibliotheca Orientalis) لسنة ١٧٢٨.[٦]

وتلقى **يوسف الرابع لعازار هندي** (شغل المنصب بين سنة ١٧٥٩- ١٧٨١) اعتراف روما كبطريرك، لكن ابن اخيه وخليفته **يوسف الخامس اوغسطين هندي** (+ ١٨٢٨) لم يتم الاعتراف به إلا كإداري، لان رئيس اساقفة الموصل الكاثوليكي ايضا من آل ربان هرمزد والقوش، **يوحنا هرمز** (+١٨٣٨)، تنازع على حقه في ذلك اللقب. ومع موت الاداري اوغسطين هندي، الذي اغتصب اللقب البطريركي يوسف الخامس، انتهى وجود البطريركية الكلدانية لآميدا (Ameda) في سنة ١٨٢٨.

ورغم اخفاق الجهود من اجل الوحدة التي قامت بها البطريركية النسطورية لربان هرمزد، فإن **مار ايليا التاسع** (شغل المنصب بين ١٦٦٠-١٧٠٠) قام بالمزيد من المحاولات بين سنة ١٦٦٦ و١٦٧٠، وكذلك من ١٦٩٢ حتى ١٦٩٤. وهذا يعنى انه بين سنة ١٦٦٦ و ١٦٧٢ كانت كل "الكنائس" الثلاثة التي نشأت من كنيسة المشرق القديمة اما متحدة مع روما رسمياً او كانت منشغلة بجهود باتجاه الوحدة. وعلى الرغم من ان **مار ايليا العاشر** (شغل الكرسي بين ١٧٠٠-١٧٢٢) كان قليل الاتصال بروما، فإن **مار ايليا الحادي عشر** (شغل الكرسي بين ١٧٢٢-١٧٧٨)، الذي كان عليه في سنة ١٧٤٣ ان يتحمل تدمير ديره ربان هرمزد على يد الطاغية **نادر شاه**، استأنف ثانية مناقشات الوحدة في سنة ١٧٥١ و ١٧٧٢.

* تلكم النساطرة الاشوريون الذين اتحدوا مع روما بمساعي سولاقا ومن تبعه في وقبل تلك الفترة (المدقق)



ضريح الاسقف في كاتدرائية مسكنتة، وهي كلدانية اليوم، في الموصل، شمال العراق. وكانت الكنيسة بين سنة ١٣٦٤ حتى حوالي منتصف القرن الخامس عشر، والتي شيدت في سنة ١١٩٩ او ١٢١٢، بمثابة كاتدرائية بطريركية لثلاثة بطاركة من كنيسة المشرق، الذين كانوا يعيشون في الموصل.[٧٠]

ولما كان بطريرك قوجانس "النسطوري الجبلي" **شمعون الخامس عشر ميخائيل مختس** (Shimun XV Michael Muktes)، (شغل الكرسي بين ١٧٤٠-١٧٨٠)، يتعامل هو الاخر مع روما في حوالي سنة ١٧٧١/١٧٧٢، فقد كان للبطاركة الثلاثة إما علاقة رسمية او ممكنة في المستقبل مع روما.

ولم تكن تلك المفاوضات مدفوعة بمسائل لاهوتية بل بالدرجة الاساس بمصالح العوائل المعنية. وكان ينطبق نفس الشيء في قضية المساعي الى الوحدة التي قام بها البطريرك التالي والاخير من خط ربان هرمزد، **مار ايليا الثاني عشر ايشوعياب** (شغل الكرسي بين ١٧٧٨-١٨٠٤). لان ابن عمه **يوحنا هرمز** كان يسعى هو الاخر الى الحصول على اللقب البطريركي، وقد اعلن مار ايليا ولاءه للكاثوليكية في سنة ١٧٧٨، من اجل الحصول على الاعتراف البابوي. وفي الوقت ذاته لم يكن للتوقيع على قانون ايمان روماني كاثوليكي اية صلة بالمسائل اللاهوتية، بل كان يخدم سياسات السلطة والامان في معارك الخلافة. وكانت الفاتيكان على علم بذلك، ورفضت لاكثر من مرة الاعتراف بسبب تصريحات ايمانية مشكوك فيها، لئلا تكون اداة للمزيد من الشقاق. وعلى اية حال، كان على **يوحنا هرمز** ان يقتنع بالاعتراف البابوي كرئيس اساقفة الموصل وكاداري، وهو المنصب الذي جرد منه في سنة ١٨١٨، وان ينتظر منصب البطريرك حتى سنة ١٨٣٠.

لقد اخطأت الفاتيكان، رغم حذرها، في الاعتراف **بمار ايليا الثاني عشر ايشوعياب** بطريركاً في سنة ١٧٧٨، لانه بعد بضعة اشهر من ذلك فقط، في ايار سنة ١٧٧٩، شجب مار ايليا الوحدة مع روما التي لم يكن قد اتفق عليها بعد رسمياً، وارتد الى النسطورية، لانه لم يستطع في اكبر الظن توحيد المجموعتين الكنسيتين لقوجانس وآميدا تحت قيادته وضمن خطه البطريركي[٧].

وهنا راح اربعة اساقفة - الاداريان المتحدان بكرسي روما في آميدا والموصل، والبطريركان النسطوريان في قوجانس والقوش- يتقاتلون على الهيمنة على الابرشيات الباقية، واعضاء كنيسة المشرق في يوم ما. وإن الموت هو الذي ساعد في توضيح الموقف العكر. إذ توفي مار ايليا في سنة ١٨٠٤، ليضع حداً للبطريركية النسطورية لربان هرمزد والقوش. كما توفي يوسف الخامس هندي الذي من آميدا في سنة ١٨١٨[٨]. وبعد الفحص المستفيض، عين البابا **يوحنا الثامن هرمز** بطريركاً على الكنيسة الكلدانية الكاثوليكية، وكرسيه في بغداد[٩]. كما

اصبح الموقف اكثر وضوحاً ايضاً على الجانب النسطوري.

وبعد محاولة فاشلة في سنة ١٨٣١ من قبل احد ابناء شقيق يوحنا الثامن هرمز لكي ينتخب بطريركاً منافساً، تحت اسم **ايليا السابع عشر**، فإن بطريركية قوجانس تحت سلطة **مار شمعون السابع عشر اوراهام** (شغل الكرسي بين ١٨٢٠-١٨٦١) بقي دون منافسة نوعاً ما. لكن النساطرة سرعان ما اصبحوا فريسة للارساليات التبشيرية للروم الكاثوليك، والكلدانية، والانكليكانية، والبروتستانتية، والروسية، التي كانت تتمتع جميعاً نوعاً ما بدعم قوي من القوى العظمى الغربية. وباعادة صياغة عبارة المطران وليط مار ابرم، فإن الارساليات كانت تهاجم الجموع السريانية مثل الذئاب الجائعة "لتسرق خرافها"[١٠]. ولم يلاحظ المبشرون ولا النساطرة بانهم انما كانوا مجرد شخوص ضعيفة يمكن الاستغناء عنها على لوح الشطرنج للسياسات العالمية. وكانت كنيسة المشرق مدينة في بقائها خلال تلك الفترة لجذورها العميقة بين مؤمنيها.

وتكمن النتيجة المدهشة لهذه الاتحادات المعقدة في حقيقة ان الكنيسة الكلدانية الكاثوليكية، التي يقودها اليوم **مار عمانوئيل الثالث دلي** (شغل الكرسي منذ سنة ٢٠٠٣) هي خليفة الجاثاليقية القديمة لسلوقيا - قطيسفون، بينما تتحدر كنيسة المشرق الآشورية، التي يقودها البطريرك **مار دنخا الرابع** (شغل المنصب منذ ١٩٧٦)، من البطريركية الكاثوليكية السابقة ليوحنا سولاقا. بتعبير آخر، ان النسب الوراثي لكنيسة المشرق النسطورية القديمة سابقاً، قد اصبحت كاثوليكية. بينما عاد نسب السلطة الكنسية



مصلى السرياني الشرقي الصغير ...بان هرمزد في دازكير Dasgir ...ع في جبال غرب اورميا، ...يران. لقد تعمد النساطرة في بناء ...معابدهم في الجبال الكردية، اما ...كون صغيرة جداً او بمداخل ...صغيرة، من اجل منع الاكراد من ...ه استخدام الكنائس كاسطبلات ...ماشية.

الذي كان في يوم ما متحداً بكرسي روما
الى قانون الايمان السرياني الشرقي *[١١].

* مع موت البطريرك طيماثاوس الثاني (١٣١٨-١٣٣٢) وكرسيه في اربيل، تدهورت امور المسيحين الآشوريين بشكل ملحوظ وصارت تؤخذ الجزية منهم ومن اليهود والارمن على حد سواء. فدخل خلق كثير منهم الاسلام حفاظاً على حياتهم، وتخلصاً من المضايقات والجزية، ولجأ آخرون الى الجزيرة الفراتية والجبال الآشورية (هكاري).

جاء بعد البطريرك طيماثاوس الثاني البطريرك دنخا الثاني، والذي نقل كرسيه من اربيل الى كرمليس. ومن ثم شمعون الثاني الذي ادار الكنيسة من الموصل وكذلك الحال مع شمعون الثالث، وتلاه ايليا الرابع، ومن ثم شمعون الرابع والخامس وصولاً الى اوائل القرن السادس عشر.

وقد تنقل هولاء بين الموصل وجزيرة ابن عمر ودير ربان هرمز والقوش، وسلماس وقوجانس واورميا. وخوسرو آباد وقوجانس مرة اخرى، واقل ما يقال عن هذه الفترة فيما يخص "سلسلة بطاركة كنيسة المشرق كان يعتريها الكثير من الغموض والارتباك بسبب قلة الوثائق الاصلية والمصادر الرصينة في هذه الفترة العصيبة من حياة الكنيسة في هذه البلاد".

ولكن بعد رسامة سولاقا بطريركاً من قبل روما عام ١٥٥٣ رغم اتخاذه لقب بطريرك "الموصل في آشور" انتهت حياته مقتولاً سنة ١٥٥٥. وبعد اكثر من مائة عام ظهرت سلالة البطاركة اليوسفيين الكاثوليك مرة اخرى في ديار بكر.

بينما سكن بطاركة الكنيسة المشرقية الام في قوجانس، والقوش. واصبحتا احياناً اكثر من سلسلتين بسبب تدهور الاوضاع والتدخل الخارجي وانعدام الاتصال والتواصل. وكانت روما بدورها تغازل هذه البطريركيات مجتمعة او فراداً طوال القرون الاربعة الماضية مستغلة اوضاعهم المزرية!

هكذا فان الزمن الديني والسياسي في الشرق، وروما في الغرب، كانا كفيلين معاً، للوصول بحال رئاسة كنيسة المشرق بكل فروعها وشتاتها الى ما هي عليه الان. إذ وصل الحال بروما ان تتعامل ليس مع رئيس كنيسة او اسقف او مطران. كما حصل مع يوحنا سولاقا، ومطران قبرص، واسقف اليوسفيين الاول في ديار بكر، والعشرات من امثالهم. بل انهم تعاملوا باسلوب الترغيب والترهيب نفسه حتى مع وجهاء ومخاتير القرى الآشورية، والمصادر مشحونة بمثل هكذا تصرفات. وبالمقابل كان هولاء الآشوريين النساطرة ينظرون الى روما وقناصل الغرب بمثابة حبل نجاة لهم ولكنائسهم في تلك الايام العصيبة. فالمسألة لم تكن تتعلق بالعقيدة والايمان كما اوضح الاستاذ Baumer نفسه، بقدر تعلقها بالحياة. خصوصاً وان البطاركة كانوا يتزاحمون ويتراكضون خلف دعم الغرب لهم في محنتهم الكبرى "كيفية القيام بحماية رعيتهم من مخالب الاعداء".

هكذا فالقول بأن رئاسة الكنيسة الآشورية في الجبال الهكارية هي من تواتر وفلول كتلة سولاقا، او انهم كانوا قد اتحدوا مع روما نتيجة بعض المراسلات بين الطرفين، لا اساس له من الصحة.. وقول الاخرين بانها تحصيل حاصل حادث قتل في العائلة الابوية في القوش، هو الاخر مجرد تخمين وافتراء. لان مطارنة وبطاركة الجبال لم يكونوا بحاجة لنصب قاتل ابن عمه بطريركاً عليهم. خصوصاً وان رواية القتل هذه متأخرة جداً عن زمن وجود البطاركة في الجبال.

وللمزيد انظر:-

- الاب يوسف حبي، كنيسة المشرق الكلدانية - الآشورية، لبنان ٢٠٠١.
- الاب البير ابونا، تاريخ الكنيسة السريانية الشرقية جـ٣ (من عهد المغول الى مطلع القرن التاسع عشر) بيروت ١٩٩٣.
- دانيال داود آل بنيامين. بطاركة كنيسة المشرق. ت، سوزان يوسف القصراني، امريكا ٢٠٠٦.
- J.F. Coakley, The church of the East and the church of England, Oxford 1992
- عوديشو ملكو آشيثا، سفر آشيثا، بغداد ٢٠٠٢، والعشرات من المصادر الشرقية والغربية الرصينة.

(المدقق)



مسيرة للمسيحيين الكلدانيين من القوش، شمال العراق، ١٩٩٨.

الموقف السياسي في الامبراطورية العثمانية والكنيسة الكلدانية الكاثوليكية حتى القرن العشرين

ارغمت الدول الاوربية العظمى فرنسا وبريطانيا وروسيا السلاطنة الاتراك في القرن التاسع عشر على توفير حماية افضل للمسيحيين ضمن الامبراطورية العثمانية من ناحية، ومن الناحية الاخرى لكي تسمح بقدر اكبر من حرية العمل للارساليات التبشيرية، وقد حدث نفس الشيء في ايران. في وقت كانت البلاد، وبدءاً بسنة ١٨٧٢ آخذة بالاضمحلال تدريجياً لتصبح محمية انكليزية - روسية. وبطبيعة الحال فإن ساحة العمل للمبشرين الاوربيين والامريكان كانت مقتصرة على الجماعات المسيحية، مثل الارمن والنساطرة، لان العمل بين المسلمين كان محضوراً تماماً، كما لم تكن لهم فرص النجاح بين اليهود.

وعند نهاية القرن التاسع عشر في الامبراطورية العثمانية، أوجد السلطان عبد الحميد الثاني (حكم في ١٨٧٦-١٩٠٩) سياسة تقوم على الاسلام الشامل، من اجل تعبئة الاقاليم العربية والوجهاء المسلمين ضد السلطات الاستعمارية المتوسعة. واختارت الحكومة العثمانية الارمن ليكونوا كبش الفداء للتدهور الداخلي للامبراطورية - وبين ١٨٩٤و ١٨٩٦، تم ذبح حوالي 300,000 ارمني بريء. وبعد ان استولى على السلطة في سنة ١٩٠٨ **تركيا الفتاة** (Young Turks) الذين لعبوا الورقة القومية المتزمتة، حدثت اثناء الحرب العالمية الاولى ابادة بين الارمن والنساطرة الاشوريين راح ضحيتها ما يقارب 1.6 الى 1.8 مليون. وقد خسر الشعبان من ٥٠ الى ٦٠ بالمئة من ابنائهم.

واخيراً عندما تمت تسمية **يوحنا الثامن هرمز** بطريركاً كلدانياً، كان عليه ان يوافق على عدم تعيين احد اقربائه خليفة له. وكان آخر جاثاليق من عائلة ابونا، التي انجبت ما مجموعه ١٤ بطريركاً. وقد تضمنت شروط اضافية قبول الاسرار الكنسية لكنيسة الروم الكاثوليك باتجاه ادخال الاعتراف الشخصي، ومسحة المرضى، والتثبيت المنفصل. ورغم ان الرجال المتزوجين كان يسمح لهم بدخول خدمة الكهنوت، فإن الزواج ثانية بعد وفاة الزوجة كان ممنوعاً. وبعد وفاة يوحنا الثامن عينت روما نيقولا الاول (+١٨٥٥) بطريركاً كلدانياً، لكنه استقال في سنة ١٨٤٧ بسبب الخلافات مع الفاتيكان. فخلفه **يوسف السادس اودو** (شغل الكرسي في سنة ١٨٤٨-١٨٧٨) الذي تميزت بطريركيته بكفاح مستمر حول الهوية الشرقية لكنيسته وسيادتها.

وقد اشعل نار النزاع مطالبة البابا لان يكون هو السلطة الوحيدة في تسمية الاساقفة الكلدانيين. وقد اندلع النزاع اولاً عندما قام **يوسف اودو** بارسال النائب البطريركي

توماس روكوس (Thomas Rokos) الى الهند في سنة ١٨٦٠ لكنه كان عليه ان يستدعيه فيما بعد بضغط من البابا. وفي المجمع المسكوني الفاتيكاني الاول في سنة ١٨٧٠ قاتل ضد عقيدة عصمة البابا. وفي سنة ١٨٧٤، ارسل مع الاسقف **ايليا مللوس** شخصية رفيعة المستوى الى الهند للمرة الثانية. وعندما قام البابا المتسلط **بيوس التاسع** بتهديده بالتحريم، اذعن واستدعى ايليا مللوس لكي يعود. كما تولى يوسف اودو القيام بجهود مهمة لتثقيف الكهنة والمؤمنين، وقام بفتح دار للطباعة في سنة ١٨٦٠ واكليريكية في سنة ١٨٦٦.

ثم قام البطريرك **عمانوئيل الثاني توما** (شغل المنصب بين ١٩٠٠-١٩٤٧) بجهود كبيرة وناجحة لكسب النساطرة الى كنيسته. وهنا كان اهتداء الاسقف **اوراهام من هكاري** في سنة ١٩٠٢ شيئاً بارزاً على نحو خاص، لانه كان ابن عم البطريرك النسطوري شمعون الثامن عشر، (شغل المنصب بين ١٨٦١-١٩٠٣). وخليفته المعين والى جانب اوراهام هذا تحول اسقف آخر الى جانب عدة عشائر الى الكنيسة الكلدانية[١٢]. بيد ان جميع التغييرات الطائفية التي تم القيام بها في ذلك الوقت لم تكن مدفوعة لاهوتياً، بل ان المسيحيين والاكليروس كانوا يتمنون بان تقوم الدول الكبرى الاوربية، وعلى رأسها فرنسا، بالتدخل لدى اسطنبول من اجل صدّ الاكراد الناهبين والقتلة عنهم.

الارساليات التبشيرية الكاثوليكية والارثوذكسية الروسية والبروتستانتية

لقد تم تقسيم النساطرة منذ انسحابهم من مدن بين النهرين في القرن الخامس عشر الى مجموعتين اجتماعيتين، تتألف احداهما من الفلاحين الذين يعيشون في الوديان الفسيحة قرب جبال كردستان، سواء اكان ذلك في الموصل وجنوب بحيرة وان التركية، او غرب بحيرة أورميا الايرانية. وكانت هذه الاقلية الصغيرة عرضة للقمع مرة تلو الاخرى من قبل المسلمين، لا سيما الاكراد، على شكل فرض الضرائب، والابتزاز، والنهب، وخطف النساء الشابات. كما ان كنائسهم غالباً ما كانت هدفاً للهجمات المدمرة. لقد كان من المؤلم للسريان الشرقيين الريفيين، فقدان آخر مكتبتين كبيرتين باقيتين لهم في اوائل القرن التاسع عشر. عندما قام المبشرون الكاثوليك اولاً بتحريض المهتدين الجدد الى الكاثوليكية برمي مكتبة الموصل التي كانت تضم عدة آلاف من المخطوطات في نهر دجلة. كما ان الزعيم الكردي **محمد باشا** عندما قام بالهجوم بعد ذلك على الكرسي البطريركي السابق لربان هرمزد في سنة ١٨٣٢، لم يكتفِ بتدنيس الكنائس وذبح الرهبان، بل قام ايضاً بحرق ما امكن حرقه من الكتب[١٣].

واما المجموعة الاجتماعية (النسطورية) الثانية فهي ما يسمى بالنساطرة الجبليين، الذين كانوا يعتمدون في عيشهم على قطعانهم من الماشية والماعز، اضافة الى الحصاد الشحيح من الحقول الصغيرة في الجبال. وقد تكيفت شخصيتهم واسلوب حياتهم مع البيئة القاسية لجبال كردستان الوعرة — كانوا شعباً يحب الحرية — ومتأهباً للقتال، والذين زرعوا الخوف حتى بين العدو الكردي اللدود. وفي سنة ١٨٣٩ وصف المبشر المشيخي الامريكي **غرانت** (Grant) النساطرة الجبليين بأنهم "من اكثر الشعوب الذين لقيتهم استقلالا ابداً من كافة النواحي". وعندما اقترب منهم اكراد من وسط كردستان، والذين كانوا تواً قد

نهبوا دير ربان هرمزد، قيل بان النساطرة قطعوا رؤوس نصف دزينة منهم، وعرضوا رؤوسهم في خوازيق على الجسر المؤدي الى منطقتهم كرادع[١٤].

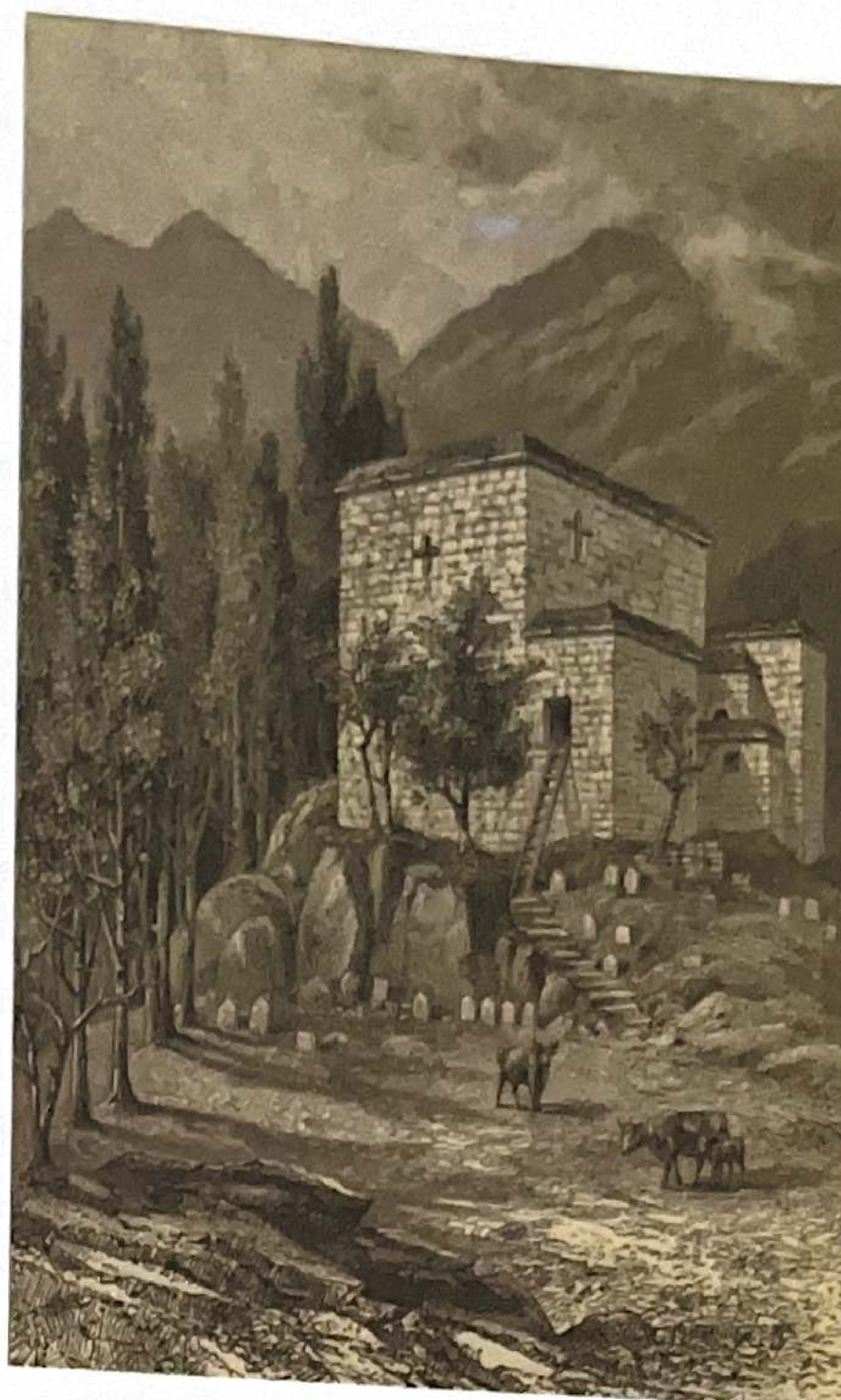
وعن النساطرة الجبليين الذين كانوا يعيشون في قلب الجبال الكردية، روت الرحالة البريطانية **ايزابيلا بيشوب** (Isabella Bishop) التي قامت بزيارتهم في سنة ١٨٩٠ قائلة: "لم يقهرهم الاتراك ولا ضايقهم الاكراد، وهم يحتفظون بشبه استقلال تحت حكم ملوكهم وزعمائهم. انهم جبليون متوحشون لا يخضعون لقانون، شجعان، وذوو جرأة ومحاربون. يحافظون على حريتهم بالسيف، اشداء، مشاكسون فيما بينهم، ولا تكاد تكون لهم صلة بالسريان المرؤوسين في السهول عدا تشبثهم العنيد بكنيستهم القديمة"[١٥]. وكان البطريرك في هذا المجتمع القبلي يجمع بين السلطة الدينية والمدنية، اللتين كانتا تحظيان باعتراف الزعماء القبليين، لانه، ومن اجل تطبيق قراراته، كان يستطيع ان يطبق عقوبة الحرمان المخيفة، حتى في القضايا المدنية، وكانت هذه مساوية للطرد من المجتمع. ومع ذلك لم يكن في وسعه منع النساطرة الجبليين الذين كانوا يتقاتلون فيما بينهم بقساوة، من الدخول في تحالفات كارثية مع زعماء العشائر الاكراد[١٦].

ورغم ان المبشرين الكاثوليك كانوا يعملون مسبقاً لوقت طويل بين النساطرة الريفيين فإن الغرب لم "يكتشف" هذه الجماعة المسيحية الصغيرة إلا في بداية سنة ١٨٢٠ حيث قام اولاً عالم الآثار البريطاني والموظف في شركة الهند الشرقية **كلود رج** (Claude Rich) في سنة ١٨٢٠ بتقديم تقرير عن المسيحيين الاشوريين هؤلاء الذين كانوا ما زالوا يتكلمون بلغة يسوع الارامية او السريانية الشرقية*. وقد احدث ذلك اخيراً شعوراً قليلاً: كان النساطرة يمثلون متحجرة نادرة من الضروري دراستها والحفاظ عليها واخيراً هديها. وكان اول كاهن قدم الى النساطرة الجبليين من المناطق الانكلو-ساكسونية هو البريطاني القس **جوزف وولف** (Joseph Wolf) في سنة ١٨٢٥ الذي حمل معه الى انكلترا مخطوطة لـ البشيطتا التي كان نشرها هناك، وقام بتوزيعها في المنطقة المحيطة باورميا في سنة ١٨٢٧ [١٧].

لكن الاتصالات بين النساطرة الجبليين والمبشرين الغربيين، تطورت لتكون بمثابة سيف ذي حدين لكلا الجانبين. فانفتح مجال جديد من النشاط للمبشرين. كان النساطرة يأملون المساعدة السياسية – وكان حلم البطاركة في ذلك الوقت يدور حول المحمية البريطانية في المستقبل، التي كان من شأنها ان تضمن امن شعبهم. ومن الناحية الاخرى كانت مثل هذه النوايا شوكة في خاصرة الاكراد، الامر الذي يفسر سبب قيامهم في سنة ١٨٢٩ بقتل الالماني **سي. شولتز** (C. Schultz) في طريق عودته من زيارة الى البطريرك في قوجانس[١٨]. لكن الاسوأ من ذلك هو ان الاكراد المتفوقين عدداً انتقموا لانفسهم من النساطرة الجبليين بسبب التدويل المزعوم "للمسألة المسيحية" بالمزيد من المذابح التي تلقوا لقاءها دعم العصابات التركية المتحمسة قومياً، والاسلاميين الداعين الى نشر الاسلام. ولما كانت هناك قلة من الاساقفة السريان الشرقيين ممن كانوا يتوقعون مكاسب سياسية من وراء التحول الى الكنيسة الكلدانية او الكنيسة الارثوذكسية

---

* إن تسمية لغة آشوريو حكاري بهذا الشكل ليست علمية (المدقق)



كاتدرائية مار شليطا في قوجانس في جبال هكاري بكردستان، جنوب شرق تركيا. وكانت منذ سنة ١٦٦٢ حتى سنة ١٩١٥ بمثابة الكرسي البطريركي لبطاركة ما يسمى "آل سولاقا"* لكنيسة المشرق. وكان المدخل الوحيد فوق مستوى الارض باربعة امتار، ويمكن الوصول اليه بسلم، يمكن حمله في اية لحظة. وكانت الكنيسة المحصنة في زمن الضيق بمثابة ملجأ للمسيحيين. صورة توضيحية لايزابيلا بيشوب، Isabella Bishop، سنة ١٨٩٠.

الروسية، فإن كنيسة المشرق ازدادت ضعفاً بسبب الجهود التبشيرية لحلفائهم. لكنه بدا في سنة ١٨٣٠، ولاول وهلة، وكأن التدخل من جانب القوات الاوربية سيساعد النساطرة، لان الحكومة العثمانية اجبرت على ايقاف الهجمات الكردية.

وقبل سنتين من ذلك كانت القوات الروسية قد تقدمت نحو اورميا، وقامت بحث جماعات منفردة من النساطرة لاختيار الكنيسة الارثوذكسية الروسية ولفترة قصيرة. وفي سنة ١٨٣٠، وبصحبة المشيخيين **أي.سمث** (E. Smith) و **أج. جي. أو. دوايت** (H. G. O. Dwight) من هيئة المفوضين الامريكية لشؤون الارساليات التبشيرية الخارجية، ظهر الامريكيون لاول مرة على لوح شطرنج الارسالية التبشيرية الى النساطرة[١٩]. وقد ادى التقرير الواعد لسمث ودوايت في سنة ١٨٣٣ الى ارسال **يوسطين بيركنز** (Justin Perkins) الذي وصل الى اورميا في سنة ١٨٣٤. وعلى العكس من خلفائهم الامريكيين والمبشرين الامريكيين كان بيركنز ورؤساؤه يميلون اول الامر الى النساطرة بشكل جيد. وتنص اوامره على: "من الاشياء الرئيسة التي عليك النظر فيها هو اقناع الناس بانك لم تأت بينهم بخطة من اجل سلب امتيازاتهم الدينية، ولا لاخضاعهم لاية سلطة كنسية اجنبية، وبان الرئيس الوحيد للكنيسة المعترف به هو يسوع المسيح، وان معيارك الوحيد في القضايا الكنسية هو العهد الجديد. وتقر الكنيسة السريانية بنفس الرئاسة ونفس المعيار رغم انه ربما تكون هناك بعض الاضافات. وعليه سيكون لك مجال مشترك واسع. لكن هدفك الرئيس هو تمكين الكنيسة النسطورية بنعمة الله من ممارسة تأثير مسيطر على البعث الروحي الجديد لآسيا"[٢٠].

وكان المبشرون المشيخيون مرتاحين من غياب التماثيل والصور عن الكنائس النسطورية، مع وجود الصليب دون المصلوب، مع بغض البابا وهو السبب في نعتهم للنساطرة بـ "بروتستانت آسيا"[٢١].

---

* لاوجود لهكذا تسمية في المصادر والمخطوطات الاشورية والسريانية اطلاقاً. ولم تكن متداولة يوماً بين سكان هكاري من ابناء هذه الكنيسة أو البيت البطريركي في قوذشانيس ولا ادري من اين اتى بها الاستاذ المؤلف. وللمزيد انظر هامش ص٢٩٠

وبعكس ذلك كان النساطرة الذين لم يكونوا قد سمعوا بحركة الاصلاح، منهمكين بفكرة ان البروتستانت هم "نساطرة الغرب"[٢٢]. وقد تطورت هذه الاخوة الدينية، ليس اقله لان الكهنة المشيخيين والانكليكانيين الذين كانوا يعيشون بين النساطرة، كانوا مستغنين عن محاولات اعادة المسيحيين النساطرة الى المسيحية!. وكانوا يقدمون العون في مسائل التربية، على النقيض من الكاثوليك الذين كانوا يمارسون ضغطاً كبيراً، ولم يترددوا في ارشاء البطاركة والاساقفة بالمال[٢٣]. في حالة مضحكة اكثر، لم يتمكن اسقف كاثوليكي وآخر نسطوري من الاتفاق على مسائل لاهوتية فرفعا قضيتهما الى امام اورميا الذي اعلن النسطوري فائزاً - وهي عملية تذكّر بالمناقشات القديمة امام الامراء المغول[٢٤].

وفي سنة ١٨٣٥ وصل الطبيب والمبشر المشيخي **آساهيل غرانت** (Asahel Grant) الى اورميا. ولم يقم، مع زوجته، بفتح مدرسة وعيادة طبية اشاد بها كل من المسيحيين والمسلمين فحسب، بل سعى ايضاً الى البرهنة على ان النساطرة هم سليلو الاسباط الاسرائيلية العشرة المفقودة[٢٥]. وبعد عشر سنوات، وجهت له تعليمات من قبل مجلس الارساليات بالعمل بين النساطرة الجبليين في هكاري. لكنه تعرض لهجوم من قبل اكراد غاضبين في ماردين، وكان عليه ان يلجأ الى دير الزعفران السرياني الغربي القريب. وبعد اللقاء بالبطريرك مار شمعون الثامن عشر اوراهام، عاد غرانت الى اورميا حيث لقي دعماً من خلال وصول المبشرين أي. **هاليداي** (A. Halliday) و و. **ستوكنغ** (W. Stocking) في سنة ١٨٣٧ و **دبليو. جونز** (W. Jones) في ١٨٣٩، و أي. **رايت** (A. Wright) في ١٨٤٠. واخيراً اي. **برذ** (E. Breath) الذي جلب معه مطبعة.

أما إذا كان من الممكن لمحاولات تبشيرية كهذه، ان تكون انفجارية من الناحية السياسية ايضاً، فقد تجلى ذلك بشكل مأساوي في سنة ١٨٤٣. لقد أثار نشاط غرانت غضب الزعيم الكردي بدر خان، الذي كان يحلم بكردستان مستقلة. ومع ذلك فقد كسب غرانت صداقة نورالله، وهو زعيم عشيرة تابع لبدرخان كان شفاه من مرض. وقد كان لعمله التبشيري بعداً سياسياً على نحو جلي لكل من البطريرك، الذي كان يأمل بان يتمكن غرانت الامريكي من توفير الحماية من التهديد الكردي، ومن بدرخان، الذي كان ينظر الى جهود غرانت نظرة مريبة.

وحين انطلق في سنة ١٨٤٣ لمقابلة الزعيمين الكرديين بدرخان ونورالله، اندفع نحوه مئات النساطرة طالبين منه ان يتحدث مع صديقه نورالله عوضاً عنهم، لكنه لم يكتف برفض طلبهم بحجة الحياد، بل لاحظ بعدم اكتراث، الاستعدادات العسكرية التي كانت قائمة في معسكر الزعيمين الكرديين للقيام بغزو للمناطق النسطورية. وبدلاً من محاولة التوسط بين بدر خان والبطريرك مار شمعون السابع عشر، بمساعدة صديقه نورالله، وجه جل اهتمامه فقط الى ضمان إبقاء الاكراد المهاجمين على مدرسة كان بناها*.

وفور مغادرة غرانت المعسكر الكردي، هجم الاكراد على النساطرة في السهول، اولاً في حزيران، ومن ثم على النساطرة الجبليين في تموز. "كانت المجزرة ابشع ما مر به نساطرة كردستان منذ الدمار الذي قام به

---

* كانت هذه المدرسة في قرية آشيثا الكبيرة. (المدقق)

تيمورلنك"[٢٦]. إذ قام الاكراد بقتل الالاف من النساء والرجال، وهم يقطعون آذان القتلى ويرسلونها الى بدرخان. وبما انه كان يجري، إما بيع النساء الشابات عبيدات او يُهبن كهدايا للشيوخ الاكراد، فإن الكثيرات منهن آثرن الانتحار ورمين بانفسهن من الجسور الى الهاوية في الاسفل. وفي الوقت ذاته سرقت كل القطعان، وامحيت الكنائس، ودمرت المكتبات، كما ان النيران التهمت قرى باكملها. ومن اجل منع عودة النساطرة الفارين الى موطنهم، قام الاكراد ايضاً بتدمير قنوات الارواء وقطع اشجار الفاكهة[٢٧]. وكان على البطريرك ان يسعى الى اللجوء الى القنصلية الانكليزية في الموصل، وهكذا نجا من المصير الذي لقيه المفريان (رئيس اساقفة) السرياني الغربي، الذي قتل على يد بدرخان في مديات (Midyat).

وبعد ثلاث سنوات هجم الاكراد على النساطرة الجبليين من عشيرة التياري وقاموا بشكل منظم بقتل الكهنة والشمامسة وزعماء الاسر، ولم تبق كنيسة واحدة قائمة. وقد ذبح الاكراد ما مجموعه 15,000 الى 20,000 نسطورياً. وبقدر تعلق الامر بمدرسة غرانت، فانهم في الحقيقة ابقوا عليها دون ضرر، لكنهم حولوها الى حصن. واما غرانت نفسه فقد توفي بالتيفو في الموصل في سنة ١٨٤٤، وهو يرعى اللاجئين النساطرة[٢٨].

وبعد المذبحة الثالثة للمسيحيين في سنة ١٨٤٦ تدخلت الحكومة البريطانية لدى اسطنبول، ووضعت كردستان تحت حكم الباشا التركي، ونفي بدرخان. ومع ذلك فإن السلطات التركية منعت النساطرة من اعادة بناء كنائسهم، من اجل ابتزاز رشاوي كبيرة منهم[٢٩]. واليوم نعلم بأن الحكومة التركية، والتي كانت في ذلك الوقت تتمتع بسلطة



كاهن كنيسة المشرق في شمال العراق، اواسط العشرينيات تقريباً من القرن العشرين. (mid – 1920)

ضعيفة على شمال بين النهرين، كانت قد حرضت الاكراد على ذبح المسيحيين، لكي يتمكنوا، في خطوة تالية، من ايجاد مبرر للتدخل العسكري وتدمير الامارات الكردية[٣٠].

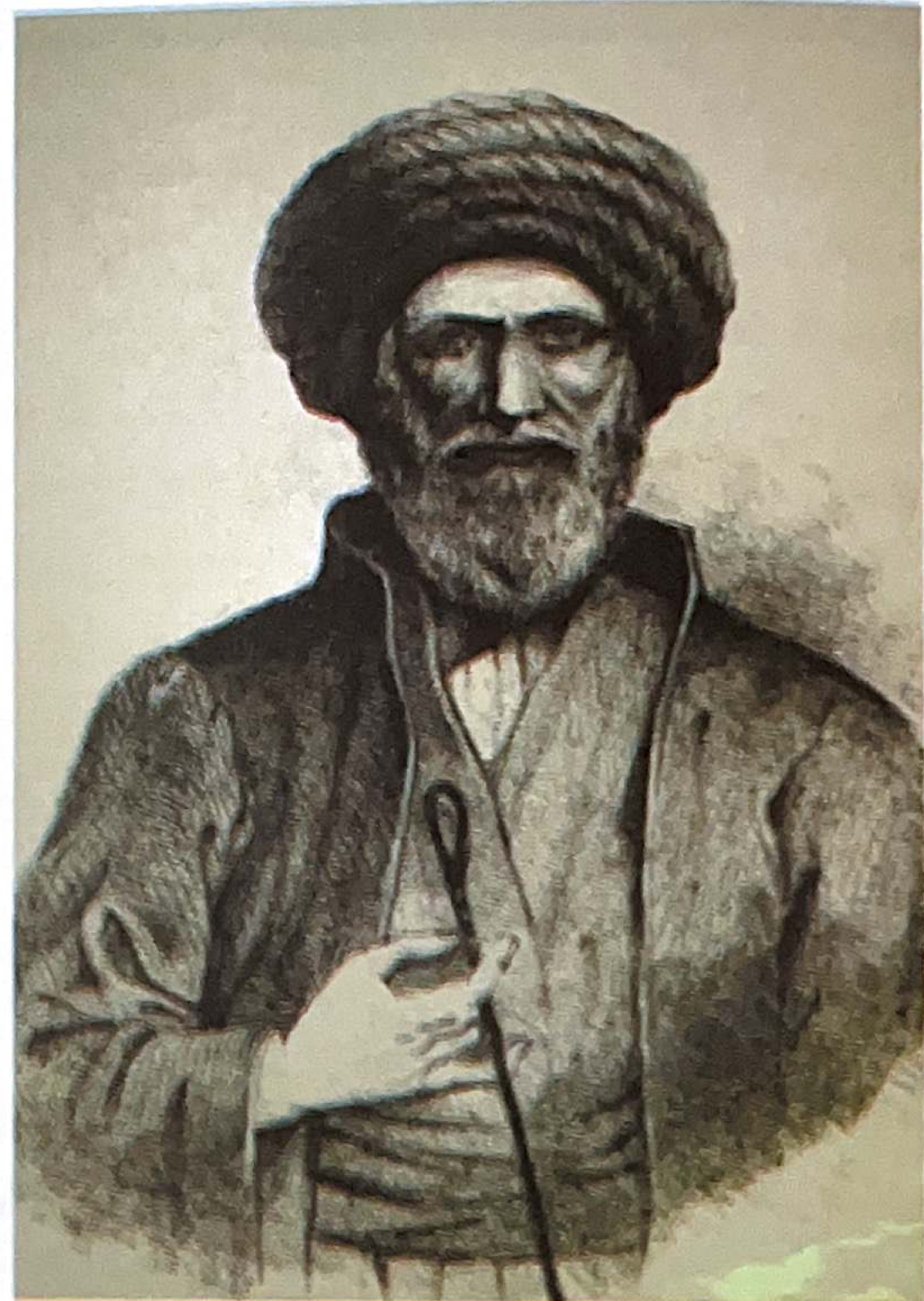
وكنتيجة لنقص المساعدة الانسانية المقدمة من غرانت، تدهورت العلاقات بين الاكليروس النسطوري، والمشيخيين الامريكان الذين قاموا بدورهم بالتهجم على التقاليد الليترجية للسريان الشرقيين. ولم يقم القادمون الجدد من المبشرين، بنشر وتوزيع كراسات دعاية مضادة فحسب، بل ان بركنز، ذي العقل المنفتح اصلاً، تبنى نبرة متعصبة، عندما هاجم ممارسة الصوم: "لا علم لي بحيلة اكثر مكراً كان للشيطان ان يبتدعها ليستبدل الدين النقي للانجيل، بالصوم لهذه الكنائس الشرقية"[٣١]. وقد امر البطريرك

باغلاق المدرسة الامريكية في اورميا، حيث غادر اكثر المشيخيين المدينة والموصل كذلك.

وفي حوالي سنة ١٨٧٠ عادوا وبدأوا بحملة التبشير المعادية (للنساطرة)، والتي ادت الى أنشاء كنيسة بروتستانتية آشورية[٣٢]. وقد ادت النشاطات التبشيرية البروتستانتية الاخرى فيما بعد الى العديد من الانقسامات في الجانب النسطوري. ولم يكن ما كان اعلنه **مار شمعون السابع عشر اوراهام** وهو على فراش الموت بدون سبب: "ان كان عليكم ان تغيروا معتقدكم من اجل الحفاظ على امتنا، فاعتنقوا مذهب الكلدانيين، وليس البروتستانت"[٣٣].

الجغرافية، وجمعية نشر المعرفة المسيحية، لارسال الجراح والجيولوجي **دبليو. أينزوورث** (W. Ainsworth) الى البطريرك ولم يقف البريطانيون متفرجين، ففي السنوات ١٨٣٥ و ١٨٣٧ قاد العقيد الانكليزي **جسني** (Chesney) حملة الفرات، وعند عودته روى عن المسيحيين القدماء في كردستان. وهذا ما حث الجمعية الملكية في سنة ١٨٣٨. فالتقى بالبطريرك شمعون السابع عشر في سنة ١٨٤٠ بصحبة رفيقه في السفر، االكلداني عيسى (يسوع) رسام، الذي عين بعد نهاية الحملة نائباً للقنصل في الموصل. وكانت مناسبة هذا اللقاء هي التي اثارت غضب البطريرك حول المصلوب الذي كان عيسى قد جلبه معه. لان المسيح تألم مرة واحدة، ومات مرة واحدة، وهو الان قائم من بين الاموات، وجالس على العرش ممجداً. ولا يمكن لمسيحي حقيقي ان يصور المسيح المتألم لان رمز المسيحية هو صليب القيامة "بدون المصلوب" وقام البطريرك برمي الصليب بعيداً[٣٤].

فكانت نتيجة ذلك الاستكشاف عند نهاية سنة ١٨٤٢ الرحلة التي قام بها **جيورج بيرسي بادجر** (George Percy Badger)، الذي كان يتمتع بدعم رئيس اساقفة كانتر بري، واسقف لندن. وفي لقائه بالبطريرك في سنة ١٨٤٣ نجح في اقناعه بان الكنيسة الانكليكانية لم تكن تحمل نوايا تغيير المعتقد، بل كانت تريد ان تساعد النساطرة في المجالات الثقافية والصحية[٣٥]. والتزم المبشرون الانكليكان بهذه الستراتيجية. وقامت الحملة التبشيرية الانكليكانية الخامسة التي تمت في سنة ١٨٨٥ برسم هدفها هكذا: "ان هدف الحملة اولاً هو تدريب عدد من الاكليروس المتعلمين، وثانياً تزويد الشباب بالمعرفة الدينية والمدنية، وثالثاً طبع طقوس صلاة الآشوريين القديمة جداً. ولا تسعى الحملة بأي شكل من الاشكال الى جعل



طريرك كنيسة المشرق، مار
شمعون السابع عشر (اعتلى
سدة البطريركية في ١٨٢٠-
١٨٦١). رسم جورج بادجر
George Badger، ١٨٤٣
تقريباً.



كنيسة مار كيوركيس، التي تعود الى كنيسة المشرق وتقع بالقرب من اردشاي Ardishai اورميا، ايران، وقد دنست من قبل المخربين في سنة ٢٠٠١.

الآشوريين انكليكانـا، ولا الـى استـصغار عقيدتهم او التقليل من اهميتها"[٣٦].

بيد ان البريطانيين خيبوا آمال البطريـرك **مار شمعون الثامن عشر روبـن** (١٨٦١-١٩٠٣)، مثلما روت **ايزابيلا بيـشوب**: "ان البطريرك وشعبه كانوا يأملون فـي محميـة بريطانية كاحدى نتائج ارسالية رئيس اسـاقفة كانتربري، وقد خابت آمالهم بمـرارة بـسبب زيادة سـوء احـوالهم"[٣٧]. بيـد ان الـسفير البريطاني في اسطنبول هنري لايرد (Henry Layard)، (+١٨٩٤) ورئـيس الـوزراء البريطاني لورد سالزبري (Lord Salsbury)، (+١٩٠٣) كانا قد حذراه من ان العمل عـن كثب مع كنيسة انكلترا يمكن ان يثير المزيـد من الاضطهادات من قبل الاتراك والاكراد[٣٨].

لكنه كان في النصف الثاني مـن القـرن التاسع عشر أن قام المبـشرون الانكليكـان، والامريكان اضافة الى عالم الآثـار **اوسـتن أي. لايـرد** (Austin A. Layard) بوصـف اعضاء كنيسة المشرق بالآشوريين الى عامة الناس[٣٩]. وقد اتخذ المبشر **دبليـو. أ. وكـرام** (W. A. Wigram) الذي نـشط فـي اوائـل القرن العشرين، اسم **الآشوريون وجيـرانهم** عنواناً لكتابـه. وعـرف النـساطرة بـانهم السليلون الحقيقيون للآشوريين الذيـن سقطت امبراطـوريتهم فـي سـنة ٦١٢ ق.م. لكـن النساطرة ومثلما كان لاحظ كل من ايـزابيلا بيشوب، وغرانت، ومبشرون آخـرون، لـم يكونوا يسمون انفسهم "آشوريين" بل "سريانا"



كنيسة ما توما الآشورية بعد الصيانة في موشافا، اورميا، ايران، اواخر القرن التاسع عشر.

و "نصارى" او ببساطة "مسيحيين"*. ومع ذلك، هناك العديد من البراهين التي تشير الى ان المبشرين، ولايرد لم يكونوا اول من يسمي الشعوب المحلية لحدياب- قلب آشور القديمة، ومن ثم بعد ذلك مهد كنيسة المشرق- آشوريين حتى بعد سقوط الامبراطورية الآشورية. ومع ذلك فإن الكنيسة اتخذت اولاً اسمها الرسمي الحالي، كنيسة المشرق الآشورية الكاثوليكية الرسولية المقدسة في زمن البطريرك مار شمعون الحادي والعشرين في سنة ١٩٧٥[٤٠]**.

ان الموقف المتردد للحكومة البريطانية، التي لم تكن مهتمة بالاقليات المسيحية لكردستان، بل فقط من اجل تحديد نطاق التأثير الروسي، رمت بالنساطرة مباشرة بين

---

* هذا لايعني انهم لم يكونوا آشوريين، بل على العكس انهم كانوا يعرّفون انفسهم بالانتماء الديني وليس بالانتماء القومي. فعندهم السرياني والنصراني والمسيحي، كلها اسماء دينية عقائدية!

** ان ما اورده المؤلف بخصوص اعتماد لفظة الآشورية في التسمية الرسمية لكنيسة المشرق ليس دقيقاً. لان الذي قام باعتماد هذا الاسم اي (كنيسة المشرق الآشورية الكاثوليكية الرسولية المقدسة) هو البطريرك الحالي مار دنخا الرابع والذي تمت رسامته في العاشر من الشهر العاشر لسنة ١٩٧٦ وللمزيد انظر:

Ref. (Bulletin John Rylands Library) Pages, 195-196

ذراعي القيصر. وفي ٢٦ نيسان سنة ١٨٦٨ كتب البطريرك الى القيصر الروسي يقول: "لقد عرفتم في ما مضى من الوقت وسمعتم بحال النساطرة، وهم شعب يتكون من ناس فقراء، يعيشون في جبال كردستان. لقد احتل الاكراد بالقوة العديد من كنائسنا واديرة راهباتنا، وهم يخطفون عذراواتنا، وعروساتنا ونساءنا مجبرين اياهم على دخول الاسلام. لقد قام الاتراك ولعشرين سنة، أو اكثر بوضع اليد على البلاد، لكنهم اسوأ من الاكراد. اننا نلتمس من عظمتكم، من اجل يسوع ومعموديته وصليبه ان تخلصونا من هذه الحالة او تجدوا لنا علاجاً"[41]. لم يكن لهذه الرسالة تاثيراً أول الامر، لكنه عندما اعلن القيصر نفسه إستعداده في سنة ١٨٧٦ للعمل مع بريطانيا لمساعدة النساطرة، رفضت بريطانيا. وكانت بريطانيا قد توصلت الى تحالف عسكري دفاعي مع الامبراطورية العثمانية ضد روسيا، وهكذا قدمت النساطرة الجبليين قرباناً على مذبح سياسات القوى العظمى.

وبعد انهيار مفاوضات سنة ١٨٨٣/١٨٨٤ حول الاتحاد مع الكنيسة الارثوذكسية الروسية، وقعَ يوحنا اسقف اورميا على معاهدة اتحاد مماثلة في بطرسبرغ في سنة ١٨٩٨. وقد تبعه اكثر من 20,000 مؤمن تخلوا عن "الهرطقة النسطورية"، حيث تم اثر ذلك تعيين اسقف ارثوذكسي آشوري روسي ثان، وجرى اعادة بناء كنيسة مريم العذراء القديمة في اورميا وفق النموذج الروسي. ومع هذا "الاهتداء" المدفوع بدوافع سياسية بحتة، كان الناس يأملون بان يُجنبوا المصير الذي لقيه الارمن، الذين كانوا يعيشون في الامبراطورية العثمانية. اثناء الابادة الاولى التي نفذت على يد الاتراك والاكراد في سنوات ١٨٩٤-١٨٩٦.

ومن المفارقة ان يكون وضع الارمن آنذاك قد آل الى الاسوأ، عندما قامت القوى الغربية الكبرى في مؤتمر السلام في برلين بإجبار الاتراك العثمانيين على اصلاح ادارة الاقاليم الاناضولية الشرقية، حيث كان يعيش الملايين من المسيحيين. إذ قام السلطان عبد الحميد الثاني بعد ذلك كخطوة اولى، بإسكان الاكراد المناهضين للمسيحية عن قصد، في المناطق ذات الاغلبية المسيحية[42]. وكخطوة ثانية، قام بتسليحهم عسكرياً باسم الحركة الاسلامية*، وحولهم الى جيش مواز غير نظامي من اجل القضاء على الارمن وكان نفس المصير يهدد النساطرة. غير ان آشوريي اورميا ربطوا مصيرهم بروسيا او بالفأل العسكري الروسي. وفي الوقت ذاته، عاملت الحكومة التركية الآشوريين الذين كانوا يعيشون في الامبراطورية العثمانية بالمزيد من الريبة، وصاروا موضع شك حول امكانية كونهم الطابور الخامس للقيصر.

وسرعان ما لاقى الاتحاد مع روسيا النكسة الاولى له عندما ضعفت المساعدة الروسية الارثوذكسية نتيجة لهزيمة روسيا في الحرب الروسية اليابانية لسنة ١٩٠٤-١٩٠٥، والاضطرابات الداخلية التي عقبتها. وفي الوقت ذاته دخلت منطقة اورميا المزيد من الجماعات البروتستانتية، مثل الارساليات التبشرية للكنيسة اللوثرية الاميركية الموحدة، والميثودية، والمعدانيون الشماليون والجنوبيون والـ دنكاردز (Duncards)

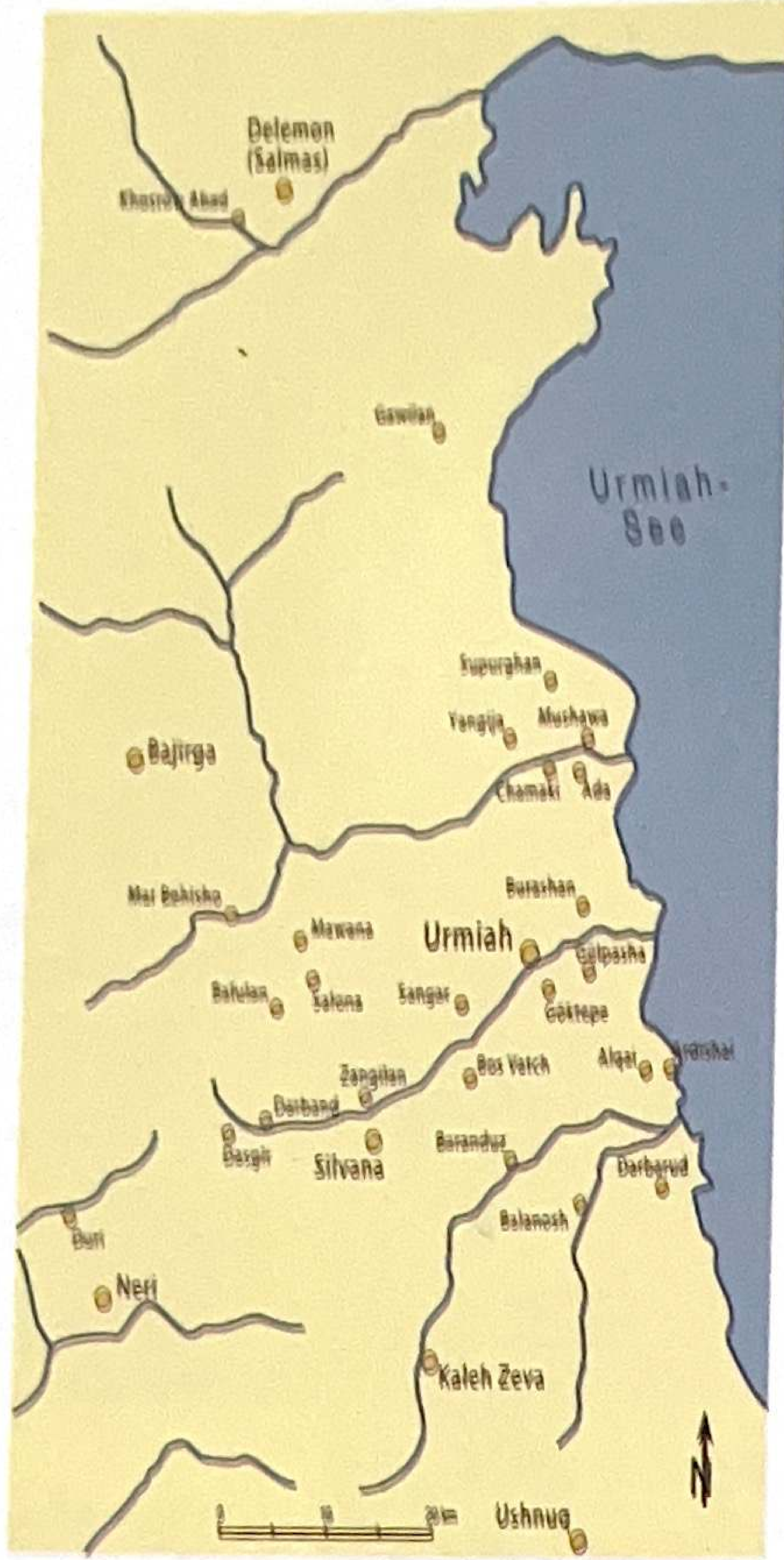
* او الفرسان الحميدية. بين (١٨٩١-١٩٢٣). (المدقق)

الامريكيـــــــون، والجمهوريـــــــون (Congregationlists) **الانكليـــز**، واخـــوة بلايمـــوات الانكليـــز (**English Playmouth Brethern**)، والبعثـــة المـــشرقية الالمانيـــة، (German Oriental Missio)، والاتحـــاد الانجيلـــي لتعزيـــز الكنيـــسة النـــسطورية، وسينودس اوغسطانا السويدي الامريكي[٤٣].

وكانت هناك اضافة الى هذه، الارساليات التبـشيرية القائمـــة للعـــازريين الكاثوليـــك، والكـــرمليين، والكلـــدانيين، والانكليكـــان، والارثوذكس الروس.

وفي اكبر الظن لم يحدث في اي مكـــان آخر من العالم ان يمرح هذا العدد الكبير مـــن الجماعات المسيحية المتنافسة في مكان صغير كهذا مثل اورميا. إن "صيد النفوس" هذا غير الوقور حطم معنويات المسيحيين في اورميـــا الذين اصبحوا الان يعـــاملون "الـــدين مثـــل الرياضة والتجارة"[٤٤].

إن الاتفاقية الانكلو- روسية لسنة ١٩٠٧، التي نظمت انطقة التأثير للقـــوتين الكبـــريين، منحت النساطرة فترة قصيرة ليستعيدوا فيهـــا انفاسهم. فزحفت قـــوات القيـــصر، مـــستغلة الاوضاع في ايران، التي كانت اشبه بحـــرب اهلية، الى داخل اذربيجان فـــي ســـنة ١٩٠٩ واحتلت تبريز، وسالماس، واورميا. واصـــبح القنصل الروسي الان يحكم منطقة النـــساطرة مؤكدا لهم امناً لم يكونوا قد تمتعوا به لوقـــت طويل. وكان الآشوريون الارثوذكس الـــروس يأملون بان تقوم روسيا اخيراً بضم اورميـــا. وعلى ضوء التطورات الايجابية في اورميـــا، والسياسات المضادة للمسيحيين باضطراد من **قبل تركيا الفتاة**، قرر البطريرك مار شمعون التاسع عشر بنيـــامين (اعتلـــى الـــسدة بـــين ١٩٠٣-١٩١٨) فـــي ربيـــع عـــام ١٩١٤



القرى المسيحية في منطقة اورميا ايران.

الاهتداء* مع شعبه الـــذي كـــان يعـــيش فـــي الامبراطوريـــة العثمانيـــة الـــى الكنيـــسة الارثوذكسية الروســـية[٤٥]. وبـــسبب الحـــرب العالمية الاولى فإن هذه الخطوة سلّمت شـــعبه الى الحقد الاعمى للاتراك والاكراد، بدلاً من وضعهم تحت حماية القيـــصر القـــوي فـــي الظاهر.

---

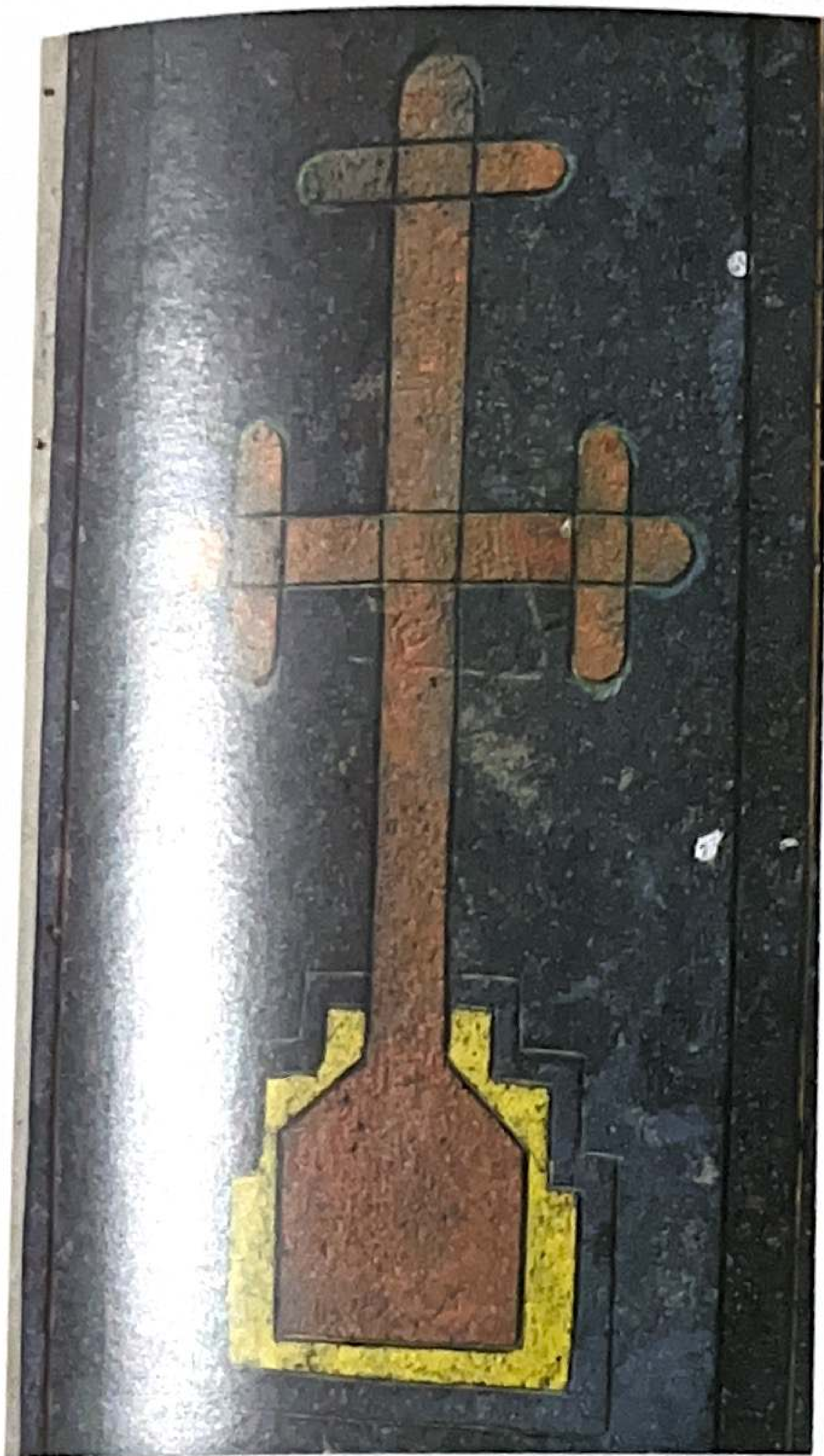
* لم يكن اهتداء كنسياً بقدر ما كـــان اتفاقـــاً سياسياً تأمل منه الآشوريون الدعم الروســـي. (المدقق)

الابادة الجماعية لسنة ١٩١٥-١٩١٨

عندما اعلنت روسيا الحرب على الامبراطورية العثمانية، بعد الكثير من الاستفزاز التركي، في الاول من تشرين الثاني عام ١٩١٤، اعتقد جميع المسيحيين الذين كانوا يعيشون في منطقة اذربيجان الايرانية، والذين كانوا يتمتعون بحماية القوزاق الروس منذ سنة ١٩٠٩. بانهم قد تحرروا أخيراً من النير الاسلامي، ووضعوا انفسهم الى جانب القيصر. وفي الوقت ذاته اعلن الرجل القوي في اسطنبول انور باشا (١٨٨١-١٩٢٢)، الجهاد (الحرب المقدسة) ضد المسيحيين، في ٤ تشرين الثاني، الامر الذي دفع بالاكراد بطبيعة الحال، للقيام بمذابح جديدة. ولما لم تكن اذربيجان بالنسبة الى روسيا، إلا مسرحاً حربياً ثانوياً، مقارنة بالقوقاز، فقد قامت باخلاء اورميا في ٢ كانون الثاني وسالماس في ٤ كانون الثاني سنة ١٩١٥. وقد هرب ما يقارب 15,000 من الآشوريين الكلدان (Assyro-Chaldeans)* ٤٦



حقق الجنرال آغا بطرس منذ سنة ١٩١٥ حتى ١٩١٨، مع جيش صغير من المتطوعين، العديد من الانتصارات ضد الاتراك، لكنه فشل في محاولته انشاء منطقة آشورية تتمتع بالحكم الذاتي في كردستان. وفي سنة ١٩٢٣ اجبرته السلطات البريطانية والعراقية على الذهاب الى المنفى في فرنسا، حيث توفي في ظروف غامضة في سنة ١٩٣٢. (صورة من سنة ١٩١٤ تقريباً.)



حجر قبر نسطوري في مقبرة خسرو آباد قرب ديليمون Delemon باذربيجان في ايران.

---

* مصطلح كنسي غير دقيق الاشوريون من النساطرة والكلدان (المدقق)

في مؤخرة الجيش الروسي المتراجع الى الشمال، حيث مات اغلبهم بسبب برد الشتاء والجوع. ولكن ما ان غادر القوزاق اورميا حتى اقتحم الاتراك والاكراد بقيادة الحاكم الكردي آغا سمكو (+١٩٣٠) المدينة والقرى المجاورة، حيث نفذوا مطاردة منظمة للمسيحيين: كان الرجال يقتلون والنساء تغتصب. وقد كان ما يقارب 20,000 من الآشوريين – الكلدان الذين وجدوا لانفسهم ملجأ في البنايات التبشيرية الفرنسية والامريكية اوفر حظا. ثم بدأ هناك في الوقت ذاته في شرقي الاناضول التطهير العرقي الشامل للمسيحيين من تركيا، امر به وزير الداخلية التركي طلعت باشا (١٨٧٤-١٩٢١)

في ٢٤ نيسان سنة ١٩١٥، راح ضحيته الارمن، وكذلك السريان الارثوذكس، والكلدان، والنساطرة، حيث كان هذا بالنسبة الى مليوني مسيحي بمثابة الانحدار الى الجحيم[٤٧]. وبدأت المذابح في مدن اميدا (ديار بكر)، وماردين، ومديات ثم تقدمت نحو نصيبين، والجزيرة، وسعرت حيث قتلالمؤرخ الكنسي المشهور ورئيس الاساقفة أداي شير، والتهمت النيران المكتبة التي كانت مليئة بالمخطوطات القديمة. وفي غضون بضعة اسابيع قامت العصابات التركية الكردية بذبح عشرات الالاف من المسيحيين – واولئك الذين استطاعوا الهرب الى الجبال قتلوا على يد زمر كردية.

الاقل منطقة حكم ذاتي، كما كان الانكليز قد وعدوا بذلك في سنة ١٩١٧.

وعندما وضعت الحرب أوزارها، واجهت بريطانيا العظمى المهمة المستحيلة التي كانت قد جلبتها على نفسها، في الايفاء بوعودها العديدة، وغالبا المتناقضة.

اولا، كان البريطانيون قد وعدوا الأرمن، اضافة الى الاكراد، والآشوريين بمنحهم دولهم المستقلة، رغم ان مناطقهم تباعاً، كانت متداخلة تداخلاً مهماً.

ثانياً، كان لورانس العرب (Lawrence of Arabia) قد عرض على القادة الهاشميين للثورة العربية إمكانية قيام دولة عربية مستقلة، تشمل كل المناطق العربية من الدولة العثمانية[٥٦]. وقد تعارض هذا الوعد ليس فقط مع الالتزامات مع الكرد والآشوريين الموجودين في بين النهرين، بل ايضاً مع **وعد بلفور** المشهور في ٢ تشرين الثاني ١٩١٧، الذي وعد فيه وزير الخارجية البريطاني بلفور **البارون روثشيلد** (Rothschild) لانشاء وطن قومي لليهود في فلسطين.

ولكن منذ آيار سنة ١٩١٦ تخلصت الاتفاقية السرية بين الممثلين المخولين، السير **مارك سايكس** (Sir Mark Sykes) و **جيورجس بيكو** (Georges Picot)، والتي قسمت الشرق الاوسط الى مناطق مصالح، من جميع الوعود اللاحقة. وفي حقيقة الامر حتى قبل ان ينفذ اي واحد منها. فكان من المزمع ان تكون سوريا ولبنان وجنوب شرق الاناضول والموصل حصة فرنسا من الامبراطورية العثمانية المحتضرة. وأما بغداد وجنوب بين النهرين وموانىء حيفا وعكا (Akko) فتذهب الى بريطانيا العظمى. وتفصل بينهما دولة عربية تابعة مقسمة الى مناطق نفوذ فرنسا وبريطانيا. واخيراً، كان من المزمع ان توضع اورشليم تحت السيطرة الدولية[٥٧].

وبينما حصل العرب في الاقل على ممالك مكة والمدينة، والاردن، والعراق – رغم ان الاخيرتين كانتا محميتين بريطانيتين- عاد الارمن والاكراد والآشوريين فارغي الايدي. فقد تم التضحية بهم من اجل المصالح البريطانية على مذبح النفط الذي اكتشف في جنوب كردستان[٥٨]. ثم فشلت في ايلول سنة ١٩٢٠ المحاولة التي تولاها آغا بطرس لأنشاء نواة لمنطقة حكم ذاتي آشورية في كردستان، فشلاً بائساً بسبب قلة الانضباط بين قواته[٥٩]. وفي الاشهر التالية بدأ الالاف من الآشوريين يتقاطرون الى قراهم في هكاري واورميا. ولما كانت تركيا قد صدت وبنجاح، في **معاهدة لوزان** لسنة ١٩٢٣، اي حكم ذاتي آشوري، ففي عام ١٩٢٤ قدم الآشوريون التماساً الى عصبة الامم، التي كانت منشغلة برسم حدود واضحة بين تركيا والعراق. وعندما قررت لجنة مفوضة زيارة هكاري، التي سكنها النساطرة مرة اخرى، أرسل كمال اتاتورك قوات لتحقيق الامر الواقع. فاقامت حماماً من الدم ودمرت القرى المسيحية التي اعيد بناؤها تواً، وهرب الناجون الى العراق[٦٠]. لكن الذي نفذ هذه الابادة العرقية المتجددة لم يكن السلطة العثمانية، بل الجمهورية التركية.

واخيراً في كانون الاول من سنة ١٩٢٥ منحت عصبة الامم بين النهرين الشمالية الغنية بالنفط الى العراق، المحمية البريطانية. ومنحت جبال هكاري الى تركيا ولم يترك شيء للاكراد والآشوريين. وقد اكدت تركيا بعد ذلك مباشرة بأن عودة اللاجئين

الآشوريين كان ممنوعاً، وبان الآشوريين العائدين سيعاقبون عقاباً شديداً[٦١].

ورغم ان الوضع السياسي للآشوريين في المحمية البريطانية ظل غير مقنع، إلا ان سلامتهم كانت مضمونة لكن ذلك ايضاً استمر لفترة محددة، لان المفاوضات الانكليزية – العراقية حول انسحاب بريطاني، بدأت في سنة ١٩٢٧ وادت في سنة ١٩٣٢ الى استقلال العراق وكان امراً متوقعاً ان الآشوريين كانوا سيخسرون حماية الانكليز. وقد ساء الوضع بعد ان سافر البطريرك الى جنيف في عام ١٩٣٢ الى عصبة الامم، وفي وقت مبكر من سنة ١٩٣٣ رفضت هذه الهيئة نهائياً المطالب الآشورية بالاعتراف بهم كمجموعة متجانسة، ومنحهم منطقة للحكم الذاتي.

وعند عودة البطريرك مار شمعون الى العراق، وضع تحت الاقامة الجبرية واعطي مهلة نهائية لتسليم كل السلطات الدنيوية. ونظرا لقيامه بمحاربة تجريده من هذه السلطة نفي من العراق الى قبرص في نهاية آب ١٩٣٣، كما خسر ايضاً مواطنته العراقية. فاصبح الآشوريون الان من دون قائد، مثلما صار البطريرك دون شعب. فقام المطرافوليط مار يوسف خنانيشوع (١٨٩٣-١٩٧٧)، كنائب له، بتمشية امور الكنيسة في العراق.

وكان الوضع متفجراً ايضاً، لان الآشوريين ومنذ ١٩١٩ كانوا زودوا القوات البريطانية المحتلة بالجند، ما يسمى الليفي الآشوري. ولما كان البريطانيون قد استخدموا الليفي الآشوري المسيحي مراراً وتكراراً لقمع الثورات الكردية والعربية، فقد كانوا بسبب ذلك مكروهين من قبل المسلمين. وقد ازداد الوضع سوءاً عندما اعلنت الخطة البريطانية-العراقية بتشتيت الآشوريين في جميع انحاء العراق، وقد كانوا حتى ذلك الحين يعيشون في تناغم في معسكرات اللاجئين، حيث توجب ان يصار الى استيطان الآشوريين في قرى كردية وسنية وشيعية، مما يعني تدمير هويتهم السياسية والثقافية.

وفي نهاية الانتداب البريطاني قررت مجموعة من الآشوريين في تموز سنة ١٩٣٣ الهجرة الى سوريا والاستقرار في الخابور في شمال شرق البلاد، حيث كان يعيش هناك مسبقاً لاجئون آشوريون. وكان يسير في اعقاب الآشوريين المهاجرين قوات حكومية حتى الحدود. وعندما عاد الآشوريون المسلحون من مفاوضاتهم مع الفرنسيين الى عوائلهم التي كانوا تركوها على الجانب العراقي من الحدود، قامت القوات العراقية باطلاق النار عليهم. وقد نجح بعض الآشوريون بالهرب الى سوريا، واما الاخرون فقد اسروا وقتلوا. وقد منحت حادثة الحدود هذه الجيش العراقي فرصة لاكتساب الشهرة في غياب الملك فيصل الاول (حكم في ١٩٢١-١٩٣٣)، الذي كان في سويسرا لاسباب صحية، عن طريق حل "المسألة الآشورية". وابتداء من٧ آب عام ١٩٣٣ قام الجيش العراقي بقيادة القائد الكردي بكر صدقي، بالهجوم على ٩٥ قرية ومخيم آشوري، حيث قام بنهب وتدمير ٦٥ قرية منها بوحشية. وتم ذبح السكان المدنيين العزل دون تمييز.

إن اعمال القسوة لم تشمل فقط تعذيب الكهنة واغتصاب النساء، بل سحق الاطفال الصغار تحت عجلات المركبات الكبيرة، او كانوا يرمون في الهواء لكي يسقطوا على حراب البنادق، كما قتلت النساء الحوامل ايضاً بالحراب. وكانت ذروة الماساة مذبحة قرية سميل، حيث مات في غضون عشرة ايام

تقريباً اكثر من ٣٠٠٠ شخص بريء. ولم ينج الا الذين اعتنقوا الاسلام في خنوع. وبالمقابل جرى الاحتفاء في بغداد بالقائد بكر صدقي، الذي كان مسؤولاً عن المذبحة، كبطل. وتلقى من الملك غازي الاول (حكم في ١٩٣٣-١٩٣٩) ميدالية، ولقب الباشوية[٦٢].

وكان امراً ساحقاً بالنسبة للآشوريين الناجين، حقيقة قيام دولة اسلامية. حيث سمحت لنفسها ذبح ابناء اقلية دينية دون ذنب، بعد بضعة اشهر فقط من قيام الاستقلال. ولم يصدر هناك اي رد فعل، فقد ساعدت بريطانيا العظمى العراق لطمس (اسكات) ما حدث. كما ان عصبة الامم قامت بتعيين مفوضية، ولم تنظر هذه المفوضية ابداً في كيفية ضمان سلامة الآشوريين في العراق، بل اوصت بدلاً من ذلك بان ينتقل الآشوريون "ببساطة" الى الارجنتين، والبرازيل، وغويانا البريطانية، وكندا، وكولومبيا، والنيجر، وجنوب افريقا، وهكذا صار الآشوريون لاجئين على ارض وطنهم[٦٣]. ولم يعر الناس المعنيون بهذا الاجراء الا اهتماماً قليلاً بهذه التوصيات، لكنه مع ذلك، اختبأ البعض منهم في المنطقة الكردية من العراق، وفرّ الاخرون الى معسكر اللاجئين في الحبانية غرب بغداد، حيث كانت بريطانيا العظمى تحتفظ بقوة جوية هناك.

وفي ايار من سنة ١٩٤١ كانت لهم القناعة في الدفاع بنجاح عن قاعدة الحبانية، الى جانب الانكليز، ضد 15,000 جندي عراقي، والحاق الهزيمة بمحاولة الانقلاب العسكري من قبل الضباط المتعاطفين مع المانيا النازية. وقد جرى حلّ وحداتهم في سنة ١٩٥٥[٦٤]. وقد غادر العراق نصف الآشوريين، مع قبول البعض بالعرض الفرنسي بالاستقرار في الخابور في سوريا، وهجرة الاخرين الى الولايات المتحدة، وخاصة الى شيكاغو.

واما الكلدان العراقيون، على العكس من ذلك، والذين يفوقون النساطرة الان كثيراً، فلم يتأثروا بالاضطهادات إلا قليلاً، لانهم كانوا قد تخلوا، بقيادة بطريركهم عمانوئيل الثاني توما، عن اية مطالبة باستقلال سياسي او حكم ذاتي، وانصهروا عن وعي داخل المجتمع العراقي.

وبينما كان على مار شمعون الحادي والعشرون العيش في المنفى، بقي عمانوئيل الثاني في منصبه في مجلس الاعيان العراقي الى ان وافته المنية في سنة ١٩٤٧. وقد قام خلفاؤه الثلاثة – يوسف السابع غنيمة (١٩٤٧-١٩٥٨)، الذي كان ايضاً عضواً في مجلس النواب، وبولس الثاني شيخو (١٩٥٨-١٩٨٩)، وروفائيل الثاني بيداويد (١٩٨٩-٢٠٠٣) باتباع ستراتيجية حذرة تقوم على الخضوع، تجاه السلطات الحاكمة، مما ضمن للكلدان سلاماً نسبياً، رغم ثلاثة ثورات وثلاثة حروب.

وعلى العكس من الكنيسة الكاثوليكية، التي نأت بنفسها عن الطموحات القومية، تولت كنيسة المشرق تحقيق هدف دولة قومية في العشرينيات والثلاثينيات من القرن الماضي، من خلال محاولات فشلوا فيها حتماً. وكان الآشوريون جماعة صغيرة مليئة بالجدالات الداخلية، تتداخل املاكها المبعثرة مع تلك التي للاكراد الذين يفوقونهم عدداً، وعليه لم يكن من الممكن لهم المطالبة بدولتهم. إن فشل الحركة الآشورية في صيف عام ١٩٣٣ جرّ الكنيسة الى الهاوية.

لماذا انهارت كنيسة المشرق؟

إن تفسخ الكائنات الحية – سواء اكانت اشياء حية او منظمات الدولة او البنى الاجتماعية او المؤسسات الدينية – جزء من الحياة. لكنه مع ذلك من الغريب ان تجد كنيسة نفوسها بين سبعة وثمانية ملايين، وكانت تعود منذ البداية الى الديانة المسيحية الناجحة، تنكمش الى 400,000 عضواً. او ان تنقص نسبتها من سكان العالم من ٢-٣ بالمائة خلال العصور الوسطى الى ٠,٠٠٥ بالمائة. هناك اسباب خارجية وداخلية عديدة وراء ذلك، كلها حاسمة، دون ان يقتصر السبب على واحد منها[٦٥]. وقد اسهمت في ذلك تسعة اسباب خارجية.

الاول، كانت كنيسة المشرق منعزلة عن شقيقاتها الكنائس، وانتشرت الى مسافات شاسعة. وقد كان هذا العامل خطيراً بشكل خاص عندما منعت الحروب جميع الاتصالات بين البطريركية والاقاليم البعيدة، واحياناً لسنوات.

الثاني، بقيت الكنيسة "عدا في بين النهرين"، ضعيفة عددياً قياساً بالتعداد العام، حيث لم تحقق الكتلة الحاسمة الضرورية لتصبح مقبولة بصورة عامة بل ظلت ديانة اقلية.

الثالث، لم تختبر تجربة ان تكون ديانة رسمية، فقد كانت دائماً معتمدة على النية الحسنة للحكام غير المسيحيين، وكانت تبعاً لذلك معرضة للاذى.

الرابع، لقد واجهت كنيسة المشرق الاشورية في آسيا ديانات قوية راسخة الجذور، مثل البوذية، والطاوية، والكونفوشيوسية. لقد كانت ديانات الشرق الاقصى الثلاث وثيقة الصلة بثقافات وعقلية الشعوب المحلية – وكانت قد ساعدت حقا في ايجادها – بحيث أن جواً من التسامح كان يلازم دوما الرسالة المسيحية. وعلى النقيض من ذلك، لاقت الكنيسة اللاتينية موقفاً ملائماً اكثر في القرنين الثالث والرابع، لان الديانة الرومانية كانت منذ وقت طويل قد تحولت الى دعاية الدولة، كما ان الديانات الغالية، والسلتية، والجرمانية لم تتح اجابات للعديد من المسائل الوجودية.

الخامس، خضعت الكنيسة واعضائها الى الاضطهادات التي غالباً ما كانت تستمر لقرون من الزمن، والى التمييز الاجتماعي الخطير، الذي ادى بالقليل جداً من المسيحيين، رغم المقاومة العامة المثيرة للرهبة، لان يتحولوا الى دين الدولة.

السادس، عاش السريان الشرقيون في كردستان في غيتو* اجتماعي وجغرافي ضيق، مما ادى الى حياة ترتكز على الذات وقلة التطور العقلي.

السابع، لقد عجّلت نشاطات الارساليات التبشرية الكاثوليكية، والبورتستانتية من افول نجم الكنيسة الضعيفة جداً مسبقاً.

الثامن، لقد كان السريان الشرقيون ضحية مرتين لابادة عامة – الاولى في اواخر القرن الرابع عشر على يد تيمورلنك، ومن ثم في سنة ١٩١٥-١٩١٨ على يد الترك والاكراد.

التاسع، لقد رأت الكنيسة نفسها قبالة دين غير متسامح من حيث الجوهر، وهو الاسلام، الذي كان يملي، ليس اشكال المجتمع فقط، بل ايضاً القانون وادارة العدالة فور تحقيقها للاغلبية في دولة ما.

وتظهر النقطتان الاخيرتان صحة جدل اللاهوتي المسلم علي الطبري (٨٥٥)، وهو مسيحي سابق. فقد ذكر في كتابه **تفنيد**

---

* حي الاقليات [المترجم]

المسيحية بانه لا يمكن لدين ان يبقى دون مفهوم للحرب المقدسة. واشار الى انتصار الاسلام، الذي كان نجح واضعف المسيحية كثيراً في كل مكان، وبأن ما من احد قد جابهه بالقوة المسلحة[٦٦].

إن نظرة عابرة الى التاريخ تظهر بانه، في مجابهة دين مسلح بوسائل عسكرية، لا يمكن لاية دين آخر ان يحافظ على نفسه على المدى البعيد ما لم يكن مدعوماً بقوة اخرى مسلحة. إن المناطق التي كانت ذات اغلبية سكان مسيحية، إما طهرت من المسيحيين على نحو متطرف – كما حدث على سبيل المثال في الاناضول وشمال افريقيا – او ان المسيحيين كانوا يشكلون فقط اقلية صغيرة، كما هو الحال في ايران والعراق وسوريا ومصر.

وعلى العكس من ذلك، في اوربا المسيحية، فإن العمليات العسكرية هي التي إما اوقفت الاسلام او صدته – كما هو الحال، مثلاً، في معركة **تورز و بواتييرز** (Battle of Tours and Poitiers) سنة ٧٣٢، وإعادة فتح اسبانيا (Reconquista of Spain) في القرن الخامس عشر، وفي كلا حصاري فيينا في سنة ١٥٢٩ و سنة ١٦٣٨.

ولما كان الاهتداء من المسيحية الى الاسلام في الدول الاسلامية مرغوباً، بينما كان ينتهي الاهتداء من الاسلام الى المسيحية بعقوبة الموت، فإن كنيسة المشرق كانت دائماً هي الخاسرة في المنافسة مع الاسلام.

ولا بد من ان يضاف الى هذه العوامل الخارجية عاملين داخليين.

الاول، ان كنيسة المشرق ركزت في جهودها على الطبقات الحاكمة، لانها كانت معتمدة عليهم، لكنها اهملت العمل من اجل اهتداء عامة السكان. وكانت نتيجة هذه الستراتيجية، عند تغيير الموقف لدى الحاكم او تغيير النظام، أن تجد نفسها معزولة، لا اساس لها بين الناس.

والثاني، كانت الكنيسة غالباً مبتلاة بالنزاعات الداخلية والجدال بين الشخصيات والانشقاقات التي اضعفتها كثيراً وجعلت المؤمنين غرباء عن السلطة الكهنوتية. وفي الوقت الذي كانت فيه المنظمات الكنسية الكبرى مثل الكنيسة الكاثوليكية قادرة على النجاة من الصراعات والانقسامات الداخلية، كانت هذه كارثية بالنسبة الى جماعات صغيرة تقع في اجواء معادية.

١٢ – عصر النهضة لكنيسة المشرق الاشورية

اعاة البناء في المهجر

عندما أبعد البطريرك البالغ من العمر ٢٥ عاماً، مار شمعون الحادي والعشرون الى قبرص، في سنة ١٩٣٣ غير معترف به كمواطن. واجه مهمة هرقلية، إذ كانت جماعته مبعثرة في ارجاء العالم، ولم يكن لمن قد بقي من الاساقفة والكهنة فرص للتعليم العالي، كما تم عزله شخصياً عن المؤمنين في العراق وايران وسوريا. وواجهت الكنيسة الانحلال او خطر انشقاق آخر في حال قيام السريان الشرقيين الباقين في العراق بانتخاب زعيم آخر. ومن اجل انقاذ الكنيسة، كان على مار شمعون ان يجمع سوية الشتات المبعثر، ويخفف النقص الحاد في الكهنة ويبادر على أنشاء سلطة كنسية جيدة، لا تكون مرتبطة بتنظيمات عشائرية. وفي الوقت ذاته، كان عليه ان يحقق التوازن الصعب في ايجاد حلّ وسط بعيد المدى مع الحكومة العراقية دون ان يخسر تأييد الجماعات التي كانت تعيش في الخارج، وتقاتل من اجل دولة آشورية ذات سيادة.

ومما هو بنفس القدر من التعقيد المحاولات من اجل التوصل الى تقارب مع الكنيسة الكلدانية الشقيقة. ورغم ان مار شمعون لم ينجح في تحرير الكنيسة تماماً من المطالب السياسة، والضغوطات العشائرية التي ساهمت في احداث الانشقاق المأساوي لسنة ١٩٦٨. إلا ان انجازاته تبقى لا نزاع عليها، فقد قام اثناء وجوده في الكرسي البطريركي لفترة بلغت ٥٥ عاما – الاطول من نوعها في التاريخ – باعادة بناء الكنيسة وتعزيز ترجمة ونشر الكتابات اللاهوتية الكلاسيكية. وتزداد الجهود التي قام بها من اجل الكنيسة روعة، عندما يؤخذ بنظر الاعتبار انه لم يقم باختيار طريقه الصعب، بل جعله مفروضاً عليه وهو بعد صبي.

وبعد رحلة طويلة محفوفة بالصعاب استقر مار شمعون في شيكاغو في سنة ١٩٤٩. لقد اختار شيكاغو حيث تعيش جماعة كبيرة من الشتات، وحيث كان المطرافوليط الهندي طيماثاوس* قد أسس مسبقاً ابرشية في سنة ١٩٢٤ لتكون كرسياً بطريركياً. وفي البداية جادل البطريرك مرة اخرى عبثاً عندما مثّل شعبه امام عصبة الامم ومؤتمر السلم العالمي في سنة ١٩٤٥ والامم المتحدة في سنة ١٩٤٧ من اجل ضمان وطن تقليدي للآشوريين.

ولعل فشل جمهورية مهاباد الكردية القصيرة العمر التي قامت بموافقة ستالين، ادت الى اعادة النظر، لان الآشوريين الذين كانوا يعيشون سابقاً في الاتحاد السوفيتي، وقدموا قوات موالية في الحرب العالمية الثانية، كما ساعدوا بهمة في خلق جمهورية

---

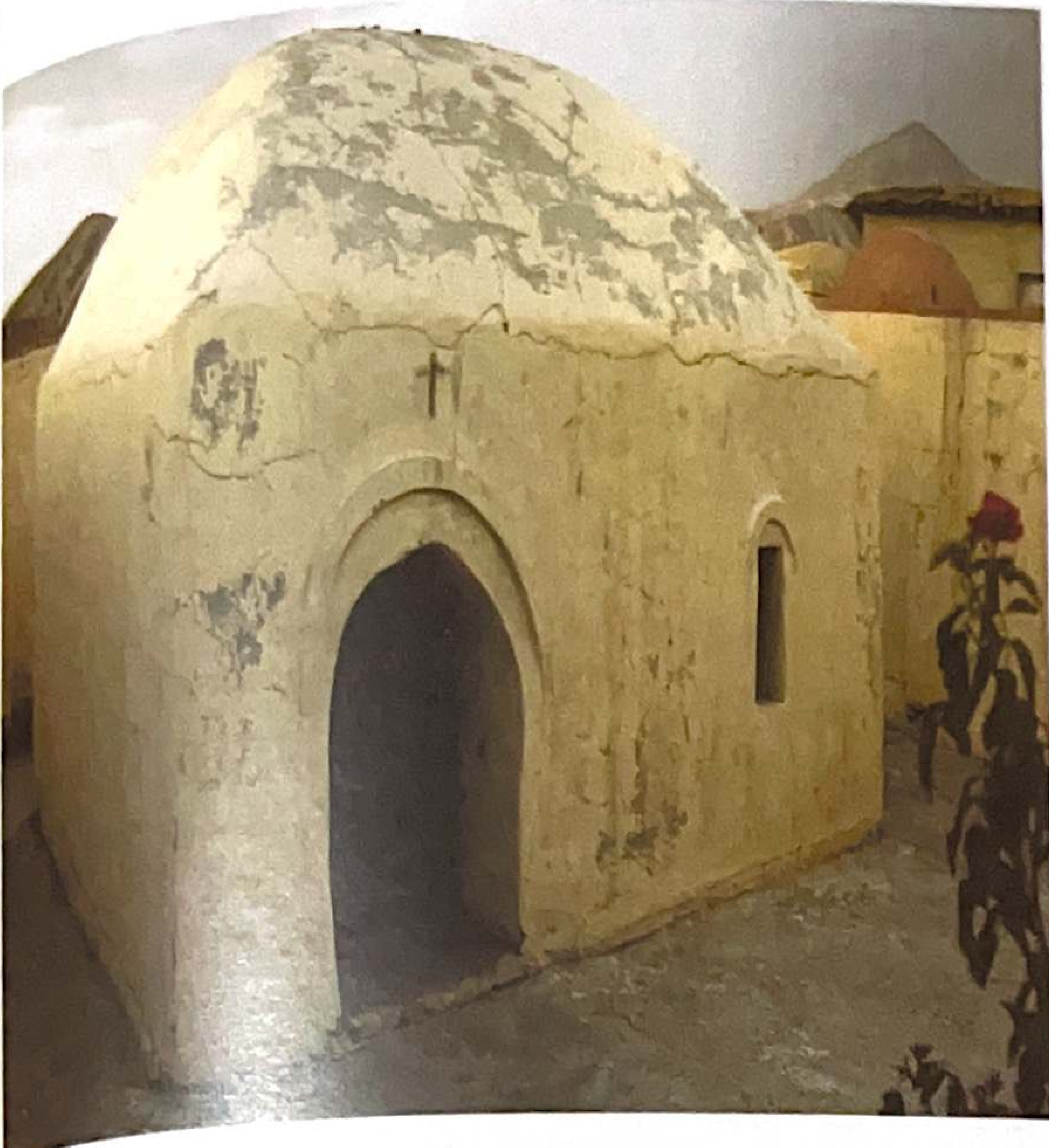
* المطران الآشوري في الهند مار طيماثاوس، (المدقق)

المعبد النسطوري للقديس اسطيفان، بني بعد سنة ١٩٥٠ على انقاض كنيسة اقدم بكثير، في ديانا، بشمال العراق.

مهاباد، اصبحوا في سنة ١٩٤٧/١٩٤٨، ضحية لقمع ايراني وحشي، بعد ان وجهت الولايات المتحدة وبريطانيا انذارا نهائياً الى ستالين مطالبة اياه بسحب قواته من اذربيجان الايرانية. ولم يكن لتدخل البطريرك في الامم المتحدة تأثيراً – تماماً، مثل نداءات التبت اللاحقة في سنة ١٩٥٠ و ١٩٥٩. وبعكس **الدالاي لاما** (Dalai Lama) الذي مازال يأمل حتى اليوم بانتصار العدالة، اقر مار شمعون بعدم جدوى كل النداءات الى القوى الغربية العظمى والمؤسسات التي اقامتها، اضافة الى الاصرار على تحقيق الوعود السابقة التي قطعوها على انفسهم.

وهكذا فقد انقلب انقلاباً جذرياً: حيث قام بضمان ولائه الى شاه ايران، وامر في سنة ١٩٤٨ كل الآشوريين، لا سيما أولئك الذين كانوا يعيشون في العراق، بالحفاظ على ولائهم لحكوماتهم في الوطن[١]. وهذا لا يعني اقل من التخلي عن دولة مستقلة.

ولم يكن لتنازلات مار شمعون اي تأثير في بادىء الامر، لكن حزب البعث، الذي جاء الى الحكم في سنة ١٩٦٨، اعاد اليه جنسيته العراقية بعد ان دعا الآشوريين في العراق، في رسالة رعوية اخرى في اوائل سنة ١٩٧٠، الى الاعتراف بالسلطات العراقية. واثر ذلك دعته الحكومة الى العودة الى بغداد، حيث التقى بالرئيس البكر وزعيم الحزب صدام حسين. وقد اعترف البكر – مثلما كان الخلفاء العباسيون قد فعلوا مرة – بمار شمعون بموجب المرسوم الجمهوري المرقم ٢٨٦ في ٢١ ايار ١٩٧٠، "بطريركاً لكنيسة المشرق [النسطورية] والرئيس الاعلى للشعب الآشوري* في جمهورية العراق"[٢] وكان هذا الاعتراف نقطة تحول ثمينة، لان البكر كان قبل سنة من ذلك، اعترف بالبطريرك المضاد **مار توما درمو** كرئيس شرعي للكنيسة، ووسم مار شمعون بانه "زعيم لحركة سياسية خطرة تتعاون مع الاجانب".



اما الان فقد لاقى مار شمعون الترحيب كشريك رسمي للحكومة في الحوار، واغلب الممتلكات التي كانت قد صودرت اعيدت الى كنيسته[٣]. لكن مار شمعون لم يقبل العرض بالبقاء في العراق، ونقل الكرسي البطريركي الى بغداد، لانه خشي من التورط في كفاح الحكومة ضد الاكراد.

---

* ورد في النصّ العربي للمرسوم الجمهوري (...والرئيس العراقي للقومية الاشورية في العراق)

وعلى اية حال، فان الكثيرين من الآشوريين لم يسامحوا البطريرك مار شمعون لتفويت هذه الفرصة التاريخية. واليوم، في سنة ٢٠٠٥، يعيد ذلك التاريخ نفسه حيث يجب على البطريرك مار دنخا ان يقرر ما اذا كان عليه العودة الى العراق او البقاء في شيكاغو. وتشير المناقشات التي دارت عند نهاية تشرين الاول من سنة ٢٠٠٥، بين البطريرك ومسعود البارزاني، رئيس حكومة اقليم كردستان، الى ان مقراً جديداً سوف يتم بناؤه في عنكاوا بالقرب من اربيل في شمال العراق. وعليه فان البطريرك يخطط في العودة الى العراق في المستقبل القريب[٤].

وقبل ذلك، في سنة ١٩٦٤، جرت حادثتان. حيث قام البابا يوحنا بولس الثالث والعشرون بدعوة الكنائس غير الكاثوليكية لارسال مراقبين الى المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني، إذ قام مار شمعون، اثر ذلك، بارسال وفدين. وكانت لحظة تاريخية، لانه، ولاول مرة منذ مجمع افسس سنة ٤٣١، حدث أن اشتركت الكنائس الشرقية ثانية في مجمع غربي. ولسوء الحظ حدث في السنة ذاتها انشقاق بطريركي آخر سبّبته نزاعات عشائرية قديمة. وكانت حجة هذا الانشقاق هي التحول من التقويم اليوليانوسي (Julian) الى التقويم الغريغوري، الذي اقره مار شمعون من اجل تمكين السريان الشرقيين من الاحتفال بالاعياد الطقسية الكبيرة في نفس الوقت مع البروتستانت والكاثوليك. وقد استغلت مجموعة عشيرة تياري، المناوئة لمار شمعون، ذلك الاصلاح واتهمته "ببيع" الكنيسة الى روما. وقد قام رؤساء العشائر في بداية الامر باقناع كاهن من بغداد من عشيرة تياري يدعى اسحق أنويا بالثورة، ونالوا تأييد المطرافوليط الهندي مار توما درمو الذي كان مناهضاً شديداً للخلافة الوراثية للبطريركية. وفي خريف سنة ١٩٦٨ سافر مطرافوليط الهند المنشق الى بغداد حيث قام بتعيين كاهنين ليكونا اساقفة وارخيدوقا واحداً، وسرعان ما قام هؤلاء بدورهم باقالة مار شمعون فوراً ورسامة مار توما درمو بطريركاً جديداً[٥]. واختارت الكنيسة الجديدة اسم كنيسة المشرق القديمة. وعند موت بطريركهم الاول، في سنة ١٩٦٩، عينوا مار اداي الثاني خليفة له. وكانت هذه النزاعات القديمة المؤسفة هي التي ادت الى فشل المحاولات التي قام بها البطريرك مار دنخا الرابع لاعادة الوحدة، عندما اقترح في سنة ١٩٨٠ الاعتراف بالرسامات التي قام بها الاساقفة



بطريرك كنيسة المشرق مار دنخا الرابع خننيا جلس على كرسي البطريركية منذ ١٩٧٦، يعيش حالياً في شيكاغو.

من كلا الكنيستين ومنح مار اداى دور نائب البطريرك في الكنيسة الموحدة[٦].

وفي وقت مبكر من سنة ١٩٧٣ واجهت كنيسة المشرق فوضى اخرى باعلان مار شمعون استقالته بعد ٥٣ سنة من الخدمة. ونزولاً عند رغبة اساقفته، بقي في الوظيفة لستة اشهر اخرى. ولكن عندما فشل الاساقفة في القيام بشيء من اجل الترتيب للخلافة، اعلن في آب عن زواجه من الآشورية **إيماما يوخنا**. ولم يكتف السينودس الاسقفي باقرار الغاء الخلافة البطريركية التقليدية بل ايضاً إبطال لقب الكاهن من البطريرك المغادر وعودته الى حالة العلمانيين، والغاء اسمه من قائمة البطاركة الرسمية. ولا شك ان هذه الاجراءات لم تكن مبررة طالما ان مار شمعون كان خدم الكنيسة باخلاص لاكثر من نصف قرن. وكان رد فعل مار شمعون عنيفاً إزاء الاستفزاز وذكّر الاساقفة بقانون سينودس سنة ٤٢٤ الذي يكون البطريرك بموجبه مسؤولاً امام محكمة المسيح فقط، وسحب استقالته.

ومن اجل تلافي انقسام آخر، اذعن الاساقفة وقاموا بسحب قراراتهم، وتم الاتفاق على ان يتم حل كل المسائل المتنازع عليها في سينودس كان من المزمع عقده في سياتل، بنهاية سنة ١٩٧٥. لكن ذلك السينودس لم يحدث، لانه في ٦ تشرين الثاني من سنة ١٩٧٥، قام الشاب الآشوري داود ملك إسمايل، من قبيلة تياري، باغتيال البطريرك. وحتى إن اعزي القتل لاسباب شخصية بصورة رسمية، فثمة مؤشرات من ان البطريرك قتل لاسباب سياسية، لا سيما بسبب مصالحته مع العراق. وقد ادين القاتل بالسجن المؤبد في سنة ١٩٧٦، لكنه افرج عنه في سنة ١٩٨٨[٧]. ان الموت المأساوي لمار شمعون مهد السبيل الى العودة الى الانتخابات السينودسية البطريركية.

وفي ١٧ تشرين الاول من سنة ١٩٧٦ انتخب مؤتمر الاساقفة مطرافوليط طهران وايران زعيماً جديداً لهم، اتخذ اسم **مار دنخا الرابع خنانيا**. وأصل البطريرك الذي ولد في سنة ١٩٣٥ في قرية دربندوك قرب اربيل، من اسرة كانت انجبت ١٨ اسقفاً. وقد درس لدى المطرافوليط **مار يوسف خنانيشو**، الذي قام برسامته كاهنا في سنة ١٩٥٧ وارساله الى طهران. وفي سنة ١٩٦٢ قام مار شمعون بترقيته الى اسقف، وفي سنة ١٩٦٨ الى درجة مطرافوليط طهران وايران. وقد تميز في هذه الوظيفة بالعديد من المبادرات، مثل خدمات العبادة المسكونية (ecumenical worship services) وتأسيس معهد اكليريكي لمعالجة النقص المزمن في الكهنة. وحتى الحرب العراقية الايرانية (١٩٨٠-١٩٨٨)، كان مار دنخا يقيم في طهران، لكنه انتقل بعد ذلك الى مقر اقامته في شيكاغو.

ويسعى البطريرك الجديد الى تحقيق الاهداف الاربعة التالية:

الاول: السير بخطى ثابتة في النهج الذي بدأ به مار شمعون الواحد والعشرون لقيادة الكنيسة خارج عزلتها ولكن من دون انكار ارثها الغني. وهكذا، على سبيل المثال، وفور رسامته، وفي الوقت الذي أكد فيه على قرار سلفه بهجر مصطلح "نسطوري"، رفض بإصرار الخضوع للضغط من المؤسسات الاخرى، وخاصة الكنيسة القبطية وادانة نسطورس ذاته. ويستخدم مار دنخا عضويته في مجلس الكنائس العالمي، الذي وجد منذ سنة ١٩٤٨، للمشاركة في العديد من الحوارات الثنائية والمتعددة الجوانب بنجاح

ملحوظ. ويمثل الاعلان المسيحاني العام فيما بعد الصادر في سنة ١٩٩٤ مع الكنيسة الكاثوليكية، والمرسوم السنهادوسي المشترك من اجل تعزيز الوحدة، في سنة ١٩٩٦ مع الكنيسة الكلدانية الكاثوليكية، والخطوط الرعوية العامة لقبول الافخارستيا بين كنيسة المشرق الآشورية والكنيسة الكلدانية، في سنة ٢٠٠١، والاعلان المشترك حول الحياة الاسرارية، في سنة ٢٠٠٢ مع الكنيسة الكاثوليكية، اكثر الاحداث اهمية[٨]. ومن المواضيع الرئيسة الاخرى في الحوار المسكوني هو التقديس المشترك للكاتدرائية البطريركية في شيكاغو برفقة البطريرك الكلداني روفائيل بيداويد في ١٦ آب سنة ١٩٩٧[٩].

الثاني: اكد مار دنخا في خطابه اثناء توليه منصب البطريرك سعيه الى العمل معاً بسلام مع حكومات الشرق الاوسط ليرفض بذلك المطالب الآشورية في تكوين اقليمهم الخاص بهم[١٠].

الثالث: انه يريد ان يرفع من مستوى التعليم اللاهوتي بين اكليروسه. وبفضل الحوار المسكوني الناجح، يمكن للآشوريين ان يدرسوا في الكلية الكلدانية الكاثوليكية في بغداد، كما يمكن للشمامسة والكهنة غير المتزوجين ان يدرسوا في الجامعات الكاثوليكية في روما. وهدف مار دنخا هو تعيين لاهوتيين بدرجة الدكتوراه في منصب الاساقفة، بحيث يمكن ان تحيط هالة العلم القديمة مرة اخرى بكنيسة المشرق.

الرابع: يعمل من اجل التغلب على الانشقاق المؤسف لسنة ١٩٦٨، وهو سعي قد نجح فيه جزئياً بعودة الكرسي المطرافوليطي للهند.

المسيحيون الآشوريون في القرن الحادي والعشرين: نظرة شاملة

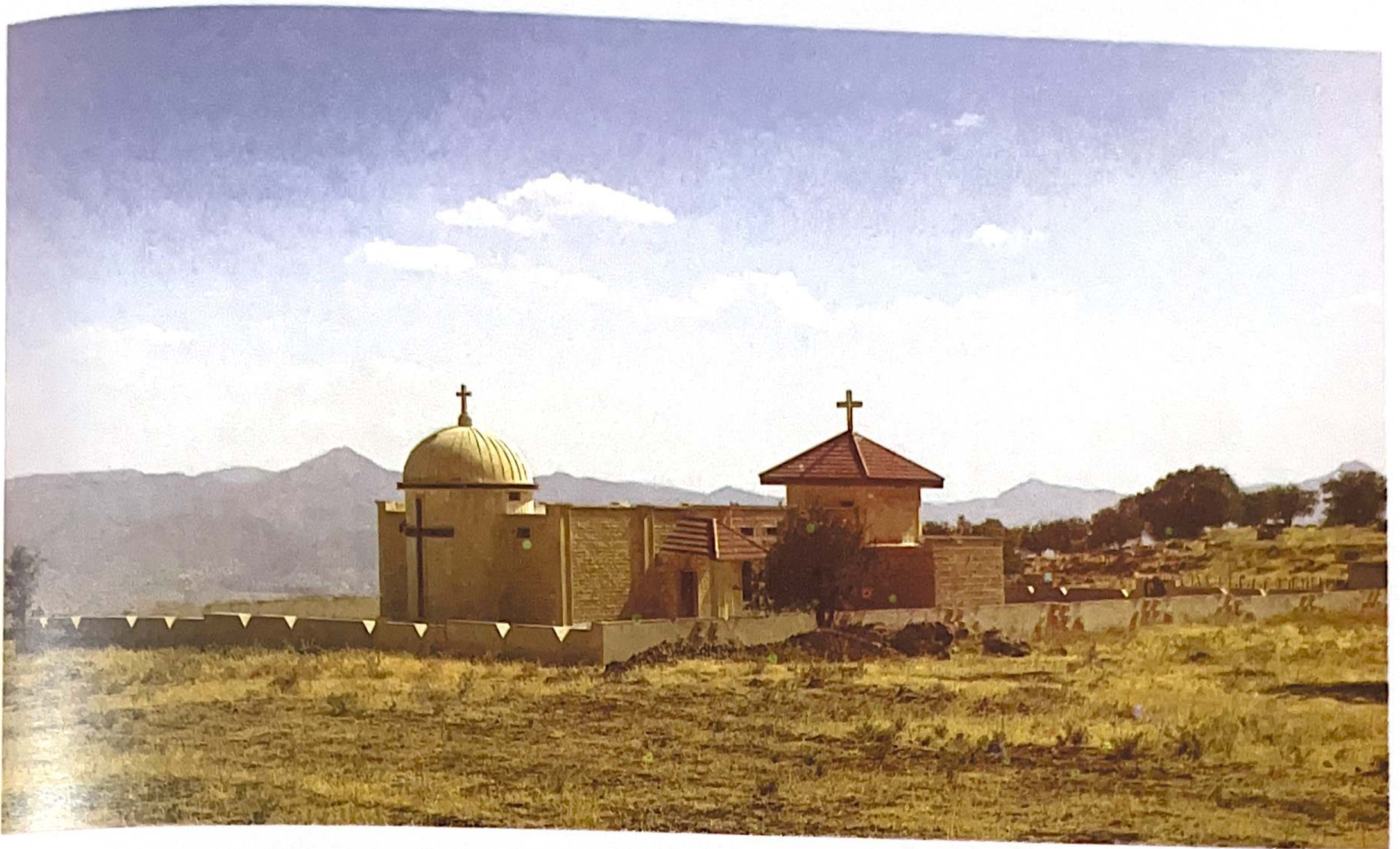
بلغ تعداد اعضاء الكنيسة الآشورية في بداية القرن الواحد والعشرين حوالي 400,000 والكنيسة الآشورية القديمة 50,000 — 70,000 تقريباً. ويتألف الاكليرس الرئيس لكنيسة الام من البطريرك مار دنخا الرابع وثلاثة مطرافوليطيين وثمانية اساقفة والخور اسقف بنيامين، الذي يعمل بصفة رئيس ابرشية ايران. وهناك القليل من الابرشيات غير مشغولة في العراق حالياً، لاسباب سياسية.

وأما الكنيسة القديمة فيقودها البطريرك مار أداي الثاني الذي تعمل تحت رئاسته اربعة مطرافوليطيات واسقف واحد[١١]. ويضاف اليها مجموعات بروتستانتية صغيرة، والتي تتضمن ما مجموعه 10,000 عضو، مقارنة بالكنيسة الكلدانية الكاثوليكية الشقيقة التي لها ما يقرب من 650,000 عضو، واكليروسها الرئيس يتألف من احد عشر رئيس اساقفة ومطارنة.

وتبقى كنيسة المشرق من الناحية العالمية معرضة للخطر في هويتها ووجودها رغم جهود الاصلاح التي قام بها مار شمعون* ومار دنخا. واسباب كل ذلك هي ذات طبيعة سياسية وروحية. واكبر سبب للقلق هو هجرة الشباب التي لا يمكن ايقافها الى الغرب – ان عدد الآشوريين الذي يعيشون اليوم في الولايات المتحدة وكندا واوربا الغربية واستراليا يفوق عدد الذين يعيشون في وطن الكنيسة في بلاد ما بين النهرين

---

* البطريرك مار ايشاي شمعون XXI ، (المدقق)



كنيسة القديس كيوركيس الجديدة في بديال في العراق، جرى تشييدها في سنة ٢٠٠٠، بفضل الدعم المالي من القائد الكردي نيجيرفان بارزاني، والمنظمة الكردية لاعادة الاعمار والمتبرعين الالمان.

وايران. ولن توقف الشكوك السياسية تلك النزعة - على العكس تماماً.

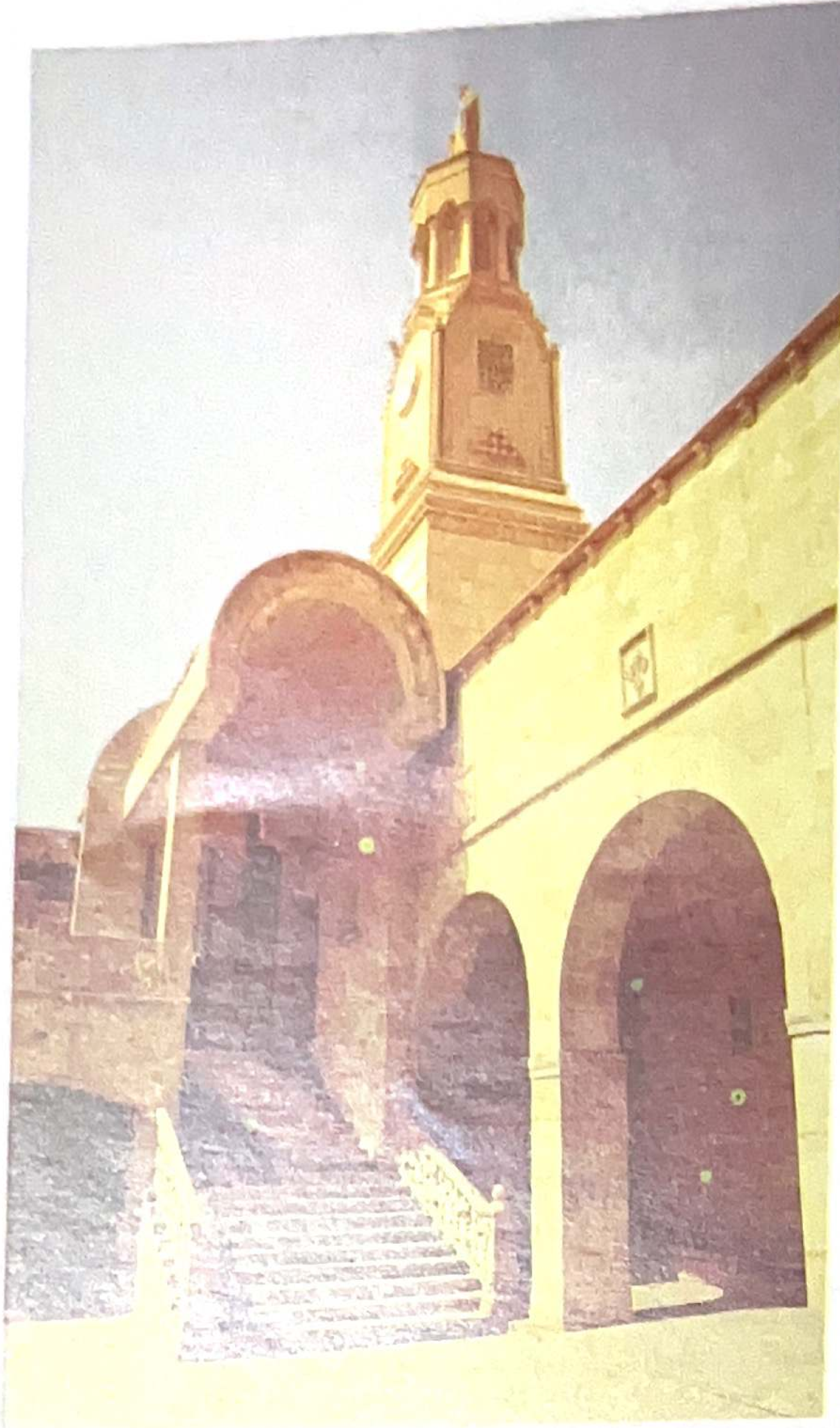
وان عودة البطريرك الى العراق هي الوحيدة التي من شأنها ان تتيح رمزاً قوياً من اجل البقاء في ارضهم. ومن خلال عملية قلع الجذور التدريجية هذه، فان الكنيسة مهددة بفقدان ثقافتها الخاصة. وحتى ان حافظت الجماعات في الشتات على مستوى عال من التماسك الداخلي، فان التكيف مع البيئة الغربية سيؤدي حتماً الى "التأثر بالغرب" من قبل الجماعات المغتربة. ان الوعي بتاريخ واحد يفقد حدته، وان الرابطة الموحّدة للغة السريانية الشرقية تفقد فعاليتها، طالما ان جميع الآشوريين لا يعرفونها.

ان الانشقاق المؤسف الذي حدث في سنة ١٩٦٨ أزاد ضعف الجماعة السريانية الشرقية أكثر، وحدثت انشقاقات اخرى في سدني باستراليا، في سنة ١٩٨٧ وكذلك في مودستو بكاليفورنيا، في سنة ١٩٩٢[١٢].

لكن ما هو الاكثر خطورة على مستقبل الكنيسة هو الوهن الذي يصيب القوة الروحية، والذي يتمثل في انقراض الرهبنة مع بداية القرن العشرين، والذي يعد واحداً من اكثر العلامات المأساوية لها. وكان الربان يونان آخر النساك المتصوفين النساطرة الذي كان يتمتع باعلى تقدير كخطاط، حيث توفي في سنة ١٨٨٦. وتوفي الربان وردا كآخر متوحد قبل الحرب

العالمية الاولى[١٣]. وكان لكنيسة المشرق في يوم ما المئات من الاديرة، لكنها باتت الان لا تملك حتى ديراً واحداً. بيد ان حفنة من الراهبات قد نشطت ثانية في كيرالا وبغداد، مم قد يوحي بتشكيل نواة لنهضة رهبانية. ومن شأن تجديد التوحدية ان يذكي نار داخلية جديدة قد تضع الامور الرهبانية في المقدمة بثبات. واليوم يتوقع الكثير من اعضاء الشتات من الكنيسة ان تتدخل بازدياد في المناقشات السياسية. والبطريرك مار دنخا مدرك تماماً ما يقابل ذلك من شراك: "لا نريد ان نصبح متحفاً لعلم الآثار الديني ولا ان نخدم السياسيين، بل نريد ان نبقى منفتحين لوحي الروح القدس"[١٤]. وكون هذا الهدف واقعي، يتضح من جماعة كيرالا السريانية الشرقية التي تعيش حياة نابضة بالحياة ومزدهرة في بيئة مستقرة.

ولنلقي نظرة عابرة فقط على مناطق منفردة، يعيش في العراق الان حوالي 90,000 من الاشوريين الارثوذكس، اضافة الى 25,000 عضو من الكنيسة القديمة. وفي جمهورية العراق العلمانية (١٩٥٨–٢٠٠٣)، ضمنت المادة ١٩ من دستور سنة ١٩٥٨ مساواة جميع المواطنين امام القانون، بغض النظر عن اللغة والعرق والدين. بيد ان المادة ٤ من دستور سنة ١٩٧٤ رفعت الاسلام الى درجة دين الدولة[١٥]. وفي البرلمان المؤلف من ٢٥٠ عضواً في الثمانينات، تم حجز اربعة مقاعد للمسيحيين من كل الطوائف التي كانت تؤلف نسبة 3.4% (ثلاثة وربع بالمائة) من جميع السكان. وكما هو الحال مع الدول الاسلامية الاخرى، فان المساواة الاسمية للمسيحيين كانت تتعارض مع القيود الصارمة للحياة الاجتماعية وقواعد سلوكها.



...كنيسة الطاهرة الكلدانية في ...صل، في شمال العراق، جدد ...في سنة ١٩٩٦/١٩٩٧. ...تم تلبيس الكنيسة المكرسة ...ول بها بلا دنس، في القرن ...ع واعيد بناؤها في القرن ... عشر. وفي ٧ كانون الاول ٢٠٠٤ هوجمت الكنيسة ودار ...رانية المجاور من قبل ...ابيين والحقت بها عدة قنابل ...راً كبيراً.

وبصورة عامة، بقي الآشوريون والكلدان مخلصين لصدام حسين، ولكن ليس عن حب للدكتاتور بل عن خوف من عنف كردي متجدد ومن الجمهورية الاسلامية الايرانية. كان نظام صدام بالنسبة للمسيحيين أهون الشرين. وكان واضحاً للمسيحيين بان امنهم النسبي لم يكن بسبب تسامح ديني معين، بل لكفاءة جهاز الامن العراقي الذي لم يكن يسمح باية توترات اجتماعية – دينية[١٦].

ومع ذلك عانى الآشوريون والكلدان من الحكم الجمهوري. وبدأ بسنة ١٩٦٣ وقعوا بين جبهات الاكراد الذين كانوا يسعون الى حكم ذاتي موسع، والحكومة المركزية. ونتيجة للتطهير العراقي في كردستان،

دمرت اكثر من ٢٠٠ قرية وكنيسة ودير آشوري، لا سيما خلال ما سمي بحملة الانفال الشرسة في سنة ١٩٨٨، التي فرّ على اثرها عدد لا يحصى من الآشوريين الى المدن الكبيرة مثل الموصل وبغداد.

وبعد ان اوجدت الولايات المتحدة منطقة محمية في المنطقة شمال الدرجة ٣٦ من خط العرض، خارج المنطقة التي يحميها صدام حسين في سنة ١٩٩٢، كان الآشوريون مرة اخرى ضحية العديد من الهجمات الكردية. وتراوحت الجرائم التي تم توثيقها جزئياً في تقارير من منظمة العفو الدولية في سنة ١٩٩٥، ١٩٩٧ و١٩٩٨ بين الاستيلاء العشوائي على الممتلكات، والابتزاز، والاغتصاب، وخطف النساء، والتعذيب، والقتل الى اغتيال محافظ اربيل الآشوري في ١٨ شباط ٢٠٠١.

لكنه في عراق صدام حسين ايضاً اقترفت اعمال فظيعة بوتيرة اكبر مما هو عليه في السابق ضد المسيحيين الذين كانوا يزدادون ارتباطاً بالامريكان. وقد استشهدت احدى الراهبات الآشوريات في منزلها في بغداد عندما تم قتلها بوحشية وقطع راسها في ١٥ آب ٢٠٠٧[١٧]. ومنذ حرب الخليج الاولى ١٩٩٠/١٩٩١، غادر حوالي ٢٠ بالمائة من مسيحيي العراق ــ اي، ما يقارب 200,000 شخص ــ وطنهم[١٨].

لقد بعث سقوط صدام حسين في ربيع سنة ٢٠٠٣ الامل والخوف كليهما بين الآشوريين. انهم يأملون في ان يكونوا قادرين على عيش حياة "اعتيادية" في دولة علمانية وديمقراطية نوعاً ما، دون التمييز المدفوع بدوافع دينية. ان تعيين الامين العام للحركة الديمقراطية الآشورية، يونادم كنا، ممثلاً لكل المسيحيين العراقيين في مجلس الحكم المؤقت في ١٣ تموز ٢٠٠٣، اعطى المزيد من الدفع لتلك التطلعات. لكن هناك علامات مقلقة من ان روح عدم التسامح للتشدد الاسلامي قد اطلقت من قمقمها. ففي الجنوب الشيعي قتل التجار الذين يبيعون المشروبات الكحولية والكاسيتات الموسيقية، واجبرت النساء المسيحيات على ارتداء الحجاب، مثلما تفعل النساء المسلمات، كما يزداد اختطاف الفتيات في الشمال الكردي. وتهدد النساء المسيحيات اللواتي يرفضن ارتداء الحجاب برش مواد كيمياوية محرقة على وجوههن[١٩]. ولا تفيد الاعتراضات الرسمية التي يقدمها الوجهاء المسلمون من ذوي المراتب العليا الا قليلاً، طالما ان متحدثين يعلّمون سراً، ويعلنون بان قتل المسيحيين او ابتزاز الاموال من اقرباء المخطوفين ليس خطيئة.

اضافة الى ذلك، فإن كره السنة المغلوبين تجاه قوات الاحتلال الامريكية والبريطانية، يتسع ليشمل المسيحيين العراقيين. كما ان الجهود التبشيرية العدائية من جانب ما لا يقل عن تسعة كنائس امريكية انجيلية تسعى الى تغيير معتقد المسيحيين العراقيين اضافة الى المسلمين – ليس اقله من خلال توزيع المساعدات وتنظيم ايجاد العمل والوعود بسمات الدخول (فيزا) للهجرة – لا تضعف الكنائس المحلية فحسب بل تجعل الحملة العسكرية الامريكية تبدو في اعين الكثيرين من المسلمين حرب صليبية ذات دوافع دينية.

ان سلسلة الهجمات بالقنابل التي تنفذ ضد الكنائس المسيحية منذ الاول من آب ٢٠٠٤، التي اسفرت عن عشرات القتلى ومئات الجرحى، قد عجلت من هروب المسيحيين

الى المهجر، الى جانب 50,000 مسيحي تقريباً قد غادروا العراق بعد آب من سنة ٢٠٠٤[٢٠]. وقد وصف الاسقف الكلداني لكركوك لويس ساكو الموقف هكذا: "في السابق [تحت حكم صدام حسين] لم نكن احراراً، لكننا كنا في امان. واليوم نحن احرار ولكن لسنا في امان"[٢١]. ورغم التزويرالكبير الذي رافق انتخابات كانون الثاني من سنة ٢٠٠٥، لانتخاب المجلس الوطني العراقي المؤلف من ٢٧٥ عضواً، والتي حرمت حوالي 150,000 مسيحياً من منطقة الموصل من الادلاء باصواتهم، فقد تم انتخاب ستة ممثلين من الجماعة الاشورية الكلدانية. وتمثل الجماعة في الحكومة السيدة باسمة يوسف بطرس من الحركة الديمقراطية الاشورية بصفة وزيرة االعلوم التكنولوجية. ونتائج الاستفتاء على الدستور في ١٥ تشرين الاول ٢٠٠٥ بالنسبة للمسيحيين مبهمة. ففي الوقت الذي يضمن فيه حقوقاً مدنية مهمة والحرية الدينية، إلا انه يشدد على انه لا يجوز لاي قانون مدني ان يعارض الاسلام. وقد يقوض على المدى البعيد التماسك الاقليمي للعراق. واخيراً فأن المسيحيين يعانون من حقيقة انهم يؤلفون ٣ بالمائة فقط من السكان ولا يقودون اية ميليشيا مسلحة مهمة، مثلما يفعل الاكراد او الشيعة.

وفي ايران، وبعد قمع سنوات ١٩٤٧/١٩٤٨، مرّ المسيحيون بفترة آمنة نسبياً تحت ظل حكم محمد رضا شاه (حكم بين ١٩٤١-١٩٧٩)، لكن ذلك توقف فجأة مع استيلاء الامام الخميني على الحكم (١٩٠٠-١٩٨٩) في سنة ١٩٧٩. وقد اعلن الدستور الجديد الاسلام ديناً للدولة لكنه منح التمثيل البرلماني للاقليات المعترف بها: للارمن مقعدان وللآشوريين والكلدان سوية مقعد واحد، وللزرادشتيين واليهود مقعد واحد لكل منهما. ورغم ان مسيحيي ايران، على العكس من اخوتهم في العراق، لم يدعوا الى الخدمة العسكرية في الحرب العراقية الايرانية، فإن اخضاع كل جوانب المجتمع للاسلام الشيعي كان من التطرف بحيث حدث جلاء مهم - اكثر من نصف الـ 250,000 من المسيحيين غادروا ايران بعد سنة ١٩٧٩.

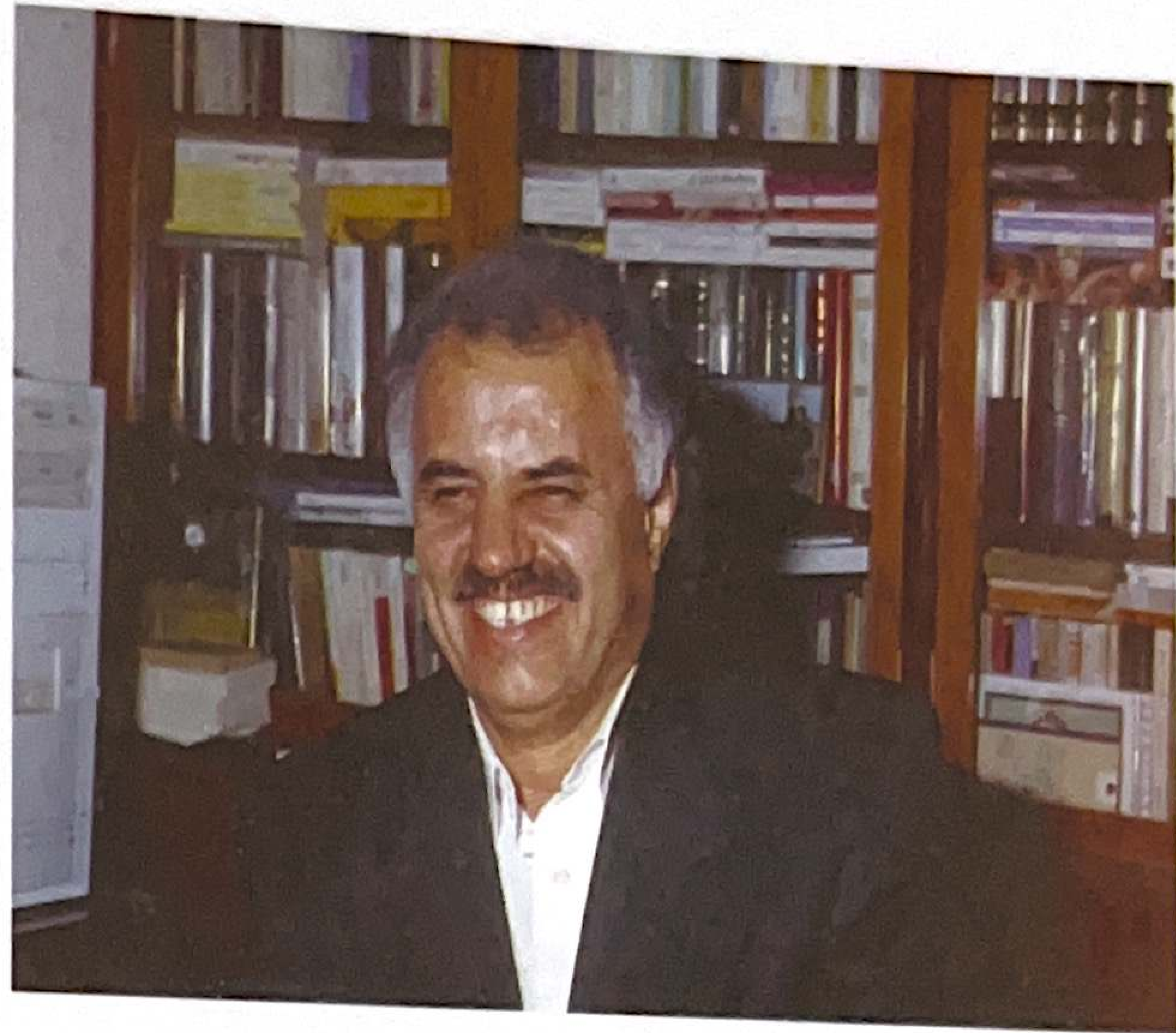
لقد ادى اخضاع ايران الكامل للاسلام الى طرد كل الكهنة والرهبان والراهبات الكاثوليك غير الايرانيين منذ وقت مبكر يرقى الى آب ١٩٧٩، وهكذا تم تقليص الاكليرس اللاتيني خلال شهر من ١٥٠ كاهناً الى ستة كهنة[٢٢]. وفي مجال الثقافة، فإن سيطرة الدولة الدينية كانت عارمة بشكل خاص، وبدءاً بسنة ١٩٨٣ منع التعليم الديني المسيحي في المدارس المسيحية الباقية وجعل مقتصراً على الكنائس، وفي الوقت ذاته فرض تعليم مسيحي قياسي موحد على كل الجماعات المسيحية وهو يمجد الاسلام. كما ان استيراد الكتب المسيحية محضور ايضاً[٢٣].

واليوم يعيش خمسة وعشرون الف آشوري تقريباً، الفان من الآشوريين البروتستانت، والف وخمسمائة عضو آشوري من الارسالية العنصرية (نسبة الى العنصرة) واقل من عشرة آلاف كلداني، حياة منعزلة ومهمشة واغلبهم في طهران والمنطقة المحيطة باورميا. ويضاف الى الآشوريين والكلدان حوالي 80,000 ارمني، رغم وجود حاجز ثقافي يفصل بين الجماعتين. واليوم يؤلف المسيحيون ٢% من السكان، ووفقاً للهجرة المستمرة للشباب

يطالب بكامل تركة الاقارب المتوفين إن بقي الورثة الاخرون مسيحيين. ولا يمكن للمسيحيين الحصول على وظائف سياسية ومراكز الخدمة المدنية. بيد ان القانون المميّز الذي يتم بموجبه دفع ثمن الدم عن مسيحي مقتول تضاهي فقط واحد الى ثلاثة عشر من تلك التي تدفع للمسلم، وبالنسبة للمرأة، فإن النسبة هي فقط واحد الى ستة وعشرين تم الغاؤها من قبل البرلمان الوطني في ١٩ كانون الاول ٢٠٠٣[٢٤].

وفي تركيا، التي كانت في يوم ما ارضا مسيحية صرفة، يمثل المسيحيون ٠,١ بالمائة من السكان، يتمركزون في المدن الكبرى في اسطنبول وازمير. ويعيش اقل من 3000 من المسيحيين السريان الارثوذكس في طور عابدين، واقل من ١٠٠٠ من النساطرة في هكاري. وفي حالة تركيا، فانه من المخزي بشكل خاص انه كانت ماتزال هناك، في هذه الدولة العلمانية رسمياً، اضطهادات ضد المسيحيين بين سنوات ١٩٧٠ و٢٠٠٠. وقد جرى قمع الفلاحين المسيحيين في طورعابدين بوحشية من قبل كل من الجيش التركي وحزب العمال الكردستاني، بحيث هاجر السكان المسيحيون هناك وتقلص عددهم من حوالي 50,000 الى اقل من 3000. ان وجود قومية ذات عقلية محدودة تنفي كل من ليس تركيا ماتزال سائدة، ويتضح ذلك من المرسوم الذي اصدر في ٦ تشرين الاول ١٩٩٧ من قبل حاكم ماردين، والذي يمنع بموجبه تعليم اللغة السريانية في الاديرة منعاً باتاً[٢٥].

وماتزال الدولة التركية حتى اليوم تنكر على نحو ثابت المذابح التي نفذت ضد الارمن والسريان الارثوذكس والآشوريين،



السيد يوناثان بث كوليا (Younathan Bet Kolia) يمثل مصالح الأشوريين والكلدانيين في ايران في البرلمان الوطني الايراني، وقد اعيد انتخابه في شباط ٢٠٠٤ لدورة ثانية في المنصب بـ ٧٥ بالمائة من الاصوات التي تم الادلاء بها. والنتيجة البارزة تعزى الى جهوده الناجحة في الغاء قوانين ثمن الدم التي كانت مجحفة بحق المسيحيين.

المسيحي، يخشى ان تغدو ايران خالية من اي وجود مسيحي. ان انتخاب المتشدد المحافظ محمود احمد نجاد رئيساً جديداً لايران في ١٤ حزيران ٢٠٠٥ قد يضيف المزيد من الضغط على المسيحيين.

ورغم ان الدستور يدعو الى المساواة بين كل المواطنين الايرانيين، فإن المسيحيين، والمسيحية عرضة للعديد من الاجراءات العنصرية. فعلى سبيل المثال، وبحسب الشريعة الاسلامية، فإن التحول من الاسلام الى المسيحية يجب ان ينتهي بعقوبة الموت. لكن تغيير المعتقد هذا، النادر جداً، نادراً ما يؤدي الى اتهامات رسمية، فالافراد المعنيون يقتلون "ببساطة" او يواجهون حوادث سير. كما ان الجهود المبذولة لتعزيز الاهتداء محظورة بشكل صارم، وهكذا فإن الجماعات المسيحية شديدة الشك في المهتدين الممكنين، بسبب الخوف من العملاء المحرضين. ومن الناحية الاخرى، فان المسيحي الذي يعتنق الاسلام يمكن له ان



في الامام كنيسة مريم العذراء القديمة، وخلفها الكنيسة الجديدة، التي بنيت في سنة ١٩٦٥ في مدينة اورميا، في ايران. وكنيسة مريم العذراء واحدة من اقدم الكنائس في المنطقة، ويقال بان تاريخها يعود الى القرن الرابع. والكنيسة التي جعل بناؤها على غرار الاسلوب الروسي الارثوذكسي في سنة ١٨٩٨، دمرت على يد الاكراد في سنة ١٩١٨، حيث اعيد بعد ذلك بناؤها على نطاق اكثر تواضعاً. ويؤدي المدخل اولاً الى سرداب قديم ومن هناك فقط الى صحن الكنيسة.

وهي تتحدث عن حرب "عادية". ان كون هذه القضية حساسة بالنسبة الى الحكومة التركية يتضح من ردود الفعل الفظة تجاه محاولات من دول اجنبية: فعندما اعترفت الجمعية الوطنية الفرنسية (French National Assembly) في سنة ٢٠٠١ بالمذبحة الارمنية علناً، قامت الحكومة التركية بالغاء عقود مع الصناعة الفرنسية بلغت ٦٠٠ مليون دولار امريكي. وعندما اتخذ المجلس الوطني السويسري نفس الخطوة في كانون الاول من سنة ٢٠٠٣ تم الغاء الزيارة التي كان مخططاً لها طويلاً لوزير الخارجية السويسري بشكل مفاجىء.

وفي طور عابدين تحسن الوضع نوعاً ما بعد اعتقال الزعيم الكردي اوجلان في سنة ١٩٩٩ وما لحق ذلك من نبذ للعنف من قبل حزب العمال الكردستاني. اضافة الى ذلك، فإن المفاوضات المقبلة بشأن الدخول الى السوق الاوربية المشتركة قد حفزت الحكومة التركية على دعم الحقوق الدستورية للمسيحيين الاتراك في طورعابدين. ومع ذلك، فإن مسألة المصالحة هذه عانت من النكسة في ١٧ تموز سنة ٢٠٠٤، عندما قتل المختار المسيحي لقرية دايرو دصليبو* – التي تعني بلهجة

* ديرا دصليوا، (المدقق)



الراية الآشورية الرسمية. وترمز الدائرة الذهبية في وسط النجمة الزرقاء اله الشمس القديم شمش، والخطوط المستعرضة الثلاثة التي تنساب الى الخارج من المركز تمثل اهم انهار آشور الثلاثة: الازرق، الفرات، الابيض، الزاب الكبير، والاحمر، نهر دجلة. ويجلس هناك فوق الصليب على العرش اسمى اله في آشور القديمة.

طورويو السريانية "دير الصليب"— لانه رفض التنازل عن الاراضي التي تعود لأمراة مسيحية كانت اختطفت واجبرت على الدخول في الاسلام لخاطفيها[٢٦]. وقد استمر هذا القتل بالستراتيجية التي استخدمت في الثمانينيات والتسعينيات من القرن الماضي، في قتل المسيحيين الذين لا يتنازلون عن ارضهم للمسلمين.

ويتمتع ما يقارب 25,000 آشوريا يعيشون في سوريا، بالحرية والامان غير مألوفين للمسيحيين في الشرق الاوسط. ومنذ استقلال سوريا في سنة ١٩٤٦، بات المسيحيون قادرين على المشاركة في الحياة العامة ضمن اطار قيادة الرئيس حافظ الاسد (حكم ١٩٧١-٢٠٠٠) ونجله وخليفته في الحكم بشار الاسد (في الحكم منذ ٢٠٠٠). ان المناخ التحرري نسبياً يتجلى ليس اقله بحقيقة ان ثلاثة بطريركيات لها كرسيها الخاص بها في دمشق[٢٧]. وفي سوريا، حيث الحكومة مدعومة من قبل الجيش بقوة، ليس هناك دين للدولة، والرئيس فقط هو الذي يجب ان يكون مسلماً.

وسوريا دولة متعددة الاديان فيها ١٨ جماعة دينية كبيرة نوعاً ما ونشطة، والتي يبلغ تعداد المؤمنين في الاحد عشر كنيسة منها مليون شخص تقريباً، وهم يشكلون حوالي ٥ بالمائة من التعداد العام للسكان[٢٨]. ولما كانت سوريا تعد الجميع متساوين امام القانون دون اعتبار للمذاهب، لا يحق لاية اقلية دينية المطالبة بالتمثيل البرلماني الامر الذي يؤدي الى سوء التمثيل. اضافة الى ذلك، فإن المسيحيين الذين يعيشون في المناطق الريفية النائية غالباً ما يعانون من التمييز الذي ادى الى هروب لا يمكن ايقافه الى دمشق والمهجر.

وبعكس آشوريي سوريا، الساكنين في منطقة خابور وفي دمشق، فإن الخمسة آلاف آشوري الذين يعيشون في لبنان اقل اندماجاً بكثير في المجتمع، طالما ان لبنان ليس، بالنسبة الى الكثيرين من هؤلاء الذين هم في الغالب مهاجرون غير شرعيون، إلا محطة في الرحلة الى اوربا الغربية او الولايات المتحدة.

وفيما يتعلق بالشتات الآشوري المبعثر بشكل واسع، فإن اكبر الجماعات موجودة في الولايات المتحدة، التي فيها اكثر من 100,000، وكندا التي يوجد فيها 20,000، واوربا، وفيها 30,000 وارمينيا وجورجيا، التي يوجد فيهما 50,000 عضواً. وللسويد وفرنسا والمانيا، ضمن اوربا، مجاميع صغيرة من الآشوريين[٢٩].

ولا شك ان الكنيسة الشرقية في كيرالا، التي يبلغ تعداد اعضائها 30,000 والمتمركزة حول منطقة تريشور (Trichur)، من اوفر الجماعات النسطورية حظاً، لان اعضاءها، كما هو الحال في الشتات الغربي، ليسوا خاضعين لاية اجراءات تمييزية – في الاقل ليست خطيرة، وفي الوقت ذاته، فهم يعيشون في ارض اجدادهم. ولا يتلقون الرعاية الرعوية فحسب بل الرعاية الاجتماعية على يد ٧٣ كاهناً وشماساً وشماستان وبعض الراهبات بقيادة المطرافوليط النشط جداً الدكتور مار ابرم. كما ان الكنيسة تقوم بإدارة اكليريكة وثلاثة مدارس وحضانتين وميتم ودار للعجزى. ان كنيسة المشرق الاشورية لجنوب الهند تشعر بالفخر على نحو مبرر في كونها سليلة لاحدى اقدم الجماعات المسيحية.



آشوريو اليوم يحتفلون بالسنة الآشورية الجديدة ٦٧٥٢، شمال شرق سوريا، في الوقت الذي يجري فيه زواج جماعي بين ١٦ زوجا وزوجة. ان المظهر الآشوري للمشهد، والمرافقون الذين يظهرون بملابس الحاشية الملكية الآشورية، والكاهنات والمحاربين يعبر عن الرغبة في الارتباط بالوعي القومي الآشوري. وقد صادفت السنة الآشورية الجديدة ٦٧٥٢ في ١ نيسان ٢٠٠٢.

هوية كنيسة المشرق

تواجه كنيسة المشرق مسألتين اساسيتين: ماذا يمكنها ان تعمل من اجل الحفاظ على هوية مجموعة اعضائها؟ وفي الوقت الذي يرتبط فيه الآشوريون الباقون في الشرق الاوسط ببعضهم البعض ويعتمدون على بعضهم البعض بسبب تجاربهم المشتركة في المعاناة غالباً، في بيئتهم الصعبة، والتي تغذي هويتهم، فإن اعضاء الجيلين الثاني والثالث من المغتربين ولدوا في الاغلب في المهجر. وهم يتبنون الثقافة المحلية وغالباً لا يعرفون الاشورية. كيف يمكن للكنيسة ان تعالج تلك الجماعات المتغايرة الخواص؟ وهكذا يتضح السؤال الرئيس الثاني: كيف ينبغي للكنيسة ان تحدد هدفها وسببها في الوجود؟

هكذا يجيب البطريرك على السؤال: "هناك سبيلان امام الكنيسة. إما ان تحدد نفسها وفق المكون العرقي، ألا وهي الهوية الآشورية وتاريخها. عندئذ ستصبح اداة لاهداف دنيوية. او ان تفهم هدفها بانه ديني،وعندئذ يتحدد غرضها في نشر البشرى السارة، سواء اكان ذلك بالسريانية او الانكليزية او اية لغة اخرى. ورغم ان السريانية القديمة عامل مهم في تضامننا، الا انها ليست الا اداة، وليست الديانة بحد ذاتها. نحن نريد ان نتجنب المصير الذي واجهته كنيستنا يوماً ما في الصين. حيث رفضت آنذاك ان تندمج في الثقافة الصينية، مصرة على استخدام اللغة السريانية. لذلك السبب نقوم بترجمة نصوصنا المقدسة الى اللغات المحلية، بحيث يتسنى للمؤمنين قراءة النصوص الليترجية واتباع العادات التقليدية"[٣٠].

وبينما يرفض هذا الجواب مفهوم كنيسة قومية نشطة سياسياً، فإن مار دنخا مدرك بأن عليها ايضاً ان تتحدث الى الناس في حياتهم اليومية: "ان المؤمنين اقل اهتماماً في الحديث اللاهوتي منه في النصيحة والارشاد والمساعدة. وهذه هي مهمة الكاهن، عليه ان يقود المؤمنين الى حياة مسيحية والى الروحانية. ونحن نواجه ايضاً تساؤلات جديدة، مثل الاجهاض، على سبيل المثال، والتلقيح خارج الرحم، الذين نرفضهما كليهما، او زرع الاعضاء، التي نوافق عليها، لان المسيح ايضاً ضحى بجسده لبني البشر.وعلينا عدم ترك مؤمنينا لوحدهم مع هذه الاسئلة الصعبة، بل علينا ان نشترك للقيام بعمل ما، وان نحدد، بعون الروح القدس، مواقفنا. علينا ان نكون منفتحين لاسئلة جديدة ولوحي الروح القدس"[٣١].

ومن خلال النظر الى عمل الكنيسة ليس من حيث الاساس في المجال العرقي – السياسي، بل وفق الاتجاهات الرعوية والثقافية، فإن مار دنخا يخرج على قرون من التقليد التي بموجبها يقوم البطريرك بدور سياسي رائد. إن ميدان الكنيسة ليس سياسياً بل وجودياً. إن تحديد كنيسة المشرق بكنيسة آشورية قومية لن يستثني فقط الجماعة الهندية بل سينكر ايضاً ماضيها المجيد، عندما كان المبشرون السريان الشرقيون يسافرون الى آسيا الوسطى والصين ومنغوليا. كما أن من شأن تركيز ضيق كهذا أن يجعل الحوار المسكوني الذي يدعمه البطريرك اكثر صعوبة. واخيراً، يمكن للمرء ان يتأمل في انه من الممكن للاسلام ان يخسر مكانته كدين للدولة في دول الشرق الاوسط. وعند ذاك سيغدو من الممكن التصور بان تلك الشعوب التي تعرضت للقمع بأسم الاسلام قد تفضل ديناً آخر. وفي هذه الحالة فأن من شأن كنيسة مشرق عالمية، بجذور في المشرق، ان تكون لها فرصة اعظم في النجاح من كنيسة آشورية قومية.

الحوار المسكوني

احد الاهداف الرئيسة لمار دنخا الرابع هو اخراج كنيسة المشرق من عزلتها التاريخية. وقد حقق شيئاً من النجاح المثير عبر مسيرة هذه العملية التي تمثل مراحل في تاريخ الكنيسة. ولمار دنخا، في مساعيه نحو الحوار المسكوني، رائداً مشهوراً في شخص **مار عبديشوع** (+١٣١٨)، آخر لاهوتي بارز للكنيسة. وكان مقتنعاً من ان الخلافات والنزاعات بين الجماعات المسيحية الثلاثة الكبيرة في زمانه كانت مبنية على الكلمات والمصطلحات، وليس في الافكار الدينية التي تعبر عنها[٣٢]. وكان للدومنيكي **ريكولدو دا مونت دي كروسي** (Dominican Riccoldo da Monte di Croce)، الذي عاش في بغداد من سنة ١٢٩٠ الى سنة ١٣٠٠، نفس الرأي: "ولا ينبغي للمرء ان يناقش الفروقات بين الطقوس، بل على المرء ان يسعى الى ارضية مشتركة في الايمان. ليس هناك ايمان نسطوري او يوناني او لاتيني، بل ايمان مسيحي واحد"[٣٣].

وقد حدثت انعطافة اولية في ١١ تشرين الثاني سنة ١٩٩٤ عندما ختم البابا يوحنا بولس الثاني، والبطريرك مار دنخا الرابع بالتوقيع في روما على **الاعلان المسيحاني المشترك** (Common Christological Declaration)، الخطوة الاولى في الحوار اللاهوتي الذي كان بدأ في سنة ١٩٨٤. وتنص اهم اجزاء فيه على ما يلي: "يعتبر



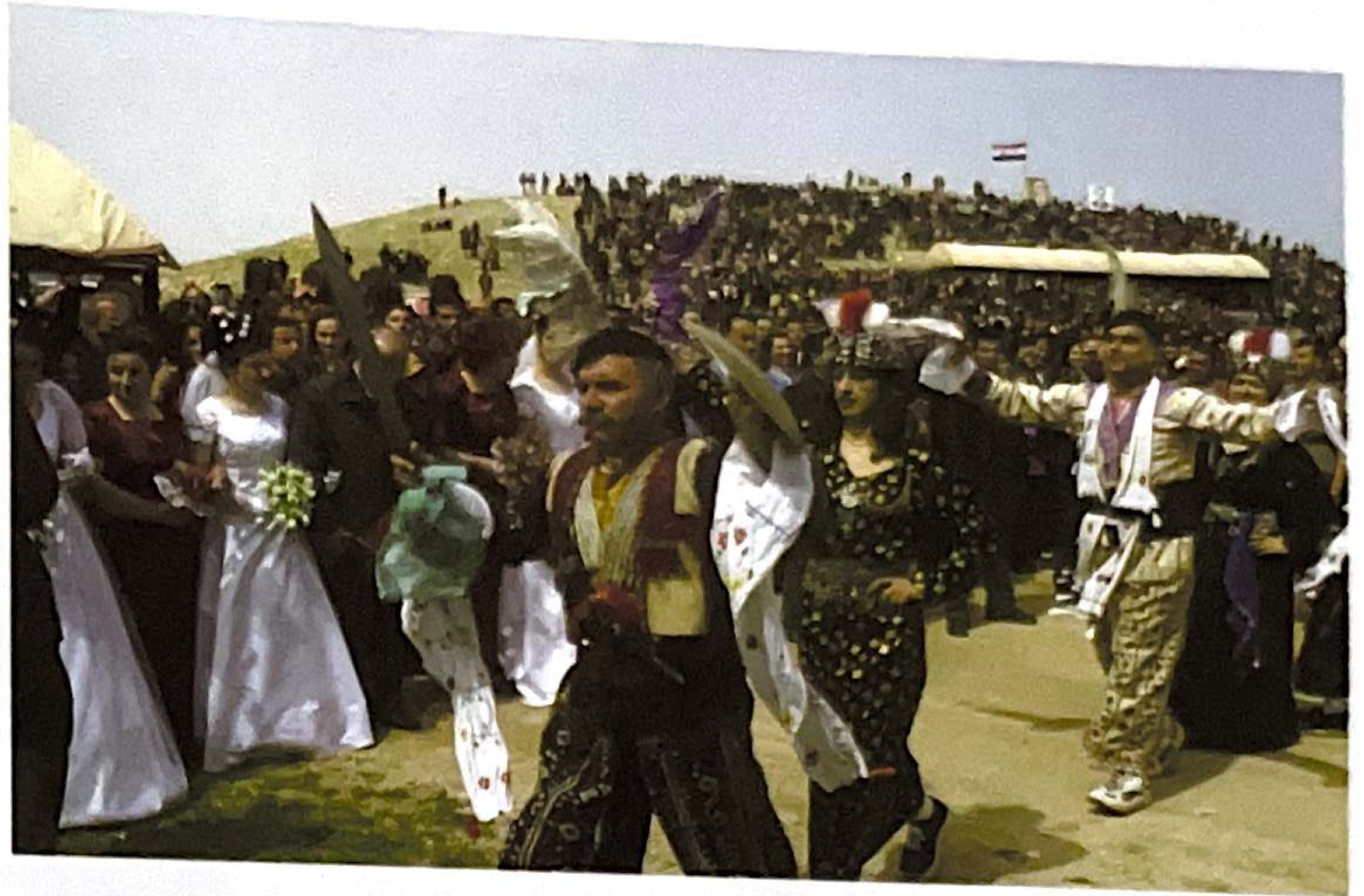
لاصقة ورقية مطلية باصباغ من قبل الفنان المسيحي فرشتا نادر خاني Farashta Nadir Khani من طهران، ايران، ٢٠٠١. ويظهر العمل الفني منديل المسيح والمخلص الواقف. هكذا فإن الفنان لا يكتفي بتوحيد جوانب آلام المسيح والقيامة، بل يبني ايضاً جسراً الى الاصول الاسطورية لكنيسة المشرق في الرها. وحسب تقليد يعود الى القرن السادس، طبع يسوع صورة وجهه على قماش من الحرير واعطاه الى رسول ابجر حنان Hanan، لكي يقدمها الى الملك. مجموعة خاصة.

[الموقعان ادناه] هذا اللقاء خطوة اساسية على الطريق نحو الشراكة الكاملة المراد اعادتها بين كنيستيهما. [...] وكورثة ورعاة للايمان الذي تم تلقيه من الرسل مثلما صاغه آباؤنا المشتركون في قانون الايمان النيقاوي، نؤمن برب واحد يسوع المسيح، ابن الله الوحيد،المولود من الاب قبل كل الدهور، الذي نزل بملىء الزمان من السماء وصار انساناً من اجل خلاصنا. وتجسد كلمة الله، الاقنوم الثاني من الثالوث الاقدس، بقوة الروح القدس باتخاذه من مريم العذراء جسداً حياً بنفس عاقلة، الذي اتحد به اتحاداً سرمدياً منذ اللحظة التي حُبل به. وعليه فإن ربنا يسوع المسيح هو اله حق وانسان حق، كامل في لاهوته وكامل في ناسوته، مساو للاب في الجوهر ومساو لنا في الجوهر في جميع الاشياء إلا الخطيئة. ان لاهوته وناسوته متحدان في شخص واحد، دون خلط او تبدل، ودون انقسام او فصل. [...] [ان] كنيسة المشرق الآشورية تصلي لمريم العذراء كونها: (ام المسيح ربنا ومخلصنا). وعلى ضوء هذا الايمان ذاته يخاطب التقليد الكاثوليكي مريم العذراء على انها (ام الله)، وكذلك على انها (ام المسيح). ونعترف كلانا بشرعية وصحة هذه التعابير لنفس الايمان، كما نحترم كلانا خيار كل كنيسة في حياتها الليترجية وتقواها.[...] إن روح الرب تسمح لنا ان نفهم اليوم بشكل افضل، بان الانقسامات التي حصلت بهذه الطريقة كانت الى حد كبير بسبب سوء الفهم. [...] ويمكن للكنائس، الكاثوليكية الخاصة، والكنائس الآشورية الخاصة الاعتراف احداها بالاخرى ككنيستين شقيقتين. ومن اجل ان تكون كاملة وشاملة، فإن المشاركة تفترض مسبقاً الاجماع بشأن مضمون الايمان والاسرار المقدسة ودستور الكنيسة"[٣٤].

وكان تم التوقيع على بيان مشابه في روما في سنة ١٩٨٤ بين البطريرك السرياني الارثوذكسي والبابا يوحنا بولس الثاني[٣٥].

والاعلان المشترك لسنة ١٩٩٤ يقوم على اساس صيغة المصالحة لسنة ٤٣٣[٣٦]. وازاء هذه الخلفية، يتضح بأن صيغة المصالحة لسنة ٤٣٣، الذي تم التوقيع عليه من قبل كل الاطراف المتورطة في النزاع، كانت ستمكن من تجنب انشقاق الجماعة المسيحية الى ثلاث كنائس منفصلة ومتعادية، لولا بروز عوامل سياسية بحتة في المقدمة. ان الصيغة المسيحانية لسنة ٤٣٣ فشلت ليس لاسباب لاهوتية بل لان بعض الزعماء لم يرغبوا في المصالحة بل في إهانة معارضيهم.

وقد اكد كلا الزعيمين في خطابيهما على اهمية الاعلان الموقع عليه حديثاً. واكد البابا



اداء لرقص في مهرجان السنة الآشورية الجديدة ٦٧٥٢ (الاول من نيسان ٢٠٠٢) والزواج الجماعي في خابور في شمال شرق سوريا.

يوحنا بولس في المقابلات العامة اولاً، ومن ثم في حديثه للبطريرك: "سيحل هذا ويضع حتماً حداً لاكثر من خمسة عشر قرناً من سوء الفهم الذي اصاب ايماننا بالمسيح، الاله الحق والانسان الحق، المولود من مريم العذراء بواسطة الروح القدس. [...] وسوف نعترف بانه من الضرورة القصوى فهم وتبجيل وحفظ وتشجيع الارث الغني لكل كنيسة من كنائسنا، وبان تشعب العادات والشعائر ليس باي شكل من الاشكال عائقاً للوحدة"[٣٧]. فأجاب مار دنخا: "اليوم قد حان الوقت لهدم الجدران التي قد فرقت بيننا وابقتنا منفصلين لخمسة عشر قرناً"[٣٨].

ان الاعلان الكاثوليكي- الآشوري المشترك هذا، مهد الطريق الى حوار اعمق مع الكنيسة الكاثوليكية الشقيقة، الذي ادى في تشرين الثاني من سنة ١٩٩٦ الى المرسوم السنهادوسي المشترك لتعزيز الوحدة. وبهذا الشأن، اكد مار دنخا الرابع ومار رافائيل بيداويد الاول على الهدف التالي: "من اجل خدمة ربنا وشعب الله، نعلن، نحن رئيساً اساقفة فرعي كنيسة المشرق القديمة، بان السعي النبيل من اجل اعادة الوحدة المسيحية يبقى بالنسبة لنا ولكنيستنا، التزاماً مسيحياً عميقاً".

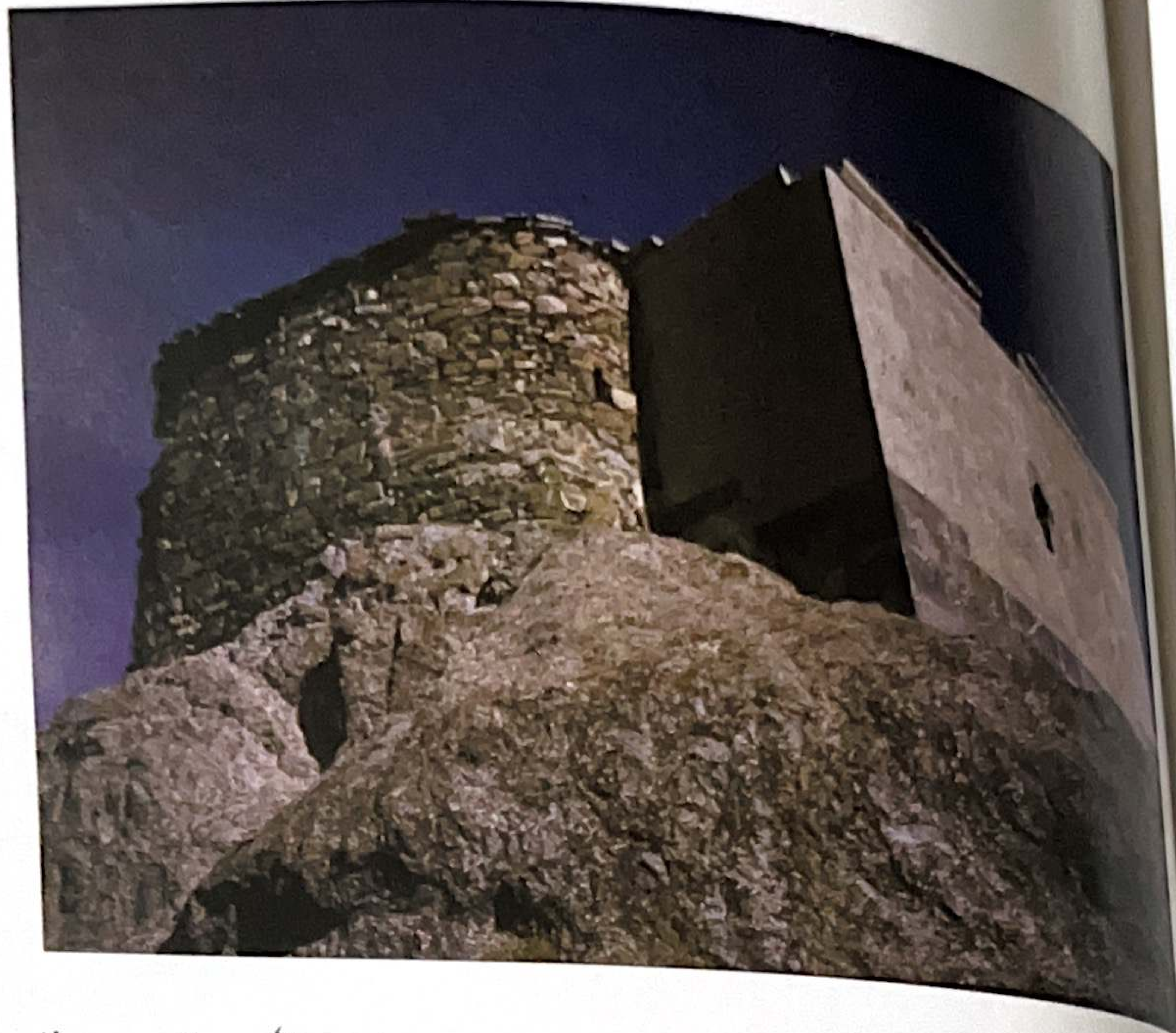
ومن بين خطط العمل، تأسيس مفوضية مشتركة للوحدة، وايجاد تعليم مسيحي مشترك وانشاء اكليريكيات مشتركة وتعزيز اللغة الطقسية الارامية والتعاون الكنسي والثقافي في المجامع في الابرشيات والرعيات. وقد تم التأكيد على هذا الهدف والخطط لتحقيقه في ١٥ آب سنة ١٩٩٧ في سنهادس مشترك بقيادة البطريركين، اشترك فيه ١٧ اسقفاً كاثوليكياً و١٠ اساقفة آشوريين. وفي الوثيقة الختامية للسنهادس تم وضع صيغة دقيقة لاهم العوائق على طريق الوحدة. وقد طالبت الكنيسة الآشورية "الحفاظ على هويتها الكنسية مثلما هو معبر عنه في ارثها الكنسي الطقسي واللاهوتي والروحي والانضباطي [...] والاقرار بحريتها وحكمها الذاتي"، بينما طلبت الكنيسة الكاثوليكية "الحفاظ الكامل على الشركة مع كرسي روما"[٣٩]. ان مطالبة البابا بأحقية السلطة هي التي تجعل المصالحة بين السلطتين امراً صعباً للغاية. بيد ان فكرة شعب آشوري – كلداني، على الساحة السياسية والاجتماعية، تشكل ارضية مشتركة قوية.

وشكلت الاسرار المقدسة الموضوع الكبير الثاني ضمن الحوار الآشوري - الكلداني. وتم تحقيق نتيجة اولية في تشرين الاول من سنة ٢٠٠١، للقبول بالخطوط الارشادية الرعوية في الافخارستيا بين كنيسة المشرق الآشورية والكنيسة الكلدانية. وهذا يسمح للآشوريين بالمشاركة في الافخارستيا في الطقوس الكلدانية في

ي كنيسة المشرق القديمــة، بــان
ل من اجل اعادة الوحدة المسيحية
لنا ولكنيستينا، التزاماً مسيحياً

ن خطط العمل، تأسيس مفوضية
ـدة، وايجـاد تعلـيم مـسيحي
اء اكليريكيات مشتركة وتعزيـز
الارامية والتعاون الكنسي
ي المجـامع فـي الابرشـيات
د تم التأكيد على هـذا الهـدف
نه في ١٥ آب سنة ١٩٩٧ في
ك بقيادة البطريركين، اشـترك
سقفاً كاثوليكيـاً و ١٠ اسـاقفة
الوثيقة الختامية للسنهادس تم
ثيقة لاهم العوائق على طريق
طالبـت الكنيـسة الآشـورية
يتها الكنسية مثلما هو معبـر
كنسي الطقسي واللاهـوتي
ـضباطي [...] والاقـرار
الذاتي"، بينما طلبت الكنيسة
الكامل على الـشركة مـع
ن مطالبـة البابـا باحقيـة
تجعـل المـصالحة بـين
عباً للغاية. بيـد ان فكـرة
كلـداني، علـى الـساحة
ية، تشكل ارضية مشتركة

ار المقدسـة الموضـوع
الحـوار الآشـوري -
نتيجة اولية في تـشرين
٢٠، للقبـول بـالخطوط
ـي الافخارسـتيا بـين
رية والكنيسة الكلدانيـة.
ريين بالمـشاركة فـي
وس الكلدانيـة فـي



كاتدرائية مار شليطا السابقة في قوجانس، في جبال هكاري التركية مجرت منذ سنة ١٩١٥، التي ترمز الى الكنيسة الشرقية. لقد طرد المؤمنون، لكن جدران الكنيسة ماتزال قائمة مثل برج مراقبة مسيحي وحيد. ومن المؤمل، عند قبول تركيا في النهاية في عضوية الاتحاد الاوربي، ان يتحسن الوضع السياسي المحلي الى حد ان يصار الى اعادة بناء الباسيليكا البطريركية السابقة، ويعود الأشوريون الذين يعيشون في سوريا والمهجر في اوربا وامريكا الى ارض اجدادهم. إن عودة احفاد النساطرة الجبليين في هكاري، واعادة بناء كاتدرائية مار شليطا ستكون علامات واضحة على ضمان الحرية الدينية الحقيقية في تركيا.

الحالات الطارئة وبالعكس[٤٠]. ويمكـن هـذا التـشارك اولئـك المـسحيين العـراقيين والآشوريين الذي لـيس لجماعـاتهم كهنـة منهم، من الاشتراك في المـشاركة. وتلـت هذه التوجهات ذاتها في كـانون الاول مـن سنة ٢٠٠٢ البيان المشترك حـول الحيـاة المقدسة بين الكنيسة الكاثوليكيـة وكنيـسة المشرق الذي يضمن الاعتراف اللاهـوتي الكامل من قبل كل كنيسة بالاسرار المقدسة للكنيسة الاخرى، بيد ان المصادقة من قبـل السنهادسين ماتزال معلقة[٤١]. ومـع مجـيء البطريرك الجديد **مار عمانوئيـل الثالـث**، الذي يتعاطف* مع الآشوريين، يتوقـع مـن التعاون ان يتعمق اكثر. وهو يرغب، شـأنه في ذلك شأن مار دنخـا، في الحفاظ علـى الطقس الـسرياني الـشرقي، ويـرفض اي اخضاع للطقـس الـى اللاتينيـة واسـتبدال السريانية بالعربية كلغة طقسية، كمـا يـدعو الدومنيكيون الى ذلك[٤٢].

والموضوع الثالث الذي لم يتم التطـرق اليه يتعلق بتنظيم الكنيسة. وان المرء ليأمـل بألا تؤدي المطالـب الكاثوليكيـة بالـسلطة البابوية العليا والمعصومية بالمـساعي نحـو الوحدة بين الكنيستين الشرقيتين الشقيقتين الى الانهيار.

وفي الوقت الذي تم فيه تحقيـق نتـائج رائعة، مما لم يكن متوقعـاً، فـي الحـوار الكاثوليكي- الآشوري، فإن المناقـشات مـع الكنيسة القبطية الارثوذكسية قد اثبتـت انهـا اكثر صعوبة على نحو مهم لتنتهي بطريـق مسدود في سنة ١٩٩٨. ورغـم ان كنيـسة المشرق قد باتت عضواً في مجلس الكنـائس العالمي منذ سنة ١٩٤٨ إلا انها قد مُنعت من العضوية في مجلس كنائس الشرق الاوسـط من قبل الكنيسة القبطية. وقبل ذلك في سـنة ١٩٨٤ رفضت الكنيسـة القبطيـة الطلـب الآشوري بالعضوية، وبعـد عـشر سـنوات بوشر بمفاوضات مجددة. ورغم ان سينودس الاساقفة السريان الشرقيين الغى في صـيف عام ١٩٩٧ بالاجماع ودون شـرط التحـريم ضـد البطاركـة المونـوفيزيتيين **كيـرلس الاسـكندري** و**سـيرفيروس الانطـاكي** (Serverus of Antioch)، الذي يعـود الـى القرنين الخامس والـسادس[٤٣]، فـإن البابـا القبطي شنودا الثالث (الجالس سـعيدا منـذ ١٩٧١) رفض الطلـب الآشـوري المجـدد بالعضوية في تشرين الثاني سـنة ١٩٩٨[٤٤]. ان الشرط المسبق لشنودا بأن علـى كنيـسة المشرق ان تدين اولاً آباء كنيستها **نسطورس وثيودورس وديودورس**، الذين يحتفل بهـم

* ان مواقفه القومية والكنسية لحد الان اظهرت عكس ذلك. (المدقق)



صليب فضي على مخطوطة سريانية، خابور، شمال شرق سوريا.

في التقويم السرياني الشرقي في ٤ شباط في "تذكار آباء الكنيسة اليونانيين"، غير مقبول تماماً بالنسبة لمار دنخا[٤٥]. لقد رفضت كنيسة المشرق حالة المراقب التي منحت لها كبديل للعضوية على انه غير مرض. انه لامر خارج نطاق الفهم ان يقف شجار قديم لما يقارب ١٥٧٠ سنة حتى الان في طريق المصالحة الكنسية[٤٦]. ولحسن الحظ، فإن موقف الاقباط الفاتر لم يمنع الكنائس المايافيزيتية من اقامة علاقات جيدة وتعاونية مع كنيسة المشرق.

مغزى كنيسة المشرق ولاهوتها

ان كنيسة المشرق هي شهيدة التاريخ، ولم يسبق لاية كنيسة اخرى ان قدمت هذا العدد من التضحيات من خلال ثبات اعضائها **المعترفين** الذين واجهوا القمع والاضطهاد بقوة ايمانهم. وهي ايضاً كنيسة المعترفين، بقدر انتشار مبشريها في ارجاء العالم المعروف انذاك في بين النهرين - الى الهند واسيا الوسطى، والتبت، والصين، ومن ثم الى المنغوليين. ويمكن لهذه الكنيسة ان تفتخر بحق بماضيها، وان المرء ليأمل بانها تستطيع ان تخلق من هذا الوعي القوة الداخلية لتحمل محن اخرى.

وهي الان تواجه مهمتين كبيرتين:

الاولى: عليها ان تجمع في وطنها بين النهرين - اي العراق - حضوراً كافياً بحيث يبقى الآشوريون العراقيون في ارضهم وعدم اختيار المنفى. إن اوثق تعاون ممكن مع الكنيسة الكاثوليكية الاقوى عدداً، امر لا يمكن الاستغناء عنه، الى جانب الزيادة الكبيرة والسريعة في الاكليروس.

وتكمن المهمة الثانية: في الاهتمام بالشتات، الجزء النامي من الكنيسة نمواً سريعاً، بحيث يمكن للناس ان يحافظوا على هويتهم الخاصة.

ان الطريق الذي تبناه البطريرك مار دنخا الرابع في تجديد ابعاد الرهبانية والروحانية، والرعاية الرعوية، والعمل الانساني والثقافي هو السبيل الوحيد الصحيح. وللكنيسة ما يكفي من السمات الفريدة من اجل رسم (ملامح) صورتها، ومن بين ذلك:

اولاً، ليترجيتها الاصلية التي تكاد تكون مهجورة،

ثانياً، استخدام اللغة الطقسية القريبة جداً من لغة يسوع.

ثالثاً، تصوفية غنية.

رابعاً، قلة العزوبية الكهنوتية المثيرة للمصاعب دائماً.

خامساً، غياب الفكرة الخانقة للخطيئة الاصلية، والتي تؤدي الى:

سادساً، التأكيد على الارادة الحرة.

ويلخصها البطريرك هكذا: "من السمات المهمة لايماننا التأكيد على الارادة الحرة. ومثلما مات يسوع الانسان على الصليب بارادته، كذلك للبشر الخيار الحر بين الطرق الواسعة للجحيم والممر الضيق الى الفردوس. نحن نرفض مفاهيم الخطيئة الاصلية والقدر. الجميع مدعوون، لكن على كل واحد ان يقوم بخياراته في الحياة، في الرحلة من الميلاد الى الموت، ولا يمكن للكنيسة أن تفعل شيئاً سوى قيادة الناس ومساعدتهم"[٤٧].

وكنيسة المشرق كنيسة آسيوية حافظت على جذورها الشرقية، وهي إذ ذاك تمتلك الامكانات في جذب اولئك الناس في آسيا الذين لا تروق لهم كثيراً الكنائس الكاثوليكية والبروتستانتينية. ويمكن للمرء ان يتخيل بان قبضة الاسلام التي تسيطر على شريعة العديد من الدول سوف تُفك. ومن شأن ذلك ان يعيد للناس حرية اختيار افضل دين يناسب افكارهم. وإذ ذاك ستكون كنيسة المشرق المستقلة سياسياً والواعية بذاتها، وبحضور قوي في ارض بين النهرين، ستكون في موقف يمكنها من اعطاء جواب لمن يسعى الى ذلك.

الملحقات

الكنائس الشرقية الاكثر اهمية

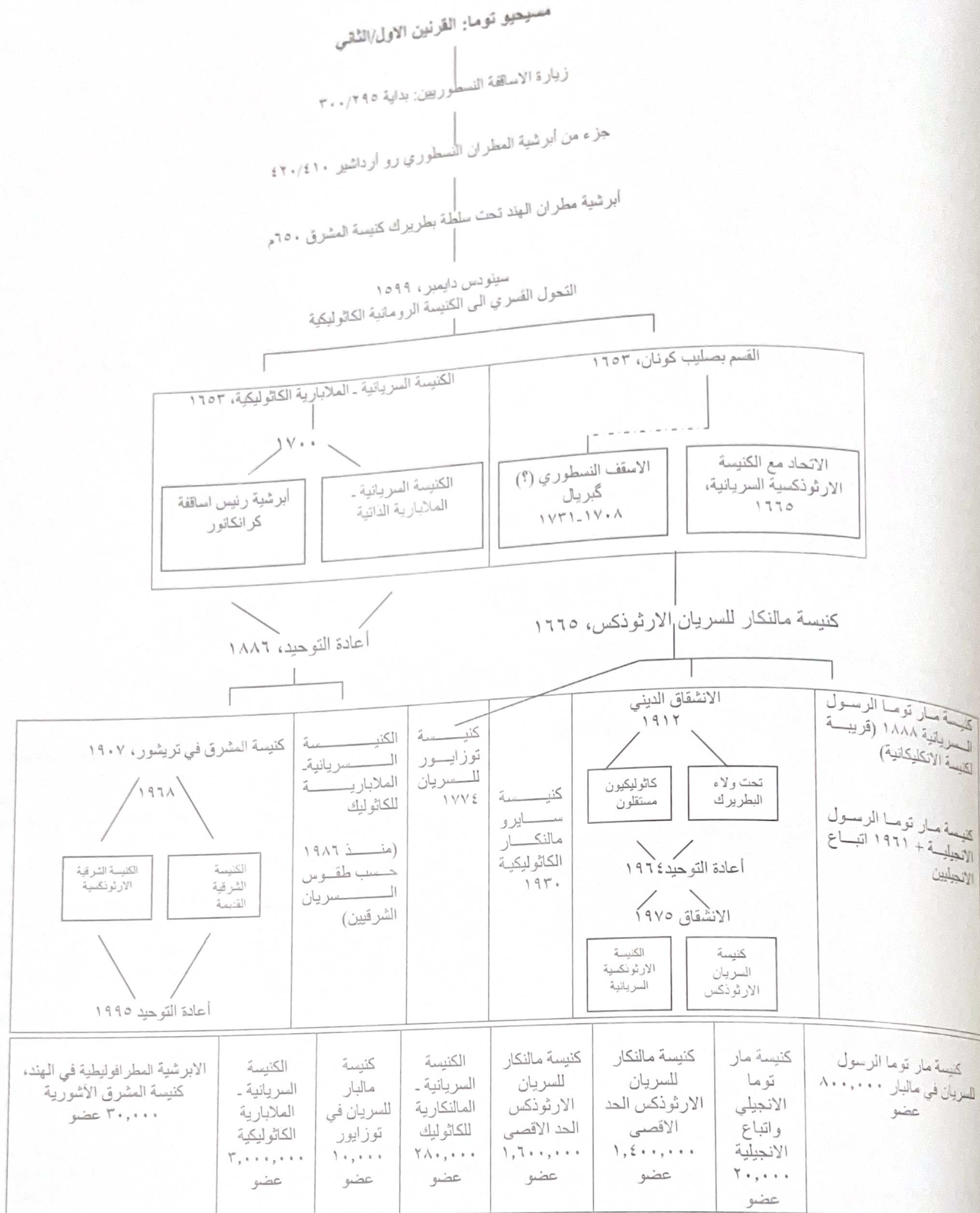
كنيسة المبراطورية الرومانية حتى (٤٣١-٤٣٣)

كنيسة الامبراطورية البيزنطية	الدايوفيزية	مسيحيو مار توما الرسول	المايوفيزية	
			كنيسة السريان الارثوذكس (اليعقوبية)	الكنيسة القبطية الارثوذكسية
	كنيسة المشرق الآشورية (النساطرة)			
الكنيسة المارونية، القرن السابع		أبرشية المطران النسطوري رو أرداشير ٤١٠/٤٢٠	كنيسة السريان الكاثوليك، ١٧٨١	الكنيسة القبطية الكاثوليكية ١٧٤١، ١٨٩٥
البطريركية العالمية الارثوذكسية في القسطنطينية ١٠٥٤/١٢٠٤ اضافة الى ١٥ كنيسة ارثوذكسية ذات رئاسة مستقلة	الكنيسة الكاثوليكية الكلدانية، ١٥٥٣	أبرشية المطران النسطوري في الهند ٦٥٠		الكنيسة الاثيوبية الارثوذكسية
				الكنيسة الاثيوبية الكاثوليكية ١٩٣٠
الكنائس الكاثوليكية المشرقية	الكنائس البروتستانية الآشورية للقرنين التاسع عشر والعشرين	انظر مرجع الكنائس الشرقية في الهند		الكنيسة الرسولية الارمنية
				الكنيسة الارمنية الكاثوليكة ١٧٤٠
الكنيسة الرومانية الكاثوليكية (١٠٥٤-١٢٠٤)	الكنيسة الشرقية القديمة ١٩٦٨			
الكنائس البروتستانية منذ القرن السادس عشر				

المصدر:

Welt und Umwelt der Bibel. Sonderheft Seidenstrasse, 2002. p. 89. Winkler Dietmar W. and Augustin, Klaus: Die Ostkirchen, 1997.

الكنائس الشرقية في الهند



كنيسة مار توما الرسول للسريان في مالبار ٨٠٠,٠٠٠ عضو	كنيسة مار توما الانجيلي واتباع الانجيلية ٢٠,٠٠٠ عضو	كنيسة مالنكار للسريان الارثوذكس الحد الاقصى ١,٤٠٠,٠٠٠ عضو	كنيسة مالنكار للسريان الارثوذكس الحد الاقصى ١,٦٠٠,٠٠٠ عضو	الكنيسة السريانية ـ المالنكارية للكاثوليك ٢٨٠,٠٠٠ عضو	كنيسة مالبار للسريان في توزايور ١٠,٠٠٠ عضو	الكنيسة السريانية ـ الملابارية الكاثوليكية ٣,٠٠٠,٠٠٠ عضو	الابرشية المطرافوليطية في الهند، كنيسة المشرق الآشورية ٣٠,٠٠٠ عضو

المصدر: Cannuyer, Christian: Vingt siècles de Christianisme en Inde méridionale, 2004. p. 11

بطاركة كنيسة المشرق والكنيسة الكلدانية الكاثوليكية

لتقليد الكنسي [١]
لرسول توما (+٧٣)
داي (٣٧- ٦٥)
كاي (٦٦- ٨٧)
ـاري (٨٨- ١٢٠)
بريس (١٢١-١٣٧)
براهيم الاول (١٥٩- ١٧١)
ـاقو الاول (١٧٢- ١٩٠)
خاد أودي (٢٠٢- ٢٢٠) [٢]
مخلوبا (٢٢٠- ٢٤٠)
ماغر (٢٤٠- ٢٨٥/٢٩١)

سلسلة ساليق- قطيسفون
ابـــا بـــر- أكـــاي (٢٨٥/٢٩١- ٣٢٧) [٣]
ـمعون الاول (٣٢٩- ٣٤١)
ـماه دوست (٣٤١- ٣٤٢)
ـاربعشمين (٣٤٣- ٣٤٦)
ماغر (٣٤٦- ٣٦٣ أو ٣٩٩)
ومارصا (٣٦٣- ٣٧١)
يوما (٣٧٧- ٣٩٩) [٤]
سحاق الاول (٣٩٩- ٤١٠)
خاي (٤١٠- ٤١٤)
ـهبالاها الاول (٤١٥- ٤٢٠)
ـعنّا (٤٢٠)
ـارابوخت (٤٢١)
ـاديشو الاول (٤٢١- ٤٥٦)
ـابوي (٤٥٧- ٤٨٤)

آقاق (٤٨٥- ٤٩٦)
باباي (٤٩٧- ٥٠٢)
شيلا (٥٠٣- ٥٢٣)
بطاركة الانشقاق (٥٢٤- ٥٣٩)
نرسي (٥٢٤- ٥٣٥)
إيليشاع (٥٢٤- ٥٣٩)
بولص الاول (٥٣٩)
آبا الاول العظيم (٥٤٠- ٥٥٢)
يوسف (٥٥٢- ٥٦٧)
حزقيال (٥٧٠- ٥٨٢)
ايشوعياب الاول (٥٨٢- ٥٩٦)
سبريشوع الاول (٥٩٦- ٦٠٤)
غريغور الاول (٦٠٥- ٦٠٨)
شاغر (٦٠٨- ٦٢٨)
ايشوعياب الثاني (٦٢٨- ٦٤٦)
مار إمي (٦٤٦- ٦٥٠)
ايشوعياب الثالث (٦٥٠- ٦٦٠)
كيوركيس الاول (٦٦١- ٦٨٠)
يوخنا الاول بارمارتا (٦٨٠- ٦٨٣)
خنانيشوع الاول (٦٨٥- ٧٠٠)
البطريـرك المعـارض يوخنـا المنبـوذ (٦٩٢- ٦٩٣)
شاغر (٧٠٠- ٧١٤)
صليبا زخا (٧١٤- ٧٢٨)
بثيون (٧٣١- ٧٤٠)
آبا الثاني (٧٤١- ٧٥١)
سورين (٧٥٤)
ياقو الثاني (٧٥٤- ٧٧٥)
خنانيشوع الثاني (٧٧٥- ٧٨٠)

بغداد
طيماثاوس الاول (٧٨٠- ٨٢٣)
ايشو برنون (٨٢٣- ٨٢٨)
كيوركيس الثاني (٨٢٨- ٨٣١)
سبريشوع الثاني (٨٣١- ٨٣٥)
ابراهيم الثاني (٨٣٧- ٨٥٠)
ثيودوسيوس الاول (٨٥٣- ٨٥٨)
سركيس الاول (٨٦٠- ٨٧٢)
اسرائيل الكشكري (غير مكرّس، ٨٧٧)
إيوانس الاول (٨٧٧- ٨٨٤)
يوخنا الثاني (٨٨٤- ٨٩٢)
يوخنا الثالث (٨٩٣- ٨٩٩)
يوخنا الرابع (٩٠٠- ٩٠٥)
ابراهيم الثالث (٩٠٦- ٩٣٧)
عمانوئيل الاول (٩٣٧-٩٦٠)
اسرائيل الاول (٩٦١)
عبديشوع الاول (٩٦٣- ٩٨٦)
ماري الثاني (٩٨٧- ٩٩٩)
يوخنا الخامس (١٠٠٠- ١٠١١)
يوخنا السادس (١٠١٢- ١٠١٦)
ايشوعياب الرابع (١٠٢٠- ١٠٢٥)
إيليا الاول (١٠٢٨- ١٠٤٩)
يوخنا السابع (١٠٤٩- ١٠٥٧)
سبريشوع الثالث (١٠٦٤- ١٠٧٢)
عبديشوع الثاني (١٠٧٤- ١٠٩٠)
مكيخا الاول (١٠٩٢- ١١١٠)
إيليا الثاني (١١١١- ١١٣٤)
برصوما الاول (١١٣٤- ١١٣٦)
عبديشوع الثالث (١١٣٨- ١١٤٨)

ايشوعياب الخامس (١١٤٩- ١١٧٥)
إيليا الثالث (١١٧٦- ١١٩٠)
يهبالاها الثاني (١١٩٠- ١٢٢٢)
سبريشوع الرابع (١٢٢٢- ١٢٢٤)
سبريشوع الخامس (١٢٢٦- ١٢٥٦)
مكيخا الثاني (١٢٥٧- ١٢٦٥)
دنخا الاول (١٢٦٥- ١٢٨١)

مراغا
يهبالاها الثالث (١٢٨١- ١٣١٧)

اربيل
طيماثاوس الثاني (١٣١٨- ١٣٣٢)

كرمليس
دنخا الثاني (١٣٣٢- ١٣٦٤)

الموصل
شمعون الثاني ؟
شمعون الثالث؟
إيليا الرابع (+١٤٣٧)

الجزيرة
شمعون الرابع (١٤٣٧- ١٤٩٧)
شمعون الخامس (١٤٩٧- ١٥٠١)
إيليا الخامس (١٥٠٢- ١٥٠٣)

دير الربان هرمز
شمعون السادس (١٥٠٤- ١٥٣٨)
شمعون السابع (١٥٣٨- ١٥٥١) [٥]

- في عام ١٥٥٣ حصل انشقاق في كنيسة المشرق بسبب يوخنا سولاقا والذي عين نفسه بطريركاً لكنيسة الكلدان الكاثوليك. في عام ١٦٨١ تأسست البطريركية الكاثوليكية في أمد (دياربكر). وفي عام ١٩٦٨ انفصلت كنيسة المشرق الآشورية القديمة.

خط ساليق - قطيسفون
شمعون الثامن (١٥٥١- ١٥٥٨)
إيليا السادس (١٥٥٨- ١٥٩١)
إيليا السابع***(١٥٩١- ١٦١٧)
إيليا الثامن***(١٦١٧- ١٦٦٠)
إيليا التاسع***(١٦٦٠- ١٧٠٠)
إيليا العاشر (١٧٠٠- ١٧٢٢)
إيليا الحادي عشر***(١٧٢٢- ١٧٧٨)
إيليا الثاني عشر***(١٧٧٨- ١٨٠٤)
يوخنا الثامن* هرمز (١٨٣٠- ١٨٣٨)
الذي كان سابقاً رئيس اساقفة الموصل (١٧٧٨- ١٨٣٠)
نيقولا الاول* (١٨٤٠- ١٨٤٧)
يوسف السادس* (١٨٤٨- ١٨٧٨)
إيليا الثالث عشر * (١٨٧٩- ١٨٩٤)
عبديشوع الخامس* (١٨٩٥- ١٨٩٩)
يوسف عمانوئيل الثاني* (١٩٠٠- ١٩٤٧)
يوسف السابع* (١٩٤٧- ١٩٥٨)
بولص الثاني* (١٩٥٨- ١٩٨٩)
رافائيل الاول* (١٩٨٩- ٢٠٠٣)
عمانوئيل الثالث* (منذ ٢٠٠٣)

خط يوخنا سولاقا [٦]
يوخنا الثامن سولاقا* (١٥٥٣- ١٥٥٥)
عبديشوع الرابع* (١٥٥٥- ١٥٧٠)
ابراهيم* (١٥٧٠- ١٥٧٧)
يهبالاها الرابع** (١٥٧٧- ١٥٨٠)
شمعون التاسع* (١٥٨٠- ١٦٠٠)
شمعون العاشر** (١٦٠٠- ١٦٣٨)
شمعون الحادي عشر** (١٦٣٨- ١٦٥٦)
شمعون الثاني عشر** (١٦٥٦- ١٦٦٢)
شمعون الثالث عشر ** (١٦٦٢- ١٧٠٠)
الذي انهى الاتحاد مع روما (في ١٦٧٢)
شمعون الرابع عشر (١٧٠٠- ١٧٤٠)
شمعون الخامس عشر (١٧٤٠- ١٧٨٠)
شمعون السادس عشر (١٧٨٠- ١٨٢٠)
شمعون السابع عشر (١٨٢٠- ١٨٦١)
شمعون الثامن عشر (١٨٦١- ١٩٠٣)
شمعون التاسع عشر (١٩٠٣- ١٩١٨)
شمعون العشرون (١٩١٨- ١٩٢٠)
شمعون الحادي والعشرون (١٩٢٠- ١٩٧٥)
الذي لقب نفسه بشمعون الثالث والعشرون في بداية عام ١٩٠٤
دنخا الرابع (منذ ١٩٧٦)

خط آمد (ديار بكر)
يوسف الاول* (١٦٨١- ١٦٩٦)
يوسف الثاني* (١٦٩٦- ١٧١٢)
يوسف الثالث* (١٧١٤- ١٧٥٧)
يوسف الرابع* (١٧٥٩- ١٧٨١)
يوسف الخامس** (١٧٨١- ١٨٢٨)

الكنيسة الشرقية القديمة
توما درمو (١٩٦٨- ١٩٦٩)
أدي الثاني (منذ ١٩٦٩)

* معترف بهم من قبل روما ** لم يستلموا طيلسان البابا او الاسقف *** انشغلوا في التفاوض مع روما بدون نتائج

ملاحظات حول قائمة البطاركة

١. البطاركة التسع الاوائل درجوا من قبل كلتا الكنيستين كنيسة المشرق الآشورية والكنيسة الكلدانية. لا يمكن تأكيد صحة المعلومات تاريخياً: لقد ادرجنا التواريخ طبقاً لهاتين القائمتين.

٢. طبقا لتاريخ اربيل: فان اخاداوي وشخلوبا لم يكونا بطاركة بل مطارنة حذياب. شخلوبا (٢٥٨- ٢٧٣ كما جاء ذكره في التاريخ) ذكر بانه قد رسم البابا بار- أكاي ككاهن وأخاداوي (٢٧٣- ٢٩١ كما جاء ذكره في التاريخ) كأسقف. Chronique de l'Église d'Adiabène sous les Parthes et les Sassanides par Msiha – Zkha. Sixth century, 1907. p. 111.

٣. بابا بار – أكاي هو اول اسقف أكدت صحة المعلومات عنه تاريخياً في ساليق قطيسفون في ٣١٥ ادعى بانه الاول في ابرشيته.

٤. الاساقفة: تومارصا (٣٦٣- ٣٧١) وقيوما (٣٧٧- ٣٩٩) قد تجادلوا فيما بينهم. انظر فصل الخامس الهامش ٤٣.

٥. انظر صفحة ٢٨٥، الهامش ٢ من الفصل الحادي عشر.

٦. ان اعتبار بطريركية كنيسة المشرق الاشورية في الجبال الهكارية كمتمم لخط سولاقا. مسألة غير علمية يشوبها الكثير من الغموض واللغط. انظر هامش ص٢٩٠. (المدقق)

سلالة حكم الساسانيين (٢٢٤ – ٦٥١)

اردشير الاول (٢٢٤- ٢٤٠/٢٤١)
شابور الاول (٢٤٠/٢٤١- ٢٧٢)
هرمزد الاول (٢٧٢- ٢٧٣)
بهرام الاول (٢٧٣- ٢٧٦)
بهرام الثاني (٢٧٦- ٢٩٣)
بهرام الثالث (٢٩٣)
نرساي (٢٩٣- ٣٠٢)
هرمزد الثاني (٣٠٢- ٣٠٩)
شابور الثاني (٣٠٩- ٣٧٩)
اردشير الثاني (٣٧٩- ٣٨٣)
شابور الثالث (٣٨٣- ٣٨٨)
بهرام الرابع (٣٨٨- ٣٩٩)
يزدجرد الاول (٣٩٩- ٤٢٠)
بهرام الخامس (٤٢١- ٤٣٨)
يزدجرد الثاني (٤٣٨- ٤٥٧)
هرمزد الثالث (٤٥٧- ٤٥٩)
فيروز الاول (٤٥٩- ٤٨٤)
بالاش (٤٨٤- ٤٨٨)
قوباد الاول (٤٨٨- ٥٣١)
جمشيد (المغتصب، ٤٩٦- ٤٩٨)
خسرو الاول (٥٣١- ٥٧٩)
هرمزد الرابع (٥٧٩- ٥٩٠)
بهرام جوبين (المغتصب، ٥٩٠- ٥٩١)
خسرو الثاني (٥٩٠- ٦٢٨)
فترة التغير السريع في الحكام (٦٢٨- ٦٣٢)، ومن بينهم:
قوباد الثاني (٦٢٨)
اردشير الثالث (٦٢٨- ٦٢٩)
بوران (٦٣٠- ٦٣١)
هرمزد الخامس (٦٣١- ٦٣٢)
يزدجرد الثالث (٦٣٢- ٦٥١)
كان يعيش في المنفى في الصين:
فيروز الثاني (+٦٧٩)
فيروز الثالث (+٧٠٧)

سلالة حكم العرب والمسلمين

- الخلفاء الراشدين الاربعة (٦٣٢- ٦٦١):
أبو بكر (٦٣٢- ٦٣٤)
عمر (٦٣٤- ٦٤٤)
عثمان (٦٤٤- ٦٥٦)
علي (٦٥٦- ٦٦١)
- الامويين (٦٦١- ٧٥٠)
معاوية الاول (٦٦١- ٦٨٠)
يزيد الاول (٦٨٠- ٦٨٣)
معاوية الثاني (٦٨٣- ٦٨٤)
مروان الاول (٦٨٤- ٦٨٥)
عبد الملك (٦٨٥- ٧٠٥)
وليد الاول (٧٠٥- ٧١٥)
سليمان (٧١٥- ٧١٧)
عمر الثاني (٧١٧- ٧٢٠)
يزيد الثاني (٧٢٠- ٧٢٤)
هشام (٧٢٤- ٧٤٣)
وليد الثاني (٧٤٣- ٧٤٤)
يزيد الثالث (٧٤٤)
ابراهيم (٧٤٤)
مروان الثاني (٧٤٤- ٧٥٠)
- العباسيين (٧٥٠- ١٢٥٨)
أبو العباس (٧٥٠- ٧٥٤)
المنصور (٧٥٤- ٧٧٥)
المهدي (٧٧٥- ٧٨٥)
الهادي (٧٨٥- ٧٨٦)
هارون الرشيد (٧٨٦- ٨٠٩)
الامين (٨٠٩- ٨١٣)
المأمون (٨١٣- ٨٣٣)
المعتصم (٨٣٣- ٨٤٢)
الواثق (٨٤٢- ٨٤٦)
المتوكل (٨٤٧- ٨٦١)

بعد عام ٨٦١ اصبحت الخلافة اقل اهمية: مات آخر الخلفاء العباسيين المستعصم في عام ١٢٥٨. في بلاد النهرين سارت القوى السياسية نحو سلالات حكام اجانب كالبويهيين (٩٤٥- ١٠٥٥)، السلجوقيين (١٠٥٥- ١١٩٤)، الزنادقة (١١٢٧- ١٢٢٢): وقد حكمت السلالات المحلية في ايران.

عائلة طغرل – خان في كيرات

(سنوات الحكم قد سجلت حيثما وجدت)

مرغوس (+ منتصف القرن الثاني عشر)

سايراكوس (+١١٧٥) | كور - خان (عنوان)

طغرل (١١٧٥- ١٢٠٣/١٢٠٤) | جاكا كامبوس

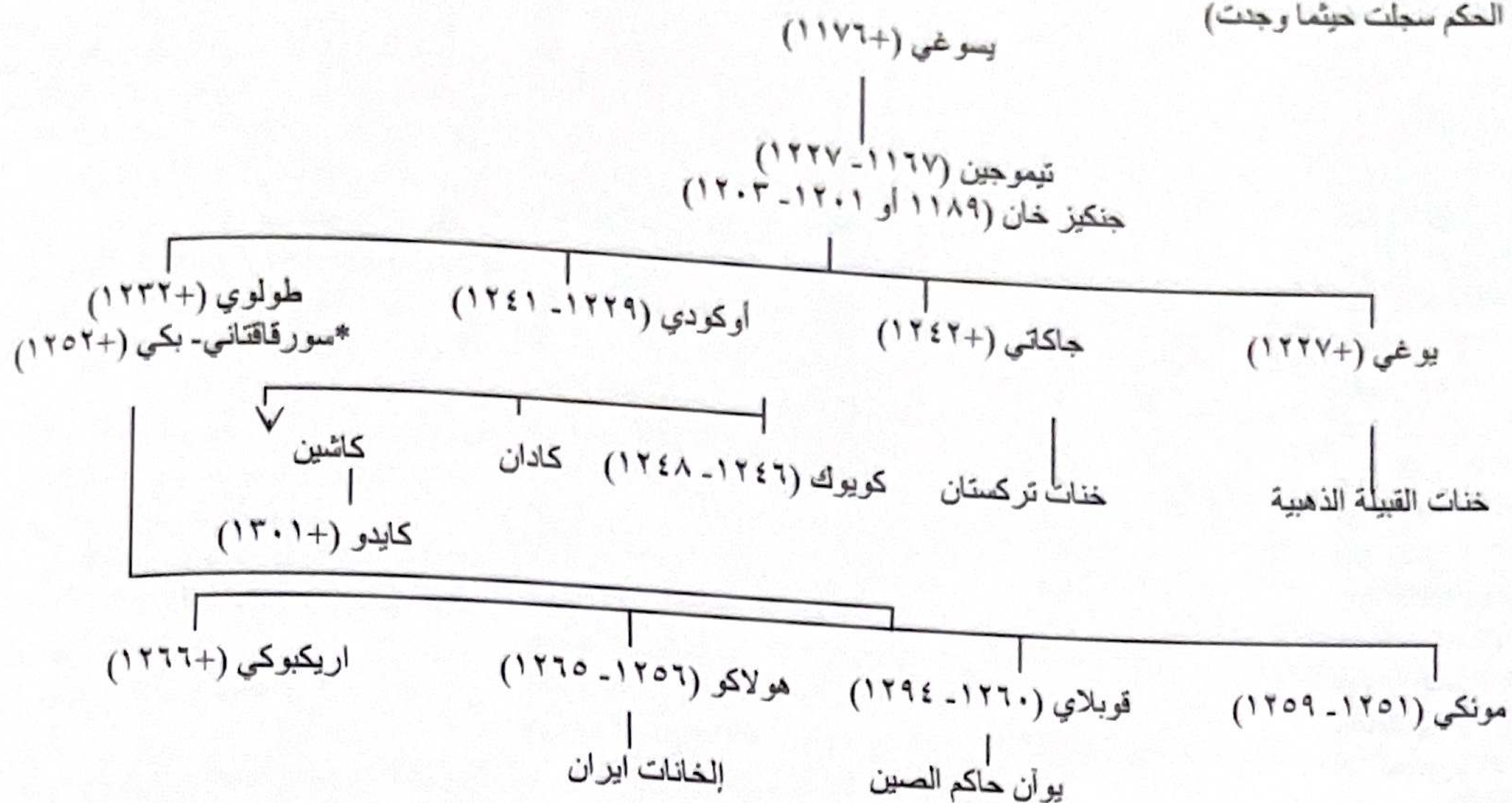
سورقاقتاني – بكي (+١٢٥٢) ∞ طولوي (+١٢٣٢) | اباقا – بكي ∞ جنكيز خان | بكتوميش – بكي ∞ يوغي (+١٢٢٧)

مونكي، الخان العظيم (١٢٥١- ١٢٥٩) | قوبلاي خان، الخان العظيم والامبراطور (١٢٦٠- ١٢٩٤) | هولاكو، الخان (١٢٥٦- ١٢٦٥) ∞ دوقوز خاتون (+١٢٦٥) | آريكبوكي (+١٢٦٦)

يوآن حاكم الصين | الخانات ايران

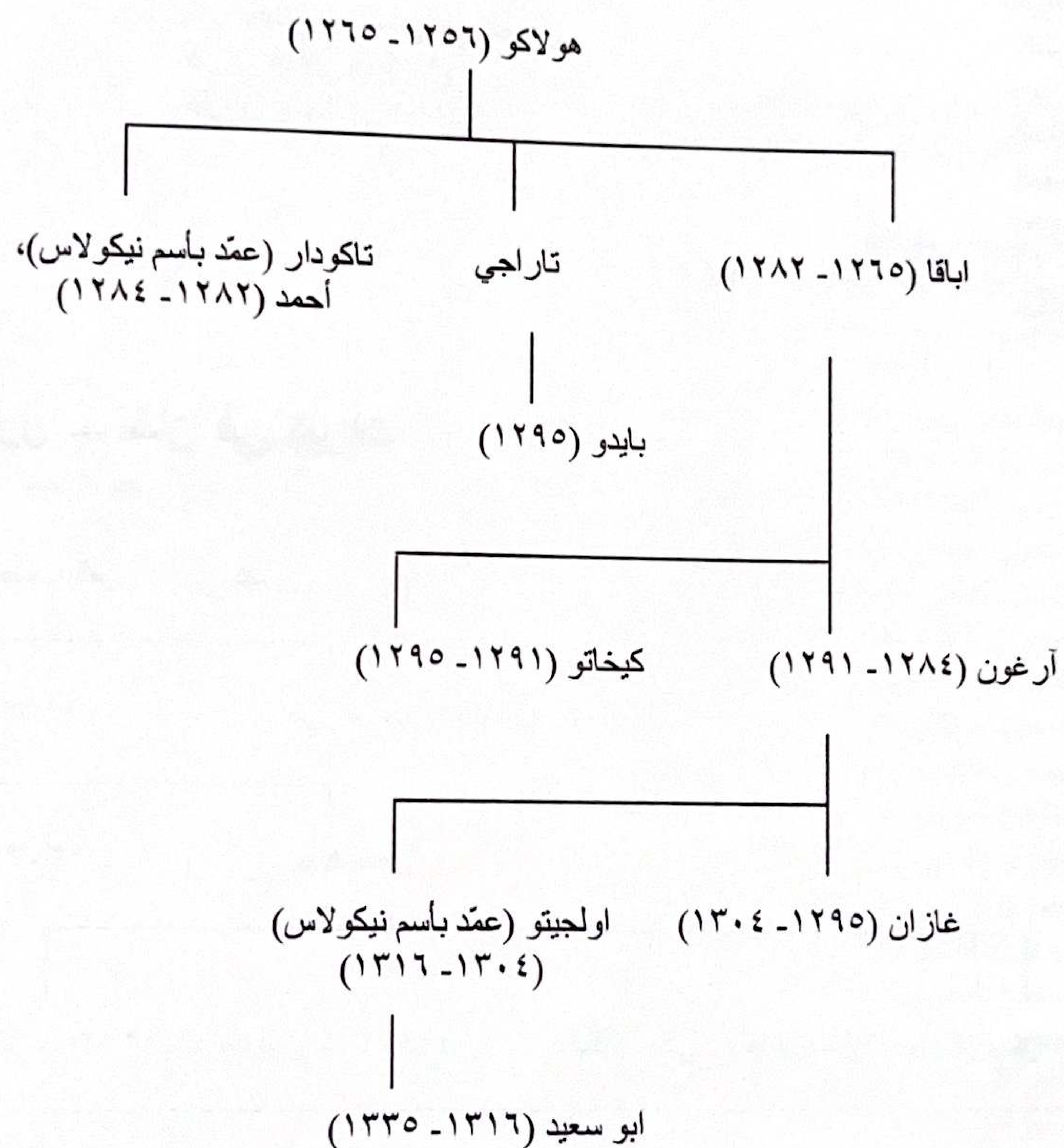
عائلة جنكيز خان

(سنوات الحكم سجلت حيثما وجدت)



ايلخانات ايران

(سنوات الحكم اعطيت اينما وجدت)



شكر وتقدير، ملكية الصور، وقائمة الخرائط

* شكر

لولا المساعدة الحثيثة من قبل كثير من الناس، لما كان قد ظهر هذا الكتاب. أقدم للجميع شكري الصادق. البعض منهم طلب ان يبقى اسمه مجهولاً وهنا أقدم شكري للبقية وهم:-

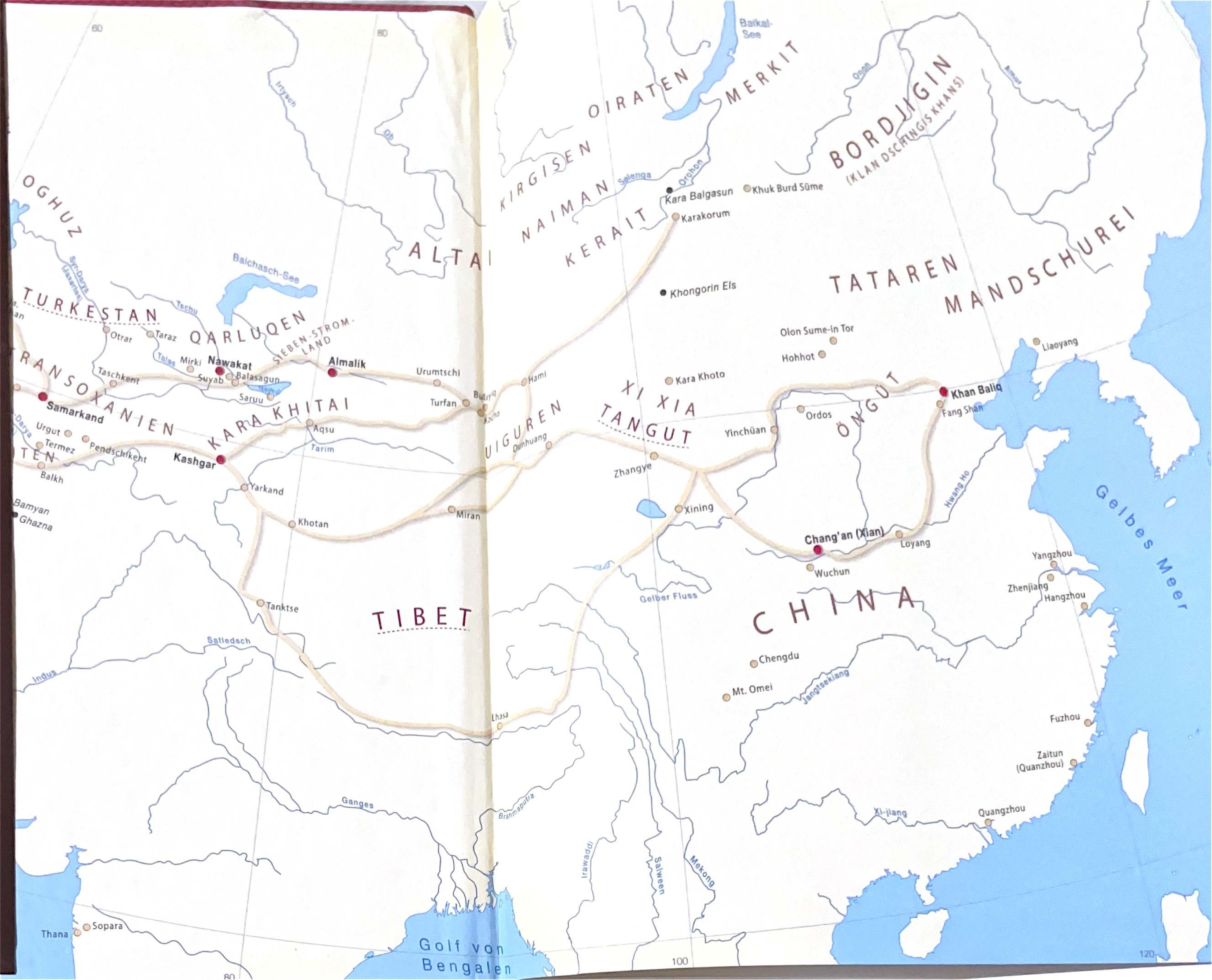
- قداسة مار دنخا الرابع بطريرك كنيسة المشرق الآشورية، في شيكاغو، وبمعية سيادة المطران مار كيوركيس صليوا مطران العراق، ورئيس الشمامسة يونان والاب الدكتور جورج توما في شيكاغو، والذين أجابوا مشكورين وبكل روية عن عدد غير محدد من الأسئلة خلال استماع مطوّل وفتحوا لي الباب الى كنيسة المشرق الآشورية.
- قداسة البطريرك كريستوسوم توماس بطريرك كنيسة مار توما للسريان في مالبار وتيروفالا الذي استقبلني في جلستي استماع وسمح لي بالتقاط صور للمستندين المصنوعين من النحاس والمكتوبين في القرن التاسع، والمحفوظة في محل اقامته.
- قداسة البطريرك اغناطيوس الرابع حازم، رئيس بطريركية انطاكيا اليونانية الارثوذكسية وكل الشرق، والذي منحني مقابلة معلوماتية في دمشق.
- سيادة طيماثيوس صاموئيل اقطاش، اسقف الكنيسة الارثوذكسية السريانية لابرشية طور عبدين – دير مار كبريال، والذي بدوره سمح لي بالتقاط صور خلال قداس عيد القيامة في ميديات.
- سيادة المطران الدكتور الطبيب ابرم، مطران كنيسة المشرق في الهند والذي أجاز لي ان ارافقه ليوم كامل في تريشور والتقاط الصور بدون اي تحفظ والذي زودني بسخاء بالكثير من المعلومات واوصلني الى العديد من النصوص.
- سيادة الاسقف رمزي كرمو، رئيس اساقفة الكنيسة الكاثوليكية الكلدانية في ايران، والذي بدوري اشكره على المحادثة الشيقة في طهران.
- الدكتور مار باوي سورو، اسقف كنيسة المشرق في سياتل والذي قدم لي نصيحة قيمة.
- مار باخوميوس بولص، اسقف السريان الارثوذكس في ألوا، كيرالا والذي قدم لي نظرة قيمة في التاريخ الحديث للكنائس السريانية في الهند.
- البروفسور هانز هولروكي لنز والاب هورست اوبركامف، باد شوسنرايد.

كلاهما وفرا لي معلومات مفيدة عن طور عبدين.

- الدكتور اندرياس جكل مونستر: الذي عرّف وشرح تاريخ كتاب الانجيل للسريان الشرقيين في تبريز من القرن التاسع - القرن الثالث عشر.
- الدكتور الطبيب فاسيليوس كلاين بون: والذي استمر لسنوات للاجابة بكل صبر عن اسئلتي والذي ايضاً راجع نسخة المسوّدة من هذا الكتاب.
- الخوري دومارا بنيامين، الرئيس وممثل ابرشية ايران لكنيسة المشرق، وكذلك الاب يوسف رشيدي، والذي بدوره اتاح لي نقاش مطوّل مفتوح وواضح. اشكرهما كذلك على المعلومات العملية القيمة حول منطقة اورميا.
- الدكتور كورين كانيابا رامبيل، خوري كنيسة الارثوذكس للسريان في الهند والذي بالرغم من تقدمه في العمر استقبلني بحفاوة في تيروفالا.
- الاب الدكتور أ، ت، ابراهام سكرتير مجلس الكنائس في كيرالا، والذي زودني بمعلومات عملية مفيدة.
- الاب كابريال آكيوز، كاهن كنيسة الشهداء الاربعين في مدينة ماردين، في طور عبدين. والذي سمح لي بالتقاط الصور في يوم أحد – السعانين. واطلعني على نسخة الانجيل المشهورة عالمياً، للاسقف دايوسقوس من بدايات القرن الثالث عشر.
- الاب درياوش عزيزيان، كاهن كنيسة مريم العذراء في اورميا، الذي اطلعني على العديد من الكنائس القديمة والمعابد في اورميا وحواليها.
- الاب فكتور بيت مارزا، كاهن ارسالية الفنطيقوستي الآشورية في طهران والذي زودني بوجهات نظر قيمة.
- الاب الدكتور جورج توما، في شيكاغو الذي رتب لي موعداً لمقابلة البطريرك مار دنخا الرابع.
- الاب ماثيو توفايور، كاهن كنيسة السريان الارثوذكس في الهند الذي رافقني لمدة اسبوعين في كيرالا، ونظم لي عدداً مهماً من الاتصالات.
- نيكولاس الجيلو، استراليا، الذي في عام ٢٠٠٢ التقط لي صوراً في منطقة الحظر الجوي الكردية، والذي زودني ايضاً بمعلومات كثيرة وبطريقة سخية.
- سالم ابراهيم من دمشق: والذي سمح لي بكل كرم باستخدام بدون مقابل لثلاثة صور رائعة لاحتفالات دينية.
- ورنر باومر فرونفيلد، والدي العزيز والذي راجع مخطوطة الكتاب في بداية طبعه، والذي تابع المشروع باهتمام منذ بدايته.

- بادجر، جورج بيرسي: النساطرة وطقوسهم. ١٨٥٧، ص٢٥٧.
- بولو، أ، في، نوفوسيبيرسك، روسيا، ص ١٧٤، ١٩٢.
- بيلينغهام، شارلز، ص ٢٥٦.
- بيشوب، ايزابيلا: رحلات في فارس وكردستان، ١٨٩١، ص٢٥٥.
- ال[illegible]طانية، لندن، ص١٩.
- دايورسي، الفرد وواند، كيزيلا، ميرزنغ، المانيا، ص ١٠٣ الاسفل ٢٧٤.

- يوناثن بيت كوليا: الممثل البرلماني للشعب الآشوري – الكلداني في الجمهورية الاسلامية الايرانية. اشكره ليس فقط على النقاشات العلمية، ولكن ايضاً على المعلومات المهمة علمياً عن الكنائس والاديرة التابعة لكنيسة المشرق في اذربيجان الايرانية.
- جورج بيطار في دمشق، والذي بكل علمية اطلعني على "مدن الموت" المسيحية في سوريا، والذي مهّد لي الطريق لمقابلة قداسة البطريرك مار اغناطيوس الرابع حازم. ولسوء الحظ بعد ذلك مباشرة – عانى جورج بيطار من سكتة قلبية – ليرحمه الله!
- البروفيسور فرانسوا دو بلوا، لندن، والذي زودني بمعلومات عن المستند المصنوع من النحاس في تيروفالا.
- البروفيسور سباستيان بروك، والذي راجع النسخة الانكليزية المسوّدة، والذي كانت لديه توقفات عند بعض الاخطاء المطبعية وعدم دقة المعلومات، والذي منحني بوجهات نظر مستفيظة.
- البروفيسور مارسيل إردال، في فرانكفورت، والذي ترجم الكتابة على شاهد قبر نسطوري في أولون سومي في طور.
- السيد فتح الله، والذي تطوع بتقديم مساعدته لي في مديات، طور عبدين. وقد رافقني لمدة اسبوعين الى العديد من الكنائس والاديرة السابقة. وقد افلح وبطريقة دبلوماسية في ايجاد الحلّ لاكثر من مسالة صعبة.
- ماريا انطونيا فون سيكا، بيانو دي كامبو، التي قامت بتصحيح وتدقيق النسخة الالمانية.
- الدكتور سلام فلكي، والذي زودني بمقترحات قيمة فيما يخص نسخة الكتاب المقدس المترجم الى العربية.
- البروفيسور وولفكانغ هيك ماربرك، والذي بكل كرم اطلعني على اطروحته غير المطبوعة.
- البروفيسور وولتر هيسيك رينبولن، والذي مهّد لي الاتصال المثمر والمميز مع الدكتور الطبيب فاسيليوس كلاين.
- سافا شينكو، آلكسي، مدير البحث، البعثة الآثاريه في سوغيديا الشرقية، كييف ص١٧٠
- سيمونوف، جي، أل، سوياب آك باشيم، ٢٠٠٢، ص ١٧٣الجهة اليمنى.
- متحف هيرميتاج الحكومي، سانت بيترسبيرغ، ص١٦٧ الى اليسار.
- مكتبة الفاتيكان الرسولية، الفاتيكان، ص٢٠٣.
- ارشيف الفاتيكان السري، الفاتيكان، ص٢٢٨.
- ويبير تيريز، ارلشيم، سويسرا، ص٢.



OGHUZ
TURKESTAN
TRANSOXANIEN
QARLUQEN
SIEBEN-STROM-LAND
KARA KHITAI
ALTAI
KIRGISEN
OIRATEN
MERKIT
NAIMAN
KERAIT
BORDJIGIN
(KLAN DSCHINGIS KHANS)
TATAREN
MANDSCHUREI
UIGUREN
XI XIA
TANGUT
ÖNGUT
TIBET
CHINA
Baikal-See
Balchasch-See
Gelbes Meer
Golf von Bengalen
Irtysch
Ob
Syr-Darya
Tschu
Talas
Tarim
Selenga
Orchon
Onon
Amur
Hwang Ho
Gelber Fluss
Jangtsekiang
Xi-Jiang
Satledsch
Indus
Ganges
Brahmaputra
Irawaddi
Salween
Mekong
Otrar
Taraz
Mirki
Nawakat
Balasagun
Suyab
Saruu
Almalik
Taschkent
Samarkand
Urgut
Termez
Pendschikent
Balkh
Bamyan
Ghazna
Kashgar
Aqsu
Yarkand
Khotan
Miran
Urumtschi
Turfan
Hami
Dunhuang
Tanktse
Lhasa
Kara Balgasun
Khuk Burd Süme
Karakorum
Khongorin Els
Olon Sume-in Tor
Hohhot
Kara Khoto
Ordos
Yinchüan
Zhangye
Xining
Chang'an (Xian)
Loyang
Wuchun
Khan Baliq
Fang Shan
Liaoyang
Yangzhou
Zhenjiang
Hangzhou
Chengdu
Mt. Omei
Fuzhou
Zaitun (Quanzhou)
Quangzhou
Thana
Sopara
60
80
100
120

كرستوف بومر

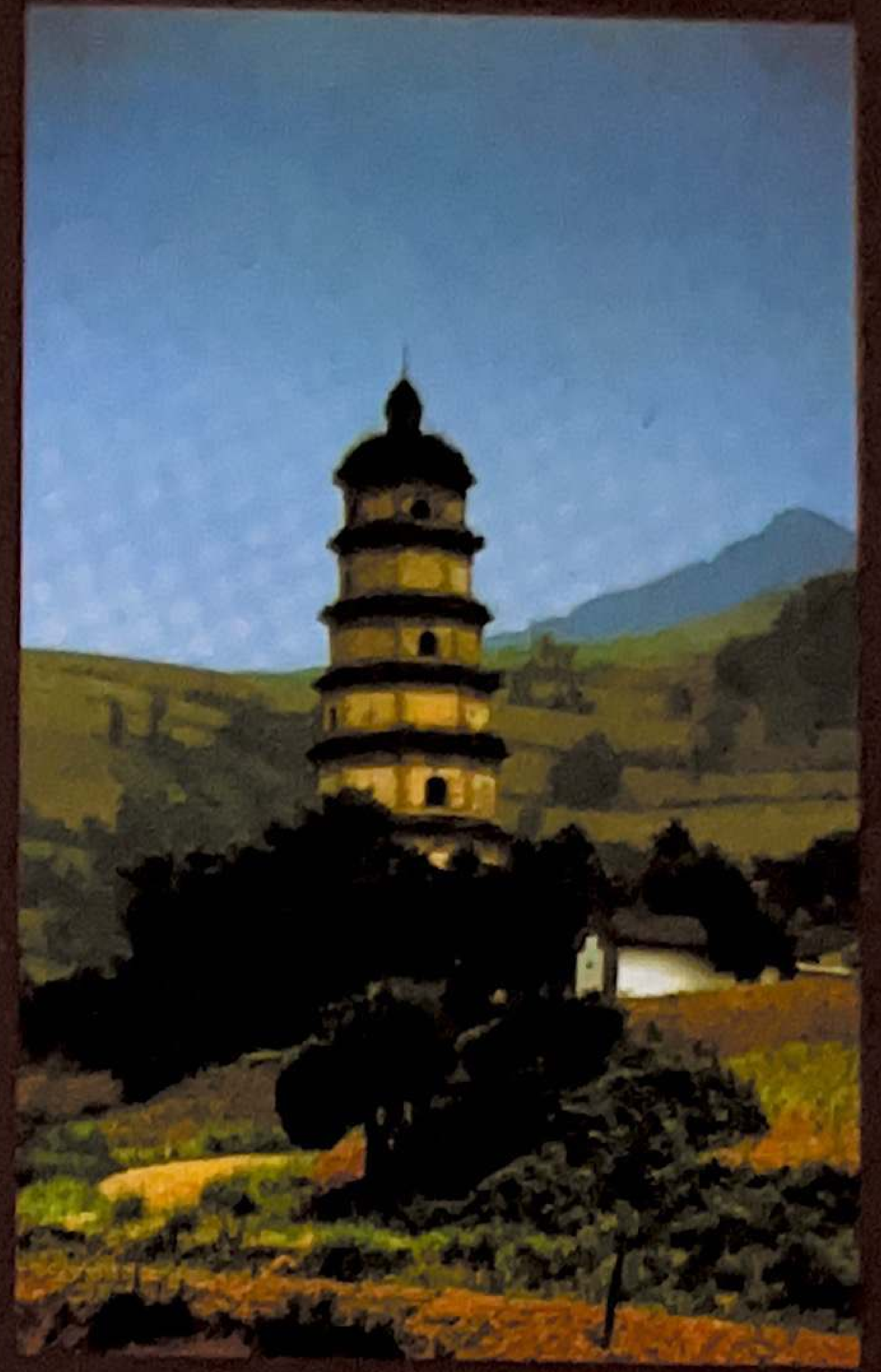


المؤلف الى اليمين مع بطريرك كنيسة المشرق قداسة مار دنخا الرابع.

[illegible] 2001 [illegible] 2005 [illegible]

امام الى الاعلى: صليب من الفضة على مخطوطة سريانية، خابور، شمال شرق سوريا ، نيقولاس الجيلو.
امام الى الاسفل: الله ينقل جبلا لمسيحيي بغداد. عن كتاب ماركو بولو عجائب العالم من 1412، الببلوغرافيا الوطنية الفرنسية، باريس.
الخلف: ضريح طاوي، معبد تا قين النسطوري المتعدد الادوار الذي تم تأسيسه في حوالي سنة 650 بالقرب من وشون، اقليم شانشي، الصين، كرستوف بومر

60
80
Irtysch
Ob
OGHUZ
Syr-Darya (Jaxartes)
Balchasch-See
Tschu
TURKESTAN
QARLUQEN
SIEBEN-STROM-LAND
Otrar
Taraz
Talas
Mirki
Nawakat
Almalik
Balasagun
Suyab
Issyk-kul
Taschkent
TRANSOXANIEN
Saruu
Samarkand
KARA KHITAI
Aqsu
Urgut
Termez
Pendschikent
Tarim
Kashgar
Balkh
Yarkand
Bamyan
Ghazna
Khotan
Tanktse
Satledsch
Indus
Gan
Sopara
Thana
60
80



"إن كتاب كرستوف بومر الرائع خليق بان يتبوأ مكانته كافضل تاريخ عام متوفر عن كنيسة المشرق، منذ بدايتها حتى يومنا هذا. وهو غني على نحو خاص في تناوله لتوسع الكنيسة في آسيا الوسطى وشرق آسيا ، مستفيدا استفادة ممتازة من الاكتشافات الحديثة. والكتاب موضح بصور رائعة التقطت العديد منها اثناء رحلات المؤلف الواسعة.،

سباستيان بروك
معيد سابق في الدراسات السريانية ،
جامعة اوكسفورد

"إن كتاب كرستوف بومر واسع المدى فكريا وجغرافيا. وحتى القراء الذين يعرفون كنيسة المشرق بشهرتها التبشيرية سيندهشون من اكتشافهم لبعض الاماكن التي كانت موجودة فيها- حيث يجري تقديم الادلة المبعثرة ولكن الرائعة من آسيا الوسطى والصين على نحو مؤثر (بسكون الهمزة) -ومن تاملهم في الطريقة التي تطور بها لاهوتها بالحوار مع التيارات الفكرية الاخرى.،

جي. أف. كوكلي
محاضر اقدم في لغات وحضارات الشرق الادنى،
جامعة هارفرد

"إن هذا الكتاب الذي ينطوي على بحث وتأليف جيدين يسعى لان يجعل تاريخ الاشوريين النفيس والقديم متاحا. ومما هو جدير بالثناء على نحو خاص هو الانتباه الذي اولاه المؤلف لعالمية الكنيسة، وللخورنات التي امتدت الى مجموعة كبيرة من الجماعات العرقية واللغوية، من بغداد الى الصين. إن كتاب كنيسة المشرق يتيح قرائة ساحرة وفاتنة ، ليس لتلاميذ الدين بل ايضا للقارىء العام المهتم بهذه الكنيسة.،

أيريكا سي. دي. هنتر،
محاضرة منسّبة في الارامية والسريانية،
جامعة كامبردج وزميلة تدريسية في المسيحية الشرقية، لندن